
رواية
الطبعة
2
الجزء
كلمات 2
دمت لي سندًا جميلًا
الشيماء محمد أحمد
- شيموووو -
إبهار
للنشر و التوزيع



كلمات الجزء الثاني

الشيماء محمد

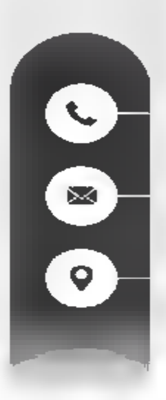
رواية

إخراج فني: مريم محمد سيد

تصميم الغلاف: محمد دربالة

الطبعة الأولى 2024

الترقيم الدولي (ISBN): 978-977-8789-70-7



+20 109 919 7450

Info@ebharbook.com
www.Ebharbook.com

Strand block - Abdein square
down town - Cairo - Egypt.

اهداء إلى زوجي الحبيب

🌹 دمتَ لي سندًا جميلًا 🌹

شكر خاص لكل من ساهم في مراجعة الرواية

الأستاذة اسراء محمد

الأستاذ حسين ابو معتصم

المهندسة / سمسمه أحمد

والغالية جدا / رجاء أم خالد

كلمات تقلب تاريخي

تجعلني امرأة في لحظات

يبني لي قصرا من وهم

لا أسكن فيه سوى لحظات

وأعود أعود لطاولتي

لا شيء معي إلا كلمات

١

كانت تلك الكلمات هي ما أوقفت يد صابرين عن البحث عن أي محطة لسماعها وهي في سيارة زوجها برفقة ابنتيها، سيطر الصمت على الجميع؛ لقد مر عامان منذ أن استمعوا لتلك الأغنية التي أعادت الكثير من الذكريات معها.

أيقظت كلماتها في قلب حنين العديد من الآلام التي لطالما دفنتها عميقًا أو حتى حاولت أن تقنع نفسها أن ذلك ليس إلا كابوس وانتهى وهي لم تعش بالفعل هذه الفترة في حياتها، صمّت أذنيها تلك الموسيقى ولم تعد تتحمل أن تستمع للمزيد، فقالت بحدة دون قصد منها : اقفلي الراديو يا ماما لو سمحتِ؛ عندي صداع ومش قادرة أسمع أي حاجة.

أغلق والدها الأغنية بقلب موجوع؛ لقد تخيل أنها ستشتاق لسماع أغنيتها المفضلة ولربما تحن لشخصيتها القديمة التي وأدتها الظروف دون رحمة.

أوقف سيارته في مكانها أمام منزلهم وترجل الجميع منها، سبقتهم حنين للأعلى هربا من أي سؤال أو نقاش هي في غنى عنه، توجهت مباشرة لغرفتها وأغلقت الباب خلفها.

بعد قليل وقف والدها أمام باب غرفتها مترددًا هل يدخل إليها؟ ولكن تاه الكلام منه؛ فهو لا يعلم بمَ يواسيها أو ما الجديد الذي يمكن أن يقوله ليخفف عنها أو يعيد ابتسامتها إليها؟ فلكم اشتاق لتلك الابتسامة التي تنير حياته بأكملها، انتبه على صوت حور تحدثه بحزن : بابا انت كويس؟

ابتسم بوهن وهو يلتفت إليها : كويس يا حور.

اقتربت منه وربتت على كتفه بدعم : حنين كويسة يا بابا هي بس نزلت لأرض الواقع ومابقيتش عايشة في عالم الأحلام لكن هي كويسة اطمن عليها.

انسحب لغرفته وهو يدعو الله من قلبه أن يعوض ابنته بمَن يعيد الحياة لقلبها مرة ثانية.

بينما هي بغرفتها ألقت جسدها المنهك على سريرها وهي تنظر للسقف وتتذكر كلمات تلك الأغنية

(يبنيلي قصرا من وهم)

كيف لم تنتبه لتلك الكلمات من قبل؟ فالأغنية واضحة ؛ فالقصر يبنيه من وهم... فكيف انخدعت بهذا الوهم؟ كيف أغمضت عينيها وكانت كالحمقاء الغبية المثيرة للشفقة التي ينظر إليها الجميع بشفقة؟

يا لها من غبية حقا؛ فالأغنية تختم كلماتها بـ أعود لطاولتي لا شيء معي إلا كلمـــات.

أما هي فعادت محملة بالعديد من الأوجاع والجروح التي لم ولن تلتئم أبدًا.

انتهى إيهاب من دهان غرفة نومه فنظر إليها برضا تام؛ فالغرفة أصبحت لا ينقصها سوى الأثاث فقط، الشقة بأكملها لا ينقصها غير بعض الأشياء ولربما يرزقه الله بزوجة تتحمل ظروفه القاسية وينعم معها بدفء الحب الذي افتقده في

حياته منذ وفاة والده.

أغلق باب الشقة خلفه وابتسامة رضا تزين وجهه ؛ فأخوه سيبدأ عامه الأخير وحتما سيرفع الحمل من فوق أكتافه ولو قليلًا، وأخته تبقى لها عام واحد فقط فليتحمل قليلًا وسيأتي دوره حتما في الحياة.

ألقت سارة نظرة أخيرة على ذلك الجسد الملقى بجانبها ؛ يا الله لكم تكره ذلك الرجل وتلعن ذلك اليوم الذي أجبرها والدها فيه على الزواج منه، تكره كل لحظة بقربه، تكره حتى أنفاسه الثقيلة بجانبها، ولولا أنه يغدق عليها بالأموال لتركته منذ اليوم الأول.

تذكرت يوم زفافها وبالرغم من أنه قد مر عامان على هذا اليوم إلا أنها مازالت تتذكر كل تفاصيله ...

{ منذ عامين }

مر اليوم سريعا لترتدي هي فستانها في مركز التجميل الشعبي وتخرج برفقة زوجها وتجلس بصمت وسط ذلك الفرح وتشاهد الحاضرين وهم يرقصون ويصفقون والنساء تزغردن، وتفاجأت حين اقتربت منها سيدة مخيفة وضخمة لتبارك لها وأخبرتها أنها زوجة المعلم لمعي وأم أبنائه وباركت لها قبل أن تنسحب، ضدمت سارة وأمسكت ذراع زوجها باستنكار: انت متجوز ومخلف يا راجل انت؟

ضحك بسماجة: ومثنى وثلاث ورباع فيها ايه يعني يا حلوة؟

تابع رقصه مع أصدقائه بينما تقف هي مصدومة وتتحرك دون إرادة معه لشقتهما، أدخلها لغرفة النوم ودون أي مقدمات هجم عليها، حاولت أن تتكلم أو تتفاهم أو حتى تتنفس ولكن هيهات فهو لابد أن يؤدي مهمته قبل أن ينتهي مفعول تلك الحبة الصغيرة.

تركها بعد فترة وهو يلهث ويضحك ويتكلم بصوته الخشن : مبروك يا عروسة.

تركها وأخذ دليل عذريتها معه وخرج من غرفته لتسمع هي بعض الزغاريد، نزلت دموعها بصمت ؛ فهي أبدًا لم تتخيل أن هذا الكابوس هو يوم عرسها وأن ذلك البغيض هو زوجها.

لملمت فستان زفافها وخلعته بهدوء و وقفت أمام المرآة تتأمل حالها وأين وصلت؟ وكيف وصلت لهنا؟

استيقظت صباحًا على صوته الخشن : قومي يا حلوة علشان تفطري.

نظرت إليه بغضب : سيبني في حالي

أمسك شعرها وأوقفها بحدة : قومي يا بت انتي هتتمرقعي ولا ايه؟ الفطار برا يلا

تحركت معه على مضض وارتدت رداء ناعما أغلقته حولها، خرجت لتجلس برفقته وتراقبه بكره وهو يبتلع الطعام.

حاول بعدها الاقتراب منها وحين رفضت صفعها بقوة، بكت في البداية ولكن هي ليست تلك الضعيفة ولا مسلوبة

الإرداة، لا لن تسمح له أبدًا بكسرها، أمسكت السكين من أمامها ورفعته بوجهه واقتربت منه بتهديد : قسما بالله لو مديت ايدك عليا تاني لأقطعهولك وانت نايم وأكلهولك كمان (نظر لها بصدمة وخوف فصرخت به بجنون) اتقي شري ده أنا مجنونة فاهم (وضعت السكين على رقبته وسط توتره وغرزتها قليلا ليصرخ هو بألم فرددت بقوة) فاهم ولا أفهمك؟

ردد بخوف: فاهم فاهم يا بنت المجنونة ابعدي السكينة عني.

أبعدتها عن رقبته ونظرت إليه بتشفي : غور من وشي خليني أعرف أطفح الطفح ده.

صاح بغيظ وهو يهرب من أمامها: أنا هقول لأبوكي يا مجنونة.

نظرت إليه بتهكم : غور هتلاقيه متلقح على القهوة روح عيطله وقوله ماقدرتش على بنتك.

أتبعت جملتها بضحكة سخرية: بس اوعى حد من القهوة يسمعك ليفضحوك ويقولوا عليك مش راجل ومش قادر عليها.

استمر ضحكها حتى أغلق الباب خلفه ليتحول ضحكها إلى بكاء مرير.

انتبهت سارة على رنين هاتفها لتتفاجأ بشروق الشمس و

أيضا بدموعها فمسحتها بعنف، و ذكرت نفسها مجددًا أنه ماض وانتهى، هي أقوى الآن كثيرًا عما سبق، لقد أجبرته بقسوتها وعنفها أن يحترمها ويعطيها ما تريد دون نقاش واكتفى هو بالقليل الذي تقدمه إليه؛ فهي شابة وجميلة ومطمع للكثير من الشباب.

استيقظت دعاء من نومها على رنين مزعج فمدت يدها لتغلق ذلك الرنين، فتحت عينيها بتكاسل ونظرت بجانبها لزوجها النائم، مدت يدها تعبث بخصلات شعره وهي تتذكر ذلك اليوم حين أخبرته أنها موافقة على زواجه من ابنة خالته وأنها ستقبلها ضرة لها، حمدت الله أن زوجها لم يكن بمثل غبائها المطلق؛ فهي لن تنسى أبدًا احتضانه لها في ذلك اليوم، لم يتفوه بكلمة بل اقترب منها وضمها لصدره لتبكي حتى جفت دموعها، وحين انتهت من البكاء نظر إلى وجهها بجدية ونطق جملة لن تنساها أبدا : سمعتك النهارده وسيبتك براحتك بس مش عايز أسمع الهبل اللي قلتيه مرة تانية يا دعاء، ربنا أنعم علينا ببنتنا لو لينا نصيب في عيل كمان هنشوفه مالناش يبقى بارك الله فيما رزق، أمي ليها حق عليا لكن مالهاش تتدخل في حياتي أو تطلب مني أتجوز أو أطلق، دي آخر مرة هتكلم في الموضوع ده يا دعاء أنا مش هتجوز غيرك ودي نهاية الكلام.

زفرت وهي تتذكر كلماته فاقتربت وقبلت رأسه ليستيقظ إثر قبلتها ويبتسم بحب : صباح الخير يا دودو، صاحية من بدري ولا ايه؟

بادلته ابتسامته بهدوء: لا يا حبيبي يدوب صاحية أهو، يلا علشان ما نتأخرش على الشغل ورغد تلحق مدرستها.

جذبها بين ذراعيه بمداعبة: لسه قدامنا وقت عايز أشبع منك شوية الأول.

توجهت أميرة إلى المطعم الذي تعمل فيه نادلة، استلمت ورديتها وبدأت في تسليم الطلبات للطاولات المتعددة أمامها، وقفت أمام طاولة ما قائلة بعملية: تحب تاخد ايه يا فندم؟

انتبهت على ذلك الصوت الذي تحفظه عن ظهر قلب: ازيك يا ميرو وحشتيني.

حدقت فيه بفرحة : أحمد ! ازيك، أخبارك ايه؟ انت ايه اللي جابك هنا؟

ابتسم لها بهدوء مجيبًا : جاي أشوفك، ينفع تقعدي ولا ده ممكن يسببلك مشاكل في شغلك؟

نظرت حولها ثم أعادت بصرها له قائلة: اديني لحظة طيب هستأذن بس نخرج برا مش هنا

أوقفها بمزاح : طيب مش هتشربيني حاجة الأول؟

ردت بإحراج : سوري بجد، تشرب ايه؟

وقف بابتسامة قائلًا: لا بهزر معاكي تعالي نتكلم برا أو قوليلي هتخلصي الساعة كام وأجيلك لو ده يناسبك أكتر؟

فكرت للحظات قبل أن تقرر : طيب اقعد اشرب حاجة وأنا

هخلص آخر النهار نتكلم براحتنا ايه رأيك؟

وافقها بابتسامة: تمام أفضل، أنا ممكن آخد قهوة مظبوطة

شاورت على عينيها مبتسمة وماهي إلا عدة دقائق لتعود بكوب من القهوة وقطعة من الكعك لتضعها أمامه قائلة بلطف : دي على حساب المحل.

شكرها وقبل أن تنصرف لعملها سألها باهتمام : الدراسة قربت تبدأ ودي آخر سنة ليكِ هتسيبي الشغل ولا ايه نظامك؟

أجابته بهدوء: أيوة بشتغل في الصيف بس وصاحب المطعم عارف ده بس لو في ضغط أو مناسبة أو إجازات باجي أساعدهم، أشوفك آخر النهار بخلص الساعة ٦.

وصلت هايدي إلى عملها متأخرة قليلًا وتوجهت مباشرة لمكتب صديقتها : حنون ازيك يا قلبي، حد أخد باله إني متأخرة؟

ابتسمت لها بلطف: لا يا قلبي روحي حطي شنطتك على مكتبك قبل ما حد ياخد باله.

وضعت حقيبتها وعادت لتجلس أمام رفيقتها فالوقت مازال مبكرًا على ازدحام البنك بالعملاء، جلست بفتور : و آخرة الملل ده ايه؟ ما تيجي نروح سينما يا حنون في فيلم رومانسي لسه نازل جديد و

قاطعتها حنين بضيق : لا معلش روحي انتِ، أنا

قاطعتها بحنق : انتِ إيه؟ وراكِ ايه ها؟ هتفضلي لحد أمتى تبكي على الأطلال؟

نظرت إليها بغضب : أنا مش ببكي على أطلال ولا نيلة ومش ببكي أصلا أنا بس نظرتي اتغيرت للدنيا مش أكتر، نتفرج على فيلم رومانسي ليه؟ نحلم بحياة رومانسية؟ ولا نحلم بالبطل المغوار؟ ما خلاص عرفنا انها أفلام وقصص وروايات مالهاش علاقة بالواقع لأن الواقع فيه أمجد وأمثاله وبس.

وقفت هايدي وقبل أن تنصرف لعملها أجابت بعقلانية : آه في أمجد وأمثاله بس في برضه

قاطعتها حنين وهي تقف معلنة انتهاء النقاش : مافيهوش وما تقنعيش نفسك بغير ده علشان ما تقعيش زيي، خليكِ عملية وبصي للحياة بعملية لأن للأسف ده بس اللي بينفع، أنا طالعة أشوف بابا أخد أدويته ولا لا، بعد إذنك.

هربت من أمام صديقتها لتدخل مكتب والدها تسأله عن أدويته وقبل أن تخرج مجددًا أوقفها بسؤاله : حنين انتِ كويسة؟

ابتسمت لوالدها بزيف : اه يا بابا خير؟

تحرك من خلف مكتبه ليقف أمامها : بعد ما وصلنا بالليل قلتِ مصدعة وقفلتي على نفسك في أوضتك والصبح نزلتي بدري عننا فقلقت عليكي.

قبلت وجنته بحب : أنا بخير يا بابا طول ما انت بخير ومعايا، ما تخافش عليا.

ابتسم بحنو حتى أغلقت الباب خلفها لتختفي ابتسامتهما الكاذبة من وجهيهما.

جلس عبدالقادر خلف مكتبه مجددا وهو يسأل نفسه للمرة المائة : هل أخطأ بتربية ابنته حتى جعلها حالمة لهذه الدرجة؟ وهل الحب حقا لا وجود له في الحياة؟ فهو حتما لم يصادف ذلك الحب وزوجته خير دليل فهناك المودة والعشرة ولكن لا وجود للحب في حياته فهل أخطأ حين ترك ابنته تتمادى في أحلامها؟

راقبت سارة من مكتبها هشام وهو يتحرك هنا وهناك يبتسم لكل جميلة كعادته وتساءلت عن زوجته هل مازلت تدفن رأسها مثل النعام وتقنع نفسها أن زوجها يحبها؟

انتبهت على العم مسعد يقف أمامها : أستاذة سارة؟ الأستاذ زهير عايزك.

سألته بحيرة : عايز ايه؟ ما تعرفش يا مسعد؟

أجابها بنفي قبل أن يتركها ليباشر عمله، وقفت بتوتر لتتوجه لمكتب نائب المدير الذي نُقل مؤخرا للفرع ومعروف بشدته، طرقت مكتبه ودخلت بهدوء : خير يا أستاذ زهير؟ حضرتك عايزني؟

أشار لها بالدخول لحين انتهائه من مكالمته ثم نظر إليها

مطولا قبل أن يتكلم بهدوء : النهارده في حد هيجي من البنك المركزي وعايز حد يستقبله ويكون معاه اليومين اللي هيفضلهم هنا لأن في نظام ادخار جديد البنك المركزي عايز يعمله و محتاجين حد يفهمه علشان يكون مسئول عنه قدام العملاء وطبعا كل عميل هيقتنع بكلامك هيكون ليكي نسبة ده غير زمايلك طبعا هتفهميهم ايه الوضع ولازم الكل يبدأ يعمل دعاية لكل عميل يدخل البنك، هتقدري ولا ايه يا أستاذة سارة؟

ابتسمت بفرحة وأجابته سريعًا : طبعا هقدر يا أستاذ زهير وأوعدك إني أكون عند حسن ظن حضرتك.

ابتسم بمجاملة : خلاص روحي مكتبك و خليكي على استعداد.

توجهت إلى مكتبها وتعجبت لماذا خصها بمثل ذلك الطلب؟ لِمَ لَم يختار حنين؟! مثلا فهي ابنة مدير البنك.

وجهت نظرة أخيرة ناحية مكتبه ورأته من خلال حائطه الزجاجي ينظر لبعض الأوراق وحاولت تخمين عمره، هل هو في أواخر الثلاثينات مثلا؟ أو ربما وصل للأربعين، لماذا يغلفه كل هذا الغموض؟ كل ما تعرفه عنه أو ما يعرفه الجميع أنه غير متزوج أو هذا ما يفترضه الجميع حيث أنه لا يرتدي أي خاتم في يده يرمز للزواج، نفضت رأسها؛ فهشام كان خير دليل أن الحكم بالظاهر دائما ما يكون خاطئًا.

استقرت في مكتبها ورغما عنها نظرت تجاه مكتبه مرة

أخرى فزهير رجل بملامحه الشرقية المميزة أو لربما هي تجده وسيما، اشمئزت حين تذكرت زوجها الأصلع ذا الكرش المتدلي، أين هو من وسامة وأناقة الأستاذ زهير بجسده الرياضي، فهو بالتأكيد يتبع حمية ما أو يمارس أي رياضة، للمرة الألف تحاول أن تصرفه عن أفكارها دون جدوى.

انقضى النهار بطيئا ؛ حيث تعد أميرة الساعات لينتهي دوامها ثم خرجت مسرعة وتلفتت حولها متسائلة هل سيأتي حقا؟

سمعت صوته يناديها : هنا يا ميرو.

وجهت نظرها ناحية الصوت لتتفاجأ به يجلس على مقدمة سيارته التي تحفظها عن ظهر قلب.

اقتربت منه مبتسمة : أنا قلت إنك مش هتيجي

وقف لاستقبالها معاتبا: ده اسمه كلام؟ للدرجة دي ماعندكيش أي ثقة فيا؟ لا كده أنا أزعل وأجيب ناس تزعل كمان.

ضحكت على طرافة أسلوبه قبل أن تتراجع معتذرة : لا لا كله إلا زعلك ماأقدرش عليه، المهم أخبارك ايه بعد ما اتخرجت كده؟

اقترب خطوة منها : فتحت سنتر كمبيوتر أنا واتنين أصحابي والحمد لله الأمور تمام، المهم سيبك مني وطمنيني عنك أخبارك ايه؟ ما تتخيليش أنا بكره الإجازة قد ايه؟

سألته باستغراب : ليه؟ هو في حد عاقل بيكره الإجازات؟

اقترب أكثر هامسا بحميمية : اه لما يتحرم من حد غالي عليه وما يعرفش يشوفه ساعتها يكرهها.

قشعر جسدها من اقترابه وهمساته فابتعدت مبتسمة وحاولت المزاح: مين بقى يا سيدي اللي غالي أوي عليك كده؟

أجابها ببساطة منتهية : انتِ.

تقابلت نظراتهما وارتفعت نبضات قلبها فهي لم تجرؤ من قبل على التفكير فيه بهذه الطريقة، لكن الآن اختلفت كل الأوضاع، نفضت رأسها وتلفتت حولها بتوتر: الوقت اتأخر وانت عارف لازم

قاطعها بضيق : لازم ايه؟ احنا لسه ما اتكلمناش وأنا عايز أقعد وأتكلم معاكي يا أميرة.

حاولت الهرب من حصار عينيه : أحمد الوقت ...

قاطعها مجددا : انتِ اخترتي آخر النهار بعد شغلك يبقى ما تقوليش الوقت معرفش ايه

نظرت إليه برجاء : أحمد معلش ماقلتش لماما إني هتأخر وتخيلت إنك يدوب هتسلم و بس

نظر إليها مطولا قبل أن يعلق بتهكم : هسوق أكتر من ساعة في الزحمة دي علشان بس أسلم يا أميرة؟ ما أنا سلمت الصبح

أحست باضطرابها أكثر ولابد أن تنسحب من أمامه بسرعة قبل أن تفقد وعيها من التوتر : أحمد خليني أمشي دلوقتي و وقت تاني أطلع بدري وأقول لماما إني هتأخر ممكن؟

تفحص وجهها الذي يحفظ ملامحه وابتسم يطمئنها : ماشي يا ستي مش هضغط عليكي (قبل أن تتحرك من أمامه أردف) طيب ايه رأيك أوصلك وبكده نتكلم وأطمن عليكي و نضرب عصفورين بحجر؟

نظرت إليه باستنكار تام : وده من ايه بقى إن شاء الله؟ من امتى بتوصلني علشان توصلني دلوقتي؟ أحمد مش معنى إن أمجد محبوس إني ...

قاطعها معتذرا : خلاص يا ستي حقك عليا، اتفضلي وبعدين نتفق على وقت تخلصي فيه بدري وتتفقي مع ماما انك هتكوني معايا نتكلم شوية.

تراجع خطوتين للوراء : خلي بالك من نفسك وهستنى مكالمتك ليا يا أميرة أو حتى رسالة راضي بيها بلغيني بالميعاد والمكان.

أومأت له فتابعها وهي تبتعد وتلقي نفسها في أول ميكروباص يقف أمامها لتختفي تماما وهو يتنهد باشتياق فلطالما عشقها منذ أول يوم تقاطعت سبلهما سويا.

في منزل حنين جلست صابرين برفقة زوجها الذي ابتعد عنها كثيرا أو هذا ما تشعر به صابرين ناحيته، حاولت فتح أي

مواضيع للتحدث معه : بقولك يا عبدو

رفع عينيه دون أن يجيبها منتظرا بقية سؤالها فأكملت هي : ايه رأيك لو نجدد البيت؟ أنا شوفت عند صاحبتي جددت بيتها وراسمة في الاستقبال رسمة تشرح القلب والبيت كله بقى منور كده واختلف، فايه رأيك لو نجدد احنا كمان وخصوصا أوضة حنين، نرسملها فراشات وقلوب و ورد ونخليها بينك زي ما كانت بتتمنى دايما مش يمكن ده يفرحها؟

نظر إليها معاتبا : دلوقتي عايزة تفرحيها؟ بايه؟ رسمة على حيطة؟ (عاد إلى هاتفه قبل أن يكمل) اعملي اللي انتِ عايزاه مش فارق معايا وتبقي غلطانة لو فاكرة إن ده اللي هيسعد حنين.

مسحت دمعة من عينها بسرعة قبل أن تخبره : ده اللي بايدي أعمله دلوقتي، أنا غلطت ومعترفة بغلطي وبحاول أصلحه فلو عندك طريقة قولي عليها

رفع عينيه مجددا يواجهها بجمود : ماعنديش يا صابرين، للأسف ماعنديش طريقة أرجع بيها الضحكة لوش بنتي من تاني، ماعنديش غير إني أقول يارب افرجها من عندك.

علقت بوجع : انت لازم تفهمها إن مش دي نهاية الكون، وإنها لازم ترتبط من تاني مش معنى جوازة فاشلة إن الحياة كلها تقف، كام واحد اتقدملها وكلهم أحسن من بعض مش ممكن لو ضغطنا عليها شوية تو

قاطعها بغضب : تاني؟ عايزة تاني تضغطي عليها تاني وتجوزيها تاني واحد بأفكارك وعقليتك انتِ؟ ايه ما بتحرميش؟ ارحميها بقى يا شيخة شوية.

تركها وتوجه لغرفته محبطًا أما هي فأغمضت عينيها لتسمح لدموعها التي تغص بداخلها أن تنهمر.

وقفت حنين في شباك غرفتها تنظر للمجهول أمامها، جميع الأيام تشبه بعضها، لا جديد ولا أمل في جديد، لقد تدمرت حقا وانتهت حياتها للأبد، تسمع بالخارج نقاش والديها وتبتسم بوجع فهل تعتقد والدتها حقا أن تغيير بعض الألوان هو ما سيسعدها؟ كيف تفكر والدتها؟ هي لم تستطع أبدا فهمها، أو كلاهما لم يستطيعا فهم بعضهما البعض؛ فوالدتها مازالت تتمسك بأنها بمرور الوقت ستفتح قلبها مرة أخرى للحياة ولكن هيهات فقلبها مات ودفن تحت أنقاض أمجد الذي دمر كل ماهو جميل بداخلها، لقد نجح في اقتلاع جذورها وقتلها دون رحمة أو هوادة.

جمع الأسطى طلعت رجاله والتفوا حوله ليقول بعملية: عندنا شغلانة جديدة بس المرة دي الشقة ساكنة فعايزين نكون خفاف ونخلص بسرعة وزي ما طول عمري بقولكم عينينا في الأرض ويارب تكون شغلانة خفيفة يلا بينا توكلنا على الله.

توجه برجاله إلى شقة عبدالقادر ليستقبلهم هو وزوجته ويخبرهم بالتفصيل عما يريد تجديده.

طمأنهما طلعت بثقة: كل حاجة هتتم زي ما حضراتكم عايزين هنحرك العفش شوية شوية يعني هنجمعه في أوضة ونحركه وبإذن الله خير.

أوقفته صابرين بتردد : أنا شوفت شغلك عند واحدة زميلة ليا وسمعت إن معاك حد بيرسم لوحات طبيعية أو أي حاجة أطلبها

ابتسم طلعت ليشير على إيهاب بفخر : أيوة يا هانم معايا إيهاب الفنان وبيرسم لوحات أحلى من أي حاجة تانية، تعال يا إيهاب، بلغيه باللي عايزاه وهو هينفذهولك.

اقترب إيهاب منهم قائلا بلطف: اتفضلوا.

وزع نظراته بينهما، تفحصته صابرين من رأسه إلى أخمص قدميه بينما نظرة عبدالقادر كانت مختلفة وتساءل ترَ ما الظروف التي أجبرته لمثل هذا العمل؟

انتبه على زوجته تخبره عن طبيعة الرسمة التي تريدها في غرفة الاستقبال ومكانها وهو يسمعها بهدوء ويومئ برأسه من حين لآخر، انتهت من شرح ما تريده وأنهت عبارتها الطويلة : خليني أشوف الأول الرسمة اللي وريتهالك هتعرف تعملها وهتعملها ازاي ولو كده هخليك ترسم في باقي الأوض بس الأول أشوف هنا.

أجاب طلعت عنه وهو يربت على كتف إيهاب: هيعجبك الرسم يا مدام ودي حاجة أنا واثق منها، إيهاب فنان بجد.

بدأ الرجال في تحريك الأثاث من الاستقبال لغرفة أخرى وفرش الأرضيات بقطع من المفارش البلاستيكية للحفاظ عليها، انهمك الجميع في عمله بينما تراقبهم صابرين وزوجها، رن هاتف إيهاب ليجيب وأخذ يكرر كلماته فأخبرته صابرين أن الشبكة ضعيفة هنا ولابد أن يخرج إلى الشرفة، توجه إيهاب للخارج وقبل أن يتكلم تفاجأ بها تقف وحدها، تستند على سور الشرفة، شعرها يتطاير خلفها، تنظر للمجهول أمامها وهي مستغرقة تماما في التفكير.

تمنى إيهاب في هذه اللحظة لو يمسك بقلمه ويرسمها في دفتره كما هي الآن بنفس الوقفة ونفس الشرود وشعرها المتطاير حولها غير عابئة بالكون بأجمعه حولها.

انتبه الاثنان على رنين هاتف إيهاب مرة أخرى لتنتبه حنين إليه وتعود لأرض الواقع وتنظر إليه بحيرة : انت مين وبتعمل ايه هنا؟

حمحم إيهاب ليجلي حنجرته قبل أن يجيبها بتوتر : أنا آسف لو فاجئتك، بس والدة حضرتك اللي بلغتني أطلع هنا علشان الشبكة.

حركت رأسها بتعجب : برضه ماقلتش انت مين؟

ابتسم بحرج : إيهاب

حركت رأسها بحيرة مرة أخرى فوضح هو بشكل أكثر : جاي مع الأسطى طلعت علشان ندهن البيت.

هنا أومأت برأسها بتفهم وتمتمت بتهكم : هي برضه عملت اللي في دماغها؟

لم يسمعها جيدا فسأل: افندم؟

نظرت إليه بلامبالاة : خلص مكالمتك وروح شوف وراك ايه - أضافت بسخرية - ولا عايز تتكلم لوحدك؟

أشار للهاتف الذي توقف عن الرنين في يده: لا عادي دي والدتي.

نظرت إلى الأمام وتركته لينهي مكالمته مع والدته ويتوجه للداخل بينما هي تقف بشرود حزينة أو هذا ما أحسه إيهاب من مراقبتها، تُر ما سر تعاستها ولمَ تقف بمفردها صامتة تماما هكذا؟

لاحظ عبدالقادر ابنته وتوجه إليها مباشرة : حنين

نظرت لوالدها : أفندم يا بابا عايز حاجة مني؟

ابتسم وهو يتحرك ليقف بجانبها : طمنيني عنك عاملة ايه النهارده؟ بخير يا حبيبتي؟

ابتسمت تطمئنه : بخير أيوة - أضافت بعد قليل- ما تخيلتش إنك هتسمع كلام ماما وتجدد البيت بجد

نظر للداخل للحركة المستمرة وضجيج العمال وأجاب بهدوء: كل واحد بيحتاج من وقت للتاني للتجديد، بقالنا قرن ما غيرناش أي حاجة - نظر إليها بمغزى - جه أوان التجديد يا حنين.

تمنت لو أن التجديد بهذه السهولة، مجرد قرار ويوضع تحت التنفيذ، تنهدت بوجع لتلاحظ نظرة أبيها فابتسمت : إن شاء الله يبقى البيت أحسن من الأول وكل حاجة تكون زي ما انتم عايزين.

ربت على كتفها بحنو : عايزة تعملي ايه في أوضتك انتِ بقى؟

نظرت إلى والدها وبحدة غير مقصودة أجابت : محدش يدخل أوضتي نهائي، بعد إذنك يا بابا هدخل أريح شوية.

راقبها تبتعد وتدلف للداخل لتوقفها والدتها : اعملي شاي لو سمحتي للناس.

أومأت برأسها بموافقة وخلال دقائق عادت تحمل صينية كبيرة لتقف بحيرة في وسط الغرفة فاقترب إيهاب منها مسرعا بابتسامة : هاتي عنك.

تلاقت نظراتهما فعقدت حاجبيها بضيق ولم تبادله ابتسامته بل أعطته الصينية وابتعدت مسرعة عنه لتختفي طوال اليوم فهي لم تخرج من غرفتها أبدا مرة ثانية بينما حور تواجدت بشكل أكبر مع والدتها وتعلق من حين لآخر وتبدي رأيها وطلباتها.

انتهى اليوم الأول وتحرك طلعت برجاله متعبين والصمت يغلفهم، شرد إيهاب تماما وبعد وصولهم للحارة انسحب مسرعا من بين أصدقائه وحتى في بيته غير ملابسه ثم

توجه إلى السطح وأسرته متعجبة من صمته، شغلته العينان الحزينتان وتمنى لو يعلم سر تعاستها وصمتها.

أخرج لوحة جديدة وبدأ يخط بقلمه ما طُبع بذاكرته، فصورتها شاردة والهواء يداعب شعرها طُبعت بداخله، يغمض عينيه فيراها أمامه واقفة حزينة شاردة.

انتبه على أذان الفجر ليُصدم فهو لم يتوقع أبدا أن يسهر لهذا الوقت فسرعان ما ستوقظه والدته لإحضار الإفطار لأخويه وبعدها يتوجه لعمله، ألقى نظرة رضا على اللوحة التي ظهرت معالمها أمامه، جمع كل أدواته في مكانها ليتوجه للأسفل لصلاة الفجر وشراء الإفطار عله ينعم بقسط قليل من الراحة.

عاد من الصلاة وضع ما بيده وتمنى لو تتركه والدته ينام قليلا قبل بداية يومه المتعب.

لم يمر وقت حتى انتبه على والدته توقظه : يا إيهاب قوم الأسطى طلعت عمال يرن عليك كل شوية.

فتح عينيه بإرهاق لينظر إلى ساعته وإليها : هي الساعة كام يا أمه؟

أجابته بسرعة : الساعة ٨ بس موبايلك بيرن كل شوية.

ناولته هاتفه ليجيب بسرعة: أيوة يا أسطى - استمع قليلا قبل أن يعلق - حاضر عشر دقايق وهكون معاكم حاضر.

أوقفته والدته قبل أن يخرج : مش هتفطر الأول؟

نظر ناحية الطعام على الطاولة : لا مفيش وقت سمعتي بنفسك الأسطى رن كام مرة.

حركت رأسها بتفهم : طيب ربنا معاك، لو هتتأخر زي امبارح سيب فلوس نجيب حاجات علشان الغدا.

أخرج مبلغا من محفظته وأعطاه لوالدته : اتفضلي.

قلبت المبلغ بين يديها بعدم رضى : دول ٣٠٠ بس، هو انت بتحوش من ورايا يا إيهاب ولا ايه؟ لاااا ما

قاطعها مسرعا : أمه مش وقته الرغي ولا مش بتنيل أحوش بس بكرا هتبدأ الدراسة وعيالك هيهتهتوا كل شوية ولا انتِ عاملة حسابك؟

مصمصت شفتيها بامتعاض : منين يا حسرة ما انت بطلت تديني وبقيت بخيل يا إيهاب.

علق بصدمة : أنا بخيل يا أمي؟ ده أنا كل اللي معايا ليكم.

علقت باعتراض : والشقة اللي بقت على سنجة عشرة دي عملت نفسها صح؟ ولا أخدت فلوس؟ ولا بتاكل بعقلي حلاوة؟

أجابها بضيق : شقة ايه يا أمي ها؟ ما كلها اتعملت واحدة واحدة، كام سنة بعمل فيها؟ وبعدين كلها اتعملت من أصحابي اللي فاضي واللي عنده حاجة بيجي يساعدني سواء الأسطى طلعت أو زمايلي، كلها مجاملات يا أمه مش فلوس، قال شقة قال بالله عليكي تسكتي أنا نازل هتأخر.

علقت بتهكم و هو يتوجه للخارج : قال مش فلوس قال، انت بتحوش يا إيهاب من ورايا وأنا عارفة ده كويس بس خلينا نشوف آخرتها معاك ايه؟

أغلق الباب خلفه وتوجه للشارع ليأخذ نفسا طويلا زفره بضيق فهو بالفعل يدخر القليل والقليل من وقت لآخر فهو لم ينس بعد مقدم الشقة الذي دفعته والدته، ضميره يؤنبه ولكنه أسكته فهو من حقه الحياة أيضا.

يوم جديد يشرق بنوره وصفوه، استيقظت حنين على رنين هاتفها فأطفأته و وقفت بكسل أمام شرفتها تتأمل نور الصباح، كل الأيام تشبه بعضها، كل صباح يشبه ما قبله، لا جديد، لا حياة، لا أمل.

ارتدت ملابسها بهدوء وتمنت لو تخرج دون أن ترى والدتها فهي تتربص بها طوال الوقت أو تراقبها وتحاول جاهدة أن تخرجها من تلك الحالة وهي لا تفهم أن تلك هي حياتها الآن، فمتى ستفقد الأمل وتكف عن محاولة تنظيم حياتها أو إيجاد زوج آخر لها؟

خرجت من غرفتها لتتفاجأ بالحركة والنشاط من عمال الأسطى طلعت، زفرت بضيق وحاولت شق طريقها للخارج، فالأثاث مبعثر في كل مكان وعلب الطلاء والمكان بأكمله عبارة عن فوضى عارمة فقط.

سمعت صوت والدتها تناديها: حنين تعالي افطري احنا في أوضتنا تعالي

حاولت جاهدة أن ترسم ابتسامة على شفتيها قبل أن تلتفت لها : هفطر في البنك مع صحباتي بعد إذنك

أوقفتها بصرامة : تعالي كلي أي حاجة وبطلي عناد حتى على الأكل

تنفست حنين بضيق وحاولت أن تخرج نبرتها هادئة ولكن فشلت: أنا مش بتنيل أعاند أنا مش عايزة أفطر ماهو مش بالعافية سيبيني في حالي بقى.

اقتربت صابرين منها وقبل أن تعترض أو تتكلم فبمجرد أن رفعت يدها لتلمس ابنتها حتى ابتعدت حنين بحدة للخلف فاصطدمت بإيهاب الذي كان خلفها يقترب ليتحدث مع صابرين، تأوهت حنين والتفت بحدة : مش تفتح يا بني آدم انت؟

علق إيهاب باستغراب : حضرتك اللي رجعتي لورا مرة واحدة مش أنا.

صرخت بوجهه : قصدك أنا الغلطانة يعني؟

حاول أن يعترض فأوقفته بإشارة من يدها - بقولك ايه الحكاية مش ناقصاك انت كمان، ابعد عن وشي الساعة دي - نظرت لوالدتها بحدة- بقولك ايه سلام أنا هغور على شغلي.

تركت البيت بأكمله دون أن تنتظر أي رد من والدتها، راقبها إيهاب تبتعد وهو يحاول حفظ كل تفاصيلها ليكمل رسمته، لقد انتبه اليوم أن عينيها عسليتان حزينتان ولكنهما أجمل

ما رأت عينه، انتبه على صوت صابرين : كنت عايز حاجة يا إيهاب؟ ولا جاي ليه؟

نظر إليها محرجا ثم أجلى حنجرته : كنت عايز حضرتك تشوفي الألوان اللي هنستخدمها، في البداية التعديل سهل لكن بعد كده بيكون صعب.

تحركت برفقته ليشرح لها خطوطه الأولية ولاحظ شرودها فتوقف لتلاحظ صمته فعلقت بحزن : اعذر بنتي لو اتكلمت بأسلوب مش حضاري بس هي بتمر بأزمة حاليا وربنا يخرجها منها على خير.

استغرب اعتذار صابرين عن ابنتها فلقد أحس دائما أنها امرأة قوية وليست ممن يعتذرن ولكن ابتسم بتفهم : عادي ولا يهم حضرتك، ويارب كل حاجة تكون كويسة وترجع لطبيعتها.

شردت قليلا وهي تتذكر طبيعة ابنتها وتمتمت بشرود : يارب - انتبهت ونظرت للحائط - المهم الألوان مبدأيا كويسة كمل شغلك ولو في حاجة وريهالي آخر النهار لأني نازلة شغلي دلوقتي.

انسحبت من أمامه وماهو إلا وقت قليل وانصرفت صابرين وحور بينما بقي عبدالقادر برفقة العمال في بيته.

في وقت الظهيرة بينما يتناول العمال غذاءهم لاحظ عبدالقادر إيهاب بمفرده في الشرفة فاقترب وجلس بجانبه ليقف إيهاب احتراما ولكن أوقفه عبدالقادر بابتسامة : اقعد

اقعد ما تقومش أنا مش بعبع ومش بخوف والله.

ابتسم بحرج : لا العفو يا فندم بس

قاطعه بهدوء : ما بسش اقعد وقولي هتخلص الرسمة امتى؟

فكر للحظات : ممكن بكرا أو بعده بالكتير.

سأله بفضول : اتعلمت الرسم فين؟

أخذ نفسا عميقا قبل أن يجيبه بحزن : الرسم هوايتي المفضلة من صغري.

علق عبدالقادر باعتراض : بس رسمك ده مش هواية انت بترسم باحتراف وبتدمج الألوان كحد فاهم هو بيعمل ايه مش زي الباقيين فرشاة هنا وفرشاة هنا

وقف إيهاب معللا : اللي بيحب حاجة بيتعلمها صح مش أكتر بعد إذنك هروح أكمل شغلي.

أوقفه مجددا : تقدر ترسم حيطة في يوم؟ ولا لازم تاخد كذا يوم؟

استغرب سؤاله : حسب الرسمة، معرفش، كل رسمة بتختلف عن التانية في رسمة بتخلص بسرعة وفي لا.

علق عبدالقادر : حنين مش هتقبل حد يدخل أوضتها فمش قدامنا غير فترة الشغل هي بتنزل زي ما شوفت كده الصبح وبترجع على ٦ تقريبا، هل تقدر تعمل أوضتها في الفترة دي؟

ابتسم بداخله؛ إذن فاسمها حنين، انتبه لوالدها وخجل من تفكيره : صعب تتدهن وتترسم في يوم، محتاج يومين على الأقل.

شرد عبدالقادر يفكر في طريقة لمفاجأة ابنته فهي لن تقبل أن يدخل غرفتها أحد فلابد أن يتم الموضوع وهي خارج البيت ولكن كيف؟

فكر بصوت مسموع : ازاي نوفر يومين؟ حنين قاطعت الدنيا كلها يعني حتى لو قلت آخدها مكان هترفض، طيب ايه العمل؟

تمنى إيهاب لو باستطاعته أن يسأل آلاف الأسئلة عنها لكنه اكتفى باقتراحه : ماعندهاش صاحبة مثلا ممكن تساعدكم؟

علق عبدالقادر بحيرة : معرفش هتقبل ولا لا؟ زمان كانت هتقبل بدون تفكير لكن دلوقتي صعب - رفع نظره لإيهاب بأمل- بس هنحاول لكن لو فشلت المحاولة يبقى لازم تخلصها في يوم.

لم يستطع كبح جماح فضوله أكثر من هذا فاقترب منه متسائلا : آسف لو بتدخل في حاجة ما تخصنيش بس بنت حضرتك صغيرة في السن وشبه عيلة وبتتكلموا كأن في حاجة كبيرة حصلتلها، ايه اللي ممكن يكون حصل لواحدة في سنها؟ آسف لتدخلي بس هي عندها كل حاجة ممكن أي بنت تتمناها.

ابتسم عبدالقادر ولكن ابتسامته مريرة مليئة بالحزن :

حنين كانت أجمل بنت في الكون مليانة فرحة وحيوية وسعادتها دايما معدية لكل اللي حواليها لحد ما..- اختفت ابتسامته ليحل محلها الشرود متذكرا حالها يوم اقتحم غرفتها ووجدها مكبلة بالأغلال وذلك اللاصق فوق فمها يمنعها حتى من الصراخ لتتلألأ دموعه وهو يكمل - لحد ما اتدمرت وماتت وبقت عايشة مجرد جسد مافيهوش روح، بتقولنا كويسة وبس - حمحم ليجلي حنجرته قبل أن يغير الموضوع - المهم الأوضة؟

تمنى لو يستطيع فهم المزيد ولكن عبد القادر لن يحكي المزيد، حاول أن يطمئنه : ربنا يسهل لو كده ممكن بكرا نبدأ فيها بس شوف هتعرف تتعامل ولا ايه؟

أومأ برأسه مجيبا قبل أن يقف بدوره محاولا أن يبتسم : هروح أعمل قهوة - نظر لإيهاب - تحب أعملك معايا؟

لاحظ إيهاب أن عبدالقادر متعب ويقف مستندا على الكرسي بجانبه فاقترح هو : حضرتك قولي قهوتك ايه وأنا ممكن أعملها؟ بعرف أعمل قهوة كويس ايه رأي حضرتك؟

تردد عبدالقادر لتشجعه نظرات إيهاب فابتسم :مش هتعبك يعني؟ وبعدين وراك شغلك و

قاطعه إيهاب مبتسما : الموضوع مش هياخد دقيقتين قهوتك ايه؟

تحرك عبدالقادر برفقة إيهاب وأمسك ذراعه يستند عليه : هاجي معاك يلا، قهوتي مظبوط.

دخلا المطبخ ليجلس عبدالقادر على أقرب كرسي بينما يشير لإيهاب على أماكن كل ما يحتاجه، وقف إيهاب بجانب القهوة على النار وتردد هل يسأل المزيد من الأسئلة؟

لاحظ شرود عبدالقادر وهو يمسك هاتفه وتفاجأ حين هتف فجأة : أخيرا لقيته.

وضع إيهاب القهوة في الفنجان وأعطاه لعبدالقادر الذي ابتسم وهو يشير لإيهاب بالاقتراب : هوريلك أوضة حنين علشان تفهم دماغها كانت ايه وتعملها بناء على ده.

فتح مقطع له يصور غرفتها وهو يتكلم بمزاح (دي أوضة بنتي اللي المفروض هتتخرج السنة دي من الجامعة، متخيلين؟ أكيد فاكرين ان دي أوضة عيلة عندها خمس سنين بس متخيلن انها هتتخرج؟ كل الدباديب دي والورد ده، حتى الورد الناشف بنتي بتشيله، شايفين الأوضة؟)

هنا دخلت حنين الغرفة لتصرخ : بابا بتعمل ايه؟

ضحك والدها وهو يعلق : بصور الفوضى اللي انتِ عايشة فيها.

وضعت حنين يدها أمام الهاتف وهي تضحك وتمزح مع والدها لتأخذ الهاتف من يده وتغلقه بمرح : فوضتي وبحبها

انتهى المقطع وأغلق عبدالقادر الهاتف لينظر لإيهاب : عايزك ترجع للأوضة الحياة من تاني، املاها ورد وفراشات وقلوب يمكن تفتكر ازاي كانت عايشة وتحن لده من تاني.

ابتسم إيهاب بحزن : حاضر النهارده هفكر وأعمل رسم تخيلي للأوضة وبكرا ننفذ بإذن الله.

عاد إيهاب لعمله ولكن عقله مشغول كليا بحنين وتحولها لتلك الشخصية الجافة، انتبه من شروده على صوت خالد صديقه يجذبه من ذراعه ليتفاجأ به فنظر له فأخبره أن الأسطى طلعت يريده.

ذهب مسرعا إليه ليسأله بحيرة : الأستاذ عبد القادر كان عايز منك حاجة ولا ايه؟

قص عليه إيهاب طلبه فأومأ برأسه متفهما : خلاص لو بكرا طلب مننا نشتغل في أوضتها الكل هيساعد بحيث يدهنوها بسرعة وانت تعمل اللي طلبه، حاول تنجز رسمتك دي النهارده طيب.

تركه وعاد إلى عمله متعجبا كيف لم يشتعل فضوله مثله عن سر تغير حنين؟

مساءً انصرف العمال ولكن استأذن إيهاب أن يكمل رسمته ليتفرغ في الغد لغرفة حنين، نظر طلعت إلى عبدالقادر الذي علّق موافقا : ماعنديش مانع خليه يكمل طالما قادر.

انصرف الجميع واستمر هو في رسمته، استأذن إيهاب من عبدالقادر أن يستمع لبعض الموسيقى أثناء إكماله رسمته فوافقه واعتذر منه ليقوم ببعض المكالمات الهامة في غرفته وسيخبر صابرين وحور كي لا يضايقه أو يقاطعه أحد.

استمع إيهاب لأغانيه الخاصة التي اختارها بعناية واندمج في رسمته حتى أنه لم يشعر بدخول حنين التي تفاجأت بصوت الموسيقى وتعجبت ؛ فهي الوحيدة التي كانت تستمع للموسيقى في هذا البيت، دخلت بحذر لتتفاجأ بإيهاب يرسم على الحائط بطريقة غريبة لم تشاهدها من قبل فهو ينساب بفرشاته مع أنغام الموسيقى ويتحرك معها.

استمعت للأغنية وكلماتها ((آه يا سلام

سيبنا الوقت يعدي أوام

ما حسبناش اللحظة الجاية

دا اسمه كلام

عيشنا العمر نربّي حمام

بس نسينا نقوم غيّة

ومايهمكش عادي

اسمع مني الساعة دي

مش وقت عتاب أو لوم

انتبهت لإيهاب يضع يده بأكملها في علبة الطلاء وحين أخرجها نفضها على الحائط فرسمت العديد والعديد من النقاط بشكل عشوائي، استغربت حنين وأحست بجنونه لأنه مد يده على الحائط وحركها بالطول ليرسم خطوطًا متعرجة لا معنى لها، أومأت برأسها بدهشة؛ فهو حتما مجنون، انتبهت

للأغنية وخصوصا أنه يغني مع كلماتها

((وبدل ما تكون وحداني

تسندني معاك ونقوم

فاضي شوية

نشرب قهوة فى حتة بعيدة

إعزمني على نكتة جديدة

وخلّي حساب الضحك عليّا

تنهدت حنين وهي تستمع للكلمات؛ فالكل يتمنى الضحكة لكنها عزت على الجميع، شردت في باقي كلماتها

((عارفك مشغول الايام دي

ما انا زيك بس عندي

حكايات صعب اخبيها

واكمنك داري بحالي

مذاكرني وعارف مالي

مستني عشان أحكيها

موج الدنيا أناني وعالي

وانت لوحدك وانا لسه لي

عمر هعيشه معاك.. لو يوم

ماشي براحتك بس راهنني

على يوم منك وسنين مني

إنك مابتعرفش تعوم

ومايهمكش عادي

اسمع مني.. الساعة دي

مش وقت عتاب أو لوم

فيها ايه لو نرجع تاني

وبدل ما تكون وحداني

تسندني معاك ونقوم

فاضي شوية؟

دا انا واحشاني القعدة معاك

وان ماقدرتش تيجي هناك

هستناك المرة الجاية

انتهت الأغنية لتتفاجأ أن الخطوط العشوائية تحولت لأمواج وتلك النقاط هي نقاط لمياه تخرج من الأمواج، تراجع إيهاب عدة خطوات للخلف بابتسامة لينظر إلى رسمته برضا.

نظرت حنين إليه بتمعن وأحست بحزن دفين داخل هذه الابتسامة، غصة في قلبها نبهتها لتعقد حاجبيها بضيق ثم

تقدمت بخطوات سريعة وهي تصرخ بغضب: اقفل الدوشة دي لو سمحت.

انتبه إيهاب إليها وتوجه مسرعا لهاتفه ليغلقه ويغلق السماعات معتذرا : آسف لو صوتها عالي

علقت وهي مازلت غاضبة : سيادتك بتشتغل ولا عامل فرح هنا؟

أجابها بهدوء : استأذنت والدك قبل ما أشغل أي حاجة وما اعترضش.

اقتربت منه بعصبية: والدي ما بيعترضش وما بيحرجش حد وللأسف في ناس بتستغل ده غلط - تلفتت حولها لتسأله بتهكم - فين الباقيين؟

اجابها وهو مازال محتفظا بهدوئه: الكل مشي مفيش حد غيري.

استغربت أكثر وعلقت بتهكم: ونسيوك هنا ولا ايه؟

أخذ نفسًا عميقًا قبل أن يجيبها بهدوء : أنا هنا بخلص شغلي المطلوب مني، أما حضرتك لو الصوت مضايقك فكل ما عليكي تقولي غير كده ما تضيعيش وقتي بعد إذنك عايز أخلص الرسمة دي النهارده.

تركها متوجها لعلب الطلاء على الأرض لتشتعل غيظا من تجاهله فاقتربت بغضب وقفت فوق رأسه وقالت بغيظ: محدش قالك انك قليل الذوق؟ وبعدين اطلع برا البيت.

تجاهلها إيهاب أولا ولكن حين طلبت منه الخروج رفع نظره إليها ببرود: والدك طلب مني أخلص الرسمة دي النهارده فلو وجودي مضايق حضرتك اتفضلي قوليله وأنا همشي حالا

قبل أن تجيبه خرج عبدالقادر بتساؤل : تمشي ليه يا إيهاب؟ تعبت خلاص؟

وقف مسرعا يواجهه بينما علقت حنين بغضب : أنا قلتله يمشي، مش هنخلص بقى من الحوار ده؟ قلبتوا البيت وعملتوه فوضى، كفاية بقى.

خرجت صابرين على صوت ابنتها العالي : في ايه يا حنين؟ صوتك عالي ليه؟

نظرت لوالدتها بغضب : في إني مش طايقة البيت بالشكل ده، انتِ بتعملي كده ليه ها؟ متخيلة ايه يحصل؟ فضوا الفوضى دي بسرعة وإلا هشوفلي مكان أعيش فيه لوحدي.

تركتهم في حالة صمت غريبة لتقطعها صابرين بهدوء : كفاية يا إيهاب النهارده بس لو سمحت لم العلب دي كلها على جنب وبكرا تكمل معلش.

وافقها بهزة من رأسه قبل أن يبدأ في جمع العلب ليضعهم جانبا.

دخلت صابرين غرفة ابنتها وصاحت بغضب : الظاهر إن سكوتي وصمتي وصلك لقلة الأدب يا حنين.

لم تعرها اهتماما بل تجاهلتها تماما فاقتربت صابرين

منها بحنق: أنا سايباكي من بدري وقلت مجروحة وفترة هتعدي بس انتِ زودتيها أوي ولحد هنا وكفاية يا حنين مش هسمحلك تتمادي.

نظرت إليها ببرود عكس ما يعتمل بداخلها : هتعملي ايه أكتر من اللي سبق وعملتيه فيا؟ انتِ جيبتي آخرك يا ماما معايا خلاص.

انتبه إيهاب الذي سمع حوار صابرين وابنتها لصوتهما العالي على اعتذار عبدالقادر : معلش بقى يا ابني اعذرنا احنا ناس مزعجة.

ابتسم بإحراج : لا يا فندم ما تقولش كده، البيوت كلها مشاكل وخلافاتنا مع بعض ما بتنتهيش عندي اخواتي وأمي طول الوقت صوتهم عالي وطول الوقت بنتخانق.

سأله بعفوية ومزاح : وأبوك بيعمل ايه وسط الخناق ده؟ قولي نصيحة أعملها في الحالة دي؟

نظر إيهاب للأرض بحزن ثم لعبدالقادر وأجابه : والدي متوفي من سنين وعادة ما بيكون الصراخ والخناق معايا أنا.

اعتذر عبدالقادر كثيرا ليحاول إيهاب التخفيف عنه فلقد مضى وقت طويل على وفاته، حاول عبدالقادر تلطيف ما يشعر به : طيب برضه بتعمل ايه طالما انت المسئول؟

ابتسم بحرج وهو يضع يده على رأسه : بهرب منهم وبطلع فوق السطوح أرسم أي لوحة أفرغ فيها اللي جوايا - بصله

بصدق - للأسف مش هعرف أفيدك احنا مشاكلنا مختلفة عنكم.

علق عبدالقادر مازحا : اهي كلها مشاكل هتختلف في ايه يعني؟

علق بتردد : مشاكلنا مش نفسية ومش معنوية مشاكلنا عادة بتكون على اللقمة وعلى الغدا وعلى مصاريف جامعة مطلوبة ولا درس بمبلغ وقدره ولا لبس جديد ولا ولا ولا

استغرب عبد القادر : انت في جامعة يا إيهاب؟ في سنة كام؟

ضحك بتهكم ورد بحزن: كنت في يوم من الأيام بس والدي اتوفى وأنا الكبير فكان لازم أسيب الجامعة علشان اخواتي يعرفوا يكملوا جامعاتهم - أكمل بفخر - أخويا هيتخرج من كلية الطب وأختي هتتخرج من ألسن وبعدها ...

لم يكمل عبارته فسأله عبد القادر بفضول : بعدها ايه؟

نظر إليه ببساطة شديدة وهو يجيبه : بعدها هيبقى من حقي أعيش.

سأله بفضول : كنت في جامعة ايه يا إيهاب؟ حاجة ليها علاقة بالرسم صح؟

ابتسم بفخر: فنون جميلة

ابتسم عبدالقادر بدوره : علشان كده فنان والله قلت الفن ده لازم يكون مصقول بدراسة مش هواية أبدا.

ابتسم إيهاب وتحرك ليحمل حقيبته واستأذن منه : شوف لو بكرا حابب اني أبدأ في الأوضة بلغني الصبح بعد إذنك.

أوقفه عبدالقادر و وضع يده في جيبه ليخرج بعض الأموال ومد يده لإيهاب الذي أحس بطعنة في كبريائه واعتذر منه : أنا بشتغل وباخد أجري من الأسطى طلعت بعد إذنك

أوقفه مجددا بلطف : دول علشان اتأخرت هنا و

قاطعه إيهاب بضيق: أنا مش بشحت و مش بمد ايدي لحد ولو كنت اتكلمت معاك فده علشان حضرتك اتكلمت معايا الصبح كلام من القلب فبادلتك الكلام مش أكتر لكن مش علشان تعطف عليا أو تديني فلوس، اعتبر نفسك ما سمعتش حاجة مني بعد إذنك

أوقفه مجددا بخجل : إيهاب - وقف دون أن ينظر إليه فأكمل باعتذار - أنا آسف مش قصدي أجرحك أنا بس

التفت إليه مكملا عبارته بجمود: أنا بس صعبت عليك وقلت أديله قرشين لله - سكت قليلا قبل أن يرفع رأسه ويكمل بهدوء - بلاش تعملها تاني علشان ده بيوجع، إنك تكون موضع شفقة ده بيوجع أنا شيلت شيلتي وقدرت عليها فبلاش تتقلها عليا بعد إذنك.

تركه وأغلق الباب خلفه ليقف عبدالقادر حزينا على حال هذا الشاب الذي أطاحت به الحياة وعاركته، تنهد ثم اتصل بهايدي وقرر أن يطلب مساعدتها وأخبرها بخطته فابتسمت

وأخبرته أنها ستساعده، وستحاول أن تقنع حنين بالمبيت عندها.

أغلقت الهاتف لتتفاجأ بداليا خلفها : بتكلمي مين وبتوعديه يا هايدي؟

التفت إليها : ده عمو بابا حنين يا ماما

قصت عليها ماحدث فعلقت داليا بحزن : هم متخيلين ايه معلش لما يدهنوا أوضتها؟ هيدهنوا قلبها مثلا ولا ايه مش قادرة أفهم دماغ صابرين دي أبدا.

علقت هايدي : هي مش قادرة تفهم حنين أصلا والمصيبة إن حنين هتقتلني بعد ما ترجع وتكتشف عملتي ما تتخيليش هي أصلا متضايقة منهم ازاي علشان اللي بيعملوه فما بالك لما أشترك معاهم؟

داليا : طيب كنتي رفضتي طالما انتِ عارفة موقف صاحبتك؟

علقت هايدي برفض : ماأقدرش أقول لعمو لا ده أولا يا ماما وثانيا مش يمكن؟ ...

في منزل هشام الصاوي، ارتدى ملابسه و وقف أمام المرآة يستعد للخروج ليدخل ابنه راكضًا : بابا بابا

ابتسم له ورفعه ليقبله ثم وضعه : بتجري ليه كده؟

تشبث زيد بقدمه: انت خارج؟ خدني معاك يا بابا.

دخلت هدير لتتفاجأ هي الأخرى بزوجها يستعد للخروج : انت خارج يا هشام؟ رايح فين؟

أجابها وهو يضبط ياقة قميصه : ورايا مشوار، هنزور واحد صاحبنا تعبان وبقاله كام يوم بيغيب فاتفقنا نروح نزوره أنا وكام واحد من أصحابنا.

ابتسمت بوجع فها قد عادت الحجج والأعذار الواهية فهل يا ترى عاد زوجها للعبث خارج منزله؟

سألته فجأة باندفاع: صاحبك مين؟ اسمه ايه يعني؟

استغرب سؤالها ونظر إليها مطولا قبل أن يعترض : وانتِ يهمك في ايه اسمه؟

غيرت السؤال بتحفز : طيب بلاش اسمه، رايح مع مين؟

اقترب منها وقبل وجنتها قبل أن يجيبها بإيجاز : انتِ ما تعرفيش زمايلي بعد إذنك

أوقفته بغضب : خلاص عرفني عليهم ، اعزم اصحابك هنا في البيت وعرفني عليهم، ولو ليهم مرتات عرفني عليهم ولو عندهم ولاد يلعبوا مع زيد، انت ليه مخلينا في كوكب لوحدنا كده؟

استغرب هشام طلباتها وتغيرها ولكن أجابها بهدوء : أنا ما بحبش الاختلاط وما بقولكيش عرفيني على صحباتك علشان سيادتك تقولي عرفني على أصحابك، ياريت تعقلي الكلام قبل ما تقوليه

أمسكت ذراعه بعنف : أنا بعقل الكلام كويس ياريت انت تعقل تصرفاتك لأني بجد المرة دي مش

قاطعها بحدة : بقولك ايه هو أي شكل للبيع ولا ايه؟ ولا هرموناتك طالبة خناق؟ قولي علشان بس حاليا ماليش مزاج اتخانق فلو طالبة معاكي معلش أجليها لبكرا.

تركها وأغلق الباب بعنف خلفه دون أن يبالي بصرخات ابنه أو ندائه المستمر عليه وبكائه بعد خروجه، اقتربت هدير من ابنها تحمله بحزن : بابا عنده شغل يا حبيبي.

ازداد صراخه وحاولت تهدئته دون جدوى.

وصل هشام للملهى الليلي الذي يسهر فيه ليشاهد إيمي الراقصة التي ما إن شاهدته حتى غمزت إليه وهي تتمايل على المسرح ليرفع هو كأسه تحية لها

٢

قضى إيهاب ليلته في البحث عن صورة مناسبة لشخصية حنين السابقة أو ما فهمه من والدها ومن خلال ذلك التسجيل الذي رآه دون أن يتعارض معها الآن، عادت إلى ذاكرته صورتها وهي تقف في الشرفة والهواء يداعب شعرها ويتطاير خلفها فهذه الصورة لا تفارق خياله.

استيقظت حنين على رنين هاتفها فأطفأته ثم استعدت للنزول إلى عملها، اجتمعت العائلة لتناول طعام الإفطار

علقت حور بمزاح : بقولك يا ماما لو هتعملوا أوضتي عايزاكم ترسمولي شعار صيدلة على الحيطة.

نظرت صابرين لابنتها بدهشة : اللي هو إيه معلش شعار صيدلة ده؟

علقت حنين بتهكم : كاس وعليه تعبان

شهقت صابرين وبدلت نظراتها بين ابنتيها ثم ركزت على حور بتأنيب : انتِ بجد عايزة ترسمي ثعبان على الحيطة في أوضتك؟ قولي إنك بتهزري

حركت رأسها بنفي : و أهزر ليه يعني؟ أوضتي وأنا حرة فيها، اه عايزة الكاس اللي عليها ثعبان ده، كل واحد وله ميوله.

نظرت صابرين لزوجها بغيظ: قول حاجة لبنتك.

علق بهدوء وهو يرتشف قهوته : زي ما قالتلك أوضتها وهي حرة.

همت بالصراخ في زوجها لكنها تراجعت وتنفست عدة مرات متتالية كي تهدأ، غيرت الموضوع تماما و وجهت حديثها لحنين : بقولك يا حنين فاكرة مس محاسن صاحبتي في المدرسة؟ انتِ قابلتيها كذا مرة قبل كده وكانت بتدرسلك زمان.

علقت بهدوء : اه فاكراها مالها؟

ابتسمت بفخر وهي تشرح لابنتها : ابنها كان مسافر برا خلص جامعة وحضر ماچستير ويادوب راجع و

وقفت حنين وقد تملكها الغضب لفهمها ما تنوي والدتها قوله أو التلميح عنه : أنا ورايا شغل

أوقفتها بحدة: أنا ماخلصتش كلامي يا حنين

صرخت بحدة مماثلة : وأنا مش عايزة أسمع أصلا الباقي و اقفلي الحوار ده تماما، أنا مش هتجوز تاني أبدًا.

وقفت صابرين في وجه ابنتها وقالت بغيظ : ليه ها؟ عاجبك لقب المطلقة ده؟ ولا عاجبك نظرة المجتمع ليكي؟ ولا يمكن كنتي بتحبيه بجد ومش قادرة تنسيه؟ ليه مش هتتجوزي؟

صرخت حنين بوجع : ماكنتش بتنيل أحبه بس انتِ عمرك ما هتفهمي إحساسي، فالكلام قلته أحسن، ولا عمرك

فهمتيني ولا عمرك هتفهميني، جواز مش هتجوز فريحي نفسك و اقفلي الحوار ده تماما.

نظرت صابرين لزوجها بعصبية : اتكلم انت ساكت ليه كده؟ قول حاجة لبنتك.

رفع نظره لابنته بهدوء: اتوكلي على الله وروحي شغلك يا حنين دلوقتي.

أمسكت صابرين ذراع ابنتها بحدة: أنا مش هسيبك تضيعي عمرك وشبابك كده وبعدين أنا ما قلتش تتجوزيه، يادوب نقعد نتعرف و

جذبت حنين ذراعها بعنف وردت بغضب : مش عايزة أتعرف على حد فبلاش تحطي نفسك في موقف محرج لأني بجد هحرجك لو حطيتيني في وضع مباشر، بعد إذنكم.

سيطر الصمت حتى أغلقت حنين الباب بعنف خلفها لتهتف بعدها صابرين مؤنبةً زوجها : ده اللي ربنا قدرك عليه تقوله؟

وضع الفنجان أمامه ببرود: كنتي عايزاني أقول ايه؟ وبعدين اتعلمي تحترمي رغبات بناتك هما ما بقوش صغيرين.

قبل أن تصيح معترضة وقفت حور وقالت بإيجاز : هطير أنا علشان وعدت دكتور محي إني هاجي بدري الصيدلية.

علقت صابرين بعدم رضا : مش فاهمة أنا فايدته إيه التدريب في الصيدليات ده دلوقتي؟ أصلا لسه قدامك

سنتين عقبال ما تتخرجي بتتدربي من دلوقتي ليه؟ ولا هو أي حجة للخروج وخلاص؟

نظرت حور لوالدها باستنجاد : هسيب لبابا الطلعة دي يرد عليكي، أنا مش عايزة أتأخر بعد إذنكم.

اختفت من أمامهما قبل أن يفتح أحدهما فمه للاعتراض بينما تابعتها صابرين وهي تغلق الباب ثم نظرت لزوجها غاضبة : أنت بتصرفاتك دي بتخرج البنات عن طوعنا، وبعدين لامتى هتفضل سلبي كده؟

نظر بحدة إليها : سلبي؟ أنا سلبي؟ أمال انتِ تسمي نفسك إيه؟ ها؟ يااللي شوفتي أمجد بيقتل بنتك بالبطيء ده كان اسمه إيه؟ لما يضربها وتقفي تتفرجي ده اسمه إيه؟ إياكِ تكلميني عن السلبية تاني وبناتي براحتهم يعملوا ما بدالهم طول ما أنا عايش ابعدي انتِ بس عنهم بأفكارك الغبية والرجعية.

تركها واقفة مصدومة هي الأخرى لتنتبه بعد مدة على جرس هاتفها و تتفاجأ بعدها أنها تأخرت بالفعل فخرجت مسرعة من البيت ولكن للحديث بقية مع عائلتها.

توجه لعمله بنشاط وتمنى لو يصل قبل أن ترحل هي لعملها عله يلمحها، وصل الأسطى برجاله إلى بيت حنين واستقبلهم عبد القادر الذي استغل وجود العمال ليعطي نفسه العذر كي يحصل على بعض الأيام راحة من عمله، بحث إيهاب عن حنين بعينيه إلى أن ناداه الأسطى طلعت فتوجه إليه مباشرة

ليقف أمامه فعلق عبد القادر: هنبدأ في أوضة حنين بإذن الله دلوقتي وزي ما قلتلك حاول على قد ما تقدر.

أومأ برأسه موافقا وتوجه برفقة عبدالقادر لغرفة ابنته التي لاحظ أنها مرتبة للغاية ولاحظ أنها خالية من الحياة كأنها غرفة مهجورة، انتبه على صوت عبدالقادر يغمغم بحسرة: الأوضة دي عمري ما دخلتها في مرة ولقيت مكان فاضي أقعد فيه لو حابب أتكلم مع حنين - ابتسم لذكرياته وتابع- كان لازم أزيح الدباديب من على الكنبة دي علشان ألاقي حته أقعد فيها - تلفت حوله وأشار بيده وهو يقول - الصور كانت مغطية الحيطة كلها، الورد والاستيكرات، كل حاجة وكل شبر في الأوضة كان بينبض بالحياة لكن دلوقتي زي ما أنت شايفها كأن مفيش حد بيدخلها ولا عايش فيها أصلا.

علق إيهاب بتعاطف: بإذن الله كل حاجة هتكون كويسة

بدأ العمال في مساعدة إيهاب لتحريك أثاث الغرفة أولًا ودهانها ثم تركه الجميع ليبدأ فنه، وقف في منتصف الغرفة ناظرًا للحائط أمامه ويحاول أن يقرر من أين سيبدأ لوحته؟ تخيل أثاث الغرفة وحدد مكان الرسمة ثم شرع في تنفيذها.

في البنك لاحظ الكل غضب حنين وتوترها؛ فهي تصيح لأقل الأسباب، اقتربت منها هايدي وأخذتها جانبا لتسألها باهتمام: مالك يا حنين فيكي إيه؟

التزمت الصمت قليلًا حتى أن هايدي اعتقدت أنها لن تخرج عن صمتها ولكن تفاجأت بها مرة واحدة تنفجر فيها بغضب:

تخيلي ماما بعد كل ده جايبالي عريس ابن صاحبتها؟ متخيلة؟ عريس تاني، وواخد دكتوراه ؟ متخيلة إني هقع من طولي وأمسك فيه وما أصدق اتقدملي حد؟ أنا مش قادرة أفهم هي بتفكر ازاي؟ عقلها بيقولها ايه؟ ازاي متخيلة إني ممكن أتجوز تاني؟ أو أتجوز بالشكل ده أصلا؟

توقفت لتلتقط أنفاسها لتحاول صديقتها تهدئتها: هي ممكن بس قصدها تخرجك من

قاطعتها حنين بغضب : تخرجني من إيه؟ و بإيه؟ بمصيبة تانية؟ أنا والله لولا بابا كنت سيبت البيت وطفشت في أي مكان محدش يعرفني فيه لمجرد إني أعيش لوحدي.

عاتبتها بمزاح : وتسيبيني؟ أخص عليكي ماكانش العشم.

نظرت إليها بحنق : ما تتنيلي تسكتي علشان مش ناقصاكي أصلا.

غيرت هايدي الموضوع : ماقلتيش إيه أخبار العمال اللي في البيت؟ بعدين صح صورتيلي الرسمة اللي الواد إياه رسمها؟ بيعرف يرسم صح؟

تذكرت حنين رقصته مع الحائط والفرشاة والرسمة وجنونه وحركاته ولمساته وقلبها نبض للذكرى فعقدت حاجبيها بضيق من نفسها : تخيلي أنتِ لما روحت كان مشغل أغنية بصوت عالي وبيرسم على أنغامها

سألتها هايدي بحيرة : يعني إيه بيرسم على أنغامها؟

أحست حنين أنها تراه أمامها يتحرك على أنغام تلك الأغنية وتذكرت كلماتها و دون أن تدري علقت بشرود: كل كلمة في الأغنية حسيته هو بيغنيها، الرسمة نفسها بقت ماشية مع نغمات الأغنية، مش عارفة ازاي أفهمك بس لوهلة حسيته مجنون ومتخلف كمان وقلت بس ماما جايبة واحد مجنون البيت يشخبط على الحيطان، لقيته مرة واحدة بيغرق إيده في الدهان وينطر على الحيط نقط نقط وبعدها بإيده بيمشيها بطول الحيط خطوط خطوط وبس مالهاش أي معنى بس بعدها فوجئت إن الخطوط دي معرفش ازاي اتحولت لموج وحسيت الموج بيتحرك والنقط بقت نقط مياه طايرة من الموج، الرسمة نطقت على الحيطة.

لاحظت هايدي انفعال حنين وشرودها وهي تحكي لها عنه فسألت بهدوء : كانت أغنية إيه يا حنين؟

بصتلها بتذكر : أغنية؟ مش فاكرة بس اللي لفت انتباهي مقطع بيقول فاضي شوية نشرب قهوة في حتة بعيدة وحساب الضحكة عليا، حاجة زي كده يعني.

هزت رأسها وقالت : أنا بحب الأغنية دي أصلا لحمزة نمرة.

ردت بشرود : فيها حتة بتتكلم عن احتياجه لصاحبه أو لحد يسمعه ويشده ويسنده حسيت المقطع ده أوي، كل واحد فينا بيحتاج لصاحب أو لحد يسنده ويسمعه - نظرت لصديقتها وابتسمت بامتنان- جيتي في بالي أنتِ لأن لو عايزة أشرب قهوة في حتة بعيدة مع حد فأنتِ الحد ده

اللي واثقة إنه هيسندني - شردت للحظات وأكملت- بس هو ماعندهوش الحد ده.

استغربت هايدي جملتها فعلقت : مين ده اللي ماعندهوش؟

نظرت إليها وأجابت بعفوية: إيهاب الرسام حسيته ماعندهوش حد يتكلم معاه هو مختلف عن اللي حواليه.

أحست هايدي باهتمام حنين بشخصية إيهاب فسألتها بتلقائية : هو شكله إيه إيهاب ده يا حنين؟ وسيم؟ ولا

قاطعتها بتهكم : وأنا مالي ومال شكله؟ بقولك إيه ما تعمليش فيلم وقصة الموضوع تافه.

ضحكت هايدي وقبل أن تتركها حنين أمسكت ذراعها : بقولك ما تيجي النهارده معايا البيت قضي معايا الليلة ونسهر مع بعض زي زمان وأهو بالمرة تهربي من العريس اللي أمك جايباه

عقدت حاجبيها بتفكير : مش عارفة خليني أكلم بابا وأشوف الدنيا إيه وأبقى أرد عليكي.

انصرفت كل منهما لعملها واتصلت هايدي بوالد حنين تخبره عما دار بينهما واتفقت معه أن يطلب من حنين مقابلة العريس وهي ستهرب حتما إلى بيت صديقتها وبالفعل اتصل عبدالقادر بابنته يطمئن عليها ويقترح أن تعطي والدتها فرصة لترتب اللقاء مع العريس المنتظر فهربت كالمتوقع وأخبرته

أنها ستقضي الليلة في بيت هايدي.

راقبت سارة مكتب زهير وحركاته وتصيدت كل فرصة للحديث معه، عرفت أنه أرمل فعزمت على الاقتراب منه أكثر فأكثر، كانت في طريقها إلى مكتبه لتتفاجأ بيد تمسك ذراعها ففوجئت أكثر بهشام الذي هتف بسخرية : ده الصيدة الجديدة ولا إيه؟

سحبت ذراعها بعنف : وانت يخصك في إيه؟ ما تخليك في حالك ولا خليك في الهبلة اللي انت متجوزها

صاح بغضب : إوعي تجيبي سيرتها على لسانك.

ضحكت لتزيد غضبه : ليه إن شاء الله؟ ماهي طالما متجوزاك ومش عارفة حقيقتك تبقى هبلة ولو عارفاها وبتضحك على نفسها تبقى برضه هبلة في كل الأحوال النتيجة واحدة، أنا في فترة صغيرة كشفتك كلك على بعضك كده وعرفت معدنك إيه، هي ازاي متجوزاك ومخلفة منك ومصدقاك؟ أو عاملة نفسها مصدقاك؟

علق بغضب : شيلي هدير من دماغك وخليكي في الأسطى لمعي اللي متجوزاه ولا نسيتيه؟ - نظر ناحية زهير قبل أن يعلق بسخرية - يا ترى الأستاذ زهير يعرف إنك متجوزة؟

أمسكت ذراعه بغضب : خليك في حالك يا هشام يا قسما بالله أهد المعبد عليا وعلى أعدائي اتقِ شري أنا زمان كنت ضعيفة إنما دلوقتي لا، مابقيتش تحت طوع أبويا يجبرني أقول حاجة مش عايزاها فأنت مش في موقف قوة وبيتك

ومراتك عارفاهم فخليك في حالك يا شاطر علشان أخليني في حالي أنا كمان بدل ما نخربها على بعض.

تراجع هشام خطوة للوراء ورفع يديه باستسلام: يا نحلة لا تقرصيني ولا عايز عسل منك

ابتسمت بانتصار : برافو عليك - همت بالانصراف ولكن نظرت إليه مجددا بجدية - نصيحة لله يا هشام نوعية مراتك دي لو أخدت قرار البعد بجد مش هتعرف ترجعها فخلي بالك، هي عاملة نفسها مصدقاك وبتحبك وبتحطلك أعذار لحد ما في مرة هتكتفي ولو ده حصل مش هترجعلك لو عملت قرد حتى فخلي بالك لتخلص رصيدك عندها.

تركته وتوجهت لمكتب زهير بينما توجه هو لمكتبه متسائلا: هل من الممكن حقًا أن تكتفي منه هدير؟

تذكر شجارهما السخيف وخروجه تاركا إياها وابنه، فأمسك هاتفه واتصل بها ليحاول تلطيف الجو بينهما وما إن أجابت حتى قال بلين : ديرو حبيبتي إيه رأيك لو تسمحيلي أعزمك على الغدا النهارده؟

سمعها تسأل بتهكم : وده من إيه؟

أجابها مسرعا : أعوضك عن غبائي، معرفش كان مالي وليه كنت متحفز بالشكل المتخلف ده، اعذري حبيبك ينفع؟ ودي زيد عند مامتك وخليني أعزمك على الغدا أو العشا برا المهم نسهر أنا و انتِ لوحدنا أقولك قد إيه كنت غبي وقد إيه بحبك وما أقدرش أعيش من غيرك.

ابتسمت هدير؛ فبالرغم من غضبها إلا أنه تبخر مع كلماته المعسولة فبررت لنفسها أنها ستعطيه فرصة أخيرة لمصالحتها فهو بالرغم من كل شيء يحبها.

عادت صابرين من عملها وتوجهت مباشرة لغرفة حنين ليتفاجأ إيهاب بها خلفه فوقف مسرعا بينما حدقت صابرين في الحائط بصدمة حتى نطقت أخيرًا : إيه ده؟ دي شخبطة وألوان طيف مش أكتر، فين الورد وفين الفراشات وفين القلوب وإيه كمية الألوان دي؟

علق إيهاب وهو ينظر للحائط بتعجب : فين الألوان؟ أنا تقريبا مش مستخدم غير درجتين أو تلاتة وكلهم بيندرجوا تحت نفس اللون

حركت رأسها برفض : طيب ده إيه؟ سحاب؟ دخان؟ قطن؟ أبيض في بينك في رمادي مش قادرة أحدد إيه ده أصلا !

ابتسم إيهاب وطمأنها : إديني شوية وقت وكل حاجة هتوضح قدامك وهتعجبك الرسمة بإذن الله.

ردت برفض : ولو ماعجبتنيش متخيل هتعمل ايه؟ متخيل إن حنين هتدي لأي حد فرصة تانية يصلح الرسم؟

ارتفع صوتها تدريجيا ليأتي على إثره زوجها الذي سأل بتعجب : في إيه يا صابرين؟

صاحت بغضب : بص وراك للحيطة وأنت تفهم.

نظر عبدالقادر وراءه وبالرغم من أنه لم يفهم طبيعة الرسمة

لكنه احتفظ بهدوئه ونظر لزوجته مجددا باستفهام: مالها الحيطة؟

صرخت غاضبة : يعني إيه مالها؟ متشخبطة، فين الرسم؟

علق إيهاب متدخلًا بينهما : ملامح الرسمة لسه ماظهرتش إديني بس شوية وقت و هتوضح قدامك وبعدين حضرتك شوفتي الرسم في الصالة برا هل ماعجبكيش؟ وعندك صاحبتك؟ يعني بالفعل حضرتك عارفة إني بعرف أرسم فخلي عندك شوية ثقة بس فيا

فتحت فمها لتعترض ولكن أوقفها زوجها : سيبيه يكمل -نظر لإيهاب وأكمل- حنين مش هتيجي النهارده البيت يعني معاك النهارده وبكرا، أنا عندي ثقة فيك.

أخذ زوجته للخارج وطلب منها عدم إزعاجه مجددا.

وصلت سارة منزلها لتجد زوجها بانتظارها ودون أن تلقي حتى كلمة واحدة توجهت لغرفتها مباشرة فتبعها لمعي صائحا بنزق : إيه يا بت ده السلام لله

نظرت إليه بتحفز : بقولك إيه سيبني في حالي أنا راجعة مش طايقة نفسي

اقترب منها ليضع يده على خدها بغزل : مين مزعل الجميل ده؟

ضربت يده بنفور: بقولك ابعد عني يا لمعي الساعة دي الحكاية مش طالباك.

أمسك شعرها بعنف : أمال طالبة إيه يا حيلتها؟ مش كفاية سايبك تتسرمحي رايحة جاية براحتك والناس واكلة وشي؟

حاولت تخليص شعرها من يده بغضب: ده شغلي والكل عارف إني بشتغل من قبل حتى ما أتجوزك فما تستعبطش.

ترك شعرها وجلس على السرير خلفه بمغزى : طيب هسيبك المرة دي بس تعالي أقولك كلمتين.

نظرت إليه باشمئزاز تكره اليوم الذي رماها القدر أمام بابه وتكره والدها الذي زوجها كرها لهذا البغيض، حين طال انتظاره صرخ مجددا : ما تيجي يا بت هنا قبل ما مفعول الحباية يغور في داهية

صرخت بكره: داهية لما تشيلك يا شيخ من وشي

وقف وأمسك ذراعها بعنف ليدفعها فوقعت على السرير خلفها : داهية تشيلنا سوى انجزي يا بت.

خرجت هدير برفقة زوجها تناولا العشاء سويا وقضيا سهرة رومانسية أنستها ماضيها وحاضرها، هذا هو هشام كل ما يشعر أنه أخطأ في حق زوجته يأخذها لأمسية لا تُنسى أو يأخذ إجازة يومين يعوضها عن كل ما سبق ويرضي ضميره بهذه الأفعال، هو يحبها حقا ولكن امرأة واحدة لا تكفي بالنسبة له.

انقضى النهار التالي سريعًا فلم يشعر إيهاب إلا بدخول طلعت عليه : إيهاب إحنا هنروح كفاية كده ولا ايه؟

نظر إليه باستغراب؛ فالنهار لم ينتهِ

وضح طلعت : النهار خلص ايه هتعمل ايه؟

نظر إيهاب للحائط أمامه : خليني أخلص اللي ورايا قبل ما هي ترجع أنت بنفسك سمعت اللي قالوه ولو رجعت لقتها مش كاملة مش هتسمح لحد يكملها.

أومأ برأسه بتفهم : خلاص هبلغ الأستاذ عبد القادر إنك قاعد شوية لسه.

تركه يكمل رسمته بينما توجه هو لعبد القادر ليستأذنه في الانصراف برجاله وأبلغه أن إيهاب مازال بالداخل ينهي رسمته.

في اليوم الثاني الكل في حالة توتر وترقب في انتظار حنين والكل يتساءل عن رد فعلها، هل ستتقبل هذا التغيير وتعتبره بداية لحياة جديدة أم سترفضه؟

اتصلت هايدي بعبدالقادر لتخبره أن حنين في الطريق للمنزل، تحرك مسرعا ليخبر إيهاب الذي أومأ برأسه بهدوء : تمام خلينا طيب ندخلها الفرش بتاع الأوضة.

نادى عبدالقادر لابنته التي أتت مسرعة وحين دخلت للغرفة ورأت الرسمة عبرت بانبهار : واااااو، الرسمة دي كلها حنين - أكملت بحزن - بس حنين القديمة مش دلوقتي، دلوقتي هتمسك جردل البويا ده وتدلقه على الحيطة لمجرد إنها تخفي ملامح الرسمة دي.

علق إيهاب بمزاح : يبقى كده نخبي جرادل البويا بسرعة.

تحرك هو وحور لتنظيف الغرفة بسرعة وتفاديًا لأي رد فعل مجنون، أخفى إيهاب علب الطلاء في الشرفة بالخارج.

ساعدته حور في ترتيب الغرفة وانضمت إليهم صابرين التي ما إن رأت الرسمة حتى أغرورقت عيناها بالدموع فهذه هي ابنتها، فالرسمة ما هي إلا سحب وفوقها قلب من الأزهار وتقف في المنتصف فتاة حالمة شعرها يتطاير خلفها وهي تحلق فوق السحاب، تحركت لتساعد في ترتيب الغرفة بسرعة وهي تحاول الهروب من النظر لإيهاب؛ لأنها أحست أنها تدين له باعتذار.

انتبهوا على صوت الباب فأحسوا بالتوتر وخصوصا إيهاب الذي تمنى لو يرى الفرحة في عينيها ولو للحظات قليلة.

دخلت حنين ففوجئت بغرفتها مفتوحة والكل بداخلها فدخلت بسرعة لتُصعق من منظر الغرفة، تلفتت حولها لوهلة بصدمة غير قادرة على النطق؛ فلطالما حلمت بها على هذا النحو، اللون الوردي الفاتح، الورود تزين الجدران، الفراشات، تلك الفتاة التي تحلق فوق السحاب كانت هي يوما ما ولكن ليس الآن، الآن هي مجرد حطام، ترددت الكلمة بداخلها ورن في أذنيها صوت والدتها تصرخ لتستيقظ من غفلتها وأحلامها وتبعها صوت أمجد يصرخ فيها أنها حطام امرأة، لم تعد هي تلك الفتاة التي تفرح برسمة على حائط أو بمعنى آخر هي لم تعد على قيد الحياة.

الكل مترقب أي رد فعل منها لأن هذا الصمت مخيف، قطع إيهاب شرودهم قائلا : لو في حاجة مش عاجباكي ممكن

هنا انتبهت حنين إليه فصرخت بحدة : انت مين سمحلك تعمل كل ده؟ مين سمحلك أصلا تدخل أوضتي؟

حاولت البحث عن أي شيء حولها لتخرب الرسمة أو تخرب أي شيء فوقف إيهاب في وجهها بلطف : إهدي وحاولي

قاطعته صارخة وهي تحاول الهجوم عليه : أهدأ؟ أنت بتقولي أنا أهدى؟ انت مين انت؟ ليه بتدي لنفسك حجم أكبر من حجمك؟ انت ...

وقفت والدتها في وجهها أمام إيهاب وقاطعتها بتبرير: إهدي يا حنين إحنا بس حاولنا..

صرخت في وجه والدتها : حاولتوا إيه ها؟ فاكرة إنك بتعملي إيه كده؟ هترجعيلي عمري اللي ضاع؟ ولا أحلامي اللي ضاعت؟ بتعملي إيه؟ أنا كل اللي عايزاه منك إنك تبعدي عن حياتي، ابعدي عني وبس

حاولت حور التدخل : يا حنين ...

قاطعتها بنظرة نارية وهي تصرخ من بين دموعها : أنتم مش كنتم عايزيني أفوق؟ فوقي يا حنين من أوهامك، فوقي يا حنين من أحلامك، فوقي و انزلي لأرض الواقع، فوقي الدنيا مش كده، أديني فوقت عايزين إيه تاني مني؟ ابعدوا عني بقى وسيبوني في حالي، مش عايزة منكم غير إنكم

تسيبوني في حالي أعيش في سلام وبس.

هنا صرخت حور وهي تلاحظ ترنح والدها : بابا..

انتبه الجميع لعبدالقادر الذي استند على الحائط خلفه وهو يلهث من التعب ويضع يده على صدره فأسرع إيهاب لمساعدته فأمسك يده بقوة واهنة وهو يطلب منه : خدني للمستشفى يا إيهاب.

أغمضت حنين عينيها لتسمح لدموعها بالهطول بينما تحرك عبدالقادر برفقة إيهاب للخارج وسألته صابرين بخوف: بتعرف تسوق؟

أجابها: أيوة بعرف.

أحضرت مفاتيح سيارة زوجها ليتحرك الجميع للخارج وفتحت صابرين الباب أمام إيهاب ليساعد زوجها على الركوب بجانبه في السيارة وتفاجأوا بحنين خلفهم لتركب بصمت تام في الخلف بجانب والدتها وأختها.

وصفت صابرين الطريق لإيهاب واتصلت بالطبيب ليقابلهم في الخارج، سيطر الصمت التام على السيارة لحين وصولهم إلى المستشفى ثم استقبل الطبيب عبدالقادر وأخذه لفحصه.

وقفوا في الخارج وسط حالة من التوتر والقلق بينما أخذت حنين جانبًا بمفردها.

تحركت صابرين لتسأل عن زوجها ودخلت بالفعل عنده لتتفاجأ بعبدالقادر يتحدث مع الدكتور علي الذي أصبح

صديقا مقربا.

دخلت ونظرت لهما بحيرة قبل أن تسأل : هو حالته ايه يا دكتور؟ طمني لو سمحت

نظر زوجها إليها يطمئنها بنفسه : أنا كويس يا صابرين بس مالقيتش طريقة أسكت بيها حنين غير دي.

تدخل علي في حديثهما : هسيبك ترتاح وزي ما اتفقنا هتفضل الليلة دي هنا تحت الملاحظة وبرا هقولهم يحاولوا يمنعوا عنك الزعل والقلق والتوتر وهقولهم إن الضغط عالي شوية عندك ولازم تفضل الليلة دي تحت الملاحظة.

بالخارج تجلس حنين مغمضة العينين تنساب دموعها من آن لآخر، انتبهت لصوته يسألها بلين : أنتِ بخير؟

فتحت عينيها لتنظر إليه بوجع: يفرق معاك في إيه؟ انت ليه بتتدخل في كل حاجة مالكش فيها؟

أطلق زفيرًا حارًا قبل أن يجيبها : يمكن اتعودت أهتم بكل اللي حواليا وعلشان كده بتدخل، أو يمكن ما اتعودتش أشوف حد في وضع زي كده وأقف بعيد، مش عارف! المهم لو سؤالي ضايقك خلاص اعتبريني ما سألتش.

صمتت قليلًا وحين تحرك ليبتعد تكلمت بشرود : طول عمرهم بيحاولوا يفوقوني من أحلامي وخيالاتي ودلوقتي لما فوقت بيحاربوا من تاني علشان أرجع أحلم، مش ده كان مضايقهم فيا؟ مابقيتش فاهمة هم عايزين مني إيه؟

يسيبوني في حالي.

استمع إليها إيهاب باهتمام وأجابها ببساطة شديدة : هم بيحبوكي وبس وكون إنهم بيشوفوكي موجوعة ده واجعهم أكتر منك فبيحاولوا يسعدوكي، مش عارفين إزاي فبيتخبطوا ويحاولوا، حاولي انتِ كمان معاهم أو وجهيهم للي انتِ محتاجاه منهم.

نظرت إليه بحدة : كل اللي عايزاه يبعدوا عني وبس

علق بهدوء : حبهم هيمنعهم يبعدوا عنك وبعدين صدقيني لو بعدوا عنك زي ما انتِ بتطلبي ده هيوجعك فوق ما تتخيلي، لو الأب أو الأم بعدوا عن عيالهم أو بطلوا يهتموا بيهم أو يشوفوهم كعيالهم ده بيوجع فوق ما تتخيلي.

علقت وهي تمسح دموعها بعنف : وتدخلهم بيوجع أكتر انت مش عارف..

قاطعها بإصرار : انتِ اللي مش عارفة بتتكلمي في إيه ولا جربتي التهميش، انتِ مشكلتك في الحياة حبهم ليكي - لهجته كانت متهكمة وهو يكمل بوضوح - زعلانة علشان أبوكِ وأمك بيحاولوا يسعدوكي ويرضوكي، ياريت كل مشاكل الحياة هي شوية حب زيادة.

نظرت إليه بذهول من تهكمه الواضح : شوية حب زيادة؟ انت ماعندكش أدنى فكرة انت بتتكلم عن إيه.

ضحك بوجع : ليه ماعنديش فكرة؟ إيه مشاكل بنت

زيك؟ إيه سر تعاستك اللي مش لاقيلها أي سبب دي؟ شغل وبتشتغلي في مكان مرموق وكويس، ماديا؟ ما أعتقدش عندك مشاكل مادية، احترام؟ محترمة من اللي حواليكي، حب؟ محبوبة من كل الأطراف حواليكي، أهل؟ عندك أب وأم وأخت بيعشقوكي وبيحاولوا بكل جهدهم يسعدوكي عايزة إيه تاني من الدنيا؟ ما تحمدي ربنا وتسكتي.

سيطر عليها الذهول وصرخت في وجهه : انت تخرس خالص وتبعد عني أنا غلطانة أصلا إني اتكلمت مع أشكالك.

ضحك بتهكم : ماشي يا دلوعة أبوها.انتِ عندك حق لأن أشكالي بيشوفوا مشاكلكم في الحياة تافهة لدرجة ما تتخيليهاش.

قبل أن ترد عليه قاطعها خروج الطبيب من غرفة والدها فأسرعت تجاهه : دكتور طمني بابا عامل ايه؟

أخبرها كما أتفق مع والديها بالداخل وتركهما ليتوجه لمكتبه، دخلت حور وحنين ليطمئنا على والدهما وأمسكت كل واحدة يد تقبلها خوفا عليه ليطمئنهما على صحته وأنه أفضل الآن، نظر لحنين وقال برفق : حنين عارفين إن مفيش حاجة ممكن نعملها تنسيكي اللي حصل أو تعوضك عن يوم واحد حتى مريتي بيه بس بنحاول يا بنتي، أرجوكِ إدينا الفرصة نحاول معاكي حتى لو هنضحك على بعض يمكن الكدبة تتحول لحقيقة وتلاقي الفرح من تاني، أرجوكي يا حنين اسمحيلي أساعدك.

قبلت يده بحب : كل اللي عايزاه منك إنك تكون بخير وبس، وجودك لوحده كفاية عليا مش عايزة غيره.

ربت على رأسها بحب : وأنا مش عايز غير ابتسامتك وبس تنور وشك من تاني يا حنين.

سألت صابرين بتذكر : هو إيهاب لسه برا ولا مشي يا بنات؟

نظرت حور إليها : مش عارفة يا ماما بس تقريبا برا.

فتحت حور الباب وأشارت لإيهاب بالدخول، دخل مسرعا: حمدلله على السلامة يا أستاذ عبدالقادر، خضيتنا عليك.

شكره عبدالقادر هو وزوجته، استأذنه عبدالقادر أن يوصل ابنتيه قبل رحيله و بعد الكثير من الاعتراضات خضع الكل لرغبة عبدالقادر وذهبت حنين هي وأختها برفقة إيهاب للمنزل، وصل إيهاب تحت المنزل وأعطى المفتاح لحنين وقبل أن يمشي في طريقه أوقفته حنين بحرج : لحظة لو سمحت.

نظر إليها باستغراب فاقتربت منه بامتنان : متشكرة لحضرتك انت تعبت معانا النهاردة.

ابتسم متعجبا شكرها ؛ فهو آخر ما توقعه منها فرد بود : أنا ماعملتش غير الواجب وألف سلامة على والد حضرتك.

أومأت برأسها : برضه حضرتك وقفت معانا وما سيبتناش ووصلتنا لهنا، لو ينفع بكرا تطلب من الأسطى طلعت محدش يجي يكون راحة للكل يكون أفضل.

إيهاب : تمام هتصل بالأسطى وأبلغه حاضر،

- أكمل باعتذار- أستاذة حنين آسف لو تخطيت حدودي في الكلام معاكي و

قاطعته مسرعة : لا أنا اللي أفورت في رد فعلي، أنا عارفة إن بابا عمل كده علشان عايز يرجعني لأيام زمان، المهم أعذرني آسفة.

ابتسم وتجرأ ليسألها : لو في حاجة مش عاجباكي بلغيني أعدلها لو سمحتي، يعني حتى لو علشان والدك ترضيه مش أكتر.

سألته بحيرة : مين اختار الرسمة اللي عملتها في الأوضة؟ بابا؟

هز رأسه بنفي : لا أنا اللي اخترتها.

نظرت إليه نظرة مطولة بحيرة : انت؟ إزاي؟ مين قالك الألوان اللي بحبها أو أي حاجة أكيد ماخمنتش

ابتسم و قلبه دق بعنف من نظراتها : والدك معاه فيديو بيصور فيه أوضتك زمان و وراهولي ومن خلاله خمنت إيه اللي ممكن يعجبك زمان وعملته وقالولي إنك بتحبي الورد والفراشات والباقي كان سهل.

نظرت للأرض بخجل : بابا وراك الفيديو إياه؟ أنا لازم أمسح الفيديو ده و

قاطعها مسرعا: إوعي هو بيحب الفيديو ده سيبيهوله على

الأقل للذكرى، انتِ ما تتخيليش والدك بيحبك قد إيه وما تتخيليش حالتك دي بتوجع قلبه قد إيه فسيبيله الذكريات على الأقل طالما مش هتقدري تقدميله الحاضر.

نظرت إليه بحيرة مستغربة طريقته في الإقناع وقدرته على فهمها أو وصوله لأعماقها بهذه السهولة.

تراجعت خطوتين للخلف وقالت : هشوف الأوضة ولو في حاجة محتاجة تعديل هبلغك، هتيجي بكرا؟

تعجبت من سؤالها؛ فهي منذ قليل أخبرته أن يأخذ الغد عطلة فلمَ تسأله الآن؟

استغرب إيهاب سؤالها وابتسم : انتِ لسه قايلالي ما أجيش - اقترح بحماس- لو والدك هيخرج بكرا وعايزين آجي أوصله ماعنديش مانع اتصلوا بيا، إيه رأيك تاخدي رقمي توصليه لوالدك؟

وافقته وأخرجت هاتفها لتكتب رقمه، قبل أن يمليه عليها تراجع ومد يده : هاتي الموبايل

كتب رقمه واتصل بنفسه ليسجل رقمها ثم أعاد هاتفها إليها بابتسامة: معاكِ رقمي لو حابين أي حاجة ما تترددیش بعد إذنك وألف سلامة مرة تانية لوالدك.

راقبته وهو يبتعد غير قادرة على إبعاد نظرها عنه إلى أن اختفى ولكن قبل أن يختفي ألقى نظرة أخرى إليها ليتفاجأ أنها مازلت تنظر إليه، أشار بيده لها قبل أن يختفي من أمامها

لتصعد إلى بيتها مسرعة.

دخلت غرفتها ونظرت لكل شبر في الحائط، دققت النظر في الرسمة والفتاة الحالمة وهي تتخيل إيهاب يرسم بتلك الطريقة المجنونة، كم تمنت لو راقبته وهو يرسم هذه الرسمة! نفضت رأسها بغضب من نفسها وحاولت أن تخرج بعض العيوب في الرسمة دون جدوى فمع الأسف الرسمة تعجبها بشدة، لاحظت توقيعه أسفل الحائط.

حاولت صرفه عن تفكيرها ولكن للأسف تلك الرسمة على الحائط أمامها تحمل بصماته.

انقضى اليوم سريعا وفي المساء قرر إيهاب زيارة عبدالقادر للاطمئنان عليه بالمشفى، طمأنه عبدالقادر وأخبره أنه في طريقه للبيت فعرض إيهاب عليه أن يوصله لمنزله فوافق عبدالقادر، سأله ايهاب وهو بجانبه : العربية مين جابها؟

عبدالقادر : مراتي جابتها الصبح لأنها راحت اطمنت على البنات وجابتها معاها.

علقت صابرين بإحراج : أنا مديونالك باعتذار لأني ما صبرتش أشوف شكل الرسمة في الآخر.

ابتسم بهدوء وهز رأسه بتفهم

بعد قليل ساعدهم لحين دخول شقتهم وبعد أن استقر عبدالقادر في غرفته هم إيهاب بالانصراف ولكن أوقفه عبدالقادر : استنى اقعد شوية معايا.

جلس بحرج بينما دخلت حنين مسرعة لتتفاجأ بإيهاب برفقة والدها فدخلت بهدوء تسلم على والدها وتقبله : حمدلله على السلامة، كنت رايحة المستشفى بس ماما قالتلي إنكم جايين على البيت خلاص.

أمسك يدها بحب : قلتلك أنا كويس يا حنين، المهم انتِ بخير؟ طمنيني عليكِ

ابتسمت بصفاء : آه كويسة يا حبيبي.

نظرت لإيهاب مبتسمة وأشارت له برأسها كسلام فبادلها ابتسامتها بهدوء بينما علق والدها : عندك أي تعديل عايزة تعمليه في أوضتك؟ - أضاف بمزاح - غير إنك تبوظي الرسم طبعا

ابتسمت بحرج وهي تنظر للأرض : لا مفيش أي تعديل.

قاطعهم دخول صابرين تحمل صينية القهوة و ضايفت إيهاب وزوجها ثم نظرت لابنتها : حنين كتبتلك طلبات البيت في ورقة قومي لو سمحتي هاتيها، أنا مش هقدر أنزل وأسيب باباكي.

اعترضت بحنق : ما أقعد أنا مع بابا وانزلي انتِ هاتيها؟ - ابتسم عبدالقادر وإيهاب لاقتراحها بينما أكملت هي - أو عندك حور ابعتيها هي تجيب طلبات البيت مش أنا

انتظرتها صابرين إلى أن أنهت جملتها ثم علقت بهدوء : قومي انتِ وأختك هاتي طلبات البيت اتفضلي يلا.

قبل أن تعترض كررت صابرين بصرامة : اتفضلي قومي.

وقفت بغضب : يووووه بقى يا ماما، هشوف حور.

خرجت من الغرفة بغضب تبعتها صابرين بينما علق إيهاب بعد أن أغلقت الباب : لو مافيهاش تدخل مني أنا ممكن أنزل أجيب الحاجة اللي محتاجينها وخليها مرتاحة هي برضه لسه راجعة من شغلها وأكيد مرهقة.

علق عبد القادر بحرج : لا يا ابني مش عايز أتعبك وبعدين انت كتر خيرك جاي تطمن عليا وتعبت معانا إمبارح نقوم نستغلك يعني؟

أصر إيهاب : استغلال إيه بس يا أستاذ عبدالقادر الدنيا لسه بخير، بعدين أنا النهارده طول النهار مريح يعني عادي والله.

أمام إصرار إيهاب وافق عبدالقادر بحرج وحين دخلت حنين تستأذن والدها أوقفها : إستني يا حنين، إيهاب هينزل معاكم يوصلكم.

تعجبت ونظرت للاثنين باستغراب تام : مالوش لزوم يا بابا تتعبه هاخد تاكسي أنا وحور.

تدخل إيهاب بحرج : مافيهاش أي تعب يا أستاذة، هوصلكم عادي.

دخلت صابرين لتتعجب هي الأخرى ولكن دون اعتراض، أعطت المفاتيح لإيهاب وعلقت : وصلهم وهاتهم على طول ما تخليهمش يلفوا هنا وهنا علشان عارفاهم ما بيرضوش

يخرجوا بس لما بيخرجوا ما بيصدقوا

طمأنها مبتسمًا ثم تحرك برفقتهما.

علقت حنين بصوت منخفض : اركبي جنبه يا حور انتِ.

نظرت إليها بدهشة : ما تركبي انتِ يا أختي.

أمسكت ذراعها: لا يا حور انتِ الصغيرة.

اقترحت عليها: طيب نركب إحنا الاتنين ورا؟

اعترضت حنين : ليه سواق اللي خلفونا؟ اركبي جنبه.

عقدت حور حاجبيها باعتراض : مش هركب، خايفة انتِ على شعوره اركبي جنبه.

سبقتها حور لتركب بالخلف وهي تعقد ذراعيها أمامها بينما احتارت حنين وهي تقترب بخطوات بطيئة وأخيرا جلست بجانبه وهي تقنع نفسها أنه من اللباقة أن تركب بجانبه.

حين استقرت بجانبه أحس إيهاب أن نبضات قلبه مسموعة لكل من حوله.

سيطر الصمت لعدة لحظات قبل أن يقطعه مستفسرًا : هنروح فين؟ يعني في مكان معين بتروحوه ولا أقرب سوبر ماركت ولا إيه؟

أخبرته حنين اسم المكان و وصفت له الطريق فتحرك تجاهه، علقت حور بعد فترة : هتعملّي أوضتي إمتى يا إيهاب؟

نظر إليها من خلال المرآة أمامه : وقت ما تحبي، ممكن بكرا، عايزة حاجة معينة؟

أجابت حنين بتهكم : عايزة تعبان.

عقدت حور حاجبيها بغضب بينما ردد إيهاب بصدمة : تعبان بجد؟ أكيد بتهزري

علقت حور : ما تخليكي في حالك؟ كل واحد حر في طلباته
- نظرت لإيهاب وأكدت - أيوة عايزة شعار صيدلة

ردد بحيرة: شعار صيدلة؟ يعني فعلا عايزة تعبان وكاس؟ انتِ واثقة من طلبك ده؟

أجابته بثقة تامة : آه عايزة الكاس وحواليها التعبان

حركت حنين رأسها بدهشة من طلب أختها بينما سألت : أصلا إيه علاقة التعبان بصيدلة؟

حين لم ترد حور علق إيهاب : اللي أعرفه إنه مستوحي من صورة قديمة للعالم الإغريقي اسكليبيوس لأن صوره دايمًا ماسك عصاية ملفوفة عليها تعبان وده كان أول شعار لصيدلة بعدها ظهرت صور له مع بنته شايلة كاس فاتغير الشعار لكاس حواليه التعبان

استمعت حنين بانبهار لمعلوماته وسألته مجددًا : برضه ماعرفتش إيه علاقة التعبان؟

نظر إليها مستمتعا بالحوار معها :يقال إنه في مرة طلع قدامه تعبان ومات بعدها لحقه تعبان تاني معاه عشبة معينة

في بوقه فأخدها اسكليبيوس وحطها في فم التعبان الميت فصحي وفاق والعشبة دي اشتخدمت بعدها في علاج أمراض كتير فمن هنا هو استخدم رمز التعبان -نظر لحور في المرآة وأردف - ولعلمك الشعار القديم كان عصاية بجناحين وحواليها تعبانين ودي لو عايزة رأيي أفضل من الكاس والتعبان.

اعترضت حنين بمزاح : يعني بنتريق على تعبان واحد تقوم تقولها تعبانين؟ حرام عليك

ابتسم وهو يجيبها : شكلها أخف وألطف، بكرا أجيبلك كام صورة ليهم وتختاروا براحتكم.

ساد الصمت لعدة لحظات لتقطعه حنين متسائلة : عرفت منين؟

نظر إليها متعجبا : عرفت ايه؟

- قصة الشعار دي

ابتسم بشرود : بحب أقرأ كتير في مجالات كتيرة.

أحست حنين بإحساس غريب تجاهه بينما علقت حور بتهكم : طيب كنت قرأت كتبك وكملت دراستك من باب أولى.

أحست حنين بالغضب من تعليق أختها الجارح بينما علق إيهاب بهدوء : مش كل الناس عندها رفاهية الاختيار.

أكملت حور بقسوة : إيه اللي ممكن يمنعك تكمل تعليمك؟

أصلا التعليم دلوقتي في مصر مش مكلف علشان بس ما تتحججش بالفلوس، أقل فلوس ممكن تعلمك فكان ممكن تختار تكمل تعليمك.

نظرت حنين لأختها ونهرتها : حور زودتيها أوي.

أجابتها حور بضيق : أنا قلت إيه؟ كل اللي قلته أنه ليه ماكملش تعليمه؟

قبل أن تجيبها حنين رد إيهاب تساؤلها بهدوء : أنتِ عندك حق التعليم مش مكلف للدرجة بس الاختيارات اللي كانت قدامي إني أتعلم وأمي تطلع تشتغل خدامة في البيوت أو تمسح سلالم العمارات علشان تصرف على تعليمي أنا وأخواتي يا الاختيار التاني إني أطلع أنا أشتغل وأصرف على أمي وأخواتي وتعليمهم ماكانش في اختيار تالت للأسف.

سألته حنين بفضول لمعرفة المزيد عنه : ووالدك فين؟

أجابها دون النظر إليها : اتوفى في حادثة

سألته حور : أنت أكبر أخواتك؟ عندك كام أخ؟

ابتسم لفضولها الواضح : اه أكبرهم وعندي أخ وأخت

حور : كنت كلية إيه؟

إيهاب : فنون جميلة

علقت حنين بابتسامة : علشان كده بتحب الرسم؟ طيب مافكرتش ترجع تكمل تعليمك؟ حتى لو تعليم مفتوح؟

فكر إيهاب للحظات قبل أن يجيبها بتمني : مطلوب مني أكمل مع اخواتي لحد ما يخلصوا كلياتهم بعدها ممكن أفكر أعمل حاجة لنفسي - أكمل وكأنه يتحدث مع نفسه - مازن لسه فاضله سنة ويتخرج وأكيد هو هيشيل شوية من الحمل - ابتسم وتابع- وهبة كمان فاضلها سنة وتخلص، ساعتها ممكن أبدأ أعمل حاجة لنفسي

تمنت حنين لو تسأله المزيد عن نفسه ولكن قاطعت أفكارها حور : اخواتك كلياتهم إيه؟

أجابها بفخر : مازن في طب بشري وهبة في ألسن وأهو هيتخرجوا أخيرا وأتنفس

شرد في مستقبله بعد تخرج أخويه فلربما يكون من حقه الحب والارتباط، نظر بطرف عينيه لحنين هل من حقه التفكير فيها؟

انتبه من أفكاره على سؤال حور لتخرجه من أحلامه : مش بعد ما يتخرجوا المفروض أختك مثلا تتجوز؟ مش هيتطلب منك تجهزها؟

عقد إيهاب حاجبيه بضيق؛ فأمه بالفعل ستطلب منه تجهيز أخته قبل أن يفكر في نفسه ومستقبله ولكن كابر نفسه وهو ينظر لحور : ما يجهزها مازن ما هو اتعلم وبقى دكتور يتعب هو شوية.

علقت حور ببساطة : هيتعب اه بس أعتقد لنفسه، هيقولك عايز أتخصص بعدها عايز أعمل عيادة بعدها مش فاضي

استغرب إيهاب أنها سردت الحقيقة المجردة أمامه بتلك السهولة دون معرفتها حتى لشخصية مازن الأنانية التي يرفض هو الاعتراف بها أمام نفسه.

علقت حنين تطمئنه أن ربما الغد أفضل : لا لا إن شاء الله أخوك يرد الجميل ويقولك ارتاح انت وشوف نفسك وأنا مكانك، تفاءلوا خيرا

علقت حور بتهكم : الحقوا شوفوا مين بيتكلم عن التفاؤل؟ اللي لسه إمبارح كانت بتصوت علشان بس دهننا الأوضة، حط خيبتك على خيبتي صح.

نظرت لها حنين بغضب : انتِ بني آدمة باردة بجد وماعندكيش إحساس.

قبل أن ترد حور عليها تدخل إيهاب لفض النزاع : اهدوا وانزلوا علشان وصلنا خلاص.

نزلت حور غاضبة : أنا هشوف عايزة إيه وأنتم هاتوا طلبات ماما بعد إذنكم نتقابل عند الكاشير.

تركتهما ودلفت للداخل بمفردها بينما راقبها الاثنان لحين اختفائها لتعلق حنين بغيظ: باردة - نظرت لإيهاب محرجة - أنا هدخل أشوف طلبات ماما وأنت استنانا هنا مش لازم

قاطعها إيهاب مسرعا : هدخل معاكِ يلا.

حاولت الاعتراض دون جدوى، دخلا سويا ليأخذ منها الورقة وبعد لحظات ناولها الورقة مجددا بمزاح وأخذ منها

عربة التسوق معلقا : أنا هزق العربية هاتي انتِ الطلبات.

ضحكت حنين بتعجب : ليه كده؟

علق بمرح : ده على رأي المثل (أول القصيدة كفر) مين الاستربس في الأول ده؟ وبعدها كوردن معرفش إيه؟ مين دول؟ أنا قلت هلاقي جبنة، حلاوة، مربى، فراخ، طلبات الناس العادية

استمر ضحك حنين ليشعر إيهاب أن ضحكتها نغم على مسامعه فبدأت توضح له : الاستربس دي فراخ على فكرة، يعني شرايح فراخ صغيرة ومتبلة زي البانية والكوردن ده برجر فراخ محشي جبنة شيدر وتركي مدخن.

أومأ برأسه بفهم : طيب ما تقولوا كده لازم الأسماء الغريبة دي؟

ابتسمت : هذا ما وجدنا عليه آباءنا، تعال نروح عند التلاجات هنلاقي فيها كل الحاجات دي.

راقبها إيهاب وهي تتنقل وتختار بعناية المكتوب في ورقة والدتها وبداخله مجرد تمني، تمني لا يجرؤ حتى على التفكير فيه بوضوح، فهي مجرد أمنية غامضة داخله لا يجرؤ على تفسيرها حتى.

نظرت إليه وهي تمسك بكيس : ده الكوردن

لاحظت نظراته فقطعت جملتها بحرج وهي تضع الكيس من يدها بهدوء دون أن تنطق المزيد فنظراته توترها للغاية.

سيطر الصمت والتوتر عليهما سويًا ومشيا بصمت قطعه إيهاب وهو يمد يده : ده الاستربس

كانت تلك هي اللحظة التي مدت فيها حنين يدها ليمسك الاثنان الكيس نفسه فتراجعا سويا بسرعة وضحكا، علق إيهاب : خديه

ابتسمت حنين : هاته أنت

نظر لعينيها وهو يمد يده وهي هربت من عينيه لتمد يدها هي الأخرى لتصطدم يدهما سويا فتركا الكيس مجددا، ابتعدت حنين عنه بخجل: هاته خلاص

وضع إيهاب الكيس في العربة أمامه وهو متعجب من نبضات قلبه السريعة وتوتره الذي لأول مرة يشعر بهذه الأحاسيس الجديدة عليه.

شردت حنين وهي تسير أمامه وتعجبت لمَ قلبها ينبض بهذه الطريقة في كل مرة تقترب منه أو تراه أمامها؟ لمَ تشعر بكل هذا التوتر معه؟ لِمَ تشعر أنها تحتاج للتحدث معه دون توقف ومعرفة الكثير والكثير بل كل التفاصيل عنه؟ لِمَ يغلفه كل هذا الغموض أم هي فقط التي تشعر بالفضول في معرفة كل تفاصيل حياته؟

انتبهت لإيهاب يسألها : فاضل إيه في الورقة؟

نظرت إليه مطولًا قبل أن تجيبه : فاضل الجبن تعال هناك نشوفها.

أشارت لاتجاه ما وتبعها هو متسائلًا لماذا نظرت إليه مطولا؟ وبمَ تفكر وهي تنظر إليه هكذا؟ لربما تستحقر نظراته فهو أدنى منها بمراحل، انتبه يا إيهاب واعرف حجم نفسك فأنت غير قادر مثلا على شراء ربع طلبات بيتها أو ربع ماهو مكتوب بهذه الورقة، هذه الورقة هي أكبر دليل أمامك أن مجرد التفكير محرم.

زفر بضيق لتلاحظه هي وتسأله : تعبت ولا إيه؟ أنت ممكن تمشي و

قاطعها بسرعة: لا لا ما تبعتش

تجرأت وعلقت : بس شكلك متضايق أو حاجة ضايقتك

تعجب من فهمها لتعبيرات وجهه أو إحساسها به لكنه حذر نفسه : انتبه لا تجعل عقلك يزين إليك اهتمامها المغلف بالذوق ويوهمك بأشياء لا وجود لها هي مجرد تتحدث معك بلباقة أنت غير معتاد عليها.

انتبه لحنين تعلق بضيق : شكلي ضايقتك بكلامي الكتير

تحركت لتبتعد ولكن أمسك إيهاب بعفوية ذراعها يوقفها : لا لا استني ما ضايقتينيش

نظرت حنين ليده على ذراعها ليترك هو ذراعها بسرعة ويعتذر منها بينما علقت بهدوء : أصلك بتتأفف بضيق وساكت بشكل غير طبيعي وبكلمك مش بترد

علق وهو يقترب خطوة منها ليظهر فرق الطول بينهما

فرفعت رأسها لتتقابل نظراتهما : كل الحكاية إني مش متعود حد يفهمني من مجرد نظراتي أو تعبيرات وشي مش أكتر فاستغربت ولا أكتر ولا أقل.

تعلقت عيناها بنظراته وهي مسلوبة الإرادة : أنت عندك مامتك وأخواتك

ابتسم بتهكم : أمي؟ أمي بقيت مجرد وسيلة بتجيب لها فلوس تربي بيها عيالها، هي بطلت تعتبرني ابنها، أو مش عارف هي بتعتبرني إيه؟

حاولت حنين الابتعاد أو قطع نظراتهما لكنها أكملت بحيادية: مفيش أم بتكره عيالها أو بتبطل تعتبرهم عيالها كل الأمهات ...

قاطعها إيهاب مبتسما : مش عارف ليه حاسس إن الجملة الجاية مش هتكون منطقية، ما تنسيش أنا بقالي فترة في بيتكم وشايف علاقتك بوالدتك.

ردت بعبوس: ماما بتحبني

أكد وهو يتمنى لو يمد يده يلمس وجهها ليزيل عبوسها : أكيد ومحدش يقدر ينكر ده بس برضه علاقتك بيها مختلفة تماما عن علاقتك بأبوكي مثلا ولا بيتهيألي؟ باباكي زي صاحب قريب منك صح؟

اختفى العبوس وابتسمت : بابا مفيش منه فعلا بس ماما؟ ماما مش قادرة تفهمني أو مش عايزة أو عايزة تخليني

شبيهة بيها وأنا مش كده وده اتسبب في مشاكل كتير بينا وخلاف هي بتتجاهله لكن أنا مش قادرة أتخطاه.

تمنى إيهاب لو يرفع رأسها التي نكستها ليعيد اتصال عينيهما فعبّر بهدوء : اللي بيحب بيدي فرص كتير

سألته فجأة : انت بتحب؟ أو سبق وحبيت؟

ابتسم ونظر للأعلى وتنهد لتصل أنفاسه الحارة إلى وجهها لتوترها فابتعدت بوجهها عنه بينما أجابها هو بشرود: الحب ده شيء ما أقدرش على مجرد التفكير فيه، الحب رفاهية مش أي حد يتحملها.

علقت بهدوء : مش عايزة أصدمك بس الحب ده وهم الناس بتضحك به على بعض علشان يوصلوا لأغراضهم لكن مش موجود في الحقيقة، مجرد كلام في روايات وأفلام

رفض منطقها بشدة : الحب موجود مش مجرد كلام في روايات لا، موجود وبيخلينا

قاطعته بتهكم : بيخلينا إيه ها؟ متخيل إيه انت؟ بيخلينا نتحمل ظروف بعض ونتحمل طباع بعض ونعيش ونسكت؟

أكد بثقة : بالظبط كده، بيهون علينا كتير أيوة، بيخلينا نتمنى ونحلم ببكرة، بيدينا أمل وطاقة نتحمل ونسعى و

قاطعته بضحكة مريرة : و إيه؟ أنت واخد قلم كبير أوي في الحب أنا سبق وأخدته وبقولك أهو أنا جايالك من المستقبل وبنبهك ما تقعش في وهم الحب ده مجرد وهم وبس.

حرك رأسه برفض وهم بالاعتراض وإخبارها أن دقات قلبه الآن ليست وهمًا لكنه تنفس بصوت مسموع قبل أن يبتعد : فاضل إيه في ورقتك لأننا مش هنتفق

سارت خلفه وأمسكت ذراعه تجذبه بعنف لينظر إليها فقالت بحدة: الحب مش موجود ومجرد وهم.

ابتسم إليها بهدوء: براحتك، بس مش معنى إن انتِ ما صدقتيش حاجة يبقى معناه إنها مش موجودة.

أكدت وهي تتخطاه وتسير أمامه : برضه مش موجود.

تبعها صامتًا وهو يتمنى معرفة الذي أصابها فجعلها تفقد الأمل في الغد وفي الحب.

أنهيا كل ماهو مكتوب ليتوجها إلى مكان الدفع ووقفا في طابور أمامهما وأخرجت حنين هاتفها لتتصل بأختها ، لحقتهما حور وهي تضع ما بيدها في العربة أمامها اعترضت حنين : ماجيبتيش ليه جالاكسي؟ أنتِ عارفة إني بحبها

ردت حور بتذكر : يوووه نسيتها

نظرت حنين إليها بضيق ثم تحركت واختفت لدقائق ثم عادت تحمل العديد من أنواع الشوكولاتة لينتبه إيهاب إلى ما أحضرته هي وحاول معرفة سعرها.

وضع كل مافي العربة ليدفع ثمنه وساعدته حنين ثم ناولته كارت الفيزا ليدفع، أخبره البائع بثمن مشترياته ليشهق إيهاب بصمت وناوله الكارت ليتم الدفع ووضع كل مشترياته مجددًا

في عربته ليدفعها للخارج برفقة حنين وحور التي اقترحت : ما تيجوا نجيب آيس كريم؟ هاتي يا حنين الفيزا

أخرج إيهاب الفيزا ليعطيها لحور التي سألتهما : حنين انتِ فراولة وفانيليا، إيهاب تاخد ايه؟

شكرها بحرج لتكرر : يا ابني قول هتاخد إيه ما تبقاش قفوش انطق

شكرها بلطف: شكرا بجد ماليش فيه أصلا.

ابتعدت حور : هجيبلك زي حنين انت حر.

ابتعدت دون أن تنتظر ردّا لتتابعها أختها بقولها : حور وجنانها - نظرت لإيهاب بجدية - هترسملها بجد الرسمة اللي هي عايزاها؟

علق بحيرة : معرفش براحتكم، ده مش قراري أنا، أنا هروح أحط الحاجات دي في العربية.

أوقفته بسرعة : استنى هاجي معاك

تحركت برفقته وأرسلت رسالة لأختها تخبرها عن مكانهما.

وضع إيهاب كل مشترياتهما في السيارة وساعدته حنين ثم علقت : ما تخليني أسوق أنا

ناولها المفاتيح : اتفضلي، بتعرفي؟

ضحكت بمرح: أكيد لو بعرف ماكانش بابا بعتك معانا.

هز برأسه بمزاح : اممم يعني عايزة تلبسيني في الحيط؟

علقت بضحك : بعرف بس والطريق فاضي تماما أو بمعنى تاني بعرف نظري مش عملي.

علق إيهاب بجدية : الموضوع مش صعب على فكرة على قد ماهو تعود

سألته بفضول : انت بتعرف تسوق منين؟ عندك عربية؟

هز رأسه بنفي : لا ماعنديش طبعا، الأسطى طلعت كذا مرة يخليني أسوق عربيته أو أروح مشوار أو آخد أنا العمال لو هو مش هيروح فاتعلمت مع الوقت.

سألته بفضول : أمال انت جيت إزاي عندنا؟ مواصلات؟

أجابها: لا معايا موتوسيكل.

أردفت بمرح: تصدق نفسي أركبه، وأصرخ

ضحك : طيب تصرخي ليه؟

ضحكت معه : معرفش بس عايزة أركبه وحد يسوق بسرعة وأنا أقف وراه وأصرخ

شاركها الضحك : والبوليس يوقفه ويتهموه إنه خاطفك

ازداد ضحكها : تفتكر؟ بوظت آخر صورة رومانسية في دماغي ربنا يسامحك.

استغرب جملتها : لا لا خلاص، ممكن آخدك مكان فاضي تماما وصرخي فيه براحتك أنا ما يرضينيش أبوظ صورة رومانسية أبدا.

علقت بشرود : ما تقلقش مش انت اللي بوظت صوري الرومانسية بس هي كلها باظت.

سألها بفضول وبصوت منخفض : صور إيه اللي باظت عندك تاني؟

أجابته بعفوية : كان نفسي وأمنية حياتي أقف تحت المطر وأرقص مع حبيبي أو حتى نجري وإحنا ماسكين إيدين بعض بنحاول نستخبى من المطر وهو يخبيني في حضنه - انتبهت لتنفض رأسها بخجل- بس زي ما قلتلك كله طلع وهم

تمنى لو يصرخ فيها أنه مستعد لتقديم حياته بأكملها بين يديها ولكن وصلت حور بضجيجها المعتاد.

أوصلهما للبيت وساعدهما ثم أعطى مفاتيح السيارة لعبدالقادر واستأذن منه الرحيل بعد ما شكره.

وقبل أن يخرج من باب منزلهم أوقفته صابرين : لحظة يا إيهاب

وقف بحيرة ينتظرها لتقترب هي منه وتمد يدها بمبلغ من المال فتعجب وسألها : خير؟

ابتسمت بحرج : خد دول انت تعبت معانا و

قاطعها بصدمة : أفندم؟

استغربت صدمته : دول تعبك، قليل؟ تحب

قاطعها إيهاب بغصة : أنا ما ساعدتكمش علشان آخد فلوس

بعد إذنك يا فندم

قبل أن تعترض أو تتحدث أغلق هو الباب خلفه غاضبا فها قد أعادته صابرين لأرض الواقع بعنف وأعادته إلى حجمه الطبيعي بفعلتها تلك، أخرجته من عالم أحلامه بقسوة مريرة فهو تخطى منزلته وتجرأ على التحليق في السماء عاليا.

دخلت صابرين غرفة زوجها متعجبة: تخيلوا بدي إيهاب فلوس زعل ورزع الباب وراه

أحست حنين بغصة في قلبها دون سبب فلماذا تضايقها فعلة والدتها؟

علق عبدالقادر بلوم: أحرجتيه يا صابرين، ليه بتديله فلوس؟ هو الولد ساعد وجه يزورني فليه بتحرجيه؟

نظرت لزوجها باستغراب : أحرجه إيه؟ مش على باب الله وكتر خيره وصلنا إمبارح ونزل النهارده يشوف طلباتنا؟ وبعدين الناس دي مش بتعمل حاجة لله كل حاجة بتمنها.

ردت حنين بدفاع عنه: مين قال كده؟ وبعدين إيه الناس دي؟ ما هو بني آدم زيه زينا إيه الفرق؟

نظرت صابرين بصدمة لابنتها : يعني إيه؟ إيه الفرق؟ هو إنسان جاهل مش متعلم من طبقة معينة مش بغلط فيه بس هو بيشتغل علشان القرش إيه الإحراج بقى إني أديله القرش قصاد تعبه؟

علقت بغضب : علشان هو جه هنا يطمن على بابا وعرض

مساعدته ماكانش مستني منك تديله تمن زيارته

استغرب الجميع غضبها بينما لاحظت هي نظراتهم فوقفت بضيق : أنا رايحة أريح شوية في أوضتي اليوم كان طويل.

دخلت غرفتها ونظرت حولها لكل ركن يحمل بصماته ولمساته، أخرجت هاتفها وأخرجت رقمه واسمه أمامها على شاشة هاتفها هل تتصل به تعتذر عن تصرف والدتها؟

ظلت فترة طويلة تنظر لاسمه على الحائط أمامها وهلة وعلى هاتفها وهلة ثم أغلقت الهاتف وألقته من يدها فلِمَ تهتم بمشاعره أو إحساسه؟

في الصباح استيقظت دعاء من يومها على رائحة تداعب أنفها فأحست بالجوع الشديد فخرجت من غرفتها لتسمع صوت ضحكات زوجها و ابنتها، توجهت للمطبخ بابتسامة : بتعملوا ايه؟

ضحكت رغد وردت بحماس : بنعمل فطار يا مامي اقعدي وأنا وبابا هنجهز الأكل كله

قبّلت ابنتها وتوجهت لزوجها الذي قبّل وجنتها : اسمعي كلام بنتك واقعدي

جلست في مكانها و ساعدت رغد والدها في رص أطباق الطعام أمام والدتها التي ابتسمت فرحة وهي تعلق من وقت لآخر على ما يوضع أمامها، سيطر الفرح والضحك طوال فترة الطعام وبعدها وقف سمير : هعمل الشاي

حاولت دعاء الاعتراض ولكن أوقفها : دي خدمة خمس نجوم يا فندم اقعدي

جلست دعاء مكانها بينما خرجت رغد : أنا هروح ألعب شوية على الموبايل.

تركتهما وخرجت، وقفت دعاء خلف زوجها تلف ذراعيها حوله وهي تهمس : يا ترى أنا عملت إيه في حياتي فربنا رزقني حبك؟

لف يواجهها وأحاطها بذراعيه وقال بحب: أو ممكن أنا عملت حاجة حلوة في حياتي فربنا رزقني حبك.

ابتسمت وهي تقبله بحب ثم اعترضت بهدوء : واثق إن حبي رزق يا سمير مش ذنب بيخلص منك؟

اختفت ابتسامته تماما : ليه بتقولي كده؟

تنهدت بوجع : لأني زي ما مامتك بتقول أرض بور طرحت مرة وخلاص مابقالهاش لازمة

أمسك وجهها بيديه : بطلي بقى الأفكار دي، لأمتى هنفضل في الدوامة دي يا دعاء؟ مش عايز عيال تاني صدقيني مش عايز ومش بفكر فيهم أصلا وعندي رغد بالدنيا وما فيها

أغمضت عينيها : برضه كان نفسي أخلف أخ أو أخت ليها

اعترض هو : وكان ممكن ما نخلفش خالص بس ربنا أكرمنا ببنتنا أحمديه يا دعاء

مسحت دمعة فرت من عينيها : بحمده

نفى وهو يبتعد ليصب الشاي : مش باين حمد يا دعاء ده اعتراض فقط.

وضع كوب الشاي أمامها وهم بالخروج من المطبخ : على فكرة لو في حاجة منغصة عيشتي فمش عدم الخلفة لا، اللي مضايقني ومنغص عيشتي كل شوية هو انتِ بأفكارك دي، كل ما تلاقينا مبسوطين شوية تنكدي علينا بأم السيرة دي، مش عايزه تقبلي قضاء ربنا، نصيبنا كده وحياتنا دي هنفضل نعترض على قضاء ربنا لأمتى؟ وبعدها تقولي حامداه؟ لو حامداه بجد كنا هنعيش أسعد زوجين في الدنيا بعد إذنك.

تركها لتجلس مكانها فزوجها محقًا هي من تقضي على كل لحظات الفرح في بيتها، لو لم تفتح السيرة لكانت الآن بين ذراعيه تستمتع بيومها في دفء أحضانه.

استيقظت هدير من نومها على شيء يداعب خدها ففتحت عينيها على وجه زوجها أمامها يداعب خدها بوردة حمراء ناعمة : صباح الخير لأجمل وأحلى وأرق بنوتة في دنيتي كلها.

بادلته ابتسامته وهمست : صباح الخير يا حبيبي، إيه اللي مصحيك بدري؟

قبّل وجنتها : لو هتصحي دلوقتي قومي نطلع نفطر برا أنا وانتِ، ايه رأيك؟

جلست بحماس ولكن تذكرت ابنها : زيد فين؟

ابتسم مجددا: فطرته ولبسته و وديته عند مامتك

انتبهت هنا أنه يرتدي ملابسه كاملة : أنت بتتكلم بجد عايز نطلع نفطر برا؟

أكد بسرعة : أيوة ينفع تقومي بقى ولا إيه؟

وقفت بتكاسل : إديني ربع ساعة هاخد شاور سريع بعدها هلبس بسرعة بسرعة ونخرج.

توجهت للحمام ووقفت تحت المياه وهي متعجبة من زوجها وتصرفاته؛ فهو يملكها بتصرفاته كما يقتلها مرات أخرى بتصرفاته أيضا، انتبهت على دخوله عندها فعلقت باستغراب : اتأخرت ولا إيه؟

ابتسم وهو يغازلها بنظراته : ماحبيتش أسيبك لوحدك وقلت أشاركك وبعدين الخروج مش هيطير يعني، أشبع منك الأول بعدها نروح ناكل.

راقبته وهو يلقي ملابسه خلفه ويقترب منها ليدق قلبها بعنف بينما جذبها لتلتصق بصدره هامسًا : وحشتيني فوق ما تتخيلي وعلى طول واحشاني يا ديرو.

لفت ذراعيها حول رقبته : وأنت يا هشام على طول واحشني وعلى طول مفتقداك مش عارفة ليه؟

ابتسم وهو يقبّلها : أديني بين إيديكي اعملي فيا ما بدالك، النهارده اليوم كله أنا معاكي من إيدك دي لإيدك دي، شاوري

وهشام ينفذ، طلباتك أوامر يا قلبي.

استيقظت حنين على صوت العمال وضجيجهم المعتاد، دق قلبها بعنف حين تخيلت إيهاب وهو يرسم حائط أختها أو يباشر عمله، أمسكت هاتفها لتتصل بصديقتها التي ردت بصوت ناعس : ألو، خير يا حنون في حاجة؟

علقت حنين بحماس : ما تقومي كده وتفوقي وتيجي عندي إيه رأيك؟

ردت هايدي : أصحى بس الأول وبعدها أكلمك سلام

حذرتها حنين بسرعة : أوعي تقفلي يا واطية، قومي حالًا وتعالي عندي، عايزة أتكلم معاكي يلا بقى يا هايدي علشان خاطري تعالي .

تعجبت هايدي من إصرارها فلقد مر زمن منذ أن طلبت منها حنين أن تأتي إليها فمنذ طلاقها لم تصر أبدًا بهذه الطريقة، جلست في مكانها : طمنيني الأول هو في حاجة حصلت ولا إيه يا حنين؟

أجابتها بهدوء : عايزاكِ تشوفي أوضتي بعد التغيير وتشوفي كمان إيهاب نفسه وطريقة رسمه صدقيني هيفوتك كتير لو ماجيتيش ، كمان الواطية حور عايزة ترسم تعبان على الحيطة تخيلي تعبان؟

ابتسمت هايدي لحماس صديقتها بالرغم من تعجبها لسبب حماسها : خلاص إديني نصاية كده وهكون عندك.

وقفت حنين أمام المرآة تنظر لانعكاسها، مشطت شعرها بعناية وتركته منسدلا على ظهرها، قررت وضع بعض اللمسات البسيطة كنوع من التغيير.

خرجت من غرفتها ولاحظت نبضات قلبها المتوترة والمرتفعة بينما عينيها تبحث عنه، لاحظت أبيها في الشرفة فتوجهت مباشرة لعنده لتقبّل وجنته قبل أن تجلس أمامه ليلاحظ هو تورد وجهها وابتسامتها فابتسم بتلقائية

علقت باهتمام : فطرت وأخدت دواك ولا لسه؟

طمأنها : أيوة فطرت وأخدت دوايا، انتِ ادخلي افطري

نفت بهدوء : لا مش عايزة دلوقتي وبعدين هايدي جاية عندي نبقى نفطر مع بعض، هي ماما فين وحور؟

أجابها والدها : مامتك في أوضتها وحور تقريبا لسه نايمة

تلفتت حنين حولها لتسأل والدها بارتباك: هو مش كل العمال موجودين النهارده؟ - علقت فجأة بتلقائية - بابا أوعى يكون إيهاب زعل من ماما امبارح ومجاش؟

تلفت والدها لينظر لكل الموجودين وحين مر الأسطى طلعت من أمامهما ناداه : هو إيهاب فين يا أسطى؟

استغرب سؤالهما : خير يا بيه؟ حضرتك قولي عايز إيه وهنفذه على طول، ولا في حاجة مضايقاك منه؟

نفى بسرعة : لا بسأل عليه مش شايفه و بعدين ده ولد جدع وكنت عايز أشكره على وقفته معانا.

علق طلعت بفخر : ولد جدع وراجل صحيح، هو قالي أيوة على اللي حصل، ألف سلامة على حضرتك يا باشا.

شكره عبدالقادر وكرر سؤاله : هو مجاش النهارده؟

طمأنه بهدوء: لا جه يا بيه بس نزل يجيب شوية بويات وحاجات لزوم الشغل وكده، لو عايز حاجة يجيبها أتصل بيه أبلغه؟

شكره عبدالقادر بينما تنهدت حنين بارتياح ولاحظ أبوها تنهيدتها وارتياحها وتعجب سببهما، هل من الممكن أن يكون إيهاب هو سبب عودة ابنته للحياة مجددًا؟ لا هو مجرد شكر لمجهوداته ليس أكثر ولا أقل أو هذا هو ما أحب إقناع نفسه به.

تركزت عينا حنين على الباب وهي برفقة والدها الذي لاحظ اهتمامها فسألها مباشرة : عينيكِ على الباب ليه يا حنين؟

أجابته بارتباك : مش بقولك هايدي جاية؟ مستنياها

تقبل إجابتها دون اقتناع فحاولت هي تغيير الحديث تماما : شوفت حور عايزة ترسم إيه في أوضتها؟

ابتسم متقبلا تغييرها : آه شعار كليتها.

سألته باهتمام : وحضرتك إيه رأيك؟ موافق؟

حرك كتفيه باستسلام : رأيها وأوضتها وهي حرة.

رن جرس الباب أخيرا فوقفت حنين ولكن اعترض والدها :

اقعدي في كتير برا يفتح

وبالفعل فتح خالد الباب لصديقه ودخل إيهاب أخيرًا لتشعر حنين أنها تنفست الصعداء بوصوله، دخل مباشرة للداخل دون النظر ناحية الشرفة مما أحبط حنين للغاية؛ فكانت تتمنى لو تلتقي نظراتهما ولكن لِمَ كل هذا الاهتمام؟ حركت رأسها بضيق من تفكيرها المفرط فيه.

وقفت بضيق فجأة فنظر إليها والدها متسائلا بنظراته فأجابته : داخلة أوضتي أرتاح ولما تيجي هايدي خليها تدخلّي.

تحركت دون أن تنتظر إجابة، توجهت لغرفتها مباشرة ولكن اصطدمت بإيهاب الذي كان يخرج من ناحية طرقة الغرف فتقابلت أعينهما مباشرة ليلقي هو السلام عليها بتعجب: انتِ هنا؟ صباح الخير

نسيت غضبها اللامبرر وابتسمت : صباح النور بس هكون فين يعني؟

علق : في الشغل

وضحت بابتسامة : جمعة و سبت إجازة

حرك رأسه بتفهم، انتبه لوجهها المشرق واستغرب سر نضارتها هل هي مهتمة بوجهها لأجله أم هو واهم؟ تلك الفكرة رفعت دقات قلبه حد السماء، سألها محاولًا إيجاد أي مواضيع للحديث معها علها تقف معه عدة دقائق أخري يشبع

من عينيها : مالقيتيش أي تعديل برضه عايزة تعمليه في أوضتك؟

حركت رأسها بنفي وهي تحاول أن تظهر أنها غير مهتمة : قلتلك مش مهتمة فمش هدور على تعديل، هم عملوا اللي يريحهم نفسيا خلاص براحتهم

سألها باهتمام صادق : واللي يريحك انتِ؟ انتِ أهم

تنهدت بشجن: بطلت أهتم

نادى الأسطى طلعت على إيهاب بحدة فاعتذر من حنين وتوجه مباشرة إليه : خير يا أسطى؟

عاتبه طلعت بصوت منخفض : من إمتى بنقف مع بنات أي بيت ندخله يا إيهاب؟

علق إيهاب بحرج : سألتني كام سؤال وجاوبتها مش أكتر

لم يقتنع طلعت بإجابته : إيهاب مش عايز أكرر كلامي تاني شوف شغلك.

حاول أن يبرر : دكتورة حور كانت عايزة رسمة معينة في أوضتها و

قاطعه بجدية : لما ندخل أوضتها هبقى أشوفها عايزة إيه بالظبط ونعمله روح شغلك يا إيهاب.

استعدت هايدي للخروج لتتفاجأ داليا : رايحة فين كده الصبح يا هايدي؟

أجابتها بمرح : حنين كلمتني وهروح أقضي معاها اليوم.

قلقت داليا على حال حنين : هي تعبانة ولا في ايه؟ بقالكم كتير أوي مش بتروحوا لبعض من الصبح كده

طمأنت والدتها وهي تضع احتياجاتها في حقيبة يدها : لا عايزاني بس أروحلها وأشوف تطورات البيت مش قلتلك إنهم بيجددوا صح؟ يعني أعتقد مع دوشة العمال والحبسة في الأوضة محتاجة حد يكون معاها

اقترحت داليا : طيب كانت هربت هي من الدوشة وجت هنا مش تروحيلها انتِ.

نظرت هايدي لوالدتها : ما هي كانت هنا من يومين و أصلا لسه زعلانة مني علشان اشتركت في لعبة عمو ضدها فقلت أروحلها وكده يعني، يلا عايزة حاجة؟ باااي

وصلت هايدي لبيت صديقتها لتتعجب من الضجيج والعمال والفوضى التي تعم البيت بأكمله، حاولت تحديد إيهاب من بين الموجودين لكن دون جدوى، سلمت على عبدالقادر الذي أخبرها أن حنين بغرفتها فاستأذنت لتتوجه مباشرة لصديقتها التي استقبلتها بفرحة غير معهودة، لاحظت هايدي اهتمام حنين بمنظرها بشكل عام لكنها لم تستفسر أو تعلق عن سر الاهتمام، جلست برفقتها وعلقت : انتِ عايشة إزاي في البيت كده؟ وبعدين كنتِ جيتي عندي - تلفتت حولها لتهتف بانبهار - وااو الرسمة تحفة تصدقي من الدوشة مأخدتش بالي، هو رسمك انتِ ولا إيه؟

نظرت حنين للرسمة مجددًا للمرة الألف ولأول مرة تلاحظ التشابه بينها وبين الرسمة لأن الفتاة بظهرها ولكن نفس الشعر ونفس الهيئة علقت لتنفي دون اقتناع : لا لا يا شيخة يرسمني إيه بس؟ بعدين مش للدرجة يعني.

حركت هايدي رأسها بإصرار : حنين دي انتِ بالضبط، نفس شعرك ونفس هيئتك ولو بوشها - أكملت بمزاح - كنت بصمت بالعشرة.

شاركتها الضحك ثم أشارت بجانبها : تعالي بس اقعدي واستهدي بالله قال أنا قال

سألتها بفضول : هو فين إيهاب ده؟ ماعرفتش أخمنه أصلا

أجابتها حنين بعفوية ولمعة في عينيها لاحظتها صديقتها : أوسمهم وأشيكهم، هتلاقيه مميز كده

استغربت هايدي إعجاب حنين الواضح وتساءلت هل من الممكن أن تُعجب صديقتها بذلك النقاش؟ في النهاية الفرق الاجتماعي كبير بينهما.

بعد فترة دخلت صابرين وهي تحمل صينية : جيبتلكم الفطار، يلا تعالوا يا بنات.

وضعت الصينية من يدها وقبل أن تخرج نظرت لهايدي : اقنعي صاحبتك تهدا كده وتدي نفسها فرصة.

تبادلت الاثنتان نظرات الحيرة فسألت هايدي : فرصة لإيه بالضبط يا طنط؟

وضحت بجدية : بقولها في ابن صاحبتي عايز يجي يتعرف عليها

حركت حنين رأسها بصمت بينما ظلت هايدي محافظة على ابتسامتها وهي تستمع لمميزات ذلك العريس المجهول إلى أن انتهت صابرين من سرد مميزاته لتعلق هايدي : ربنا يسهل حاضر يا طنط هتكلم معاها بس في الأول والآخر براحتها وحسب رغبتها.

مطت صابرين شفتيها بعدم اقتناع وعلقت بتهكم : رغبتها قلتيلي؟ إلا انتِ إيه أخبارك؟ ولسه مضربة برضه عن الجواز؟ لحد إمتى هتفضلوا كده؟

همت حنين بالرد على والدتها ولكن سبقتها هايدي : لحد ما ربنا يريد، كله بأمره ولا إيه يا طنط؟

حركت صابرين رأسها بنفاد صبر: ونعم بالله يا هايدي، ونعم بالله قوموا افطروا يلا.

تركت الغرفة لتهتف حنين بغضب : شايفة؟ مش بتحرم، مصممة كل يومين تجيبلي عريس شكل، وكل شوية خناق وضغط وقرف، إمتى هتقتنع إني خلاص قفلت سكة الجواز دي ومش هتنيل تاني؟

اقترحت هايدي بمزاح : هاتي عريس انتِ بمزاجك واخرجي من هنا وعيشي براحتك.

نظرت إليها حنين ببلاهة لوهلة : شوف أقولها إيه تقولي

إيه؟ طيب ما تجيبي انتِ عريس واخلصي من زن أهلك

علقت هايدي وهي تجلس أمام الصينية : محدش بيزن عندي بشوف العريس مش بيعجبني بقول لا وخلص الحوار وبعدين يمكن يقع عريس من السما يكون عدل كده وابن حلال، أكيد الدنيا فيها رجالة عدلة لسه.

جلست حنين برفقتها : احلمي براحتك، أصلًا الرجالة ماتت في الحرب، فاضل الأشباه بس.

بعد فترة طويلة خرجت حنين وهايدي من الغرفة وتوجهتا للمطبخ، وضعت الصينية وبدأت في إعداد القهوة لها ولصديقتها التي تنظر للخارج بشرود : يا بت مش هتوريني الفنان؟

اقتربت حنين وهي تنظر للخارج باهتمام: مش شايفاه ليه؟ تلاقيه راح مشوار هنا ولا هنا مش عارفة الأسطى بتاعه عمال يمشور فيه ليه ما العمال كتير عنده؟

أنهت إعداد القهوة وأعطت هايدي فنجانها فعلقت : أمال التالت ده لمين؟ إوعي تقولي لإيهاب

كشرت حنين باستنكار : لا طبعا، ده لبابا يا ذكية انتِ، تعالي نديله قهوته.

خرجت حنين وهايدي للشرفة لتتفاجأ بوالدها مع صابرين وحور وكذلك إيهاب الذي يعرض عليهم عددًا من الصور بهاتفه، رفع الجميع رأسه في اتجاههما فوضعت هي القهوة

أمام والدها : قهوتك يا بابا.

علقت صابرين بتهكم : أبوكِ بس؟

قبل أن تُجيب حنين اندفعت هايدي تُجيب هي : ماكناش نعرف إن حضرتك مع عمو، تحبي نعملك؟

شكرتها صابرين بينما طلبت حور : اعملولي أنا طيب ولا أنا بنت البطة السودا؟

نظرت حنين لها : أيوة برافو عليكِ قومي واعملي لنفسك - نظرت لإيهاب - انت برضه هترسملها التعبان؟ تخيلي يا هايدي عايزة ترسم على الحيطة تعبان

علقت هايدي بمزاح : وماله خليها ترسم تعبان- ضيقت عينيها وأضافت بمشاكسة- الصيادلة دول تعابين أصلا.

استمر المزاح والضحك قليلًا بعدها اقتربت هايدي من إيهاب : أنت إيهاب بقى؟

تعجب الجميع سؤالها وخصوصًا إيهاب الذي عقد حاجبيه باستغراب فحاولت هايدي أن تتدارك غباء سؤالها وأكملت : أقصد اللي عملت الرسمات اللي جوا في الريسبشن وأوضة حنين؟ انت صح؟ الرسمة اللي في الريسبشن حاسة إني سامعة صوت الموج ولامسة الرذاذ بتاع المية.

ابتسم لها بهدوء : متشكر جدا لذوق حضرتك.

علقت هايدي مجددا وهي تحاول إخفاء سؤالها الأحمق: هقول لماما تيجي عندنا تعملي رسمة حلوة في أوضتي

وبالمرة تعمل تعبان لمعتز في أوضته

تساءل إيهاب : معتز ده صيدلي برضه صح؟

أجابته هايدي بمرح : آه أخويا الصغير اتخرج هو مش لسه بيدرس، المهم اخترتوا رسمة لنوع التعبان؟ اعملها كوبرا واقف كده - مثلت بيدها وضعية الكوبرا وأكملت- وهيبخ سم على اللي قصاده

حدق الجميع فيها بدهشة ليعلق إيهاب بمزاح : يا ستير ليه كده يا بنتي طيب؟

ضحكت هايدي على منظر الجميع : الله أنا مالي يا لمبي مش هي اللي عايزة تعبان؟

وقفت حور بغضب : تعبان على كاس مش كوبرا يا باردة، أما أنتم أصحاب بجد، سبحان الله نفس الرخامة ونفس تقل الدم.

ردت حنين بتهكم : حوشي يا بت خفة الدم اللي بتقع منك دي - نظرت لإيهاب مؤكدة حديث صديقتها - اعملها كوبرا وعايزاك تعمل السم وهو طالع من بوقها كده في اتجاه السرير

صمت الجميع لوهلة محاولًا تخيل المنظر ليضحكوا بعدها بينما عقدت حور حاجبيها بغضب ووضعت يديها على خصرها باعتراض واضح وعلقت بعد ما صمت الجميع بغيظ : خلصتوا تريقة؟ على العموم مش هقول لحد فيكم أنا اخترت

أنهي رسمة - نظرت لإيهاب بتحذير - هقولك الرسمة وإياك تقول لحد كلهم يشوفوها بعد ما تخلصها.

لاحظ عبدالقادر الأسطى طلعت يحوم حولهم وينظر لإيهاب فناداه : تعال يا أسطى.

اقترب طلعت الذي نظر لإيهاب معاتبًا فعلق عبدالقادر دفاعًا عنه : أنا ناديت إيهاب ومعلش عطلناه عن شغله بس كنت بقوله علشان أوضة حور بنتي لو ينفع نعملها هي النهاردة خليها تستقر في أوضتها إيه رأيك؟

علق طلعت : تمام هبلغ العمال يدخلوا ونفضيها ونبدأ على خيرة الله.

صرخت حور وهي تجري للداخل : استنوا شوية محدش يدخل.

ضحك الجميع عليها بينما علق إيهاب : خلاص أنا هكمل اللي ورايا لحد ما تستعد.

أوقفه عبدالقادر : معلش يا إيهاب تاعبينك معانا بس اعمل لها اللي هي عايزاه.

ابتسم إيهاب : حاضر من عيني.

انسحب ليتابع عمله بينما أكد طلعت أن كل ما يطلبوه سيتم على أحسن وجه وانسحب لرجاله ولكن توقف واستأذنهم : معلش الشباب كانوا عايزين يشغلوا مزيكا أو أي أغاني ينفع ولا إيه؟

وافقهم عبد القادر ببشاشة: براحتهم يا أسطى طبعا، بس ما يعلوش الصوت أوي علشان الجيران لكن براحتهم - نظر لابنته بعتاب خفي - بقالنا كتير محدش شغل في البيت أي مزيكا، خليهم يشغلوا.

انسحب طلعت لرجاله وماهي إلا لحظات حتى صدحت أغاني شعبية بصوت معقول في الداخل، فعلقت صابرين : متوقعين إيه غير الصداع ده؟ ماكنتش وافقت يا عبدو.

علق زوجها بعتاب : خليهم يروحوا عن نفسهم شوية وسط تعب اليوم يا صابرين.

وقفت : يروحوا وماله، أنا هشوف حيطة الريسبشن هيعملها إزاي.

دخلت صابرين بينما تابعتها البنات وهي تقف برفقة طلعت تتناقش معه لينادي هو إيهاب يقف برفقتهما لكن عينيه تتابعان حنين مع صديقتها وهو يتساءل هل أخبرت صديقتها عنه؟ هل هو محور حديثهما؟ هل تفكر فيه مثلما يفعل هو؟ لا يستطيع إخراجها ولو للحظات من عقله

انتبه على طلعت : فهمت يا إيهاب؟ هتعمل ايه؟

لوهلة نظر إليهما بحيرة قبل أن يحاول معالجة الموقف : حضرتك عايزة الحيطة قطيفة صح كده؟

نظرت صابرين بحيرة لكليهما فوضح طلعت : ماهو اللي حضرتك اخترتيه من الكاتلوج ده القطيفة يا هانم

أشار طلعت لإيهاب في الكاتلوج عن اختيار صابرين ليتنهد بارتياح فأكمل هو : تمام ونفس اللون ولا ايه؟

وافقته صابرين بينما اعترض إيهاب : بس اللون ده هيكون متضارب مع الرسمة الأفضل لو تختاري لون زي كده - أشار إلى لون آخر ووضح- ده هيبرز تفاصيل في الرسمة قصادها وهيكون أفضل.

علق طلعت بتنبيه : سيب الهانم تختار براحتها

نفت صابرين : لا لا سيبه هو برضه له نظرة في الألوان وتداخلها ورأيه هيكون عملي أكتر مننا - نظرت لإيهاب بحيرة - طيب اللون ده مش هيبقى أوفر وكتير؟ طيب ينفع أشوفه على الواقع ولو ماعجبناش

أكمل إيهاب يطمئنها : لو ماعجبش حضرتك هعملك الدرجة اللي اخترتيها.

تابعته صابرين وهو يستعد فجلست على كرسي خلفها تنتظره وسألته بحيرة عن أداة يمسكها بيده : إيه دي؟

أجابها بعملية: دي اللي هعمل بيها الدهان

راقبته وهو يستخدمها في منتصف الحائط ليريها درجة اللون، دخلت هايدي باندفاع : وااو يا طنط اللون ده حلو أوي ولايق مع الرسمة دي.

نظرت صابرين باتجاهها ثم نظرت للرسمة و لإيهاب الذي وقف جانبا منتظرًا جوابها النهائي، دخلت حنين بدورها

فسألتها صابرين : أنتِ رأيك إيه؟ أوفر ولا حلو؟

علقت بهدوء: حلو كملوا.

أكدت صابرين قرار ابنتها : توكل على الله وكمل.

أكد إيهاب : خلاص آخر كلام أبدأ؟

وافقن جميعهن ليبدأ إيهاب في دهان الحائط بأكمله، انصرفت صابرين لمساعدة حور في ترتيب غرفتها قبل دخول العمال بينما راقبت الفتاتان إيهاب الذي توجه للسماعات وأخرج هاتفه ثم اختار أغنية ما ...

انتظرت حنين سماع اختياره هذه المرة وتمنت لو يرسم على نغماتها مثل المرة السابقة.

تفاجأت بكلمات الأغنية القديمة لوردة وبكلماتها.

حنين.. حنين.. حنين انا دايبة فيك حنين

و الغربة توهتنى لكن ما غربتنى عنك طول السنين

شايلاك فى نن عيني يا عينى

واللى بينك و بينى أشواق كل الأحِبَة

وحنين المحرومين يا عيني

وحنين المحرومين آه يانا م الحنين

لو حد بينسى روحه أنا كنت نسيت هواك

يا زماني و الأماني آه ياللى مالكش تانى

ويا حبى الأولاني

شايلاك فى نن عيني يا عينى

تاهت باق الكلمات عندما أمسكت حنين يد صديقتها لتجذبها لداخل غرفتها وتغلق الباب خلفها بعنف فهتفت هايدي بحيرة: في إيه مالك؟

سألتها حنين بتوتر : تفتكري ليه شغل الأغنية دي؟ قصده إيه؟

حاولت هايدي تهميش الموضوع : عادي، أغنية وشغلها يشتغل عليها مش شرط ليكِ وبعدين مش علشان حنين تبقي انتِ، حنين انتِ مدية الموضوع حجم أكبر من حجمه وناسية حاجة مهمة أوي.

نظرت باهتمام : حاجة إيه؟

اقتربت منها بهدوء: أنه ما ينفعش بأي شكل ما ينفعش

عقدت حنين حاجبيها بحيرة وضيق : إيه هو اللي ما ينفعش؟

زفرت قبل أن تلقي بعبارتها : هو ما ينفعش فبطلي تبصيله بأي صورة غير إنه نقاش هيخلص دهان البيت ويمشي ومش هنشوفه تاني يا حنين.

ابتعدت حنين وعلقت بحدة : قصدك إيه؟ هو علشان اهتميت برسمة ولا

قاطعتها هايدي بتنبيه: أنا بنبهك مش أكتر ولا أقل مش عايزين اختيار منيل عن الأولاني وبس

نظرت إليها بحدة وأجابت بارتباك: انتِ متخيلة إني معجبة بإيهاب ولا متخيلة إيه يا هايدي؟ هو مجرد حاجة جديدة شغلت اليومين دول وعمل تغيير في البيت ولا أكتر ولا أقل لوحد مدي الموضوع أكبر من حجمه فأكيد مش أنا - أضافت بمزاح تحاول تلطيف توتر الجو - شكله عجبك أصلا فبتلزقي الموضوع فيا؟

ابتسمت هايدي وأكملت مزاح صديقتها: هو وسيم محدش ينكر أبدا ولو شغال أي شغلانة تانية كنت مسكت في رقبته وقلت عريس يا أبوي عريس طخه بس ما تموتهوش يا أبوي

نادت صابرين لحنين وصديقتها للمساعدة في غرفة حور ومحاولة إخراج الأثاث الصغير وتحويله لغرفة الضيوف، خرجت حنين لغرفة الاستقبال ليراقبها إيهاب وهو يقف فوق السلم يكمل دهان الحائط، انتبهت هي لنظراته وانتبهت أيضا لكلمات الأغنية ((راجعالك يا حبيبي أنا بالهوى مش بالأمر

جايّالك و حنيني أنا جيّالك و حنيني ده أحر من الجمر

و أنا شوقي يا حياتي شوق الموج للبر

خدني ف حضنك شوية و امسح دمعة عنيا

خليني أنسى اللي بيا))

استمعت لهذا المقطع لتجري بعدها من أمامه بينما تنهد هو

بوجع فهي أبعد من نجوم السماء بالنسبة إليه، لماذا يدق قلبه لحلم جديد يضاف إلى أحلامه المتحطمة تباعًا؟ لمَ دق قلبه لها؟ لقد تعلم الحياة دون مشاعر ودون أمل أو حلم في الغد وتقبلها باردة فارغة محطمة، لمَ دخل هذا البيت من الأساس ليدق قلبه لحلم مستحيل أم حب مميت يؤلم قلبه الموؤود؟

انتبه من أفكاره على صوت طلعت يناديه فأجابه : خير يا أسطى؟

أخبره بهدوء : خلص الحيطة دي بسرعة علشان تدخل أوضة الدكتورة يلا، العيال بيفضوها ويعملوا وش النظافة وأنت ادخل شوف درجة اللون النهائي والرسم اللي اخترته.

بالداخل أحست حنين بالضيق؛ فقلبها يدق رغمًا عنها، نظرت لصديقتها : ما تيجي نخرج نتمشى شوية برا ولا نروح أي كافيه نقعد فيه؟

وافقتها هايدي ثم خرجتا فأوقفتهما صابرين التي كانت برفقة إيهاب و تلقي نظرة على الحائط : رايحين فين كده؟

أجابتها حنين وهي تهرب من نظراته التي تخترقها : هنخرج نتمشى شوية ونقعد على أي كافيه نشرب حاجة.

أومأت صابرين بموافقة : تمام بس ما تتأخروش وحاولي يا هايدي زي ما قلتلك تقنعيها بالدكتور اللي قلتلها عليه مش هتلاقي عريس أفضل منه

هنا انتبه الجميع على وقوع الفرشاة من يد إيهاب الذي

ارتبك ونزل من فوق السلم معتذرًا : آسف بعد إذنكم.

توجه للداخل ليوقفه طلعت في الطرقة : رايح فين؟

أحس إيهاب بالحصار فنظر حوله ونطق أول ما خطر بباله : هدخل الحمام حضرتك عايز حاجة؟

أفسح الطريق له : لا اتفضل.

أغلق الباب خلفه واستند عليه وأغمض عينيه فرآها وهو مغمض العينين بشعرها المتطاير خلفها وهي تستند على سور الشرفة شاردة جميلة وقاتلة، نعم قاتلة لقد قتلته هو دون هوادة، تمنى لو يستطيع الخروج من هذا البيت دون عودة، رنت جملة صابرين في أذنيه (دكتور مش هتلاقي عريس أفضل منه)

ابتسم بحزن فبمَ كان يحلم؟ ألم يتعلم الدرس أن لا أحلام لمَن مثله؟

٣

توجه الجميع لصلاة الجمعة في المسجد القريب من منزل عبدالقادر، نادى عبدالقادر إيهاب ليسير بجانبه ويخبره عن تفاصيل التعديلات المطلوبة منه، وهو يمسك ذراعه يتكئ عليه ويسمعه إيهاب بشرود تام؛ فهو يفكر بترك هذا المنزل دون عودة.

دخل الجامع وساعد عبدالقادر حتى استقرّ مكانه ثم هم بالابتعاد فأوقفه : أنت رايح فين ما تقعد؟

ابتسم بحرج : هرجع ورا.

استغرب عبدالقادر وتساءل: ليه؟ ما تقعد يا ابني

أشار إيهاب لملابسه بإحراج : دي هدوم الشغل ومش هينفع أقعد بها كده في أول صف خليني أرجع ورا جنب زمايلي معلش.

ازداد تعجب عبدالقادر من حساسية إيهاب وحرجه فأشار بجانبه وقال بجدية : اقعد الشغل مش عيب ولا غلط وهدومك مش متبهدلة زي ما أنت متخيل.

لاحظ إيهاب نظرات الناس إليه فاعتذر منه مجددا : معلش سيبني براحتي بعد إذنك.

تفاجأ عبدالقادر برجل جانبه يهمس إليه بتأنيب: حضرتك إزاي عايزه يقعد جنبنا بهدومه دي؟ يعني المفروض كان غير قبل ما يجي الجامع أو يصلي برا.

نظر عبدالقادر إليه بضيق : ده بيت ربنا مفتوح للكل ومش حضرتك اللي هتقول المفروض مين يصلي ومين لا، ده إيه العقليات دي؟

هم الرجل بالرد ولكن وقف عبدالقادر مبتعدا عنه وتوجه ناحية إيهاب وزمائله الذين صمتوا تماما حين اقترب منهم وفوجئوا به يجلس برفقتهم دون حرج.

علق إيهاب باستغراب بعد جلوسه بجانبه : ليه؟

نظر إليه بابتسامة: من غير ليه.

استمع الجميع للخطبة وانتهت الصلاة وبعد التسليم مد عبدالقادر يده لإيهاب ببشاشة : تقبل الله

وضع إيهاب يده في يد عبدالقادر مؤمّنًا على كلامه ثم نظر لأيديهما وتساءل هل من الممكن في يوم من الأيام أن يضع يده في يد عبدالقادر لسبب آخر؟ لكن الإجابة واضحة للأعمى وهو تخطى هذه المرحلة.

دخل إيهاب غرفة حور ليبدأ الرسمة التي اختارتها، وقف أمام الحائط مطولًا دون أن يستطيع رسم ولو خط واحد على الحائط، يقف أمامه شاردًا ؛ فجملة صابرين تدوي في أذنيه، يحاول جاهدًا صرف نظره أو عقله دون فائدة.

اقترب خالد صديقه منه بحيرة : إيهاب بقالك ساعة واقف قدام الحيطة و الأسطى طلعت عمال يحوم حواليك ما تبدأ فيك إيه؟

نظر إليه بشرود ودون أن يجيبه عاود النظر إلى الحائط أمامه، دخل طلعت نظر لهما وأشار برأسه لخالد كي يتركهما فخرج مسرعا، اقترب من إيهاب و وقف بجانبه بهدوء وحين لاحظ أنه لم يتحرك أو يظهر أي ردة فعل سأله باهتمام : مالك يا إيهاب؟ بقالك كتير واقف قدام الحيطة وحاسس إنك مش شايفها أصلا.

زفر إيهاب أنفاسه الحارة دون أن ينطق بحرف فكرر طلعت بصوت صارم نوعا ما : بكلمك يا إيهاب، مالك؟

نظر إيهاب إلى طلعت بقلة حيلة : ماليش مش قادر أرسم

نظر إليه مطولًا قبل أن يسأله : ليه مش قادر ترسم؟

حرك كتفيه ونكس رأسه : مش عارف – نظر إليه وطلب بهدوء- هو ينفع أروح؟ واخصم يوميتي النهارده بس خليني أمشي

نظر طلعت إلى ساعته : أصلا احنا بقينا العصر وكلها ساعتين ونمشي و

قاطعه برجاء : معلش يا أسطى سيبني أروح بالله عليك.

استسلم طلعت أمامه وأومأ برأسه موافقا : روح هقولك إيه يا إيهاب

خرج طلعت وهو متعجب من حاله ولكن إحساسه يحدثه بما غير حالة إيهاب؛ فلقد نظر إلى الأعلى، إلى فوق مستواه بكثير وهذه هي النتيجة الحتمية.

خرج إيهاب مسرعا من هذا المنزل الذي يضيق به ذرعًا، نزل السلالم ليخرج إلى الشارع، فأغمض عينيه وتنفس وكأن الهواء انتهى بالداخل.

انتبه على صوتها تسأله : مالك؟

تنهد دون أن يفتح عينيه؛ فلقد وصل إلى مرحلة أنه يتخيلها أمامه ويسمع صوتها في أذنيه.

تكرر الصوت مجددا بقلق : انت كويس؟

فتح عينيه ليجدها أمامه وانتبه لصديقتها تقول: إيه يا ابني؟ في إيه؟

انتبه لهما فرد باقتضاب : مافيش عادي يعني.

سألته حنين بفضول : المرة دي الأسطى طلعت باعتك فين يا ترى؟

ابتسم بحزن وهو ينكس رأسه : مش باعتني أنا مروح

استغربت حنين وتوترت نبضات قلبها بعنف وسألت بلهفة : ليه مروح؟ خلصت؟ رسمت أوضة حور معقول؟

هز رأسه بنفي : لا لسه ما بدأتش فيها

كررت سؤالها باستغراب أكثر : طيب مروح ليه؟ ما كنت بتقعد لحد الليل!

نظر إلى عينيها بوجع وهو يتمنى الصراخ فيها ولكن اكتفى بابتسامة شاردة: عادي تعبان ومروح مش قادر أرسم

كررت سؤالها باهتمام : مالك بجد؟

تعجبت هايدي من صديقتها كذلك إيهاب الذي استنكر اهتمامها؛ فهي تقتله باهتمامها فسألها بضيق واضح : انتِ عايزة إيه مني بالظبط؟

استغربت ضيقه من اهتمامها بمشاعره فعقدت حاجبيها بضيق مماثل؛ فهي أحست بالإهانة منه لذا ردت بحدة : هعوز إيه مثلًا من واحد زيك؟ بسألك ذوقيا مش أكتر ولا ما بتفهمش في الذوق؟

ابتسم إيهاب بوجع؛ فهي أكدت مخاوفه، نظر إليها بألم لمسته هي في نظراته وكلامه : للأسف ما بفهمش فيه فعلا لأني طلعت غبي أوي، بعد إذنك

تركها يجر أذيال الخيبة، أحكم وضع حقيبته الصغيرة على كتفه وسار في سبيله وهي تراقبه وتتمنى لو توقفه وتمسك وجهه بيديها تمسح الحزن من عينيه وتطمئنه لربما الغد أفضل ولكن الغد ليس أفضل والأيام قاسية والليالي أقسى.

انتبهت على هايدي صديقتها تمسك ذراعها : مش يلا نطلع ولا هنفضل واقفين كده؟

نظرت لصديقتها وسألتها بشرود : هو ماله؟ حسيتِ إنه

قاطعتها هايدي بجدية : أحس بإيه وبمين يا حنين؟ حنين سيبيه في حاله، اهتمامك بواحد زيه غلط، وهو قالك أهو إنه

غبي، عارفة ليه قالك كده؟ لأنه ترجم اهتمامك وذوقك غلط ولأن مشاعره اتحركت ناحيتك وهو زي ما قالك ماحسش بالاهتمام قبل كده من أي حد حتى من أقرب الناس ليه، مش قلتيلي إن حتى أمه بطلت تعتبره ابنها وهو حس إنها بطلت تحبه؟ وأخواته شايفينه مكنة الصرافة بتاعتهم، يعني أقل اهتمام منك ترجمه غلط فحرام عليكِ سيبيه في دوامته وحاله لأنه مش حمل وجع جديد.

حركت حنين رأسها برفض لكلام صديقتها : هو ما ترجمش اهتمامي غلط، هو بس تلاقيه

قاطعتها مجددا : تلاقيه إيه؟ واحد زيه لما يحس بالاهتمام من واحدة في مستواكِ المفروض يعمل إيه؟ هو مش من وسط فيه صحوبية بين ولد وبنت ولا هو في جامعة متعود على وجود زميلات وبنات يتكلم معاهم، ده واحد اتحرم من أقل حقوقه والدنيا طحنته واضطر يسيب جامعته علشان يقوم بدور الأب اللي اتوفى، بقى في رقبته حبل مربوط يلف الساقية به وحمل على كتافه لازم يشيله، سيبيه في حاله يا حنين.

عقدت حاجبيها بضيق ورفض لما تسمعه من صديقتها وردت بحنق: كل ده علشان سألته مالك؟ انتِ مأفورة

أمسكت هايدي ذراعها وقالت بحزم : لا مش علشان سألتيه علشان انتِ مهتمة تعرفي ماله، علشان يا حنين من يوم ما دخل البيت وأنا وانتِ مش بنتكلم غير عنه، علشان إيهاب

برسمه وأحاسيسه نسخة من حنين القديمة اللي كانت بتسمع أغنية كلمات ألف مرة وتتمنى ترقص على نغماتها مع حبيبها المنتظر بس فاقت على كابوس بشع وهو زيك بيحلم ويتمنى ومتخيل إن بكرة أخواته يخلصوا تعليمهم وهو ساعتها يعيش مش عارف إن الحياة دوامة محدش بيعرف يخرج منها لأن بعد ما يخلصوا أخته محتاجة تتجهز وعقبال ما يجهزها ويجوزها، أخوه عايز يكوّن نفسه ويتم جميله ويساعد أخوه لحد ما يفتح عيادته ويتجوز وساعتها ...

استمعت حنين وهي تتخيل ما تقوله زميلتها بوجع ينغص قلبها ورددت : وساعتها إيه؟

ابتسمت هايدي بإقرار لواقع مرير لكن لا مفر منه : ساعتها العمر عدى والحلم اتدمر وهيفوق يلاقي نفسه لوحده ،أخواته واتجوزوا وكل واحد له حياته ولو افتكروا يقولوله شكرًا يبقى كتر خيرهم أوي، إيهاب صفقة خسرانة وهو المفروض يكون أوعى من كده ويعرف حقيقة نفسه، هو قرر يضحي علشان بيته وأمه واخواته، فخلاص هو ضحى بنفسه علشانهم مابقاش من حقه يشوف نفسه أو يحلم ببكرة لأن ده هيوجعه وبس فسيبيه يا حنين في وجعه، كفاية هو مش حمل وجع أكتر وخصوصا إن وجع الحب أصعب من كل اللي عدى عليه واللي هيعدي لسه، لو مهتمة به سيبيه في حاله، يلا اطلعي وارتاحي شوية وبكرة نتقابل، سلام.

صعدت حنين لغرفتها مباشرة وهي تتذكر رقصته على هذه الأغنية و ذلك المقطع وهو يمد يده ((وبدل ما تكون وحداني

تسندني معاك ونقوم))

وصل إيهاب بيته فقابلته والدته : جيت بدري يعني؟ ماجيبتش معاك حاجة يعني

نظر إليها بتعجب؛ لماذا لا تشعر بوجعه أو تسأله عن حاله مثلًا؟

أكمل طريقه دون أن يجيبها فأوقفته بنزق : يا إيهاب بكلمك عايزين نعمل غدا هات فلوس

أغمض عينيه بحزن فهذه هي وظيفته فقط ومهمته والجملة الوحيدة التي يسمعها في هذا البيت (هات فلوس) أخرج محفظته وأعطاها لوالدته وهو ينظر لعينيها علها تحس به وتضمه ولو لمرة : خديها كلها

أخذتها وأخرجت النقود تحصيها فابتسم بوجع وأكمل طريقه فهي حقا لا تراه.

وقف تحت المياه لينفض تعب يومه ويغسل الدهان كعادته كل يوم، خرج من المرحاض ثم أبدل ثيابه وتمنى لو ينام قليلا، دخل لغرفته وجد أخاه يجلس على مكتبه القديم أمام جهاز كمبيوتر قديم وحين رآه نظر إليه قائلًا : أنا عايز لاب توب يا إيهاب ودول أسعارهم مستعمل حوالي ١٠ آلاف جنيه بس بجد محتاجه.

نظر إيهاب إليه مطولا قبل أن يقترح : طيب انزل اشتغل باقي الإجازة وبعد الظهر في الكلية وهات اللاب

شهق مازن باستنكار: أنا أشتغل؟ وأشتغل ايه معلش؟ جرسون ولا نقاش زيك؟ أنا دكتور يا إيهاب دكتور وكلها سنة وأشتغل دكتور فموضوع الشغل ده مرفوض تماما بالنسبة لي.

دخلت والدتهما قدرية وهي تهتف : إيهاب أنا أخدت ٤٠٠جنيه وسيبتلك ١٠٠ وهنزل أجيب غدا، خد محفظتك

أوقفها مازن : يا أمي بقول لإيهاب عايز لاب توب بيقولي اشتغل، أنزل ازاي دلوقتي أشتغل وأنا كلها سنة وأبقى دكتور ها؟ عايزين زمايلي وأصحابي يقولوا عليا إيه؟ ولا حتى الناس هنا لما بكرة أبقى دكتور يقولوا ده الجرسون اللي كان أول إمبارح هنا ولا ايه بالضبط؟

ربتت والدته على كتفه بحب واضح : يا حبيبي ولا عاش ولا كان اللي يزعلك ولا يقول تشتغل غير دكتور قد الدنيا، يطلع إيه يا حبيبي اللاب توب ده وأنا أجيبهولك ولا بكام و أديلك فلوس تجيبه؟

راقبهم إيهاب بقلب موجوع فوالدته أم مثالية لمازن وأخته فقط أما هو فخرج من دائرة أبنائها، كل ما يريده منها أن تربت من وقت لآخر على كتفه وتخبره أنها تقدر تضحيته وتعبه.

ابتسم مازن لوالدته : مش أقل من عشرة آلاف وده مستعمل مش جديد كمان.

شهقت والدته وضربت صدرها : عشرة بحالهم يا لهووي –

نظرت لإيهاب وسألته- معاك كام منهم يا إيهاب؟

اتسعت عيناه من الصدمة فهي مستعدة حقًا لشرائه وبالأمس القريب سخرت منه حين طلب مقدمًا لشقة، تذكر رد فعلها وموقفها معه وقارنه برد فعلها الآن لشيء سخيف لا أهمية له، انتبه على صوتها العالي : بقولك معاك كام منهم يا إيهاب خلينا نجيب لأخوك اللي عايزه؟

اقترب إيهاب منها وتكلم بهدوء يسبق العاصفة : مش معايا منهم غير ال ١٠٠ اللي سيبتيها في المحفظة عايزاها خديها

هم بالخروج ولكن أمسكت ذراعه بعنف : معاك وكتير كمان أنت بتدكن من ورايا يا إيهاب فاكرني هبلة ولا مختومة على قفايا؟

جذب ذراعه بعنف منها مستنكرًا ردة فعلها وصرخ بها : على فكرة أنا ابنك زيهم لو كنتي نسيتي، أنا ابنك مش جوزك ومش واحد جايباه من الشارع يصرف عليكم، أنا بني آدم بحس وبزعل وبتعب وبشقى علشان تعيشوا مش علشان تجيبوا لاب توب – نظر لأخيه بغضب وقال – فلو مش هتشتغل وشايف الشغل عيب ومش هتساعد خلي عندك دم وحس بغيرك – نظر لوالدته بتهكم و وجع – معاكي انتِ فلوس تدلعي فيه وتجيبي اللاب اللي هو عايزه هاتيله الله يسهلكم بس سيبوني في حالي، بعد إذنكم.

تركهما في حالة ذهول من انفجاره وقبل أن يغلق الباب سمع أخاه يقول: هو ماله ده؟

علقت والدته بلامبالاة : تلاقيه متخاتق في الشغل، خليه يعمل الحبتين بتوعه ويفوق بعدها المهم اللاب توب ده مهم ولا إيه؟

أغلق إيهاب الباب خلفه بعنف؛ فلا فائدة من الصراخ حتى فلا أحد يراه في هذا البيت أو يشعر به.

صعد إلى السطح و جلس على أريكته المتهالكة ولحظات ثم كور جسده عليها وأغمض عينيه عله ينام ولو قليلا فهو مرهق.

بعد فترة استيقظ من نومه وفوجئ بالظلام يحيط به وصوت يناديه، لحظات واستعاد رشده، فهو فوق سطح بيته، وقف وأضاء النور ليدخل بعدها الأسطى طلعت وهو يطرق باب السطح فرحب به إيهاب بتعجب لمجيئه.

جلس بجانبه قليلًا قبل أن يسأله : مالك يا إيهاب وقاعد فوق السطوح ليه مش في بيتك تحت؟ سألت والدتك قالت إنك جيت وطلعت لفوق على طول

أجابه وهو ينكس رأسه بخفوت : ماليش مكان وسطهم تحت

استغرب طلعت إجابته وسأله باستفسار : يعني إيه مالكش مكان يا ابني؟ ده بيتك وبيت أبوك ده اسمه كلام يعني؟

ضحك بتهكم: بيت أبويا اه بس حاليا بقى بيتهم

لم يفهم طلعت سر تعاسته أو عبوسه فقال: وأنت إيه و هم

إيه؟

أجابه بشرود : هم عيالها وهي بتحبهم.

أمسك طلعت ذراع إيهاب عله يفيق : وانت ابنها قبلهم كمان.

ابتسم إيهاب وردد بسخرية : ابنها؟ يمكن زمان كنت ابنها لكن دلوقتي؟؟؟

رد طلعت بتأكيد : دلوقتي ابنها ولآخر العمر ابنها.

نظر إيهاب له وقال بإيجاز: حضرتك مش جاي علشان تكلمني عن أمي وعلاقتي بيها صح؟

علق بمزاح: فأنجز وأقول اللي جاي علشانه وأحل عنك صح كده؟

نفى إيهاب بسرعة : لا العفو يا أسطى بس أقصد

قاطعه بتفهم: أنا فاهم قصدك وعلشان أطمنك أنا جاي أطمن عليك مش أكتر ولا أقل، انت عامل إيه؟ كويس؟

ابتسم بعرفان : أنا كويس الحمد لله.

ربت على كتفه برفق : إيهاب انت غالي عندي أوي وربنا يعلم إنك زي ابني وعلشان كده بحوم حواليك، ما تبصش لفوق علشان ما تتعبش.

ابتسم إيهاب بتهكم على حاله وكرر بشرود : علشان ما أتعبش؟ وهو إيه اللي في الدنيا كلها مش متعب؟ الحياة كلها

تعب في تعب.

حاول طلعت مواساته : بس فيها حاجات بتعوض التعب ده، بكرة لما تتجوز و

قاطعه باستنكار تام : أتجوز مرة واحدة؟ انت طيب أوي يا أسطى، أمي لما انت عرضت عليا آخد الشقة بهدلتني واتريقت عليا وبعدها لما هبة قلعت حلقها وفضلت تزن عليها وافقت ناخدها ولقيت معاها فلوس المقدم وعرفت إنها بتحوش من ورايا.

علق طلعت بهدوء : طيب ده شيء كويس إنها ست واعية وبتشيل للزمن.

وضح بحزن: أنا مش ضد إنها تحوش ولا إنها تشيل، أنا ضد إنها تخبي عني وتحسسني إني مهما أعمل ومهما أتعب ومهما أشتغل مش كفاية ودايما البيت ناقص ودايما الحالة صعبة ويوم ما أحتاج تستخسر فيا.

حاول طلعت الدفاع عنها أو التخفيف عنه : مش هي طلعت الفلوس وأخدت الشقة؟

رد إيهاب بحدة : أخدتها بعد إيه؟ أيام بتحايل عليها وبدور على أصحابي علشان أستلف منهم لأني عارف إني عمري ما هلاقي زيها ولا هعرف أجيب غيرها ولأني عارف إنك عاملها مساعدة ليا ولما ادتني الفلوس أصرت نكتب العقد باسمها لو تفتكر وشرطت إني ماعملش فيها أي حاجة ولا أصرف عليها مليم لحد ما اخواتي يتخرجوا

سأله طلعت بحيرة : كل ده إيه اللي فكرك به دلوقتي؟ وإيه مزعلك النهاردة؟

أجابه بحدة ووجع : النهاردة مازن عايز لاب توب تمنه قد مقدم الشقة تخيلت إنها هتثور وتقوله إزاي وارحم أخوك ولا اشتغل وساعده حتى في الإجازة لكن لا لقيتها مرحبة وعادي وجاية تسألني معايا كام منهم علشان هي مصممة إني بخبي فلوس من وراها، قلتلها يشتغل صرخت وقالت دكتور وما يشتغلش وغيره وغيره وغيره – تنهد قبل أن يسأله مجددا – فخير يا أسطى أنت جاي تسمع مأساتي ولا جاي تنبهني لحاجة معينة ولا جاي ليه؟ قول لو سمحت بدون لف ودوران ولا تزويق كلام.

نظر طلعت إليه طويلا ثم أردف بتنبيه: جاي بصراحة أقولك حط حد بينك وبين عبدالقادر وبناته، اعمل حدود في الكلام واعرف

قاطعه إيهاب وهو ينظر إليه بحزن : أعرف ايه؟ مكانتي؟ وإني في الأول والآخر نقاش مهما أقرأ ومهما أعمل في الآخر اسمي نقاش صح ده اللي عايز تقوله؟ ما تقلقش أنا عارف ده كويس وعرفت إن حتى التمني أو الحلم حرام للي زيي – أخرج تنهيدة حارة قبل أن ينظر إليه بابتسامة مصطنعة – انت مش محتاج تحذرني ولا تفكرني بمكانتي لأني عارفها كويس.

ربت طلعت على كتفه بتعاطف : هم طبقة واحنا طبقة

وهفضل أقولها لو عندي بنت في سنك كنت جوزتهالك من غير ما أتردد لحظة انت راجل والرجالة في زمننا ده قليلين.

ابتسم إيهاب بعرفان : وده كفاية عليا تقديرك و احترامك والله كفاية.

وقف طلعت منهيًا النقاش : هتيجي بكرا الشغل ولا هتريح.

تساءل إيهاب بشرود : لو قلتلك مش عايز أدخل البيت ده تاني هتقولي إيه؟

نظر إليه مليًا قبل أن يجيبه : هقولك ارسم الرسمة اللي في أوضة الدكتورة وبعدها براحتك ما تجيش، احنا نكمل الشغل و اللي وعد ينفذ يا ابني وبعدين انت ممكن تريح بكرة وقت إجازتهم وانزل بعده وهم في الشغل لو ده يريحك؟

هز رأسه بموافقة وشكره لاهتمامه وزيارته وإحساسه به.

جلست دعاء في شقتها بانتظار زوجها؛ لقد طلبت ابنته أن تذهب لجدتها بالاتفاق مع والدتها، تأخر سمير فاتصلت بوالدتها التي أخبرتها أنه جاء بابنته ثم غادر منذ وقت طويل، فتحت دعاء باب شقتها وسمعت صوت ضوضاء عالية عند حماتها فتيقنت أن زوجها دخل عندها.

رجعت لمنزلها كي تنتظر عودته؛ فهي قررت مصالحته لكن حماتها أضاعت الفرصة، انتهى اليوم في شجار سخيف لا معنى له.

وضعت يدها على خدها بملل وفكرت أكثر من مرة في

الاتصال به لكنها تعود لتتراجع في كل مرة.

دخلت غرفتها فاستعدت وتزينت لزوجها علها تستطيع مصالحته، حتى سمعت أخيرًا صوت مفتاحه فتوجهت سريعا لتستقبله، دخل وتفاجأ بمنظرها فنظر إليها بعتاب فاقتربت منه ووضعت ذراعيها حول عنقه وهمست بدلال: بقالي ساعتين مستنياك.

علق بتهكم : في اختراع اسمه موبايل كان ممكن تتصلي بيا

داعبت شعره بأصابعها وهي تحاول إذابة الجليد بينهما : كنت عايزة أفاجئك وما تخيلتش إنك هتتأخر

كرر : واتأخرت اتصلي

ضمته إليها بحب : ما يبقاش قلبك أسود بقى أنا بحاول أصالحك أهو

نظر لعينيها قبل أن يوضح بجدية: أنا مش محتاجك تصالحيني ولا إحنا متخانقين ومحتاجين نعتذر، دعاء أنا تعبت من قصة الخلفة دي كل يوم والتاني، تقريبا بقت حياتنا بتدور حوالين نفس النقطة وبنتكلم بنفس المنطق ودي مش عيشة، ربنا مش رايد مش هنعانده وقلتلك بدل المرة ألف مش فارق معايا يبقى نفضها سيرة في الموضوع ده مش كل يوم ننغص على نفسنا بيه.

ابتسمت بإحراج: خلاص هقفله بس خدني في حضنك

ينفع؟

ضمها لقلبه وهو يتنهد باشتياق لمحبوبته التي يعشقها.

أنهت أميرة عملها وخرجت وبعد خطوتين سمعته يناديها : ميرو استني

نظرت خلفها فابتسمت حينما رأته أمامها : أحمد إزيك

اقترب منها وبعد السلام عاتبها : استنيت تكلميني بس طنشتِ

نظرت للأرض بإحراج : مش حكاية طنشت بس اتحرجت أتصل وماعرفتش أقول إيه؟

ابتسم بتفهم لحرجها : ماشي هقبل عذرك العبيط ده بمزاجي، طمنيني أخبارك إيه؟ الدراسة قربت خلاص مستعدة؟

ابتسمت بحماس : مستعدة ومشتاقة ليها كمان، انت أخبار شغلك إيه؟

طمأنها عن حاله وشغله وقبل أن تهرب من أمامه كعادتها قال: عايز أتكلم معاكي شوية يا ميرو، تعالي نقعد شوية نتكلم.

سارا سويًا وجلسا على ضفاف النيل وانتظرت حديثه فقال بهدوء : طبعا يا ميرو إحنا نعرف بعض من كذا سنة والحمدلله أنا اتخرجت أهو وبقى عندي شغلي الخاص، أخدت شقة كمان ناقصة الفرش يدوب.

علقت أميرة بخجل وهي تفهم ما يرمي إليه من حديثه؛ فمنذ سنين وهي تنتظره يفتح هذا الموضوع تحديدا، سألته وهي تحاول أن تظهر بمظهر الجاهلة لمشاعره : انت بتقولي كل ده ليه يا أحمد؟ ربنا يوفقك يارب بس

قاطعها بهدوء : انتِ عارفة كويس بتكلم كل ده ليه ولو مش عارفة أعرفك، أنا بحبك يا أميرة وقبل ما تقومي تجري أو تهربي عايز رد منك.

قالت بخفوت: رد على إيه ولا إيه؟

نظر لعينيها مباشرة: تتجوزيني؟

نظرت إليه بصدمة ؛ فهي لم تتخيل أبدًا أن يُلقي هذا السؤال مباشرة هكذا، تخيلت الكثير ولكن ليس هكذا.

طال صمتها فكرر سؤاله : قلتِ إيه؟ تتجوزيني؟

حركت رأسها برفض وردت بحيرة : أنا لسه قدامي سنة يا أحمد و

قاطعها بهدوء : ولو استنينا السنة دي أخوكي هيكون خرج وهيرجع لتحكماته من تاني ومعرفش هيوافق ولا إيه رده؟

نظرت إليه بصدمة مجددًا : انت قصدك نتجوز من وراه؟

طمأنها : لا يا ميرو مش ده قصدي بس قصدي إننا ناخد خطوة دلوقتي نقفل عليه سكة الرفض وبعدين أنا مش هتجوزك في السر يا بنتي، هاجي بيتك وأطلب إيدك من

والدتك، خايفة من إيه؟

تركها لتستوعب كلامه قبل أن يكمل : ها قلتِ إيه؟ آجي امتى لوالدتك؟

نظرت إليه والصدمة مازالت مسيطرة عليها : تيجي فين؟ يا أحمد أخويا مش هيوافق

حافظ على هدوئه : لحد إمتى هتسمحيله يدمرك ويتحكم فيكِ؟ ما تعبتيش من تحكماته؟ أميرة أنا بحبك ومن سنين وانتِ أكيد لمستي الحب ده، إديني فرصة أحميكِ منه، إديني الحق فيكِ.

نظرت لعينيه بوجع : ولو انت طلعت زيه؟ ولو اتنقلت من تحكم لتحكم تاني بس بنوع مختلف؟

مد يده يمسك يدها بحنو: حبيبتي انتِ عارفاني من سنين مش النهارده ولا إمبارح، أميرة انتِ عارفاني كويس جدا ما تشكيش فيا دلوقتي.

صمتت قليلا تفكر فيما تسمعه وقلبها يؤكد أنها ستسعد معه فهو يحبها وهي تحبه، سنوات مضت وهو بجانبها يسمعها ويخفف عنها فلمَ التردد الآن؟

انتبهت على سؤاله مجددا : تحبي إمتى آجي أتكلم مع والدتك؟

تنهدت باستسلام وابتسامة يعشقها هو: خليني أقولها و أرد عليك.

مازحها : آه زي ما رديتِ عليا قبل كده؟

ابتسمت ونفت : لا لا هكلمك وأقولك.

أكد عليها : هديكِ فرصة بكرة تكلميني لو ماكلمتينيش هتلاقيني بعده عندك أنا وأهلي انتِ حرة.

ابتسمت و وقفت وهي تنظر لساعتها : أنا أتاخرت يا أحمد

أكمل جملتها وهو يقف: ولازم تروحي حاضر يا ستي، هوقف تاكسي لحظة.

راقبها حتى اختفت وهو يطمئن نفسه أن أيام قليلة وستصبح ملكه؛ فهو يعشقها منذ سنوات مضت.

وصلت أميرة لبيتها واستقبلتها والدتها ثناء بقلق : اتاخرتي يا أميرة قلقتيني عليكِ.

ابتسمت وهي تجلس بجانب والدتها : النهارده أحمد جالي الشغل واتأخرت معاه.

عقدت حاجبيها وعلقت بتحذير : أحمد؟ هو علشان أخوكِ مش موجود هندور على حل شعرنا ولا إيه؟ يطلع مين أحمد ده كمان؟

وقفت أميرة بغضب : أنا عمري ما دورت وعمري ما تخطيت حدودي ومش علشان أمجد كان موجود بس علشان أخلاقي ما تسمحليش أتمادى في أي حاجة غلط فلو سمحتي يا ماما، بعدين اسمعيني للآخر بعدها علقي، أحمد انتِ عارفاه كويس ومن زمان لأني ماليش زمايل غيره وما بتكلمش غير عليه.

علقت والدتها وهي تعقد ذراعيها أمام صدرها : سامعاكِ اتفضلي قولي جالك ليه ولا كان عايز إيه؟

ابتسمت مجددا وجلست أمامها : عايز يجي يقابلك هو وعيلته ويطلبوا إيدي.

ضدمت ثناء؛ فهي غير مستعدة لهذه الخطوة الآن فعلقت بضيق : لما أخوكِ يطلع بالسلامة يبقى يجي مش دلوقتي و

قاطعتها أميرة بغضب : تاني هتكبريه وتقويه علينا؟ تاني يا ماما هتخليه الكل في الكل؟ مفيش فايدة فيكِ؟ لعلمك أمجد لو محبوس فبسببك انتِ وبس، انتِ اللي وصلتيه للمرحلة دي لأن عمرك ما وقفتيه عند حده ولا عمرك قلتيله ده غلط وده صح لحد ما بقى مريض ومهووس ودمر نفسه بس مش هسمحلك لا انتِ ولا هو تدمروني معاكم.

استمعت ثناء لكلام ابنتها دون أن تنطق بحرف؛ فهي تلوم نفسها أنها لم توقفه عند حده وتركته يتمادى في معاملته لزوجته، هي المخطئة بالفعل؛ جعلته يتحمل مسئولية أكبر منه منذ صغره وجعلته الآمر الناهي في المنزل وكلامه يُنفذ دون نقاش حتى لو كان خطأً.

التفت أميرة لتترك المكان لوالدتها ولكن أوقفتها بسؤالها : رايحة فين كده؟

ردت بحسم دون أن تنظر إليها : هكلم أحمد أقوله إني موافقة أتجوزه وقبل ما أمجد يخرج - نظرت لوالدتها

وتابعت بحدة- مش هسمح لأمجد يتحكم فيا تاني.

تركتها ودخلت غرفتها غاضبة، أمسكت هاتفها وبالفعل اتصلت به فرد خلال لحظات : ها آجي امتى؟

أجابته بحزم وإصرار : بكرة لو تقدر.

ابتسم وعلق بفرحة : أقدر طبعا الساعة ٧ كويس؟

وافقته ثم سألته بتردد : أحمد أنا عايزة أخرج من البيت ده قبل ما أمجد يخرج، ماما رافضة إنك تتقدم دلوقتي وبتقولي لما أخوكِ يطلع ولو أمجد طلع ممكن يرفض.

اختفت ابتسامة أحمد وحل محلها القلق فهل هي توافق هربًا من تحكمات أخيها فقط أم هي تبادله شعوره؟ سؤال طرح نفسه دون إجابة.

استيقظ إيهاب من نوم متقطع مجهد، أخذ يفكر كثيرًا هل يذهب إلى عمله اليوم أم ينتظر للغد؟

وقف طلعت بسيارته في مكانه المعتاد ورجاله أمامه وهو ينظر للمجهول مفكرًا ؛ هل سيأتي اليوم أم لا؟

أخيرًا ابتسم حين رآه مقبلا عليه وعلق حين اقترب : جيت؟

ابتسم إيهاب بهدوء : زي ما قلت اللي بيوعد لازم يوفي، يلا بينا.

ركب السيارة مع أصدقائه ليتحرك طلعت.

تحرك الجميع لداخل بيت عبدالقادر وإيهاب دخل بتردد وقلبه ينبض بعنف، استقبله عبدالقادر مبتسما: عامل إيه النهارده؟ الأسطى طلعت قلقني عليك إمبارح وقالي إنك تعبان وروحت

ابتسم له بود : أنا بخير كان إرهاق وإجهاد مش أكتر.

تبادل معه أطراف الحديث ثم انتبه كلاهما على خروج حور التي اقتربت منهما : هترسم الأوضة النهاردة؟ - قبل أن تعطيه فرصة للإجابة أكملت – انت لازم تخلصها النهارده أنا متطفلة عند حنين وهي بقت شخصية مزعجة.

علق أبوها بلوم : وبعدين يا حور؟

نظرت إليه مؤكدة رأيها : يابابا حنين رخمة بجد انت بس علشان بتحبها زيادة مش شايفها رخمة – نظرت لإيهاب وتابعت- خلصني منها ورجعلي أوضتي ممكن؟

هز رأسه بموافقة : هحاول أخلصها النهاردة إن شاء الله، الرسمة اللي اخترتيها، فيها أي تغيير؟

دار النقاش لعدة دقائق بينهما قبل أن تعتذر وهي تنظر لساعتها : أنا كده اتأخرت على شغلي.

سألها إيهاب بفضول : أنتِ بتشتغلي؟ بجد؟

أجاب والدها بمزاح : بتتدرب في صيدلية بس عايشة الدور بقى كده وحركات.

عقدت حاجبيها بضيق: بابا، مش ملتزمة بميعاد ومسئولية

وبصرف أدوية وبعمل كل اللي بيتطلب مني؟ - نظرت لإيهاب – يبقى شغل ده ولا مش شغل؟

ابتسم إيهاب معلقًا : شغل طبعًا، ربنا يوفقك ويإذن الله الأوضة تخلص على خير وتعجبك يارب.

خرجت حور للصيدلية التي تتدرب فيها وحين وصلت استقبلها حمزة مرحبًا بها كعادته : دكتورة حور يا أهلا بيكِ.

ردت بابتسامة عملية : أهلًا بيك يا دكتور

- نظرت حولها لعدة علب كبيرة فسألته بفضول : إيه الكراتين دي؟

أجابها : دي الطلبية اللي عملناها وصلت هنتمم عليها ونرصها.

وضعت حقيبتها وشمرت عن ساعديها بحماس : يلا هساعدك، هنتمم الأول عليها صح؟

نظر إليها مبتسما وهو معجب بحماسها وذكائها : يلا هنفتح واحدة واحدة ونراجع الموجود فيها ونقارنه بالقايمة دي.

وصل والده دكتور محي الدين وابتسم حين وجدهما أفرغا معظم الكراتين ومنهمكينِ في مراجعتها، انتبها على دخوله فوقف حمزة مسرعًا احترامًا لوالده الذي أشار لهما بالاستمرار في عملهما، نظر لحور بتمعن ؛ فهي تعجبه بشدة.

جالسة حنين في غرفتها وهي في جدال عقيم مع نفسها كي لا تخرج من غرفتها وتتركه في حال سبيله كما نصحتها

صديقتها لكنها بعد فترة لم تتحمل الجلوس أكثر من ذلك فخرجت ورأته مع باقي العمال وحين رآها ابتعد عن المكان بسرعة لتتعجب هي من تصرفه ولكن ربما هي مخطئة وهو لم يتعمد الابتعاد.

تعمدت بعد فترة الخروج لتعد لوالدها قهوته المفضلة، مرت من أمامه وتقابلت نظراتهما فابتعد مسرعًا وهرب إلى الحمام فتيقنت أنه يحاول الهروب منها.

دخل إيهاب غرفة حور وبدأ العمل بها، حاول جاهدًا الانتهاء من الغرفة قبل أن ينتهي النهار، انتصف النهار وانتبه إيهاب على صديقه خالد يقول: هوبا تعال كل لقمة معانا.

رفض بهدوء؛ فهو يحاول أن ينتهي بسرعة قدر الإمكان.

خرجت حنين من غرفتها وحاولت تجاهل وجوده في غرفة أختها وتوجهت للخارج لتعد لنفسها شطيرة لتأكلها، لاحظت أن كل العمال مجتمعين إلا هو، دخلت المطبخ تعد لنفسها شيئًا فجهزت شطيرتين ثم توجهت إلى غرفة أختها ووقفت عند الباب راقبته وهو شارد في رسمته، يرسم بكيانه كله.

حمحمت كي ينتبه إليها، التفت ليدق قلبه بعنف فرؤيتها تنعش يومه، لاحظ أنها تتحدث فانتبه إليها : سوري انتِ قلتِ حاجة؟

سألته باهتمام: انت ليه مش بتاكل مع زمايلك؟

حرك كتفيه بهدوء : عادي بس عايز أخلص الرسمة دي

النهاردة.

دخلت الغرفة واقتربت منه ليدق قلبه بكل خطوة تخطيها ناحيته : ليه عايز تخلصها بسرعة؟

حاول أن يكون طبيعيًا قدر الإمكان بدون التوتر الذي يشعر به : عادي بس عايز أخلص النهاردة.

- ليه عايز تخلص النهاردة؟

بمَ يجيبها؟ هل يخبرها أنه يريد الهروب بقلبه قبل أن يصل لمرحلة اللاعودة؟ أم هو تخطى مرحلة العودة من الأساس؟

حين طال صمته علقت بتهكم : انت بتهرب ليه مني؟

تعجب من فهمها لهذه الحقيقة الصادمة، انعقد لسانه فكررت بإصرار : بتهرب ليه؟

حاول أن يجيبها بشكل طبيعي : مش بهرب وههرب ليه أصلا؟ عادي

حركت رأسها وهي تحاول تصديقه : انت شايف إنه عادي؟

أمسك فرشاته وهو يقلب بعض الألوان بلامبالاة : صدقيني عادي بعدين اللي مش عادي هو اهتمامك بواحد زيي

عقدت حاجبيها بضيق : ده مش اهتمام ده مجرد

قاطعها ليكمل هو جملتها : ده مجرد إنك بتتعاملي بذوق معايا، عارف للأسف فإذا سمحتي بلاش.

سألته بحيرة : بلاش إيه بالضبط؟

رد بخفوت : بلاش تهتمي وبلاش تتعاملي بذوق معايا وبلاش حاجات كتيرة أوي خليني أخلص الرسمة اللي ورايا وأخرج من البيت ده.

ابتسمت بتهكم : تخرج من البيت ده؟ للدرجة دي البيت ده واجعك؟

قاطعهما دخول الأسطى طلعت الذي لاحظ جو التوتر فعلق : خير يا أستاذة حضرتك محتاجة حاجة؟

نظرت إليه بهدوء : اه بطلب منه يعدل حاجة في أوضتي بس هو رافض

استغرب كلاهما ونظر طلعت لإيهاب بذهول : خير يا إيهاب؟

نظرت إليه بتحدٍّ أن يكذِّبها لكنه تدارك الموقف وقال: أنا بس قلت أخلص هنا الأول وبعدها أشوف هي عايزة إيه.

علقت حنين بهدوء غير معتاد منها : وأنا بقولك دلوقتي لأن بعد كده أنا هنزل شغلي ومش هكون فاضية غير النهاردة بس فاعمل التعديل اللي أنا عايزاه الأول.

وافقها طلعت : عندك حق حضرتك النهارده إجازة، حاضر يا أستاذة هنشوف إيه اللي حضرتك عايزاه وكله هيبقى تمام، يلا يا إيهاب شوف الأستاذة عايزة إيه؟

ترك إيهاب غرفة حور ليذهب برفقة حنين إلى غرفتها ثم نظر للحائط بعملية: عايزة تعدلي إيه؟

نظرت بدورها للحائط وهي تحاول أن تفكر في أي تعديل دون جدوى، وأخيرا نطقت ما خطر ببالها: عايزاك تعدل البنت دي وتعملها بوشها

نظر إليها بذهول تام غير قادر على النطق فكررت هي : إيه بتبصلي كده ليه؟ مش عاجباني إن البنت بظهرها كده عايزاها بوشها.

علق بذهول تام : مستحيل، أنتِ بتتكلمي في إني أهد الصورة علشان أعملك التعديل ده؟

حركت كتفيها بلامبالاة : انت عملت الأوضة من ورايا يبقى تتحمل تعديلاتي، بعدين كل اللي شاف الرسمة قالي دي أنا فهل انت كنت قاصد ده؟

سألها بتيه : قاصد إيه؟

وضحت : قاصد ترسمني أنا؟ هل دي أنا؟

حاول التهرب ولكن أين المفر؟ نظر لعينيها : والدك وصفك كتير ليا وحاولت إني أعملها شبهك في النهاية دي أوضتك انتِ.

اقتربت خطوة منه وسألته بإصرار: يعني دي فعلا أنا؟

حاول الفرار من سؤالها وهو يلتفت للحائط : في أي تعديل تاني؟

نظرت للصورة : الوردة دي مش عاجباني، عايزة واحدة

غيرها وتكون واضحة مش باهتة كده وزود الفراشات المرسومة حاسة إن الرسمة ناقصة

وافقها قائلا : آه تمام ده كده سهل، حاضر هعملك كل اللي حضرتك عايزاه بعدين فعلا الرسمة ناقصة لأني ما لحقتش أكملها أصلا وانتِ ما اديتينيش فرصة، ينفع أروح أكمل أوضة الدكتورة حور الأول بعدها..

قاطعته بإصرار ورفض : لا اعمل دي الأول.

تقابلت نظراتهما وهي تحاول فهم نظراته وهو أيضا يحاول أن يفهم سر إصرارها.

حرك رأسه باستسلام : تمام.

تحرك متجهًا للخارج فأوقفته باستنكار : رايح فين؟

نظر إليها بدهشة: هجيب الألوان والفرش أكيد مش هرسم بايدي.

عقدت حاجبيها وهي تقر بغبائها لنفسها فأشاحت بنظرها بعيدًا، أمّا هو فتوجه للخارج ليحضر أدواته وهو يدعو الله أن يلهمه القوة والثبات للنهاية.

أحضر كل أدواته وبدأ في تنفيذ طلباتها وإنهاء رسمته تحت أنظارها وحالة من الصمت تسيطر عليهما حتى قطعتها هي : لو عايز تشغل حاجة ترسم عليها براحتك

شكرها بجفاء نوعًا ما دون أن ينظر إليها.

صمتت وهي تشعر بالغيظ؛ فهو يغلق أي مجال للنقاش، مرت فترة قبل أن تسأله بفضول : الطريقة اللي كنت بترسم بيها في الصالة برا على أغنية فاضي شوية.

نظر تجاهها بتساؤل: مالها؟

سألته بفضول وصوت هامس : ليه مش بترسم بيها دلوقتي؟ حركاتك الغريبة واندماجك مع الرسمة والألوان، كل حاجة كانت غريبة وكأن في روح متملكاك ساعتها

علق وهو يبتسم ويمسح فرشاته : الرسم بيتملكني ساعات فعلا، لكن مش قرار باخده وأقول هرسم بالطريقة الفلانية لا، مجرد حالة بعيشها مالهاش تفسير و وقت مجرد إحساس وأكيد مش و حد بيراقبني.

- اعتبرني مش موجودة.

نظر لعينيها مباشرة : ما قلتلك مش قرار، إحساس

بادلته نظراته وهمست : وإحساسك دلوقتي بيقولك إيه؟

أطال النظر إليها قبل أن يجيبها بصدق : بيقولي اهرب من البيت ده وبسرعة.

عاد لرسمته وهي تذكرت الطعام الذي أعدته فخرجت لإحضاره على صينية وأعدت معها كوبين من الشاي ثم عادت لغرفتها وضعتها على الطاولة الصغيرة بجانب سريرها : تعال خد ساندوتش معايا.

شكرها دون أن يلتفت إليها فكررت : ماتقوليش شكرًا،

انت جاي من بدري وما أكلتش مع زمايلك وأنا بالفعل عملت حسابك معايا فاتفضل.

مدت يدها إليه فنظر ليدها برهة قبل أن يأخذ قراره ويمد يده إليها ليريها أنها ملطخة بالدهان، نظرت حولها وسحبت عدة مناديل وأحاطت بهم الشطيرة ليستطيع مسكها: مش حجة اتفضل وكُل.

أخذها منها قبل أن تعلق هي : أنا بحب أحمص العيش كده وأسيح فيه الجبنة معرفش بتحبه ولا لا بس افترضت إن كل الناس بتحبه زيي.

ابتسم لمنطقها قبل أن يشكرها وهو يأكلها فناولته كوب الشاي وهي تضيف : وافترضت إنك بتحب الشاي مظبوط.

حاول أن يداري ابتسامته ولكنها رأته فعلقت : على فكرة المفروض إن أنا الشخصية الكئيبة في البيت ده فلو سمحت ما تتقمصش دوري.

سألها فجأة بفضول : ليه انتِ كده؟ اللي فهمته إن في حاجة حصلتلك بس إيه هي؟

ضدمت من سؤاله وارتفعت نبضات قلبها فهي لا تريد أبدا أن تتذكر تجربتها المريرة، همست وهي تغمض عينيها : كنت بآمن بالحب وبحلم بالحبيب المنتظر وجالي الحبيب اللي عماني بكلماته المعسولة – صمتت قليلًا قبل أن تضيف وتلقي قنبلتها إليه – فصدقته واتجوزته.

هنا اتسعت عيناه من الصدمة، هل ما سمعه حقيقة؟ هي متزوجة؟ آلاف الأسئلة برزت أمامه فنطق بصعوبة: انتِ متجوزة؟ وفين جوزك؟

أجابته بهدوء : في السجن

لم يستوعب كلامها وحاول عقله تفسير ما يسمعه ولكن أحس بالعجز فعقله قد توقف فكرر ببلاهة : في السجن؟ أمال إزاي والدتك عايزة تجوزك وانتِ متجوزة؟

هنا انتبهت أنه لا يعلم بطلاقها فوضحت بسرعة : ما هو بابا طلقني منه عن طريق المحكمة وحاليا حياتي انتهت وماعنديش استعداد أصلا أخوض التجربة دي تاني أبدًا، أمجد أخد مني كل حاجة وأخد حياتي كلها معاه.

وضع إيهاب الكوب من يده ونظر للحائط أمامه ثم نظر إليها مجددًا بإيجاز : الرسمة كده أعتقد اتظبطت في حاجة تانية عايزاها مني؟

استغربت تغييره للموضوع ونظرت للرسمة أمامه قبل أن توافقه بإحباط: آه تمام كده.

جمع أدواته كلها وهي مندهشة من سر تغيره وراقبته وهو يخرج من غرفتها.

دخل غرفة أختها وجلس على الأرض فآخر ما تخيله أنها تزوجت وتعشق رجلا آخر وترفض الارتباط بغيره.

لقد طلقها أبوها رغما عنها وهي مازالت ترفض الارتباط

بغيره.

استغرب من نفسه ففي كل الحالات هي حلم بعيد المنال فلمَ يشعر الآن بطعنة غدر؟ لم يشعر بكل ذلك الوجع في قلبه؟

دخل الأسطى طلعت ليجده جالسا على الأرض يستند على الحائط فوقف وهو يزفر بضيق رأفة بحاله : وبعدين يا إيهاب؟

رفع رأسه إليه بضعف: حاضر هقوم أكمل

اقترب منه بتعاطف : ياابني مش بتكلم عن الشغل بتكلم عنك وبعدين معاك؟

وقف بتهالك: أنا كويس وبعدين يا أسطى على رأي المثل ياما دقت على الرؤوس طبول فما تقلقش أنا بخير.

توجه للحائط لينهي الرسمة بسرعة ويخرج من هذا البيت للأبد.

في شقة سارة، جالسة باسترخاء تمسك مجلة بيدها تتصفحها بفتور وملل وعقلها يتذكر الأستاذ زهير بلباقته و وسامته التي يشهد بها الجميع، هو أرمل ومناسب للغاية فهل من الممكن أن تستطيع لفت انتباهه؟

انتبهت على دخول زوجها لمعي وجلوسه بجانبها، مد يده يمسك خصلات شعرها قائلًا: ما تقومي كده يا حلوة تعمليلنا حاجة نشربها؟

نظرت إليه باشمئزاز؛ فهي تكرهه : وما شربتش عند مراتك التانية ليه؟ جاي تتعبني أنا؟

عقد حاجبيه وبصوت خشن : هو إيه يا بت كل حاجة مراتك التانية، مراتك التانية؟ ما انتِ مراتي يا حيلتها، قومي فزي اعمليلي حاجة أشربها عقبال ما أجهز حجرين أطفحهم، قومي.

قامت من مكانها على مضض ودخلت المطبخ تعد له أي مشروب ساخن علها تتخلص منه.

أعدت له مشروبه و وضعته أمامه وقبل أن تبتعد أمسك ذراعها : اقعدي جنبي يا سارة شوية، سليني.

شهقت باستنكار : ليه شايفني أراجوز ولا إيه؟ قال أسليه قال.

أمسك ذراعها بعنف وأجلسها بجانبه رغما عنها : اترزعي يا بت، إلا قوليلي يا حلوة بقالنا كتير متنيلين ماخلفتيش ليه؟

نظرت إليه وهي تتمنى لو تستطيع قتله : ما انت يا راجل عندك أورطة عيال عايز تخلف تاني ليه؟

ابتسم وهو يغمز إليها : الخلفة منك انتِ حاجة تانية يا بت، هاتيلي عيل حلو زيك كده.

ابتعدت عنه بنفور: لا شكرًا كفاية اللي عندك وبعدين أنا مش بتاعة خلفة.

وقف خلفها ممسكا شعرها قبل أن تبتعد : يعني انتِ صح

مانعة نفسك يا بت؟ الولية مراتي قالتلي وما صدقتهاش

ضحكت سارة بغيظ : لا صدقها يا أخويا مش عايزة أتنيل وأخلف منك.

جذبها بعنف : بس أنا عايز عيال يا حيلتها.

حاولت تخليص شعرها من يده وهي تقول بتحدٍ : وأنا مش هخلف قلتلك وأعلى ما في خيلك اركبه ها قلت إيه؟

صفع خدها بعنف صفعة أسقطتها أرضًا وقال بتهديد: ده أنا أقتلك يا بت، إوعي تكوني فاكراني علشان سايبك براحتك إني بخاف منك لا فوقي ده أنا أفعصك تحت رجلي.

صرخت في وجهه بحقد : برضه خلفة مش هخلف.

مال على رأسها وأخذ يضربها مرة بعد مرة وهي تصرخ بعناد أجوف مصممة على عدم الإنجاب.

أخيرًا تركها وتوجه لبيته الآخر ؛ أنهكته برفضها وضربه لها تاركًا إياها تفترش الأرض وهي تبكي وتندب حظها.

في الصباح الباكر نزلت من بيتها، وذهبت مكان عملها، وصلت ووقفت أمام البنك في البقعة التي يركن فيها زهير سيارته وجلست جانبًا تنتظره.

رفعت رأسها عندما سمعت صوت سيارته فوقفت وحين توقفت سيارته ونزل منها تحركت تجاهه بصعوبة بالغة ليصعق هو من منظرها والدماء ومن آثار الضرب على وجهها، اقتربت منه وقالت بصوت واهن : آسفة يا أستاذ زهير بس

كنت عايزة إجازة يومين و

لم تكمل جملتها، لقد غابت عن الوعي بين ذراعيه ليحملها هو بحيرة فأدخلها سيارته وتوجه لأقرب مستشفى، و بعد الكشف عليها خرج الطبيب : حضرتك جوزها؟

نفى بسرعة : لا لا أنا مديرها في الشغل وهي أغمى عليها في الشارع فجيبتها هنا بسرعة، هي مالها؟ وحالتها إيه؟

أجابه الطبيب : اتعرضت لضرب مبرح وتقريبا دي مش أول مرة، إحنا المفروض نبلغ عن حالتها ونطلب البوليس، حالات الضرب اللي زي كده لازم نبلغ عنها.

حرك زهير رأسه بحيرة : معرفش شوفها هي هتقول إيه أو مين عمل فيها كده؟

الطبيب : هي رفضت وبتقول إن اللي ضربها جوزها.

نظر زهير بصدمة للطبيب وردد : جوزها؟ أصلا معرفش إنها متزوجة، ينفع أدخلها لو سمحت أشوفها وبعدين نشوف هنعمل إيه؟

أشار له الطبيب بالدخول، طرق الباب قبل أن يدخل بحرج : طمنيني عاملة إيه دلوقتي؟

ابتسمت بحزن : كويسة، ماكانش لازم تجيبني هنا.

علق باستغراب : أمال أعمل إيه لما يغمى عليكِ بين إيديا؟

حركت كتفهيا بإنهاك : معرفش بس مالهوش لزوم مستشفى

ويقولوا بوليس وغيره.

سألها بجدية وهو يسحب كرسيًا ليجلس أمامها : مين عمل فيكِ كده وليه؟

تنهدت بحزن وقررت أن تكسب وده بالضعف والانكسار فطريقتها الأولى كانت خاطئة ولكن هذه المرة ستكسبه بالحقيقة المجردة : جوزي وقبله أبويا.

استغرب ردها فسأل باهتمام : جوزك ليه؟ مش بيحبك؟ وازاي تتقبلي وضع زي ده؟ اتطلقي.

ابتسمت بتهكم : وأروح فين لما أتطلق؟ أرجع لأبويا اللي جوزني لراجل أكبر مني يجي بعشرين سنة متجوز اتنين قبلي وعلى ذمته وعنده اورطة عيال وأنا الزوجة التالتة اللي فرحان بيها؟ ولو رجعت و اتطلقت فعلا أبويا هيشوف راجل تاني يبيعني له، ربنا ينتقم منه، من يوم ما وعيت على الدنيا وهو راجل صعب وبيستغل كل الناس حتى بنته الوحيدة، ذاكرت وتعبت واتعينت في البنك وقلت الدنيا هتحلو بس كان بيستناني أقبض علشان ياخد مني كل يوم لحد ما يخلص مرتبي وكل شهر على كده ولما حس إن مرتبي مش كفاية جوزني وقبض تمني وكل ما بيحتاج بيروحله فأعمل إيه؟ قولي انت أعمل إيه ولا أتطلق وأروح فين؟

تعاطف لحالتها وسألها : ووالدتك فين؟ ليه ما توقفهوش عند حده؟

ضحكت بتهكم : والدتي؟ والدتي بتتضرب لحد النهارده

لو فتحت بوقها، ياما اتحايلت عليها تسيبه وشغلي ومرتبي نعيش منه لكن خوفها أكبر من أي حاجة تانية وتقولي أهو ظل راجل احمدي ربنا واسكتي- رفعت نظرها إليه بانكسار- أستاذ زهير كتر خيرك لحد كده ولو عايز تساعدني إديني يومين إجازة مش أكتر، أنا حاولت أدخل البنك بس لقيت منظري وشكلي وتعبي

قاطعها : يا بنتي شغل إيه بحالتك دي؟

ابتسمت بعرفان : يبقى كتر خيرك لحد كده أوي أنا مش عايزة أشيلك همي، أنا هقوم وأروح علشان الدكتور اللي عايز يبلغ ده أنا مش حمل مصايب.

أوقفها زهير بتأنيب : استني بس هتروحي فين كده؟ ترجعي بيته؟ هو ضربك ليه؟ يعني هل عنده سبب ولا دي عادة؟

حاولت البكاء لاستعطافه أكثر وبالفعل نزلت دمعتان مسحتهما بسرعة: عادة وبسبب الاتنين، امبارح بيسألني ليه ماخلفتش وإيه المانع؟ ماقدرتش أسكت وقلتله مش هقدر أخلف منه – نظرت إليه بدموع توشك على الهطول – لو خلفت هفضل في الساقية دي حياتي كلها وأنا مش هقدر أكمل كده، أكيد مش دي حياتي ومش ده آخري، مش هقدر أخلف منه أبدا.

بدأت في البكاء الحار فاقترب هو منها ربت عليها بمواساة : خلاص اهدي دلوقتي اهدي، هنلاقي حل وأنا ما اتعودتش

أتخلى عن حد محتاجني اهدي.

وقف بجانبها لتتجرأ وتريح رأسها عليه فتفاجأ لكنه ربت على كتفها بحيرة لأمرها، أخيرًا هدأت ومسحت دموعها ليعلق بابتسامة: خليكِ هنا وأنا هتعامل مع الدكتور بس لو عايزة رأيي ونصيحتي خلي الدكتور يبلغ البوليس ويثبتوا حالتك حتى لو رفعتي دعوى طلاق للضرر تقدري تكسبيها، استغلي حالتك دي في إنك تخلصي منه.

إدعت الخوف وهي تقول: وأبويا؟ كان يقتلني.

أكد هو بصرامة : أنا هحميكِ منه، مش هتخلى عنك هقف جنبك.

ابتسمت سارة بداخلها؛ فلقد علمت عنه أنه شهم ولا يترك محتاجا أبدا وهي تحتاجه في حياتها.

٤

أنهى إيهاب عمله في بيت عبدالقادر وطلب من طلعت أن يرتاح قليلًا فوافقه دون نقاش حيث أنه لاحظ حالته وتعبه في الفترة الأخيرة.

خرجت أميرة من عملها مبكرًا كي تستعد لزيارة أحمد اليوم، تفاجأت به يناديها فوقفت مبتسمة : أحمد؟ ازيك

تبادلا السلام ولاحظت أميرة توتره : مالك في حاجة حصلت؟

نظر مطولًا إليها قبل أن يتكلم بتوتر هو يبدو وكأنه في صراع مع نفسه : أميرة انتِ عايزة تتجوزيني ليه؟

نظرت إليه بدهشة : يعني إيه ليه؟

وضح والقلق يغمر ملامحه : يعني أنا بالنسبة لك إيه؟

لاحظت حالة القلق والتوتر فاقتربت منه : أحمد انت مالك بالضبط؟ احنا طول عمرنا قريبين من بعض مش لسه هانعرف بعض النهاردة، في إيه اتكلم على طول مش محتاج تلف وتدور عليا.

أخذ نفس طويل قبل أن يوضح لها : معرفش يا أميرة بس إمبارح للحظة حسيت إني مجرد طوق نجاة مش أكتر – همت بالإعتراض ولكن لم يعطها فرصة – وقبل ما تتكلمي أنا موافق أقوم بالدور ده بكل سعادة بس محتاج أفهم .

سألته بحيرة : تفهم إيه بالضبط؟

سألها بشكل مباشر : يعني وافقتي تتجوزيني علشان تتخلصي من أمجد وسيطرته ولا علشان أحمد بالنسبة لك حد قريب أو بتمنى أكون حبيب.

وجدت نفسها تبتسم : أحمد انت شايفني جميلة ولا عادية؟

استغرب سؤالها : أكيد جميلة بس ليه؟

ازدادت إبتسامتها : طيب أنا الحمد لله جميلة، متعلمة، من بيت كويس فهل متخيل إن مفيش أي حد بيتقدملي؟

حرك رأسه لفهمه وجهة نظرها : ماشي فاهمك بس انتِ مش هتخاطري بنفسك مع حد ممكن يكون زي أخوكي فإنتي محتاجة حد بتثقي فيه.

نظرت لعينيه مباشرة : أيوه مش هنكر ده، محتاجة حد بثق فيه لأني غير كده رافضة تمامًا فكرة الإرتباط، محتاجة حد بثق فيه وبحبه ومستعدة أسلمه حياتي كلها فالحد ده انت وبس، عندك اعتراض تكون الحد ده؟ ملجأ الأمان والحب.

شقت الإبتسامة طريقها لثغره : أكيد معنديش اعتراض لحاجة زي دي أبدا، أنا بحبك يا أميرة بس خوفت أكون مجرد وسيلة مش أكتر.

ابتعدت خطوة وهي تبتسم : هستناك الساعة ٧ يعني؟

اقترب وهي ترجع للوراء : أكيد وقبل ٧ كمان.

اتصلت سارة بوالدتها وأخبرتها بمكانها وماهي إلا عدة ساعات و وصلت إبتسام وإسماعيل إلى المستشفى وهما في حالة استغراب تام، دخلا لغرفتها ليهتف إسماعيل : إيه يا بت اللي جابك هنا ومين دشملك كده؟

أجابته بضيق : ده الزفت اللي انت جوزتهولي هيكون مين يعني؟

ضربت إبتسام صدرها وشهقت : هو المنيل ده بيمد إيده؟ جه كسر إيده راجل ناقص.

نظر إسماعيل لهما ثم وجه حديثه لزوجته : بنتك تنطق الحجر يا ولية، مش هو اللي ناقص، هي اللي ناقصة رباية – نظر لابنته – عملتيله إيه يا بت انطقي؟

حركت رأسها بذهول من برود والدها : هو ناقص زي ما أمي قالتلك، هعمله إيه يعني؟

قبل أن يجيبها دخل لمعي الغرفة : مالها فيها إيه؟

أدارت سارة وجهها بعيدًا عنه باشمئزاز واضح بينما علق إسماعيل : بقى انت بتضرب البت يا لمعي؟

نظر إليه باستغراب محاولًا تذكر سبب ضربها إلى أن شهق بتذكر: هي اللي عصبتني، البت أقولها عايزين نخلف عيل وما بتخلفيش ليه تقولي مش عايزة أخلف من وشك، طيب دي يترد عليها بإيه؟

نظر إسماعيل لزوجته ولسان حاله يؤكد تفسيره :

شوفتي؟

أشاحت إبتسام وجهها بعيدًا: برضه مالوش حق يضربها

اقترب لمعي من سارة : حقك عليا يا سرسورة انتِ الحب يا بت.

بينما علق والدها : أهو صالحك أهو، يلا بينا بقى من هنا شكل المستشفى دي غالية أوي.

أحست سارة بالغثيان من والدها وزوجها فهي تكره كليهما للغاية، نظرت إليهما بهدوء قبل أن تنطق جملتها : أنا طلبت من الدكتور يبلغ البوليس وعملت محضر.

حالة من الصمت القاتل أصابتهم جميعًا إلى أن نطق لمعي : عملتي محضر لمين يا بت إسماعيل؟

نظرت إليه مبتسمة بانتصار : ليك هو في غيرك ضربني؟ عملتلك إثبات حالة وبكرة هرفع دعوى طلاق وبإذن الله أطلق من أول جلسة.

اقترب والدها منها وجذب شعرها بعنف : مين دي يا بت اللي تطلق؟ بعدين معندناش طلاق احنا، انتِ تسحبي المحضر ده حالاً وتقومي تفزي مع جوزك.

صرخت في وجه والدها : مش هسحب وهطلق منه وأعلى ما في خيلكم اركبوه إن كنت انت ولا هو.

أشار لمعي لصاحبه : شايف قلة أدبها؟ أهي على كده طول الوقت معايا في البيت، مكرهاني في صنف الحريم كله.

تكلمت بتهكم : مكرهاك في صنف الحريم طلقني وشوف الصنف اللي يعجبك لكن أنا خلاص بح.

أمسك إسماعيل شعرها وجذبها ليوقفها على قدميها ويحاول جذبها بالغصب لخارج المستشفى، صرخت سارة لتدخل الممرضة وحين حاولت منعهم دفعها لمعي لتقع أرضًا فخرجت مسرعة تهدد بإحضار الأمن.

خلال لحظات أتى الطبيب برفقة إثنين من أمن المستشفى ليحاولا تخليص سارة من بين يدي والدها وزوجها، وصل أيضا زهير ليرى سارة و والدها يجذبها من شعرها وزوجها يحاول ضرب رجال الأمن وكذلك والدتها تصرخ وهي تحاول تخليص ابنتها، تدخّل بسرعة وأبعد إسماعيل عن ابنته التي ألقت بنفسها بين ذراعي والدتها بينما ضرب زهير والدها لكمة واحدة أوقعته أرضًا واستسلم لمعي لرجال الأمن.

وصل البوليس وألقى القبض على لمعي وإسماعيل، دخل زهير لغرفة سارة التي انخرطت في بكاء حار وحين رأت زهير نظرت إليه برعب استغربته والدتها، اقترب منها محاولًا طمأنتها : خلاص اهدي كل حاجة هتبقى كويسة.

شهقت من بين دموعها : أبويا هيقتلني.

ربت على كتفها : مش هيقدر لا هو ولا التاني ده محدش فيهم هيقدر يلمسك تاني، أصلًا الاتنين اتقبض عليهم غير كده ممنوع دخولهم أصلًا من باب المستشفى تحت.

علقت إبتسام برعب حقيقي : إسماعيل هيقتلنا بعد ما يخرج، يا لهوي على اللي هيعمله فينا.

حاول زهير طمأنة والدتها : ولا هيقدر يعمل أي حاجة، أنا موجود اطمنوا – نظر لسارة – الصبح هتخرجي من هنا و إن شاء الله خير ما تشيليش هم، هسيبكم ترتاحوا دلوقتي، تصبحوا على خير.

نظرت إبتسام لابنتها بحيرة وتوتر من المستقبل وحين أغلق الباب خلفه اقتربت من إبنتها : مين ده يا زفتة انطقي؟ وكدبتك إيه المرة دي؟

ابتسمت سارة بغموض : المرة دي ما كدبتش، المرة دي انا قولت الحقيقة المجردة وبس.

زاد استغراب إبتسام : أيوه برضه مين ده؟

علقت بغنج : ده نائب مدير البنك وبكرة يبقى المدير نفسه، ده طاقة القدر اللي هتتفتح لبنتك، والمرة دي بدون كدب ولا غش، الحقيقة وبس.

اشترت أميرة فستان في طريقها للمنزل وبعض الاحتياجات وحين وصلت استقبلتها والدتها : انتِ برضه مصرة يا أميرة؟

وضعت من يدها ما تحمله : أحمد هيجي هو وعيلته الساعة ٧ إن شاء الله.

راقبتها والدتها وهي تخرج ما اشترته : طيب ومين

هيستقبلهم هاه؟ هنقابلهم وحدنا كده من غير راجل؟ انتِ بتفكري ازاي؟

نظرت لوالدتها بغيظ : ولو مكنش عندك ابن كنا عيشنا حياتنا ازاي؟ واللي معندهمش رجالة في بيوتهم بيعيشوا ازاي؟

صرخت والدتها بوجهها : بس أخوكي موجود وحسه بالدينا وبكرة يرجع ينور بيته.

صرخت أميرة مثلها : ويرجع يتحكم من تاني؟ مش هسمح بده، بالضرب والإهانة وقلة القيمة وتحكمات فارغة ملهاش معنى - نظرت لوالدتها بإصرار - لو مش عايزة تقابليهم براحتك قوليلي وعرفيني؟

سألتها ثناء بفضول : لو قولتلك اه مش هقابلهم هتعملي إيه؟

ابتسمت وهي موجوعة بداخلها : زي ما اعتبرت نفسي ماليش أخ ولا سند هعتبر نفسي مقطوعة من شجرة عادي جدًا، أحمد عارف كل حاجة عني وعارف أخويا وعارف سلبيتك وموافقتك دون نقاش على كل كلامه فكل اللي هعمله هبلغه إنك معترضة وماشية ورا كلام أمجد وهحدد معاه كل حاجة أنا وهو وهخرج من بيتك في أقرب وقت.

ضربت ثناء صدرها : يا لهوووي هتتجوزي بنفسك؟ من غير رضانا كده؟ من غير أمك؟

حافظت على ابتسامتها المتهكمة : تقدري تقوليلي إمتى كنتي أم ليا؟ إمتى أخدتيني في حضنك ودافعتي عني؟ إمتى قومتي بدورك كأم سواء ليا أو لأمجد؟ انتِ خذلتينا احنا الاتنين، هو لما خليتيه يطيح في الكل ويفتكر نفسه صح وكلامه صح دون نقاش وهو آله على الأرض، وأنا لما سيبتيني له يضرب ويهين ويغلط ويمشي كلامه فوق رقبتي، فوجودك زي عدمه بالنسبالي، أنا بعامل ربنا بس معاكي، بعد ما سمحتيله يكسر مراته وتساعديه يحبسها ويحبسني نزلتي من نظري كإنسانة وبني أدمه بتحس، قدامك ساعة تقرري فيها هتعملي إيه؟

تركتها ودخلت لغرفتها، رن هاتفها فابتسمت بحزن حين رأت اسمه فأجابته، تكلما سويا عدة دقائق يطمئن على أمورها، علقت هي بحزن : أحمد ماما ممكن ترفض تقابلكم؟

تنهد بحزن لحالها : لو بتقوليلي علشان خايفة على أبويا وأمي فما تقلقيش وتشيلي همهم، هما عندهم فكرة عن ظروفك وعارفينك من سنين مش النهاردة.

سألته مبتسمة : انت حكيتلهم عني؟

ابتسم بخجل : عايز أقولك إنهم مسميني مجنون أميرة، كل بيتنا عارفين إني بحبك من سنين ومنتظر الوقت المناسب، المهم خلاصة الكلام يا ميرو ما تقلقيش من أي حاجة تحصل النهاردة.

أنهت المكالمة وهي تحمد الله على عوضه بشخص مثل

أحمد.

دخلت والدة أحمد وحين رأته ابتسمت : عقبال ما أشوفك ببدلة الفرح يا حبيبي.

قبل يدها : ربنا ما يحرمني منك يا ست الكل أبدًا.

دخل والده ونفس رد فعل والدته.

نظر أحمد لهما بتوتر : زي ما قولتلكم احنا مش عارفين والدتها هتقابلنا ازاي؟ فخلوا بالكم.

زفرت والدته : طيب انت واثق يا أحمد من اختيارك ده؟ البنت أخوها محبوس و

قاطعها أحمد وردد دون اقتناع : ماما حبيبتي انتِ عارفة كل الظروف وبعدين أخوها مش شخصية وحشة ومحترمة من كل اللي حواليه ودكتور له اسمه و وضعه هو كل مشكلته إنه مريض بالغيرة، غيرته على أخته خلته يقسى عليها جدًا، وغيرته على مراته خلته يحبسها وللأسف والدته ساعدته على تماديه في غلطه ده.

وقف والده : خلاص يا أم أحمد ابنك مقتنع بيها ومن زمان ربنا يجعلها زوجة صالحة ويرزقهم ذرية صالحة، يلا بينا.

استعدت أميرة وألقت نظرة رضا على فستانها في المرآة، دخلت والدتها ونظرت إليها بتمعن وهي تتمنى لو إبنها يشاركها هذا اليوم ويستقبل عريس أخته، لاحظت أميرة نظرات ثناء المتفحصة : هاه؟ أحمد على وصول نويتي على

إيه؟

تنهدت باستسلام : هقابلهم بس مش هوافق – قبل أن تعترض ابنتها أكملت – ولا هرفض وهشوف أخوكي الزيارة الجاية وابلغه الأول قبل ما نديهم جواب نهائي يبقى كده نعرفهم إن أخوكي موجود ومعانا واحنا مش لوحدنا.

لم تجيبها أميرة وانتبهت لهاتفها ورسالة تعلن وصول أحمد وعائلته، توترت ونظرت لوالدتها: أحمد وصل، أروح أفتحلهم ولا تروحي انتِ؟

تحركت ثناء : هفتحلهم أنا.

رحبت ثناء بهم وعم جو من التوتر والقلق، خرجت أميرة بحرج وابتسمت والدة أحمد لها تطمئنها وتنظر لابنها نظرة رضا عن عروسته.

تكلم والده مطولًا عن ظروف ابنه وعمله وبيته وشرح كل ظروفه لوالدتها التي استمعت أكثر وتكلمت أقل وفي النهاية وعدتهم بالرد في أقرب وقت.

ضمت والدة أحمد زوجة ابنها مستقبلًا وهمست بإذنها : عقبال ما تدخلي بيته وتنوريه يا بنتي.

ابتسمت بحرج لوالدته ونظرت للأرض بخجل.

في الصباح أتى زهير في موعده ليأخذ سارة و أمها التي سألته بحيرة : هنروح فين كده يا ابني؟ ده إسماعيل هيقتلني؟

أجابها وهو يتحرك بسيارته الفارهة : هاخدكم في شقة بتاعتي مقفولة من فترة، طلبت من الشغالين ينظفوها ويفتحوها، هتفضلوا فيها ما تقلقوش.

علقت سارة بانكسار : بس حضرتك ذنبك إيه يا أستاذ زهير تتحملنا أنا ووالدتي؟

استغربت إبتسام تغير إبنتها فلو لم تكن ابنتها لانخدعت بتمثيلها، انتبهت لزهير : ذنب إيه وبتاع إيه وهو أنا عملت إيه أصلًا؟ فتحت شقة مقفولة؟ بعدين الناس لبعضها يا سارة.

أستاذنته سارة بالذهاب لبيتها أولًا لتحضر ملابسها، وافقها زهير وانتظرها بسيارته بينما صعدت هي ووالدتها لجمع متعلقاتها الشخصية.

دخلت سارة وجمعت ثيابها وكل ثمين تملكه لتأخذه معها.

انبهرت سارة وإبتسام بشقة زهير، إذا كانت هذه شقته المغلقة فكيف هو بيته الذي يعيش به حاليًا؟ سؤال معلق بذهن سارة.

استقبلتهم إمرأة في أواخر الثلاثينات: آهلًا بحضرتك أستاذ زهير.

ابتسم زهير : يا أهلًا يا مديحة إيه الأخبار؟

- كله تمام والشقة كلها نظيفة ونفذنا كل أوامرك.

التفت لسارة : دي مديحة المسؤولة عن بيتي، مديحة دول قرايبي من البحيرة، الست إبتسام تبقى بنت عم والدتي الله

يرحمها ودي الأستاذة سارة بنتها.

ابتسمت سارة بتفهم فهو يحافظ على شكله الإجتماعي حتى أمام موظفينه.

رحبت مديحة بكلتيهما قبل أن تنادي لأخرى : وردة تعالي هنا -أتت فتاة في العشرينات – دي وردة هتفضل هنا معاكم تشوف طلباتكم.

نظرت سارة لزهير : ده كتير أوي يا أستاذ زهير.

ابتسم : مش كتير ولا حاجة، هنسيبكم ترتاحوا والبيت بيتكم طبعًا مش محتاج أوصيكم، وردة جهزي غدا معتبر وأي حاجة يطلبوها نفذيها – نظر لمديحة – انا رايح البنك لو في أي حاجة كلميني.

انسحب زهير وترك خلفه فراغ بينما سألت سارة : أقدر أرتاح فين لو سمحتي أستاذة مديحة؟

علقت مديحة مبتسمة : اسمي مديحة بس يا أستاذة سارة وبعدين البيت كله تحت أمرك الأوضة اللي تعجبك ارتاحي فيها، اتفضلي هفرجك على الشقة هي مش كبيرة أوي بس أربع أوض، في أوضتين أساسيتين فيهم حمام داخلي أعتقد كل واحدة تاخد أوضة منهم والإثنين التانيين للضيوف.

تحركت مديحة خلفها سارة و إبتسام وحالة من الانبهار تسيطر عليهما.

استقرت سارة في غرفتها ولحظات ودخلت أمها : بت انتِ

هنعمل إيه هنا؟ مش هنفضل عايشين في بيت الراجل ده وأبوكي لما يخرج هيقتلنا.

علقت سارة بهدوء وهي تنظر للمرآه أمامها : عايزة ترجعي لإسماعيل بتاعك ارجعي لكن أنا خلاص بطلت اسمح لأي حد يتحكم فيا بس حسك عينك تقولي لأبويا مكاني.

فكرت إبتسام وهي تفرك يديها من التوتر والقلق : طيب أبوكي لو عرف بينا؟

نظرت إليها : هيعرف منين؟ إيه اللي هيجيب أبويا أماكن زي دي؟

أجابتها والدتها : من شغلك يا حيلتها، يعني أبسط حاجة يمشي وراكي من شغلك هيعرف مكانك.

عقدت حاجبيها بحيرة فأمها محقة : هلاقي حل، أكيد هلاقي حل، حتى لو أطلب من زهير ينقلني لأي فرع تاني، بس مش هنسبق الأحداث من دلوقتي، خليني أطلق الأول من الزفت اللي اسمه لمعي والباقي سهل.

أنهى طلعت العمل في بيت عبدالقادر الذي تعجب غياب إيهاب وحين سأل طلعت أخبره أنه حين ينتهي من الرسم يتوجه لعمل آخر.

أنهت صابرين ترتيب بيتها وعاد الهدوء والسكون يسيطر على أنحاء البيت بعد تلك الفوضى العارمة.

رجعت حنين من عملها بعد يوم متعب لتتفاجيء بضيوف

مع والديها، دخلت بحذر وحاولت التوجه لغرفتها مباشرة ولكن أوقفتها والدتها : تعالي يا حنين.

نظرت للسقف وأغمضت عينيها فوالدتها تصر دائمًا على إحراجها وسط ضيوفها وأصدقائها، أخذت عدة أنفاس متتالية وحاولت أن تبتسم قبل أن تدخل عليهم، تفاجأت برجل و والديه وفهمت الموضوع مباشرةً، تمنت لو تخرج من البيت لا الغرفة فقط، وقفت صابرين تستقبلها : تعالي يا حبيبتي دي ميس محاسن أكيد فكراها؟

نظرت حنين لوالدتها أولًا بغضب ثم حاولت الابتسام لضيفة والدتها : ميس محاسن أهلًا بحضرتك طبعا فاكراكي

قبلتها وضمتها ثم التفتت لابنها بفخر : حبيبتي يا حنين ده دكتور علاء إبني لسه راجع من بره وأخد ماجستير و اتعين بالجامعة.

نظرت حنين له ولم تستطع حتى الابتسام بل علقت بجفاء : أهلًا بحضرتك.

رحب بها ثم تكلم بطلاقة مع والدها وهو يشرح طبيعة عمله وسفره للخارج، قاطعه وقوف حنين وهي تعتذر : بعد اذنكم.

محاسن بابتسامة : اذنك معاكي يا حبيبتي.

خرجت مسرعة بينما لحقتها صابرين بعد عدة دقائق لتدخل الغرفة وتأمر ابنتها بصوت منخفض : غيري هدومك

بحاجة حلوة كده واطلعي بسرعة، أنا هحضر القهوة والضيافة وانتِ حصليني علشان تقدميهم.

همت بالخروج ولكن أمسكت حنين ذراع والدتها : انا مش هخرج تاني من أوضتي.

نظرت إليها ببلاهه : نعم؟

ابتسمت بغضب : اللي حضرتك سمعتيه مش هخرج تاني من الأوضة غير الصبح على شغلي وصاحبتك قابليها واقعدي براحتك معاها لكن أنا بره الليلة دي .

زفرت صابرين بنفاذ صبر : يا حبيبتي بس اقعدي معانا مش هطلب أكتر من كده، أتعرفي عليه ولو وحش ولا

صرخت حنين : مش هتنيل أتعرف على حد، ريحي نفسك قولتلك نيلة مش هتنيل فلو سمحتي اطلعي بره لضيوفك بدل ما أطلع أطردهم أنا، مش عايزة أقلل منك ولا من بابا قدامهم فما توصلينيش للمرحلة دي.

حين حاولت صابرين الاقتراب منها تحركت حنين لتفتح باب غرفتها بتهديد : هتطلعي ولا أطلع أنا؟

خرجت صابرين وهي تلعن غباء وعناد ابنتها الأجوف فهي ترفض حتى أن تعطي لنفسها فرصة أخرى بينما أغلقت حنين الباب خلفها بالمفتاح وجلست على سريرها بتهالك مغمضة العينين تتمنى أن تشعر ولو لحظات بالسلام الداخلي فقط.

انتهت الزيارة سريعًا وعلق عبدالقادر : حنين طبعًا رفضت

تطلع تاني من أوضتها؟ قولتلك بلاش تحطيها في أمر واقع برضه مشيتي كلامك.

حاولت صابرين الدفاع عن نفسها : صاحبتي وقالتلي هاجي أزورك عايزني أقولها لا ما تجيش؟

وضح عبدالقادر : محدش قال كده بس بطلي تتكلمي عن بنتك وعن وضعها وظروفها وأي حد يتكلم عنها تحترمي رغبتها إنها مش عايزة ترتبط تاني واللي ربنا رايده هيكون انتِ مش هتمشي الكون على هواكي.

صرخت صابرين : أنا كل اللي عايزاه إنها تعيش في بيتها مبسوطة وسعيدة وتخلف عيال يملوا دنيتها، ما طلبتش أكتر من كده.

توجهت لغرفة ابنتها حاولت فتحها عدة مرات قبل أن تطرق الباب : حنين افتحي لو سمحتي.

لم تجيبها حنين بل توجهت للمرآة مسحت دموعها وأي أثر لها وجلست على سريرها غير قادرة على مواجهة أخرى مع والدتها.

سمعت صوت والدها القلق : حنين افتحي لو سمحتي طمنيني عليكي.

فتحت الباب لوالدها ونظرت له بعتاب دون أن تتكلم، وقف أمامها : حنين ...

قاطعته تعاتبه : هو ده اللي هتسيبني براحتي؟

أمسك ذراعيها : محدش هيجبرك على حاجة انتِ مش عايزاها، بس كنا

قاطعته بتهكم : أشوفه وأعجب بيه وأجرب من تاني، وأقولكم رأيي إيه؟ تقولولي مفيش أحسن منه وعريس مثالي وبعدها اصطدم بشخصية تانية لما القناع ينزل وأجيلها(نظرت لوالدتها) تقولي أصلك انتِ غلط وانتِ زفت وانتِ قطران و و و وتخليني أصدق إنّي إنسانة سيئة – مسحت دموعها – ده اللي عايزينه؟

اقتربت صابرين منها ليفسح لها زوجها الطريق : حبيبتي يا حنين كل اللي كنت عايزاه تشوفيه وتقعدي معاه.

نظرت حنين لعينيها وأكدت : الفكرة نفسها مرفوضة فالموضوع كله مرفوض ريحي نفسك.

حاولت أن تبتسم : روحي يا قلبي شوفيه بس مرة واتنين واقعدي معاه، الولد مؤدب ومحترم ودكتور جامعي ومن الآخر كده ولد كويس علشان خاطري

حركت رأسها بإصرار: مهما تقولي برضه لأ، الموضوع منتهي بالنسبالي.

صرخت صابرين فيها : بطلي بقي عناد لمجرد العناد، علاء كويس ولقطة وما يتسابش

نظرت إليها حنين وعلقت بسخرية : طالما عاجبك للدرجة دي اطلقي واتجوزيه انتِ، كده كده مش بتحبي حد.

لم تستطيع صابرين تمالك أعصابها في هذه اللحظة وبلحظة غضب رفعت يدها لتصفع ابنتها، تفاجئت صابرين من تصرفها وحاولت التراجع ولكن صدمة ابنتها أوقفتها، حاولت النطق أو الاعتذار : حنين أنا ... ..

حالة من الذهول سيطرت على الجميع، تحرك عبدالقادر لابنته وهو يصرخ بزوجته : صابرين

حاول أن يلمس إبنته ولكن ابتعدت عنهما وهي تنظر إليهما كالأغراب ثم صرخت : اطلعوا بره أوضتي وياريت لو تطلعوا بره حياتي كلها.

حاولت صابرين النطق أو الإعتذار لكن أوقفها زوجها بغضب ودفعها للخارج بعنف، أغلقت حنين الباب خلفهم وانخرطت في بكاء حار مرير.

توجهت صابرين لغرفتها مباشرة وقبل أن تغلق الباب خلفها تبعها زوجها ليصرخ بها : زودتيها أوي وتخطيتي كل الحدود.

نظرت لزوجها وحاولت تبرير فعلتها دون اقتناع منها : انت ما سمعتش قلة أدبها؟ في فرق بين الرفض وبين قلة الأدب.

نظر عبدالقادر الى زوجته باشمئزاز من تصرفاتها : وهي بنتك غلطت في إيه؟ انتِ ما بتعرفيش تحبي حد، انتِ انسانة باردة معدومة المشاعر وغلطي إني قبلت أعيش مع واحدة باردة زيك كان المفروض

قاطعته صابرين بغضب : كان المفروض تعمل زي بنتك

وتطلقني من بدري وتعيش تبكي على الأطلال بأوهامك انت وبنتك لكن بدال كده كملت وخلفتلك بنتين ملوا حياتك ونوروها، تنكر إنهم أجمل حاجة في حياتك؟ لو الزمن رجع بيك هتقول مش عايزهم؟

صرخ بوجهها : ربنا اللي رزقني ببناتي مش انتِ.

ضحكت بتهكم : أنا كنت الوسيلة اللي ربنا رزقك بيها، فاوعى تنكر ده، اه أنا مش عاطفية ولا رومانسية بس ربيت بناتي وكبرتهم وعلمتهم أحسن من أي حد.

ابتعد عبدالقادر عنها وهو يأسف على ضياع عمره : بناتك انتِ أسوأ حاجة حصلتلهم في حياتهم.

خرج من غرفته وتوجه لابنته طرق الباب : حنين إذا سمحتي افتحيلي الباب.

سمع صوتها المخنوق من الداخل: بابا إذا سمحت أنا كويسة بس عايزة أكون لوحدي، لو سمحت.

رفع يده ليطرق مجددًا ولكنه تراجع واحترم رغبتها في الإنفراد بنفسها.

فكرت حنين أن تخرج من هذا المنزل، وقفت وفتحت خزانتها وفكرت بجمع كل ملابسها وتأجير شقة بالخارج مثلًا أو السفر لأي مكان ولكن تراجعت وجلست على سريرها وهي تفكر في أي حل تتخلص فيه من سيطرة والدتها وكذلك تحافظ على علاقتها بوالدها فقلبه لن يتحمل مثل هذا

التصرف منها.

رنت في أذنيها جملة صديقتها (هاتي عريس انتِ بمزاجك واخرجي من هنا وعيشي براحتك.)

فكرت في جملتها وأمام عينها رأت اسمه يلمع في الحائط أمامها، دق قلبها وهي تتخيله زوجًا لها، ارتبكت نبضاته وسهرت الليلة بأكلمها وعقلها لا يفكر في سواه وكل لحظة تمر تقتنع أكثر وأكثر بفكرة صديقتها المجنونة.

في الصباح خرجت من غرفتها وحين حاولت والدتها الاعتذار تخطتها وتوجهت مباشرة لوالدها : صباح الخير يا بابا أنا نازلة البنك.

سألها بحنية : عاملة إيه النهاردة؟

ابتسمت له تطمئنه : أنا كويسة بعد إذنك.

وقف وهو يأخذ مفاتيح سيارته : يلا هننزل مع بعض.

نزلا سويًا ومهما يحاول والدها فتح أي مواضيع للنقاش إلا أنها تغلقها مباشرةً بردودها المختصرة.

لاحظت هايدي صمتها الغير معتاد وحاولت الاقتراب أو التحدث معها دون جدوى فهي تغلق أي مجال للنقاش كذلك دعاء فشلت في معرفة مابها.

توجهت ثناء لزيارة ابنها، جلست أمامه ولاحظ ارتباكها فسألها بشكل مباشرة : مالك في إيه؟ حاسك عايزة تقولي حاجة، قولي على طول.

زفرت عدة أنفاس متتالية قبل أن تخبره بتوتر : أميرة أختك في واحد متقدملها، جه امبارح و

قاطعها وهو يستشيط غضبًا : جه فين؟ بنتك دارت على حل شعرها وانتِ سيباها صح؟ راحت قوام عرفت رجاله وبيجولها البيت كمان.

حاولت ثناء تهدئته : يا ابني دارت إيه بس دي يادوب من شغلها للبيت ومن البيت للشغل ولا بتروح يمين ولا بتروح شمال.

ضحك بتهكم : الشغل هاه؟ الشغل اللي قولتلك بلاه انتو مش محتاجين شغل وما سمعتيش كلامي ونزلتيها تشتغل في مطعم كل من هب ودب يعاكس ويضايق وهي تضحك وتتمرقع ويجي واحد ما يسواش تلاته تعريفة يتقدم وانتِ تيجي تقوليلي؟ متخيلة إيه يا ماما؟ هقولك يا ألف نهار أبيض؟

حاولت الدفاع عن نفسها وابنتها : يا حبيبي الولد كويس ومحترم وفتح مكتب وعنده شقته، راجل ملو هدومه.

سألها بسخرية : والراجل الملو هدومه ده عرفها منين؟ وراح يطلبها من ست؟ قال راجل قال.

سيطر الصمت ليسألها بحدة : ما تقولي عرفها منين الزفت ده؟

أجابته بارتباك : من الجامعة، زميلها في الجامعة

ضحك بغضب : ياه زميلها؟ قولتيلي بقى؟ طيب يا أمه أنا مش موافق.

فكرت أخباره أن أخته لن تهتم برأيهما ولكن تراجعت : حبيبي هو حد كويس بلاش تضيع أختك لمجرد عناد وبس.

تكلم بحدة من بين أسنانه: عناد إيه وزفت إيه؟ واحد عرفها في الجامعة وراح يطلبها منك مش مني، منتظرة إيه منه؟

اقترحت فجأة : طيب إيه رأيك لو يجي يزورك وانت تشوفه؟ تبقى عملت اللي عليك كأخ وشوفته بعينك قبل ما تكون فكرة عن شخصيته.

تقبل اقتراحها بضيق وهي هربت من أمامه تفكر لو إبنتها معها وأخبرته كالأمس أنها ستتزوجه بالرغم عنها ولن تنتظر موافقته.

انتبهت من أفكارها على رنين هاتفها ولم تتفاجيء حين رأت اسم ابنتها، ردت بهدوء : أيوه يا أميرة؟

أجابت بسرعة : ماما روحتي لأمجد؟ قولتيله؟ قالك إيه؟

تنهدت وحاولت تهدئتها : يا بنتي اصبري عليا أخد نفسي طيب الأول.

أصرت عليها : قالك إيه يا ماما؟

ردت بتردد : عايز يشوفه الأول.

عقدت أميرة حاجبيها بتفكير فهي توقعت رفضه المباشر لا استعداده للتحدث وإعطائه فرصة للتعرف عليه من قريب؟

نادتها والدتها فعلقت أميرة : خلاص يا ماما حاضر هبلغه.

أغلقت الهاتف بحيرة، اتصلت بأحمد أخبرته ما دار فطمأنها أنه سيذهب لزيارته ولا مانع لديه.

في إستراحة الغداء أخرجت حنين هاتفها وظلت تنظر إليه بتردد شديد إلي أن حسمت قرارها واتصلت به.

في شقة ما صدح صوت خالد : ما تيجي يا فنان تاكل لقمة معانا.

نظر إيهاب لصديقه بشكر : متشكر يا خالد مش جعان بعدين.

استمر إيهاب في طلاء ذلك الحائط أمامه بشرود تام، رن هاتفه ليعيده لأرض الواقع وتفاجئ أو ضدم حين رأي اسمها أمامه فرد مسرعًا : السلام عليكم.

ابتسمت بتوتر وهي تجيبه ثم سألته بهدوء: أخبارك إيه يا إيهاب يارب تكون بخير.

استغرب اتصالها وسؤالها : أنا بخير الحمد لله يا أستاذة.

ساد الصمت للحظات يعلو فيها صوت التوتر والقلق إلي أن سأل إيهاب : خير حضرتك محتاجة حاجة؟

علقت بسرعة : متضايق من اتصالي أو مش فاضي أقفل؟

أجاب بسرعة : لا لا أبدًا

- انت فين كده؟

تعجب من أسئلتها وظل يجيبها دون أن يفهم سبب اتصالها إلى أن قالت بهدوء: أكيد مستغرب بتصل بيك ليه؟

بكل هدوء أجابها : مستغرب آه بس مش هنكر إن سماع صوتك فرحني.

وجدت نفسها تبتسم رغمًا عنها ولكن عقدت حاجبيها بسرعة وهي تتذكر سبب اتصالها فحمحمت تجلي حنجرتها وحاولت التكلم بجدية وصرامة : ينفع أقابلك الساعة ٤؟ صدمته تلك الجملة لدرجة أنه من التوتر لم يستطيع إجابتها، فكررت سؤالها : ينفع ولا إيه؟

انتبه من شروده : طبعًا ينفع قوليلي فين وهاجي؟

أخبرته مكان اللقاء وأغلقت الهاتف باقتناع تام لقرارها، توجهت لصديقاتها وجلست برفقتهم ولكنها شاردة تمامًا.

في البنك يجلس هشام في مكتبه وتركيزه في جهاز الكمبيوتر أمامه ليشعر بظل أمامه فيرفع رأسه ويبتسم وهو يقف : إيمي ازيك؟ - تلفت حوله قبل أن يضيف – وحشتيني.

ابتسمت وهي تجلس أمامه وتضع قدما فوق أخرى وتعاتبه بدلال : لو وحشتك كنت جيت عندي وسألت عليا؟

ابتسم وهو يجلس بدوره في مكانه : انتِ عارفة الظروف

والشغل ومراتي وإبني.

رفعت إحدى حاجبيها بغنج : مراتك؟ يا بختها مراتك اللي مش قادر تبعد عنها.

اقترب بجسده على مكتبه ليقترب منها : مجبرٌ أخاكَ لا بطل، ابني متعلق بيها وأنا متعلق بيه غير كده كانت أخدت إستمارة ٦ من زمان.

غير الموضوع فهو لا يحب التحدث عن زوجته أو التفكير فيها كي لا يشعر بالذنب أو تأنيب الضمير لخيانتها فهو يقنع نفسه أن الحديث أو الضحك مع غيرها لا يعتبر خيانة بل من متطلبات عمله : المهم يا قمر جاية شغل ولا بس وحشتك؟

ضحكت قبل أن تجيبه : شغل طبعًا أنا ما بروحش لحد أبدًا.

تكلمت معه في أمور حسابها إلى أن انتهت، وقفت وهي تتمايل أمامه : ما تيجي نتغدى مع بعض؟ ولا مربوط في مكتبك؟

نظر لساعته ونظر حوله : طيب ما تديني ساعة كده أكون ضبطت أموري؟

أومأت برأسها موافقة : تمام هبعتلك لوكيشن البيت، باي

قبل أن يعترض على ذهابه لبيتها كانت ابتعدت عنه فجلس في مكانه بتوتر، هو يخرج ويمرح لكن لا يذهب لأي واحدة بيتها أبدًا، عنده ذلك الخط الأحمر الباهت الذي أقسم أن لا

يتخطاه أبدًا فهو يعلم جيدًا إن تخطاه فلا عودة بعدها أبدًا.

فكرت حنين في ألف فكرة وهي تصعد لغرفة والدها كي تستأذنه على الخروج مبكرًا وحين وصلت مكتبه وجدته فارغًا، أوقفت مسعد : عم مسعد هو الأستاذ عبدالقادر فين؟

أجابها : روح البيت من بدري بس موجود الأستاذ زهير لو عايزة حاجة حضرتك.

شكرته وتوجهت لزهير الذي وافق أن تخرج ساعة مبكرة عن ميعادها، خرجت من البنك وقلبها ينبض بعنف، أوقفت تاكسي وتحركت للقائه.

رن هاتفها وردت عليه بتوتر : أيوه يا إيهاب؟

- أنا وصلت المكان اللي اتفقنا عليه، انتِ جاية ولا غيرتي رأيك؟

ابتسمت وهي تجيبه : جاية قدامي دقايق، هتدخل ولا هتنتظرني بره؟

- هنتظرك بره.

أغلقت الهاتف وهي تنظر إليه بتوتر مرعوبة من تلك الفكرة المجنونة التي زرعتها صديقتها دون قصد في رأسها.

وصلت ونزلت من التاكسي وهي تنظر حولها، تلفتت حولها إلى أن انتبهت إليه يجلس على مقعد أمام النيل وينظر لدفتر يكتب أو يرسم شيء ما فيه و مفصول عن العالم بأكلمه.

اقتربت منه بخطوات بطيئة تراقبه، وقفت خلفه تنظر للرسمة أمامه، كان يرسم سور ما وشبح أمامه لم تكتمل ملامحه بعد، تمنت لو تقف هكذا إلي أن ينهي رسمته.

انتبه لها فوقف بارتباك وهو يغلق دفتره : وصلتي إمتى؟

علقت بمزاح : من ساعة ما قفلت معاك المكالمة.

اتسعت عيناه ثم ابتسم فهو لم يجلس هنا إلا بعد ما أنهى مكالمته معها، ضحكت معه ثم أشارت للكافيه أمامها : تيجي ندخل ولا نفضل هنا؟ براحتك.

حرك أكتافه بلامبالاة : عادي براحتك انتِ مش فارق معايا.

دخلا سويا وترك لها حرية اختيار الطاولة التي تعجبها فاختارت واحدة معزولة نوعا ما.

استقرا سويا والتوتر يسيطر عليهما وقبل أن تتكلم قاطعهما وصول الجرسون : يا أهلًا بحضراتكم تحبوا تاخدوا إيه؟

سلمهما القائمة فاقترحت حنين : قهوة كفاية، إيه رأيك يا إيهاب؟

وافقها بسرعة لينصرف الجرسون من أمامهما بينما يضع إيهاب يديه على الطاولة أمامه منتظراً بفضول قاتل.

سألته بفضول : كنت بترسم إيه؟

ابتسم محرجًا فهو رسمها آلاف المرات وهي تقف وتستند على سور الشرفة وشعرها يتطاير خلفها، لم يستطع إجابتها

فعلق : شخبطة مش حاجة معينة، بشخبط وزي ما بتطلع

رفعت يدها: هعمل نفسي مصدقاك، لإن كان في زي سور بلكونة وممكن حد واقف ساند عليه.

زفر أنفاسه الحارة قبل أن يغير مجرى الحديث : خلينا نتكلم في المهم، خير يا أستاذة حنين؟

نظرت لعينيه مباشرة : ليه مُصر إني عايزة حاجة منك؟ مش يمكن أكون بس حابة أتكلم معاك مش أكتر أو أشوفك؟

ابتسم ولمحة حزن تغمره : طبعا لو ده السبب اللي عايزة تشوفيني علشانه هكون أسعد إنسان في الدنيا - أضاف بجدية - بس أنا والحظ مش أصحاب وعلشان كده بقولك بشكل مباشر خير، قولي على طول حضرتك محتاجة مني إيه؟

سألته بفضول : أكيد فكرت في حاجة عايزاها منك، فكرت في إيه مثلا؟

ابتسم بحرج : عايزاني أرسم حاجة لحد من أصحابك، أو أي حاجة لها علاقة بالرسم - مط شفتيه - مفيش حاجة تانية قدرت أفكر فيها.

تنهدت تنهيدة طويلة قبل أن ترفع رأسها وتواجهه : لا الموضوع مالوش علاقة بالرسم، الموضوع أكبر وأهم من كده بمراحل.

قاطعها مجددًا وصول الجرسون ليضع القهوة أمامهما

وينسحب بسرعة فأكملت هي بهدوء : أنا محتاجاك تفكر بعقلية بحتة قبل ما توافق أو ترفض.

أحس إيهاب بالتوتر يغمره بزيادة، أمسك فنجانه يرتشف منه عله يخفي توتره : فضولي وصل لأقصاه، قولي على طول من غير مقدمات لو سمحتي يا أستاذة.

علقت فجأة : بلاش أستاذة دي قولي حنين وبس، ما اتعودتش حد يقولي أستاذة دي غير في الشغل، بره الشغل أنا حنين وبس.

ابتسم وهو يحس بقلبه سينفجر من توتر نبضاته : انتِ مصرة بقى تجننيني قبل ما تعرفيني في إيه؟ بطلي تغيري الموضوع اللي عايزاني علشانه قولي على طول.

بعد عدة أنفاس متتالية قررت إلقاء قنبلتها وليكن ما يكون، نظرت لعينيه وشجعها بنظراته وإبتسامته المتوترة، حاولت أن تبتسم : كنت عايزاك ... يعني أقصد عايزة منك؟

التوتر لجم لسانها وزاده هو فضول : ما تقولي على طول عايزة إيه؟ أيًا كان اللي محتاجاه لو بإيدي مش هتأخر فاطلبي بدون تردد.

رفعت رأسها : عايزاك تتجوزني.

صمت مطبق بينهما فهي تتنفس الصعداء لأنها نطقتها فعلاً وهو لم يستوعب بعد ما سمعه، أم تخيل ما سمعه؟ لا لا هي لم ولن تطلب منه الزواج أبدًا، هو نائم وهذا بالفعل مجرد

حلم ليس اكثر.

لاحظت حنين صمته التام فحمحمت بتوتر : انت سمعتني؟

انتبه من أفكاره لينظر لها ببلاهة تامة : أكيد ما سمعتكيش، حضرتك قولتي إيه؟

عقدت حاجبيها بضيق : يعني تقدر ترفض عادي بدون تريقة أو تهكم.

استغرب ضيقها : يا بنتي بقولك ما سمعتش تقولي تهكم؟ ماهو إستحالة أكون سمعت اللي أنا فاكر إني سمعته فعلشان كده طلبت منك تعيدي اللي قولتيه؟

كررت بهدوء : قولت ممكن تتجوزني؟ أنا وانت نتجوز، قولت إيه؟

كرر إيهاب : أنا قولت إيه؟ أنا أتجوزك انتِ، أنا فهمت صح ولا بيتهيألي؟

كررت حنين : ايوه تتجوزني قولت إيه؟

نظر إيهاب حوله فاستغربت هي تصرفه : بتتلفت على إيه كده؟ انت بتعمل إيه؟

نظر إليها مباشرةً: بدور على أصحابك اللي جيباهم علشان تعملي المقلب ده فيا، ولا بتصوري بموبيلك وهتوريهم بعدين؟

انتظرته ينهي جملته ثم علقت بهدوء وهي تضع هاتفها

أمامه وهو مغلق : خلصت كلامك وتريقتك؟ موبيلي أهو قدامك مقفول، وأعتقد انت شايفني جاية لوحدي، غير كده هل انت خلال الفترة اللي فاتت عرفت عني إني بعمل مقالب وبهزر والجو ده علشان تفترض إن كلامي هزار؟

سند على كلتا ذراعيه وهو يقترب منها : انتِ عايزاني أصدق إنك عايزة تتجوزيني؟ أنا؟ ده بجد؟ ولا مين فينا بيتريق على مين؟

سندت مثله واقتربت منه : أنا مش بتريق أنا بطلب منك طلب محدد ويا توافق يا ترفض، تتجوزني ولا لأ؟ الموضوع بسيط.

تكلم بحدة : إيه هو اللي بسيط؟ - تدارك نفسه بسرعة قبل أن يكمل بهدوء – الموضوع مش بسيط، ده جواز، مشاركة، حياة كاملة، مش خروجة ولا سهرة هنطلع نسهرها.

نظرت إليه بهدوء : خلصت ولا لسه؟ برضه منتظرة إجابتك، موافق ولا لأ؟

نظر حوله ثم زفر بضيق وعاد ينظر إليها : انتِ واعية للي بتقوليه؟ ولا انتِ تعرفي عني أي حاجة علشان تتجوزيني؟

أجابته بهدوء : أعرف كفاية.

حرك رأسه بمحاولة للفهم : طيب ازاي؟ فهميني، انتِ عارفة ظروفي وحياتي شكلها إيه، فازاي؟

حاولت ترتيب أفكارها قبل أن تشرح له : انت قولت عندك

شقة صغيرة صح – وافقها بتحريك رأسه فأكملت – تمام حلو، أنا هعيش معاك في الشقة دي، هكون مسؤولة عن نفسي، يعني لبسي، متطلباتي، أكلي، شربي، كل حاجة من الآخر، وإنت مرتبك وفلوسك اصرف بيها على أخواتك وعيلتك زي ما انت.

أحس برأسه يدور فهو لا يفهمها أبدًا : مش فاهم حاجة، هو أنا بقيت غبي ولا انتِ بتقولي كلام مالوش معنى؟

وضحت أكثر : طيب خليني أتكلم معاك بصراحة أكتر ومن البداية، شوف ؛ ماما كل همها في الدنيا ورسالتها بتتلخص في حاجة واحدة، تجوز بناتها، فهي عايزة تجوزني بأي شكل وكل يوم في خناقة ما بينا بسبب عريس برفضه فالموضوع بقى صعب ومتعب، هي رافضة فكرة إني أفضل كده من غير جواز وأنا رافضة فكرة الجواز تماما، تجربتي فشلت ولا يمكن أكررها تاني.

قاطعها هنا : أمال جوازك مني ده إيه معلش لما مش هتكرريها تاني؟

وضحت هي بتردد : جوازي منك هيكون صوري، على الورق بس، وعلشان كده بقولك كل حاجة هتفضل زي ما هي ومرتبك كله لعيلتك وأنا مسؤولة عن نفسي، يعني زي زمايل سكن مش أكتر، بنتشارك بيت واحد لكن كل واحد في حاله، انت في حالك وأنا في حالي.

أغمض عينيه للحظات فكما قال منذ قليل هو والحظ ليسا

بأصدقاء، انتبه لها تضيف : كل اللي عايزاه منك اسمك، إني مراتك، تحميني من الناس والمجتمع وأمي وأنا أقدر أعيش بسلام وهدوء لوحدي، مالكش دعوة بيا ولا ليك كلام أو تحكمات فيا وأنا كذلك ماليش دعوة بيك، يعني كل واحد حر في حياته، يدخل، يخرج، يسهر، حرية مطلقة.

ضحك بتهكم : حرية مطلقة؟ يعني انتِ عايزة تشيلي اسمي كشكل صوري إنك زوجة وسوري جدًا في الكلمة تبقي براحتك محدش يقولك رايحة فين ولا جاية منين ولا يتدخل في حياتك أصلًا؟

أمسك مفاتيح دراجته النارية وهاتفه وهم بالوقوف ولكن منعته : استنى إنت رايح فين؟ إحنا بنتكلم.

نظر إليها بضيق : بس ده مش كلام

علقت هي غاضبة : أمال ده إيه؟

نظر إليها غاضبًا : تقدري تقوليلي بعد كده إيه؟ هنفضل نمثل إننا متجوزين؟ طيب لإمتى؟

أجابته : لحين ميسرة

ضحك بتهكم وردد جملتها : حين ميسرة؟ مش ده كان اسم فيلم ولا بيتهيألي؟

زفرت بغضب : هتفضل تتريق كده كتير؟

نظر إليها غاضبًا : ماهو الكل بيتريق وحضرتك أهو بتتريقي أكبر تريقة في الكون، جت عليا؟

علقت بخفوت وهي تنظر للأسفل : انت تقدر ترفض ببساطة وبس.

أجابها بنفس طريقتها : ماهو فعلًا برفض ومش ببساطة زي ما بتقولي، بس كلامك مفيش عاقل يقبله – استقر مكانه بفضول – بعدين بدال ما تتجوزي وتعملي حاجة انتِ رفضاها ما تسيبي البيت أسهلك؟ طالما قادرة تصرفي على نفسك أجري شقة صغيرة ليكي وعيشي لوحدك، تربطي نفسك براجل تاني ليه؟

نظرت إليه بتهكم : علشان يا فصيح محدش هيوافق أعيش لوحدي، بعدين اللي خلاهم رافضين أعيش لوحدي في بيتهم متخيل هيوافقوا أعيش في شقة لوحدي؟ - خفضت رأسها – بعدين مقدرش أخرج عن طوع بابا وهو هيرفض حاجة زي دي بشكل قاطع لكن الجواز ده حاجة تانية.

ضحك إيهاب مجددًا مما أغضب حنين للغاية وعقدت ذراعيها أمامها بغضب واضح فاعتذر منها وبسخرية : يعني هيرفضوا تقعدي في شقة لوحدك لكن مش هيرفضوا جوازك من واحد زيي بظروفي – اقترب منها وسخر منها – إنتي هبلة ولا غبية؟ ولا موهومة بأفكار بوهيمية ولا إيه حكايتك؟ والدتك بأفكارها الرجعية والسيطرة اللي هي فيها ازاي تتخيلتي إنها ممكن توافق ترتبطي بيا؟ انتِ بجد بجد مجنونة.

زفرت شهيق حار قبل أن تخبره : موافقتهم دي أنا أقدر

عليها.

علق بسرعة : طالما تقدري تقنعيهم بحاجة زي دي صدقيني تقدري تقنعيهم تعيشي لوحدك أفضل.

علقت بانكسار : يعني انت بترفض؟ تمام آسفة لوقتك.

راقب انكسارها والحزن يغزو عينيها فتنهد بحزن مماثل غير قادر على تركها : انتِ ليه تخيلتي إني هوافق؟ أو ليه أنا؟ مش حد في وسطك أفضل؟ حد من أصحابك تعرفيه ويعرفك وأهلك يوافقوا عليه؟

أجابته بصوت منخفض يكاد يكون مسموع : معنديش أصحاب

أحس بوجعها في إجابتها : انتِ لسه بتقولي كل واحد براحته يخرج أو يسهر مع أصحابه، ادتيني انطباع إن عندك ألف صاحب.

ابتسمت بوجع : معنديش غير هايدي اللي انت شوفتها وعندها أخ أصغر مننا وفي دعاء صاحبتنا من البنك وجوزها غير كده معرفش حد ومش عايزة أعرف حد.

- تقومي ترمي نفسك لواحد نقاش؟ نقاش عارفة يعني إيه؟ عارفة نظرة المجتمع لواحد زيي بتكون ازاي؟ انتِ مش متحملة نظرتهم ليكي كمطلقة ما بالك واحدة في مركزك مرتبطة بواحد زيي؟ مش بقولك موهومة.

رفعت رأسها تنظر إليه : عمر ما المجتمع همني أو فرق معايا

وبعدين قولتلك ماما اللي بتهتم بنظرة المجتمع لكن أنا ما بيفرقش معايا، بعدين انت بتشتغل شغلانة زي أي شغلانة، بتشتغل وفاتح بيت وربيت أخواتك وبتقوم بدورك.

كرر سؤاله : ليه أنا؟ مش يمكن أكون مرتبط بحد؟ أو عايز أتجوز جواز حقيقي من واحدة تشاركني حياتي؟

احتارت كيف تجيبه، نظرت إليه مطولًا قبل أن تحاول ترتيب إجابتها في عقلها : معتقدش انك مرتبط، أو ده اللي حسيتيه، معرفش هل إحساسي بجد ولا كالعادة زي ما بتقول موهومة، بس حسيت إن نظراتك ليا بتقولي انك مهتم – هرب من عينيها فهو بالفعل يتمناها – أما حكاية جواز حقيقي فخلينا واقعين بلاش تكون موهوم زيي، انت في رقبتك عيلتك.

قاطعها : مازن آخر سنة له وهيتخرج و

دورها في مقاطعته: وإيه؟ يشتغل ويشيل البيت؟ لو هو من النوعية دي كان اشتغل من سنين فاتت وساعدك ، يا سيدي بلاش يساعد بس يوفر مصاريفه هو، لكن هو بعد ما هيتخرج هيدور على مصلحته، شغله، عيادته، إرتباطه، فزي ما قولتك بلاش تبقى واهم، كمان أختك هتحتاج جهاز زي أي بنت فقولي، هتروح انت تتجوز ولا هتكمل تضحية وتجوز أختك الصغيرة؟

الإجابة كانت واضحة وأحست هي باليأس يتسرب مجددًا لنفسه، أحست بالذنب لأنها تقتل آماله وأحلامه الصغيرة :

يعني بلاش تضحك على نفسك وتقول قدامي سنة، قدامك أربع أو خمس سنين علشان تقدر تشوف نفسك أو مصلحتك.

أحس بثقل أنفاسه ونظر إليها بوجع : فعلشان كده قولتي أما أستغله أنا كمان، هو متعود يضحي بنفسه فليه ما يضحيش بأمل صغير جواه إنه يجي اليوم اللي يقدر يعيش فيه بسلام، أخد منه حتى الأمل؟ صح؟

أغمضت عينيها بوجع من نفسها وظروفها فهي أبدًا لم ترد أن تزيد أوجاعه أو تضيف إليها، هي فقط لم تفكر سوى في نفسها ومصلحتها فقط، علقت بحرج من نفسها : أنا بس فكرت في نفسي، قولت مش هكلفك أي حاجة، مش هطلب منك أي طلب، أنا بس هعيش في – تنهدت بوجع- في شقتك المقفولة وتحت اسمك، حسيت إنه طلب عادي وبسيط وسهل تنفيذه.

سألها بهمس : ولو طلبت حقوقي منك كزوجة؟ مفكرتيش في ده؟

نظرت إليه بحدة وهي تتذكر اغتصاب أمجد المتكرر لها مرة تلو الأخرى : هرفض، وماأعتقدش انك من النوع اللي ممكن ياخد حقوقه غصب.

علق باستغراب : ليه مش من النوع ده؟ تعرفي ده منين؟

ردت بسرعة دون تفكير : لأنك حالم، بترسم بشكل مختلف عن كل البشر، بتتكلم عن إخواتك بفخر وكأن إنجازاتهم وتعليمهم ده إنجازك وهو فعلا إنجازك، معندكش حقد ولا

غيرة منهم، بتقدم اللي عندك كله ومش بتنتظر مقابل، ازاي إنسان حالم وحساس زيك ممكن يغتصب حقوقه من حد تاني؟ كنت إغتصبت حقك من عيلتك.

وصلت زفرته الحارة لوجهها وهو يبتعد عنها ويستند بظهره على كرسيه ويعلق : أنا إيه اللي يخليني أوافق على طلبك ده؟ لمجرد إنك حسيتي إني معجب بيكي أو نظراتي ليكي فيها تمني فكرتي إني هوافق على أي شكل من أشكال الارتباط بيكي؟

أجابت بخجل : فكرت إنك مش هترفض مساعدتي، طمعت في تضحيتك زي ما ضحيت قبل كده بتعليمك علشان إخواتك تضحي علشاني – ابتسمت وهي تضيف- فكرة متخلفة صح؟ أنا آسفة وآسفة أكتر لو عطلتك اعتبر نفسك ما سمعتش حاجة مني و انسى طلبي ده، تقدر تقوم تمشي علشان محتاجة أقعد لوحدي شوية هنا.

تمنى لو يستطع مساعدتها ولكن طلبها فوق مقدرته، هو لن يضحي بآخر أمل في حياته، وقف بهدوء، أخرج من محفظته ما يغطي ثمن القهوة وانسحب من أمامها، وصل إلى الباب ولكن لم يستطيع الخروج، عاد يراقبها من بعيد، لاحظ دموعها التي تحاول مسحها بسرعة وكأنما ترفض الاعتراف بوجودها، لقد تمناها حلمًا فهل يتحقق الحلم بارتباطه بها؟ هل من الممكن أن تتحول تلك الرابطة المزيفة إلى حقيقة في يوم ما؟ فكما وقع في حبها تقع هي أيضاً في حبه؟ لم لا؟

ظلت حنين في مكانها بعد انصرافه وتعجبت كيف فكرت في تلك الفكرة المجنونة وكيف هيأ لها عقلها أنها فكرة جيدة؟ كيف كانت أنانية لتلك الدرجة فداست بكل قسوة على قلبه الصغير وأحلامه فدمرتها بكل تلك البساطة؟ كيف استباحت دمه كما استباحوا دمها من قبل؟

دمروا أحلامها وأيقظوها من أوهامها في الحب والحياة فكيف كانت بمثل قسوتهم معه؟

إلى متى ستستمر في تلك الدوامة وأين المفر؟

وقفت وهي تمسح كل آثار دموعها وخرجت، حين رآها تقف ابتعد كي لا تراه وراقبها وهي تخرج من المكان وهي تجر أذيال الخيبة خلفها، تمشي على الكورنيش بشرود تام وهو خلفها غير قادر على الرحيل عنها.

جلست على مقعد تنظر للمجهول وتنتظر معجزة ما، جلس بالقرب منها يراقبها وصراع ما بين عقله وقلبه، فقلبه يريد ضمها والقرب منها أقصى أمانيه، عقله يصرخ به فيكفي تضحية ولا تضيف هماً آخر فوق همومك.

أخذ قراره و اتجه ناحيتها وقف أمامها لترفع رأسها وتتفاجيء به فتهمس : ليه ما مشيتش؟

همس مثلها : ما أتعودتش أسيب حد بيمد إيده ليا وأمشي.

جلس بجانبها ينظر أمامه وسألها بشرود : أهلك لا يمكن يوافقوا بيا.

نظرت إليه بذهول تام فهل سؤاله معناه قبوله عرضها المجنون؟

حين لم تجبه نظر إليها ليتفاجئ بنظراتها : مالك؟

سألته بلهفة : انت وافقت تتجوزني؟ بجد؟

نكس رأسه : وهو اللي عرضتيه ده جواز؟

- أمال إيه؟

أجابها بحيرة : معرفش بس مش جواز، انتِ عايزة تخرجي من البيت بأي مسمى فمش هيفرق اسمه إيه، بس خلينا متفقين إني مش هقبل أي تصرف يضر باسمي زي الهبل اللي قولتيه بتاع الحرية المطلقة ده؟

ابتسمت وهي تستغبى نفسها ومسمياتها : طيب خليني أوعدك إني مش هعمل أي شيء ممكن يسيء لاسمك أو شكلك ومنظرك قدام الناس حتى أقربهم، هصون اسمك وبيتك وقدام الكل هنكون زوج وزوجة بس كل الحكاية إن آخر الليل مش هيتقفل علينا باب واحد.

أغمض عينيه بوجع فلكم تمناها زوجة يستطيع دفن رأسه بين ذراعيها وأن يشعر بذلك الدفء يغمره في أحضانها، هل كُتب عليه أن يعيش العمر بلا رفيق ولا ونيس؟

أضافت تسأله : قولت إيه؟

التفت إليها : لا إله إلا الله هقول إيه يعني؟ بس طالما هتعيشي في بيتي فانتِ مسؤلة مني.

علقت برفض قاطع : لا أنا مش هكون حمل يتضاف عليك وتشيل همه، اتفاقنا أنا مسؤلة عن نفسي وعن مصاريفي وانت كفاية الحمل اللي انت شايله.

تقابلت نظراتهما : لو هتكوني حمل زيادة على أكتافي فمش بالأكل والشرب صدقيني - أضاف بمزاح وهو يحاول تلطيف الجو قليلا - اه مش هنكر إني مقدرش أجيب أنواع الجبن الغريبة اللي بتجيبوها ولا كمية الشيكولاته ولا معظم الحاجات اللي جبتيها المرة اللي فاتت بس أقدر أصرف على بيتي - حاولت الإعتراض - وإقفلي الحوار في النقطة دي إذا سمحتي بعدين أنا مش هقبل أعيش مع واحدة في بيتي وهي تأكلني ولا معلش انتِ حسبتيها ازاي؟

نكست رأسها بحرج : فكرت زي الناس اللي بيأجروا شقة مع بعض ويعيشوا فيها، احنا ممكن نعمل زيهم، كل واحد فينا يكون عارف حدوده واللي له واللي عليه، غير كده انت معظم يومك بتقضيه بره أصلًا وأنا كمان وبالليل كل واحد فينا في حاله.

حاول تخيل حياته معها ولكن فكرة زواجه منها تسيطر على كل أفكاره وتشلها، فلا يفكر سوى في ضمها لقلبه فقط.

دلك وجهه بيديه يحاول أن يعيد الرشد لعقله : هنعيش في بيت واحد بس كل واحد في حاله - نظر إليها معاتبًا - ما شبعتيش وحدة من حياتك فعايزة تكملي كل حياتك في وحدة؟

نظرت لعينيه ولوهلة تمنت لو تريح رأسها على كتفه وتنهي ذلك الوجع في قلبها، لم تتمنى القرب منه؟ لم تغرق في عينيه بتلك الطريقة؟

ابتعدت عن حصار عينيه وعلقت بلهجة حاولت أن تسبغها بالبرود : جربت وفشلت ومعنديش استعداد أشارك حد تاني، اكتفيت بتجربتي الأولى – نظرت له تحاول أن تجعله يفهم – إيهاب أنا مريت بتجربة سيئة جدًا معنديش استعداد أتكلم عنها أو أعيدها من تاني فلو سمحت قدر موقفي وأحاسيسي.

سأل بتهكم : وأنا مين يقدر موقفي وأحاسيسي؟ ولا أنا بوكس الملاكمة بتاعكم؟ ما علينا نرجع لأبوكي وأمك.

- سيبهم عليا أنا هقنعهم بس محتاجة منك تيجي معايا تتكلم مع بابا أو تطلب إيدي منه.

نظر إليها بتردد : أنا أروح لأبوكي؟ من قبل حتى ما تديه فكرة أو تكلميه؟ يعني عايزة انفجارهم يكون فيا أنا؟ - أضاف بتهكم – إنتي بتعزيني أوي، آه عارف إن ارتباطنا صوري بس مش للدرجة دي اهتمي بيا شوية مش ترميني في وش المدفع؟

بدون تفكير أمسكت ذراعه : هنكون مع بعض وهنواجه مع بعض – نظر ليدها فتركت ذراعه بسرعة وتداركت نفسها – هنواجه الكل مع بعض، يلا بينا؟

اتسعت عيناه بتعجب : يلا فين؟

وقفت بحماس : هنقابل بابا ونفجرلهم خبر قرارنا بالجواز.

أحس أنه يجري بسرعة ناحية منحدر يعلم تماما أنه سيقع من فوق الحافة ولكن لا يستطيع التوقف، كررت بترجي : يلا ولا إيه؟ انت محتاج وقت تفكر؟

وقف أمامها : أيوه محتاج وقت أجمع أفكاري واستوعب كمية الحاجات اللي سمعتها وأكلم عيلتي وفي حاجات كتيرة محتاجين نفكر فيها ازاي هنعملها، الموضوع مش قرار وليد اللحظة هنجري وراه وبعدها نستوعب احنا عملنا إيه في نفسنا؟ مش في فرح وفي شقة هتتفرش وفي شبكة وفي ألف خطوة هنعملها؟ ولا فكرتي انك هتلمي هدومك وتيجي وبس؟

أجابته بخجل مجددًا : ايوه فكرت إني هلم هدومي وأخرج من البيت وبس.

ابتسم لبساطة أفكارها وصمت أما هي فعلقت بحماس : هنساعد بعض، ومستغنية عن كل الكماليات اللي بتتكلم عنها، مش عايزة فرح ومش عايزة شبكة وحتى فرش الشقة مش محتاجة غير أبسط الحاجات الأساسية.

زفر إيهاب بضيق : وكالعادة مفكرتيش غير في نفسك وفي احتياجاتك؟ - نظر إليها بضيق – مفكرتيش إني ممكن أبقى عايز أعمل فرح؟ يعني حتى لو جوازنا بشكل صوري؟ ممكن أبقى عايز أفرش شقتي بجد، حنين إذا سمحتي بطلي تاخدي قرارات عني وإلا الشراكة دي أو معرفش اسمها إيه مش

هتنفع معانا.

نكست رأسها بخجل : أنا مقصدتش أتجاهل رغباتك قصدت أسهلها مش أكتر، طيب خلينا نفكر بصوت عالي، أنا بجد مش عايزة شبكة دبلة كفاية، مش محتاجة فرش كامل يعني الأساسيات، مش قصدي اتجاهلك.

نظر لعينيها بتردد : انتِ واثقة في قرارك ده؟ ولا هنقلب الدنيا وبعدها تفوقي؟ حنين أنا شغال باليومية، مش هقدر أعمل حاجات كتير جدًا وعايش في منطقة شعبية جدًا بالنسبة لك و

قاطعته بسرعة : أنا مش شخصية مادية أبدًا، لا كنت ولا هكون، أمجد كان بيجيبلي هدايا دهب وكل ما تتخيله وبالرغم من كده فشلنا، فالموضوع مش مادي أبدًا زي ما انت متخيل.

أمجد؟ إذن فهذا إسمه؟ هل لا تفكر في سواه؟ تذكر كل حياتها معه ولربما يدخل في مقارنات عقيمة هو في غنى عنها؟ يتهمها بالتسرع وهو متسرع أكثر منها ،فكما يطلب منها أن تتمهل فليتمهل هو نفسه وليعطي لنفسه فرصة في التفكير بعقل قليلا.

راقبته حنين وهي تتمنى لو تدخل أفكاره، علقت بتردد : آسفة لو كلامي عن جوزي السابق ضايقك؟ أنا قصدت بس أقولك إن مش المادة اللي بتسعد الإنسان.

تكلم بحده : إنتي مش بتدوري على السعادة انتِ بتهربي

وبس، بتدفني راسك علشان ما تواجهيش، أو يمكن بتعاقبي عيلتك على اهتمامهم وحبهم ليكي باختيارك ليا.

أضاف آخر جملة وهو لا يعلم أنها أصابتها في الصميم فهي بالفعل تعاقب أمها باختيارها لشخص مثل إيهاب وهي تثق تمام الثقة إن أمها لن تقبله أبدًا وستحاربها بكل ما تملك.

حركت رأسها بتعب وإرهاق : هنفضل نلف وندور في دواير مغلقة، بطل تفكر بالشكل ده.

صرخ بها : أنا مش زيك، ما ينفعش أخطي من غير ما أعرف أنا رايح فين وإزاي والخطوة دي هتوديني فين.

صمتت تمامًا وجلست في المقعد خلفها : طيب خلينا نفكر، أنا عندي حساب في البنك وفيه

قاطعها بنفاذ صبر : قولتلك قصة إنك تصرفي عليا دي مرفوضة تمامًا فإقفليها.

- ليه بتصيغها كده؟ اعتبرها مساعدة .

- لا دي مش مساعدة دي ملهاش غير المسمى اللي قولته.

تنهدت باستسلام : طيب إتفضل وعقدها.

نظر إليها بعتاب ثم نظر أمامه بصمت أما هي فنظرته أصابت قلبها بالقشعريرة، كل نظراته توترها للغاية.

انتبهت له : معايا مبلغ أعتقد هيكفي إني أفرش الشقة بس علشان أبقى واضح هيكون فرش على القد مش زي اللي في

بيت أبوكي.

أكدت : وأنا سبق وقولتلك كل المظاهر دي مش فارقة معايا فبراحتك اللي انت شايفه صح إعمله مش هتكلم لأني كل ما بتكلم بتعتبرني بتجاهل مشاعرك.

نفخ بضيق : مكنتش أعرف إن أختك عندها حق لما قالت إنك رخمة ولا تطاقي.

اتسعت عيناها وبتلقائية ضربته في كتفه ليضحك هو : حور قالت إني رخمة؟ وانت بتأكد كلامها؟

ضربته مجددًا ليمسك يدها يمنعها وبمزاح : آه بأكده

سألته بفضول : إمتى قالتلك كده؟

- قبل ما أرسم أوضتها اترجتني أخلصها بسرعة علشان انتِ لا تطاقي.

- وانت شايف فعلًا إني لا أطاق؟

سؤالها الإجابة عليه صعبة فهو يتمنى قربها فكيف يجيبها؟ هل يخبرها بحقيقة مشاعره تجاهها؟ أم يستمر في تلك التمثيلية الباردة؟

نظرت أمامها هربًا من نظراته التي توترها للغاية وتفقدها صوابها.

سألته بشرود : هتفاتح بابا ازاي وإمتى؟

زفر بضيق : مش عارف، أبوكي بحترمه جدًا وبحس إنه هو

بيثق فيا وبيحترمني ومش عايز أهز الثقة دي بمقابلتي ليكي النهاردة بدون إذنه، بس تخيلت ح هتطلبي مني شغل مش أكتر لكن الجنان ده لا يمكن يخطر في بالي.

ابتسمت من جنانها وجنانه هو بموافقتها : إيه رأيك لو تيجي الشغل بكرة وبعدها تكلمه

حرك رأسه برفض مطلق : لا مش هروح أحرجه وأحرج نفسي في مكان شغل.

وقف لينهي نقاشهم : خلينا نفكر الليلة دي في كل اللي حصل ده ونحط النقط على الحروف ونوصل لحلول منطقية وكلام منطقي نقوله، هكلمك بكرة ونتفق إمتى أكلّم باباكي وهقوله إيه؟

وافقته بدورها وهي تقف : تمام اتفقنا، كده يدوب أروح علشان ما أتأخرش.

نظرت حولها لتوقف تاكسي ثم نظرت إليه فجأة : انت جيت ازاي؟ تاكسي ولا مواصلات؟

أشار خلفه : ولا ده ولا ده، جيت بالموتوسيكل بتاعي.

رفعت حاجبيها بحماس : وصلني انت؟

علق وهو يتذكر كلامها عن رغبتها بركوب الدراجة النارية : أنا أوصلك؟

ابتسمت وهي تعلم تماما ما فكّر به : ما تخافش مش هصوت وألم عليك الناس.

فكر في رفض طلبها ثم رنت في عقله جملة سمعها فيما قبل ((إذا الحياة أعطتك فرصة فاستغلها فلا أحد يعلم ما يحدث بالغد))

سيأخذ كل ما تعطيه الحياة فلربما قد حان دوره في قليل من السعادة.

تحرك ناحية دراجته النارية وهي تلحقه، وقف أمامها بحيرة فسألته بحماس : هاه؟ هتوصلني؟ ولا أطلب أوبر؟

أمسك الخوذة ليعطيها إياها فعقدت حاجبيها : لازم؟

أكد لها : أيوه السلامة أولًا، اتفضلي.

لبستها وبعد أن استقر هو مكانه سألته بحيرة : أركب ازاي؟ زيك ولا أقعد على جنب ولا إيه؟

ابتسم وهو ينظر إليها من فوق كتفه : براحتك، الطريقة اللي تريحك أقعدي بيها.

بتوتر ركبت من الجانب، سمعته ينبهها : امسكي كويس واوعي تقعي.

صرخت به بتحذير : أوعى توقعني.

تحرك بهدوء لينبض قلبها بعنف مع تزايد حركته، أمسكت قميصه خوفًا من الوقوع وخلال فترة أحسّت بالإطمئنان وهدأت تماما خلفه، ابتسمت وهي تفكر في علاقتهما سويا فلربما تعيش بسلام معه.

وقف بعد فترة لتسأله بحيرة : وقفت ليه؟

نظر إليها من فوق كتفه : هو مش ده بيتك ولا بيتهيألي؟

تلفتت حولها لتبتسم ثم تقفز من خلفه : وصلنا بسرعة أوي ليه؟

- علشان ما بنقفش في الزحمة زي العربيات.

ابتسمت وهي تضيف بتلقائية : وقت ما أكون متأخرة على شغلي ابقى وصلني.

تخيل حياتهما سويًا وفكر لو تبادله مشاعره سيكون أسعد إنسان على وجه الأرض، سيعتبرها أكبر تعويض من الله عن كل ما قاساه في حياته.

لاحظت حنين نظراته فتراجعت توترًا : هنتظر تليفونك بكرة إن شاء الله، بتمنى ما تغيرش رأيك.

نكس رأسه للحظات قبل أن يرفعها توترًا : أعتقد لو حد فينا هيتراجع فمش أنا.

أكدت وهي تشير بيدها : مجرد فكرة إني أخرج من البيت ده أسعدتني وأكيد انت ملاحظ ده؟ مش هتراجع.

راقبها وهي تدخل منزلها واستمر واقفاً لفترة وهو يفكر في جنونه لموافقته على اقتراحها وطلبها.

خرج هشام من عمله وتوجه للعنوان الذي أرسلته إيمي، وقف طويلًا أمام منزلها بحيرة، فجزء منه يريد الدخول

وجزء آخر يمنعه ويخبره أن لا يتخطى ذلك الخط الواهن الذي رسمه من قبل.

رن هاتفه ليظهر اسم إيمي أمامه وبعد تردد شديد أجابها فصدح صوتها : اوعى تقول مش جاي؟ أنا حضرت الغدا بإيدي وهموت من الجوع، انت فين بقى؟

صوتها وطريقتها في الكلام أنسته كل ما فكر فيه منذ قليل فأجابها مبتسماً: أنا تحت البيت وطالع.

استقبلته على الباب ترحب به، دخل وهو يتلفت حوله معجبا بذوقها في فرش شقتها : ذوقك حلو

ضحكت بخلاعة : ده ذوق مهندسين الديكور.

ضحك مثلها : بس أكيد بيعرضوا عليكي وانتِ بتختاري، يبقى ذوقك حلو.

اقتربت منه : أكيد طبعًا ذوقي حلو، تشرب حاجة ولا ناكل على طول؟

نظر لعينيها وهو مشدود بجمالها : ناكل على طول.

ابتعدت عنه وهي تضحك ونادت على مساعدتها : وفاء – خرجت واحدة في أواخر الثلاثينات ممتلئة قليلًا – أوامرك.

- حضري السفرة بسرعة يلا.

سأل هشام: مين دي؟

- الشغالة هتكون مين يعني؟

سألها بغموض : عايشة معاكي هنا ولا بتمشي؟

ضحكت من سؤاله واقتربت منه تمسك ياقة قميصه : تفرق معاك في إيه؟ بلاش تركز كتير هاه.

بعد قليل أخبرتها وفاء أن السفرة جاهزة وتوجها ليصدم هشام بكمية الأكل عليها وتنوعها : إنتي عايزة تقنعيني إنك عملتي الأكل ده كله؟

ضحكت مطولًا بخلاعة وهي تجلس في مكانها : اخترته بعناية.

شاركها الضحك وهو يجلس بجانبها، رن هاتفه فأغلق الصوت وتناول غذائه مع رفيقته في جو صاخب.

وصل إيهاب منزله وجد والدته في المطبخ فساعدها دون أن ينطق حرفًا فعقله مشغول بترتيب أفكاره وهل ستوافق والدته على زواجه من حنين؟

التف الجميع حول طاولة الطعام، لم يلاحظ أحد منهم صمت إيهاب سوى أخته : مالك يا هوبا؟

اتجهت الأنظار ناحيته، حمحم بتوتر : ماليش.

راقبته والدته ولاحظت شروده فهو يأكل بالكاد أو بالأحرى هو يعبث بملعقته في الطبق ليس أكثر، سألته بفضول : مالك يا إيهاب؟ لما بتعمل كده بيكون وراك مصيبة.

رفع رأسه ينظر إليها باستغراب وردد : مصيبة؟ ليه؟ كنت عملتلك مصايب إيه قبل كده علشان يكون ورايا مصيبة

دلوقتي؟

همهمت دون إكتراث : مش مصيبة مصيبة المهم قول وراك إيه؟ سرحان في إيه كده؟

مط شفتيه يفكر كيف يخبر عائلته بقراره؟ ثم قرر أن يتخذ أسلوب حنين ويلقي ما بجعبته مرة واحدة دون مقدمات : أنا قررت أتجوز.

نظر الكل إليه ببلاهه فآخر ما توقعوه أن يكون الزواج هو ما يشغل باله، فلقد اعتبروه ألة تخرج لتشتغل فقط دون أي حق للحياة، أخيرًا تغلبت قدرية على الصدمة وسخرت منه : تتجوز؟ ده هزار صح؟

نظر إيهاب إليها وهو يضع الملعقة جانبًا ويتكلم بجدية : إيه الهزار في كلامي؟ ولا حياتي كلها بالنسبه لك هزار؟

تراجعت قدرية في سخريتها فإبنها يبدو جادًا للغاية فلتحذر معه الآن كي تتجنب انفجاره : طيب مش هزار تمام، هتتجوز مين؟ ولا عايز تتجوز ندور على عروسة ولا إيه؟ ولا

قاطعها مازن إبنها : تدوري على إيه؟ ما تصبر سنة أتخرج وإعمل ما بدالك، يعني انت جاي تقل معانا آخر سنة؟ ده احنا يدوب عايشين.

تذكر كلمات حنين وهي تخبره أن أخيه لن يساعده يوما ما وكل يوم يتأكد من أنانية أخيه المفرطة، تجاهله تمامًا وأكمل

حديثه مع والدته: العروسة موجودة وعايز نروح نطلب إيدها و

هنا قاطعته قدرية : استنى ح وواحدة واحدة كده عليا، هتتجوز ازاي وزي ما أخوك قال احنا يادوب عايشين وقادرين على مصاريف كليات إخواتك تقوم تزودها وتفتح بيت تاني؟ وعروسة والنهاردة بتدلع والنهاردة عايزة تخرج والنهاردة عايزة لبس وبكرة عيد وبعده رمضان وبعده نخلف وبعدها احنا أولى.

زفر بضيق من عائلته : العروسة اللي اخترتها عارفة ظروفي كلها وموافقة عليها و معندهاش أي طلبات ومش بس كده – قرر يقنع والدته بالطريقة التي تهمها فقط – دي بتشتغل وعندها مرتبها وقالت إنها مستعدة تتكفل بكل طلباتها وفلوسي تفضل ليكم هنا، يعني هي مش عايزة أي حاجة.

هتفت أخته بحماس : طيب حلو ده معناه إنها بتحبك يا إيهاب ح على الله يا حبيبي وربنا يسعدك.

ابتسم لأخته الصغيرة فهي الوحيدة التي تحبه حقا وقبل أن يرد عليها صاحت والدته : حب إيه يا أم حب؟ هو الحب بيأكل عيش حاف حتى؟ - نظرت لابنها – معيوبة بإيه البت دي ماهو إستحالة تكون بنت طبيعية وتقول اللي بتقوله ده؟

لم تدرِ قدرية أنها تجرح ابنها بكلامها، عبر بوجع : ليه معيوبة؟ ما ينفعش تكون بتحبني زي ما هبه قالت؟

ردت بسخرية : لا ماهو موضوع الحب والكلام الفاضي ده ما بياكلش معايا يا إيهاب، فاركنلي الحب على جنب وقولي البت دي عيبها إيه؟

رد إيهاب بنبرة غاضبة : معندهاش عيب، بنت جميلة ورقيقة وأخلاقها عالية ومن بيت محترم وبتشتغل في بنك.

صفّر مازن بإعجاب : بتشتغل في بنك مرة واحدة؟ ماهو علشان تشتغل في بنك حاجة من الاتنين يا إما أبناء عاملين يا إما عندها واسطة معتبرة تعينك في بنك فهي إيه فيهم؟

تضايق إيهاب من أخيه ولكن أجاب سؤاله : أبوها مدير البنك، ارتحت كده؟

هنا ضحك مازن وبسخرية : يبقى أمك عندها حق فـقر وإعترف البت دي عيبها إيه؟ ماهو مش من العقل ولا المنطق إنها تبقى بنت مدير بنك وشغالة في بنك وسوري يعني يا هوبا بس ترضى تتجوز واحد مش مكمل كليته.

وقف إيهاب وصرخ بحدة : انتو عايزين مني إيه؟ هاه؟ عمالين تتريقوا وتتمسخروا وعايزين تطلعوا فيها أي عيب والسلام، في إيه لكل ده؟

وقفت قدرية بغضب مماثل وصرخت فيه : في انك بتستعبط، لما تصحى من النوم تقولي عايز اتجوز واحنا داخلين على الدراسة يبقى بتستعبط، لما تقولي بنت مدير بنك وشغالة في بنك يبقى بتستعبط، معلش يعني تتجوزك ليه واحدة زي دي؟ طيب البت هبله وبتحبك ماشي هبلعها

لكن أبوها مدير البنك هيوافق يجوزهالك ليه؟ إلا إذا كانت بايرة مثلًا؟ عندها كام سنة البت دي؟

فكّر إيهاب في غلق باب الحوار، الحوار مع والدته دائمًا ما يكون عقيم للغاية ولكن الآن ليس وقت الهرب منها فهو بحاجة لحنين في حياته وهي بحاجة له، نظر لوالدته : معرفش بالظبط بس صغيرة زي هبة أو يمكن أكبر منها بسنتين ولا ثلاثه المهم في العشرينات.

ضربت والدته كفًا بكف : طيب صغيرة وحلوة إقنعني ليه؟ أنا مش قصدي أضايقك وأعايرك بشغلك بس ليه يا إيهاب؟ ماهو لازم يكون عندك عقل وتفكر بيه، ليه واحدة بالمستوى ده ترضى بينا؟ لازم يكون في سبب ولا انت أهبل ومش فاهم الدنيا؟ أنا قولت انت نزلت السوق وبقيت راجل مفتح مش حتة بت تضحك عليك؟

صاح بغضب : إيه تضحك عليا دي؟ وتضحك عليا في إيه؟

صرخت فيه بسخرية : أقولك يا حيلتها، حامل من راجل تاني وعايزة أي حد تلزق فيه ابنها، تخلف وتلزق اسمه وتقولك مع السلامة شكرًا ما نستغناش، فهمت يا خيبتها؟

حرك رأسه بيأس من أفكارها، نظر إليها بحدة : طيب معيوبة، متنيلة بستين نيلة هتجوزها، بكرة ولا بعده هروح أطلب إيدها وهنفرش الشقة على قد ما نقدر وهتجوزها، موافقتكم من عدمها مش فارق معايا – نظر لكليهما بتهكم – اللي بيديني حاجة فيكم يمنعها، سلام.

صرخت والدته بغضب : بقى كده يا إيهاب؟ بتعاير أمك علشان بتصرف عليها؟ إخص عليك يا زمن، رخصت الغالي وغليت الرخيص.

أغلق الباب خلفه بعنف قبل أن يهتف مازن : وبعدين يا أماه هنعمل إيه؟ لو أتجوز وساب البيت وقال اشربوا من البحر هنعمل إيه؟ هنصرف منين؟

علقت هبه بغضب : انتو للدرجة دي أنانين؟ طيب طالما أنانين وما بتفكروش غير في نفسكم وبس ونسيتوا أنه هو اللي فاتح البيت وكلنا عايشين من خيره يبقى لما يطلب لنفسه طلب كل كام سنة توافقوه وتحسسوه إن سعادته تهمكم بدال ما انتو شكلكم ... شكلكم مقزز للدرجة دي.

صرخت والدتها وهي تزيحها من طريقها بغضب : غوري يا بت من وشي مش نقصاكي.

خرجت هبه تلحق بأخيها وصعدت للسطح فذلك هو ملاذه الآمن، وجدته يجلس بحزن، اقتربت منه وجلست بجانبه وربتت على كتفه : ما تزعلش منهم هم بس خايفين لتتجوز ومراتك تاخدك منهم، إيهاب انت عامود البيت ده فلو بعدت نضيع كلنا، فالكل خايف من قرارك ده ليضيعنا كلنا.

تنهد إيهاب بضيق : أنا عمري ما هدور ظهري ليكم أبدًا، فلو مكنتش واثق من الخطوة دي مكنتش هاخدها أبدًا.

بعد أن أنهى جملته سأل نفسه (أهو واثق حقًا من قراره ومن هذه الخطوة؟ أم هي أمنية وحلم يتمنى تحقيقه بغض

النظر عن نتائجه؟)

انتبه على هبه تضربه بكتفه بمزاح : احكيلي عنها بقى، إخص عليك تخيلت انك لو حبيت في يوم هتحكيلي؟

أجابها بحرج : مفيش حكاية أحكيها يا هبه الموضوع زي خرافة أنا نفسي مش مصدقها، عمري ما تخيلت إنها ممكن تحبني أو تشوفني أصلًا.

أمسكت ذراعه بصدق : إيهاب انت حد كويس جدًا ويا بختها اللي ترتبط بيك، انت حنين وصادق في مشاعرك ومثقف وذكي و وسيم، إيه اللي فيك ممكن ما يتحبش؟ أصلًا انت لو مش أخويا كنت حبيتك وقولتلك إتجوزني.

ابتسم لطيبة قلبها : علشان أخوكي بس بتقولي الكلام ده لكن وقت ما تتخرجي وتتعيني وتشتغلي هيكون ليكي رأي تاني.

اعترضت بسرعة : ليه يعني؟ بعدين ما أهو هي – فكرت للحظة – هي اسمها إيه ما قولتليش؟

ابتسم : حنين

ابتسمت ورددت الاسم باعجاب : طيب أهو حنين حبتك و وافقت تتجوزك وأهي أعلى مني بمراحل.

تنهد بتعب فكم تمنى لو تلك هي الحقيقة وهي تحبه صدقًا !

اقتربت هبه من أخيها : بطل تفكير كتير وقوم اتصل

بحبيبتك وإرغي معاها شوية، البنات بتحب الرغي الكتير.
ابتسم وقبل أن ينطق سألته أخته بفضول : مش معاك صورة لها؟

حرك رأسه ينفي فسألته وهي تغمز له : ما رسمتهاش؟

امسكت ذراعه بترجي : وريني رسمتها.

استغرب : يا بنتي مين قالك إني رسمتها أصلًا؟

- أي حاجة بتعجبك بترسمها فما بالك بحبيبتك؟ ده مش بعيد تكون رسمتها ألف مرة؟

فضحته ابتسامته فصرخت هي : يبقى رسمتها فعلًا، وريني حالًا صورتها.

وقف بتردد وأخرج لوحة في نهايتها، وقفت هبه أمامها تتأمل تلك الفتاة التي تحتضن نفسها وتنظر بجانبها، نصف وجهها فقط يظهر، نظرت لأخيها : ليه مرسمتهاش كاملة؟ ليه نص فقط وبظهرها وليه بنص وشها؟

تأمل أخيها الرسمة أمامه وعلق بشرود : علشان أقدر أرسمها كاملة لازم تكون قدامي.

شهقت أخته بمزاح : وهي مش قدامك طول الوقت؟ كنت فاكرة إن الحب بيخلينا شايفين اللي بنحبه قدام عينينا طول الوقت؟

أبعد إيهاب رأس أخته بإصبعيه بمزاح : أيوه ماشي بس مش لدرجة الرسم، الرسم محتاج أدق التفاصيل تبقى قدام

عينك وبطلي غلبة بقى.

نظرت مجددًا للصورة أمامها : هي ليه حزينة؟ ولا بيتهيألي؟

شرد إيهاب في ملامحها فهي بالفعل حزينة، علقت أخته : إيهاب – التفت إليها – هو إيه السر اللي مرضيتش تقوله قدام ماما ومازن؟ إيه العيب اللي فيها؟

أطال إيهاب النظر للوحة أمامه قبل أن يجيبها بشرود : مش عيب يا هبه أو أنا مش شايفه عيب، حنين مطلقة

تنهدت أخته بارتياح: يا أخي وقعت قلبي، وفيها إيه يعني إنها مطلقة؟ ولا ناقصة إيد ولا ناقصة رجل وبنت زي كل البنات، أنا مش شايفة الطلاق ده عيب

قاطعها صوت والدتهما وهي تهتف : طلاق؟ أنا كنت عارفة إنها لا يمكن تكون عادية، أيوه كده قولوا هي خرج بيت، وقال إيه أنا اللي قولت أطلع أطيب بخاطره، مطلقة قال، مش هتتجوز البت دي يا إيهاب.

تركته ونزلت مجددًا أما هبة فإعتذرت من أخيها : أنا آسفة يا إيهاب معرفش إنها ورايا؟

ربت إيهاب على شعرها بعطف : ولا يهمك يا هبه، إنزلي انتِ دلوقتي وأنا زي ما قولتي هكلم حنين وأنزل.

نزلت هبه لتجد أمها تصرخ في مازن : شوفت أخوك عايز يتجوز مطلقة، مطلقة يا مازن، واحدة راجل تاني رماها هو

عايز ياخدها، يا خيبتك يا قدرية يا خيبتك.

تضايقت هبه منها : انتِ بتعملي كده ليه هاه؟ اللي يشوفك يقول خايفة عليه بجد، بعدين مالها المطلقة هاه؟ ما يمكن جوزها ابن ستين كلب؟

صرخت قدرية : بت انتِ أنا مش نقصاكي، ما يمكن تكون هي اللي بنت ستين كلب أنا أعرف منين هاه؟

أجابت هبة : لو هي وحشة مكنش إيهاب حبها ولا قال يتجوزها.

علق مازن : و إيه يضمن؟ بعدين أخوكي إيهاب بحالميته ورسوماته والعالم اللي هو عايش فيه أي واحدة هتبصله هيحبها، ده واحد مطحون في الحياة وأي كلمة حلوة هيهيبرها ويكبرها ويعمل ألف حوار – نظر لوالدته – يا أماه سيبيه هو تلاقيه بيتهيأله إنها بتحبه، خليه يعمل اللي في دماغه واحدة بالمواصفات اللي قالها حتى لو مطلقة مش هترضى بيه، إيهاب موهوم قال أبوها مدير بنك قال؟ بيلعبوا مديرين البنوك

سألته قدرية باهتمام : إلا اللي بيشتغلوا في البنوك دول مرتباتهم إيه يا واد يا مازن؟

ابتسم لفضولها : كبير يا أماه يعني لو البت دي بجد سيبيه يتجوزها

عقدت حاجبيها بحيرة : بس مطلقة يا واد.

جلس بجانبها : فيها إيه يعني؟ طالما هو مش فارق معاه حكاية إن راجل تاني لمسها قبله هيفرق معاكي انتِ في إيه؟ دي لو بنت مدير البنك يعني بتتكلمي في مرتب معدي العشرة يا أماه، إهدي كده و افهمي منه الكلام بجد ولا إيه؟

هنا دخل إيهاب ونظر لأخيه باشمئزاز : انت ليه محسسني إني لما أتجوزها هتاخد انت مرتبها؟

علق مازن بابتسامة سمجة : المليان يكب على الفاضي

وقف إيهاب بوجهه : ده مبدأ الجعان يا مازن، وأنا لا يمكن أسمح أنها تدفع ولو جنيه واحد من مرتبها هنا بالبيت – نظر لكليهما- فعلشان بس وانتو بتخططوا كده تبقى الأمور واضحة قدامكم، أنا هتجوز حنين إن شاء الله وبيتي أنا هصرف عليه والبيت ده برضه هكمل دوري فيه للآخر، تصبحوا على خير.

دخل لغرفته كي ينعم بقليلاً من الهدوء، رنت رسالة في هاتفه فأخرجه وتفاجئ برسالة منها فتحها بسرعة فلم يجد سوى علامة إستفهام فقط، تنهد بإحباط فهي لن تكتب له قصائد شعر، بعد تفكير طويل أرسل ردًا لها رمزًا تعبيريًا (🤷)

فتحت حنين رسالته بقلب يخفق ولكن أحبطت حين رأتها كتبت بعد تردد (قررت إيه؟ ولا هتتراجع؟)

كتب بسرعة (قولتلك لو حد هيتراجع فمش أنا)

ابتسمت وكتبت (طيب هتكلم بابا؟ كلمت عيلتك؟ هتعمل إيه طمني؟)

تنهد وفكر في كتابة رد مناسب لها (عيلتي قالوا عليا مجنون وبخرف وبحلم بعروسة البحر أو بجنية 😳، أما أبوكي فمش عارف صراحة أقوله إيه ولا ازاي؟)

ضحكت من رسالته وكتبت بسرعة (صعبت عليا تصدق 😝)

أرسل إليها مجددًا رمزًا (😱)

ضحكت حنين وكتبت (خلاص ما تعيطش بس قولي بجد هنقول إيه لبابا؟ أصلًا عمري في حياتي ما عملت أي حاجة من وراه وهيزعل مني جدًا وأنا زعله عندي بالدنيا)

ابتسم إيهاب فلقد لمس فعلًا حبها لوالدها وإهتمامها لزعله، فكر عدة لحظات قبل أن يقترح عليها (إيه رأيك لو روحت لأبوكي واتكلمت معاه وانتِ ما تعرفيش أي حاجة عن الموضوع ده؟ يعني هطلب إيدك وهو لما يقولك إعملي نفسك اتفاجئتِ وقوليله هفكر، وما تزعليهوش منك بس كده)

أحست حنين بإحساس غريب فهو بالفعل مستعد دائما للتضحية ومساعدة غيره، يهتم بمشاعر كل من حوله، أحست مجددًا بتأنيب الضمير لاستغلاله بتلك الطريقة لصالحها.

وصلتها رسالة أخرى (قولتي إيه؟)

كتبت بصدق (ليه بتحسسني إني إنسانة وحشة أوي كده؟)

استغرب رسالتها للغاية وكتب بسرعة (ليه بتقولي كده؟)

إنتظر الرد وحين تأخر كتب (إنتِ أرق وأجمل إنسانة قابلتها في حياتي يا حنين)

تنهدت بحزن وكتبت(عمري ما كنت أنانية بس بعد اللي مريت بيه واللي عيشته اتحولت لإنسانة غريبة عني، صدقني عمري ما كنت أنانية ولا استغلالية بالشكل ده)

قارن إيهاب أنانيتها المزعومة بأنانية مازن أو والدته فهي أبعد ما يكون عن الأنانية، وصلته رسالة أخرى (أرجوك إسمحلي أساعدك على قد ما أقدر، خلي علاقتنا زي صداقة متبادلة كل واحد فينا بيسند التاني بطريقته)

ابتسم بحزن وكتب بعد تفكير (حنين أنا لو عايزك سند فأكيد مش مادي)

دقّ قلبها لتلك الكلمات البسيطة ولكن نفضت أفكارها فالحب بعيد تمام البعد عن إتفاقهم.

كتبت بعد تفكير (للأسف معنديش غير النوع ده أقدمه، سامحني بجد وحاول تعذرني)

قرأ رسالتها بحزن فمن يخدع؟ أخبرته بكل الطرق أنها لم تعد تؤمن بالحب وأخبرته أنها دفنت قلبها مع زوجها السابق، ثُرى ما سبب سجنه؟ ولم تحافظ على عهدها معه؟ أهي مازلت تحبه حقا ولا ترى سواه؟

اسئلة كثيرة لا إجابة لها تؤرق مضجعه، أغلق هاتفه و وضعه بجانبه يفكر في خطواته وأيامه القادمة.

استمرت حنين بالنظر لهاتفها تنتظر أي رسالة أخرى منه، حين طال إنتظارها وضعت الهاتف بجانبها بإحباط، لقد ألقت بحبه في وجهه فماذا تنتظر؟ ألم تخبره ألف مرة أن يخرج الحب خارج المعادلة؟ لمَ تنتظر تلك الكلمات وتتمنى سماعها منه؟

أطفأت نور غرفتها واستقرت في سريرها تنظر لتلك الرسمة على الحائط أمامها، تذكرت جلوسها خلفه على دراجته النارية وتمنت لو تعيد تلك التجربة وتلف ذراعيها حوله.

أغلقت عينيها تحاول أن تنعم بقليل من النوم دون جدوى.

٥

رفعت سارة قضية طلاق للضرر من لمعي بمساعدة زهير وتشجيعه وطمأنها صديقه المحامي أنها ستطلق قريبًا وخصوصًا مع وجود تقرير المستشفى، انتبهت من شرودها على صوته يسألها باهتمام : مالك؟ قلقانة ليه كده؟ مش المحامي طمنك وقالك الموضوع مش صعب خالص؟

تنهدت وهي ترسم القلق والتوتر على ملامحها : وبعد ما أطلق؟ حاسة إني خايفة من بكرة.

أوقف سيارته على جانب الطريق ونظر إليها : خايفة من إيه يا سارة؟ انتِ بنت جميلة وذكية وعندك وظيفتك وقدامك كارير حلو فإيه اللي مخوفك؟

نظرت إليه : هبقى مطلقة، انت عارف إيه نظرة المجتمع للمطلقة؟

علق بتهكم : أعتقد هتبقى أفضل بكتير جدًا من جوازك بواحد زي اللي كنتي متجوزاه ده، انتِ أخدتي خطوة صح بلاش تترددي دلوقتي وكملي.

التفتت إليه بحدة : هكمل وبعدين؟ هفضل عايشة في بيتك؟ لإمتى؟ أنا لازم أبدأ أخطط صح وأول تخطيطي إني اعتمد على نفسي – اضافت وهي تنكس رأسها بخجل مصطنع – مش عليك.

- سارة؟

لم تجبه ولم ترفع رأسها فكرر ندائه: سارة ارفعي راسك وبصيلي؟

التفتت إليه دون أن تنطق حرفًا : خلينا نمشي خطوة خطوة، الأول نخلص من الجواز، بعدها نركز في الشغل ويا ستي لو مش مرتاحة في بيتي نبقى ساعتها نفكر في حل تاني – أضاف بمزاح – أو ممكن ادفعك إيجار لو ده هيريحك نفسيًا.

رفعت رأسها وقد لمعت عينيها : أيوه دفعني إيجار أنا موافقة.

عقد حاجبيه : بقول خطوات، نمشي الخطوات اللي قولتها الأول بعدها نتكلم في دي، اسمعي الكلام بقى وما تتعبينيش، المهم تيجي نتغدى؟

همت بالموافقة بسرعة ولكن تراجعت ونكست رأسها بحرج : ماما لوحدها وانت عارف ومش عايزة أسيبها كتير لوحدها.

لم يرد الضغط عليها فابتسم بهدوء : تمام براحتك هوصلك.

اعترضت : ممكن آخد تاكسي لو

قاطعها بإصرار : يا بنتي الله يهديكي بطلي الحزازية دي قولت هوصلك.

ابتسمت بخجل وصمتت تمامًا، فلقد قررت أن تتعامل مع

زهير بشكل مختلف تمامًا عن شخصيتها، ستجعله يتمناها في كل لحظة، نعم ستجعله يتمناها.

وقف إيهاب أمام بيت حنين وعقله يراجع كل ما اتفقا عليه سويًا، سيتحدث مع والدها ويطلب يدها وهي عليها الباقي.

تذكر اعتراض والدته وصراخها عليه قبل أن يخرج من بيته وتجاهله هو لصراخها، زفر عدة أنفاس متتالية ومد يده يضرب الجرس أمامه، فتحت حنين الباب وتوترت للغاية حين رأته فهمست : مستعد؟

أومأ برأسه موافقًا، ابتسمت تشجعه ثم رفعت صوتها : أهلًا بيك تفضل خير؟

- الأستاذ عبدالقادر موجود؟

خرج والدها : مين يا حنين على الباب؟

فتحت الباب أكثر وهي تلتفت لوالدها : ده إيهاب يا بابا بيسأل عليك.

رحب به للغاية واستقرا سويًا في غرفة الصالون وبعد فترة من الكلام صمت كلاهما.

لاحظ عبدالقادر توتر إيهاب فحاول طمأنته : مالك يا إيهاب ياابني؟ انت عايز حاجة؟ قول على طول.

تنفس بتوتر وهو يبحث عن طريقة يلقي بها قنبلته، نعم ما سيطلبه يعتبر قنبلة ستنفجر ما أن يلقيها، نظر إليه مطولًا قبل أن يبدأ حديثه : حضرتك أنا مش عارف أبدأ منين ولا

ازاي ولا اقول ايه؟

شجعه والدها : قول على طول من غير مقدمات ياابني، خير اتفضل.

فرك يديه ببعضهم واستوى في جلسته للمرة الألف : حضرتك معرفش إذا كنت عارف إني عندي شقتي الخاصة ولا لأ؟

استغرب عبدالقادر كلامه : طيب ده شيء كويس بس ايه علاقته بيا؟

نظر مباشرة لعينيه وقرر إلقاء القنبلة : أنا عايز أطلب إيد بنت حضرتك.

ضدم عبدالقادر، نعم الصدمة هو أفضل وصف لما يشعر به الآن، ردد ببلاهة : بنتي مين؟

جلى حنجرته : الأستاذة حنين أكيد.

نظر إليه غير قادر على النطق أو الاعتراض أو حتى التحدث بمنطق، حاول إيهاب تدارك الموقف أو اقناعه بطلبه : عارف إن طلبي صدمك بس أنا حاسس إني أعرفها من سنين، حاسس إني أقدر أوصل لحزنها ده وامحيه، أقدر أسعدها، مش عارف إذا كان كلامي له معنى ولا أنا بخرف بس عندي إحساس إني أقدر ارجّع حنين القديمة اللي حضرتك كلمتني عنها، اه مش هاقدر أعيشها في المستوى ده بس أقدر اعيشها حياة كريمة معايا – لاحظ نظراته وصدمته

التي لم يتغلب عليها بعد - آسف لو تخطيت حدودي بطلبي ده.

هنا نطق عبدالقادر : لا لا يا ابني حدود إيه اللي بتتكلم عنها؟

عبر إيهاب بحرج : الفروق الإجتماعية بينا كبيرة وده شيء أنا عارفه كويس بس جوايا أمل مش قادر أتجاهله ومش قادر اتخطاه فكان لازم آجي واتكلم مع حضرتك وهتفهّم لو طردتني من قدامك دلوقتي.

ابتسم عبدالقادر وحرك رأسه ينفي : اطردك ليه بس يا ابني، أنا بعزك وبحترمك يا إيهاب بس حنين رافضة فكرة الإرتباط تمامًا، كل مشاكلها معانا الموضوع ده، إحنا عايزينها تكمل وترتبط وهي قافلة باب الحياة في وش الكل، فمش أنا يا ابني اللي هرفضك أو هطردك بس حنين نفسها اللي رافضة ومش علشان الفروق الإجتماعية اللي بتتكلم عنها لكن علشان هي رافضة أصلًا الجواز مرة تانية.

أحس إيهاب بالأمل يتسرب بداخله : طيب عدم رفضك في حد ذاته ده شرفني وأسعدني فوق ما حضرتك تتخيل أما الأستاذة حنين فحضرتك اتكلم معاها وبلغني بقرارها وأيا كان هحترمه، محدش عارف بكرة فيه ايه.

وقف فنظر إليه بتعجب : وقفت ليه؟

ابتسم يحرج : همشي دلوقتي وهنتظر من حضرتك مكالمة تبلغني فيها بقرارها وربنا يقدم اللي فيه الخير.

انصرف إيهاب وهو يحمد الله أن أول خطوة مرّت بسلام.

دخلت صابرين على زوجها : مين اللي كان هنا؟ سمعت وأنا في الحمام جرس الباب.

أجابها عبدالقادر وهو مازال مصدومًا : إيهاب، تخيلي كان عايز ايه؟

اقتربت حنين لتسمع رد فعل والدتها.

علقت صابرين بتهكم : تلاقيه عايز فلوس؟ هتعوز ايه الأشكال دي غير فلوس؟

تضايقت حنين من تفكير والدتها وأفقها الضيق.

لاحظت والدها يعبر بصدمة : فلوس إيه بس؟ لا ده شكله اتجنن تمامًا

استغربت صابرين : ليه هايعوز ايه يعني غير كده؟ شغل ولا إيه؟

حرك رأسه برفض ثم أخبرها : عايز يتجوز حنين.

نظرت صابرين لزوجها ببلاهة تحاول استيعاب ما سمعته من زوجها ثم انفجرت : إيه؟ اتجنن ده ولا ايه؟ أيوه فعلًا اتجنن ملهاش معنى تاني، وانت عملت ايه؟ طردته صح؟ عرفته مقامه؟

كشر عبدالقادر من أسلوب زوجته : أطرده ليه يعني؟ بعدين ما بنتك أصلًا هاترفضه فليه الطرد؟

صرخت في وجهه : علشان يعرف قيمته ومقامه، قال يتجوز حنين قال؟ مجنون ومتخلف.

هنا لم تستطيع حنين الصبر أكثر أو تستمع لإهانة والدتها له مجددًا فدخلت ليصمت الإثنين : في ايه مالكم؟

حين لم يرد أحدهما وجهت حديثها لوالدها : إيهاب كان عايز ايه يا بابا؟

صرخت صابرين : كان متخلف ومجنون هايعوز إيه يعني؟

تجاهلت حنين تعليقها وانتظرت إجابة والدها : إيه يا بابا؟

تضايقت صابرين من تجاهل ابنتها ونظرت بدورها لعبد القادر الذي جلى حنجرته قبل أن يخبر ابنته : كان عايز يتقدملك.

انتظر الإثنان انفجارها ولكن تفاجئا بهدوئها : وقولتله ايه؟

صرخت صابرين : كان المفروض طرده وهزقه قبل ما يطرده، شوفتي بقى رفضك للجواز وصلنا لفين؟ حتة نقاش جاي يطمع فيكي ولسه ياما هانشوف، أنا هقول لمحاسن إننا موافقين على ابنها الدكتور علاء و

قاطعتها حنين وهي تصرخ بوجهها : تاني؟ انتِ مين قالك إني هاوافق على ابن صاحبتك؟ - نظرت لوالدها بحدة – أنا موافقة على إيهاب يا بابا.

أمسكت صابرين ذراعها لتواجهها : إيهاب مين ده اللي توافقي عليه هاه؟ اتجننتي ولا إيه؟

جذبت ذراعها بعنف من يد والدتها وتجاهلت صراخها واقتربت من والدها : اتصل بيه وبلغه بموافقتي وخلينا نحدد ميعاد للفرح و

قاطعها أبيها : براحة شوية يا حنين، إيهاب يا حبيبتي مش مناسب ليكي بأي شكل، ده معهوش جامعة حتى، أيوه ده حصل غصب عنه بس المحصلة واحدة، ما ينفعش.

نظرت حنين أمامها بإصرار : أخذت التعليم العالي وكان أزبل خلّق الله، المرة دي مش هقع في نفس الغلط ولا

قاطعها صراخ والدتها : مش هتقعي في نفس الغلط لا ازاي، نقع في غلط أكبر وأكبر وادمر حياتي كلها واتجوز واحد من أسوأ طبقة في المجتمع وبدال ما يمد إيده لا ده هيرفع مطوى في وشي، ده هيضربك ويعذبك ولو أمجد كان وحش قيراط فإيهاب أوحش ألف.

علقت بوجع : ايه يعني يضربني؟ من امتى ده بيفرق معاكي هاه؟ ما أنا جيتلك مضروبة ومتبهدلة عملتي ايه هاه؟ قولتي لهايدي حطيلها ميكب تداري آثار الضرب ورجعتيني زي الكلبة له، خلي إيهاب يضربني ولا يقتلني ده اختياري وأنا هتحمل نتيجته، سبق وأخدت رأيكم وغرقتوني ووقفتوا تتفرجوا عليا فالمرة دي مش هاخد برأي حد غير نفسي – نظرت لوالدها – بابا اذا سمحت بلغه إني موافقة بعد إذنكم.

تركتهما لتدخل غرفتها وصراخ والدتها يلحق بها فاغلقت الباب بعنف خلفها.

استمر صراخهما فترة طويلة إلى أن وصلت حور من عملها ولاحظت توتر الأجواء وحين سألت ما بهما انفجرت صابرين تحكي عن ما حدث منذ قليل.

سمعت حور صراخ والدتها وتوالت الصدمات عليها، توجهت لأختها لتفهم ما بها وحين دخلت غرفتها وقبل أن تفتح فمها أوقفتها حنين : لو جاية تقولي كلمة واحدة في حق إيهاب فوفريها للي عايز يسمعها.

صرخت حور : حنين لو سمحتي بلاش تعالجي غلط بغلط أكبر

رفعت رأسها بهدوء : قولتلك وفري للي عايز يسمع.

نظرت للهاتف بيدها فخرجت حور من الغرفة وهي تستشيط غضبًا من أختها.

طرقات هادئة تبعها دخول عبدالقادر لابنته : نتكلم شوية ولا هتتبعي أسلوب التجاهل اللي عملتيه مع أمك بره؟

ابتسمت بحرج : اتفضل يا بابا.

جلس بجانبها وبهدوء : ليه إيهاب وافقتي عليه؟ مش كل خناقاتك معانا على الجواز؟ دلوقتي ليه وافقتي ولا هو عناد وبس؟

نظرت إليه بحيرة : انت ليه رافض إيهاب؟ تخيلت إنك أول واحد هترحب به مش كنت دايمًا بتقدمه ليا؟

حملق والدها بدهشة فيها : أنا؟ ازاي؟

التفتت كليةً لوالدها : مش جبته البيت يرسم ويرجع الحياة من تاني؟ مش وريته حنين القديمة وقولتله نفسي ترجعلي تاني و اديته الدور ده؟ مش دخلتوه أوضتي وقولتو ارسم ورجعلها الحياة؟ مش خليته يوصلنا وينزل معايا نشتري طلباتنا؟ مش خليته ياخد راحته في البيت وكل شوية تجمعنا ببعض؟ تخيلت انك بتقربه مني.

حرك والدها رأسه برفض : أنا بس كنت بتعامل معاه بذوق واحترام لكن مش قصدي ترتبطوا ببعض، نرجع لسؤالنا ليه موافقة عليه؟ لمجرد إحساسك إني بقدمه ليكي؟ أنا مش بقدمه فهل دلوقتي رأيك اتغير؟

طأطأت رأسها : لا ما تغيرش، موافقة اتجوزه.

حاول السيطرة على غضبه : ليه طيب فهميني؟

علقت بحدة : وليه لأ؟ حضرتك فهمني ليه رافضه؟ ولو سمحت ما تقوليش فروق إجتماعية لأن دي عمري ما شوفتك بتعملها أي اعتبار.

أمسك وجهها ليرفعه وتواجهه : الأول قوليلي ليه موافقة تدخليه حياتك؟ أو بمعنى أصح تسلميه حياتك؟

فكرت قليلًا قبل أن تجيبه : إيهاب نسخة مني زمان، شخصية رومانسية حالمة، بيرسم بأحاسيسه مش بفرشته، مختلف عن أي حد قابلته أو شوفته، بيحلم بالحب والدفء،

بيحلم زي ما كنت بحلم زمان – نظرت للرسمة أمامها – بص للرسمة دي وقولي إنها مش شبهي وإن دي مش أنا؟

نظر إلى الرسمة وحاول أن يقنع نفسه أنها لا تشبهها؟ كلما أطال النظر إليها رأى الشبه الفظيع بينهما أو هي قطعًا حنين بحالميتها، انتبه إليها : إيهاب برسمة واحدة قدر يرسمني، قدر يشوفني، من فيديو واحد انت وريتهوله صورني قدامك متخيل ده ازاي هيعاملني لو بقيت معاه واتشاركنا حياة واحدة؟ أما بالنسبة لتعليمه فطول ما أنا بتكلم معاه عمري ما حسيت إنه مش متعلم أو إنه مش مثقف، هو من النوع اللي بيقرأ كتير فلو انت مش عارف إنه مكملش الجامعة لا يمكن تعرف لوحدك، أما المادة معرفش مش هماني بعدين أنا بشتغل يعني مش هكون محرومة من حاجة لو هو مقدرش يجيبها، بابا إذا سمحت سيبني المرة دي أخوض التجربة دي لوحدي، إيهاب اختياري لوحدي فخليني اكمل للآخر.

- ولو كان تجربة تانية فاشلة؟ عارفة إيه اللي هيحصل؟ هخسرك تمامًا، حنين أنا ما صدقت انك بديتي تتعافي من التجربة الأولى، مش هجبرك على أي حد بس بلاش نتسرع بتجربة تانية.

سندت رأسها على كتفه : إيهاب مش تسرع، إيهاب جاي في وقته المظبوط وفي الأوان اللي ربنا اختاره، بعدين صلي إستخارة مش دايمًا بتصليها في كل خطوة بتخطيها؟ صليها مرة واتنين وتلاتة وبعدها رد عليا.

حرك رأسه بموافقة وهو يقف : ليقضِ الله أمرًا كان مفعولا، هصلي إستخارة واللي ربنا رايده هيكون.

ترك غرفتها وتوجه لغرفته مباشرةً وجد زوجته بانتظاره : قالتلك إيه؟ قدرت تقنعها؟

نظر إليها بغضب وحرك رأسه برفض لكل ما تنطق به : عصبيتك وقوانينك وكل حاجة بتعمليها وصلونا للمرحلة دي.

اقتربت منه : قصدك ايه هاه؟ إنها هتتجوز اللي اسمه إيهاب علشان بس تعند عليا؟ هي متخلفة للدرجة دي؟

جلس على سريره بهدوء : هي مقتنعة بيه إنه هو اللي هيسعدها.

اقتربت منه بغضب : النقاش؟ هيسعدها؟ بإيه؟ بالنهار اللي بيقضيه كله بره البيت؟ ولا بهدومه المبهدلة اللي هيرجعلها بيها؟ ولا بال١٠٠ جنيه اللي هياخدها يومية ده لو كانوا ١٠٠ جنيه؟ أنا همنعها

همت للخروج من الغرفة ولكن أوقفها زوجها بصرامة : سيبيها في حالها وإياكِ تتكلمي معاها ولو كلمة.

عادت أدراجها تقف أمامه : نعم؟ انت عايزني اتفرج عليها وهي

قاطعها بغضب : أيوه اتفرجي زي ما سبق واتفرجتي قبل كده، مش شوفتيها بتموت ووقفتي تتفرجي عليها؟ ده انتِ كنتي بتخططي ضدها، ده انتِ لو كنتي عدوة يا شيخة

مكنتيش عملتي اللي عملتيه، بلاش يا صابرين تفتحي جروح متدارية لأنها لو اتفتحت هتنزف وهتصيب الكل، انتِ بالذات مالكيش رأي في الموضوع ده، بعد ما اتفقتي مع أمجد ضدنا خرجتي من دايرة الثقة بتاعتنا فحاليًا رأيك ولا هيقدم ولا هيأخر.

ابتعدت عنه وهي تشعر بالذنب : ماشي يا عبدو هقف بعيد واتفرج بس يكون بعلمك أنا لا يمكن اوافق على ارتباطها بواحد زي إيهاب.

خرجت للشرفة تقف بحيرة كيف تقنع ابنتها بالإبتعاد عنه؟

دخلت لحور ابنتها : عقلي أختك يا حور واتكلمي معاها، بلاش تضيع نفسها لمجرد إنها تعند عليا.

رفعت رأسها لوالدتها : حاولت رفضت تسمعني حتى، اديها شوية وقت تفكر فيه براحة بس ماما بلاش انتِ تتكلمي معاها، انتِ بتعكيها معاها كل شوية فسيبنا أنا وبابا – فكرت للحظة – هايدي كمان، ازاي مفكرتش في هايدي؟ هايدي تقدر تقنعها.

علقت صابرين بسرعة : طيب اتصلي بيها كلميها يا حور، ولا أكلمها أنا؟ لا بلاش هي زيها زي أختك بيعندوا عليا وبس، كلميها انتِ خليها تيجي وتتكلم معاها شوية يمكن تفوّقها من التخلف ده.

خرجت هايدي من غرفتها علق والدها اللواء محمود حين رآها : خارجة فين كده يا هايدي؟

انتبهت داليا لابنتها وانتظرت إجابتها، طمأنتهم : رايحة لحنين، تقريبًا اتخانقت هي ومامتها خناقة جامدة وصلت لمد الإيد وحور كلمتني اروحلها اهديها.

حرك محمود رأسه بتعاطف وغضب من صابرين : أنا مش عارف الست دي بتعمل في بنتها كده ليه؟ حنين دي من أرق البنات وأطيبهم مش عارف ليه الدنيا ملطشة معاها كده؟ روحي يا هايدي لها تحبي آجي اوصلك؟

رفضت بهدوء : طلبت أوبر يا بابا خلاص وقدامه دقيقتين.

- طيب يا حبيبتي بس ما تجيش لوحدك كلميني أجيلك أو لو أخوكِ رجع من الصيدلية يجيلك، المهم كلمينا

خرجت هايدي ووصلت لصديقتها فاستقبلتها صابرين بتوتر رحبت بها ثم أمسكت ذراعها : هايدي انتِ لازم تعقلي حنين، دي اتجننت خالص.

حاولت هايدي أن تبتسم ولو مجاملة ولكن لم تستطع فعلقت ببرود : هي مش مجنونة هي بس محتاجة حد يفهمها ويخليها براحتها.

عقدت صابرين حاجبيها فهي تعلم تمامًا أن هايدي لا تختلف كثيرًا عن ابنتها ولربما توافقها في زواجها من إيهاب، أفسحت الطريق أمامها : ماشي نسيبها براحتها يا ست هايدي، صاحبتك عايزة تتجوز إيهاب.

شهقت هايدي برفض واستنكار : إيهاب مين؟

كانت تعلم من هو ولكن ترفض التصديق، أجابتها صابرين : النقاش، هاه لسه مصرة إننا نسيبها براحتها؟

حركت رأسها برفض وتوجهت لصديقتها مباشرةً، دخلت مباشرةً بعد طرقها للباب ودون الانتظار إلى أن تفتح لها حنين، نظرت إليها مطولًا ثم علقت بهدوء : ماما اللي كلمتك تيجي تعقليني؟ صح؟

ألقت حقيبتها جانبًا وجلست أمامها : حور اللي كلمتني بس سيبك مين كلمني وقوليلي اللي سمعته حقيقة؟ انتِ وافقتي تتجوزي إيهاب؟

فكرت مطولًا هل تخبر صديقتها بحقيقة الأمور أم تحتفظ بالحقيقة لنفسها؟

انتبهت على صديقتها تمسك ذراعها : بت ردي عليا؟ انتِ هتتجوزي إيهاب؟

ردت بمنتهى الهدوء : ليه لأ؟

صاحت هايدي: انتِ بجد بتسأليني ليه لأ؟ وليه اه؟

أجابت حنين بمنتهى الهدوء وهي تنظر للرسمة أمامها : بصي انتِ للرسمة دي وقوليلي إن اللي رسمها ده معندوش أحاسيس رقيقة وجميلة؟ انتِ بنفسك قولتي إيهاب شبهي، مش يمكن تكون سعادتي معاه؟

أحست هايدي بالذنب فهي بالفعل من أخبرتها أنه نسخة منها قديمًا : هو حالم واحنا استوعبنا الدرس إن الحب

والحلم ده وهم لازم نفوق منه.

علقت حنين بإصرار : وليه نفوق طالما عندنا اللي يشاركنا الحلم ده؟ - حاولت أن تعترض ولكن أوقفتها حنين – هايدي روح قلبي اقتناعي بإيهاب موضوع منتهي مش قابل للنقاش أصلًا فريحي نفسك وريحيني ووفري علينا احنا الاتنين وجع القلب وجدال عقيم مالوش لازمة، بعدين هخسر إيه؟ هتطلق تاني؟ أنا أوردي أخدت اللقب فمش هايفرق بقى لو اطلقت تاني.

هايدي بذهول : سيبك من اللقب بتكلم عن حياتك، عيشتك، وجعك، فوق كل ده إيهاب من طبقة غيرنا ومش هيعرف يتفهم ولا يتقبل حياتك دي وطباعك، ده أمجد اللي كان زينا ومن وسط زينا شوفتي عمل ايه فيكي فما بالك بواحد من بيئة إيهاب هيعمل ايه؟

حركت أكتافها بلا مبالاة : يا هيكون زي أمجد أو أسوأ يا هيشوفني حاجة كبيرة أوي ويعاملني زي ما بتمنى ويبقى أحسن حاجة حصلت في حياتي.

سألتها بحيرة : ولو كان زي أمجد؟ هتتحملي من تاني؟

نظرت إليها مباشرةً : المرة اللي فاتت كنت صغيرة وجاهلة وماما كانت مسيطرة المرة دي محدش مسيطر، أنا حرة نفسي وقراري من دماغي وإيهاب ما اعتقدش هيكون من النوع المسيطر أو الغبي حساه ألطف من كده، إيهاب فنان مرهف الحس، لو اتكلمتي معاه هتحسيه قد ايه جنتل.

سألتها بحيرة : وانتِ اتكلمتي معاه إمتى وعرفتي إنه جنتل؟

توترت للحظة قبل أن تبتسم : لما وصلنا المستشفى ولما رجعنا منها ولما نزلنا نشتري طلبات البيت ورجعنا يومها سوى واتسوقنا سوى، غير كده هو قعد شهر بحاله في البيت قصادنا اتكلمنا كتير وشوفته كتير.

حاولت هايدي الاعتراض : أمجد كان برضه لسانه معسول

حركت حنين رأسها برفض تام : أمجد كان غبي من أول يوم وأنا كنت أغبى إني ما شوفتش بين السطور، فاكرة أول مرة خرجنا؟ أول ما شافني قلب وشه واتنرفز عليا؟ أنا نفسي أعرف عقلي كان فين ساعتها وليه سمحتله بكل ده؟ ويوم الخطوبة لما اتنرفز عليا وزعقلي علشان سلمت على معتز؟ ليه كملت؟ فستان الخطوبة اللي اشتراه بدون ما ياخد رأيي؟ كلامه اللي كان بيمشيه عليا في كل خطوة؟ ده يوم الفرح اتخانق مع بابا ورفض يسمحله يرقص معايا؟ ازاي بابا سمحله ياخدني ويمشي بعدها؟ خناقة مع أخته يوم الفرح بالليل لمجرد إنها سلمت على حد في الفرح، اغتصابه ليا من أول يوم، لا يا هايدي أنا كنت مغمضة عنيا لكن هو وحش من أول لحظة أنا اللي اتجاهلت كل حاجة وكملت ولما أخدت قرار البعد ماما جبرتني اكمل، لكن الأمور كلها كانت واضحة والجواب كان واضح من عنوانه.

هايدي حركت رأسها برفض : ماشي معاكي كان في حاجات

كتيرة واضحة بس مش لدرجة إيهاب برضه يا حنين.

أصرت حنين : إيهاب موضوع منتهي يا هايدي بعدين تعالي هنا هو مش انتِ اللي قولتي شوفيلك عريس بمزاجك، أهو عريس بمزاجي، إيهاب عاجبني فليه لأ؟

ضربت هايدي كفًا بكف : انتِ فعلًا اتجننتي رسمي والهزار بقى جد والجد هزار ودخلتي كل الأمور في بعض، حنين فوقي قبل ما تتوحلي من تاني.

ربتت على كتفها بابتسامة : ما تخافيش عليا بعدين انتِ جنبي وعمو وكمان بابا، ده إيهاب مسكين هتبقى كل العيون عليه، ده هو المرة دي اللي هيفلفط مني وهيقول حقي برقبني الحقوني.

لم تضحك هايدي فهي مرعوبة من هذه الخطوة وترفضها تمام الرفض.

صعد إيهاب فوق السطح في حالة من التوتر وكلما أراد أن يمسك هاتفه ليطمئن عليها يتراجع خوفا عليها، أخيرًا لم يستطع المقاومة أكثر فأرسل رسالة واحدة مثلها بالأمس (؟)

أمسكت حنين هاتفها بسرعة لتحبط حين رأت الرسالة مجرد علامة استفهام فقط، كتبت بسرعة { ايه البخل ده؟ انت حد بيحاسبك بالحرف ولا ايه؟ }

ابتسم من رسالتها وكتب بسرعة { شوفتي البخل بيضايق

ازاي؟ احساسك نفس احساسي امبارح لما بعتيها }

صعدت للأعلى بسرعة لتتفاجئ فعلًا أنها نفس رسالتها بالأمس فابتسمت وفكرت في الرد { خلاص كده خالصين إبدأ انت برسالة جديدة }

تنهد باشتياق لها وتمنى لو أنها أمامه الآن ولكن الصبر فمشواره طويل جدًا، كتب { طمنيني طيب إيه الأخبار وانتِ عاملة ايه؟ كويسة؟ والدتك ووالدك عملوا إيه؟ حد ضايقك؟ }

ابتسمت من اهتمامه { كل دي اسئلة؟ }

كتب الرد { معلش بس طمنيني عليكي أهم حاجة }

نبضات قلبها توترت من اهتمامه { رد فعلهم كان المتوقع، ماما رافضة بس رفضها مش مهم أما بابا فسمعني بهدوء واتفقنا هيصلي إستخارة كذا ليلة وبعدها ربنا يسهل بس هو كان هادي ورد فعله هادي }

تنفس بارتياح أخيرًا فهي تهتم برأي أبيها وطالما كان هادئًا فالموضوع مطمئن، كتب إليها { الحمدلله ربنا يقرب البعيد، متحمس لشريكتي في السكن الجديد }

انتظر ردها بتلهف وراقب الشاشة وهي تعلن أنها تكتب و وصلته الرسالة { وأنا زيك بس تفتكر هننجح؟ }

حاول تذكير نفسه أنها غيره، هي متحمسة للتخلص من سيطرة والدتها لا القرب منه أو العيش معه في بيت واحد

فلقد وضحت بكل الطرق أن في النهاية لن يغلق عليهما باب واحد أو يجمعهما مكان واحد، مجرد شركاء سكن فقط، تنهد بإحباط من أفكاره { إن شاء الله ننجح وإن شاء الله حاجات تانية كتير }

تعجبت من رسالته وتساءلت ماذا يقصد بالأشياء الأخرى التي يتمناها؟ هل من المعقول أنه يتمنى حبها؟ أو أن زواجهما يكون حقيقي لا اتفاق؟ أخيرًا كتبت { إن شاء الله }

في ميعاد الزيارة توجه أحمد لزيارة أمجد مثلما وعد أميرة.

دخل أمجد المكان المعد للزيارة وتلفت حوله يبحث عن والدته فهي الوحيدة التي تزوره، تفاجئ بشاب يشير إليه فتحرك ناحيته، مد يده وبدأ بتعريف نفسه : أنا أحمد محمد سليمان – حين لاحظ حيرته أكمل بتوضيح – زميل الأستاذة أميرة وطلبت إيدها وبلغتني آجي أزور حضرتك هنا يا دكتور.

نظر أمجد إليه بتفحص وغضب وهو يحاول أن يتذكر أين رآه من قبل؟ وجهه مألوف للغاية، علق بتهكم : انت بقى اللي ما بتفهمش في الذوق وروحت بيت مفيهوش راجل؟ محدش قالك قبل كده إن ده عيب؟

حاول أحمد السيطرة على أعصابه والمحافظة على هدوءه : اللي أعرفه إن اللي بيتقدم لواحدة بيروحلها البيت مش بيروح السجن فالطبيعي والأصول نروح البيت مش

سجون.

ضم أمجد قبضته بغضب وحاول تذكر أين رآه من قبل؟

حاول الدفاع عن نفسه : أنا مسجون لأني اتجوزت واحدة غلط ومسجون بسببها، فالاختيار الخاطئ زي ما أنت شايف ممكن يوصل لفين، المهم انت تعرف أميرة من إمتى؟

أجاب بتلقائية : من ساعة ما دخلت الكلية واحنا زمايل وبعزها وبحترمها وكنت منتظر الوقت المناسب علشان آجي البيت وأطلب إيدها بشكل رسمي.

حاول أحمد أن يكون صادقا غير متخيل أن كلامه سيشعل النيران والغضب في قلب أمجد فهو يحس الآن بالخيانة وأنه يمد لسانه له فهو يعتقد أنهما على علاقة منذ سنوات وهو مغفل لم يرى تلك العلاقة.

سأله أمجد : يعني انت بتحبها من سنين ومنتظر الوقت المناسب؟ وانت شايف إن ده الوقت المناسب؟ وأنا مسجون؟ مش قادر تنتظر باقي السنة دي تكون هي اتخرجت وأنا كمان خرجت؟

حافظ أحمد على ابتسامته : خير البر عاجله ليه ننتظر سنة كمان؟

هنا تذكر أمجد أين رآه، سأله فجأة : انت جيت فرحي صح؟ سلمت على أميرة ومشيت على طول؟ ليه مشيت على طول مقعدتش معانا في الفرح؟

طأطأ رأسه بخجل : صراحة كان نفسي بس أميرة رفضت تماما فمشيت محبتش أسبب لها مشاكل لأني عارف إن حضرتك غيور شوية فاحترمت رغبتها ومشيت.

سأل مجددًا : أميرة بتحكيلك عني يعني؟ قد ايه غيور وقد ايه أنا صعب وكده؟

أحس أحمد أن أمجد يستدرجه فقط لا يقيم حوار عادي هو فقط يجمع أسباب لرفضه أو هذا ما أحسه من سياق الحوار، حمحم بتوتر: دكتور أمجد الماضي خليه في الماضي خلينا نتكلم في بكرة، أنا الحمدلله عندي شقتي خلصت توضيبها والفرش بإذن الله على طول بس يكون على ذوق العروسة طبعًا، وعندي مكتب هندسي لسه فاتحه أنا وكام واحد من أصحابي يعني الحمدلله أموري تمام.

علّق أمجد بتهكم وابتسامة عريضة سمجة على وجهه : أه أمورك تمام بس انت اللي مش تمام، لما تعرف واحدة من ورا أهلها وتكلمها وتكون على علاقة بيها وما صدقت الظرف اللي حصل لأخوها فرايح تتقدملها وهو مش موجود فانت كده مش تمام، انت كلك على بعضك كده مش تمام ومعلومة بسيطة لولا إننا هنا في المكان ده تحديدًا كنت عرفت أوريك مقامك.

فكر أحمد بالخروج فورًا ولكن حبه لأميرة منعه فحاول إيضاح الصورة أمامه : انت فاهم كل حاجة غلط، أنا عمري ما كنت على علاقة بأميرة أبدًا وعمري ما اتكلمت معاها في أي

كلام خارج عن سياق الزمالة، أنا لسه من كام يوم طلبت منها اتقدملها لكن قبل اليوم ده عمري ما وجهتلها كلمة بأي شكل ومن أي نوع، حافظت عليها وصونتها ومش خوفا من أخوها المتعصب لا بس لأني بحبها حافظت عليها وصونتها علشان أقدر أجي أحط عيني في عينك وأطلب أيدها بكل جراءة وعلشان عندي أخوات بنات بتمنى اللي يقرب منهم يعرف ربنا ويعاملهم بما يرضي الله.

سمعه أمجد وهو يحرك رأسه بعدم تصديق وتهكم :اه بالأمارة هي بتقعد تحكيلك عن أخوها المتعصب وعن مشاكلها وانت كنت الكتف الحنين، صح كده؟ نهاية الكلام طلبك مرفوض، معنديش بنات للجواز، اتفضل بقى.

حرك أحمد رأسه بغضب من هذا المتعصب : للأسف انت دكتور بس بالاسم فقط، جزء مني جوايا كان بيقول أكيد أميرة بتأفور وأكيد أخوها بيحبها هو بس عصبي شوية لكن كلامي معاك اثبتلي إن كان عندها حق – وقف ينهي تلك المناقشة العقيمة – عهد تحكمك في أميرة انتهي ومن النهارده أنا هحميها منك ومن النهارده مالكش أي كلام عليها من تاني.

وقف أمجد بغضب : ده أنا أشرب من دمها و اقتلها.

ابتسم أحمد بتهكم : إخرج بس من هنا الأول وبعدها إبقى هدد، انت في مكانك الطبيعي هنا.

تحرك أحمد واختفت ابتسامته بعد خروجه فلقد تمنى

موافقته كي لا يمشي في هذا الإتجاه أو يتزوجها بعدم رضى أخيها لكن ما باليد حيلة فلم يترك له أمجد خيارًا آخر.

فكر بالاتصال بها ولكن هي ستكون بحاجة إليه بجانبها فتوجه مباشرةً إلى محل عملها، اتصل بها وأخبرها أنه بالخارج لتلحق به بعد عدة دقائق وتقف أمامه بتوتر: قابلت أمجد؟ قالك إيه؟

حرك رأسه يمينًا ويسارًا بتردد : للأسف كان عندك حق وأخوكي غبي ومتعصب

اختفت ابتسامة أميرة ونكست رأسها : عمل ايه ولا قالك ايه؟

تعاطف معها وتمنى لو يمد يده يلمس وجهها ويرفعه لتواجه الكون بأكمله وهي معه : طردني وقالي معنديش بنات للجواز ده ملخص اللي حصل، هو افتكرني من فرحه وعرف إني روحت الفرح لما اتخانق معاكي وطبعًا افترض إننا مستغفلينه من سنين وعلى علاقة ببعض وفي قصة حب طويلة بيننا.

رفعت أميرة رأسها وبإصرار لأول مرة يلمحه : اه في قصة حب طويلة بيننا، اه بحبك من أول يوم اتكلمنا فيه مع بعض، ومش هنكر ده ولا هخبيه، هو هياخد ده بمحمل وحش وإننا مستغفلينه هو حر، أمجد للأسف إنسان سيء وكل يوم بتأكد أكتر من ده، بيشك في كل الناس لدرجة صعبة، مراته اللي ربنا نجدها منه منعها من أبوها متخيل؟ من أقرب الناس لها،

فصلها عن الكون بحاله، لازم طبعًا هيشك فينا.

ابتسم أحمد فهو لم يعهد أبدًا تلك الفتاة القوية بل دوما كانت مكسورة تنكس رأسها للأسفل، محطمة من أخيها ،اقترب منها بحب : تحبي نكتب كتابنا إمتى؟

رفعت رأسها غير مصدقة فابتسم مؤكدًا : أيوه لازم نكتب الكتاب يا ميرو، لازم تبقي مراتي وقبل ما أخوكي يطلع لأنه لو طلع مش هنرتبط ببعض فلازم تكوني باسمي، فقوليلي تحبي نكتب إمتى؟

ابتسمت بخجل : هشوف ماما وابلغك، أنا لازم أرجع شغلي جوه.

أفسح لها المجال : روحي يا قمر وهبقى اتواصل معاكِ بعدين.

اختفت بسرعة من أمامه بينما هو ظل واقفًا لفترة يتسائل هل قراره بالزواج منها قبل خروج أخيها صحيحًا أم تعديًا على الأصول؟

لاحظت هدير تباعد زوجها في الآونة الأخيرة، فهل رجع لعادته القديمة ولمغازلته لكل الفتيات؟

راقبته يرتدي ملابسه باهتمام فسألته : رايح فين كده؟

نظر إليها ولاحظ نظراتها المتفحصة فابتسم : زمايلي هيسهروا في نايتكلب فاتفقنا نروح كلنا ساعتين كده ولا حاجة مش هتأخر.

اقترحت : طيب إيه رأيك أوصل زيد عند ماما واطلع أسهر معاك؟

ارتبك للغاية ولكن تدارك نفسه بسرعة : بقولك نايتكلب تقولي تيجي معايا؟ لا طبعًا محدش بياخد مراته لأماكن زي دي - اقترب منها مقبلًا اياها - بكرة نخرج أنا وانتِ نسهر وظبطي مع مامتك من أول النهار اتفقنا؟ ابتسمت و وافقته دون اقتناع، راقبته وهو يخرج من بيتها وبداخلها ثقة أنه ذاهب لأخرى، يقين بداخلها بعدم إخلاصه، تمنت لو تمتلك القدرة على البعد، تمنت لو تسطيع تصديق أخيها حين أخبرها بخياناته المتعددة، تمنت لو هي أشجع ولكن ستستمر باعطائه الفرص إلى أن تعبت خيانته أمامها.

استمر تجاهل حنين لوالدتها فكل ما تحاول صابرين الحديث معها تغلق باب النقاش أو تتركها لتغلق على نفسها غرفتها، لم تعد تتحمل صابرين الصمت فتوجهت لغرفتها مباشرةً لتجدها تجلس على سريرها تعبث بهاتفها النقال، وقفت أمامها : أنا مش موافقة على إيهاب ومش هوافق عليه.

دون أن ترفع رأسها علقت : محدش طلب موافقتك.

صرخت بغضب : برضه مش هوافق، نوري وشنا فين من الناس والمجتمع؟ زمايلي لو سألوني جوز بنتك شغال ايه اقولهم نقاش؟ صحباتي كل واحدة بتتفاخر بعيالها وانتِ حاطة راسي في الأرض سواء بطلاقك ودلوقتي بجوازك من

إيهاب؟ مش هاسمحلك.

حاولت حنين أن تظهر لا مبالاتها ولكن كلام والدتها أوجعها، هي لا تهتم غير بالقيل والقال فقط لكن مشاعر ابنتها آخر اهتماماتها، رفعت رأسها تواجهها بإصرار أكبر من ذي قبل : صحابك وزمايلك وكل المجتمع اللي بتتكلمي عنه ولا يفرقوا معايا كلهم كده على بعضهم تحت جزمتي فاللي بتقوليه ده مالوش معنى بالنسبة لي، يولعوا صحابك دول اللي عايزة تدمري حياتي لتاني مرة علشان بس تتفشخري قدامهم، زي ما قولتلك مش منتظرة رأيك في إيهاب.

خرجت صابرين من غرفة ابنتها تستشيط غضبًا، توجهت لزوجها تصرخ فيه عدم قدرتها على ابنتها و و و..

فكر عبدالقادر في إيهاب فهو يرفضه بعقله وبحسابات المجتمع ولكن بداخله يقين غريب أن إيهاب بالفعل سيسعدها، وخصوصًا بعد حلمه المتكرر فهو يحلم بإيهاب برفقة حنين ويهاديه دائمًا بهدية ولكن دائمًا ما يستقيظ قبل أن يفتحها.

أمام إصرار حنين قرر أن يخوض مع ابنته تلك التجربة ولكن هذه المرة لن يسمع لزوجته ولن يدع ابنته ولو يومًا واحدًا تغيب عن عينيه، فسيطمئن بنفسه عليها كل يوم، مع أدنى شك بعدم سعادتها سيحضرها بيته، نعم لن يتركها أبدًا مثل الأمس.

أخبر حنين أنه موافق على ارتباطها بإيهاب وطلب منها

تحديد موعد ليأتي بأهله، اتصلت حنين بإيهاب واخبرته بموافقة والدها، استقبل الخبر بهدوء غير المتوقع فاحست بالإحباط الشديد، أنهى المكالمة على وعد أن يحدد موعد آخر النهار ويبلغها به، تنهد إيهاب بضيق فوالدته ترفض تمامًا إرتباطه بحنين وترفض الذهاب برفقته.

دخل إيهاب منزله آخر النهار، ألقى السلام وتوجه لغرفته مباشرة كعادته في الأيام الأخيرة، أوقفته قدرية بتهكم : انت فاكر لما تبطل أكل وشرب في البيت ولا كلام إني هاوافق؟ ده بعينك يا إيهاب.

التفت إليها بهدوء : ماشي براحتك، بكرة هروح اطلب إيدها هي كلمت أبوها ووافق خلاص، وما تقلقيش هلم هدومي وأمشي من هنا واللي يريحك لعمليه لكن جوازي منها موضوع منتهي.

دخل غرفته ليتقابل مع أخيه وهو في طريقه للخارج، أوقفه مازن : بقولك يا هوبا كنت عايز

لم يستمع إيهاب لباقي جملته بل أغلق الباب بوجه أخيه وهو يردد : أطلب من أمك.

استغرب مازن تصرف أخيه فهو لأول مرة يغلق الباب بوجهه، توجه مباشرة لأمه : هو الواد ده ماله بكلمه قفل في وشي الباب وقالي اطلب من أمك؟

فركت يديها بغضب : سيادته بيلوي دراعي، بيقول أبوها وافق وعايز يروح بكرة يخطبها رسمي وقال إيه يا أروح

معاه يا هيسيب البيت ويمشي.

اعترضت هبه التي خرجت من المطبخ : ما قالش كده كل اللي قاله إنه هيسيب البيت وعايزك تروحي معاه.

أمسك مازن يد والدته : أمّه إيهاب لو ساب البيت مش هيصرف علينا، اه هيصرف شوية في الأول لكن بعد ما يتجوز شوية شوية هيقلل لحد ما يوقف.

عقدت حاجبيها بتفكير : يعني ايه يا واد يا مازن؟ نعمل ايه؟

اقترب منها : إيهاب ما تخليهوش يسيب البيت بأي شكل مش تزعليه وتقوليله بالسلامة؟ هتصرفي منين لو هو بالسلامة؟ بعدين بتستعجلي ليه؟ بكرة نروح معاه ونشوف الدنيا على طبيعتها وبعدها ربنا يحلها، يا أمّه ناس زي دي هتطلب مهر وشبكة وفرش وهو هيلوص وسط ده كله ومش هيعرف يكمل فبدال ما تطلعي انتِ الوحشة سيبي الظروف تحل مشاكلك، قومي فرحيه وقوليله هانروح معاه بكرة ونشوف.

ردت بتفكير : ولو يا أخويا كانوا من النوع بتوع بنشتري راجل؟ وأبو البت قال أنا مش عايز وأنا هعمل لبنتي؟

ابتسم بخبث : ساعتها يا أهلًا بيها وبمرتبها، وهي مش معقول تلاقي جوزها مطحون وتفضل تتفرج، اه شوية وهو الشهامة وخداه وواحدة واحدة البت تمد إيدها وتساعد يا أمّه خليكي ناصحة شوية بقى.

انتبه كليهما على هبه تردد باشمئزاز : الواحد بيقرف لما بيسمعكم، انتو لو بتخططوا لعدو مش هتعملوا كده، إيهاب ده اللي شايل البيت فوق أكتافه وبدال ما تساعدوه وتتمنوله السعادة بتخططوا تستغلوه أكتر وأكتر؟ حتى مراته اللي لسه أصلًا ما ارتبطش بيها بتخططوا تاخدوا مرتبها؟

علق مازن بلامبالاة : ما تخليكي في حالك، أمّه أنا خارج مع زمايلي هننزل نشتري شوية حاجات لزمانا في الدراسة شوفيلي معاكي ٢٠٠ جنيه كده ولا أي حاجة.

تركتهم هبة بغضب وتوجهت تكمل غسيل الأطباق في المطبخ، جهزت صينية صغيرة لأخيها، طرقت بابه بلطف ودخلت : إيهاب جبتلك الغدا تعال كل لقمة.

ابتسم لها : تسلميلي يارب يا هبة ما تحرمش منك يارب بس أكلت مع زمايلي في الشغل، معلش مش جعان.

وضعت الصينية من يدها : إيهاب حبيبي كل علشان خاطري، بكرة أنا هاجي معاك ومش بعيد تلاقي أمك داخلة دلوقتي تقولك هنيجي كلنا معاك هي برضه ما بيهونش عليها زعلك في الآخر.

تنهد بتعب : ربنا يسهل يا بوبا ربنا يسهل، سيبني معلش عايز أنام شوية.

تحركت لتخرج ولكن أوقفها : خدي الصينية معاكي معلش.

خرجت بها لتقابل والدتها في وجهها : مرضيش ياكل يارب

ترتاحوا انتِ وابنك.

أزاحتها من أمامها ودخلت لابنها جلست أمامه : هاجي معاك بكرة يا إيهاب بس لو البت معجبتنيش مش هكمل معاك خلينا نشوف آخرتها إيه؟ أنا برضه ما يخلصنيش زعلك.

تهللت أساريره من الفرحة وقبّل يدها : بجد يا أمّه هتيجي معايا؟ ربنا يخليكي ليا وما تقلقيش حنين هتعجبك.

تركته وهي غير مقتنعة بقرارها ولكن ما الضرر فابنها محق في النهاية راتبها سيدخل بيتها المهم الآن أن لا تسمح له بترك البيت مهما كان.

أرسل إيهاب رسالة لحنين (فاضية اتصل؟)

قرأت رسالته وفكرت هل تسمح له أم لا؟ فلربما يصالحها على بروده معها في استقبال خبر موافقة والدها، بعد تفكير كتبت (لا مش عايزة أكلمك، محبطة منك)

استغرب الرسالة (محبطة مني أنا؟ ليه أنا عملت ايه زعلك؟)

تضايقت من رسالته أكثر أمن المعقول أنه مثل أمجد يخطأ بحقها دون الاعتراف بخطأه؟ أو يستنكر حقها بالزعل منه؟

وصلتها رسالة أخرى (كل ده؟ طيب حقك عليا)

دام ترددها وهي تنظر للهاتف أمامها وصلتها رسالة أخرى منه (اعذريني لو رد فعلي كان بارد شوية وقت ما قولتيلي الخبر، أولًا كنت في الشغل وسط زمايلي فمعرفتش اتكلم

وثانيًا كنت متخانق مع أمي ولسه يادوب متفقين أنا وهي فقولت أكلمك ونحدد ميعاد آجي فيه، إيه رأيك؟)

هنا تنهدت بارتياح واتصلت به فرد بسرعة : ياه ده انتِ زعلك وحش أوي.

ابتسمت وحذرته : اه وحش فخلي بالك، مش بصفى بسهولة أو مش بصفى أصلًا.

تعجب ومازحها : أعوذ بالله ليه كده يا بنتي؟ ده حتى مش لايق عليكي الزعل أصلًا، المهم

قاطعته : المهم قولي ليه كنت زعلان من والدتك؟

تنهد باحباط فوالدته آخر ما يريد التحدث عنه معها : بصي أمي نسخة من أمك مع فرق التعليم فقط، هي بس اللي صح وكل اللي حواليها جهلة وهي الناصحة وما بتغلطش أبدًا، ضيفي كمان بقى فوق الكولكشن ده إنها بطلت تعتبرني ابنها فبالتالي اهتمامها الكلي بإخواتي مش بيا، أنا آخر اهتماماتها ده إذا اهتمت أصلًا.

حاولت حنين التخفيف عنه : بس أهي وافقت تيجي معاك؟

علق بتفكير : والله يا حنين مش بعيد يكون خافت إني أسيب البيت وأمشي و ابطل أصرف عليهم فقالت تلم الدور شوية لأن على طول ده تفكيرها، ساعات بفكر إن أول ما مازن يشتغل ويبقى معاه قرش هتقولي بالسلامة انت

شاكرين أفضالك.

بالرغم من أنه قال الجملة بمزاح إلا إنها أحست بوجعه بين الكلمات : هقولك زي ما الكل بيقولي مفيش أم بتكره عيالها هي بس الحب بيختلف من شخص للتاني.

تنهد إيهاب : والجملة دي أقنعتك؟ حلت المشاكل بينكم؟ قدرتي تتقبلي حبها المختلف؟

فهمت حنين وجهة نظره فاستسلمت : اقتنعت تمام، هغير الموضوع، هتيجي بكرة إمتى؟

- معرفش انتِ قولي ايه المناسب؟ بالنسبة لك وبالنسبة لوالدك.

اقترحت : الساعة ٧ مناسب؟ تكون رجعت من شغلك؟

وافقها : اه كويس تمام، حنين، انتِ متأكدة إن باباكي موافق مش هاجي أنا وعيلتي ويقل بينا؟ صدقيني دي هتبقى القاضية بالنسبة لي قصادهم.

لم تفكر حنين في هكذا احتمال فوالدها أبدًا لن يفعل مثل هذا، حين طال صمتها سمعته يناديها : حنين؟

انتبهت : سمعاك يا إيهاب، بابا عمره ما عملها أبدًا انه يجيب حد علشان يسخر منه أو يقلل منه، فلو رافضك كان هيقولها صريحة مش هيجيبك هنا علشان يقولك لأ.

علق بارتياح : طيب تمام طالما بتثقي فيه فأنا معاكي.

ساد الصمت لفترة وكليهما لا يريد إنهاء المكالمة، سألها إيهاب : رايحة شغلك بكرة؟

ابتسمت لمحاولته فتح أي مواضيع : اه إن شاء الله هروح، انت بترجع امتى من شغلك؟ كنت بالليل بلاقيك هنا؟

سألها بفضول : اه كنت بتأخر علشانك، نسيتي كنا عايزين نخلص الأوضة قبل ما ترجعي خليتيني طبقت عليها يومين.

ابتسمت بحماس : ليه اهتميت؟

فكر قليلًا قبل أن يجيبها بدبلوماسية: باباكي طلب مني هو و والدتك أخلصها بسرعة وقبل ما ترجعي فمحبتش اكسفهم.

عقدت حاجبيها فتلك ليست الإجابة المنتظرة فغيرت الموضوع : طيب الطبيعي بترجع إمتى؟

أجابها وبداخله يتمنى لو سؤالها حبًا له لرغبتها في قضاء الوقت معه : برجع المغرب تقريبًا، قبل أو بعد بس تقريبًا ده التوقيت يعني اللي برجع فيه.

لم تجد ما تقوله وهو مثلها فأنهت المكالمة معه، استرخت في سريرها تنظر لرسمته أمامها وتبتسم.

تفاجأت ثناء بإتصال أمجد لها وقبل أن ترحب به وجدته يصرخ بها : الواد اللي بنتك عايزة تتجوزه ده مش موافق عليه فاهمة ولا مش فاهمة؟

حاولت تهدئته كي تفهم مشكلته أو إغلاق مكبر الصوت كي لا تسمع ابنتها صراخه ولكن ارتبكت من صراخه : يا حبيبي

اللي انت عايزه هيكون بس اهدى كده وفهمني في ايه مالك؟

صرخ مجددًا : في اللي فيه المهم الواد ده تتصلي بيه وترفضيه وتفهمي بنتك مفيش جواز غير لما تتخرج من كليتها أكون أنا طلعت وأنا اختار لها الشخص المناسب غير كده خليها متلقحة جنبك.

صُدمت من كلامه ولكن دون أن تبدي اعتراضها عليه، حاولت أن تفهم المزيد : طيب فهمني بس يا أمجد انت رافضه ليه؟ ماهو مش هتصل بيه واقوله انت مرفوض من غير سبب ولا أختك نفسها هقولها ايه؟

صرخ بها : تتحرق أختي، قال تقولها ايه قال؟ سيادتها مع كل التقفيل عليها إلا إنها كانت برضه بتغفلني وبتخرج معاه ودلوقتي جاي يتقدملها وأنا هنا؟ ده بعينهم الاتنين.

هنا لم تتحمل أميرة سماع المزيد فاقتربت من والدتها وصرخت مثله : بقولك ايه يا أمجد علشان بس مش هنرغي كتير، أحمد هتجوزه، برضاك غصب عنك هتجوزه، فوفر صراخك وصويتك والحبتين اللي بتعملهم دول لحد يسمعهم لكن أنا الحمدلله ربنا رحمني منك.

صرخ بغضب بها : والله اقتلك يا أميرة انتِ وهو.

ضحكت بتهكم : اقتلني وماله هتتحبس أو يمكن تتعدم والدنيا كلها ترتاح من شرك وقرفك.

صاح بغضب : سامعة قلة أدبها؟ شايفة تربيتك؟ ليل نهار سيبها سيبها سيبها، شوفتي البنات لما بتتساب بتفجر ازاي؟

قبل أن تعترض ثناء صرخت أميرة به : لو في حد فاجر فالحد ده انت يا أمجد، فجرت لما هي سكتت وما لمتكش من صغرك وعيشتك دور الراجل وانت ما تعرفش يعني ايه رجولة، فاكر إن الرجولة بالعصبية والصوت العالي واستعراض عضلاتك، لعلمك الراجل اللي يمد إيده على ست ضعيفة فده ما يعتبرش راجل في عرف الرجالة، يا — يا راجل أو سوري يا شبه راجل، قال متصل يصرخ فاكر إني هخاف من صريخه وصوته العالي.

هنا صرخت ثناء : ما تخرسي يا بت بقى؟

نظرت لوالدتها : خرست كتير وخلص وقت الخرس خلاص، هتصل بأحمد وهحدد معاه ميعاد نكتب الكتاب فيه وانتِ يا ماما خليكي جنبه إجني واحصدي تربيتك البايظة له.

صاح مجددًا : هاتيها من شعرها يا أمّه وحطيها تحت رجليكي موتيها ولا اخنقيها؟

ضحكت أميرة : اه يلا اسمعي كلاموا خليكي تحصليه، معلومة صغيرة ليكم انتو الإتنين، أنا معدتش هسمح لأي حد فيكم يتحكم فيا، واه حابة اقولكم حاجة صغيرة، انت عارف يا أمجد حنين خرجت ازاي من تحت إيدك؟

ساد الصمت للحظات هي قطعتها : أنا شوفت أبوها لما جه وبعتله رساله قولتله بنتك فوق اوعى تمشي وتسيبها لاحسن

هيموتها واقترحت عليه يطلب البوليس، أنا يا أمجد اللي خلصت حنين منك واتخلصت أنا نفسي منك.

صرخ أمجد ولكن أغلقت أميرة الهاتف في يد والدتها ونظرت إليها : بذمتك ده شخص عاقل؟ افرحي بالمجنون اللي ربتيه، تصبحي على خير يا ماما.

توجهت لغرفتها وبعد غلقها للباب انخرطت في بكاء حار للحال الذي وصلت له عائلتها، اتصلت بأحمد الذي ما إن سمع صوتها قلق عليها : مالك يا ميرو فيكي إيه؟ وبتعيطي ليه؟

حكت له مكالمة أمجد وانفجارها فيه، استمع إليها للنهاية بعدها علق بهدوء : أمجد انتهى عصره يا أميرة شيليه من تفكيرك خلاص وزي ما قولتلك نكتب الكتاب وتبقي مراتي والأفضل لو نتجوز وتيجي تعيشي معايا في بيتي مش عندك، فكري في اقتراحي خلينا نتجوز قبل ما الدراسة تبدأ، يلا من بكرة ننزل نفرش الشقة ونتجوز، فكري وردي عليا.

حور في عملها شاردة معظم النهار، لاحظ حمزة شرودها فاقترب منها : حور – لم تجبه – حوووور

انتبهت له : خير قولت حاجة يا دكتور؟

سألها باهتمام : مالك فيكي ايه؟ انتِ النهاردة مش مظبوطة خالص.

تنهدت وجلست باحباط واضح : حنين بتتخبط وتخرج من نقرة تقع في نقرة.

جلس بجانبها : ليه مالها؟ مش قولتي الحمدلله تقبلت الرسمة على خير؟

اومأت برأسها موافقة فاكمل هو : تجربتها كانت صعبة يا حور برضه، أينعم كان باين جدًا إن أمجد شخص غيور أوفر ومش عارف هي ليه تجاهلت ده وكملت للمرحلة دي، من أول يوم شوفته فيه وقولت لمعتز خف هزار معاها لأنه غيور أوفر، الباقي كان متوقع صراحة، المهم دلوقتي إنها بتتعافى.

سندت خدها على يدها وتمتمت بغضب مكبوت : بتتعافى بغباء والواحد شايفها بتغلط تاني وهي رافضة تسمع لأي حد فينا، شوفت انت رفضت كام واحد اتقدمولها؟ دلوقتي بتوافق على واحد غلط جدًا

قاطعها حمزة بفرحة : طيب ده في حد ذاته شيء كويس إنها توافق؟

عقدت حاجبيها بضيق : يا حمزه بقولك مش مناسب، مش مكمل تعليمه، وشغلته مش قد كده يعني، من الآخر ما ينفعش

علق ببساطة : بس هي شيفاه ينفع، بعدين يا حور اللي يحدد ينفع أو لأ الشخص اللي هيعيش معاه سوري مش انتِ ولا والدك ولا والدتك، والدتك قالت إن أمجد مناسب جدًا وصح جدًا وهي للنهاية كانت في صفه دايمًا فهل كان اختيار مناسب؟

صمتت فاكمل هو : فالمناسب أو لأ ده شيء نسبي بيختلف

من شخص للثاني، المناسب ليا مش شرط يكون مناسب ليكي لإنك انتِ مش زيي ولا طباعك زي طباعي، انتِ ممكن تشوفي ميزة معينة في شخص أنا اشوفها عيب والعكس.

نظرت إليه بتفكير فهي لم ترى الموضوع من هذه الناحية أبدًا، علقت بفتور : مش مكمل جامعة؟

ابتسم بهدوء : أمجد كان دكتور.

عقدت حاجبيها أكثر : شغال باليومية.

ردد مجددًا : أمجد كان دكتور.

اعترضت بغضب : فقير و

قاطعها : أمجد كان دكتور.

صرخت حور بغضب فابتسم هو : حور المهم شخصية الإنسان وأخلاقه دول اللي بتعاشريهم، المهم طباعه، تفكيره، عقليته، الباقي كله مقدور عليه، الباقي كله مظاهر مش أكثر فاللي بيهتم بالمظاهر هو اللي بتفرق معاه لكن لو حد بيهتم بالجوهر مش هيبص للوظيفة والمادة والشكل الإجتماعي ومش بقلل من أهميتهم بالعكس لكن زي ما قولت كل واحد له متطلبات متناسبه معاه، يمكن يكون الشخص ده هو المناسب لحنين، صح؟ يمكن هو اللي يقدر يسعدها.

علقت باندفاع: ويمكن يكمل عليها ويتعسها؟

طمأنها : لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، كلكم خليكم جنبها ومعاها بس أعتقد إن هي نفسها مش هتكرر أخطاءها من

تاني.

عقدت ذراعيها أمامها بحيرة : والمفروض أقعد كده أتفرج عليها صح؟

نظر لساعته قبل أن يقف : لا طبعًا مين قال كده؟ المفروض تقفي جنبها وتكوني معاها وتكوني صاحب وحضن وسند لو أختك احتاجتك، مبقتيش صغيرة فحسسيها انك معاها حتى لو اختيارها غلط، انتِ معاها وفي ظهرها، انتِ وهي جبهة واحدة قدام الكل في الغلط مع بعض وفي الصح مع بعض، ده الإخوات، أو ده أنا وإخواتي لما بنعمل مصيبة بنعملها مع بعض وبنشيلها مع بعض - شجعها - شيلي مصيبة إختك معاها وتحملي نتيجتها معاها وصلحي معاها لو احتاجت، اللي بتعمليه واعتراضك وكل ده مالوش لازمة ده هيبعدك وهيخليكي فعلًا تتفرجي من بعيد لكن لو دخلتي معاها هتقفي جنبها صح.

نظرت حور لساعة هاتفها : المفروض إنه هيجي يتقدم النهاردة.

استغرب حمزة : وانتِ هنا؟ اليوم ده مهم في حياة أختك المفروض تكوني معاها مش سيباها لوحدها، نقي معاها لبسها ومكياجها، اقفي مع أختك يا حور.

وقفت بتردد : بس

قاطعها : من غير بس خدي تاكسي وروحي لأختك وقوليلها أختك في ظهرك للنهاية، في الغلط قبل الصح في ظهرك.

مر النهار سريعا وتوجه إيهاب لبيته لتغير ملابسه وأخذ عائلته لبيت حنين، علقت والدته حين رأت ما يحمله : ايه ده كله يا إيهاب؟

وضع ما بيده : مفيش يا أمّه غير علبة جاتوه وعلبة شيكولاته ناخدهم في إيدينا.

خرج مازن وهو يرتدي ملابسه وقبل أن يتكلم توجه للعلب لفتحهم : إيه ده؟

أمسك إيهاب يده : ممنوع فتحهم دول هناخدهم معانا.

سخرت قدرية بحركة من فمها ثم علقت : أهو اتفضل لسه ما بدأناش ورايح يجيب شيكولاته و جاتوه بالشيء الفلاني وأبقى شوف هيفضل إيه كل يوم بعد متطلبات الهانم اللي هيجيبها؟

خرجت هبه من غرفتها : انت لسه يا إيهاب مغيرتش؟ هتتأخر يا حبيبي؟

هتف لأخته : أقفي يا هبه جنب العلب دي صراحة مش واثق في الطفس أخوكي ليفتحهم ويبهدلهم.

اقتربت هبه بابتسامة : روح طيب غير بسرعة ويلا.

دخل إيهاب بينما علقت قدرية : شوفت من أولها أهو.

اقترب مازن من العلب : ده أولها بس ما تقلقيش – نظر لأخته- اصبري يا بوبا هشوف بس جايب ايه؟

ضربت هبه يده : لا مش هتفتحهم وسيبهم في حالهم.

صاحت قدرية : ما توعي يا بت نشوف العلب دي فيها إيه؟ هما أحسن مننا اللي هيطفحوهم؟

وقفت هبه في وجه والدتها : لا مش أحسن مننا بعدين انتِ اللي كل ما إيهاب يجيب حاجة زي كده لينا تفضلي تصوتي وتقوليله كنا جبنا فرخة ولا كيلو لحمة وتأنبيه شهر، عايزة تشوفي ليه بقى هو جايب ايه؟ الحاجة دي زي ما هي ملفوفة هتروح للعروسة إحنا مش أقل منهم، ادخلي بقى يا أمّه البسي.

خرج إيهاب وهو يرتدي قميصًا وبنطلون اشتراهم خصيصًا لهذه المناسبة لتهتف أخته بفرحة : وواااو يا هوبا تحفة، أيوه كده مش قولتلك البنات هتتجنن عليك بس انت تهتم بنفسك شوية.

صفّر مازن : هبقى اخدهم لفة يا هوبا الجامعة، مكنتش أعرف إن ذوقك عالي كده.

علقت هبه بتهكم : يا ابني دول سموه فنان متخيل ذوقه إيه؟ ده بينسق أجدع ألوان وأحسن رسم ويطلعلك تحفة والكل هيتجنن عليه.

علق مازن : تصدقي بإيه أنا ما شوفتش أي رسمة لأخوكي الفنان قبل كده، بسمع من الناس إنه فنان لكن ما شوفتش بعيني.

استغربت هبه : وده عيب مين هاه؟

قبل أن يعترض مازن تدخل إيهاب : شوفي أمك يا هبه يلا يادوب كده نوصل.

وقفت حنين مطولًا أمام دولابها تحاول اختيار ما تلبسه، دخلت حور اختها وجلست على سريرها تراقبها : برضه مصرة يا حنين؟

لم تجبها بل غيرت الموضوع وهي تخرج فستان : ألبس ده؟ - أخرجت آخر – ولا ده؟ مش عارفة ألبس إيه؟

نظرت حور لأختها مطولًا وهي تتذكر كل نصائح حمزه، وقفت بجانبها وبدأت تساعدها في اختيار ملابسها، ارتدت حنين فستان أزرق يصل لركبتيها ويرسمها، أكمامه طويلة ومتسعة في الأطراف، ولبست سلسلة بثلاث أدوار و وضعت حزام ذهبي اللون بخصرها زاد من جاذبية الفستان، فردت شعرها وارتدت صندلًا ذهبيًا يتناسب مع اكسسواراتها، جلست أمام المرآة تضع بعض اللمسات وحور تساعدها في كل خطوة وهما يضحكان سويًا.

بالخارج يقف عبدالقادر يستند على الحائط بصمت تام لتخرج زوجته فتقلق : مالك يا عبدو؟

أجابها بهمس : الصوت ده وحشني من زمان أوي

اقتربت منه بحيرة : صوت ايه؟

أشار لها بالصمت وحين اقتربت سمعت صوت ضحكات

فنظرت إليه بعتاب : والله ما حد وصلنا لكل ده غير حركاتك دي واهتمامك بالحاجات الغريبة دي.

جذبها من ذراعها بعيدًا عن غرفة بناته : بقى ضحكة حنين حاجة غريبة؟ آخر مرة سمعتيها بتضحك إمتى هاه؟ ضحكتها دي عندي بالدنيا وما فيها وإيهاب لو هو اللي هيسعدها وينور وشها هحط إيدي في إيده للنهاية ومش هسمحلك تبوظي فرحة بنتك.

أمسكت ذراعه قبل أن يبتعد عنها : بنتك اختارت إيهاب علشان تكيدني أنا بس، بتعند عليا مش أكتر، علشان

قاطعها زوجها برفض : مش عايز أسمع أسباب وتحليلات، ولو بتعند مين وصلها للعناد ده؟ وليه تعند أصلًا؟ مش منك ومن تصرفاتك معاها؟ الناس هيجوا بعد شوية إياكِ يا صابرين تعملي حاجة تضايق أي حد أنا بحذرك أهو.

تركها ودخل لبناته وما إن رأي حنين بجمالها ورقتها وابتسامتها حتى ضمها لقلبه : وحشتيني يا حنين.

بادلته مشاعره : وحشاك ازاي يا بابا ما أنا معاك كل يوم؟

ابتسم وهو يمسح دمعة تعانده : وحشتني حنين دي وجمالها ده وشياكتها دي.

ابتسمت حنين بحرج بينما علقت حور : يارب بس تفضل كده وما تغيرش من نفسها لأي حد، نكون استوعبنا الدرس كويس وشخصيتنا تفضل زي ما هي وتسمحلنا نكون جنبها

وسند لها مش تخبي وتداري علينا.

عقدت حنين حاجبيها لأختها بينما علق والدها وهو يربت على كتفها بحب : هي مش هتخبي حاجة عن أبوها تاني أبدًا، صح يا حنين؟

اومأت برأسها بتوتر وتسائلت ما رد فعله لو علم أن زواجها من إيهاب مجرد اتفاق بينهما؟ وزواج بشكل صوري ليس أكثر؟

وصل إيهاب بعائلته وبمجرد نزولهم من التاكسي شهقت والدته : اوعى تقولي إنهم ساكنين في العمارة دي يا إيهاب؟

للتفت إليها باستغراب: اه ساكنين هنا ليه؟

نظرت لمازن بعتاب ثم لإيهاب : يا ابني انت مش شايف الفرق بينا ازاي؟ ناس زي دول يناسبونا ليه؟

نظر للأعلى يتنهد بنفاذ صبر : يا أمه بالله عليكي بقى يلا نطلع، الناس منتظرين.

مدت هبه ذراعها تضعه في ذراع أخيها : يلا يا هوبا وربنا يتملك على خير ويسعدك يارب.

ابتسم لأخته الجميلة ودخل معها يتبعهما مازن و والدته، وقفوا أمام باب شقتهم بتردد بعد خروجهم من الأسانسير، الكل نظر لإيهاب الذي أخذ عدة أنفاس متتالية يحاول السيطرة على توتره، مدت هبه يدها لتضرب الجرس ولحظات و فتح عبدالقادر الباب، رحب بهم وتولى إيهاب

تعريفهم ببعض، استقروا بالداخل وسط جو مليء بالتوتر، دخلت صابرين ألقت نظرة سريعة على الجميع وركزت نظراتها على والدته.

لم تتقبل الاثنتان بعضهما البعض من أول وهلة، جلست صابرين بصمت بعد سلام بارد، دخلت حور لتقف قدرية وقبل أن تتكلم عرفها إيهاب : دي دكتورة حور أخت الأستاذة حنين.

سلمت قدرية عليها تبعها مازن الذي سألها : دكتورة في إيه؟

تذكرت حور أنه طبيب بشري فوضحت : أنا في ثالثة صيدلة

عرفها بنفسه أكثر وقبل أن ينطق المزيد تركته لتسلم على هبه ثم إيهاب.

جلست بهدوء بجانب والدتها، سألها عبدالقادر : اختك فين يا حور؟ ناديها تطلع.

خرجت على الفور ودخلت لحنين : بابا بيقولك تعالي يلا.

نظرت حنين مرة أخيرة لانعاكسها فعلقت حور : انتِ مش محتاجة كل ده، انتِ كتير عليه أصلًا.

نظرت حنين بعتاب : بطلي الأسلوب ده لو سمحتي يا حور، إيهاب اختياري وياريت تحترميه وإلا هعتبر ده عدم احترام ليا شخصيًا.

ردت حور باستنكار : ليه يعني؟

التفت إليها : لأن أنا وهو شخص واحد وكيان واحد وياريت تتقبلي ده بسرعة كفاية أمك.

خرجت دون اضافة المزيد وتبعتها حور بقلق من المستقبل القريب.

دخلت حنين وركزت أنظارها على إيهاب فقط، تريد معرفة رد فعله لفستانها، هل سيغضب مثل أمجد الذي تشاجر معها في كل مناسبة فأصبحت جميع ذكرياتها سيئة؟

وقف إيهاب بمجرد أن لمحها، ارتفعت نبضات قلبه لدرجة أنه أحس كل من بالغرفة يسمع دقات قلبه، لم يرى سوى وجهها وابتسامتها الصافية ودعى من قلبه أن تنير الابتسامة دائمًا وجهها، دعى أيضًا أن يزرع الحب بقلبها وأن تتقبله زوج لا مجرد صديق أو رفيق.

انتبه على يدها الممدودة وضع يده بيدها وضغط مجرد ضغطة خفيفة كسلام خاص بينهما، استغربت حنين فتلك الضغطة أصابت قلبها في الصميم، لم يضغط على يدها بل قلبها، استغربت تلك الأحاسيس وتلك النبضات وذلك الارتباك والشرارات التي ملأت الغرفة بأكملها.

هربت من عيونه وسلمت على باقي عائلته وجلست بهدوء بجانب والدها.

استغربت قدرية من جمال حنين فلقد رسمت لها صورة

مخالفة تمامًا عمن تراها الآن، لقد تخيلت أنها غير جميلة بالمرة لا ملكة جمال، تخيلتها بشعة لدرجة تطلب من ابنها الزواج بالرغم من الفارق الإجتماعي.

أما مازن فلقد استكترها على اخيه، لعن ذلك الحظ الذي أوقعه في حنين، فهي جمال ومال وحسب ونسب.

نظر إيهاب لوالدته كي تبدأ كلامها بما أنها والدته، حمحمت بتوتر : احنا جايين النهارده هنا علشان نطلب إيد حنين بنتكم لإيهاب ابننا.

اتجهت الأنظار لعبدالقادر، أكملت قدرية : إيهاب قالي إنه كلم حضرتك من كام يوم وكده وحضرتك موافق؟

رد عبدالقادر : هو فعلًا كلمني وطلبت مهلة أصلّي إستخارة ورديت عليه، إيهاب شاب محترم وأخلاقه عالية وأنا بحترمه وبقدره من أول يوم دخل بيتي فيه.

راقبت هبه كل الوجوه ولاحظت توتر إيهاب ولاحظت صمت والدتهم أما مازن فحدث ولا حرج هو لن ينطق حرفًا لأخيه فأنانيته أكبر من أي شيء.

تدخلت في الحوار : إيهاب يا حنين، لو تسمحيلي أقول حنين بدون ألقاب؟

ابتسمت حنين : طبعًا حنين وبس احنا هنبقى عيلة إن شاء الله.

نظرت صابرين بحدة لابنتها كذلك قدرية، فهي قد افترضت

أنها دخلت العائلة.

أكملت هبه : اللي عايزه أقوله إن إيهاب من أحن الشخصيات اللي ممكن تقابليها في حياتك ومش علشان أخويا بقول كده بس هو فعلًا طيب أوي وما يعرفش يتخلى عن حد حتى لو عايز بس مش بيقدر، فصدقيني عمره ما في يوم هيزعلك ولو ده حصل هيكون غصب عنه لكن بمزاجه لا يمكن، هو بيحب يسعد كل اللي حواليه – نظرت لمازن – حتى لو اللي حواليه ما يستاهلوش.

نظرت حنين تجاه مازن الذي دافع عن نفسه بسرعة : بتبصيلي ليه – نظر لعبدالقادر وحور – هبه عايزاني أنزل اشتغل وأساعد إيهاب في المصاريف شوية، يعني أنا دكتور وكلها كام شهر واتخرج ايه اللي ممكن اشتغله؟

أجابت حور باستنكار فهي تكره الشاب الإتكالي للغاية : ممكن تشتغل في أي حاجة، الشغل مش عيب أيا كان، لعلمك أنا بشتغل في الإجازة في صيدليه منها تدريب ومنها يكون ليا كيان خاص بيا – أضافت بمغزى – مع إني في غنى تام عن الشغل وعن فلوسه بس الموضوع مبدأ.

علق مازن بضيق : ده يعتبر تدريب ليكي أي شغل في أي صيدلية، وأي صيدلية هتقبل تشغلك لأنك أفضل من الفني على الأقل عارفة وفاهمة بتتعاملي مع ايه لكن لو تخصص تاني زيي كده تقدري تقولي ممكن اشتغل ايه؟

ردت بحدة : أنا معرفش تشتغل إيه ومش أنا اللي هقولك

تشتغل إيه؟

علقت حنين بهدوء : حضرتك لو حابب تساعد كنت هتلاقي شغل ولو حتى جرسون أو في أي مكتب أو حتى محل بس الموضوع في المبدأ نفسه، أعتقد انك استكبرت على قصة الشغل في حد ذاته.

علقت قدرية بغضب : ده دكتور جرسون ايه ولا محل ايه اللي يشتغل فيه؟

همت حنين بالرد ولكن تدخل إيهاب : ده مش وقته خالص نتكلم في مازن وشغله من عدمه، احنا جاين نتعرف على بعض وياريت لو عمي يسمحلنا نقرأ فاتحة حتى، ايه رأيك يا عمي؟

بدل عبدالقادر نظراته ما بين ابنته المبتسمة وإيهاب المتلهف فتنهد باستسلام : معنديش مانع نقرأ الفاتحة

قاطعت صابرين الجميع فجأة: قبل ما تقرؤا أي حاجة أنا عندي شرط. ابتسمت قدرية فأخيرًا بدأت شروط التعجيز وأخيرًا ستنتهي من ذلك الكابوس.

نظرت حنين لوالدتها : شروط ايه يا ماما؟ ما اتفقناش على أي شروط؟

ابتسمت صابرين بغضب مكبوت داخلها : ده ما يمنعش إن عندي شرط وهو لازم يوافق عليه قبل أي خطوة.

قبل أن تعترض حنين مجددًا قاطعها إيهاب بهدوء :

اتفضلي حضرتك قولي.

نظرت صابرين لعينيه مباشرة كي ترى رد فعله لشرطها : حنين بتقبض ومرتبها معقول والمرتب بينزل على حسابها مباشرة.

علق إيهاب باستغراب : وأنا إيه علاقتي بكل ده؟

ابتسمت صابرين : حنين مش هتاخد الفيزا اللي بتقبض بيها معاها ولا هتسحب مليم واحد من حسابها ده، هي عايزه تتجوزك تروح بطولها من غير حسابها ومن غير مرتبها ومن غير أي مميزات.

اتسعت عينا حنين للغاية فكلام والدتها يهد أول شروط اتفاقها مع إيهاب.

نظرت قدرية لمازن ولسان حالها يلومه فلقد اقنعها أن مرتبها سيكون ملكًا لهم.

أما إيهاب فابتسم ولم يهتم لشرط صابرين: معنديش أي مشكلة في القصة دي، مرتبها بتاعها ما يفرقش معايا بأي شكل من الأشكال، أنا الحمدلله قادر أفتح بيتي واتكفل بمصاريفه، آه مش هقول إني هعيشها زي هنا بس أوعدكم إني هعمل كل اللي أقدر عليه علشان أوفر لها حياة كريمة، فالفيزا بتاعتها أو حسابها ما يفرقوش معايا نهائي.

اعترضت حنين : بس أنا مش موافقة.

اتجهت الأنظار إليها فاكملت بإصرار :أيوه مش موافقة حد

ياخد الفيزا بتاعتي أو يمنعني من حسابي ومحدش له الحق ده أصلًا.

ابتسمت صابرين و وجهت حديثها لابنتها : ده شرطي لو عايزاني أوافق.

قبل أن ترفض حنين مجددًا تدخل والدها :إهدوا انتو الإتنين ده مش إسلوب للنقاش أبدًا مش كل ما هنتكلم في حاجة هنتخانق.

بعد أن أنهى جملته سيطر الصمت على الجميع علق إيهاب بهدوئه المعتاد : زي ما قولت قصة الفيزا ومرتبها ده مش فارق معايا أساسًا (وجه نظراته لحنين) ده مش سبب نعمل عليه مشكلة.

حركت حنين رأسها برفض تام : انت مش شايف إنه مشكلة بس أنا شيفاها مشكلة وكبيرة كمان.

تدخلت صابرين بيرود بينهما : ليه مشكلة كبيرة؟ عايزة تتجوزي و

قاطعها عبدالقادر : صابرين؟

نظرت لزوجها بإصرار : ده شرطي ومش هتنازل عنه – وقفت ونظرت مباشرة لقدرية – قهوتك ايه يا أم إيهاب؟

توترت قدرية فهي لا تشرب القهوة مطلقاً ونظرت لمازن ابنها الذي بادر بسرعة بالرد عن والدته : أمي من هواة الشاي مش القهوة، أو ممكن تقولي إن الكل من هواة الشاي.

ابتسمت صابرين ونظرت لابنتها بتهكم : أكيد طبعًا.

ثم نظرت لحور فلحقت بها بينما سيطر صمت شديد على المكان بعد خروجهما وقفت حنين ونظرت لوالدها : بابا ممكن بعد إذنك أتكلم أنا وإيهاب دقيقة واحدة لوحدنا في البلكونة بره؟ بعد إذنك.

استغرب الكل جرائتها بينما تردد عبدالقادر في موافقته ولكن نظراتها وترجيها له بعينيها منعاه من الرفض فوافقها.

نظرت حنين لإيهاب : بعد إذنك يا إيهاب تعال لحظة.

وقف إيهاب بتردد ونظر لوالدها باستئذان فسمح له :اتفضل يا إيهاب.

خرج برفقتها بينما أغلقت هي الباب خلفهما، وأمسكت ذراعه جذبته بعيدًا عن الباب وبحدة ولكن صوتها منخفض : انت ازاي توافق ماما على قصة الفيزا؟

عبر بهدوء : انتِ ازاي متخيلة إنك تبقي مراتي وفي بيتي وتصرفي على نفسك؟

تضايقت من هدوئه وكلامه : احنا اتفقنا وكلمتك المفروض سيف على رقبتك؟

ابتسم بحزن : وأنا قولتلك ايه ورجعت فيه؟ قولتلك بيتي أنا هصرف عليه.

عارضته بغضب : أيوه بس ده في الظروف الطبيعية لكن أنا وانت بينا اتفاق، أنا هصرف على نفسي مش انت اللي

هتصرف عليا.

تجرأ إيهاب ليمسك ذراعيها ويحرك يديه عليهما : حنين ح لو سمحتي الموضوع بسيط انتِ مكبراه.

نظرت ليديه على ذراعيها، كيف بلمسة بسيطة أشعل تلك النيران بجسدها؟ تعجبت من شعورها ولم تفهمه، رجعت خطوة للوراء وهي تسحب ذراعيها من يديه وتكلمت بحدة علها تتغلب على ذلك الخدر الذي أصابها من لمساته : ياريت لو سمحت لو مش ناوي تلتزم باتفاقنا وفاكرني بستعبط أو هاجي بيتك وكل حاجة هتتغير ويبقى جواز بجد فقولي من دلوقتي، أنا هتجوزك علشان أخرج من البيت ده وبس مش علشان حاجة تانية فبلاش تحسسني أو تعاملني كحبيبة لأني مش حبيبتك يا إيهاب.

جملتها أوجعت قلبه فتراجع خطوة للوراء ونظر إليها بقلة حيلة : طيب يا حنين قوليلي أعمل ايه؟ أقول لمامتك لا ما تاخديش منها الفيزا علشان تصرف على نفسها؟

عقدت حاجبيها بضيق أكثر : انت بتتريق صح؟

رفع يديه باستسلام : انتِ عايزة مني ايه؟ موضوع الفيزا مش فارق معايا، اللي يعجبك اعمليه، تمام كده؟ يلا ندخل علشان والدك.

رفعت رأسها للسماء : أكيد في حل، ماما بتقفلها في وشي وعايزاني أفضل دايمًا تحت سيطرتها، ساعدني.

اقترب منها وهمس : فتحت بيتي ليكي ومستعد اشتغل ليل نهار لو مكفيتش طلباتك وهشتغل بطيب خاطر علشان بس تفضل الابتسامة دي منورة وشك، ده اللي في إيدي أعمله.

نظرت لعينيه وحينها أدركت خطأها، كلماته مع نظرة عينيه أصابت قلبها ووترته، رفعت نبضاته، سرت قشعريرة في جسدها بأكمله وتمنت في هذه اللحظة أن تقترب منه أكثر وأكثر، أن تصبح زوجته، أن تضع رأسها على صدره أو تحديدًا فوق قلبه وتستمع لنبضاته.

نفضت رأسها من تلك الأفكار وعقدت حاجبيها كي ترسم الجدية على وجهها فتراجع هو خطوة للخلف، راقب تعبيرات وجهها بحيرة فهو يحس أنها تتقلب في مشاعرها بين الغضب والفرحة والحب والكره، وضع يده في جيبه ليخرج علبة صغيرة استأذنها : ينفع تقبلي من هدية صغيرة؟ طبعًا هي حاجة بسيطة بس

قاطعته بسرعة : أنا ما طلبتش منك هدايا أرجوك ما

قاطعها هو هذه المرة : بلاش تكملي أرجوكي يا تقبليها يا ترفضيها بدون أي كلام.

همست بتردد : وريهالي الأول بعدها أحدد.

فتح العلبة بتردد شديد فذلك الخاتم قطعًا ليس مقامها.

نظرت حنين لذلك الخاتم الذي لمع تحت ضوء القمر، قلب

صغير ملك قلبها هي بمجرد أن رأته ذابت عشقًا فيه وبتلقائية مدت يدها له : لبسهولي لو سمحت.

لم يصدق إيهاب ما سمعه : قولتي ايه؟

رفعت عينيها له : بقولك لبسهولي.

بيد متوترة أخرجه من مكانه ووضع العلبة على الطاولة خلفه وأمسك يدها : يارب يكون مقاسك.

وضع الخاتم بيدها بتوتر وتلك القشعريرة تسري في جسده توتره وكذلك هي.

أمسك يدها يرى الخاتم يلمع في اصبعها ودون تفكير رفع يدها وقبّلها بهدوء لتتوقف نبضات قلبها وتحبس أنفاسها إلى حين ابتعاده عنها.

انتبه بعدها وتراجع خطوة للخلف : آسف.

نظرت حنين للخاتم بيدها وأنفاسها مضطربة مقطوعة، أفكار كثيرة تعبث في عقلها حاولت صرفها دون جدوى.

دخلت حور لتقاطع أفكارهما : يلا يا حنين ادخلوا.

نظرت لأختها : حاضر يا حور.

تحرك إيهاب وأمسك الباب بيده : يلا

تحركت ووقفت أمامه فهمس : ما تعمليش مشكلة مع والدتك وسيبيها تطمن بالطريقة اللي شيفاها صح.

رجع إيهاب مكانه تبعته حنين ولكن قبل أن تدخل امسكت

حور يدها وجذبتها بعيدًا، جذبت حنين يدها: يا بنتي بتشديني كده ليه؟

سألتها حور بجدية : في إيه؟ طلعتي البلكونة ليه؟ بيتخانق معاكي زي أمجد؟ وتسكتي وتسمعي وتبقي

نظرت حنين لها بتهكم ويديها في خصرها ثم قاطعتها : إيهاب غير أمجد لو سمحتي ما تقارنيهوش بيه.

حركت رأسها بغضب فأختها غريبة حالمة ومهما يمر الزمن عليها فهي حالمة : كان عايزك ليه بره؟

مدت حنين يدها مبتسمة وذلك الخاتم يلمع في يدها : ايه رأيك فيه؟

نظرت حور للخاتم واعترفت لنفسها أن ذوقه راقِ

لاحظت حنين نظرات أختها : عجبك صح؟ ما تنكريش إيهاب ذوقه عالي جدًا وده واضح من اختياره للألوان في الرسم أو تنسيقه أو حتى طريقة لبسه.

رفضت حور الاعتراف بهذا أمامها فعلقت وهي تتحرك : ذوقه عالي لأنه اختارك فقط لا غير.

ابتسمت حنين ونظرت للخاتم بيدها ثم عادت لداخل الغرفة جلست في مكانها، سألتها صابرين : قولتي إيه يا حنين؟

نظرت حنين لإيهاب الذي شجعها بنظراته فابتسمت.

لاحظت صابرين تلك الابتسامة وضايقتها وزاد ضيقها حين واجهتها ابنتها : زي ما قال إيهاب مش دي اللي هتعمل مشكلة أو تبعدنا عن بعض.

نظرت قدرية لمازن وقبل أن تنطق حرفًا أمسك مازن يدها يمنعها وأشار لها برأسه أن تصمت تمامًا الآن فسكتت على مضض.

بينما صابرين استشاطت غضبًا من موافقة ابنتها فكم تمنت أن تنهي تلك الزيجة قبل أن تبدأ.

هتفت هبه بطريقة أخرجت الجميع من أفكارهم : نقرأ الفاتحة بقى؟ ربنا ما يجيب مشاكل تاني.

أمّن إيهاب على دعاء أخته : هاه يا عمي نقرأ الفاتحة؟

وافقه عبدالقادر ورفع الجميع أيديهم لقراءة الفاتحة إلا قدرية وصابرين فهما يكرهان ذلك الارتباط للغاية.

الكل بارك لحنين وإيهاب، حنين جلست بجانب عبدالقادر ومدت يدها له : بابا شوفت الخاتم؟ إيهاب جابهولي.

ابتسم والدها : مبروك عليكي وربنا يسعدك.

نظرت قدرية لإيهاب بضيق فهو لم يريها الخاتم ولم يخبرها أبدًا أنه اشترى خاتم لها.

مدت حنين يدها لصابرين التي نظرت بتهكم : عقبال الشبكة – وأردفت بسخرية – ده إذا كان في شبكة؟

تجاهلتها حنين تمامًا و وجهت حديثها لوالدها : بابا هننزل بكرة أنا وإيهاب نشوف العفش بحيث ننجز بسرعة وقبل ما الإجازة تخلص نكون خلصنا بإذن الله.

علق مازن : انتو إيه علاقتكم بالإجازة؟

ردت حنين : علشان حور أختي تساعدني

علقت حور بتهكم : مش كل الإخوات بيتفرجوا من بعيد على إخواتهم.

نظر مازن إليها بضيق فهي تقصده هو تحديدًا.

حاول عبدالقادر تلطيف ذلك التوتر : ربنا يسهلكم أموركم يا رب وكل حاجة تتم على خير، ربنا يسعدك يا حتة من قلبي.

ضمت حنين والدها بحب واضح للجميع، قدرية هنا فهمت سبب موافقته فهي مدللته الصغيرة التي لا يرفض لها طلبًا أبدًا.

انتهت تلك الزيارة وطوال الطريق صمت مطبق إلى أن وصلوا بيتهم وبمجرد دخولهم هتفت قدرية بغضب : بقى جايبلها خاتم دهب؟ من أولها بتهادي بالدهب يا ابن محمد سالم؟ بالدهب؟ وتقولي هتصرف على نفسها؟ أهي أمها طمعت في مرتبها لنفسها وشرطت عليك؟

رد إيهاب بهدوء : أولًا الخاتم صغير مش غالي ومش كبير وثانيًا مرتبها قولتلكم إنه ما يلزمنيش وعمري ما هاخد قرش من مراتي.

علق مازن ببرود : وهتصرف منين؟ انت عارف واحدة زيها دي بتصرف قد إيه في اليوم؟ مش هقولك في الشهر هقولك في اليوم الواحد؟ انت بتزعل لو قولتلك هات ٢٠٠ ولا ٣٠٠ أخرج مرة مع أصحابي متخيل إن ال ٣٠٠ دي ممكن يكونوا فطارها بس في الشغل؟ ولو عزمت أصحابها عايزة ضعفهم؟ انت للأسف مش عارف انت داخل على إيه؟ قعدتك مع الصنايعية والعمال خلى تفكيرك محدود ومتخيل إن الناس كلها زينا كده وبتعيش على القد.

استمع إيهاب لاخيه بهدوء ظاهري بينما يتمزق بداخله، علق بعد أن انتهى أخيه : خلصت كلامك؟ قولت كل اللي جواك؟ طيب تمام لأخر مرة هقولكم انتو الإتنين الكلام اللي هقوله ده، علاقتي بحنين محدش فيكم له دعوة بيها، حياتي معاها ما تخصكمش في شيء، مصاريف البيت هتفضل ماشية زي ما هي، أما بقى يا أستاذ مازن سهرانك وخروجك مع أصحابك فأنا مش ملزم بيها أساسا، بعمله لأنك أخويا الصغير مع إنك مش صغير ولا حاجة انت بغل أهو طول بعرض فياريت اللي بتفضل وبعمله ما تاخدوش أمر مسلم بيه لأني ممكن بكل بساطة اقولك مالكش عندي غير أكل وشرب في البيت ده غير كده مفيش، كان ممكن بكل بساطة أخليك تطلع انت كمان من جامعتك وكان ممكن اجوز أختك من سنتين فاتوا، كان ممكن أعمل كتير أوي بس أنا لأني بحبكم ضحيت بنفسي وبمستقبلي وخليتك تدلع وتتمرقع لحد ما هتتخرج أهو مع إن في غيرك كتير بيشتغل وفاتح بيت، فاللي عملته

ده كان حب مني مش فرض ومش علشان أمكم طلبت مني ومش علشان أي حد فياريت لما تيجي تتكلم دلوقتي أو تتكلم عن الإنسانة اللي اخترتها زوجة ليا تتكلم بأدب وتبقى عارف انت بتقول إيه بالظبط؟

وجه نظراته للجميع، تحركت قدرية للإعتراض ولكن أوقفها : وفري لو سمحتي أي كلام يا أمه لأن قراري نهائي وسامحيني بس مش هسمع لحد فيكم، لما أقصر في طلباتك أبقي اتكلمي، تصبحوا على خير.

تركهم وصعد إلى مكانه المفضل تحت النجوم ، دخلت هبه لغرفتها أما مازن فنظر لوالدته : وبعدين؟

صرخت قدرية : وبعدين إيه مش دي شورتك الهباب؟ وافقي.. وافقي، مرتبها هيتحط في جيبك، أهو أمها القرشانة خربتها.

حك مازن ذقنه بتفكير : اعتقد يا أمه دي حركات بس كده، بتخوف إيهاب لكن مش هتنفذ كلامها، البت دلوعة أبوها ما بيتحملش الهوا عليها تفتكري هيسيبها تعيش بفلوس إيهاب؟

ردت قدرية بضيق : لا مش هيسيبها بس هيدلعها في بيت جوزها وإحنا هنا نغني ظلموه.

تمتم بشرود : يبقى الحل إنهم يفضلوا هنا.

٦

استعدت سارة للنزول لعملها وقبل أن تخرج اقترحت : ماما ايه رأيك لو نعزم الأستاذ زهير يتغدى معانا؟ ولا غلط؟

فكرت إبتسام : يا بت احنا عايشين في بيته أصلًا، خلينا نعزمه واجب برضه.

ابتسمت سارة : تمام جهزي غدا معتبر وأنا هقوله واتصل بيكي أقولك رأيه ايه؟

خرجت من المنزل واستقلت سيارة أجرة ووصلت لعملها وبعد قليل على مكتبها لمحت ظل أمامها رفعت رأسها لتتفاجيء بوالدها أمامها، وقفت برعب : بابا؟

ابتسم بسخرية : كويس انك فاكرة إني أبوكي؟ أمك فين يا بت؟ روحت البيت محدش فيه؟

أجابته : سيبنا في حالنا يا بابا وخليك في حالك، مش كان نفسك تخلص مننا؟ أهو خلصت.

أمسك ذراعها : نعم يا حيلتها؟ وجوزك يا بت؟ وأمك يا بت و

قاطعته سارة وهي تسحب ذراعها بعيدًا : إنسانا وشوف غيرنا بقى تستغله، أنا وأمي خلاص.

مد يده ليجذبها مجددًا لكن قاطعه وصول زهير ليقف أمامه : خير يا أستاذ إسماعيل؟ حضرتك عايز حاجة؟

نظر إليه مطولًا قبل أن يعترض : عايز مراتي وبنتي ولا مش من حقي؟ انت خبيتهم؟

اقترب زهير بتهديد : اوعى تنسى مكانك هنا ده أولاً وثانيًا بإشارة مني هتلاقي الأمن فوق راسك فانت لسه خارج من السجن بلاش ترجعله، ثالثًا والأهم بنتك قدامك ومراتك محدش مخبيها وبيتك معروف اللي عايزك هيجيلك، بعدين اللي يجوز بنته لواحد زي الأسطى معرفش إيه ده يستاهل إنها تتبرى منه، هاه عندك أسئلة تانية؟

سخر إسماعيل : بكرة جوزها يطلع ويرجعها غصب عن بوزها.

ابتسم زهير بهدوء : مش هيقدر لأن في قانون الدنيا مش سايبة ودلوقتي - أشار بيده فحضر إثنان من رجال الأمن - وصلوا الأستاذ لحد باب البنك.

قبل أن يخرج نظر لسارة : قولي لأمك ترجع البيت لأحسن هقتلها يا بت.

جذبه رجال الأمن للخارج بينما نظر زهير لسارة التي رسمت ملامح الرعب على وجهها وحاولت الإعتذار بتوتر : سوري يا أستاذ زهير أنا ... أنااا!

قاطعها زهير : تعالي ورايا مكتبي.

تركها ودخل مكتبه ينتظرها وماهي إلا دقائق ولحقته، أغلق الباب خلفها وسألها باهتمام : طمنيني عليكي؟ إنتي بخير؟

هزت رأسها دون أن تنطق كي تقنعه برعبها المزعوم، اقترب منها : ما تخافيش منه، خايفة ليه؟ بعدين أنا ممكن أمنع دخوله البنك تماما.

علقت برعب : ماهو ممكن يمشي ورايا ويجي البيت؟

فكّر لحظات : ممكن نبلغ أمن العمارة ممنوع يدخلوه وممكن لو قفلت أوي نعمله محضر عدم تعرض، المهم تكوني قوية وما تخافيش، ما تخافيش يا سارة وخليكي أقوى من كده.

وضعت يديها على وجهها برعب : ولمعي؟ بيقول هيخرج ويرجعني غصب؟ هموت نفسي لو رجعتله تاني.

طمأنها وهو يمسك كلتا يداها ليبعدهما عن وجهها : اهدي ما خرجش ومش هيخرج ما تقلقيش، غير قضية الطلاق هتكسبيها بسهولة، خوفك مالوش أي معنى.

نظرت له بتردد : بجد؟ ولا بتقول كده علشان بس تهذيني؟

ابتسم لإسلوبها : ليه؟ عيلة صغيرة هضحك عليها بكلمتين يعني؟

علقت بمرح : حيث كده بقى ماما كانت بلغتني أعزمك النهاردة على الغدا بس نسيت أقولك مع اللي حصل ده، هل ممكن تقبل عزومتنا على الغدا؟

تراجع زهير فهو لا يريد فرض أعباء عليهما لمجرد أنه ساعدهما، نظر لسارة مباشرة : انتو مش ملزمين تعزموني على الغدا أو تحسوا انكم محتاجين تردوا الجميل ليا؟

صدقيني يا سارة عادي.

اقتربت منه : احنا حابين تيجي تتغدى معانا – اقتربت أكثر – حضرتك اللي مش ملزم توافق تيجي عندي - تراجعت بسرعة – أقصد عندنا يعني براحتك.

تقابلت نظراتهما لتخفض سارة رأسها بخجل مصطنع : هاتيجي؟

أكد هو : هاجي أكيد، ده شيء يسعدني يا سارة.

ابتسمت وتراجعت بخجل : هأكد على ماما بعد إذنك.

خرجت مبتسمة فخططها تمشي مثلما تريد تماما قبل أن تتحرك لاحظت نظرات هشام المبتسمة فغمز لها بعينه فهو يفهم لعبتها جيدا.

في إستراحة الغداء جلست حنين برفقة هايدي ودعاء، هتفت دعاء فجأة : حلو أوي القلب اللي في صباعك ده يا حنين، رقيق وسيمبل بشكل فظيع.

نظرت حنين للخاتم وهي تتذكر قبلته الرقيقة على يدها، نظرت دعاء لهايدي وأشارت برأسها تسألها فحركت هايدي رأسها بحيرة، امسكت هايدي يد حنين لترى الخاتم عن قرب : حلو أيوه بس أول مرة أشوفه جبتيه منين يا قردة؟

ابتسمت حنين كي تثير فضولهم : هدية ما اشتريتوش

عقدت هايدي حاجبيها بتفكير فهل من الممكن إيهاب؟ أما دعاء فسألتها مباشرة : هدية؟ أمممم؟ قرّي واعترفي حالا

يلا.

صاحت هايدي : إوعى يكون إيهاب؟

اتسعت إبتسامة حنين بينما علقت دعاء بفضول : هي فيها إيهاب وأنا آخر من يعلم؟ لا لا ده أنا أزعل وأجيب ناس تزعل كمان؟ مين إيهاب؟

نظرت هايدي لحنين : أقول مين إيهاب ولا تقولي انتِ؟

واجهتهم حنين : إيهاب خطيبي.

شهقت دعاء باستنكار : خطيبك مرة واحدة؟

بينما هايدي اعترضت : خطيب يا حنين؟ خطيب؟

أجابتها بهدوء وإبتسامة لا تفارق وجهها : قرينا الفاتحة إمبارح، فأاه خطيب.

الصدمة سيطرت عليهما الإثنتان قطعتها دعاء : مبروك يا حنون، اه زعلانة إني معرفتش من بدري بس مبروك يا قلبي.

حنين : الله يبارك فيكي يا دودو الموضوع مكنش متخطط له، كله بسرعة بسرعة.

سألتها : مامتك اللي جابته؟

نفت حنين بسرعة : لا طبعا مش ماما.

لاحظت دعاء صمت هايدي فسألتها : ساكتة ليه؟ مالك؟

ردت حنين عنها : مش عاجبها إيهاب.

نظرت دعاء بصدمة لها بينما اعترضت هايدي : الموضوع مش يعجبني أو لأ، الموضوع كله غلط في غلط.

دعاء : ليه غلط؟ ده إحنا ما صدقنا البت رجعت تبتسم تاني، طالما إيهاب بيسعدها فليه لأ؟

حنين : علشان إنسان بسيط مش عاجبها، مش دكتور ومش مهندس بقى وحش؟

اعترضت هايدي دفاعا عن نفسها : لا طبعا مش كده بس في فرق بينكم كبير.

دعاء صرخت فيهما : بس انتو الاتنين، أنا مش فاهمة بتتكلموا في ايه ولا فيه ايه وحاسة إني زي الأطرش في الزفة.

عقدت هايدي حاجبيها بضيق بينما شرحت حنين لدعاء تفاصيل الارتباط وعن بساطة إيهاب.

انتظرت هايدي إلى أن صمتت تماما ثم علقت : شوفتي يا دعاء تسرعها؟ بتتسرع للمرة الثانية.

ابتسمت دعاء بهدوء : ده اختيارها وقرارها وأمانها، مش إحنا، هي اللي هتعيش معاه مش أنا ولا انتِ فطالما هي متقبلاه الباقي كله يهون، احنا جنبها ومعاها وبندعمها أيّا كان قرارها.

تعجبت هايدي من دعاء بينما أمسكت حنين يدها بحب : ربنا ما يحرمني منك يا دودو يا قمر - نظرت لهايدي- اتعلمي

منها يا هايدي.

دافعت هايدي عن نفسها : حنين أنا كل اللي يهمني انتِ وبس، مش عايزاكي تتجرحي تاني.

ربتت حنين على يدها : إيهاب مختلف و انتِ نفسك لمحتي ده فيه وأنا بقيت أنضج فمن الناحيتين التجربة المرة دي مختلفة تماما.

حذرتها دعاء : بس خلي بالك يا حنين المجتمع والوسط اللي حوالينا مش هيرحمك، مش أي حد هيتفهم تجربتك السابقة ويقول ربنا يسعدها، هيقولوا كلام كتير جارح فهل انتِ مستعدة للمواجهة دي بإختيارك واحد في ظروف إيهاب؟

تنهدت حنين بتفكير وتمتمت بشرود : ربنا يسترها بقى.

انتهت الإستراحة وتوجهت كل فتاة لمكتبها، اتصلت حنين بإيهاب ليرد عليها مسرعا وبعد السلام سألته : هنخرج نشوف أوضة النوم وباقي العفش؟

رد بفرحة واضحة في صوته : أكيد بإذن الله هننزل، حد هيجي معانا ولا أنا وانتِ بس؟

ابتسمت بحرج : أنا وانت بس مش عايزة رأي حد تاني معانا.

سألها بهمس : بتخلصي الساعة كام؟ وهاجي أخدك من البنك ولا البيت؟

عبرت بحيرة : مش عارفة هل مستاهلة أروح البيت وأغير هدومي ولا هنضيع وقت وأكيد بابا هيقول ما نتأخرش؟

- لو هدومك مرتاحة فيها مالوش لزوم تغيريها طالما مش عايزة نتأخر، ده رأيي.

حركت رأسها بإقتناع : خلاص تمام أنا بخلص الساعة ٥ بس إيهاب هات مقاسات الشقة معاك، يعني الأوض كام في كام، الشبابيك، كده يعني.

وافقها وأغلق هاتفه، نظر لساعته كي يحسب الوقت الباقي فهو قطعًا لا يريد التأخر ولو لحظة عليها.

خرج مازن من غرفته وتناول فطوره برفقة والدته، أخذها بعد ذلك لرؤية شقة أخيه فهو لم يراها من قبل.

كانت قريبة منهم، دخل مازن الشقة وصُدم هو و والدته بعد أن رؤا التجديدات فيها، علق مازن بانبهار: إنتِ قولتي خرابة يا أمه؟

علقت قدرية بانبهار مماثل : لما شوفتها كانت خرابة، قديمة وبلاط مكسر وحيطان واقعة، شوفت أخوك اللي أقوله بتحوش من ورايا ينكر وأتاريه بيوضب فيها؟ ماشي يا إيهاب ماشي.

أعجب مازن جدا بغرفة النوم الرئيسية : هو ده رسمه؟ هو فنان بجد؟

نظرت والدته إليه باستغراب : ينيلك؟ اه فنان أمال الناس

بتطلبه بالاسم ليه؟

حرك رأسه بحيرة : والله ما تخيلت أنه رسام بالشكل ده، الشقة دي يا أمه قدم السعد علينا، تعالي أقولك هنعمل ايه بالظبط.

استاذن إيهاب من عمله وتوجه مباشرة لبيته ليغتسل ويغير ملابسه، أوقفته والدته: رايح فين يا إيهاب؟

أجابها بهدوء : هننزل أنا وحنين نشوف عفش للشقة.

اقترحت : طيب ما آجي معاك؟

رفض بهدوء : مالوش لزوم إحنا مش هنشتري، هنتفرج بس وهنلف كتير لحد ما نلاقي حاجة مناسبة بعدها تيجي معايا نشتري.

أومأت برأسها وأكدت: يعني مش هتشتري النهاردة؟

نفى بتأكيد : لا يا أمه.

خرج من بيته وماهي إلا لحظات حتى عاد مسرعا فسألته بفضول : نسيت إيه؟

أجابها وهو يدخل : مفاتيح شقتي كنت هعدي أرفع المقاسات.

توترت قدرية وبعد خروجه اتصلت بمازن الذي طمأنها وأخبرها أنه بطريقه للمنزل.

توجه إيهاب لشقته حاملًا أمنياته وتمنياته وأحلامه بحياة

سعيدة برفقتها حتى لو بشكل صوري فالأمل كبير أن تحبه.

وقف أمام باب شقته وأخرج مفتاحه وحاول فتح الباب دون جدوى، رفس الباب بقدمه عدة مرات وهو متعجب فالمفتاح لا يناسب الباب أبدًا، نظر للميدالية بيده هل أخطأ فيها ولكن لا هي مفاتيحه.

خرجت جارته على صوت ركله للباب وقبل أن توقفه لاحظت أنه إيهاب : ازيك يا إيهاب

نظر إليها معتذرًا : معلش يا أم سامح لو ازعجتك بس الباب مش عارف ماله مش بيفتح ليه؟

استغربت و وضحت له : أمك كانت هنا هي وأخوك وكان معاهم باين نجار لأني طلعت على الصوت وقالتلي إنها أمك وتقريبا غيروا الكالون بتاع الباب.

ضدم إيهاب وعقله لم يسعفه للسبب الذي أتى بوالدته لهنا لكن قلبه غير مطمئن أبداً.

شكرها ونزل مسرعا عودة لبيته، وجد أمه في مكانها فجلس أمامها بهدوء، بينما سألته هي : رجعت ليه؟ نسيت إيه تاني؟

وضع المفاتيح على الطاولة الصغيرة أمامها : المفاتيح مش بتفتح الباب ما تعرفيش ليه يا أمه؟

نظرت خلفه لشاشة التلفاز دون اهتمام وعلقت ببرود : يمكن علشان دول مش مفاتيح الشقة.

تكلم بمنتهى الهدوء وهو يحاول السيطرة على أعصابه : طيب هاتي يا أمه مفاتيح الشقة الصح.

نظرت له بلوم : بقى وضبت الشقة للعروسة من ورايا؟ سيراميك ايه؟ ودهانات ايه؟ وسباكة ونجارة و و و و وأقولك فلوسك فين تقولي بديهالك كلها؟

وضح بهدوء : يا أمه قولتلك الحاجات دي معظمها مجاملات من زمايلي وتكلفتها مش زي ما انتِ متخيلة وفي حاجات إتعملت بدل قصاد حاجات غير كده الشقة يدوب أوضتين والحمام والمطبخ صغيرين وسهرت ليالي كتير علشان توصل للشكل ده، الحاجات اللي شوفتيها دي أخدت سنين مني سهر وتعب وشغل عند الناس علشان تطلع كده.

علقت ببرود : طيب كويس

صاح بضيق : يا أمه هاتي المفتاح يا أمه لاروح أكسر أم الباب؟

أغلقت الجهاز ونظرت إليه بجدية : مالكش شقق عندي يا إيهاب.

نظر إليها مطولًا وهو يحاول استيعاب معنى جملتها وحين فشل في فهمها : نعم؟ يعني ايه ماليش شقق؟

أكدت بهدوء : يعني مالكش شقق، ايه هو اللي يعني ايه؟ كلامي واضح.

نظر إيهاب لساعته فلقد اقتربت من الخامسة ثم نظر

لوالدته ومد يده : يا أمه بطلي تهريج وهاتي مفاتيح الشقة.

ضربت كفا بكف : شوف أقوله ايه يقولي ايه؟ مفيش شقق يا إيهاب.

صرخ بها وهو يقف من مكانه : يعني ايه مفيش شقق؟ ماهو أنا مش فاهم؟

وقفت بدورها في وجهه : يعني مفيش، بح، خلاص، شطبنا مفيش يعني مفيش.

تقابلت نظراتهما بتحدي بينما اقترب إيهاب منها : يا أماه الشقة اشتريتها ودفعت تمنها و

قاطعته هنا : دفعت تمنها منين يا إيهاب هاه؟ مش أخدت المقدمة مني ولا أنا ناسية؟ مش دي كانت فلوسي؟

تتوالى الصدمات أمامه و وجع غريب يغزو قلبه، حاول التماسك أمامها: أخدته منك بس انتِ كنتي محوشاه منين يا أمه؟ مش تعبي ده وشقايا؟

أشاحت بوجهها وهي تنفي : لا يا أخويا مش منك دول غوشتين كنت شيلاهم للزمن وروحت بعتهم علشانك بس طالما انت بتقول يلا نفسي وعمال تقطر علينا بالفلوس ورايح توضب من ورانا وتخطبلي واحدة معرفش مالها وتشتريلها جاتوه وشيكولاته ودهب ده غير تمن العفش اللي مدكنه من ورايا يبقى مفيش شقق يا إيهاب.

جمد إيهاب لعدة لحظات فتلك المرأه أمامه ليست بأم أبدا،

الأم لا تملك تلك القسوة كي تدمر ابنها بلحظة، اقترب منها و أمسك ذراعها وبلهجة مكسورة : يا أماه أنا عمري ما شوفت معاكي دهب علشان تبيعيه وكنا وصلنا لمرحلة صعبة بعد موت أبويا ونزلتي تمسحي السلالم علشان مفيش دلوقتي بتقولي كان معاكي دهب؟ وشايلاه للعوزة؟ هو كان في عوزة أكتر من اللي كنا فيها؟ ده مكناش لاقين ناكل يا أماه.

لفت وجهها له : انت عايز توصل لايه؟

صرخ بها : الفلوس اللي حوشتيها كانت شقايا وتعبي والشقة دي دفعت تمنها عرق ووجع وسهر وتعب، يا أمه أنا ضيعت عمري عليكم دلوقتي بتقولي بشوف نفسي؟ انا سيبت كليتي علشانكم وبقيت نقاش اللي إبنك الدكتور بيستعر منه وتقولي بشوف نفسي؟

أشاحت بوجهها هربا من عينيه : الشقة للبيت وهتتعمل عيادة تصرف علينا وانت الله يسهلك، بعدين البت واقعة فيك هاتها يا أخويا هنا وليك عليا أفضيلك أوضة – لفت تواجهه – كده عملت اللي عليا أهو، وعداني العيب، مازن ياخد أوضة البت هبه أختك وهبه تيجي معايا في أوضتي وانت أوضتك هات فيها أوضة نوم وهات عروستك فيها.

نظر إليها مصدوم غير قادر على النطق، أخيرًا استطاع النطق : لحد إمتى هتفضلي تدي مازن مني؟ يا أمه مازن عمره ما هيصرف على البيت ده مليم، مازن هيقول نفسي وبس، مازن ... .

قاطعته بإصرار : هيبقى دكتور قد الدنيا وهيحتاج عيادة والشقة حلوة عيادة ومكانها كويس.

ابتسم بوجع : طمع فيها أول ما شافها صح؟ دي فكرته هو؟ ده تخطيطه هو.

أمسك ذراعها : يا أمه أنا ابنك زيه؟ اديتيه حبك وحنانك من يوم ما أبويا مات وعمري ما طلبت منك طلب واحد لنفسي من يومها، النهاردة بترجاكي ما تعمليش كده، ورحمة أبويا ما تعملي كده فيا.

أنهت قدرية الحوار فهي غير قادرة على مواجهته أكثر: الشقة باسمي يا أيهاب واللي عندي قولته.

علق بمكابرة : هاروح أكسر الباب و الكل عارف أنها بتاعتي و

قاطعته بتحذير : الشقة باسمي بلاش يا إيهاب تخليني أطلب لك البوليس، روح لحبيبتك تلاقيها مستنياك في الشارع.

تركته ودخلت غرفتها أغلقت الباب خلفها واستندت بظهرها عليه بل لم تعد قدماها تحملانها فهي تعلم جيدًا أنها أصابته في مقتل، دموعها نزلت وندمت للحظة أنها استمعت لخطة مازن وتساؤل برز أمامها هل مازن حينما يفتح عيادته سيصرف على المنزل كما وعدها أم هي واهمة وإيهاب محق؟

خرج إيهاب من منزله واتجه لدراجته، جلس عليها وعقله يفكر ما الحل؟

رن هاتفه يعيده لأرض الواقع ورأى اسمها أمامه، ستظل حلمًا لن يكتمل، نظر لساعته فالساعة الخامسة، رد عليها وسمع صوتها : انت وصلت يا إيهاب؟

حاول أن يخرج صوته طبيعيًا ولكن أتي مبحوحًا : معلش يا حنين ينفع نأجل مشوارنا لبكرة؟ معرفتش آخد إذن من الشغل وانا لسه بالشغل؟

همست وهي تحس بوجعه بين كلماته : مالك يا إيهاب؟

وجع يغزو قلبه غير قادر على النطق، يتمنى لو ينتهي من ذلك العالم، لو لم يولد من الأساس، أخيرًا استطاع الرد : ماليش، هكلمك بعدين.

أغلق الهاتف قبل أن تخونه عيناه وتفضحه الدموع التي تتجمع بها فلقد قهرته والدته وكسرته للمرة الألف.

نظرت حنين لهاتفها بحيرة؛ تعلم جيدًا هذه الغصة التي تمنعك من الكلام، لقد عاشتها ألف مرة حين كان يأتيها اتصال من والدها فتحاول أن تبتسم أو يخرج صوتها طبيعيًا كي لا يشك في أمرها، نعم هذا هو الصوت الذي يغالب البكاء فتحاول أن تخفي الألم دون جدوى فنبرة صوتك تكشفك فتغلق المكالمة بسرعة.

اتصلت مجددًا وتيقنت من شعورها عندما وجدت هاتفه

مغلقًا، ابتسمت بوجع؛ هي أيضًا كانت تغلق هاتفها كي لا يعيد والدها الاتصال بها ثم تبرر الأمر بأن هاتفها انتهى شحنه.

أشارت بيدها فوقفت سيارة أجرة أمامها فدخلتها وبداخلها تتمنى لو تعرف مكانه فتذهب إليه.

وصلت سارة الى المنزل وتوجهت للمطبخ مباشرةً: الغدا جاهز يا ماما؟

ردت وردة : كله جاهز يا ست سارة ما تقلقيش، روحي غيري هدومك.

أكدت والدتها : اه روحي غيري يلا.

دخلت سارة وفتحت دولابها تختار فستان يبرز جمالها بعناية شديدة، دخلت والدتها : الراجل وافق على طول ولا؟

ابتسمت سارة : وافق طبعا، ادعيلي يا ماما ربنا يوفقنا المرة دي واتجوزه والبيت ده يبقى بيتنا على طول مش ضيوف.

رفعت وردة يدها : يارب يا بنتي يجعله من نصيبك، بس الراجل ما بيحبش الست المدلوقة ولا الرخيصة.

ابتسمت سارة : المرة دي أنا عارفة أنا بعمل ايه يا ماما ادعيلي بس.

استعدت سارة وحين سمعت جرس الباب خرجت مسرعة لتشير لوردة أنها هي من ستفتح الباب، ألقت نظرة أخيرة في المرآة أمام الباب وفتحت بعدها مبتسمة ليتفاجئ زهير بمنظرها، فستانها الذي يبرز جمالها، شعرها المسدول

خلفها، مكياجها الهادئ، توتر ومد يده بباقة من الورود : دي علشانك.

ابتسمت سارة وهي تأخذها من يده وتشم رائحة الورود : دي أول مرة في حياتي حد يجيبلي ورد، متشكرة أوي أوي يا أستاذ زهير – تداركت نفسها – اتفضل.

دخل بحرج : طيب مش كنتي تنبهيني الأول

تعجبت وسألته برقة متناهية : أنبهك لايه؟

همس بتوتر : انك هتكوني بالجمال ده؟

طأطأت رأسها بخجل وابتعدت خطوة : إتفضل يا أستاذ زهير هحط الورد في مية علشان ما يدبلش.

خرجت والدتها ترحب به وتستقبله بينما دخلت سارة المطبخ لتحضر فازة صغيرة تضع بها الورد.

وضعت الورد في الاستقبال واقتربت تستنشق عطره بينما لاحظت نظراته لها في المرآة أمامها فابتسمت تسلب عقله.

ساعدت وردة في رص السفرة وهي ترمقه بنظراتها في كل مرة تتحرك فيها وتوتره للغاية.

اقتربت سارة : السفرة جاهزة اتفضل يا أستاذ زهير، يلا يا ماما.

وقف زهير ووالدتها وتبعا سارة، أشارت لإحدى الكراسي : اتفضل هنا حضرتك على راس الطاولة .

ابتسم بحرج : والدتك اللي تتفضل هنا يا سارة ده بيتها

اعترضت إبتسام بسرعة : ده بيتك يا ابني والخير كله خيرك اتفضل حضرتك والله ما حد يقعد هنا غيرك.

جلس زهير بحرج بينما جلست إبتسام على يمينه وسارة على يساره وتناولوا طعامهم في جو هادئ.

شكر زهير والدتها وأثنى على طعامها، بينما علق بتلقائية : صحيح يا سارة المحامي كلمني وقالي إن عيال الأسطى لمعي عايزين يقابلوكي.

وضعت إبتسام يدها على قلبها برعب : يا لهوووي يقابلوها ليه؟ استر يارب.

ابتسم زهير مازحًا : كده أنا عرفت سارة واخدة القلق ده من مين؟ - أكمل بجدية – اطمني يا ست الكل

رسمت سارة التوتر على ملامحها : عايزين يقابلوني ليه؟ ولازم؟

حاول طمأنتها : ده كويس انهم عايزين يقابلوكي، هم عايزين يترجوكي تتنازلي عن الدعوة ضد أبوهم، أصلًا أنا اتصدمت إنه عنده رجالة قدك، راجل ناقص صحيح.

علقت إبتسام بغضب : الناقص أكتر اللي جوزها واحد زيه، الواحد شايل هم اليوم اللي يخرج فيه.

التفت إليها باستغراب : هو خرج أصلًا امبارح.

تبدلت ملامح إبتسام لتصل حد الرعب بينما نظر زهير لسارة باستغراب فأشارت برأسها فيما معناه أنها لم تخبرها.

اعتذر زهير : آسف مكنتش أعرف انك مش قايلالها.

علقت سارة بهدوء : محبتش أرعبها.

اعتذر زهير مجددًا : آسف بجد بس زي ما قولتلك هو مش هيقدر يدخل البنك تاني ولا هنا وهنعمله محضر عدم تعرض، اهدوا انتو الاتنين.

نظرت إبتسام لإبنتها باستفسار : يدخل تاني؟ هو جالك البنك؟ قالك ايه؟

حكت سارة لوالدتها زيارته الصباحية بينما يطمئنها زهير من آن لآخر.

أعدت سارة قهوة زهير بيدها وناولته إياها ثم جلست قبالته : هاتيجي معايا؟

ارتشف من قهوتها : آجي فين؟ تسلم إيديك الأول على القهوة.

ابتسمت بحرج : بالهنا

سألها مجددًا : آجي فين معاكي؟

وضحت متذكرة : اه، أقصد مشوار المحامي.

وضع فنجانه من يده : أنا هاجي بس مش هظهر معاكي.

اقتربت منه سارة برعب مصطنع وامسكت يده : بس أنا

مش هاقدر من غيرك – اضافت وهي تتعلق بنظراته - ما تسيبنيش.

نظر لعينيها وقلبه ينبض بعنف وينظر ليدها التي تمسك يده فتركتها بسرعة وتراجعت محرجة : أنا آسفة جدًا أستاذ زهير، صدقني آسفة بس دي أول مرة يكون عندي حد أتحامى فيه، عمر ما كان عندي حد أقدر استخبى فيه أو استمد منه القوة فسامحني.

اقترب منها وأمسك يدها : سارة مش هسيبك لوحدك اطمني واستخبى و اتحامي فيا براحتك.

نظرت لعينيه وبهمس : طيب ليه بتقول مش هتظهر؟

وضح لها : علشان محدش يقول كلمة في حقك، ممكن لو لاحظوا وجودي يتخيلوا إن في بينا حاجة وساعتها ممكن يقلبوا الموازين لصالحهم فمش عايزين نديهم فرصة.

أخرج ورقة من جيبه وضعها أمامها : أنا خليت المحامي جهز دي وعايزك تمضي عليها.

نظرت باستفسار فوضح لها : دي عقد إيجار بتاريخ قديم علشان لو حد اتكلم يبقى انتِ مأجرة الشقة مش قاعدة عندي فهمتي؟

طأطأت رأسها بخجل : بس احنا قاعدين عندك فعلا

رفع رأسها : مش وقته نتكلم في حاجة زي دي، زي ما قولتلك خلينا نطلقك الأول من البني آدم ده بعدها الباقي كله

سهل.

بهدوء وعينيها متعلقه بعينيه مدت يدها لتأخذ قلمه من جيبه فابتسم هو وراقبها وهي تمضي على عقد الإيجار المزعوم ثم علق : هنروح من البنك ميعادنا معاهم ٦.

أومأت موافقة ثم سألته : أعمل ايه طيب معاهم؟

أجابها ببساطة : اللي يريحك واللي انتِ عايزاه كده كده المحامي هيطلقك.

وقف ينهي ذلك اللقاء الساحر : اشكري مامتك على الغدا اللطيف ده والمرة الجاية عندي في بيتي.

نظرت لعينيه : ماهو ده بيتك.

ابتسم : بيتي الأساسي بعدين ده بيتك بطلي تعتبري نفسك ضيفة، أشوفك الصبح.

بخجل شديد وبتردد أشد : ما تخليك شوية؟

تمنى لو يستطع الاقتراب منها أو ضمها ولكن تراجع بهدوء : مش هينفع أكتر من كده زي ما قولتلك مش عايز حد يقول في حقك كلمة.

تركها وذهب لتجلس هي وابتسامة عريضة على وجهها وتضع قدما فوق قدم مبتسمة، خرجت والدتها : هو زهير مشي؟

جلست بجانبها : اه مشي.

سألتها بتوتر : أبوكي عمل ايه؟ بالتفصيل يا سارة قوليلي.

طمأنتها سارة : مش هايقدر يعمل حاجة إلا لو سمحتيله يعمل، ماما اسمعي كلامي وخلينا نخلص منهم إن كان هو ولا لمعي الكلب ده، اطمني انتِ وسيبيني أنا أتعامل.

جلس إيهاب في ذلك المقهى الشعبي في إنتظار طلعت وزملائه لحين عودتهم، ظل جامدًا مكانه عينه على الطريق ليلمح تلك السيارة الربع نقل وحين رآها وقف مسرعًا.

لمحه خالد صديقه فاقترب منه : مالك يا إيهاب – خفض صوته- مش قولت معاك ميعاد مهم معاها؟

لم يجبه بل عينيه تبحث عن الأسطى طلعت وحين رآه اقترب منه : ايه يا إيهاب مش قولت أروح بدري وطرت للبيت مستني ليه؟

لاحظ طلعت نظراته الضائعة فاقترب بقلق : مالك يا إيهاب؟

نطق بصوت مهزوز : ينفع تيجي معايا البيت؟

توتر للغاية ونظر لخالد صديقه الذي أشار برأسه بحيرة مماثلة : حصل يا إيهاب؟ عيلتك بخير؟

أومأ برأسه : بخير بس عايزك تيجي معايا ينفع؟

تدخل خالد : مالك يا إيهاب طيب فهمنا؟

تحرك طلعت : طيب خليني أدي للعيال دي يومياتها وآجي

حاضر معاك.

تركهم طلعت ليقترب خالد منه : طيب فهمني في إيه؟

نظر إيهاب له بضياع : أمي أخدت مني الشقة

سأل بحيرة : شقة ايه؟ طردتك من بيتكم يعني؟

نفى بهزة من رأسه : غيرت كالون الشقة بتاعتي وقالتلي العقد باسمي ومالكش فيها.

صاح خالد بغضب : هو لعب عيال ولا ايه؟ بقالك كام سنة بتوضّب فيها وتعمل شغلانة لده ولده وتجيب من هنا ومن هنا جاية دلوقتي تقول بتاعتي، يلا ياض نكسر الباب قال غيرت الكالون قال.

وصل طلعت : باب ايه بس اللي تكسروه؟ الأمور تتحل بالعقل مش بالخناق يا خالد، في ايه يا إيهاب فهمني الأول؟

شرح له إيهاب باختصار تصرف والدته وتوجه ثلاثتهم لمقابلتها. استقبلتهم قدرية واستغربت هبه التي عادت لتوها من الخارج تلك الجلسة ، طلبت منها والدتها أن تعد الشاي

وضعت هبه صينية الشاي وهي تنظر لأخيها بحيرة.

أخيرًا فتح طلعت الحوار : خير يا أم إيهاب؟ غيرتي كالون الشقة ليه؟ ومش عايزة إبنك يدخلها ليه؟

علقت قدرية بهدوء مزعج : شقتي، مقدمها أنا اللي دفعاه وزي ما قولت لإيهاب بعت غوشتين كنت شيلاهم للزمن وهو

ساعتها وافق يكتبها باسمي علشان عارف إن دي فلوسي.

هم خالد بالصراخ فيها ولكن أمسك طلعت يده منعه وتكلم هو بهدوء ليفهم الصورة كاملة : بس كلنا عارفين إن الشقة بتاعت إيهاب وده تعبه وشقاه والفلوس كنتي محوشاها منه؟ وبعدين لما المرحوم عمل حادثة ساعتها قالي إنه خايف على عياله لأنه مش شايل حاجة للزمن و وصاني عليهم ودفعت ساعتها أنا فلوس المستشفى وقولتي مفيش ولا كنتي بتكدبي عليا؟ طلعوا منين الغوشتين بقى؟ لو في كانوا طلعوا ساعتها.

نظرت قدرية لهم : انتو عايزين مني ايه؟ طلعوا من مطرح ما طلعوا العقد باسمي ده اللي عندي.

اعترض طلعت : بس دي بتاعته وهو اللي نظفها و وضبها ما ينفعش بعد كل ده تقولي بتاعتي.

التفتت قدرية له : بص يا أسطى أنا أم ودول عيالي الثلاثة بحابي عليهم، من الآخر مش هدي الشقة لإيهاب ويروح يتجوزلي البت دي ويصرف عليها دم قلبه ويخلينا كلنا نشحت على آخر الزمن فأنا بحافظ على بيتي وعيالي.

نظر طلعت لإيهاب بحيرة : بت مين يا إيهاب؟

وضح إيهاب وهو ينكس رأسه : حنين

نظر له بعتاب فوضح إيهاب بوجع : وافقت تتجوزني وأبوها وافق وكنا هنعمل فرح خلال شهر وهي جت معايا

طلبنا إيديها و ...

قاطعته قدرية : روحت معاك بس أمها كانت بتبص لنا بقرف، شرطت عليها تاخد منها الفيزا ومرتبها علشان فاكرين إننا طمعانين فيها، والبت مطلقة ومش شبهنا ولا تعرف تعيش وسطنا، مش هتقدر تصرف عليها أصلًا.

علق طلعت : أمك عندها حق.

وقف إيهاب يصرخ : مين عطاكم الحق تتحكموا في كل نفس بتنفسه بالشكل ده؟ حكمتوا عليها وعليا بناءًا على ايه؟ الشقة دي بتاعتي وكل قرش حطيته فيها كان بتاعي وعلى يدك يا أسطى كنت كل شغلانة بخصم منها علشان أسدد تمنها ولحد النهاردة بدفع في تمنها وعارف انك بتساعدني وبتصبر عليا بس بدفع، أعمل ايه تاني؟ بعد ما أتفق مع الناس تروح تغير الكالون وتقول مالكش شقق؟

صاح خالد : يا أسطى الشقة لإيهاب وكلنا عارفين الكلام ده، يا خالتي أم إيهاب بلاش تعملي كده إيهاب ما يستاهلش منك ده .

أشاحت بوجهها بينما علق طلعت : طيب يا أم إيهاب يرضيكي ايه علشان ترجعيله شقته؟

نظرت له باستغراب : برضه يقول شقته؟ العقد من أول يوم اتكتب باسمي شقته منين بقى؟ الشقة هتتعمل عيادة تصرف علينا كلنا وده آخر كلام عندي.

اقترح طلعت : طيب خلي إبنك يتجوز فيها دلوقتي وبعدها نشوفله مكان تاني يأجره ولا نأجر عيادة لمازن ولا..

قاطعته قدرية برفض قاطع وبتهكم واضح : وأنا إبني في إيدي وأروح أدور عليه؟ هو عايز يروح يأجر شقة الله يسهله

اعترض إيهاب : يا أماه أقل إيجار بالشيء الفلاني مش هاقدر أجر شقة وأفتح بيتين وانتِ عارفة ده كويس.

تدخل خالد بغضب : روح أجر شقة وأصرف على نفسك بس وخلي الشقة تصرف عليهم.

نظرت قدرية بحدة لخالد فهي لم تضع ذلك الحل في الاعتبار أبدًا

تدخل طلعت : اسكت يا خالد بلاش تولعها نار زيادة بينهم، يا ست أم إيهاب بلاش تكسري ابنك كده خليه يتجوز في شقته اللي وضبها و ...

قاطعته قدرية وهي تقف غاضبة : برضه يقول شقته؟

وقف طلعت بدوره : مش هو اللي شقيان وتعبان وبيدفع تمنها؟ تبقى شقته؟ بلاش ندخل في سكك وحشة ما هو باقي تمنها ما ادفعش هتدفعي انتِ الباقي؟ ولا ناسية إن في وصولات أمانة مكتوبة بباقي تمنها؟

التفتت قدرية لطلعت مبتسمة : العقد اللي معايا نهائي ومتسجل في الشهر العقاري إن تمنها مدفوع وكامل.

علق طلعت : و وصولات الأمانة اللي معايا؟ أروح أقدمها

للبوليس؟

ردت بكل بساطة : روح يا أسطى حقك.

اغمض إيهاب عينيه بوجع وعلق : الوصولات كلها باسمي أنا يا أسطى.

أحس طلعت بتلك الطعنة تصيبه وأحس بوجع ذلك الشاب المقهور وأحس أيضا بقلة حيلته فوالله لو يملك شقة أخرى لأعطاها له عن طيب خاطر.

التفتت قدرية تواجههم : أنا قولتله عايز يتجوزها وهي بتحبه كده أفضيله أوضته هنا يجيب أوضة نوم جديدة ويعيش فيها هو ومراته وهي لو بتحبه تعيش عيشته مش تاخده تمص دمه، ده اللي عندي يا أسطى وده آخر كلام عندي، الشقة باسمي ووصولات الأمانة باسمه واللي يرضيك إعمله، الشقة دي هتتعمل عيادة نعيش بيها كلنا مش هاخد مليم أحطه في جيبي، عندي بنت جوه بيجيلها عرسان بنرفضهم بس نفسي أجهزها وأجوزها والمفروض كان هو شاف أخته وجهزها قبل ما يروح ويقول أتجوز وجايب بنت لا من توبنا ولا زينا، قولي يا أسطى انت دخلت بيتهم وشفتهم واحدة زي دي هتعيش بكام ويكفيها ايه؟ طيب بلاش قولي لو اتجوزها وخلفله عيل هيجهز أخته؟ هيصرف علينا؟ قولي هيقدر يعدل؟ هو ضحى يتم جميله ويجوز أخته وأهو كلها سنة ومازن يشيل عنه، يصبر السنة دي الدنيا مش هتتهد، يخطبها سنة لو رضيت تستناه.

صاح خالد بغضب : انتِ فاكرة إن مازن هيصرف مليم واحد عليكم؟ تبقي مش عارفة ابنك كويس، ده بقاله سنين بيتمرع ويتكبر على خلق الله وياخد من اخوه القرش علشان يطلع يتسرمح مع أصحابه لا بيحس ولا عنده دم ولا هيصرف عليكم جنيه واحد، بلاش يا خالتي تعملي كده.

نظرت له بتحدي : بكرة يفتح العيادة وتشوفوا.

علق بتهكم : هيفتحها فعلا وهنشوفوا بيكبر وبيعلى بس مش هيبصلك ومش بعيد يرميكم في الشارع ويقول أفتح عيادة تانية فخلي بالك.

تركهم خالد غاضبا تبعه طلعت الذي ربت على كتف إيهاب بقلة حيلة: لو عندي شقة تانية والله ما كنت بخلتها عليك بس غلطت لما كتبت العقد باسمها، يعوض عليك ربنا، لو هتشتكيها هشهد معاك ده اللي أقدر أعمله.

رفع رأسه بوجع : أشتكي أمي؟

رد طلعت بوجع مماثل: هي نسيت انها أمك.

ابتسم بوجع وهو ينكس رأسه : بس أنا مش ناسي، معلش يا أسطى عطلتك معايا وبدون فايدة.

ربت على كتفه مجددًا قبل أن ينصرف في طريقه تاركًا إيهاب مع والدته.

سيطر الصمت لتقطعه قدرية : روح اسمع كلامهم واشتكي أمك يا إيهاب؟ جرجرها في المحاكم وقولهم أمي سرقتني

وشهد الناس عليا وطلعني وحشة علشان عايزة بيتي مفتوح دايما وعايزة أجوز أختك وعايزة مصدر رزق وعايزة أخوك يشيل شوية وانت تستريح.

اقتربت منه وضعت يدها على كتفه ليبتعد بسرعة وكأن لمساتها جمر على جسده وهتف بقلب موجوع : استريح؟ مش هنضحك على بعض الناس مشيت ومفيش غيري، الشقة لمازن حبيبك يعمل عيادة – نظر لعينيها- بس يارب يفتكر ساعتها انك أمه.

قبل أن يبتعد امسكت ذراعه : تم جميلك سنة كمان هو يتخرج وبعدها إعمل ما بدالك.

جذب ذراعه من يدها وعلق بتهكم : بعدها هتطرديني أنا نفسي من البيت وتقولي مالكش مكان بس على رأي خالد خلي بالك ليطمع مازن في بيتك ده ويطردك منه ويقولك لازمني عيادة تانية.

تركها وخرج للمجهول غير قادر على المضي قدمًا.

خرجت هبة بعد خروج أخيها و وقفت أمام أمها باعتراض فصرخت : واقفالي كده ليه انتِ التانية؟ عايزة تقولي ايه؟

اقتربت منها : بلاش تعملي كده في إيهاب يا أمه، إيهاب ما يستاهلش منك كده الشقة بتاعته وكلنا عارفين ده

اعترضت : أنا كان

قاطعتها إبنتها بإصرار : بلاش يا أمه بلا دهب بلا بتاع أنا

بنتك وعارفة ايه اللي كان عندك فمفيش حد هنا غيري أنا وانتِ، الشقة بتاعت إيهاب سيبهاله يتجوز فيها.

وقفت قدرية أمام ابنتها : ولو أتجوز ونسينا؟ هتكملي انتِ منين؟ مين هيصرف عليكي؟ هتتنيلي تتجهزي منين؟

صرخت بها : مش عايزة اتجوز بس سيبي إيهاب يعيش شوية، حرام اللي بتعمليه فيه ده، ضحى بدراسته وتعليمه ودلوقتي عايزة تكملي عليه؟

امسكت قدرية ذراعها بعنف : ما بس بقى يا بت هو في ايه؟ بعدين محموقة أوي على جوازه انزلي اشتغلي وساعديه واصرفي على نفسك يا أختي.

جذبت ذراعها بعنف : ياريت كنت نزلت من النهاردة مش بكرة، ما كذا مرة أجيب شغل وآجي أنزل هو يرفض، اللي انتِ خايفة منه ينسانا ده لا يمكن ينسانا، لا يمكن يتأخر عننا، سواء إتجوز أو لا مش هيتخلى عننا بس بلاش تكسريه كده وتخسريه يا أمه، إيهاب ما يتساهلش منك كده أبدًا.

صرخت بها رافضة سماع المزيد : كفاية بقى يا بت صدعتيني يخربيت كده، غوري من وشي وبطلي زن.

حاولت أن تعترض مجددًا ولكن صرخت قدرية وتركتها لتدخل غرفتها وتغلق الباب خلفها بعنف هربًا من عتاب ابنتها ولكن كيف تهرب من تأنيب ضميرها؟

وجد إيهاب نفسه أمام بيتها، أغلق دراجته النارية وترجل

منها وقف أمام مدخل العمارة غير قادر على المواجهة.

انتبه بعد فترة على صوت حور : إيهاب.

التفت إليها مسرعًا : دكتورة أهلًا بيكي.

لاحظت حور إرهاقه وتعبه : انت منتظر من بدري ولا ايه؟ أستعجلك حنين؟

حاول أن يبتسم : لا هي مش منتظراني.

استغربت أكثر : طيب؟

وضح لها : هطلع أنا بس ياريت تسبقيني وتبلغيهم إني طالع يعني علشان بس ما أطبش كده مرة واحدة.

أومأت برأسها موافقة وصعدت مباشرة، كانت حنين مع والدها فعلقت حور : إيهاب تحت يا حنين وطالع.

وقفت بسرعة : بجد تحت؟ طيب هغير هدومي بسرعة

ركضت لغرفتها تبدل ثيابها بسرعة بينما علقت حور لوالدها: شكله مش مظبوط يا بابا

استغرب عبدالقادر : مش مظبوط ازاي؟

ردت بحيرة : مش عارفة زي ما يكون تايه؟ في حاجة حصلتله؟ مش عارفة مجرد إحساس.

دخلت صابرين وبتهكم : حتى انتِ بتتكلمي بالإحساس؟ هتنقطوني، تلاقيه جاي يستعطف أبوكي يده قرشين يفرش شقته.

تضايقت حور من سخرية والدتها: يا ماما لا اللي زيه بتكون نفسه عزيزة، دلوقتي يطلع ونعرف ماله.

دخلت حور لإختها لتجدها تمشط شعرها وترسم شفاهها فعلقت بتردد : حنين - نظرت لها من المرآة - إيهاب مكنش مظبوط.

تركت حنين ما بيدها والتفتت إليها: ماله؟ حسيت إنه متضايق لما كلمني ولغى الميعاد.

قاطعهم رنين جرس الباب لتخرج حنين مسرعة تقابله، فتحت الباب وتقابلت نظراتهم، رأت ذلك الوجع في عينيه وتيقنت منه، رأت الوجع خلف تلك الإبتسامة الواهنة التي رسمتها آلاف المرات على وجهها بالأمس القريب .

انتبه كلاهما على صوت عبدالقادر : ادخل يا إيهاب

نظر إيهاب له : معلش أنا جاي بدون ميعاد بس كلمتين وماشي على طول.

اعترض عبدالقادر : يا إبني ادخل ميعاد ايه وبتاع ايه ادخل.

فتحت حنين الباب بأكمله وبهدوء : ادخل.

دخل خطوتين ونظر لعبدالقادر : أنا آسف يا عمي مش جاي أقعد أنا بس جاي أتأسف.

استغرب عبدالقادر وخلفه صابرين فضولها وصل حد

السماء.

تساءل عبدالقادر: تتأسف على ايه؟

وضعت حنين يدها على قلبها فهي تعلم جيدًا أن ما سيقوله لن يعجبها مطلقًا.

تردد إيهاب ولم ينظر أبدًا لحنين لأنه يشك في قدرته على التحمل فسيتخاذل حين يرى عينيها.

سأله عبدالقادر بتوتر : يا ابني في ايه وقعت قلبي؟

نكس رأسه : جاي أنهي اللي بدأناه وأتأسف عنه.

هنا علقت صابرين بذهول : انت جاي تفسخ خطوبتك لبنتي؟ انت بجد جاي تنهي اللي بينكم؟

نظر الكل لصابرين بذهول ثم لإيهاب وسألت حنين بصوت مهزوز : بجد يا إيهاب؟

لم يقوى على النظر إليها : أنا آسف بجد، كنت فاكر إنه ممكن ينفع بس مش هينفع فاعذروني بعد إذنكم.

اوقفته حنين : استنى هنا وفهمني الأول ليه؟

تدخلت صابرين : ما قالك مش هينفع رحم الله أمرئ عرف قدر نفسه وهو عرف قدر نفسه.

نظرت حنين لوالدتها بغضب ثم لإيهاب وصرخت : فهمني ليه؟

رفع عينيه للحظات : مامتك قالت ليه، بعد إذنك.

خرج دون إضافة المزيد وأغلق الباب خلفه لتنتفض حنين فذلك الصوت يذكرها بكل مرة يزورها والدها وتبتسم في وجهه وتقنعه بأن كل أمورها في أجود حال فيتركها ويذهب، كم كانت تتمنى لو تصرخ في أعقابه وتخبره أن لا يرحل ويتركها؟ كم تمنت لو رأي خلالها.

اقترب عبدالقادر منها : حنين انتِ كويسة؟

نظرت لوالدها بتوهان ودون أن تنطق حرفًا تحركت مسرعة خلفه : لازم أفهم

حاولت صابرين إيقافها ولكنها ركضت مسرعة خلفه حتى أنها لم تنتظر وصول المصعد بل نزلت السلالم جريًا.

لحقته قبل أن يصل لدراجته وصرخت باسمه، أغمض عينيه بوجع فهو لا يريد تلك المواجهة وغير قادرًا عليها.

حاول أن يكمل طريقه ولكنها أوقفته وهي تمسك ذراعه وتلفه إليها بغضب : ليه هاه؟ من حقي تفهمني ليه؟

نظر لعينيها : علشان أمك عندها حق مش هننفع مع بعض.

عقدت حاجبيها بعدم تصديق : بطل كدب عليا وقولي ليه؟

ابتسم بوجع : مش هننفع مع بعض فين الكدب فيها؟

اقتربت منه تمسك كلتا ذراعيه : مش هننفع ليه هاه؟

تمنى لو يستطع أن يلقي نفسه بين ذراعيها للأبد، تمنى أن يجد من يضمه الآن فهو بحاجة لذلك ببشاعة.

همست حنين : اتفقنا نكون سند لبعض خليني أسندك، مكنتش أقصد نفسي بس لما طلبت تكون سند ليا، اسمحلي أنا كمان أسندك، انا موجودة قدامك شاركني وجعك اللي كاتمه جواك لأني صدقني شيفاه، شوفته ولمسته في صوتك وانت بتكلمني وتعتذر عن ميعادنا، جربته ألف مرة وعارفاه وعارفة انك قفلت موبايلك علشان تهرب مني لأني عملتها قبلك كتير، اسمحلي أشاركك وجعك مش جاي تنهي اللي بينا وتقول مش هينفع، اتفقنا نعيش مع بعض ونسند بعض ونساعد بعض، ايه اللي اتغير؟

أخيرًا وجد صوته : اللي اتغير معدش عندي بيت نتشارك فيه أنا وانتِ ، وعدتك أساعدك وأكون سند بس حاليا معدش ينفع أكون سند حتى لنفسي فسامحيني كنتي حلم جميل كان لازم ينتهي بسرعة، هدعي ليل نهار ربنا يرزقك بالسند اللي بجد اللي تقدري تربطي حياتك بيه بجد مش بشكل صوري، أنا وافقت على الإتفاق ده لأني طمعت في يوم يتغير الحال وتحسي بحبي ليكي وقولت يمكن تكوني عوض ربنا بس كنت واهم وبيتهيألي وانتهى الحلم قبل ما يبدأ.

مسحت دموعها التي خانتها : عارفة إحساسك وعشته إن الحلم ينتهي قبل ما يبدأ وتفوق على واقع بشع، اسمحلي أشاركك الوجع ده.

نظر ليدها الممدوة : ما قولتلك معدش ينفع

أمسك يدها ليغلقها ويضعها بجانبها : معدش ينفع

تعلقت بذراعه : طيب فهمني ليه؟ احكيلي ايه اللي حصل وده أبسط حقوقي عليك تفهمني بتبعد عني ليه؟

تنهد بوجع وطأطأ برأسه بينما اقتربت هي أكثر : كلمتني وقولتلي هنطلع مع بعض، ايه اللي اتغير بعدها؟ إيهاب احكيلي لو سمحت ايه اللي حصل؟ مش هسمحلك تمشي من غير ما أعرف.

رفع يد مهزوزة مسح تلك الدمعة التي فرت من عينها : أنا ما استاهلش دموعك دي.

امسكت يده : انت بتهد حياتي ومن غير سبب وبعدها تقولي ما استاهلش دموعك؟ خلاص امنع دموعي، فهمني ايه المشكلة يمكن نلاقي حل مع بعض؟

رفع يديه بقلة حيلة : مفيش حلول، حاولت قبل ما آجي ألاقي حل بس مفيش.

أشارت للأمام : في كافيه على أول الشارع تعال نقعد عليه.

مسكت يده ولم تسمح له حتى بالاعتراض.

مشيا سويا يده في يدها، أمل صغير يولد يتمنى لو يستطيع قتله فتلك الأيادي لن تستمر هكذا وسيترك يدها بعد قليل.

وصلا للمقهى واختارت طاولة جانبية جلسا عليها وحين اقترب الجارسون أشارت له حنين بالإبتعاد ولأنه يعرفها حق المعرفة ابتعد على الفور.

نظرت لإيهاب : ينفع تحكيلي بالتفصيل الممل ايه اللي حصل وليه بتنهي كل حاجة؟

ساد الصمت لفترة قبل أن يقطعه إيهاب : عملت غلطة صغيرة بس عمري أبدًا ما تخيلت إنها غلط.

سألته بحيرة : غلطة ايه اللي عملتها؟

رفع عينيه لها مبتسمًا : وثقت في أمي، شوفتي حد يكون أكبر وجع له في حياته أمه؟

امسكت يده خلال الطاولة : اه شوفت وأنا أكبر دليل قدامك، أمي أكبر وجع في حياتي وهي اللي دمرتني ودمرت حياتي قبل كده، فأنا فاهمة وعارفة بتتكلم في ايه، كمل إذا سمحت، والدتك عملت ايه؟ وايه الغلط اللي انت عملته؟

حكى لها عن ظروف شرائه لتلك الشقة ومعرفته وقتها أنها تدخر المال دون علمه واضطراره أن يكتب العقد باسمها، ثم حكى عن صدماته اليوم وعن كل ما حدث، سمعته وقلبها يتمزق ألمًا لأجله، تساءلت هل وضعه القدر في طريقها كي يكونا سندًا لبعضهما البعض؟

تساءل بوجع : عرفتي ليه بنهي اللي بدأناه؟ الأسطى بيقولي مستعد يشهد معايا – ابتسم بوجع- هو ينفع حد يرفع قضية ضد أمه؟ طيب أقف أقول ايه؟ أمي سرقت تعبي وشقايا وبتنكره؟ خالد صاحبي بيقولي أجر شقة بره وسيبهم بس معرفش أنا مش كده، مين هيصرف عليهم؟ هيعيشوا منين؟ هبه تروح جامعتها ازاي؟ دي خلاص هتتخرج؟ تعبي

وشقايا السنين اللي فاتت دي كلها أهده علشان أمي لعب في دماغها مازن؟ هو نفسه المتخلف هيبقى دكتور بعد كام شهر، هضيع كل ده - رفع رأسه – انتِ في غنى عن كل ده يا حنين، تستاهلي حد أفضل من كده يعيشك ملكة مش يشيلك همومه فوق همومك.

ساد الصمت عدة دقائق وحنين تفكر في الخطوة القادمة، هاتف بداخلها يحثها أن تكمل الطريق برفقته، بالرغم من كل معاناته إلا أنه لم يتخلى عن من أذوه، هي تريد رجلًا يتحمل في أشد الظروف قسوة، هي تريد ذلك الرجل بشدة في حياتها.

حين طال الصمت تنهد إيهاب بضيق : هطلب منك طلب واحد، من وقت للتاني طمنيني عليكي وأبقي عرفيني لما

قاطعته حنين فجأة : موافقة أعيش معاك في أوضتك.

نظر لها بذهول فهو نفسه يرفض ذلك الحل فكيف تقبله هي؟ هو لم يفكر أصلًا في إقتراح والدته ولو للحظة فكيف تفكر فيه هي؟

حرك رأسه برفض قاطع : طبعًا لأ، حنين إحنا مش بنعند وخلاص، مش علشان خلافاتك مع والدتك ترمي نفسك في حفرة ملهاش قرار؟ أمي أنا نفسي مش عارف أتعايش معاها تقوم تيجي انتِ كمان عندها؟ مش هتخليكي تعيشي يوم واحد مبسوطة، لا طبعًا ده مش حل.

امسكت يده : إيهاب أنا طلبت منك تقف جنبي وانت

وافقت ومن غير تردد ولما أمي شرطت أسيب الفيزا برضه رحبت وقولت هتعيشي معايا في بيتي، ليه متخيل إني ضعيفة ومش هاقدر أقف جنبك؟ مامتك مهما كانت صعبة معايا الوضع مختلف، هي ملهاش حكم عليا أصلًا وبعدين أنا طول النهار في شغلي ولما أرجع آخر النهار هتكون انت كمان موجود وقدامك مش هتتكلم، عدي السنة اللي فاضلة هنتحملها أنا وانت وإيدينا في إيدين بعض والفترة دي هنشوف شقة إيجار صغننة تلمنا أنا وانت، احنا شركاء والشركاء مع بعض على الحلوة والمرة، في المكسب والخسارة، بص للموضوع من ناحية تانية يمكن ربنا عمل كده علشان بس ما يكونش حمل فوق طاقتك ويفضل بيت واحد مفتوح ما يبقوش إتنين فده هيساعدك توفر أكتر ونقدر نعمل شقتنا على مهلنا، وأهو أكون أقنعت ماما أو بابا وآخد الفيزا بتاعتي ونقدر نعيش مع بعض براحتنا، أنا شايفة إن ده حل أفضل.

حرك رأسه بعدم تصديق وعدم اقتناع وحيرة : محدش هيوافق على اللي بتقوليه ده، أنا نفسي مش موافق، وبعدين أمي قالت الحل ده لأنها عارفة كويس إن محدش هيقبله، لا أنا ولا انتِ ولا عيلتك.

أكدت حنين : عارفة ده كويس، واحنا هنثبت للكل إننا أقوى من إن حد يقف في وشنا ويمنعنا.

نظر إليها مطولًا وتساءل هل هي عوض كبير من الله له؟ هل هي ستكون ذلك القلب الذي يتلقف همومه وأوجاعه؟

هل ذلك القلب الذي ينبض بداخله قد أتى أوانه كي يعيش ويرفرف بداخله؟

خجلت حنين من نظراته فأشاحت بوجهها بعيدًا وغيرت الموضوع تمامًا : صحبتي دعاء النهاردة زعلت مني.

استغرب أنها غيرت الموضوع وكأن شيئا لم يكن فتساءل بابتسامة : ليه زعلت؟

استرخت في كرسيها ونظرت للخاتم بيدها : دعاء صاحبتنا العاقلة أنا وهايدي وكبيرة عننا والنهاردة شافت الخاتم في إيدي فبتقولي الخاتم جميل أوي فقولتلهم خطيبي اللي جابه، اتصدموا ازاي أتخطب ومن غير ما أقول؟ من امتى وهم منتظرين أرجع لطبيعتي ومستغربين ليه بقالي فترة متغيرة فالنهاردة صدمتهم بخبر خطوبتي.

ابتسم بحزن فلكم تمنى لو الظروف غير الظروف والوضع غير الوضع فلربما لو أكمل جامعته لاشتغل في مكان مرموق تفتخر به، ليته لم يترك جامعته أبدًا ولم يضحي لهذا الحد، لربما لو صبر لوجد طريقًا آخر، لربما استطاع التوفيق بين جامعته وعمله.

لاحظت صمته فهمست : بطل تفكر في بكرة، عيش يومك وبس وبكرة هيجي سواء حلو أو وحش هيجي، في كل الأحوال هيجي فلازمتها إيه نشيل همه؟ ينفع أطلب منك طلب؟

وافق بحركة من رأسه، وقفت بحماس : عايزة أروح مشوار

معاك قوم.

وقفت وأشارت من بعيد لأصحاب الكافيه وطمأنت إيهاب أنها صديقة لأصحاب المكان فلا يهتم بدفع حساب، أشارت لأول سيارة أجرة مرت أمامها وركب بجانبها مسلوب الإرادة.

جلسا بصمت ولكن آلاف الأفكار تتزاحم برأسيهما، تذكرت فجأة : إيهاب انت معاك موبايلك صح؟

أومأ برأسه وأخرجه لها : اتفضلي.

لاحظت أنه مغلق فنظرت بعتاب : قافله صح؟ ينفع تفتحه؟- فتحه لها وسألته - معاك رقم بابا؟

نفى بهدوء فعلقت هي : كويس إني حفظاه.

اتصلت بوالدها الذي أجاب بسرعة لقلقه فطمأنته : بابا إهدى أنا بخير، بابا بعد إذنك ساعة كده وهارجع البيت مش هتأخر ولما آجي هتكلم معاك المهم احنا بخير.

أغلقت الهاتف وأعطته إياه ومازحته : عايز تقفله براحتك.

أوقفت التاكسي فنزل إيهاب أولا وحاسبه وتلفت حوله : احنا فين كده؟

أشارت أمامها لمحل مجوهرات : احنا جايين هنا تعال.

أمسك يدها منعها : حنين إهدي شوية، صدقيني أنا مقدر وقوفك جنبي وإصرارك وكل اللي بتعمليه ده ما تتخيليش فرق معايا قد إيه بس واحدة واحدة الأمور مش بتتاخد

كده.

وضعت يديها في خصرها وانتظرته ينهي كلامه ثم علقت : انت عارف أنا جاية هنا ليه؟ - نفى برأسه – طيب حلو يبقى استنى وشوف بعدها أرفض.

أوقفها مجددا : مهما يكون اللي انتِ عايزاه من هنا المفروض يكون معانا فلوس نشتري بيها ولا إيه؟

عقدت حاجبيها بحيرة وبحرج : انت مش معاك فيزا؟ افترضت إن كل الناس حاليًا معاها فيزا محدش بيمشي بفلوس في جيبه.

وضح لها بحرج مماثل : معايا فيزا يا حنين بس مفيهاش كتير ومعايا في جيبي بتاع أربعة وشوية مثلا.

تهللت أساريرها وهتفت بفرحة : طيب حلو أوي تعال

أمسكت يده مجددا وجذبته لداخل المحل وحين رآها صاحب المكان وقف يستقبلها : أهلًا أستاذة حنين.

ابتسمت مجاملة له : أهلًا عمو فايز، أعرفك ده إيهاب خطيبي وعايزين نشتري دبل فقط، عايزين نعمل مفاجأة للكل فهنفاجئهم بالدبل فقط.

ابتسم بتفهم : تمام هوريكي آخر الأشكال اللي نزلت.

اعترضت حنين : الأول عايزة أجيب الدبلة الرجالي.

أخرج تشكيلة كبيرة من الدبل الرجالية وضعها أمامها،

شبكت حنين أصابعها بأصابعه وابتسمت له بتشجيع : تعال نختار مع بعض؟

همس بتردد: واثقة؟

أومأت موافقة واقتربا ليختارا سويًا، شرد إيهاب فيها وفي رقتها وطيبة قلبها وتساءل ترى ما سر تلك التعاسة التي سيطرت عليها؟ لم انفصلت عن زوجها السابق؟ كيف ينفصل رجل عاقل عن واحدة مثلها بتلك الرقة والتفهم والطيبة والجمال؟ ما سر حبسه؟ تزاحمت الأسئلة في رأسه وتمنى لو يسألها، انتبه من أفكاره عليها تعرض عليه دبلة أعجبتها : إيه رأيك في دي؟

لاحظت أنه ينظر إليها لا للمجموعة أمامه فعلقت بترجي : إيهاب ركز معايا لو سمحت.

ابتسم بحرج : والدك ممكن يعتبر ده تصرف غلط مننا وإننا بنعند عليه فبلاش نتصرف كده من وراه.

همست حنين : عايزة أحط دبلتي في إيدك، محدش له دعوة بحاجة زي دي، لو انت مش عايز تلبسني دبلتي إلا بعد ما نستأذنه معنديش مانع لكن أنا هحطها في إيدك النهاردة، ركز معايا لو سمحت بدال ما أختارها على ذوقي لوحدي.

أكد : اختاريها لوحدك معنديش مانع.

دفعته في كتفه برقة : يلا بقى اختار معايا لو سمحت.

كل ما تختار واحدة يضعها بيده كي تراها فترفضها واحدة

بعد الأخرى إلى أن استقرت على واحدة أعجبتها للغاية وأكثر ما لفت انتباهها الكتابة عليها بالخط العربي { دمتَ لي سندًا جميلًا }

نظرت له مبتسمة : عجبتني دي أوي.

ابتسم للجملة المكتوبة ورددها : دمتِ لي سندًا جميلًا

صححت نطقه للجملة : دمتَ أنا بقولك انت

ابتسم واعترض : وأنا بقولهالك انتِ دمتِ

لم تعارضه مجددًا فوضعها بيده : إيه رأيك؟

ابتسمت : عجباني وانت؟

تنهد بحب واضح وأمل ينتعش بداخله : وأنا كمان عجبتني.

نظرت حنين لفايز : عمو دي عجبتنا

ابتسم وهو يأخذها من إيهاب لوزنها : تمام وعندي أختها ليكي ولو معجبتكيش ممكن تختاري أي دبلة ونكتب عليها.

همست حنين لإيهاب: إيهاب مش شرط نشتري دلوقتي الدبلة ليا ممكن أي وقت تاني، جبت اللي أنا عايزاه خلاص.

طمأنها بهدوء : لا طالما جينا خلينا نجيبها وبعدين في حد قالي أعيش كل يوم وأسيب بكرة لبكرة، خلينا نكمل جنان

بدأت حنين في اختيار دبلتها وفجأة تدخل فايز بفضول : اعذريني يا أستاذة بس لفت إنتباهي الخاتم اللي حضرتك

لبساه.

استغرب كليهما ونظرا له باستفسار فسأل هو : جيباه منين؟

وضحت حنين : ده هدية منه

التفت لإيهاب الذي توتر للغاية فالخاتم خفيف وأقل من مقامها بكثير، انتبه على سؤاله : تسمحلي أسألك منين جبته؟ أنا عمري ما شوفت الشغل ده قبل كده؟ الخاتم رقيق بشكل جميل ومرسوم في إيدها – صمت قليلًا ليضيف – يعني كأن حد راسمه وإتفصل بناءًا على الرسم ده

أحست حنين بالفرحة وتساءلت هل رسمه إيهاب بالفعل ثم نفذه؟

انتبهت لإيهاب يضيف بحرج : أنا فعلا رسمته وطلبت من محل ينفذه.

أضافت حنين بفخر : نسيت أقولك يا عمو إيهاب فنان ورسام

رد فايز بإعجاب واضح : فعلا باين أوي إنه فنان، الخاتم بيلفت الأنظار بشكل واضح وباين إنه معمول مخصوص مش حاجة تقليدية، ربنا يسعدكم يارب.

أخيرًا اختارت حنين دبلة بمساعدة إيهاب وطلبت أن يكتب عليها نفس العبارة { دمتِ لي سندًا جميلًا }

أكد فايز : هتستلموها بكرة إن شاء الله.

عقدت حنين حاجبيها: بس عايزاها دلوقتي.

وضح لها : اللي بيكتب عليهم مش موجود بيجي الصبح – نظر لإيهاب- إلا لو خطيبك هيكتب الجملة دي بالخط اللي يعجبك؟

نظرت لإيهاب وعينيها تلمع فتراجع هو : لا طبعًا معرفش، أنا آه أرسم على ورق، على حيط، في لوحة لكن على حاجة بالحجم ده وبالدقة دي صعب، ومش هجرب وتبوظ مني.

أصرت حنين : بس هتبقى مميزة أوي لو كتبت عليها بإيدك يا إيهاب حتى لو مش مظبوطة أوي، علشان خاطري.

علق فايز : لو بتعرف تكتب هتعرف، تحب تجرب؟

استغرب إيهاب طلبهما : أجرب على دبلة دهب؟ لا طبعًا

اقترح فايز : جرب على ورقة مثلًا ولو عرفت تكتب كمل معرفتش يا تاخدوها زي ما هي وتيجوا بكرة تكتبوا عليها أو أي وقت يناسبكم يا تسيبوها وتستلموها بكرة.

دفعت حنين إيهاب بلطف : جرب هتخسر إيه؟ أنا حابة انك تكتب عليها بإيدك.

استسلم إيهاب أمام إصرارها، أشار فايز للعمال برفقته لينتبهوا للمكان بينما دخل هو داخل ورشته الصغيرة بالداخل مع إيهاب وحنين.

أمسك إيهاب جهازًا صغيرًا يشبه القلم و عرف من فايز

كيفية تشغيله، أعطاه الدبلة ليعترض إيهاب : لا عايز ورقة ولا أي حاجة أجرب فيها الأول.

فجأة تذكر إيهاب ميداليته فهي عبارة عن مستطيل طويل لا منظر له، أخرجها واقترح : نجرب عليها؟ ولو باظت عادي

أعجب فايز بتفكيره : طيب حلو أوي

حنين : اكتب عليها اسمي واسمك، حنين وإيهاب

وإعمل قلب صغير في النص بينهم

أخذ إيهاب عدة أنفاس متتالية قبل أن يبدأ النقش على ذلك المستطيل الصغير فهمست هي بمزاح : إكتب اسمي الأول لو سمحت، النساء أولًا.

ابتسم وبدأ يكتب اسمها بالخط العربي، علق فايز بإعجاب : خطك حلو أوي ورسمك للحروف جميل.

أمسكت حنين المستطيل منه وأعجبت باسمها للغاية فاقترحت بمزاح: هات أكتب أنا بقى اسمك.

ناولها الجهاز لتصدم : بهزر يا عم انت ما بتهزرش؟ لا طبعًا خطي بشع للغاية.

ردّ بابتسامة : عادي هيعجبني مهما يكون

رفضت بسرعة : لا طبعًا الاتنين يبقوا مكتوبين حلو كمل بقى يلا إرسم القلب وبعدها اكتب اسمك.

أكمل إيهاب كتابة اسمه، أخذت حنين منه الميدالية : دي

بقت بتاعتي حاليًا.

علق فايز بمزاح : ده أنا كنت هعرض عليكم آخدها أنا.

ضحك ثلاثتهم ثم ناول الدبلة لإيهاب ولكن حذره : خلي بالك إن هنا مساحة الكتابة أقل والكلام أكتر.

نظر إيهاب طويلًا للدبلة في يده كي يعرف ويحفظ أبعادها، بالجهاز مغلق حاول أن يجرب حجم الكتابة بعد قليل شغل الجهاز وبدأ يكتب في صمت مطبق من كليهما كي لا يقاطعا تركيزه العالي.

انتهى إيهاب من الكتابة عليها وناولها لحنين : إيه رأيك كده؟

نظرت لعينيه : كفاية انك عاملها بإيدك.

أضاف فايز : ده ما يمنعش إنها رائعة، انت فعلا فنان، ما تيجي تشتغل معايا شوية؟ في ناس كتير بتطلب الحاجات دي ونادرًا ما بنلاقي حد خطه حلو ورسام كده؟

شكره إيهاب وحنين للغاية على وعد بالتفكير في عرضه، مشيا سويا وأيديهما متشابكة وصمت تام.

تفاجئ إيهاب أنهما وصلا أمام بيتها فتلفت خلفه : مكنتش أعرف إننا قريبين كده؟

ابتسمت : آه قريبين، هتطلع معايا لفوق؟

تنهد بإرهاق : حنين أنا مش حمل جدال مع والدتك دلوقتي

كفاية عليا النهاردة أمي.

وافقته بتفهم مطلق ثم مدت يدها له : هات الدبلة طيب

أخرج العلبة الصغيرة من جيبه وناولها إياها، فتحتها بهدوء وأخرجت دبلته ثم أغلقتها وناولته العلبة : امسك دي

أخذها منها وضعها بجيبه مجددًا ثم مدت يدها له : بعد إذنك؟

تقابلت نظراتهما وسأل : انتِ واثقة من اللي بتعمليه ده؟

أومأت برأسها : جدًا

رفع يده اليمنى لها فأخذت شهيقا طويلا وألبسته الدبلة في يده ثم نظرت لعينيه : هنكمل أنا وانت مع بعض وهنكون سند لبعض، مش هيقدروا يكسرونا.

أمّن على كلامها قبل أن ينظر لتلك الدبلة وهي تلمع في يده

همس بحب : إطلعي علشان ما تتأخريش أكتر من كده.

وافقته وقبل أن يتحرك أمسكت ذراعه : عايزة منك وعد قبل ما تمشي.

- قولي

- اوعدني انك ما تاخدش أي قرارات تانية تخصنا لوحدك، نتكلم ونتناقش وناخد القرار مع بعض باتفاق، محدش فينا هيقرر لوحده تاني.

تنهد باشتياق للأيام القادمة وتمنى لو يتزوجها بالغد القريب : حاضر يا حنين حاضر بس خلي بالك والدتك مش هتوافق أبدًا على قصة جوازنا في بيت أبويا وأعتقد حتى أبوكي كمان مش هيوافق.

ابتسمت تشجعه : سيبني عليهم ولو قدرت هكلمك ننزل بكرة نشتري أوضة النوم بس هترسملي صورة من اختياري.

تنهد بتمني : هرسمك انتِ شخصيًا يا حنين.

نظرت إليه بخجل مصحوب بفضول : انت بتعرف ترسم أشخاص؟

أجابها وهو يعبث بحرج في شعره : يعني على قدي بس من أول مرة شوفتك في البلكونة وشعرك طاير وراكي وأنا بتمنى أرسمك.

رجعت خطوة للوراء ووقفت مثل البالارينا: هقف كده وترسمني؟

ضحك عليها وخصوصًا وهي لا تستطيع الثبات وقدمها تنزلق كل مرة فاقترب منها : حاسبي لتقعي وبعدين علشان ارسمك في وضع معين فلازم تثبتي تماما مش كده.

ضحكت معه وعلقت : هنشوف هيبقى عندنا وقت ونشوف

أكّد لها بمزاح : في أوضاع كتير أفضل للرسم من الوقفة اللي مش نافعة معاكي دي.

رفعت يدها في وجهه : لا احترس أنا بالارينا قديمة

سألها بفضول : بترقصي باليه؟ انتِ؟ بجد؟

أكدت بجدية مصطنعة : طبعا كنت برقص – أضافت بصوت منخفض هزلي – وأنا في ابتدائي.

ضحك كليهما بينما تنهد وبجدية : شكرًا ليكي بجد.

استغربت : بتشكرني ليه؟

نظر لعينيها : كنت جاي والدنيا سودا في وشي بس معرفش عملتي فيا إيه واديتيني أمل إن اللي جاي ممكن يكون أحسن.

ابتسمت بحزن مماثل : إيهاب أنا كنت زيك الدنيا سودا في وشي وكنت متخيلة إن حياتي انتهت بس معرفش ليه معاك بحس إن في أمل لبكرة؟ يعني انت بتقول اديتك أمل بس الحقيقة إن العكس اللي حصل، انت اللي اديتني الأمل ده ومش عارفة ليه عندي حماس لكل اللي جاي معاك - رجعت خطوات – هشوفك بكرة؟

وافقها مبتسما : هشوفك بكرة بإذن الله، ابقي طمنيني لو سمحتِ لو اتكلمتِ مع والدك.

راقبها تختفي من أمامه وتوجه لدراجته وماهي إلا لحظات وسمعها تناديه فالتفت إليها باستغراب، كانت تلهث من جريها فانتظرها تهدأ : براحة خدي نفسك

ابتسمت ومدت يدها وبأنفاس مقطوعة : هات العلبة

استغرب لوهلة : علبة إيه؟

صاحت به : الدبلة بتاعتي

ابتسم فلقد نساها تمامًا، أخرجها من جيبه وضعها بيدها : اتفضلي

شكرته و اختفت بسرعة مجددًا، أما هو فتحرك بدراجته وحين وصل لبيته لم يستطيع الدخول أبدًا.

أخيرًا اتصل بخالد صديقه وقبل أن يتكلم عرض عليه أن يأتي لبيته لقضاء الليلة برفقته.

خرج خالد لاستقباله خارج منزله وقبل أن يتكلم لاحظ ابتسامة إيهاب فتعجب منها، دخلا سويًا لبيته وحين لم يتكلم إيهاب سأله خالد بحذر : معلش في سؤالي بس انت مبسوط ليه كده؟ هي الشقة رجعتلك؟

نفى إيهاب بحركة من رأسه ومما زاد حيرة خالد أنه مبتسم بغير عادته، لم يعد يتحمل صمت صديقه ففضوله سيقتله عن سر تلك الابتسامة : لا ماهو لازم أفهم سر الإنشكاح ده إيه؟ ماهو من شوية كنا كلنا بنعيط؟

ضحك إيهاب لفضول صديقه، رفع يده ولكن خالد لم ينتبه : مالها إيدك؟ مش فاهم يا إيهاب يخربيت كده

أخيرًا قرر إيهاب إرضاء فضول صاحبه : الدبلة يا فصيح

نظر للدبلة بيده وقرأ ما عليها بصوتًا مسموعًا ثم نظر له بحيرة : برضه مش فاهم؟

تنهد إيهاب قبل أن يقص على صديقه ملخص ما حدث، سمعه خالد بابتسامة عريضة وبعد أن انتهي : أقسم بالله يا إيهاب أنا لو مكانك لكنت أجرت شقة واتجوزت فيها وسيبت الكل يخبط دماغه في الحيط.

عاد الحزن ليكسي ملامحه : وهبة؟

اقترح بسرعة : خدها معاك

علق برفض : وأسيب أمي يعني ومازن؟ لا يا خالد مش هقدر ومش هينفع، هكمل السنة وبعد ما مازن يتخرج هعمل اللي بتقوله ده بس مش هسيبه في آخر الطريق كده.

لاحظ خالد تسرب الحزن لصديقه مجددًا فغير الموضوع تماما : بس جدعة حنين دي، ربنا يخليكم لبعض وتكونوا عوض لبعض، بس حلوة الدبلة.

إبتسم مجددًا وأكّد : حلوة فعلا الدبلة.

بعدما صعدت حنين لبيتها قابلها والدها بتوتر : قلقتيني عليكي يا حنين.

استغرب ابتسامتها التي تنير وجهها، دخلت وجلست برفقته وقبل أن تقص عليه ما حدث دخلت صابرين : أخيرًا رجعتِ؟ روحتِ فين كده؟ وعملتِ إيه؟

دخلت حور أيضا بقلق : كنتي فين يا حنين؟ قلقتينا عليكي

استغرب الجميع ابتسامتها وأولهم حور : انتِ مبتسمة كده

ليه؟ عملتِ إيه مع إيهاب؟

حزكت كتفيها ببساطة : هنتجوز ومحدش هيقف في وشنا بإذن الله.

سأل عبدالقادر بحيرة : حنين فهميني ليه جه يفسخ الخطوبة ومنين بتقولي دلوقتي هتتجوزوا؟ وروحتوا فين؟

شرحت لوالدها : قعدنا على الكافيه اللي على الناصية اتكلمنا وحلينا المشكلة وبس.

صاحت صابرين بغضب : بت هو الجواز لعبة ولا إيه؟ ما تنطقي إيه اللي حصل؟ وبعدين هو فسخ الخطوبة هنا قدامنا مش هيرجعلك بمزاجه ويفسخ بمزاجه.

تجاهلتها حنين ونظرت لوالدها : بابا هو كان عايز يطلع معايا بس بصراحة كان تعبان فقولت خليه يريح وبكرة يجي ويقعد معاك تتكلموا.

صاحت صابرين : انتِ عاملة نفسك مش سمعاني يعني؟ قول حاجة يا عبدو انت لبنتك.

نظر عبدالقادر لزوجته ثم لابنته : حنين فهميني إيه اللي حصل علشان أعرف أتكلم معاكي.

وقفت حنين : طيب خليني يا بابا أغيّر هدومي وأعمل كوبايتين قهوة نقعد أنا وانت - أضافت بإصرار - لوحدنا وأحكيلك بالتفصيل الممل.

مرت من أمام والدتها التي أمسكت ذراعها : بطلي أسلوبك

ده علشان ما أقلبش عليكي يا حنين.

جذبت ذراعها : ده الأسلوب اللي عندي حاليًا بعد إذنك.

دخلت لغرفتها تبعتها حور التي دخلت وأغلقت الباب خلفها : حنين في إيه وإيهاب كان ماله؟

التفتت حنين إليها : شقته طارت منه وعلشان كده جه يفسخ الخطوبة بس قولتله إني هتجوزه في بيت أبوه في أوضة نومه.

شهقت حور بصدمة غير قادرة على تصديق ما سمعته من أختها وبعد وهلة : انتِ أكيد اتجننتي صح؟ لا يمكن تكوني عاقلة لأ.

تجاهلت حنين رأيها وفتحت العلبة : بصي الدبلة دي؟ تحفة صح؟ تعرفي مين كتب عليها؟

ألقت حور نظرة خاطفة على الدبلة وأغلقت العلبة بعنف : حنين فوقي بقى وبطلي

قاطعتها حنين بغضب : تاني يا حور فوقي؟ تاني؟ معندكمش غير الكلمة دي؟ فوقي فوقي فوقي؟ حد قالكم إني نايمة؟ ولا مجنونة؟ أنا مش عارفة انتِ ليه كده انتِ وماما؟ بس عارفة الغلط مش عليكي الغلط عليا أنا إني بتكلم معاكي أصلًا، اطلعي بره وما تتدخليش في أي حاجة تخصني.

صدمت حور من رد فعل حنين وحاولت الإعتذار : آسفة يا

حنين بس

فتحت حنين باب غرفتها : اطلعي بره يا حور لو سمحتي

سمع عبدالقادر صوتها العالي وكذلك صابرين.

تدخل عبدالقادر : في إيه يا حنين؟ في إيه يا حور؟

صرخت حنين بغضب في الجميع : في إني زهقت من أم الكلمة اللي معندكمش غيرها، فوقي يا حنين، فوقي يا حنين، كفاية بقى، كفاية تعبت، جه أمجد وكلكم شكرتوا فيه وكنتو هتتجننوا عليه ولما قولتلكم وحش قولتوا انتِ اللي بتحلمي، انتِ اللي أوفر، قولنالك الحياة مش كده، ولما طلع إبن ستين كلب واطلقت وقفلت على نفسي قولتو ارجعي للحياه من تاني يا حنين، افتحي بابك يا حنين، اتنيلي على عينك ولما اتنيلت رجعتوا تاني لنفس النغمة، فوقي، خلاص بقى، مبقتش قادرة اسمع منكم أي نصايح، وفروا نصايحكم لنفسكم، حور خليكي في دراستك وفي نفسك وفوقي انتِ لنفسك، بطلي تنصحي فيا خليكي في حالك وفي معتز و حمزة اللي معلقاهم بيكي ولانك مذبذبة ومش عارفة انتِ عايزة إيه مش عارفة تختاري منهم ولا عارفة تقولي لواحد فيهم لأ ومخلياهم الإتنين حواليكي ومش بعيد تكوني لا عايزة ده ولا ده.

أوقفها والدها بحدة : حنين كفاية كده.

نظرت له بوجع : كفاية دي تقولها ليهم هم الاتنين، أنا في حالي ومش بتدخل في حد ومش بتكلم معاهم لكن هما

الاتنين اللي فاكرين نفسهم عارفين كل حاجة وهما أبسط الأمور مش عارفين يختاروا فيها، على الأقل أنا عارفة أنا بعمل إيه وعايزة إيه.

خرجت حور من غرفة حنين وجريت لغرفتها أما صابرين لامت حنين : عجبك كده انك زعلتيها وهي كل همها مصلحتك؟

نظرت حنين لأمها بتهكم : مصلحتي أنا عارفاها كويس، ركزي بس انتِ معاها وسيبيني في حالي، أنا وإيهاب شبه بعض كتير وهنعرف نكمل مع بعض.

تحركت صابرين لتدخل لحور ولكن أوقفتها حنين : قبل ما تمشي علشان بس ما أعيدش الكلام مرتين إيهاب كان هيفسخ الخطوبة علشان أمه عايزة تبوظ الجوازة فأخذت منه الشقة بتاعته وقالتله الشقة هتتعمل عيادة لأخوه وهو مالوش فيها ولو عايز يتجوز يوضب أوضته ويجيب فيها أوضة نوم ويعيش فيها وعلشان كده جه يفسخ الخطوبة

سألت صابرين مصدومة: وبعدين؟

ابتسمت حنين : أنا رفضت وقولتله ولا أمك ولا أمي هيقدروا يبعدونا عن بعض، أمي تسحب الفيزا وأمك تسحب الشقة ومهما تعملوا برضه هنكمل مع بعض.

تدخل عبدالقادر : يعني ايه؟ هتتجوزوا فين؟

ابتسمت ببساطة : في أوضته.

صرخت صابرين بغضب : لا انتِ اتجننتي رسمي – نظرت لزوجها- أنا مش هتكلم وسيباك انت تتعامل معاها.

تركتهما وتوجهت لحور التي أغلقت الباب عليها رافضة الحديث تماما.

دخل عبدالقادر لابنته جلس على أريكتها الصغيرة : حنين أدينا لوحدنا، يعني إيه تتجوزيه في أوضته؟ بعدين ليه تخيلتي إني هوافق؟

قربت حنين كرسيها الصغير وجلست أمام والدها، أخرجت العلبة الصغيرة وفتحتها أمامه : الأول قولي رأيك إيه فيها؟

أخرج الدبلة الصغيرة وقرأ ما عليها قبل أن ينظر لها : حنين

قاطعته : تعرف إن إيهاب كتب اللي عليها ده قدامي؟ روحنا عند عمو فايز وشاف الخاتم ده – رفعت يدها – وعرفت ساعتها إن إيهاب صممه بنفسه وطلب من محل ينفذه علشاني وعجب عمو فايز أوي ولفت انتباهه ولما اخترنا الدبل اقترح إنه يكتب عليها بنفسه.

استمع باهتمام إلى أن أنهت حكاية الدبل : طيب إيهاب فنان وأنا عارف ده كويس، إيه علاقته باللي قولته؟ إزاي هتتجوزيه في بيت عيلته؟ انتِ بنفسك أهو لاحظتي إن أمه مش كويسة معاه هتبقى كويسة معاكي انتِ؟

نفت حنين بهدوء : لا طبعا مش هتكون كويسة أبدًا.

استغرب والدها : طيب إيه بقى؟ يعني انتِ مش قادرة

تتحملي أمك شخصيا تروحي لواحدة تانية أبشع منها؟ يعني أي منطق يقول كده؟

علقت حنين بهدوء : منطق إن الوضع ده مؤقت بمجرد ما مازن يتخرج هنسيب البيت ونعيش لوحدنا ولو فوق السطوح

اعترض عبدالقادر : وليه؟ ليه تعيشي فوق سطوح؟ ليه تعيشي في بيت عيلة؟ في أوضة؟ ليه كل ده؟ ده أنتي لو بينكم قصة حب أفلاطونية مش هتتقبلي ده.

ابتسمت بهدوء: بابا مش هكدب عليك وأقولك إن بينا قصة حب شنيعة وبموت فيه وكل ده – شردت للحظات – بس جوايا حاجة، جوه قلبي بتشدني ليه، بتقولي سعادتك معاه هو وبس، أول ما شوفت إيهاب اتضايقت منه جدًا، كنت ببعد عنه وببعده وبقوله كلام صعب بس لقتني بتشد له غصب عني، عايزة أعيش معاه وما أعرفش ليه بس قادرة اتحمل أي حاجة وكل حاجه معاه، بابا إنت تقدر ترفض وتمنعني أكمل معاه بس صدقني لو ده حصل النور اللي نور حياتي ده فجأة هيتطفي، إيهاب عامل زي طاقة نور اتفتحت في حياتي الظلمة ونورتها، شمس سطعت خلت الورود تتفتح، خلتني أسمع موسيقي من تاني، خلتني أحس إني عايشة، إسمحلي أعيش بالطريقة اللي أنا شيفاها صح، جربت طريقتكم وطلعت غلط خليني المرة دي أجرب طريقتي أنا.

سمعها دون أن يقاطعها وأصبح ممزقًا بين عقله وقلبه،

فعقله ينبهه أن ينهي تلك العلاقة في بدايتها ولكن قلبه يستمتع بذلك النبض الذي يسمعه من قلب ابنته، سألها : احكيلي بالتفصيل كل اللي قاله إيهاب عن والدته وعن شقته وعن اللي حصل.

استمع لأكثر من ساعة منها وبدون أن يبدي رأيه وقف وتمنى لها ليلة سعيدة قبل أن يدخل غرفته وحين حاولت زوجته أن تفهم منه أغلق الحوار معها.

في الصباح وقت الفطور خيم الصمت على الجميع، تكلم عبدالقادر : حنين إعتذري لإختك عن اللي قولتيه إمبارح عنها وعن الأسلوب اللي اتكلمتي بيه معاها.

اعتذرت حنين بخجل ثم علق هو : إنتو الإتنين مالكمش غير بعض ولو كل واحدة فيكم هتقول للتانية ما تتدخليش في حياتي فكده مبقيتوش إخوات، اقفوا جنب بعض وادعموا بعض وساعدوا بعض مش كل واحدة تقول للتانية شوفي نفسك وخليكي في حالك، دي آخر مرة اسمع منكم كلام أهبل زي كده - نظر لحور – حور إيه حكاية معتز وحمزة دي؟

تدخلت حنين : بابا أنا آسفة بس أنا أفورت في الكلام و

قاطعها والدها : حنين أنا بتكلم مع أختك حاليا ومنتظر منها هي الرد.

ردت حور بتوتر : مفيش أي حوار ولا مع معتز ولا حمزة ولا عمر حد فيهم اتكلم معايا في أي حاجة أو حتى لمح بأي

حاجة.

هنا التفت عبدالقادر لحنين: أمال انتِ قولتي اللي قولتيه إمبارح ليه؟

نكست رأسها بخجل : آسفة زي ماقولت أفورت مش أكتر

لم يقتنع بإجابتها مطلقا فكرر سؤاله : قولتي اللي قولتيه ليه يا حنين؟ فما تلفيش وتدوري عليا.

نظرت لأختها ثم لوالدها : مجرد إحساس يا بابا، معتز من زمان جدا بيعز حور وبيحاول يلفت انتباهها بأي طريقة وأي مكان بتتواجد فيه بيحاول يكون موجود وبعدها ظهر حمزة اللي برضه بدأ يهتم بيها، بمذكرتها، ورق يوفره لها، محاولته انه يقرب مننا، يعني طول الوقت الاتنين حواليها بعدها لما قالت تتدرب الاتنين عرضوا عليها التدريب عندهم ومعتز زعل لما اختارت تدرب مع حمزة.

دافعت حور عن نفسها : أنا اخترت صيدلية والد حمزة لأنه دكتور قديم وله اسمه وصيدليته كبيرة وبالتالي هستفاد أكتر فيها من صيدلية معتز اللي لسه فاتحة قريب ولسه بتبدأ ولسه بتعمل زبون فالاختيار كان عقلاني بحت.

علقت حنين : وهو ده اللي أقصده إنك بتستخدمي عقلك بس والعقل لوحده مش بينفع

تهكمت حور : والقلب لوحده بيغرق.

قبل أن ترد حنين تدخل والدهما : بس انتو الاتنين، القلب

لوحده بيغرق فعلا لكن برضه العقل لوحده بيتعب وبيخلينا نعيش بدون أحاسيس زي الربوتات علشان كده ربنا ادانا الاتنين العقل والقلب علشان نحكّم الاتنين في حياتنا، القلب مع العقل، ولا حياتنا تبقى صعبة وناشفة ولا سايبة والإنسان اللي يقدر يحقق التوازن بينهم بيعرف يعيش مبسوط في حياته.

وضع هاتفه أمام حنين : سجليلي رقم إيهاب لو سمحتي

أمسكت هاتفه وسجلت الرقم فاستغربت صابرين : انتِ حافظة رقمه؟

أجابت دون أن تنظر إليها : رقمه مميز وسهل - سألت والدها بتخوف - بابا هتقوله إيه؟

وقف وهم يلملم متعلقاته : هسمعه يا حنين، محتاج اسمع منه.

أوقفته صابرين : انت بتفكر توافق على كلام بنتك المتخلف ده؟ مش هتدخل بينهم؟

أجابها : معرفش هعمل إيه بس اللي عارفه إن كل إنسان من حقه يشكّل حياته بنفسه ويعيش الحياة اللي هو شايفها مناسبة – أكمل بغضب – مش من حقنا نخطط حياتهم ونتآمر ضدهم وبعدها نكتشف إننا غلط، يلا يا حنين

وقفت وتحركت برفقة والدها لعملها.

لاحظت هايدي شرود حنين معظم الوقت، في الاستراحة

جلست معها : انتِ بطلتي تحكي معايا ليه؟

تنهدت حنين وعبرت ببساطة : علشان بطلتي تسمعيني كصاحبة وبقيتي بتحكمي وتصدري قرارات وبقيتي زيهم

نفت هايدي : عمري ما هبقى زيهم بس خايفة عليكي

رفعت أكتافها : وخوفك خلاكي زيهم، زمان كنا بنتجنن مع بعض، بنغلط مع بعض، بنصحح غلطنا مع بعض، مكناش بنحكم على بعض أبدًا وعلشان كده كنا واحد.

اقتربت هايدي بأسف حقيقي : آسفة بجد بس ما تبعدينيش عنك أنا ماليش صاحبة غيرك

حنين بحب : وأنا معنديش غيرك

اعترضت هايدي بغيرة : بقى عندك إيهاب اللي خليتيه هو مستودعك الآمن ورميتيني أنا بره.

ضحكت حنين لغيرتها : انتي اللي خرجتي مش أنا اللي رميتك على فكرة، بعدين إيهاب بيسمعني وبيفهمني مش محتاجة أشرح وأبرر له.

عقدت حاجبيها أكثر : كمان بقى بيفهمك؟ ماشي يا حنين ماشي.

ازداد ضحك حنين : لا خلاص ما تزعليش بس ارجعي هايدي المجنونة صحبتي اللي روحنا لدعاء وقولنالها قوليلنا يعني ايه حب فاكرة؟

ابتسمت بحزن للذكرى البعيدة : وياريتنا ما عرفنا يعني إيه حب - سألتها فجأة – انتِ بتحبي إيهاب؟

فكرت حنين مطولا فعلقت هايدي : على فكرة المفروض تجاوبي على طول أه بحبه.

بكل هدوء عارضت حنين : بس أنا مبحبوش ولو قولت بحبه أبقى بكدب عليكي وعلى نفسي

ضدمت هايدي : نعم؟ أمال الحرب اللي شغالة دي ليه؟

تنهدت حنين : علشان هو مختلف، لكن مش حب، علشان وعد وعدناه لبعض نسند بعض.

صاحت هايدي : ما في ألف غيره مناسبين ممكن يسندوكي ليه إيهاب؟

ابتسمت : لأنه فاهمني يا هايدي مش بحتاج للكلام معاه، بحبه؟ مش بحبه؟ مش عارفة ومش عايزة أعرف المهم إني برتاح معاه، برتاح في كلامي معاه، برتاح في صمتي معاه؟ برتاح لو قاعدة بس قصاده، بحب اسمعه، بحب اشوفه، بتمنى اشوفه بيرسم تاني، في ألف حاجة بحبها معاه، وفوق كل دول والأهم من كل دول إننا مجرد أصحاب وهو متقبل يكون صاحب بس.

استغربت هايدي : يعني إيه يكون صاحب بس؟ فهميني؟

ترددت حنين ووقفت : لا مش هفهمك حاجة أنا ورايا شغل

أمسكت هايدي ذراعها : وحياة أبوكي ما هتقومي غير لما

أفهم كل حاجة.

تهكمت حنين : وتفضلي ترغي وتقولي فوقي وهبلة و و و

أقسمت هايدي أنها لن تصدر أحكامًا بل ستسمع بهدوء فابتسمت حنين : اتفقنا نبقى مجرد أصحاب وحتى لما نتجوز هنكمل صحاب وبس، انتِ عارفة إني بكره كل حاجة تخص العلاقة الزوجية ومعنديش أي استعداد أكرر ده مع أي راجل تاني.

شهقت هايدي : مين قالك إنه هيتقبل ده؟

بقولك اتفقنا الجواز صوري هنبقى أصحاب، شركا، أي مسمى غير زوج وزوجة

تلفتت هايدي حولها واقتربت منها : فهماكي بس مين قالك إنه هيلتزم بكلامه؟ أمجد كان بيعشقك عشق مريض ومجنون و اغتصبك ليلة فرحكم ولا نسيتي؟ قدرتي تمنعيه؟ ليه متخيلة انك هتقدري تمنعي إيهاب لو حب ياخد حقه الشرعي وبقول حقه لأنه حقه؟

عقدت حنين حاجبيها برفض مطلق : إيهاب غير أمجد

زادت حدة هايدي : كل الرجالة واحد في الموضوع ده

سألتها مباشرةً : تعرفي منين إن كلهم واحد؟ بعدين مين قال إن كلهم واحد؟ غير كده أنا مش هنكر كنت ضعيفة وقت أمجد، كنت بخاف، كنت بتحرج أتكلم، ماما أقنعتي إن حقه يغتصبني، لكن دلوقتي كل حاجة مختلفة، إيهاب مختلف وأنا

مختلفة.

حست هايدي بالضياع بعد سماع حنين و وجهة نظرها وسألتها فجأة : طيب لو رجعتي في كلامك واتمنيتيه زوج هتعملي إيه؟ هتقوليله تعال المسني؟ عايزة أبقى مراتك بجد؟

حاولت الهرب من التفكير في الإجابة : أنا مش عايزة زوج يا هايدي، أنا محتاجة صاحب بجد يكون جنبي وهو موافق يكون صاحب.

هزت رأسها برفض لتلك الإجابة : برضه لو غيرتي رأيك؟

فكرت طويلًا في الإجابة: مش عارفة يا هايدي، صح شوفتي الدبلة؟

تقبلت هايدي تغيرها للموضوع ولم تحاول الضغط عليها كي تعود علاقتهما لسابق عهدها، لم تستطع إنكار أن الدبلة عجبتها للغاية.

خرجت دعاء برفقة زوجها آخر النهار تمشيا سويًا لفترة طويلة وتغديا بالخارج ولاحظت دعاء شرود زوجها معظم الوقت، سألته بحب : مالك يا سمير؟ حساك بتفكر في حاجة؟

نظر إليها طويلًا يفكر فيما سيقوله : بفكر فعلًا يا دعاء في حاجة مش عارف إذا كانت صح ولا غلط؟

ابتسمت وضغطت على يده : فكر بصوت عالي معايا طيب.

تردد كثيرًا قبل أن يعرض فكرته بحماس : بما إن موضوع الخلفة ده فارق معاكي أوي ومهما نتكلم مش بيتقفل فإيه رأيك لو نجرب موضوع طفل الأنابيب؟

احبطت دعاء : ماهو جرّبناه مرتين يا سمير وفشل.

شجعها بحماس : يا حبيبتي الطب بيتقدم كل يوم ما بالك من سنين؟ بعدين يمكن ينجح؟

تنهدت بضيق : ويمكن يفشل؟

أمسك كلتا يديها : لو فشل يبقى دي كانت آخر محاولة لينا ونقفل قصة الخلفة دي تماما يا دعاء، أنا بقترح الإقتراح ده لمجرد إني أوصل لسلام داخلي علشان لما أقفل الحوار ده تماما يبقى عملت كل اللي عليا ونبطل القصة دي تماما ونرضى ببنتنا ونصيبنا وقدرنا.

صمتت دعاء تماما فهي مقتنعة بما يقوله لكن للقلب رأي آخر.

انتبهت على سؤاله : قولتي إيه؟ نتحرك في الطريق ده ونجرب مرة أخيرة؟

انتظر طويلاً قبل أن تجيبه : بس بشرط

ابتسم : موافق من غير ما اسمعه

ابتسمت وربتت على يده : ماشي بس اسمعه برضه، محدش يعرف بالموضوع ده أبدًا، حتى أمي نفسها مش هقولها، أنا وانتِ وبس، توعدني؟

رفع يده بمزاح : أوعدك

ضحكت لمزاحه بينما أكمل بجدية : وعد بجد الموضوع بيني وبينك، نجح خير وبركة ما نجحش برضه خير وبركة بس أوعديني انتِ كمان لو ما نجحش نعيش بهدوء ونربي بنتنا في حضننا ونبطل ننغص حياتنا بأفكار غبية تضايقنا

تنهدت بوجع ممزوج بأمل وحب : أوعدك هعمل كل اللي أقدر عليه بس لو لا قدر الله فشل إديني مساحة أزعل بعدها نكمل طريقنا.

مازحها : هسيبك ساعتين بحالهم لوحدك.

استمر مزاحهما طوال طريق العودة لبيتهما.

خرجت حنين وأوقفت والدها قبل أن يصل لسيارته : أروح معاك استناني

رفض بهدوء : لا يا حبيبتي ورايا مشوار الأول مش مروح، خدي تاكسي انتِ وروحي.

سألته بفضول : رايح فين؟

نظر مليًا قبل أن يجيبها : هقابل إيهاب

أمسكت ذراعه : بابا أرجوك

قاطعها والدها : أرجوكي انتِ سيبيني آخد قراري على مهلي هتكملي معاه ولا هننهي قصته تماما وأقفلها؟

تركها في حيرة وخوف وقلق.

اتصلت بإيهاب الذي رد عليها بسرعة : إزيك يا حنين.

أحست بالراحة لسماع صوته : كويسة وانت؟ طمني عليك عملت إيه لما روحت؟

- ما روحتش روحت عند خالد صاحبي ولسه ما روحتش

سألته بفضول : هتعمل إيه دلوقتي؟

- هقابل باباكي فدعواتك ربنا يسترها.

أمنت على دعوته وأضافت : بابا إنسان جميل أوي ياريت كل الناس زيه فاتكلم معاه براحتك تماما، ما تتجملش معاه، كلمه زي ما بتكلمني وصدقني هيبقى رأيه زي رأيي.

أنهت المكالمة ودعت أن تنتهي هذه الزوبعة بسلام.

خرجت سارة برفقة زهير لمكتب المحامي، نظرت لساعتها بعد توقف السيارة أمام البناية فسألته بفضول : جينا بدري نص ساعة بحالها

ابتسم وهو يفك حزام الأمان : مش بدري ولا حاجة، المحامي طلب نيجي بدري بحيث يفهمك الوضع والصورة كاملة قبل ما يوصلوا، يلا بينا.

نزلت برفقته وصعدا لمكتب المحامي مباشرة الذي استقبل زهير بترحاب وكأنهما أصدقاء وبالفعل أخبرها زهير أنهم أصدقاء من مدة طويلة.

أخبرها المحامي طبيعة الوضع كامل وكل النتائج المحتملة

تعبت من كل الاقتراحات والكلام فسألته بشكل مباشر: حضرتك تنصحني بإيه؟ وأنا هنفذ، ما تدينيش اختيارات قولي إعملي كذا وأنا هعمله.

نظر لزهير الذي شجعه : قول نصيحتك إيه؟

أجابه بجدية مطلقة : الموضوع ممكن يطول جدًا وخصوصًا إنه هيعند فاختصارًا للوقت نساوم عياله، الطلاق مقابل التنازل

وقفت سارة بغضب : وبعد ما أتنازل يطلع يقتلني ولا يجرجرني بيته؟

طمأنها زهير : سارة إهدي واسمعي

نظرت له وقبل أن تعترض مجددًا كرر هو : اسمعي بهدوء لو سمحتي

جلست في مكانها : اتفضل

أخرج المحامي عدة أوراق : أستاذة سارة هتتنازلي بعد ما يطلقك رسمي مش قبل وهنعمله محضر عدم تعرض وعياله أصلًا عايزين الطلاق ده فبكده كل الأطراف كسبانه بدال ما نفضل في محاكم وحوارات انتِ في غنى عنها، أنا بجيبلك من الآخر.

نظرت سارة لزهير : رأيك إيه؟

طمأنها بابتسامته وتشجعيه أنه بجانبها: أنا برضو رأيي تطلقي منه دي أهم خطوة.

رن هاتفه الداخلي لتخبره السكرتيرة أن موعده وصل، خرج زهير من باب جانبي ودخل أولاد لمعي وتوترت سارة في البداية ولكن لاحظت قوة شخصية المحامي وسيطرته على الوضع فاسترخت واستمعت لحوارهم بهدوء.

بعد انصرافهم أكد لها المحامي أن موافقتها على التنازل هو خيارها السليم.

تقابل عبدالقادر و إيهاب، تكلما في أمور عامة بعدها سأل عبدالقادر مباشرةً : حصل إيه إمبارح خلاك تيجي تفسخ الخطوبة؟

قرر إيهاب سماع نصيحة حنين فهي أقرب الناس لوالدها، حكى إيهاب بهدوء تفاصيل ما حدث مع والدته وعن حياته بأكملها ثم تطرق لحبه لحنين ودخولها لقلبه، أحس عبدالقادر بمدى حب إيهاب لابنته، سأله العديد والعديد من الأسئلة إلى أن نفذت أسئلته وأحس أن إيهاب كتاب مفتوح أمامه، انتظر إيهاب المزيد من الاسئلة ولكن علق عبدالقادر: أنا مبدئياً موافق على إرتباطكم يا إيهاب بس عندي كذا شرط أو تقدر تقول كذا طلب .

وافق إيهاب بسرعة : موافق على كل طلباتك وطالما أقدر أنفذها مش هتردد لحظة.

اعترض عبدالقادر : لا اسمع الأول قبل ما تتسرع وتوافق.

ابتسم إيهاب فهو مهما يقدم شروط لن تكون ببشاعة طلب

حنين نفسه أن يظل زواجهما صوري.

بدأ عبدالقادر في سن قوانينه : أولًا ممنوع منعًا باتًا تمنع بنتي تيجي عندي، صبح ظهر فجر حتى، أي وقت تطلب تيجي عندي ممنوع تعارض .

وافق على أول شروطه وطلب التالي فأكمل عبدالقادر: بحذرك في أي وقت هحس إن بنتي مش مبسوطة هاخدها بيتي ومش من حقك تمنعني.

وافق إيهاب مجددًا بينما أضاف عبدالقادر: لو أجبرتها تعمل حاجة هي رفضاها هطلقها منك؟

ابتسم إيهاب فشروطه عبارة عن حب لابنته فقط.

في النهاية أخرج عبدالقادر ورقة : اقرأ الورقة دي كويس علشان هتمضي عليها

نظر إيهاب لتلك الورقة : دي الشروط اللي حضرتك قولتها

أكد عبدالقادر : فعلًا هي شوف لو موافق كان بها مش موافق برضه كان بها عرفني وكل واحد يروح لحاله .

أخرج إيهاب من جيبه قلمًا وأمسك الورقة ليمضي ولكن أوقفه عبدالقادر: أقرأها يا إيهاب كويس؟

عبر إيهاب : عمي أنا بحب حنين وعارف إنها كتير أوي على واحد بظروفي وزيي و موافقتها إنها تتجوزني بالرغم من اللي حصل كبرها في عيني وحطها في مكانة تانية فمهما حضرتك تطلب من مش كفاية، مش كفاية أبدًا.

مضى على تلك الورقة وبتردد أخرج عبدالقادر ورقة أخرى وضعها أمامه فسأله إيهاب : ايه دي كمان؟

زفر عبدالقادر بضيق من تصرفه ولكنه مجبر : دي زي ما أنت شايف وصل أمانة ب ٢٠٠ ألف جنيه.

استغرب إيهاب : أيوه بعرف أقرأ وشايفه إنه وصل أمانة بس ليه؟

وضح عبدالقادر: مش هكتب ولا قايمة ولا مؤخر بس هخلي وصل الأمانة ده أمانة عندي بس صدقني مش هتردد لحظة أحبسك لو أذيت ولا ضايقت بنتي زي ما حبست أمجد قبلك، هاه هتمضي ولا هتخاف على نفسك؟

٧

مرت أيام لم ترى قدرية ابنها إيهاب فهو يرسل خالد صديقه يحضر له ما يريد من بيته، تسائلت قدرية هل خسرته حقًا؟ هل ملّ من ذلك العبء الذي حمله فوق ظهره؟ هل سيتركها في آخر الطريق؟

هي تقسو عليه نعم ولكن مثلما ضحى هو هي ضحت لأجل أولادها، ضحت به نعم، قست عليه كي يقسو ويخرج من أحلامه وأمنياته، هو من أجبرها أن تكون بتلك القسوة عليه فهو حالم في دنيا وزمن لا يرحم، حبه لتلك الفتاة أكبر دليل أنها مصيبة في قرارها بالقسوة، فهو إلى الآن يؤمن بالحب وقوته، يؤمن أن الأحلام ستتحقق، يؤمن أنه إذا تزوجها سيسعدا بالحب وينعما به وسيحقق التوازن بين متطلباتها وبين متطلبات عائلته وهو مخطئ، طبعًا مخطئ فهو أبدًا لن يستطيع، ولو كان ذلك الحب حقيقيًا فستنتظره بالتأكيد، نعم ستنتظر فهي كل ما تطلبه عامًا واحدًا، فقط عامًا واحدًا وليفعل ما يريد فسيتخرج مازن وسيحل محل أخيه ويرد جميله، نعم مازن قراره صحيح، الشقة تُفتح عيادة والعيادة ستتكفل بكل المصاريف وقتها يتزوج من يريد ويفعل ما يريد، لم لا يفهمها؟ لم يصر أنها لا تحبه؟ هو ابنها وكبيرها وسندها ولكن القسوة مطلوبة أحيانا.

انتبهت من شرودها على مفتاحه في الباب وقفت تستقبله، دخل إيهاب ولأول مرة تقف لاستقباله ولكن هو لن يتقبل أي

أعذار هو لن يسامحها أبدًا على خذلانه ألقى السلام ودخل لغرفته دون أن ينطق حرفًا زيادة عن السلام.

دخلت خلفه تستحثه على الحديث معها : أخبارك ايه يا إيهاب؟

نظر إليها متعجبًا وتابع ما يفعله فهو يريد تغيير ملابسه والانتعاش قبل أن يخرج لمقابلة حنين.

أكملت هي : يا إيهاب هتقاطع أمك؟

نظر إليها بتهكم ثم جهز ملابسه للخروج بينما أضافت : أخوك عنده حق الشقة لما تتعمل عيادة العيادة تصرف على البيت وتجهز أختك ويشيل هو منك بقى، دوره يا إيهاب وانت ساعتها خلاص عيش حياتك زي ما تحب، وهي لو بتحبك زي ما بتقول هتستناك يا حبيبي ما في ناس بتتخطب سنة وإتنين وتلاته أنا كل اللي طلبته سنة واحدة بس أخوك يتخرج.

تركها بغرفته ودخل الحمام ليغسل تعب يومه وتلك الدهانات العالقة بجسده، وقف تحت المياة متعبًا ومجهدًا ويتمنى لو يرتاح من تلك الساقية التي يدور فيها دون توقف ودون هوادة، ابتسم بسخرية فأمه تعتقد أن مازن حين يتخرج سيحمل هو ذلك الحمل الثقيل ! أي عقل تفكر به؟ ألا ترى أنانيته المطلقة؟ تتهمه بالحالمية دائمًا ولكن هي الحالمة، هي تنظر أمامها ولا ترى حقيقته.

لقد قرر أن يكمل المشوار للنهاية فقط كي لا يضيع تعبه

السنين الماضية وكي لا تذهب تضحيته سدى، حنين ستكمل معه المشوار، آه يا حنين لو تكوني سندًا حقيقيًا؟ لو ينبض قلبك بحبي مثلما ينبض قلبي؟ لو تشعري بذلك الوجع الذي يغزو قلبي من حبك؟ لو تحبيني كما أنا؟

تذكر والدها وتهديده فابتسم لو يعلم والدها كم يعشق ابنته سيمزق تلك الورقة آلاف القطع الصغيرة وينثرها في الرياح فحبه أكبر ميثاق على قلبه.

لقد وقّع على تلك الورقة دون تردد فهو أبدًا لن يكون وجعًا لها وأبدًا لن يؤذيها، تمنى وقتها لو سأله عن حبس أمجد ولكن تاه السؤال مع طلبه أن تظل تلك الورقة سرًا بينهما فقط وخصوصًا حنين، لقد وافق دون تردد فحنين حلم يتمنى لو يتحقق.

أغلق المياة ولف جسده بتلك المنشفة فوجود والدته بالغرفة جعله يسرع للخروج من الغرفة ولم يحضر ما يلبسه، خرج وتوجه لغرفته مباشرةً و تفاجئ حين وجدها مازلت بانتظاره، هتفت : خارج كده ليه تاخد برد؟

تعجب من خوفها المزعوم فهي أبدًا لم تهتم بصحته يوما، هتف بضيق : نسيت هدومي ينفع تخرجي علشان أعرف ألبس؟

خرجت بسرعة و أغلقت الباب خلفها فأغلقه هو بالمفتاح وجلس على سريره مرهقًا، فرد ظهره للحظات ودون أن يدري غرق بالنوم، رن هاتفه ليستيقظ بسرعة وتفاجئ حين أدرك

نومه، رد بسرعة بصوت حاول أن يخفي فيه آثار نومه دون جدوى : أيوه يا حنين عشر دقايق وهكون عندك.

علقت باستغراب : انت نايم بجد؟ بقى أنا وخداها جري من الشغل للبيت علشان ماتأخرش عليك ورفضت آكل معاهم وفي الآخر انت نايم؟

أحس بتأنيب الضمير فبدأ يرتدي ملابسه بسرعة : آسف بجد معرفش نمت ازاي أنا يدوب أخدت شاور وقعدت على السرير نمت ازاي وإمتى والله ما أعرف اديني عشر دقائق أو ربع ساعة وبإذن الله هكون عندك.

قبل أن يغلق اوقفته : إيهاب؟

انتبه إليها: أيوه يا حنين؟

بحرج نبهته : ما تسوقش بسرعة أنا مش مستعجلة على مهلك وكويس انك ارتحت شوية.

لم يصدق ما سمعه منها، أتخاف عليه؟ أهو بداية حب؟ أم صديق تهتم لأمره؟

انتهت المكالمة وقلبه مازال ينبض بعنف لتلك العبارة البسيطة، انتبه على طرقه خفيفة على بابه ليتبعها دخول أخته فابتسم لها : تعالي يا هبه

دخلت بتردد ووقفت أمامه : أنا بس حبيت أطمن عليك، انت كويس؟

ابتسم لها فهي من تحس به في هذا البيت : اطمني أنا

كويس

امسكت ذراعه : يا ريت بإيدي حاجة كنت عملتها بس

قاطعها وهو يربت على يدها : حبيبتي يا هبه مش محتاجة تقولي أي حاجة ليا، أنا عارف قلبك الطيب.

سألته باهتمام صادق : طيب هتعمل ايه؟

ابتسم يطمئنها ورفع يده ليريها دبلته : حنين مش بتستسلم بسهولة

أمسكت يده بفرحة : الله جميلة أوي الدبلة دي يا إيهاب - نظرت لعينيه بفرحة - يارب تكونوا أجمل سند لبعض

ابتسم بحب لصغيرته : يارب يا قلبي و اوعي تصدقي إن ممكن في يوم إني اتخلى عنك أو اسيبك أنا معاكي وفي ظهرك لحد ما أموت مش زي ما أمك بتقول جوزها ومالكش دعوة، انتِ بنتي الصغيرة مش أختي.

ضمها بحب وهي تهمس فرحًا : ربنا يخليك ليا دايمًا يا إيهاب وما يحرمني منك أبدًا - ابتعدت ونظرت له - أنا قولت لأمي نفس الكلام ده على فكرة، قولتلها إنك أصيل ولا يمكن أبدًا تنسى أو تهتم بنفسك أو تبعد وتتخلى بس ربنا يسامحها بقى على تفكيرها.

تركته يكمل استعداده للخروج وهي تدعي ربها أن يجعل حبيبته عوضًا جميلًا

خرج إيهاب من غرفته وقبل أن يخرج أوقفته قدرية :

عايزة اتكلم معاك شوية.

دون أن ينظر إليها : مش وقته مستعجل.

أمسك بمقبض الباب ليفتحه ولكنها منعته و وقفت أمام الباب : وأنا بقول عايزة اتكلم معاك.

حاول فتح الباب ولكنها كانت تقف أمامه تسده تقريبًا، نفخ بضيق : يا ألله مستعجل وعايز أمشي لما أرجع نتكلم

حركت رأسها برفض : انت لازم تسمع وتفهم وتقدر

رد بصرامة : ولا عايز أسمع ولا أفهم ولا أقدر، سمعت منك كتير في السنين اللي فاتوا ايه الجديد هاه؟ مازن يشتغل ويصرف على البيت؟ موت يا حمار ابقي استني وابقي قابليني لو صرف جنيه واحد، مازن مش بيفكر غير في مازن وبس انتِ بقى رافضة تصدقي ده انتِ حرة بكرة الأيام جاية ويارب يارب أكون غلطان ويخيب ظني فيه بس لو ظني طلع صح فحضرتك خسرتي أولادك الإتنين لأن أنا مش هسامحك أبدًا على كسرتي وخذلاني بالشكل ده ولو بعد ألف سنة، هكمل معاكي المشوار لو ده اللي خايفة منه، هكمل وهصرف عليهم لحد ما يتخرجوا وهجهز هبه وهجوزها بعون الله والشقة ولعي فيها، اعمليها عيادة لمازن، خليه يتجوز فيها، اعملي ما بدالك ما هي باسمك وبتقولي بعتي غوايش وجبتي مقدمها وماله براحتك، الشقة بتاعتك مع إني سنين بسدد في تمنها بس بتاعتك عادي والأسطى طلعت قالك وصولات الأمانة قولتيله احبسه أهو عندك فما تجيش تقفي

قصادي دلوقتي وتقوليلي أي كلام لأني مش هسمع منك أي كلام افعالك واضحة وضوح الشمس.

هتفت بحدة : طلعت لا يمكن يقدم وصولات الأمانة ولا يطالبك بيها ده بيعتبرك ابنه.

ابتسم بتهكم : ده حقيقي بيعتبرني ابنه مش زيك اعتبرتيني غريب، اوعي من قدامي علشان اتأخرت على حنين.

تعجبت ورددت : حنين؟ هي..

قاطعها بسخرية: اه هي ما اتخليتش عني، هي واقفة في الشارع فـإبعدي من قدام الباب بلاش تعصبيني أكتر من كده.

شردت بندم فأبعدها إيهاب ليستطيع الخروج بسرعة، ركب دراجته النارية وتحرك بها مسرعًا ليقابلها.

اتصل بها ليخبرها بوصوله، خرجت حنين من غرفتها لتستأذن والدها : بابا إيهاب وصل أنا نازلة.

أوقفها عبدالقادر : لحظة يا حنين خدي

اقتربت منه فاعطاها مفاتيح سيارته : خدوا العربية بلاش الموتسكيل بخاف عليكي منه.

قبلت وجنته ومازحته : إيهاب هيبقى جوزي يعني الموتسيكل ده لا مفر منه يا بابا.

علق بغيظ : تبقي تركبي تاكسي مش موتسيكل هشرط عليه بكده.

ضحكت حنين : اوعى تشرط عليه شرط زي ده المهم يلا باي دلوقتي

أوقفها مجددًا : خدي فلوس معاكي

ربتت على حقيبتها : معايا يا بابا.

وقف وأخرج محفظته وأخرج منها كرت البنك : خليها معاكي لو عجبتك حاجة غالية كملي إنتي المهم تكوني مبسوطة

تنهدت حنين : تقدر تقولي هتفرق إيه الأوضة لو ب ٢٠ ألف أو ١٠٠ الف؟ مش كلها أوضة؟ المهم الأشخاص يا بابا مش الخشب، الخشب مش بيسعد والدهب مش بيسعد السعادة بتيجي من حاجات تانية مختلفة تمامًا.

ربت والدها على شعرها بحب : أنا عارف الكلام ده كويس بس ما يمنعش إن لو عجبتك حاجة هاتيها اتفضلي.

أخذتها ارضاءً له ونزلت لإيهاب الذي وجدته يجلس على دراجته بانتظارها وحين رآها علق بسخرية : اتأخرت ونايم وما كلتش ولطعاني ساعة؟

ضحكت واقتربت منه : بابا عطلني وهو بيديني الوصايا العشرة.

ابتسم و قفز من فوق دراجته ليقف أمامها فيخطف أنفاسها

بطوله و وسامته : وايه هي الوصايا العشرة؟

عقدت حاجبيها بتفكير: ما نتأخرش

ابتسم : واحد غيره

ابتسمت وفكرت في وصية أخري : تخلي بالك مني

أشار الي عينيه : في عنيا اللي بعده؟

فكرت : امممم

هنا ضحك هو : انتِ بتفكري وتألفي ولا أبوكي وصاكي فعلًا؟

مطت شفتيها بمزاح : أبويا بيثق فيك أنا بألف طبعًا.

لاحظت حنين أن ابتسامته تزيده وسامة وجاذبية،

انتبهت له يسألها : ماشي ألفي براحتك ايه تاني؟

عبثت في شعرها بتفكير : توريني الكشكول الخاص اللي بترسم فيه وقفلته يومها بسرعة.

رفع حاجبه باستغراب : على فكرة انتِ المفروض بتقولي وصايا باباكي ايه علاقة رسوماتي بقى؟

علقت بمزاح : دي إضافة مني ماهو أنا وأبويا واحد

تقبل مزاحها : ماشي يا ستي غيره قولي ايه تاني؟

تكلمت بجدية : تبتسم كتير علشان شكلك بيختلف تمامًا وانت مبتسم، فابتسم كتير.

اختفت ابتسامته العابثة فهي لثاني مرة هذا اليوم تلقي بجملة تشعل تلك النيران وتغذي ذلك الأمل بالحب.

لاحظت حنين نظراته فارتبكت لأقصى درجة، تذكرت مفاتيح سيارة والدها فأخرجتها أمامه : بابا اداني دول قالي نخرج بيها ايه رأيك؟ - نظرت للدراجة خلفه- مع إني كنت عايزة أخرج معاك بالموتسيكل.

سألها باهتمام : باباكي مش عايزنا نخرج بالموتسيكل يعني؟

أجابته: بيخاف علينا

علق باستنكار : انتِ هتبقي مراتي؟

ضحكت : ودي كانت نفس إجابتي له

باهتمام : ورد بايه؟

تذكرت رد والدها ولكن ابتسمت : هرب من الإجابة هاه قرر هنخرج بايه؟

رفع كتفيه بحيرة : اللي يريحك انتِ

فكرت لحظات : خلينا نسمع كلام بابا بلاش نضايقه من أول خروجه تمام؟

وافقها وتحركا سويًا ناحية سيارته، قابلتهما حور فوقفت أمامها : ازيك يا إيهاب؟

ابتسم مجاملة : أهلًا يا دكتورة.

سألت أختها : رايحين فين كده؟

- هنجيب أوضة النوم أو هنتفرج يارب نلاقي حاجة كويسة، تيجي معانا؟

علقت بمزاح : لا يا أختي أحسن إيهاب يضربني بصي باصص بعيد ازاي؟

انتبه لهما وعلق بدفاع : لا طبعًا أنا بس علشان تاخدوا راحتكم لكن هضربك ليه؟ اتفضلي معانا

فكرت لحظات قبل أن ترفض : لا دي أول مرة تخرجوا لوحدكم بلاش أبقى عزول.

حنين : عزول ايه بس تعالي عادي يا بنتي

أضاف إيهاب : تعالي وأهو أختك تاخد رأيك معاها وبعدين احنا خارجين بعربية والدك فتعالي.

وافقت حور فهي بحاجة كي ترى إيهاب عن قرب مع أختها فهي الى الآن تلوم نفسها أنها لم تكن أقوى ولم تنقذ أختها من أمجد فلقد عرفت حقيقته منذ البداية.

اتصلت بوالدها وأخبرته أنها ستخرج مع حنين فوافقها فورًا.

تحرك إيهاب للمكان الذي اختارته حنين، اقترحت : خلينا نركن العربية وننزل نتمشى المكان ده كله محلات عفش.

تحركوا من محل لآخر دون أن يعجبهم أو يشدهم شيئًا ما

راقبت حور إيهاب كالصقر ولاحظ هو مراقبتها له فهي تدرسه نعم هي تعد حتى أنفاسه.

أشارت حنين : في WC ادوني لحظة

إيهاب بابتسامة : خدي راحتك

نظرت لأختها : لا روحي انتَ أنا هستنى مع إيهاب.

تركتهما واستغربت تصرف حور، بعد أن اختفت التفتت إليه فابتسم متسائلاً : عايزة تقولي ايه يا دكتورة؟

إذن فهو لاحظ نظراتها وتفحصها، اقتربت منه وقفت أمامه : عيني عليك وهعد عليك أنفاسك

رد بكل هدوء : وبعدين؟ متخيلة ايه ولا عايزة توصلي لايه؟

رفعت يدها في وجهه تشيح بها : في حاجة غريبة بينكم مش عارفة ايه هي؟ حنين كانت رافضة تمامًا فكرة الجواز و الارتباط وفجأة من غير أي مقدمات موافقة تتجوزك؟ وقصة الحب ما بتاكلش معايا فحبيت أقولك إن عيني عليك

ابتسم بهدوء : تمام معنديش أي مشكلة خلي عينك عليا بس حابب أقولك حاجة صغيرة جدًا معرفش اخدتي بالك منها ولا لأ؟

سألته بفضول : حاجة ايه؟

نظر لعينيها وبصدق : أنا بعشق حنين مش بحبها.

ضحكت بسخرية وعلقت : أمجد برضه كان ومازال بيعشق حنين بس كان أسوأ حاجة حصلت في حياتنا كلنا مش هي بس فزي ما قولتلك قصة الحب ما بتاكلش معايا.

تراجع للخلف ورفع يديه : كلكم اعتبرتوني متهم تمام ومع إن المتهم بريء حتى تثبت إدانته بس انتو اعتبرتوني متهم لحد ما أثبت برائتي أو نقول حُسن نيتي.

ابتسمت بتأكيد : بالظبط كده انت في عنينا متهم لحد ما تقدملنا ما يثبت حسن السير والسلوك.

ابتعدت عنه بينما تنهد هو فالكل يؤكد ذلك العشق الغريب بينها وبين زوجها السابق فلم الإنفصال إذن؟ ما الخطأ الذي ارتكبه أمجد ليكرهه الكل ويتسبب في سجنه؟ ما خطؤه الذي يدفع هو ثمنه الآن؟ وإذا كان شخصا سيئا فلم تصر حنين على حفظ ذكراه وترفض رجلًا آخر غيره يدخل حياتها؟ لم تصون نفسها وتغلق باب الحياة في وجه الجميع؟ أمازالت تعشقه؟

خرجت حنين لتلاحظ تباعدهما، اقتربت من إيهاب : في حاجة؟

نفى برأسه وأشار لمحل أمامه : تعالي ندخل ده شكله عنده حاجات كويسة.

استقبلهم شاب معسول اللسان كثير الكلام يشكر في كل غرفة أمامه ويوجه كلامه لحنين فهو يعلم جيدًا أن الرأي في النهاية للمرأة.

تضايقت حنين وتوترت فلو أمجد هنا لأتهمها هي بأنها هي من سمحت لذلك الشاب بمعاكستها، اقتربت من إيهاب وأمسكت يده، استغرب تصرفها ولكن ضم يدها بيده وهمس لها : في حاجة عجباكي؟

حركت رأسها تنفي وأشارت لغرفة أخرى : دي شكلها كويس عاجبني إن دولابها كبير.

سمعها الشاب ليعلق : اختيارك في الجون فعلًا دي أوضة قمر أصلًا زي عروستنا الجميلة ولحسن حظكم عليها عرض كويس جدًا سعرها قبل العرض كان ٤٠ ألف ودلوقتي نازل ل ٢٥ ألف مفيش عرض زي ده ومش هيتكرر

تدخلت حور : ليه نازلة للسعر ده؟ عيبها ايه؟

ابتسم الشاب : مفيهاش عيوب هي بس آخر أوضة من مصنع كنا بنتعامل معاه وغيرناه فصاحب المحل عمل عرض عليها علشان تفضي مكان مش أكتر.

سألتها حنين : رأيك يا حور؟

علقت بحيرة : هي حلوة بس المهم انتو يا حنين؟ انتو اللي هتتجوزوا فيها مش أنا؟

حنين بحيرة : مش عارفة، إيهاب ايه؟ طيب هي خشبها ايه؟ كويس؟

تدخل الشاب مجددًا : طبعًا خشب أصلي احكمي بنفسك شوفي المتانة؟ حضرتك اطلعي على الخشب برجليكي

واتأكدي إنه متين.

تحرك حولهم يريهم مدى صلابة الخشب وإيهاب همس لحنين : خشبها كويس يا حنين

فتحت حنين كل الأدراج هي وإيهاب ودفعت حنين باب الدولاب الجرار ولكن دفعتها كانت قوية دون قصد فاعتذرت للبائع : سوري مكنتش أقصد

قبل أن يجيبها علق إيهاب : لو هيتكسر من فتحة زي دي يبقى الخشب أي كلام

أكد الشاب : طبعًا اخبطي براحتك يا عروستنا - نظر لحور - ما تقولي حاجة يا حور؟

اقترب إيهاب منه وبهدوء و ابتسم :اسمها دكتورة مش حور ياريت حضرتك ما ترفعش الألقاب لأن دمك مش خفيف واستظرافك أوفر.

تراجع الشاب : سوري يا فندم أنا بس بحاول ألطف الجو مش أكتر.

تراجعت حنين ودون قصد و أمسكت يد حور بقوة فلقد رأت ذلك المشهد آلاف المرات مع فارق أن أمجد كان يخرج غضبه عليها هي.

انتبهت حور وفهمت تمامًا سر توتر أختها فضغطت على يدها تطمئنها أنها لن تتركها أبدًا.

سمعت الشاب يعتذر لإيهاب مجددًا قبل أن يلتفت إيهاب

إليهما ولاحظ يديهما المتشابكة وربما أحس بـبعض الرعب في عيون حنين استغرب مصدره.

اقترب منهما : هاه عجبتكم الأوضة ولا نكمل نشوف غيرها ولا ايه؟

توترت حنين : نشوف غيرها اتقفلت منها.

همت بالخروج من المحل ليمسك إيهاب يدها ويوقفها فدفعت يده بعنف وتلاقت نظراتهما، استغرب إيهاب تصرفها للغاية : في ايه مالك؟

علقت بغضب : مفيش تعبت وعايزة أمشي ينفع نمشي وبكرة نبقى ننزل تاني؟

أصر إيهاب : طيب هنمشي بس لو الأوضة عجباكي خلينا نخلص فيها أو نتفق عليها أو حتى ندفع عربون لها؟

تدخلت حور بدفاع : قالتلك تعبانة وقدر إنها صاحية من الساعة ٧ الصبح وفي شغلها وشوف دلوقتي الساعة كام؟

نظر لكليهما بدهشة فهناك ما أغضبهما ولكن ماهو؟

تراجع خطوة للخلف وأشار بيده : اتفضلوا براحتكم.

قبل أن يخرج إيهاب من المحل أوقفه رجل آخر كبير في السن وعرف نفسه أنه صاحب المحل واعتذر عن سوء تصرف ذلك الشاب الذي اختفى من أمامهم : لو عايز الأوضة التوصيل والتركيب مجاني وفي إمكانية تقسيط لو حضرتك عميل لبنك مصر، عاملين عرض بدون مقدم بدون فوايد.

انتبهت حنين وعلقت : ايه شروط التقسيط لو سمحت؟

اجابها بسرعة : ولا أي شروط مش محتاجين غير فيزا المشتريات فقط تقسطي من خلالها.

همس إيهاب لها : مش محتاجين نقسط يا حنين

نظرت له باهتمام : ليه لأ؟ طالما زيرو فوايد وزيرو مقدم فليه لأ؟

أجابها بهدوء : علشان الحمد لله فلوسها موجودة وعلشان مبحبش الديون والأهم من دا كله إنه قالك فيزا مشتريات ومش معايا غير فيزا البنك العادية.

نظرت حنين للرجل : ممكن تعذرنا دقيقتين؟

انسحب الرجل بسرعة : طبعًا براحتكم أنا على المكتب.

راقباه إلى أن أبتعد بينما اخرجت حنين كرت البنك لوالدها : معايا فيزا مشتريات.

مط إيهاب شفتيه بامتعاض واضح وتنهد بارهاق : مش كنتي تعبانة وعايزة تروحي؟ يلا هروحك

عقدت حاجبيها بضيق : هو ايه هو ده؟

لم يعد يفهمها فضرب كفًا بكف : من لحظة كنتي تعبانة وعايزة تروحي وأختك بتقولي قدر وحس ودلوقتي عايزة تقفي تكملي في الأوضة فانتِ اللي في ايه؟

وضعت يديها في خصرها باعتراض : الراجل بيقولك في

تقسيط بدون فوايد وبدون مقدم وده عرض رائع ما يتفوتش أصلًا وقليل اللي بيعمله فنستفاد بالعرض.

زفر بضيق : انتِ اخدتي بالك من قصة فيزا المشتريات ولا عملتي مش واخدة بالك؟

وضحت باصرار وهي ترفع الكارت في وجهه : اتفضل الفيزا أهي

دخلت حور بينهما : هتروحوا ولا هتفضلوا؟ أنا تعبت بجد

رد الإثنان مع بعضهما ولكن بإجابات مختلفة

إيهاب : هنروح

حنين : مش هنروح

تنهدت حور ونظرت لكليهما بحيرة وجلست على السرير خلفها : هنتظركم تخلصوا خناق

علق إيهاب وهو ينظر لحور : إحنا مش بنتخانق انتو تعبانين ومحتاجين ترتاحوا نيجي بكرة الدنيا مش هتطير.

علقت حنين وهي تنظر لأختها بدورها : بس العرض كويس والأوضة سعرها تحفة فليه ما نخلصش فيها؟

نظر إيهاب لحنين باستغراب فهو لم يعد يفهمها مطلقًا : طيب يا حنين فهميني ايه اللي حصل من شوية ده؟

استغربت سؤاله : ايه اللي حصل؟

وضح لها : في حاجة حصلت ضايقتك قولتي عايزة أروح

- أشار لحور - وخط الدفاع أكد كلامك وقالي أقدر بعدها بمسك إيدك شديتيها بعنف بعدها بتقفي عايزة تشتري الأوضة في حاجة مش فاهمها في النص؟

نظرت حور لأختها في انتظار إجابتها بينما فكرت حنين وهي تطأطأ رأسها ثم رفعتها ونظرت له : مبحبش الخناق وافتكرتك هتتخانق مع الواد الظريف ده فاتوترت فقولت نمشي بس بعدها لما جه صاحب المحل وشكله ذوق قولت ما اضيعش الأوضة مننا.

لم يقتنع إيهاب تمام الاقتناع فتسائل بحيرة : ولنفترض إني اتخانقت معاه مع إن ده مش طبعي بس لنفترض فيها ايه؟ واحد فاكر نفسه ظريف وبيهزر بطريقة سمجة ليه اتحمله؟

أجابت حنين : محدش قال تتحمله بس ده ما يمنعش إني مش بحب الخناق.

تنهد باستسلام : ماشي مش بتحبي الخناق فهمت خلاص، هنمشي ولا هنكمل اختيار؟

رفعت الفيزا في وجهه : ينفع نخلص في دي؟

أبعدها عن وجهه : حاضر هخلص فيها بس مش بدي

أمسكت ذراعه :انت ايه مشكلتك فيها؟

حاول أن يتكلم بهدوء كي لا يخيفها مجددًا : مش هدفع تمن الأوضة بالفيزا بتاعتك دي مشكلتي

عدلت هي : دي فيزا بتاعت بابا

ضحك بتهكم : كمان بتاعت بابا؟ بالله عليكي يا حنين

أصرت بغضب : إيهاب لو سمحت

وقف أمامها : نعم مش هستخدم الفيزا الموضوع منتهي بالنسبة لي الأوضة عجباكي هخلص فيها مش عجباكي هشوف غيرها.

تحرك خطوة ولكن وقفت مكانها ثم أخرجت هاتفها واتصلت بوالدها ليغمض إيهاب عينيه بضيق ثم ينظر إليها يسمعها تحكي لوالدها وقد فتحت مكبر الصوت : بابا في أوضة عجبتني سعرها حلو جدًا وعليها عرض تقسيط بدون فايدة وبدون مقدم بس شرط فيزا المشتريات

علق والدها : طيب يا حنين يا حبيبتي معاكي الفيزا استعمليها

ردت بامتعاض: إيهاب رافض يا بابا مش راضي، مصر يدفع كاش، بقوله نستعملها ويدفع القسط عادي بس رافض

عبدالقادر : طيب اديني إيهاب يا حنون

ردت : سامعك يا بابا الإسبيكر مفتوح

تكلم عبدالقادر: إيهاب

رد بسرعة وبضيق : اتفضل يا عمي سامع حضرتك

عبدالقادر : إيهاب أنا بديك بنتي تعيش معاك في بيتك

فالفيزا ولا حاجة مقارنة بيها

قاطعه إيهاب باستغراب : أنا عارف الكلام ده يا عمي

أكمل عبدالقادر : طيب ايه بقى؟ ما تستفاد بالعرض عاملين مشكلة ليه؟

شرح إيهاب وهو يتجنب النظر لحنين فهو غاضب منها للغاية : معايا فلوس الأوضة ليه أشبك نفسي بقسط سنة أو سنتين قدام؟ أنا ظروفي في إيدي النهاردة لكن بكرة معرفش غير كده القسط هيتدفع من خلال الفيزا يعني حضرتك اللي هتدفعه ودي أوضة نومي أنا مش حضرتك

سمع عبدالقادر باهتمام وبعد أن سكت علق هو : طيب ليك عليا يا سيدي يوم ١ في الشهر ولا اقولك يوم ٢٧ علشان ده ميعاد تسديد الفيزا هاخد منك القسط بس ما تعملش فرق وتاخد الأمور بحزازية

اعترض إيهاب : يا عمي إذا سمحت

قاطعه مجددًا : إيهاب لو سمحت انت، خروج بنتي معاك تشتري أوضة نوم تتجوز فيها ما تتخيلش فرحتي بحاجة زي دي قد ايه؟ فكرة الجواز في حد ذاته فرحتني فوق ما تتخيل، فرحتها وهي نازلة معاك أو وهي بتكلمني علشان عجباها أوضة أو أو أو كل الحاجات دي أنا مفتقدها ولو أعرف إن حور هتيجي معاكم من بدري كنت جيت أنا كمان بس قولت مخطوبين وحابين ينزلوا لوحدهم خليهم براحتهم فأرجوك خليها فرحانة وما تضايقهاش بأمور والله بسيطة

ومش محتاجة الحزازية دي كلها إذا سمحت خد الفيزا وادفع بيها وادفع القسط كل شهر ما تكسرش كلامي لو سمحت.

استسلم إيهاب أمامه : حاضر يا عمي مش هكسر كلامك

أنهى المكالمة وبدون أن ينظر لها : خلاص عجباكي الأوضة؟

ابتسمت لكن اختفت ابتسامتها فهو لم ينظر لها : اه عجباني خلاص

أخذ من يدها الكرت وتوجه لينهي إجراءاتها، اتفق أن يستلم الغرفة خلال أسبوع.

جلست حنين بجانب حور أختها : تفتكري زعل مني؟

رفعت حور حاجبها باستغراب ثم علقت : ويزعل مش نهاية الكون، عجبتيني انك اصريتي ومشيتي كلامك وعجبتيني انك دخلتي بابا خليه يعرف من أولها إنها مش سايبة ويعمل حساب لزعلك ويعرف إن وراكي رجالة - مازحتها - أخدتي بالك لما قال عليا خط الدفاع بتاعك؟

أومأت حنين برأسها ولكن شردت تماماً فهي تعلم انه غاضب للغاية من تصرفها فهل هي تمادت؟ كل من حولها سيأيدونها مخافة تجربتها السابقة.

انتهى إيهاب وأشار لهما وتحركا خارج المحل بينما نادته حنين : إيهاب؟

نظر إليها دون أن ينطق حرفًا فاقتربت منه بينما ابتعدت

حور قليلًا كي تسمح لهما بالتحدث بحرية، سألته : انت زعلان؟

نظر إليها بتهكم : لا مبسوط جدًا مبروك عليكي الأوضة مش عجباكي؟ وانتِ مبسوطة؟ مفيش حاجة تانية تهم، يلا علشان اروحكم عندي شغل بدري.

مشى أمامها بخطوات واسعة ولكنه انتبه أنها تمشي ببطء شديد فوقف ينتظرها وتلفت حوله لمح ماكينة للصرافة فأشار لها : هسبقكم علشان أسحب فلوس حصلوني.

تحرك ليسحب مبلغ من حسابه ثم وقف في انتظارهما.

علقت حور : بلاش تحني هاه، خليه هو يصالحك

نظرت إليها بتعجب : أنا اللي ضايقته هو يصالحني ازاي؟

ردت بتهكم : عادي يصالحك علشان اتضايقتي إنه اتضايق استعبطي يا حنين ما بتعرفيش تستعبطي؟

استقروا في السيارة وتحرك إيهاب بصمت إلى أن هتفت حنين : أقف هنا لو سمحت يا إيهاب.

أبطأ سرعته : في ايه هنا؟

أصرت : أوقف بس.

أوقف سيارته على جانب الطريق ونظر إليها بتعجب : وقفت خير؟

اشارت إلى مطعم صغير خلفها : جعانة وقولتلك ما

تغديتش والمكان ده بيعمل ساندوتشات حلوة، عرفاه يا حور؟

علقت حور بتهكم : انتو كنتو ما بتاكلوش غير فيه أيام الجامعة.

أطفأ محرك السيارة : يلا طيب ولا أجيب ساندوتشات هنا ولا ايه؟

فتحت حنين باب السيارة : لا ناكل جوه عنده قعدة صغننة وظريفة.

نزل ثلاثتهم وأوقفتهم حور : حنين في مكتبة هنا محتاجة منها كتاب اطلبيلي معاكِ فاهيتا واحد بس علشان أكلت في الصيدلية.

لم تنتظر رد وذهبت في طريقها بينما علق إيهاب : مش كنا روحنا معاها؟

نفت بسرعة : لا هي بتتعامل عادي والمكان هنا أمان وعارفينه كويس يلا احنا نطلب عقبال ما تيجي.

فكرت حنين لعدة لحظات أن تصرف نظر عن الدخول فكل عمال المطعم يعرفونها ولربما يتضايق إيهاب، أمجد بالتأكيد سيقتلها ولكن إيهاب؟

ستخوض التجربة للنهاية فهي لن تكرر أخطائها مجددًا، دخلت برفقته وضعت ذراعها في ذراعه كأي خطيبين، رآها الشخص الذي يقف على ساندوتشات الشاورمة فهتف

بترحيب : أستااااذة فينك ايه الغيبة الطويلة دي؟

ابتسمت بمجاملة: اشتغلت بقى والدنيا اخدتني.

رحب بها معظم العاملون وعرفتهم على إيهاب خطيبها توجهت لطاولتها المعتادة وجلسا بهدوء قطعه إيهاب : شكلك كنتي بتيجي كتير هنا؟

ابتسمت للذكرى: اه أنا وهايدي وساعات معتز وحور.

سأل بفضول : معتز؟

زاد نبضها فها قد بدأت الغيرة : أخو هايدي الصغير.

أومأ برأسه بتفهم بينما أضافت هي : هو مش صغير أوي بس أصغر مننا يعني و زي أخويا

لاحظ ارتباكها واهتمامها بالتفسير فعلق : أنا ما سألتكيش عن تفاصيل واكتفيت بأخو هايدي الصغير.

استغربت وسألته : ليه اكتفيت؟ مش بتغير مثلًا؟

زاد استغرابه للغاية : لو هغير فمش هغير من واحد أصغر منك وأخو صاحبتك الأنتيم، أنا شوفت هايدي وعرفت إنها صحبتك من وانتو عيال صغيرين وأصحاب لدرجة ممكن تباتي عندها وهي تبات عندك والكل بيعتبركم إخوات بدليل والدك أول ما فكر كان في هايدي إنها تساعده فده معناه إن معتز أخوها الصغير هو أخوكي الصغير كمان فمش ده الشخص اللي هغير منه.

سألته بفضول أكبر : طيب الشاب الملزق اللي كان في المحل اللي اتخانقت معاه؟ ده تغير منه؟

نظر إليها مطولًا فما قصتها مع الغيرة؟، حاول تبسيط الأمور لها : هو انتِ شيفاني مجنون مثلًا هغير من واحد عشوائي في محل؟ ماهو لو هغير من كل حد حواليا لدرجة اتخانق معاه يبقى كده أنا مجنون ومش طبيعي فهل انتِ شيفاني مجنون؟

علقت باستغراب : انت اتخانقت معاه؟

وضح : اتخانقت لأنه كان بيستظرف وعلشان يقف عند حده ، الغيرة حاجة تانية مختلفة تمامًا.

تحركت من مكانها وجلست بجواره : انت مش شخص غيور؟ عقلاني؟ ده اللي عايز تقوله؟

نفى بهدوء : أنا مش عقلاني لا وأكيد بغير، بس الغيرة يا حنين أولًا بتكون للحبيبة والغيرة بتيجي لما الحبيب يبص لحد أو يتكلم بإعجاب عن حد مش العكس، فالغيرة إحساس لذيذ بين الحبيبين لكن لو اتحولت لشك فده قاتل بيقتل الحب مهما كان كبير بيدمره.

حركت رأسها بحيرة فهي لم تعد تفهم شيئًا عن الحب أو هي لم تعد تؤمن بالحب ولكن أوقفتها كلمته الغيرة للحبيب فهل هي مجرد صديقة؟ ليست حبيبته؟ ألم يخبرها أنها حبيبته؟ لا لم يخبرها أبدًا بذلك.

أتى الجرسون ليرحب بهما ويأخذ طلباتهما، علقت حنين : انت زعلت مني من موضوع الفيزا؟

نظر إليها بعتاب : انتِ شايفة ايه؟

علقت بخجل وهي تنظر للأرض : زعلت - نظرت له - بس ليه زعلت؟ ايه الفرق انك تدفع تمنها دلوقتي أو تدفعه بالتقسيط؟

شرح بهدوء : الفرق انك بتحطيني في وضع محرج يا حنين، وبتجبريني على حاجة مضيقاني، ومش بس كده انتِ دخلتي باباكي علشان يحرجني فأوافق.

همست بخجل : أنا كل اللي فكرت فيه إني أوفرلك وتدفع تمنها على مهلك، إيهاب ما تنساش لو سمحت إن اللي بينا اتفاق مش

قاطعها بتهكم موجوع : مش جواز طبيعي، انتِ مش بتديني فرصة أنسى.

أحست بوجعه وتسائلت للمرة الألف هل يحبها؟ : طيب ماما وأخدت الفيزا بتاعتي مني يعني أول شروط الإتفاق باظت فسيبني أساعد بالطريقة اللي أقدر عليها.

عارضها : شروط الإتفاق كلها باظت يا حنين، لأن من ضمن شروط الإتفاق إن يكون في شقة تعيشي فيها الشقة اتحولت لأوضة وأنا لحد دلوقتي مش عارف ازاي وافقتي ولا ازاي وافقتك نعيش فيها؟ فبدال ما كنت هفرش شقة كاملة

تحولت لأوضة واحدة فسيبيني على الأقل أدفع تمنها، ليه تحطيني في وضع زي ده؟ متخيلة والدتك هتقول ايه أول ما تعرف؟ هسيبلك أنا تخيل رد فعلها بما انك بتتجوزيني هربًا منها.

عقدت حاجبيها بضيق من نفسها فهي بالفعل لم تفكر أبدًا في والدتها ورد فعلها، علقت بضيق : أنا آسفة بجد نسيت ماما تمامًا ورد فعلها.

طأطأت رأسها اعترافا بذنبها فاقترب منها لمس ذقنها ليرفع وجهها وهمس بحب واضح : عارف انك نسيتي مامتك بس لو سمحتي بلاش تحطيني في وضع زي ده تاني، خلينا نتكلم يا حنين ونوصل مع بعض لحل يرضينا احنا الإتنين، لا تيجي عليا ولا آجي عليكي - نظر لدبلته في يده - خلينا نكون سند جميل لبعض.

أومأت موافقة وسألته بهمس : حقك عليا بس ما تزعلش مني ممكن؟ أول غلطة من النوع ده وبإذن الله مش هتتكرر تاني بس ما أوعدكش إنها هتكون آخر غلطة.

ابتسم وهمس بدوره : الحياة عايشينها علشان نغلط ونتعلم من غلطنا اغلطي براحتك.

سألته بهمس : زعلان لسه؟

ابتسم بفضول : هتصالحيني يعني؟

عقدت حاجبيها بتفكير : أفكر، قول ازاي وأقرر بناءً على

طلبك؟

حك ذقنه بتفكير فعلقت : كل ده تفكير؟ غيرت رأيي خلاص مش هصالح.

ضحكا سويًا قبل أن يطلب هو : عرفت تصالحيني ازاي؟

رفعت كتفيها بدلال : خلاص مش هصالح رجعت في كلامي بعدين غلطي صغنن

علق برفض : لا مش صغنن أول ما ترجعي وتشوفي مامتك وتسمعيها هتعرفي انه مش صغنن فانتِ مديونة لي

سندت على يدها : اتفضل قول طيب هتدايني بايه بس حاجة مقدور عليها - أضافت فجأة - ضمن شروطنا

استغرب إضافتها وهي أيضًا فلم أضافت تلك الجملة؟ هل تخشى منه أن يخل بشروط الإتفاق؟ أم هي تطلب منه أن يخل بشروط الإتفاق؟

أومأ بتأكيد : أكيد طبعًا ضمن الشروط.

أشارت : طيب اتفضل كلي أذان صاغية.

اقترب يهمس : ارسمك.

تعجبت من طلبه للغاية بينما تجرأ هو ليمد يده يلمس وجهها الناعم ويحركها بطول وجهها وهو يهمس ويلعب بأوتار قلبها : تسمحيلي ارسمك يا حنين.

داعب شفتيها بيده وهو ينظر لها باشتياق واضح للأعمي

ثم نظر لعينيها وهو يبعد يده عن وجهها : موافقة؟

نظرت لعينيه ولم يخطر في بالها إلا فيلم تايتنك حين رسم البطل حبيبته فهل هذا ما يقصده هو؟ أن يرسمها بتلك الطريقة؟ وتلك الوضعية؟

ابتلعت لعابها بتوتر : ترسمني ازاي؟ قصدك ايه؟

ابتسم لتوترها وأجابها بغموض : زي ما أي حد بيرسم حد قدامه بالوضعية اللي شايفها صح وبتبرز جماله، سيبي الموضوع ده لوقتها.

ابتعدت تحاول الخروج من تلك الهالة : موافقة هسمحلك ترسمني بس الاول هترسملي ايه في أوضة نومي؟

ابتسم وتراجع في كرسيه : عايزة ايه طيب ؟

أجابت بتمهل وهي تخرج هاتفها تبحث عن صورة ما : بص بما إننا هنوهم الكل بقصة الحب الأفلاطوني بينا فلازم نختار صورة رومانسية جدًا.

وافقها : تمام نرسم صورة رومانسية

عرضت عليه عدة صور، اولها صوره مشوشة لحبيبن يقبّلان بعضهما ومرسوم فراشة كبيرة فوق شفاهما ولكن الصورة مجرد هيكل لا أشخاص واضحين فرفضها

حنين : ليه؟

إيهاب : علشان الشوشرة دي هتخليها تطلع مجرد

شخبطة دي صورة يا حنين وعليها مؤثرات مش رسم زي الفوتوشوب

عرضت غيرها لقلب مرسوم بكل الألوان وبالوسط حبيبان يضمان بعضهما بطريقة غريبة فرفضها وحين نظرت له علق هو : بذمتك ايه الحلو فيها؟ ألوان الطيف اللي في القلب ولا اللي زي التعبانين لافين على بعض زي اللي أختك طلبتهم؟ ايه حكايتكم مع الثعابين؟

عقدت حاجبيها وعلقت : تعابين ايه؟ أووف الصورة كانت عجباني مبقتش شيفاها غير تعابين دلوقتي

ضحك : علشان اللي راسمهم عاملهم رفيعين جدًا ولافهم حوالين بعض غيره؟

حركت الصورة لتظهر أخرى ولكن أبعدتها حنين بسرعة ولكن أعادها هو ليراها فلقد لفتت انتباهه للغاية فهي تشع بالحب، فهي لحبيبان عاريان يظهر نصفهما العلوي فقط و يضمان بعضهما بحب، الفتاة مرسومة بظهرها وحبيبها أمامها يدفن وجهه في كتفها ويلف ذراعيه يضمانها بقوة ويلتفان حولها على ظهرها، ذلك الحضن هو أقصى ما يتمناه حبيبين.

نظرت حنين لإيهاب ولكنه أبعد الصورة وهمس : ودي ما تنفعش تترسم على حيطة.

سألته بخجل وبصوت يكاد يسمعه : تترسم فين؟

أجابها : في الكشكول اللي عايزة تشوفيه.

رفعت عينيها له بحماس : هتخليني أشوفه؟

مط شفاهه بحيرة : يمكن؟ مش عارف.

عرضت صورة أخيرة لحبيبان ينظران لبعضهما بحب كأنهما يرقصان هو يمسك خصرها بيديه وهي تضع كلتا يديها على صدره و ترفع قدمها قليلًا بدلال وتستند عليه وحولهما قلبًا أحمر يلفهما سويًا، أعجبته الصورة : دي ممكن حلوة

سألته بحيرة : ينفع اسألك سؤال تجاوبني عليه بصراحة؟ -وافقها بإيماءة- البنت اللي رسمتها في أوضتي دي أنا صح؟

أجابها بتردد : اه انتِ

همست : ليه رسمتني؟

نظر لعينيها : علشان انتِ

قاطعه وصول حور : لسه الأكل مجاش كل ده؟ ابتعدا عن بعضهما البعض وعرضت حور ما اشترته من كتب طبية عليهما.

انتهى العشاء و وصلوا أمام البيت وقبل أن تصعد حنين أوقفها إيهاب فسبقتها حور بينما نظرت حنين له : خير؟

أخرج من جيبه مبلغ من المال وضعه بيدها فسألت بحيرة : ايه ده؟

أجابها بهدوء: تمن الأوضة معاكي، أنا عملت التقسيط لمدة سنة انتِ مسؤولة تدي باباكي كل شهر ألفين أو تديهمله مرة

واحدة براحتك.

اعترضت : يا إيهاب

قاطعها برجاء : معلش ريحيني أنا ما رضيتش أكسر كلام والدك بس كده أفضل صدقيني وخصوصًا أول ما والدتك تتكلم طلعي الفلوس خليها تسكت، يلا اطلعي تصبحي على خير.

تركته ودخلت بيتها لتجد والدتها بانتظارها فدخلت لوالدها مباشرة بينما تبعتها صابرين : اشتريتوا الأوضة؟

أجابت باقتضاب : اه - نظرت لوالدها - تحفة يا بابا هتعجبك أول ما تشوفها و

قاطعتها صابرين : بالقسط ولا كاش؟

عقدت حاجبيها بضيق ثم أجابت : بالقسط زي ما اصريت أنا وبابا

عبدالقادر : أهم حاجة إنها عجبتك دي أكتر حاجة تهمني

حنين بفرحة : أه جميلة جدًا كمان وعرضها تحفة

صفقت صابرين : برافو عليكم انتو الأتنين، عرض حلو على الأوضة وقسط كمان في دلع أكتر من كده؟ يعني مش كفاية مفيش شقة ولا عفش ولا فرش لا ده حتى الأوضة اليتيمة بالقسط وأبوها يدفع القسط في جوازة أرخص من كده؟

علقت حنين : إيهاب مكنش موافق على فكرة واحنا الي

اصرينا عليه.

سخرت منها : ياه بجد؟ شوف ازاي؟ قال مكنش موافق؟ ليه هو في أرخص من كده؟ ده مصدق لقاكم انتِ وأبوكِ ناس سهلة قال خليني أتجوز جوازة ببلاش، وانتو بتصدقوه وخلاص، مرة يجي يعيط أمه أخدت الشقة وبنتي الهبلة تصدق، يقول نتجوز في أوضة في شقة عيلته أبوها يوافق، يشتري أوضة نوم بالقسط وبفيزة أبوها كمان؟ هو ايه ده؟ انتِ يا بت بتعملي في نفسك كده ليه؟ رخيصة كده ليه؟

وقف عبدالقادر بغضب : بطلي بقى انتِ لازم تسممي الكل بكلامك ده؟

صرخت بوجهه : وانت مش قايم بدورك كأب وبتبيع بنتك بالرخيص أوي

هدر بوجهها : اخرسي يا صابرين واقصري الشر أنا عمري ما بيعت بنتي ولا كنوز الدنيا كلها تهمني قصاد ظفرها حتى.

علقت بسخرية : وعلشان بنتك غالية أوي عليك بتديها لواحد الله اعلم أصله ايه وفصله ايه بس بترميهاله ببلاش وكل ما يقولك حاجة تصدقه.

أغمضت حنين عينيها بوجع وتذكرت كلمة إيهاب حين أخبرها أن والدتها لن تمرر ما حدث أبدًا فلقد كان محق بالفعل واخطأت هي حين لم تستمع له.

صرخت صابرين : تعرف عنه ايه إيهاب ده علشان تصدقه

بالشكل ده؟

أجابها بحدة : أعرف كل حاجة عنه، أعرف انه ساب جامعته فعلًا بعد ما أبوه مات في حادثة، أعرف انه اتمرمط وشاف الويل لحد ما كبر إخواته، أعرف إن كل الحتة هناك بتحبه وبتحترمه وسمعته حلوة وسط الناس، أعرف إن أخته بتحبه وبتحترمه وبتقدره لأنه حنين عليها ولأنه صاحب وأب قبل ما يكون أخ، أعرف انه راجل يعتمد عليه شال الحمل فوق ظهره وعمره ما اشتكى ولا نخ ولا اعترض وقدم كل ما عنده، أعرف إن كان ممكن يروح يرفع دعوى على أمه وياخد شقته اللي الأسطى باعها له بس رفض لانه مقدرش يقف قصادها ويعيب فيها، أعرف انه هيحافظ على بنتي وهيحطها جوه عنيه، أعرف كل حاجة عنه، فلا أنا مش برمي بنتي أنا بديها لراجل وبضرب نفسي بألف جزمة يوم ما رميتها لكلب زي أمجد واكتفيت أسمع من كام واحد من زمايله في شغله وما روحتش بيته ومنطقته وسمعت من أخته اللي لحد الآن شايل جميلها فوق راسي إنها نبهتني وخلتني أخد بنتي وارجعها لحضني.

صدمت حنين فهي لم تكن تعلم أن أبيها ذهب لمنطقة سكن إيهاب وجمع معلومات عنه.

علقت صابرين بامتعاض : كل ده مش سبب تجوز بنتك له، كل ده ما يمنعش انه استغل حبك لها وبيتجوز ببلاش

وقفت حنين تعلن انتهاء ذلك الجدل فاخرجت من حقيبتها

ثمن الغرفة وضعته أمامها على الطاولة وبكل هدوء أضافت : إيهاب كان عارف إن ده هيكون رد فعل ماما وعلشان كده اداني تمن الأوضة وقالي أعمل اللي يريحني فيهم سواء اديهم لحضرتك بالقسط أو مرة واحدة، هو بس محبش يكسر كلامك لما اصريت عليه ياخد الفيزا بس برضه كان عارف إن ماما مش هتسكت، تمن الأوضة أهو وكفاية كلام في حقه بعد إذنكم.

تابعها عبدالقادر إلى أن أغلقت بابها ثم نظر لزوجته : يعني اتخرستي دلوقتي.

همهمت بتهكم: أكل بعقلك انت وبنتك حلاوة صح، حركاته دي مش بتاكل معايا أبدًا ومهما يعمل مش طيقاه ولا قبلاه زوج لبنتي.

علق عبدالقادر: عنك ما قبلتيه وبكرة هرجعله تمن الأوضة ودي هديتي لهم الأتنين ايه رأيك بقى؟

سخرت منه : مش بقولك انت لقطة وجوازة ببلاش حد يلاقي؟

بدلت حنين ثيابها وبعد فترة طويلة من الملل أمسكت هاتفها كتبت رسالة (نمت؟)

وصل إيهاب بيته وجد والدته في انتظاره فتخطاها ليدخل غرفته ليجد مازن في سريره يعبث بهاتفه.

غير ملابسه بصمت بينما دخلت والدته : احضرلك العشا؟

لم يجيبها فهو لم يتخيل أن السؤال موجه له، انتبه لها : إيهاب هتتعشى؟

نظر إليها بدهشة : وده من امتى؟ أمي ريحي بالك وضميرك مش لازم تعملي الحركات دي لأني مش مصدقها.

تابعهما مازن بصمت فهو من بدأ تلك الحرب الباردة، اقتربت قدرية : يا إيهاب أنا بس

قاطعها رفضًا لسماع المزيد : أمّه مش عايز اسمع مبررات خلاص الموضوع انتهى بالنسبة لي، وصح - نظر لمازن - تفضي الأوضة دي بكرة علشان عايز أدهنها، أرجع من الشغل ألاقيها فاضية.

استغرب كلاهما ونظرا لبعضهما بحيرة ثم سأل مازن : ليه إن شاء الله؟

لم يجبه ولكن سألت قدرية : هي حنين وافقت تتجوز هنا؟

نظر إليها : اه وافقت هنقعد هنا لحد آخر يوم في كلياتهم وبعدها هقولكم الله يسهلكم.

تضايقت قدرية فهي اعتقدت أن تلك الزيجة انتهت أو تأجلت لأجل غير مسمى : أمها وافقت؟

ابتسم إيهاب ونظر إليها بتهكم : كان نفسك ما توافقش والجوازة تبوظ صح؟ ما باظتش يا أمّه الجوازة هتعملي ايه تاني علشان تبوظيها؟

حاولت الدفاع عن نفسها : ليه بتقول كده؟ انا مش عدوتك

وبتمنالك الخير.

توجه لسريره : تصبحوا على خير وتفضوا الأوضة بكرة.

خرج مازن خلف والدته بينما أمسك إيهاب هاتفه ليجد رسالة حنين فيرد عليها (لسه يادوب داخل البيت طمنيني في جديد)

انتبهت حنين من غفلتها وهاتفها بيدها فقرأت رسالته وكتبت (آسفة)

استغرب رسالتها (على ايه؟)

تنهدت وهي تكتب (مديونة لك بأسف وبرسمة)

ابتسم هو (مامتك قلبت الدنيا صح؟ عرفتي إن غلطك كان كبير؟)

حنين (حقك عليا بجد بس ما تقلقش بابا ما سكتش وجاب حقك وزيادة)

إيهاب (طيب كويس)

حنين (ماما بتتكلم روحت مدياها الفلوس وقولتلها إيهاب كان عارف انك هتعملي كل ده فاتفضلي تمن الأوضة أهو سكتت تماما)

إيهاب (طيب كويس انك سمعتي كلامي واخذتيهم بعد كده تاخدي كلامي ثقة، ارتاحي دلوقتي اليوم أكيد كان متعب ليكي ونتكلم الصبح تصبحي على فرحة وسعادة)

ابتسمت (تصبح على فرحة وسعادة)

بعد تفكير ومدة ارسلت (وحنين)

ابتسم حين رأى آخر رسالة منها فتنهد باشتياق فهو يتمنى أن يصبح على حضنها بالفعل أو يصبح معها وبرفقتها ،كتب بسرعة (آمين يارب العالمين)

خرج مازن خلف والدته: وبعدين؟ أهو هيتجوزها برضه

فكرت قدرية : بفكر أديه مفتاح الشقة يتجوز فيها؟

أمسك مازن ذراعها بتحذير : أياكِ يا أمه أياكِ، هو بيتجوز بت غنية بتدلع عليه وطلباتها مش هتخلص خليها قدام عنينا هنا مش تستفرد بيه، المصيبة إنها مش هتحس إن طلباتها كتير أصلًا.

جذبت قدرية ذراعها : كل ده علشان طمعان في الشقة لنفسك صح؟

تلاعب مازن بها : ما تدينيش يا ستي الشقة، بعد ما اتخرج واشتغل رجعيها لإيهاب، كده تمام؟ رجعيله شقته وفوقها ألف بوسة وأنا ربنا يسهل اشتغل وحتى أجّر أي عيادة وهجهز هبه أحسن جهاز في الدنيا وأول ما ربنا يفتحها هعوضكم عن كل مليم صرفتوه، بس اجمدي كده وبلاش الطريقة اللي بتكلمي بيها إيهاب بدال ما يفتكر انه هو صح ويسوق فيها بجد.

تنهدت قدرية بحيرة فهي لا تريد خسارة ابنها الكبير وكذلك

لا تريد زواجه من تلك الفتاة؟

توجه أحمد لزيارة أميرة وأخذها لشراء باقي فرش بيتهما، حدد معها ميعاد كتب الكتاب وحاول ادخال البهجة لقلبها الحزين فلقد تمنت أن تشاركها والدتها فرحتها أو أخيها.

أخذها لبيته واستقبلتها عائلته بحب وترحاب وصعدت لشقتها برفقة والدته التي وعدتها أن تكون أمًا ثانية لها، عادت لمنزلها آخر النهار لتجد ثناء في انتظارها : كنتي فين؟

نظرت إليها بارهاق: كنت بطمن على فرش الشقة، عيلة أحمد خلوها زي الفل وكل حاجة أجمل من الثانية، كتب الكتاب يوم الخميس.

همت بالدخول لغرفتها ولكن أمسكت ثناء ذراعها بغضب : انتِ يا بت فجرتي كده امتى؟ وطلعتي عن طوعي وطوع أخوكي؟

جذبت أميرة يدها بغضب : أنا اللي فجرت يا ماما ولا ابنك بعمايله؟ كان هيجرى ايه لو وافق على أحمد هاه؟ بس ازاي لا لازم يضايق كل اللي حواليه ويحس انه هو الكل في الكل وكلمته تمشي فوق رقبة التخين وبدال ما تقوليله لاء الواد كويس ويتجوزوا تسمعي كلامه وتقوليله أمرك وكلامك فوق الكل، تعبت من خضوعك له، تعبت من سيطرته واهاناته، تعبت منكم انتو الإتنين

مسكت ثناء ذراعها بغضب : اوعي تفكري انه علشان مش موجود أنا مش هقدر عليكي؟ لا ده أنا اكسرك يا بت.

حاولت أميرة جذب ذراعها من يد والدتها ولكن احكمت قبضتها فصرخت : سيبيني يا ماما

صاحت ثناء وهي تجذبها وتدخلها للداخل : مفيش كتب كتاب ووريني هتعملي ايه ووريني هتخرجي ازاي بره الأوضة دي.

دفعتها داخل غرفتها الرئيسية حيث ملحق بها حمام داخلي وأخذت حقيبتها وأغلقت الباب بالمفتاح، صرخت أميرة : ماما افتحي الباب يا ماما.

صاحت والدتها : مش هفتح يا أميرة غير بعد ما أخوكي يطلع ويشوفلك حل.

استمر صراخها بالداخل وتجاهلتها ثناء أو حاولت تجاهلها.

استمر صراخ أميرة إلى أن ضعف صوتها فجلست على الأرض تبكي حظها، لمحت فستانها على الأرض فزحفت ناحيته لتتفاجئ به قطع صغيرة فانهمرت دموعها بقهر وحزن من والدتها أقرب الناس إليها.

تلفتت حولها في غرفة والدتها لتجد صورة قديمة لوالدها، بكت قهرًا أمامها وتمنت لو أبيها موجود فيحميها من قهر الزمان.

نامت على الأرض مكانها لتستيقظ وتجد النهار يشع نوره، طرقت الباب بضعف : ماما افتحي أرجوكي

لم تجد ردًا أبدًا لصرخاتها أو استنجادها.

ذهبت ثناء لزيارة ابنها، قابلها غاضبًا : بنتك عملت ايه؟

دافعت بسرعة : معملتش، محدش يقدر يعمل حاجة من غير موافقتك يا حبيبي اطمن.

انفرجت ملامحه قليلًا : الواد ده بيهددني ويقولي هتجوزها غصب عن أنفك، أنا يقولي كده؟ بس لما اطلعله، بنتك فين دلوقتي لتروحله وانتِ مفيش؟

أجابته تطمئنه : حبستها، حبستها في أوضتي أنا علشان ما تقولش حمام ولا غيره، مش هتخرج غير بعد ما انت ترجع تنور بيتك يا حبيبي بالسلامة.

اطمئن أمجد : يارب بس تقدري عليها وما تحنيش وتعيطلك شوية تخرجيها، ما تنسيش إنها هي اللي حبستني هنا، آه لو كنت أعرف كنت شربت من دمها.

ربتت عليه : هدي نفسك يا حبيبي وأهو هانت.

سألها باهتمام : حنين أخبارها ايه؟ عرفتي حاجة عنها؟

عقدت حاجبيها بضيق : تاني حنين وزفت؟ هو حد دخلك هنا غيرها هي وأبوها؟ انساها بقى يا أمجد.

صاح بغضب : أنسى مين دي مراتي، بتاعتي لوحدي.

نفخت بامتعاض : يا ابني مش طلقتها؟ والمحكمة حكمت بالطلاق؟ مراتك ايه بقى؟

عارض بغضب : المحكمة طلقتها اه لكن أنا مطلقتهاش

ومش هطلقها محدش هيحلها مني غير الموت وبس.

على صعيد آخر اتصل أحمد للمرة المائة بأميرة دون رد منها، انتظرها تستيقظ فلربما سهرت ولكن لا رد منها..

ذهب لعملها وتفاجئ أنها لم تحضر أساسًا، بعد تردد ذهب لبيتها ولكن لم يفتح له أحد الباب، ازداد قلقه وتوتره هل من الممكن أن تكون قد اخفتها والدتها منه؟ أنفذ أمجد تهديده؟

نزل من البيت وقف بحيرة أمامه، لاحظ أمامه سوبر ماركت فتوجه ليسأل : لو سمحت ما شوفتش والدة الدكتور أمجد؟ أو أخته النهاردة؟

أجاب البائع : شوفتها نزلت الصبح باين رايحة تزور ابنها ربنا يكون بعونها بقى.

سأل أحمد : طيب وبنتها الأستاذة أميرة؟

نظر له بتوجس : لا معرفش ما شوفتهاش بس هي بتشتغل وبتنزل شغلها بترجع آخر النهار.

تراجع أحمد فهو غريب بالمنطقة المهم أن الوضع طبيعي ولم يتركا المنزل ولكن لم لا ترد على اتصالاته؟

انتبهت سارة على صوت مسعد يخبرها أن الأستاذ زهير يريدها بمكتبه فتوجهت بسرعة إليه، أغلقت الباب خلفها ليقف في استقبالها ويعطيها ورقة : ايه دي؟

ابتسم وهو يجيبها : ورقة طلاقك

اتسعت عيناها فرحًا : بجد؟ بجد؟ مش مصدقة، أنا متشكرة أوي يا زهير مش عارفة أقولك ايه؟

انتبهت فجأة : أنا آسفة جدًا أقصد أستاذ زهير

ابتسم : لا عادي المهم بالمناسبة الجميلة دي أنا عازمك انتِ ووالدتك على الغدا عندي

حاولت الاعتراض أو الرفض ولكن استسلمت أمام إصراره، خرجت من مكتبه والفرحة تشع من وجهها فقاطعها هشام : قالك ايه خلاكي تتنططي كده من الفرحة؟

عقدت حاجبيها بضيق : خليك في حالك

وقف أمامها : تحبي أدخل اشكيله - رسم الحزن على ملامحه - من زميلتي اللي خربت بيتي وحاولت تفرق بيني وبين مراتي علشان بتحبني؟ ايه رأيك في الحكاية دي؟ بعرف أمثل الحزن صح؟

ردت بحدة ولكن بصوت منخفض : انت عايز ايه مني؟ مش اتسببت في جوازي من الزفت اللي إسمه لمعي؟ سيبني في حالي بقى.

ضحك هشام : وحشتيني - مد يده يداعب وجهها فضربته على يده بسرعة ليضحك هو - قطة شرسة انتِ، الله يرحم لما كنتي بتفضلي في حضني علشان تاخدي قرشين ولا فستان أو حتى عشوة حلوة

أزاحته جانبًا : كنت فاكراك بني آدم محترم

زاد ضحكه : مكنتش عرفتك لو محترم يا حلوة

توجهت لمكتبها فتبعها : عايز ايه منى؟ إبعد عني بقى.

جلس على طرف مكتبها : تعالي نتعشى مع بعض ونقضي وقت ظريف وحشتيني

أشاحت بوجهها : ابعد عني يا هشام.

قبل أن يعترض وقفت بوجهه : لاني ممكن أسبق وأدخل لزهير واعيطله من زميلي بتاع البنات اللي فاكرني من البنات أياهم وكل شوية يهددني أخرج معاه و إلا هيتبلى عليا مش بس كده ده أنا هطلب منه يجيب هدير هنا ونطلب منها تلمك وتبعدك عني، يا ترى هتكدب على هدير بايه المرة دي؟

وقف هشام فابتسمت هي وأكملت : بلاش تلعب قصادي علشان عضتي وحشة، انت عضيت وأنا عضيت وخالصين بلاش نعمل حساب جديد، كفاية عليك إيمي.

تعجب فضحكت هي : مش انت بس الناصح اللي بتركز مع غيرك، أيوه خليك في حالك وأنا في حالي.

علق قبل أن يبتعد : ماشي يا سارة بس ده ما يمنعش انك وحشاني ووقت ما تحني أو تشتاقي أنا موجود.

توجه هشام لبيته لتستقبله هدير بشكل ذابل ولكن لم يهتم، دخل غرفته غير ملابسه وناداها : هدير؟ فين الغدا؟

نظرت إليه موجوعة : تعبانة ومش قادرة أقوم معلش أطلب أي أكل من بره، دايخة يا هشام.

نفخ بضيق : يعني ما اتصلتيش ليه من بدري بلغتيني؟

علقت بتوتر : قولت هفوق بعد شوية وأعمل أكل بس مقدرتش، كل ما بقوم الدنيا بتلف بيا.

انتظرت هدير اعتذاره، مواساته، تقديره لتعبها ولكن تجاهلها تمامًا ولحظات و وقف : أنا خارج هتغدى بره.

تركها وهي في قمة اندهاشها من بروده، هو لم يهتم بتعبها؟ لم يهتم بابنه؟

ازداد وجعها فاتصلت بأخيها الذي ما إن سمع صوتها حتى تحرك مسرعا لبيتها، فتحت الباب لأخيها و وقعت بين يديه ليصرخ برعب : هدير؟ فيكي ايه يا هدير؟

رددت بضعف : بس الدنيا لفت بيا، قعدني مكاني يا عمرو لو سمحت.

ساعدها لتستقر على الأريكة مكانها بينما خرج زيد ابنها ليهتف بفرحة : خاااالو

ضم ابن أخته بحب : حبيب خالو بابا فين؟

رد ببراءة : رجع من الشغل ومشي على طول - نظر لوالدته - ماما أنا جعان قولتي لما بابا يجي وبابا مشي هناكل امتى؟

أغمضت هدير عينيها تداري وجعها عن أخيها الذي أحس بوجعها : طبعًا جه لقاكي تعبانة خرج يشوف نفسه بره وما اهتمش ولا بمراته التعبانة ولا ابنه صح؟ آه منك يا هدير آه

منك، قومي البسي هاخدك للدكتور نطمن عليكي.

حاولت الاعتراض ولكن اوقفها بإصرار : هتغيري ولا اشيلك زي ما انتِ؟

وافقت بتعب : خلاص هغير الأول بس زيد..

قاطعها : أنا هساعده

ساعدها تدخل غرفتها واختار ملابسها وضعها بجانبها على السرير : محتاجة حاجة تانيه؟ خلصي وناديني.

توجه لغرفة زيد ساعده في إرتداء ملابسه كما أنه أخرج حقيبته الصغيرة وضع بها بعض من ملابسه واحتياجاته اليومية التي اختارها زيد مع خاله، وضع الحقيبة بالسيارة وعاد ليأخذ أخته التي انتهت من الاستعداد، ساعدها إلى أن وصلت لسيارته علق : هنودي زيد الأول عند ماما ياكل وأنا هاخدك للدكتور.

وافقت دون جدال، وصّل زيد لوالدته ثم توجه بها لأقرب مستشفى، وضعوها على المحاليل لتغذيتها وانتظرت تقرير الطبيب وهو يجلس بجانبها يحاول المزاح معها فهو يلاحظ حزنها الذي تحاول مدارته عنه.

أخيرًا أتى الطبيب بعدة أوراق في يده، وقف عمرو : طمني يا دكتور مالها والدوخة دي من ايه؟

ابتسم الطبيب : حضرتك جوزها؟

صحح عمرو: لا أنا أخوها، طمني عليها إذا سمحت؟

طمأنه الطبيب : هي بخير الحمدلله عندها أنيميا ومحتاجة تتغذي كويس وتهتم بصحتها وخصوصًا في حالتها دي

استغرب عمرو وردد : حالتها؟ حالتها ايه؟

استغرب الطبيب ونقل نظراته بينهما فطأطأت هدير رأسها بينما ردد عمرو بإصرار وخوف : هي مالها يا دكتور؟

وضح الطبيب : حامل وتقريبا في التالت كمان، ازاي مش عارفة؟

نظر عمرو لأخته بعتاب فاشاحت بنظرها هربًا منه بينما علق الطبيب : خير هو في مشكلة؟

ابتسم عمرو بمجاملة للطبيب : لا يا دكتور ربنا ما يجيب مشاكل، نقدر نخرج امتى ولا هتفضل هنا؟

طمأنه الطبيب : تخلص المغذي وتمشي بس نهتم بالصحة والأكل والفيتامينات بتاعتها علشان البيبي بيعاني جوه.

طلب عمرو: طيب حضرتك اكتبلي الفيتامينات اللي المفروض تاخدها وأنا هجيبها وهناخدها البيت عندنا علشان نقدر نهتم بيها هي وابنها.

وافقه الطبيب : أفضل فعلا تفضل معاكم لحد ما تسترد صحتها شوية لأن الدوخة دي من قلة الأكل والاهتمام فمع الحمل مدمرة.

تركهم الطبيب ليجلس عمرو أمامها بصمت تام، لم تعد

تتحمل هدير صمته : اتكلم قول أي حاجة؟

سألها بجمود : أقول ايه؟ لا إله إلا الله.

ردت : محمد رسول الله، بس قول أي حاجة، عاتبني، باركلي، زعقلي، انطق يا عمرو.

زفر شهيقًا طويلًا قبل أن ينطق : هيفيد بايه؟ اللي في دماغك في دماغك، انتِ شايفة جوزك ملاك، وحد جميل يستاهل تخلفي منه عيل و أتنين، انتِ حرة براحتك، أنا مين علشان أنطق ولا ألوم ولا أزعق؟ دي حياتك يا هدير وانتِ أدرى حد بيها ازاي تخططيها وتعيشيها مع مين انتِ حرة، مصرة تغمضي عينيكي غمضي، ووقت ما تقعي أنا على بُعد مكالمة زي النهاردة، أو خليكي معانا بالبيت مش هنخليكي تقعي وهو سيبيه يتسرمح ويعيش حياته بالطول والعرض ويرجع آخر الليل يضحك عليكي بكلمتين تصدقيهم زي الهبلة وتخترعي أعذار ورا أعذار وتكدبي كدبة وتصدقيها، فأنا مين علشان أفوقك من أوهامك والعالم الخيالي اللي عايشة فيه؟ -وقف - أنا هروح أطمن ماما وبابا علشان قلقوا عليكي.

تركها تبكي حالها بصمت مطلق لا تلومن إلا نفسها فقط.

توجهت سارة مع والدتها لبيت زهير الذي استقبلهم بنفسه ورحب بهم انبهرن كلتاهما من فخامة بيته فهو يسكن بفيلا صغيرة حولها حديقة أصغر، لحظات وأعلنت مديحة أن السفرة جاهزة فاجتمعوا عليها لتتفاجئ سارة بكمية وتنوع الأكل عليها فعلقت بذهول : انت عازم حد تاني؟

رد زهير بحرج : لا بس معرفتش بتحبو ايه فطلبت من مديحة تعمل كل حاجة.

ابتسمت سارة وشكرته والدتها للغاية، بعد انتهائهم عرض زهير على سارة أن يريها المكان فوافقت فورًا، واعتذرت والدتها من مصاحبتهم عندما طلب منها زهير مرافقتهم

خرج معها وتمشيا سويًا وقفت وهي ترفع رأسها تستنشق عبير الزهور بجانبها : ريحة الورد تجنن

لاحظت أنه ينظر إليها هي : فعلا تجنن

ابتسمت وألقت نظرة خلابة له : بتبصلي كده ليه؟

توتر وخفض بصره بسرعة : لا عادي.

جلست على أرجوحة صغيرة تكاد تتسع لشخصين وأشارت له ليجلس بجانبها فعلق بحرج : خدي راحتك انتِ.

أصرت : لا عادي اتفضل - أضافت بمزاح - زي بيتك برضه

ابتسم وهو يجلس بجانبها فتلامس جسديهما، تحركت الأرجوحة بهما ليسيطر عليهما صمت تام.

رفع زهير يده بتردد ليضعها على كتفها ويهمس بإسمها : سارة

وقفت بسرعة انتفاضًا من لمسته فوقف تباعًا : أنا آسف جدًا لو تخطيت حدودي

ارتبكت سارة ونكست رأسها بخجل : أنا اللي آسفة

لحضرتك

اقترب منها : بتتأسفي ليه؟ أنا اللي

قاطعته وهي تنظر لعينيه مباشرة : لا مش انت، أنا خارجة من تجربة سيئة جدًا، من ضرب وإهانة وأي لمسة بتوترني جدًا فكل اللي هطلبه منك اديني شوية وقت أرجوك، ممكن تديني وقت؟

ابتسم بتفاؤل : خدي كل الوقت اللي انتِ عايزاه وبراحتك.

فاجأته بعدها بأنها وضعت رأسها على كتفه فضمها بحيرة وهي تتمتم : أنا كل اللي محتاجاه حاليًا حنيتك دي عليا

ابتسم وهو يلف ذراعيه حولها : زي ما قولتلك خدي كل الوقت اللي محتاجاه.

ابتعدت عنه ببطء شديد وتعمدت أن تلامس خده بخدها الناعم ثم تنظر لعينيه وهي تبتعد ببطء كي تشعل تلك النيران بداخله أكثر فأكثر.

وضعت يدها على رقبته وثبتت نظراتها تجاه عينيه وهمست : خليني أتعافي من العلاقة المسمومة اللي كنت فيها بعدها ...

ابتسمت فهو أكمل عبارتها : بعدها هتكتشفي إن الحياة فيها حاجات حلوة كتير.

اتصل عبدالقادر بإيهاب وطلب مقابلته، تقابلا سويًا على المقهى القريب من بيته، جلس إيهاب في مقابلته وبدون أي

مقدمات أخرج عبدالقادر ظرفًا ووضعه أمام إيهاب : اتفضل.

استغرب إيهاب : اتفضل ايه؟

وضح عبدالقادر : شوفه وأعرف بنفسك

فتح إيهاب الظرف ليتفاجئ بمبلغ مالي فوضعه مكانه بهدوء : ايه ده؟

نظر عبدالقادر لعينيه مباشرة : ده مش عارف إسمه ايه، استعباط ولا تحايل ولا بتاخدني على قد عقلي ولا ايه بالظبط؟

استغرب إيهاب : حضرتك تقصد ايه مش فاهم؟

وضح عبدالقادر : الغرض من التقسيط هو دفع المبلغ واحدة واحدة لكن تقسيط وتديني الفلوس كلها يبقى ده اسمه ايه؟ زي ما قولت استعباط ولا تحايل؟ اختار المسمى اللي يعجبك.

فكر إيهاب للحظات قبل أن يشرح وجهة نظره : أنا رفضت فكرة الفيزا والتقسيط واتفاجئت بحنين بتكلم حضرتك ومحبتش أضايقك فمعرفش المسمى ايه بس الفكرة نفسها مرفوضة بالنسبالي لكن مع ضغط حضرتك وافقتك علشان ما اكسرش كلامك .

أزاح إيهاب المبلغ ناحية عبدالقادر : فدا تمن الأوضة و

قاطعه عبد القادر : فهمتك ومقدر إحساسك وهاخد منك الفلوس دي ألفين في الشهر زي ما عملت القسط وكلمة زيادة

مش هقبلها يا إيهاب، اتفضل فلوسك شوف هتعمل بيها ايه.

حاول إيهاب الاعتراض أو اقناع عبدالقادر دون جدوى فهو مصر، بعد أن فشل في إقناعه صمت تمامًا الى أن رفع عبدالقادر رأسه : حنين جاية هنا خدها واعزمها على العشا في أي مكان تحبوه وما تأخرهاش.

رفع إيهاب رأسه بعدم تصديق وتفاجئ بعبدالقادر يقف ويبتسم لابنته فوقف بدوره مذهولًا، قبلت حنين وجنة والدها ثم مدت يدها لإيهاب : ازيك

ارتبك في البداية لكنه مد يده ليسلم عليها ورحب بها، وقفت حنين بجانب إيهاب وعرضت على والدها أن يأتي برفقتهما كذلك إيهاب لكنه رفض تماما وقبل أن ينسحب ويتركهما أخرج مفاتيح سيارته : اتفضل يا إيهاب

رفض في البداية ولكن أقنعه عبدالقادر بأخذها، علقت حنين لوالدها : طيب بابا نوصلك قبل ما نتحرك بدال ما تمشي للبيت؟

ابتسم والدها : حبيبتي انتِ عارفة إن الدكتور طلب أتمشى شوية كل يوم فأنا هتمشى شوية قبل ما أروح أصلًا يلا اتحركوا انتو وما تتأخروش.

استقرت حنين بجانبه في السيارة فسألها وهو يدير محركها: تحبي تروحي فين؟

استرخت في مكانها : أي مكان سوق وبس ابتسم وهو

يتحرك : أسوق وبس؟ ماشي هسوق وبس لكن برضه هنروح فين؟

فكرت حنين قليلًا : في مكان حلو قالتلي عليه هايدي في وسط البلد إسمه أفتر إيت ايه رأيك؟

وافقها : تمام نطلع على وسط البلد.

استأذنها بعد قليل : نشغل أي حاجة ولا ما بتحبيش؟ لاحظتك بتكرهي تسمعي أي حاجة.

ابتسمت بحزن لذكرى مضت من حياتها السابقة : كنت في يوم من الأيام بعشق الموسيقى والأغاني

سألها باهتمام : ودلوقتي؟ - قبل أن تجيبه أكمل - ومش بتكلم عن الفترة اللي فاتت بتكلم عن دلوقتي تحديدًا بشكل حرفي، يعني في العربية.

ضحكا سويًا قبل أن تنظر إليه باسترخاء : شغل بس يارب تلاقي حاجة حلوة ولا هتشغل من موبيلك؟

نظر إليها بطرف عينيه : انتِ اختاري نفتح الراديو ولا نشغل حاجة احنا؟

ارتفعت نبضات قلبها وسيطرت عليها تلك الحالة التي تصاحبها كلما كانت برفقته، حاولت الخروج منها فعلقت بهدوء : شغل الراديو واحنا وحظنا.

مد يده يفتح الراديو : ربنا يستر لأحسن الواحد في موضوع الحظ ده نيلة خالص.

ضحكت حنين لطريقته، بينما هو يختار محطة أوقفته : سيب دي بيرغوا كتير بس بيجيبوا أغاني حلوة.

ترك المحطة وساد الصمت بينهما ثم اشتغلت أغنية مطلعها

نفسي أحبك بطريقتي

نطلع سوا سكة سفر

و أسمعك مزيكتي

و نغني تحت القمر

أعجبت الأغنية إيهاب وعلق : الحمدلله الأغنية حلوة ومناسبة بما إننا سايقين وكده

علقت حنين : وتحت القمر كمان، بس دي مش مزيكتك

ابتسم : ما قولتلك أشغل على مزاجي رفضتي

و أحكيلك عن احلامي

و حبيبه قديمة سابتني

حبيتك اكتر منها

ولا عمرها حبتني

سألته بفضول : كان عندك حبيبة قديمة؟ حبيت يعني قبل كده؟

ابتسم : كان عندي حبيبة وسابتني فعلًا زي الأغنية

سألته باهتمام وهي تلتفت ناحيته : سابتك ليه؟ بتحن لها؟ فاكرها؟ احكيلي تفاصيل لو سمحت

نظر إليها بتعجب : تفاصيل؟ ده بجد؟ لعلمك أنا هبقى جوزك هاه لأحسن تكوني ناسية

ضحكت : فيها ايه يعني؟ بعدين احنا أصحاب

بالفعل هما أصدقاء وهو يتناسى تلك الحقيقة : ماشي يا ستي أصحاب.

تمنت لو نفى تلك الحقيقة، سألته : لسه بتحبها؟

نظر إليها بحب : مش فاكرها أصلًا، بعدين كنت لسه صغير ومعجب بيها ويادوب اتعرفنا واتكلمنا أبويا اتوفى وأول ما سيبت الكلية سابتني قالتلي انت مش مقامي.

شهقت حنين : بجد قالتلك كده؟ ليه هي كانت ايه؟

ابتسم لفضولها : كانت عادية - نظر لعينيها - مش كل الناس مجنونة زيك

أمسكت ذراعه بتلقائية تحتضنه : إحمد ربنا إني مجنونة.

نظرت أمامها دون أن تترك ذراعه وهي جاهلة تمامًا عما سببته بحركتها العفوية فيه.

شغلت حنين هاتفها لتحدد المكان بالظبط عن طريق برنامج GPS وأخيرًا وصلا للمكان فأوقف السيارة ونزلا منها، تشابكت أيديهما ودخلا سويًا ليقضيا سهرتهما.

استمر أحمد في الاتصال بأميرة إلى أن وجد هاتفها مغلق، حاولت والدته و والده طمأنته دون جدوى فقلبه يحدثه أن شيء ما قد أصابها.

هم بالخروج من بيته ليوقفه والده : رايح فين يا أحمد؟

نظر لهما بإصرار : هروحلها البيت هي استحالة تقفل موبيلها كده الوقت كله وما تكلمنيش، في حاجة حصلت ومش هاقعد استنى.

وقف محمد سليمان والده : طيب استنى هاجي معاك بدال ما تروح لوحدك

وقفت فاطمة والدته أيضًا : وأنا كمان أهو يبقى معاكم واحدة ست بدال ما تروحوا انتو الإتنين لوحدكم

خرج ثلاثتهم لبيت أميرة، طرق أحمد الباب وبالداخل توترت ثناء للغاية، نظرت من العين السحرية للباب وشاهدت أحمد فازداد توترها للغاية وارتبكت، قررت ألا تفتح وتوجهت للداخل ولكنه مصر بالخارج.

علق والده محمد : يا ابني يمكن مش جوه فعلًا؟

أصر أحمد : الراجل تحت قال إنها طلعت من بدري وهنا، هي تلاقيها حبست أميرة زي ما أخوها كان بيحبسها.

اعترضت والدته فاطمة : مفيش أم تحبس بنتها يا أحمد اه ممكن أخوها كان غبي بس أمها لأ.

أصر أحمد : أمها زي ما ابنها بيقول بتمشي فلو قالها

احبسيها هتحبسها.

طرق الباب بعنف وصرخ : أنا عارف إنكم جوه فافتحي الباب بدال ما أطلب البوليس وأعمل زي ما أبو حنين عمل وصدقيني مش هتردد أطلب البوليس.

بالداخل لطمت ثناء و وقفت بحيرة لا تدرِ ما التصرف الآن، هل تفتح له الباب؟ هل تتركه؟ لو طلب الشرطة هل سيقتحموا بيتها؟ هل سيقبض عليها مثل ابنها؟

ازداد خوفها وقررت فتح الباب، ردت من الداخل : مين؟ لحظة هو احنا ورا الباب ولا ايه؟

لامته والدته فاطمة : تلاقيها نايمة يا أحمد ولا في الحمام إخص عليك -رفعت صوتها - افتحي يا أم أميرة أنا مامت أحمد

فتحت الباب وحاولت أن تبتسم : اعذروني بس الله يعزكم كنت في الحمام

سألها أحمد بصرامة : أميرة فين؟ مش بترد عليا من الصبح.

حاولت ثناء الرد بشكل طبيعي : أميرة ناسية موبيلها في البيت من الصبح حتى كلمتها لقيته بيرن جنبي بس هي نزلت الشغل وبعدها كلمتني وقالتلي هتخرج مع أصحابها يشتروا شوية حاجات لازماها انت عارف بقى عروسة وطلباتها ما بتخلصش.

ابتسمت والدته فاطمة : طيب يا أحمد أهي كويسة وبخير - نظرت لها بحرج - انتِ عارفة يا أم أميرة بيحبها قد ايه ووجع قلبنا معاه من الصبح وهو هيموت من القلق عليها يقول ما بتردش ما بتردش.

ابتسمت : ربنا يخليهم لبعض، أول ما ترجع هخليها تكلمه طبعًا وتطمنه.

قبل أن تغلق الباب اقترح أحمد : طيب خلينا ننتظرها يا طنط شوية؟

توترت ثناء : وهو أنا عارفة هي هاتيجي إمتى أصلًا؟

أمسك أحمد الباب بيده كي لا تغلقه : أنا روحت لأميرة الشغل وقالولي ما راحتش أساسًا النهاردة؟

توترت ثناء : ازاي بقى؟ هي نزلت من الصبح وراحت شغلها وكلمتني قالتلي إنها هتخرج مع صحباتها يشتروا طلبات.

كانت ثناء تحاول غلق الباب وهو يدفعه بيده مانعا إياها : هادخل استناها يا طنط

رفضت : بس معرفش هتيجي امتى و

دفع الباب بغضب ليمسك يده والده : انت بتعمل ايه يا أحمد؟ انت كده بتدمر العلاقات بينك وبين حماتك

نظر لوالده وهو يدخل البيت : أميرة ما خرجتش من البيت النهاردة يا بابا وما راحتش الشغل وما بتردش مش هنتظر يجرالها حاجة أنا.

حاولت ثناء منعه فأمسكت ذراعه : هصرخ وألم عليك الناس وأقول بيتهجم على بيتي؟

توترت والدته : يا أحمد مش كده

تجاهل والدته ونظر لثناء : أميرة فين؟ عملتي فيها إيه؟

لم تجبه فتحرك للداخل ورأى حقيبتها : دي شنطتها كانت معاها امبارح - نادى بصوته - أميرة؟

نظرت ثناء لوالديه : اللي بيحصل ده غلط وهقول لابني على تصرفاتكم دي واستحالة أوافق بنتي تتجوز همجي زي ده بيتهجم على بيوت الناس.

صرخ أحمد بها : أميرة فين بقولك؟

تحركت ثناء برعب وقررت لعب آخر ورقة تملكها فتوجهت للداخل وفتحت باب غرفة أميرة : دي أوضتها أهي اتفضل شوف بنفسك .

دخل أحمد وخلفه والديه وتفاجئ حين وجد الغرفة مرتبة للغاية وبها كل لمساتها فهي غرفتها بالفعل، خرجت ثناء وفتحت باب غرفة أمجد : ودي أوضة أمجد ابني ربنا يرجعه بالسلامة لبيته، أميرة مش هنا.

اعتذرت والدته : اعذريه يا أم أميرة انتِ ما تتخيليش بيحبها قد ايه؟ سنين بيحكيلي عنها وسنين منتظر يقرب منها وأقوله اخطبهالك يقولي لا أخوها صعب استني لما تقرب تخلص نروح نطلب إيدها.

أشاحت ثناء بوجهها : برضه ده مش تصرف يا أم أحمد

كاد عقل أحمد أن ينفجر فأين هي، انتبه على والده يمسك ذراعه : يلا بينا الصبح كلمها.

خرج معه ولكن وقف ونظر إليها : أمال أوضة حضرتك فين؟ دي أوضة أميرة ودي أمجد لكن حضرتك فين؟

شحب وجه ثناء ليتحرك هو ويفتح كل الأبواب كالمجنون وينادي عليها إلى أن وجد غرفة مغلقة فصرخ بها : فين المفتاح؟

لم تجبه وهي تتراجع فاقترب منها : أقسم بالله هطلب البوليس واخليهم يحبسوكي جنب ابنك، أنا عارف كل حاجة عن ابنك المجنون وصابر عليكم من بدري كان ممكن أقنع أميرة اتجوزها من بدري بس قولت يا واد إلعب بالأصول، المفتاح فين ولا أكسر الباب؟

تلفتت والدته حولها وهي مرعوبة على ابنها فلمحت مفتاح على الطاولة هتفت : أحمد في مفتاح أهو جربه؟

أخذ المفتاح من يدها وبسرعة وضعه بالباب ليفتح الباب ويصدم حين وجدها متكومة على الأرض فصرخ باسمها : أميرة

اقترب منها وحاول افاقتها ولكنها غائبة عن الوعي تماما بين يديه، صرخ بها برعب : عملتي فيها ايه انطقي؟

تراجعت ثناء خوفا من صراخ أحمد وهو يحاول باستماته

أن يوقظها ويصرخ بوالده الذي أخبره أنه طلب الإسعاف.

ضمها وهو يجلس على الأرض بجانبها ودموعه قد نزلت : والله لاقتلك لو عملتيلها حاجة؟ والله لاقتلك.

جلست والدته بجانبه وهي تمسك يد أميرة تحاول ايقاظها وخوفًا يملأ قلبها فسنوات مضت وابنها يحكي عن حبيبته وينتظر ذلك اليوم الذي يجمعهما سويًا.

استمع الجميع لسرينة الإسعاف ليتحرك والده بسرعة : الإسعاف وصل أنا هجيبهم، إطمن يا ابني

ركض والده للخارج ليحضر المسعفين وخلال لحظات كانت أميرة في سيارة الإسعاف وبجانبها أحمد يمسك يديها ووالده ووالدته بالسيارة خلفه.

٨

فلاش باك :

قبل أن تنصرف ثناء من زيارة ابنها : البت مش مبطلة صريخ يا أمجد ولو الواد ده جه مش عارفة هعمل فيها ايه؟

فكر أمجد للحظات : بقولك شنطتي فيها دوا اسمه *** حطيلها في الميا عشر نقط هيخلوها تنام زي البيبي وكل ما تشرب كل ما هتنام.

لطمت صدرها باستنكار: يا لهووي يا أمجد أختك يا حبيبي

طمأنها : مش هيعمل أي حاجة غير انه هينيمها مش هعمل حاجة تضرها وبعدين ده اللي كنت بستعمله مع حنين لما تعبت آخر مرة علشان تخف بسرعة، اطمني، حطيه بس في الميا وهي هتشرب وتنام بس كده.

انتبهت ثناء من شرودها لتجد البيت صامتًا تماما، صمت يشبه صمت الأموات، جلست مكانها على الأرض وتساءلت هل خسرت ابنتها كما خسرت ابنها من قبل؟

سؤال ظل معلقًا لا إجابة له، لقد استمعت لكلام ابنها وصدقت أن ذلك الدواء لن يضر ابنتها، هل قتلت ابنتها؟

انهمرت دموعها وهي تبكي حالها الذي وصلت إليه، لقد خسرت ابنتها فحتى لو تعافت فهي خسرتها كابنة.

دخلت أميرة المستشفى ليسأل الطبيب أحمد عما أصابها

فصرخ به : معرفش مالها لقيتها كده.

دخلت أميرة العناية المركزة و التف حولها الأطباء لمعرفة سبب الإغماء، بعد مدة خرج الطبيب ليلتف حوله أحمد و والداه برعب : خير يا دكتور طمني عليها

رد الطبيب بعملية: هي عندها هبوط حاد في الدورة الدموية وبنحاول نسيطر عليه بس لازم نعرف السبب ايه؟

أحمد : مانعرفش ايه السبب ممكن نعمل تحليل للدم مثلا؟

طمأنه الطبيب حين لاحظ مدى رعبه : عملناه وفي انتظار النتيجة أنا قلت أسألكم أوفر وقت، على العموم حالتها مسيطرين عليها وأول ما تظهر النتيجة ونعرف السبب هنديها العلاج المظبوط، ألف سلامة عليها.

تركهم الطبيب وجلس أحمد بانهيار فحاولت والدته فاطمة تهدئته : حبيبي هي حالتها مستقرة أهيه ودلوقتي تفوق وتخرج بالسلامة

عاتب أحمد نفسه: قلتلك ما بتردش من الصبح ماكانش لازم أسيبها، اتخانقت مع أخوها كان لازم أعرف انهم مش هيعدوها بالساهل كده.

جلس محمد والده بجانبه ورد بجدية: كان المفروض تعمل ايه يعني؟ تاخدها من بيتهم؟ نكتب الكتاب ونطلع بيها على البيت وما نرجعهاش تاني؟ اللوم والعتاب لنفسك مش هيفيدك يا أحمد.

نظر لوالده بإصرار : فعلًا ده اللي هعمله هكتب الكتاب ومش هخليها ترجع بيتهم تاني، مش هسيبها تغيب عن عيني تاني.

علقت والدته بتأنيب لنفسها: ماكنتش بصدقك وانت بتحكيلي قلت يا انت مزودها يا هي بتزودها لكن ما صدقتش ان أخ يعمل في أخته كده ولا أم تسمح ان حد يؤذي عيالها مش هي بنفسها تحبس بنتها كده والله أعلم عملوا فيها ايه؟ ربنا يقومها بالسلامة وبإذن الله كلنا حواليها هنعوضها عن كل اللي قاستة في يوم في بيت أهلها.

لاحظ أحمد وجود حالة من القلق والتوتر فوقف وحاول أن يوقف الممرضة : هو في ايه؟ نتيجة التحليل طلعت؟

نظرت له : أه طلعت الدكتور هيجي يفهمكم.

تركتهم في حالة من الرعب ودخلت لغرفتها وبعد مرور بعض الوقت خرج الطبيب وقف أمام أحمد : عرفنا المادة اللي في جسمها ودي مش طبيعية

سأل أحمد بتوتر: يعني ايه مش طبيعية؟ قصدك ايه بالظبط؟

نقل الطبيب نظراته بينهم ثم ركز على أحمد : يعني حاجة من الاتنين يا إما احنا قدام حالة انتحار أو محاولة قتل اختار اللي يعجبك بس من هنا لحد ما هي تفوق ونعرف ايه اللي حصل أنا مش هسمح لحد فيكم يدخل.

حالة من الصدمة سيطرت عليهم حتى نطق أحمد بدهشة: انتحار لا، أنا وأميرة فرحنا خلال أيام.

رد الطبيب ببساطة : ممكن بتتجوزك غصب

نفى بسرعة : لا طبعًا أنا وهي بنحب بعض وبنتجوز غصب عن كل اللي حوالينا ولسه امبارح كانت معايا بنفرش بيتنا ازاي امبارح نفرش بيتنا والنهارده تنتحر؟ لا لا الانتحار مرفوض أميرة مش شخصية انتحارية لا.

سأل الطبيب : هل بتتهم حد بمحاولة قتلها؟ أبلغ البوليس؟

هم أحمد بالرد ولكن أمسك والده بيده وتكلم هو بهدوء : زي ما حضرتك قلت نستناها تفوق ونفهم منها ايه اللي حصل بالظبط قبل ما نتهم أي حد.

وافقه الطبيب وابتعد عنهم بعد أن طمأنهم على حالتها الصحية.

لام أحمد والده : ليه رفضت نبلغ البوليس؟ مش أمها كانت حابساها؟

هدأه والده : يا حبيبي دي أمها زي ما قلت فده مش قرارك انت يا أحمد، هي تفوق وتقرر هتعمل ايه وانت مطلوب منك تدعم قرارها وتتقبله أيًا كان.

وصلت ثناء المستشفى وحين رآها أحمد هجم عليها ولكن أمسكه والده منعه فصرخ بها : حاولتوا تقتلوها؟ أنا مش هسيبكم تفلتوا بعملتكم دي.

حركت والدتها رأسها برفض : قتل ايه لا أنا بس قفلت عليها علشان ما تخرجش لا لا انت بتقول ايه؟

صاح أحمد بوجهها بغضب: الدكتور اللي قال مش أنا، تحليل الدم أثبت ان في حاجة واخداها وأنا مش هسكت حتى لو هحبسك فيها

جذبه والده بعيدًا عنها، وتوجهت ثناء المصدومة لغرفة ابنتها ولكن أوقفتها الممرضة : ممنوع الدخول

وضحت ثناء بارتجاف : أنا أمها يا بنتي خليني أدخل

صاح أحمد خلفها : اوعي تدخليها لو حد حاول يقتلها فهي الحد ده.

نظر الكل لأحمد فأكد : مش الدكتور منع الزيارة عنها لحد ما تفوق ويسمع منها؟ يبقى ما تدخليهاش عندها إلا لما تفوق وتسمعوا منها ايه اللي حصل بالظبط.

أكدت الممرضة : فعلا محدش هيدخل لحد ما الدكتور يسمح بالزيارة - نظرت لوالدتها وأكدت – حتى لو حضرتك بعد إذنكم.

جلست ثناء بعيدًا عنهم والرعب يملأها هل ستتهمها ابنتها بمحاولة قتلها؟

خرج الطبيب من غرفة أميرة ونظر لأحمد مباشرة : حضرتك خطيبها صح؟

وافقه أحمد واقترب منه بسرعة : أيوة هي فاقت؟

ابتسم : أيوة فاقت وطلبت تشوفك انت تحديدًا.

دخل أحمد بسرعة ليمسك يدها ويقبّلها بحب : أخيرًا فتحتي عينيكي؟ اوعي تعملي فيا كده تاني انتِ فاهمة؟

ابتسمت بضعف : مين جابني هنا؟ عرفت بيا ازاي؟

تنهد بارتياح: سيبك من كل ده وقوليلي ايه اللي حصل؟ حد اداكي حاجة؟ الدكتور بيقول انتحار

نفت بسرعة : انتحار ايه؟ لا طبعا أنا عايزة أعيش معاك.

ابتسم وقبل يدها مجددًا : وده اللي قلتهوله، طيب لو مش انتحار تبقى محاولة قتل؟ حد اداكي حاجة؟

نفت بحيرة : أنا كل اللي أخدته ميا فقط ولا أكلت ولا أخدت أي حاجة.

وضّح بتفكير: عدم أكلك مع اللي أخدتيه عملك هبوط حاد وده اللي سببلك الإغماء ده.

علقت أميرة بحيرة وهي تفكر بصوت عال : هو ممكن تكون ماما حطت حاجة في الميا علشان أبطل صريخ؟ لأن دي آخر حاجة فاكراها، شربت ميا وبعدها ...

سألها : تحبي نبلغ البوليس؟ يحللوا الميا دي وتتهمي..

قاطعته برفض : أتهم أمي بقتلي؟ أحبس أخويا بمحاولة قتل مراته وأحبس أمي بمحاولة قتلي لا يا أحمد لا.

تضايق من رفضها ولكن حاول السيطرة على غضبه : طيب

عايزة تعملي ايه؟ أمك برا وعايزة تشوفك؟ والدكتور مستني يبلغ انتحار ولا محاولة قتل؟ ناوية على ايه يا أميرة؟

فكرت أميرة للحظات ثم طلبت منه أن يسمح لأمها بالدخول.

خرج أحمد وطمأن والديه ثم طلب على مضض من ثناء الدخول لابنتها، دخلت ثناء وقبل أن يتحرك أحمد نادته أميرة : خليك معايا ما تسيبنيش لوحدي.

وقف بجانبها وأمسك بيدها بينما اقتربت ثناء من ابنتها بلهفة : انتِ كويسة؟ ألف سلامة عليكي.

ردت أميرة بتهكم : بجد بتسأليني كويسة ولا لا؟ يعني اللي يسمعك يقول بتخافي عليا بجد، مش إنتِ اللي كنتِ حابساني؟

حاولت الدفاع عن نفسها : أنا بس ماكنتش عايزاكي تخرجي لكن

قاطعتها أميرة بجمود: حطيتي ايه في الميا؟ أنا لا أكلت ولا حطيت أي حاجة في بوقي غير الميا، حطيتي فيها ايه؟

توترت ثناء وحاولت التهرب من الإجابة : يا حبيبتي

قاطعتها أميرة بغضب: حطيتي ايه يا ماما؟ روحتي لأمجد الصبح وبعد ما رجعتي دخّلتي الأكل والميا، أمجد قالك تحطي ايه؟

حاولت ثناء الإنكار ولكن تدخل أحمد : حبيبتي احنا نخلي

الدكتور يبلغ البوليس زي ما قال ويحللوا المياء أنا هروح دلوقتي البيت وأجيب الأكل والميا اللي في الأوضة

ارتعبت ثناء وتراجعت للخلف ولاحظت أميرة ذلك فنظرت لأحمد : خلاص طالما هي بتقول مفيش حاجة حطتها يبقى تمام بلغ البوليس يا أحمد، أنا خفت نبلغ تطلع هي اللي عملتها وأنا ماأرضاش تتحبس فطالما مش هي يبقى بلغ

نظر أحمد لثناء: أروح أبلغ البوليس خلاص ولا عندك كلام تاني هتقوليه؟ بلاش تحصلي ابنك

انخرطت ثناء في بكار حار وهي تؤكد : قالي بس هتنام مش هيعملها أي حاجة والله لا يمكن أضرها، حلفلي انه هينيمك بس مش هيضرك.

ابتسمت أميرة بوجع من أقرب الناس إليها شقيقها وأمها : ماهو ما كدبش يا أمي هو فعلا بينيم بس على طول، ربنا يسامحكم، اطلعي برا يا ماما ومش عايزة أشوفك تاني والحمدلله إن ربنا رزقني بأحمد وعيلته أحن عليا منكم.

ترجتها ثناء : أميرة سامحيني أرجوكِ مش قصدي أضرك والله

نظرت أميرة لأحمد : طلعها برا أرجوك مش قادرة أشوفها.

وقف أحمد في وجهها وهي تصرخ بابنتها : والله لو أعرف انه هيتعبك ما كنت حطيته.

أغلقت أميرة عينيها وهي ترفض سماع والدتها بينما

أغلق أحمد الباب خلفه وهو يجذبها للخارج، وقف أمامها : روحي بيتك وما تيجيش تاني وبنتك خلاص كده هي أدتك فرصة تكوني معاها بس انتِ اخترتي ابنك المجنون اللي عايز يقتل أخته وبايديكي انتِ زي ما سبق وكان هيقتل مراته، انتِ أسوأ أم شوفتها في حياتي لأنك بتقتلي عيالك الاتنين بايديكي، أمجد انتِ عملتي فيه كده لأنه لو مريض كان المفروض عالجتيه مش سيبتيه يتمادى بالشكل ده ولو دي تربيتك فانتِ برضه الملامة مفيش غيرك، روحي بيتك وانسى أميرة لاني مش هسمحلك تأذيها تاني أو تشوفيها.

دخلت والدته لأميرة و احتضنتها بحب وتأسفت لها لأنها لم تتوقع أبدًا أن تكون حكايتها كلها صحيحة ووعدتها أن تكون أما لها قبل ابنها.

دخل الطبيب لأميرة ولاحظ وجود الثلاثة حولها وهي تبتسم فسألها : هنكتب في التقرير ايه؟ محاولة انتحار ولا قتل؟

اتجهت الأنظار لأميرة التي ابتسمت للطبيب : ولا ده ولا ده أنا فرحي بعد أيام ومشغولة بالتحضيرات وكنت مصدعة فأخدت قرصين مسكن من شنطة أخويا لأنه دكتور ولأني مش واكلة كويس عملي هبوط ده، ده اللي هيتكتب في التقرير يا دكتور لكن مفيش ولا انتحار ولا قتل.

تقبل الطبيب تفسيرها : تمام ألف سلامة عليكي وربنا يتمم فرحكم على خير اعزموني بقى.

شكره أحمد قبل أن يخرج ثم جلس بجانبها ونظر لوالديه : هتجوزونا امتى بقى إن شاء الله؟

ابتسم والده : زي ما قلنا يوم الخميس كتب الكتاب و

قاطعه أحمد بإصرار : كتب كتاب ودخلة مش هنستنى تاني يا بابا ومفيش سبب للانتظار، كنا هنستنى خروج أمجد علشان يحضر الفرح ويكون مع أخته والعائلة تتلم لكن بعد اللي حصل ما أعتقدش هيقتنع أو هيوافق - نظر لها – قلتي ايه يا ميرو؟ فرحنا يوم الخميس؟

تنتهدت بإرهاق : اللي تشوفوه صح نعمله، مش عارفة، اللي حصل كان صعب وعمري ما تخيلت انها توصل لكده أبدًا بس وصلت، فأنا مش هقدر أرجع البيت تاني.

أمسك أحمد يدها بدعم : علشان كده بقول نتجوز وتيجي بيتك بجد مالهوش لازمة التأجيل أو الانتظار- نظر لوالده وتابع – ايه رأي حضرتك يا بابا؟

ابتسم والده : خير البر عاجله، فرحكم يوم الخميس وأميرة بنتنا وتيجي تنور بيتها وتكمل فرحتنا وعيلتنا.

ابتسمت أميرة وبداخلها طمأنينة أن حبيبها لن يتركها أبدًا.

تناولت حنين العشاء على ضوء الشموع في هذا المكان الذي تسهر فيه برفقة إيهاب ونست كل ما مرت به وهي معه، تمنت لو أن السهرة لا تنتهي، صدحت في المكان موسيقى هادئة، نظر إيهاب حوله ليجد كل حبيبين يرقصان مع

بعضهما فنظر لها بابتسامة : ما تيجي زيهم، نفسي من زمان أوي أرقص سلو مع حد، تيجي؟

ابتسمت بخجل وحاولت الرفض : مش بعرف أرقص كده، وبعدين هدوس على رجليك أكيد.

أمسك يدها يشجعها : حد قالك اني بسهر كل يوم في مكان زي ده؟ بعدين يا ستي دوسي براحتك على رجليا، قومي يلا احنا هنعيش كام مرة يلا يا حنون.

جذبها من يدها لتقف معه وقلبها ينبض؛ فهو يعيد أحلامها الموؤدة للحياة مرة أخرى دون أن تطلب حتى منه.

وقف أمامها ومد يده لها وهمس : هم بيمسكوا ايد والتانية بيحطوها كده

أمسك يدها وضعها على كتفه والأخرى أمسكها بيده وجذبها من خصرها لتقترب منه فشهقت من اقترابهما لهذه الدرجة، أحس إيهاب بتصلبها فهمس : حنين اهدي دي مجرد رقصة وما تخافيش على رجليا.

استرخت حنين بين ذراعيه وبتردد وضعت رأسها على كتفه وأغمضت عينيها وبهدوء وضعت يديها حول عنقه ليضع هو يديه حول خصرها وبكل لحظة تقترب منه أكثر إلى أن لف ذراعيه حولها كالصورة التي رآها من قبل بهاتفها وتمنت لو يرسمها، فليعشها أولًا وليرسمها ثانيًا، دفن وجهه في شعرها المنساب واستنشق عبيره وتمنى ألا تنتهي الرقصة للأبد وأن تظل هكذا بين يديه.

أحست حنين بأنها تحلق فوق السحاب، يلف بها ويدور معها وهو يدفن نفسه بين ذراعيها، تعود تلك الكلمات لتسمعها في أذنيها كلمحة أو ومضة تظهر وتختفي

((وأنا كالطفلة في يده كالريشة تحملها النسمات))

تذكرت الكلمات فحاولت أن تصمها عن أذنيها فهي لا تريد تلك الذكريات الآن، فلتترك الماضي وتستمتع بحاضرها بين يديه.

شددت يديها حوله ليضمها هو أكثر فأكثر لقلبه ويدخلها بين ضلوعه فهو لا يدري متى ستفيق من هذي الغفلة وتسحب نفسها منه؟ استمرت رقصتهما عدة دقائق ولكن صداها سيظل دهرًا في قلبه وعقله.

ابتعدت بهدوء عنه وأعينهما مُعلقة ببعضها البعض، قلبها ينبض بعنف فهي لم تكتف بعد من ذلك الغرق اللذيذ بين ذراعيه تمنت لو استمرت الموسيقى وقتًا أطول، أمسك يدها ليجلسا مكانهما بهدوء، مد يده يرفع وجهها كي تنظر لعينيه وهمس لها وهو يحرك يده بلطف على وجنتها الناعمة : بطلي تفكري كتير يا حنين، خلينا نهرب من الدنيا ووجعها ومشاكلها، يمكن يكون ده وقتنا أنا وانتِ نعيش شوية، نتنفس بقالنا كتير مخنوقين.

همست بأمل: انت شايف كده؟ احنا اتفقنا نكون سند لبعض وبس

ابتسم بتأثر : وهو السند ايه غير حضن ترمي نفسك فيه وقت ما الدنيا تتقفل في وشك؟ مش هو ده السند؟ مكان ترمي همومك وحمولك فيه

مداعبته لوجنتها تذهب عقلها وتشوش أحكامها - ارمي حمولك وهمومك عليا وصدقيني هقدر أشيلها منك المهم ابتسامتك

سألته وهي مخدرة المشاعر : مالها ابتسامتي؟

نظر لشفتيها وهي تتحدث فأجاب: مش عايزها تفارقك أبدًا، خليكي مبتسمة على طول يا حنين.

صدحت الموسيقى الهادئة من جديد فابتسمت حنين وجذبته من يده : تعال نكمل رقصتنا

وضعت يديها حول رقبته وهمست في أذنه : خليني في حضنك أنا محتاجة له يا إيهاب.

ضمها بشده لقلبه وأغمض عينيه فهو في هذه اللحظة امتلك الدنيا بين يديه.

انتهت الموسيقى وانتهت السهرة وقد حانت لحظة العودة لأرض الواقع، خرجا سويًا وتشابكت أيديهما فهمست بمزاح: عدنا لأرض الواقع وخرجنا من عالم الجنيات والأساطير.

ابتسم لمزاحها وشدد قبضة يده على يدها : في أي وقت عايزة تيجي أرض الجنيات شاوري، بعدين يا حنين أرض الجنيات احنا اللي بنعملها، المكان بالناس اللي فيه مش

المكان نفسه اللي فيه السحر.

ابتسمت فها هي نفس وجهة نظرها التي أخبرت والدها بها.

فتح باب السيارة لها وساعدها تستقر بمكانها ثم استقر هو بمكانه وهمس خوفًا من قطع السحر والخط الرفيع الذي وصل بينهما : تحبي نروح في أي مكان تاني ولا أروحك البيت؟

أسندت رأسها على الكرسي ولفت رأسها له تواجهه : خدني بيتك انت.

ابتسم متمنيًا لو هي زوجته الآن فهمس : ياريت ينفع وياريت أقدر.

نظرت أمامها : روحني البيت

أدار محرك السيارة وتحرك بها، تمنى لو تريح رأسها على كتفه، تمنى لو ان الليلة لم تنته، تمنى لو أن الطريق يمتد لما لانهاية، تمنى وتمنى وتمنى ولكنهما قد تركا عالم الأحلام والجنيات.

همست : افتح الراديو نشوف حظنا ايه؟

ابتسم : ما بلاش حظوظ، اتسترت معانا أول مرة.

نظرت له : المرة اللي فاتت كان حظك المرة دي حظي، شغله لو سمحت.

أدار الراديو وهو لا يعلم أن هذه الدقائق القادمة ستعيده

لنقطة الصفر مجددًا ويعود خالي اليدين.

استمعا لصوت المذيع : والآن مع أغنية للرائعة أنغام وصوتها الدافئ :

علق إيهاب : طيب كويس أنغام أغانيها حلوة

علقت حنين : ربنا يستر

بدأت الأغنية :

ممكن تسيبني أشتري عمري اللي باقي

قول بكام؟

مش عايزة أعيشه معاك

عشان لو عشته كله جراح حرام

ولو انت خايف لما تسيبني

هقابل بعدك حد يصوني

وانت لو مابقيتش بتصدق كلامي

أنا ممكن أكتبلك تعهد مني

اني هعيش لوحدي باقي عمري

بس أعيشه باحترام

أصابت كلمات الأغنية حنين في مقتل فلقد أعادت كل الماضي دفعة واحدة إليها، وتذكرت أمجد وقسوته وكل حياتها معه، تذكرت وعودها لنفسها أن تعيش لأجلها فقط

شرط أن تعيش باحترام، تذكرت وتذكرت وتذكرت

أحس إيهاب بقلبه ينقبض بعنف فكلمات الأغنية قاتلة بالفعل، مد يده ليغلقها ولكن منعته حنين قائلة بجروح تنزف : سيبها لو سمحت.

أنا عايزة نفسي

حتى لو كل اللي باقي منها صوت

مانا لو هكمل حياتي بيك

من غير ما يجي الموت هموت

مبقاش في قلبي مكان لا ليك

ولا حد تاني خلاص مفيش

مابقبتش عايزة حاجات كتير

كل اللي انا عايزاه أعيش

نظر إيهاب إليها ليجد دموعها أغرقت وجهها؛ تبكي حالها ونفسها ولربما تذكرت عهدًا قطعته لنفسها أو لزوجها السابق وقد أخلت بهذا العهد معه.

ولو انت خايف لما تسيبني

هقابل بعدك حد يصوني

وأنت لو مبقتش بتصدق كلامي

أنا ممكن أكتب لك تعهد مني

إني هعيش لوحدي باقي عمري

بس أعيشه باحترام

أغمضت حنين عينيها وتركت العنان لدموعها فهي أخذت عهدًا أن تعيش بمفردها باقي عمرها فلمَ تسلم زمام أمرها لرجل آخر؟ لمَ اختارت إيهاب؟ لمَ تظلمه بهذا الاتفاق؟ أين كان عقلها حينما أخذت هذا القرار ولِمَ نسيت عهدها لنفسها؟

راقبها إيهاب وهو يعلم جيدًا أن الخيط الرفيع الذي ربطهما سويًا انقطع، بعد أن كانت بين يديه وفي قلبه فها قد خرجت وبعنف للهاوية مرة أخرى، عدة كلمات أعادتهما للواقع المرير من جديد، مجرد كلمات قادرة أن تحطم أحلامًا وتدمر إنسانًا وقادرة أن تحييه مرة أخرى.

همس باسمها : حنين؟

أغمضت عينيها بألم : مش عايزة أتكلم لو سمحت وصلني بسرعة.

سيطر الصمت تماما لا يقطعه سوى نحيبها من آن لآخر وهو يسمعها وقلبه يئن ألمًا لأجلها ولكن تمنى أن تفتح قلبها له وتشركه بذلك الماضي الأليم الذي تعيشه بمفردها.

وصلا أخيرًا لبيتها وانتظرت حنين حتى أوقف السيارة وقبل أن يغلقها نزلت منها مسرعة وركضت للداخل، حاول إيقافها أو إعطاءها مفاتيح السيارة ولكنها لم تنظر للخلف.

ضربت حنين جرس الباب بعنف، فتحت حور وقبل أن

تتكلم دفعتها جانبًا متوجهة لغرفتها، صاحت حور برعب : حنين، حنين ردي عليا

أغلقت الباب بعنف خلفها، خرج أبوها مسرعا : دي حنين أختك؟ مالها؟

ردت بحيرة : معرفش داخلة بتعيط وجريت لأوضتها.

طرق والدها الباب بقلق : حنين افتحي لو سمحتي

حاول فتح الباب ولكنها أغلقته من الداخل بالمفتاح، خرجت صابرين بدورها تقول بسخرية : مش سلمتها لنقاش؟ نقاش يا أبوها يا اللي بتخاف عليها، متخيل يعاملها ازاي؟ ولا يعمل ايه؟

ازداد قلق عبدالقادر وطرق الباب أكثر : حنين افتحي لو سمحتي أو فهميني في ايه؟

وقفوا خارج باب غرفتها يستمعون لنحيبها وبكائها وتمنى عبدالقادر لحظتها لو يرى إيهاب فيقتله بيديه.

أغلق إيهاب السيارة ونظر للأعلى بإرهاق، بعد أن قطع شوطًا طويلًا معها واقتربا بشدة بعدت تمامًا عنه، عادت إليها ذكريات شبح قديم في حياتها قد سبق ودمرها وسيدفع هو مجددًا ثمن أخطاء غيره.

صعد للأعلى كي يعيد مفاتيح السيارة لوالدها، ضرب جرس الباب، فتحت حور الباب وحين رأته صرخت به باتهام: عملت ايه في حنين ها؟ أنا حذرتك يا إيهاب

رفع مفاتيح السيارة أمام وجهها بصمت؛ فهو يعلم جيدًا أنه دائمًا وأبدًا سيظل المتهم الأول أمامهم، رد بهدوء: ماعملتش أنا بس جايب مفاتيح العربية بتاعة عمي اتفضلي.

نظرت حور خلفها وقال بصوت عال : بابا ده إيهاب.

أغمض إيهاب عينيه للحظات؛ فأبوها سينفجر حتمًا به، خرج والدها كالمجنون وأمسك تلابيبه، جذبه للداخل ودفعه للحائط وهو يصرخ به : عملت في بنتي ايه ها؟ قسمًا بالله أقتلك، والله أقتلك يا إيهاب، تطلع مين انت علشان تزعل بنتي؟

حاول إيهاب الدفاع عن نفسه وحاول إبعاد يديه عنه بهدوء : عمي أنا بس ...

قاطعه بحدة : أنا وثقت فيك وعاملتك زي ابني ده جزائي؟

تخيل عبدالقادر أمجد أمامه، آلاف المرات يتخيل نفسه يأخذ حق ابنته بيديه، آلاف المرات يتمنى لو عاد به الزمن وأنهى هذه الزيجة بيوم الزفاف حين رفض أمجد أن يرقص مع ابنته، آلاف المرات يلوم نفسه ويلوم ولقد أتى إيهاب الآن ليتلقى هذا اللوم ويدفع ثمن أخطاء أمجد وأخطاء صابرين وأخطاء عبدالقادر وحتى أخطاء حنين نفسها .

انتبهت حنين في غرفتها أن الطرق على بابها توقف، لم يعد هناك من يحثها على الخروج، ولكن صوت والدها يصدح بالخارج غاضبًا، فمَن سيصب غضبه عليه؟

تذكرت فجأة إيهاب ومفاتيح سيارة والدها ؛ والدها سيعتقد أن إيهاب هو من أغضبها، وقفت وفتحت بابها بحذر فسمعت صوت إيهاب وهو يحاول الدفاع عن نفسه لكن لا أحد يعطيه الفرصة والجميع يصرخ به ،

خرجت لتسمع والدتها تصرخ به : أنا قلتلك ده مش مقامنا ولا مستوانا وبرضه وافقت تخطبله بنتك.

لمح إيهاب حنين خلفهم ونظر تجاهها ولاحظ دموعها التي تغرق وجهها، لاحظ عبدالقادر نظراته خلفه وبتلقائية نظر خلفه ليجد ابنته تقف مصدومة، التفت ناحيتها وهو مازال يمسك ملابس إيهاب وقال بغضب: قوليلي عمل ايه وأنا هقتله، زعلك ليه؟ عمل ايه؟

حركت رأسها برفض واقتربت من والدها وأمسكت يديه تبعدهما عن إيهاب ووقفت أمامه تمامًا بينه وبين والدها وقالت بصراخ: مين قالك إن إيهاب زعلني؟ وليه افترضت ده؟ ليه ما افترضتش اني أكون أنا اللي مزعلاه؟

صاحت حور باعتراض : لانك دايمًا بتشوفي نفسك اللي غلط مهما كان اللي حواليكي مؤذيين.

نظرت حنين تجاهها بقوة : بس المرة دي المشكلة فيا أنا – نظرت لوالدها وتابعت بصوت تخنقه الدموع - أنا اللي مش عارفة أخرج من ماضيا الزفت، مش قادرة أنسى اللي فات، حاسة ان حرام أفرح، حرام أكون مبسوطة، حسيت اني مش من حقي أعيش.

مد عبدالقادر يديه ليمسك وجه ابنته بألم : ليه بتقولي كده يا حنين؟ ليه يا بنتي؟

أغمضت عينيها كي تسقط دموعها التي تشوش رؤيتها وأجابت بغضب: أمجد دمرني معاه، خلاني حطام مش عارفة أفرح.

مسح والدها دموعها بيديه بحنو: ايه بس اللي خلاكي تفتكريه دلوقتي؟ امسحي الفترة دي من حياتك وكفاية اللي ضاع، بلاش تضيعي اللي جاي كمان من عمرك، بلاش تخليه ياخد أكتر منك، كفاية يا حنين.

أبعدت حنين يدي والدها والتفتت لإيهاب باعتذار: أنا آسفة جدًا يا إيهاب على اللي حصل الليلة دي، آسفة كمان بالنيابة عنهم كلهم وعن كل اللي قالوه.

رفع عينيه يواجهها ومد يده مسح دمعة نزلت من عينيها وقال بحزن : ما تتأسفيش أنا كل اللي يهمني تكوني بخير وبس الباقي كله مش مهم، السعادة يا حنين قرار ده أنا مؤمن به، خدي القرار والباقي سهل، تصبحي على خير هطمن عليكِ الصبح.

تحرك ليخرج من الباب ولكن أوقفه عبدالقادر بسرعة : استنى.

وقف إيهاب مكانه فسأله عبدالقادر وهو ينقل نظراته بينه وبين ابنته: أنا لسه مافهمتش برضه ايه اللي حصل بالظبط؟ ايه اللي زعلها؟ انتِ بتقولي مش هو اللي زعلك بس انتِ كنتِ

معاه مسئولة منه هو وراجعة بتعيطي المفروض أفهم ايه؟

ردت حنين وهي حزينة على حالها : تفهم ان بنتك مابقتش إنسانة طبيعية ويمكن تكون مريضة، وسط الفرح بتدور على حاجة تزعلها أو أي حاجة هبلة ولو أغنية ممكن تفتح كل جروحها، فهتقولي ايه زعلك هقولك مش عارفة.

نظر لإيهاب باستفسار : ايه اللي زعلها انت قولي

نظر لحنين فعلق عبدالقادر : ما تبصلهاش هي لو سمحت وكلمني أنا وقولي ايه زعلها؟ عملت ايه ضايقها حتى لو بدون قصد، محتاج أفهم.

ردت حنين عنه : ماعملش حاجة يا بابا

تجاهلها وكرر سؤاله : عملت ايه ضايقها؟ ممكن تجاوبني؟

رد إيهاب غاضبًا من كل ما حوله : شغلت الراديو، واشتغلت أغنية متخلفة ضايقتها، ها كده جاوبت حضرتك؟ كده عرفت ايه ضايقها؟ لو عرفت عرفني أنا كمان لأن عندي فضول أعرف ايه ضايقها وخلاها عيطت وطلعت بالشكل ده؟ هل هي كانت بتحب جوزها للدرجة دي؟ هل بينهم عهد من نوع خاص ما ينفعش تفرح أو تعيش بعده؟ هل هي مستنياه يطلع من السجن مثلا ترجعله؟ هل كده خلاص الموضوع مفروغ منه وأنا بحارب في قضية خسرانة مثلا؟ أنا ماعنديش إجابة لسؤالك هي ايه اللي ضايقها؟ اللي عارفه اننا من أقل من ساعة كنا أو هتكلم عن نفسي بس لاني معرفش هي دماغها فيها ايه، أنا كنت أسعد إنسان في الكون ده كله وبعد الأغنية

المشئومة دي ما اشتغلت اتحولنا للشكل ده، ليه معرفش؟

سيطر الصمت التام على الجميع، انتظر إيهاب أي إجابة منهم ولكن دون جدوى، حرك رأسه بتفهم أو باستسلام لصمتهم وقال باختصار: تمام، أعتقد كده ينفع أمشي ولا لسه حضرتك عايز تحبسني؟

اتجهت الأنظار لعبدالقادر الذي رفع رأسه ورد بصرامة: اتفضل يا إيهاب بس خليها في بالك اني مش هتردد أحبسك فعلا في أي يوم تضايقها فيه.

ابتسم إيهاب بوجع وردد: حاضر هخليها في بالي انك هتحبسني ولا يهمك بعد إذنكم.

تحرك ليخرج من الباب وتفاجأ بيدها تمسك ذراعه فنظر إليها بتعجب بينما اعتذرت هي برجاء: حاول تعذرني وما تزعلش مني

ابتسم بزيف: أنا مش زعلان منك يا حنين، أنا زعلان لأنك مش عارفة تدي لنفسك فرصة تانية، تصبحي على خير.

أغلق الباب خلفه ليسيطر صمت مطبق قطعه عبدالقادر: ممكن تفهميني ايه اللي حصل بالظبط؟

رفعت رأسها بهدوء: مفيش، أنا عايزة أطلب منكم طلب، مش معنى علاقتي بأمجد واللي حصل فيها انكم تطلعوا ده على إيهاب، إيهاب غير أمجد تمامًا، انتم كلكم هجمتوا عليه النهارده، اعتبرتوه أمجد واتعاملتم على الأساس ده وده مش

عايزاه يحصل أو يتكرر، مش من حقكم تتدخلوا في علاقتي به وتتخانقوا معاه أو تهاجموه بناءً على افتراضاتكم، تصبحوا على خير.

دخلت غرفتها ولحظات وتبعها والدها جلس بجانبها بهدوء : مش هتقوليلي برضه مالك؟

مسحت آثار دموعها وردت: أغنية ضايقتني لا أكتر ولا أقل.

سألها بترجي : ينفع تقوليلي أغنية ايه؟

تنهدت بتعب : أغنية لأنغام اسمها أكتبلك تعهد - أكملت بتوسل - بابا إذا سمحت بلاش تتعامل مع إيهاب بالطريقة دي تاني، إيهاب شخص حنين وجميل وما يستاهلش اللي حضرتك عملته فيه دلوقتي.

وقف عبدالقادر ورد بدون مواربة: ما تتوقعيش مني أشوفك جاية تعيطي وأقف أسكت أو أفترض حسن النية.

تركها ترتاح وتوجه لغرفته أمسك هاتفه ليسمع تلك الأغنية التي فتحت كل الجروح لابنته، استمع لكلماتها بصمت مطبق وأحس بوجعها في كل كلمة فيها وأحس بوجع إيهاب الذي طرح كل هذي الأسئلة وهو جاهل عن طبيعة علاقة أمجد بابنته؛ فهو شبح يهدد حياته.

وصل إيهاب إلى بيته فدخل غرفته ففوجئ أنها فارغة تمامًا وقد نسي أنه طلب من عائلته إفراغها تمامًا، تساءل أين ملابسه يا ترى؟

دخل غرفة هبة بعد عدة طرقات خفيفة ليجد مازن نائمًا بها كما توقع، بدل ملابسه ودخل على سريره وهو يتذكر أحداث هذه الليلة الطويلة، تذكر رقصتهما سويًا وهي بين ذراعيه، ابتسم وتألم وتمنى، مشاعر مختلطة تغمره ما بين الفرح والحزن، أغمض عينيه وهو يتمنى أن يعيد هذه اللحظات وهي بين ذراعيه.

بعد سهرة طويلة عاد هشام لبيته ليتفاجأ بخلوه والصمت يخيم عليه، دخل غرفة ابنه ليجدها فارغة هي الأخرى، توتر وهو يفكر أين ذهبت زوجته وابنه؟

اتصل بهدير لكن هاتفها مغلق، هل ذهبت لأهلها؟

اتصل بحميه ليرد عليه فسلم عليه بتوتر : ازيك يا عمي، أخبار حضرتك ايه؟

تضايق والدها : الحمدلله بخير يا هشام

سمع هشام صوت ابنه فاطمأن أنهما بخير : ممكن أكلم هدير يا عمي بعد إذنك؟

صاح بغضب ردًا عليه : لسه ما رجعتش يا سيدي

استغرب هشام : ما رجعتش منين يا عمي؟ هي فين؟

صاحت صفية بجانب زوجها : هو مش سيادتك سيبتها تعبانة وخرجت تتغدى وتاكل وتشوف نفسك؟

حاول الدفاع عن نفسه أمامها : أنا؟ أنا سألتها عن الغدا قالتلي مفيش ونطلب أكل فكل اللي قلته ماقالتليش ليه

بدري علشان أعمل حسابي، بس ده كل اللي قلته.

صاحت صفية بنزق: يا سلام شوف ازاي؟ وما فكرتش تشوفها تعبانة ليه ها؟ بلاش هي خالص، ما شوفتش ابنك حتى واطمنت أكل ولا ما أكلش ولا دنيته ايه ليه؟ ابنك جاي يقولي يا تيتة ماما تعبانة وبابا جه وسابنا ومشي وأنا جعان، انت أب انت ولا زوج ولا أي حاجة خالص؟ علشان تسيبها تعبانة راقدة وتسيب ابنك وتمشي علشان تاكل لوحدك برا؟ وقدرت تاكل يا شيخ؟ عرفت تبلع الأكل وانت راميهم في البيت؟ يا جبروتك يا أخي.

حاول الدفاع عن نفسه أو تبرير فعلته؛ فهو أبدًا لم يتخيل أنها مريضة حقا، تخيل أنه مجرد إرهاق ليس أكثر : يا ماما والله لو أعرف انها تعبانة ماكنتش سيبتها

صرخت به : ما اهتميتش علشان تعرف أصلًا

أقر بذنبه : عارف والله اني غلطان اني ما سمعتهاش بس ازاي متخيلة اني أبقى عارف انها تعبانة وأسيبها وأمشي؟ ولا أسيب ابني؟ أنا بحب هدير وبحب ابني

علق والدها بتهكم : بتحبهم بس حبك لوحده مش كفاية يا هشام.

أغلق الهاتف في وجهه ليتصل هشام مجددًا مرة بعد الأخرى حتى رد عليه بضجر: عايز ايه يا هشام؟ قلتلك هدير مش هنا؟

رد بسرعة : قولي هي فين وهروحلها

أجابه : معرفش عمرو أخدها اتصل به بس يارب يرد عليك.

اتصل لكن لم يجبه أحد، عمرو لا يجيب وهدير أغلقت هاتفها.

أخيرًا نزل ينتظرها أمام بيت والدها فهي ستعود حتما، أوقف سيارته وجلس بها ينتظرها وهو يلوم نفسه، كيف لم ينتبه لوجعها؟ كيف لم ينتبه لابنه؟ كيف يهملها لتلك الدرجة؟

وقفت سيارة عمرو ليخرج هشام بسرعة من سيارته ويتوجه إليهما : هدير؟ عمرو؟

أمسكت هدير ذراع أخيها وهمست له : عمرو مش قادرة أتكلم معاه دلوقتي.

ربت على يدها برفق : تمام سيبيه ليا

اقترب هشام وأمسك ذراع زوجته بلهفة : عاملة ايه؟ طمنيني عنك

أشاحت بوجهها بعيدًا عنه بينما رد عمرو بتهكم: يااا بجد؟ اللي يشوفك ممكن يصدق

رد هشام بتبرير : والله والله ما تخيلت انها تعبانة بجد، تخيلت انها بس مرهقة عادي زي أي حد

رد عمرو بسخرية : لنفترض انها فعلا بس مرهقة رد فعلك تقولها اخبطي دماغك في الحيط؟ ما تشوفش حتى يا أخي

ابنك عامل ايه؟ أكل، عايش، فين، انت ايه؟

حاول هشام الدفاع عن نفسه لكن عمرو لم يعطه أي فرصة فأمسك ذراع هدير بترجي : أرجوكي اسمعيني يا ديرو علشان خاطري وصدقيني أنا بجد آسف اسمحيلي أكون جنبك.

نظرت إليه بعتاب : الحاجة بعد أوانها مالهاش طعم، اهتمامك بعد ما أقف على رجليا مالهوش لازمة، كنت محتاجاك وأنا نايمة على الكنبة بقولك تعبانة ودايخة ومش قادرة، عايزني أقولك ايه تاني علشان تحس بيا؟ يا أخي ده حتى لو بتدلع عليك اهتم بيا، بس هنقول ايه الاهتمام فعلًا ما بيتطلبش، امشي دلوقتي لأن لو هتصمم نتكلم دلوقتي هقولك مش عايزة أشوفك تاني فامشي دلوقتي لو سمحت.

تركته وصعدت مع أخيها بيت والدها ودخلت غرفتها ترتاح قليلًا أو ربما تبكي قليلًا.

توجه هشام لبيته وهو يلوم نفسه كيف تركها هي وابنه وخرج يتناول غداءه برفقة إيمي؟؟

خرجت أميرة من المستشفى برفقة أحمد وعائلته، أخذها لبيته وقد أعدّت لها والدته غرفة، وتحدد موعد كتب الكتاب خلال أيام.

ذهبت ثناء لزيارة ابنها وحين رأته صرخت به : عايز تقتل أختك يا أمجد اخص عليك

صاح بغضب : أقتل ايه بس وطي صوتك هتوديني في داهية ولا ايه؟

قصت عليه ما حدث فعلق بغضب : تلاقيها ما أكلتش قلتلك حطيلها أكل علشان ما يعملش هبوط

صرخت به بغضب : ما أكلتش كنت هعمل ايه يعني؟

سألها بغضب : وسيادتها فين دلوقتي؟ في المستشفى لسه؟

صاحت به بنفاد صبر : خرجت يا ذكي على بيته وهيتجوزها يوم الخميس وياخدها ومش هنشوفها تاني

صاح بغضب : كله منك انتِ، ازاي ماقدرتيش عليها ها؟ اضربيها ولا اكسريلها بوقها ما تتكلمش ولا تصرخ لكن انتِ سيبتيهاله، والله لو عليا أبعتله حد يقتله وأخلص منه

صاحت بعصبية: سيبها في حالها وكفاية خليك تخرج من هنا ولا ناوي تعيش العمر كله هنا؟

سألها بفضول : حنين عرفتي عنها أي حاجة؟

ردت بغضب وهي تقف : يادي حنين اللي مش هنخلص منها، أهي متلقحة في شغلها زي ما هي.

ابتسم بأمل : هترجعلي أول ما أخرج وهنبقى أحسن من الأول بس هى تفهمني بس، هنرجع لبعض.

قالت والدته بملل : اخرج بس وبعدها نشوف قصة حنين وزفت.

طلب إيهاب من طلعت إجازة ليجهز غرفته قبل وصول الغرفة الجديدة فتفاجأ بكل أصحابه و الأسطى طلعت بنفسه يساعدوه في طلاء الغرفة وتجهيز البيت كله ومساعدته في كل ما يحتاجه؛ فإيهاب اشترى فرشًا جديدًا للصالة في الخارج وقرر طلاءها وتغيير الحمام أيضًا وتجديده، يومان كاملان وهو مشغول بتجديد بيته وقدرية تراقب بغضب؛ فهي من رأيها أنها كانت أولى بكل هذه التكاليف هي وولديها.

انتظرت حنين اتصال إيهاب ولكنه لم يتصل عليها أبدًا، اكتفى برسالة من وقت لآخر يطمئن عليها وهي ترد على رسالته فقط.

استلم إيهاب غرفة النوم قبل موعدها المتفق عليه فأرسل رسالة يخبر حنين بوصولها.

ابتسمت بعد أن رأت رسالته وتوجهت لوالدها مباشرة : بابا عايزة أروح أشوف أوضة النوم إيهاب استلمها النهارده، ينفع؟

ابتسم والدها بارتياح؛ فمنذ تلك الليلة لم يرها تبتسم لدرجة أنه اعتقد أنها صرفت نظرًا عن هذا الارتباط، وافقها فورًا وأخبرها أنه سيذهب معها ويرى بيته من الداخل قبل هذه الخطوة.

أخبرت إيهاب أنها ستأتي لزيارته هي ووالدها، أرسلت في المساء رسالة بوصولها للموقع الذي أرسله فنزل مسرعا ليقابلها هي ووالدها، استقبلهما بترحاب شديد وصعد بهما لبيته، دخل عبدالقادر وحنين التي لاحظت أن الصالة كلها

حديثة، وأعجبها تنسيقه واختياره للألوان، علقت بهدوء : اسمحلي أنا بقى أختار السجاد والستاير وهيتعملوا بسرعة بإذن الله.

رد إيهاب بابتسامة : قوليلي بس عايزة تعملي ايه وأنا هجهزه.

قالت قدرية بفظاظة وهي تدخل : الستاير بتعملها العروسة يا إيهاب مش العريس - نظرت لحنين التي وقفت احترامًا لها - ازيك يا حنين.

قبلتها ببرود على وجنتيها وسلمت على أبيها كذلك وسألت بمجاملة : امال أم حنين فين؟ ماجتش معاكم يعني

أجاب عبدالقادر بوقار: علشان طلعنا من الشغل لهنا على طول، تتعوض بإذن الله مرة تانية.

عرض إيهاب بتوتر : طيب نتغدى مع بعض كلنا بقى، يلا يا أمي نحضر

قاطعه عبدالقادر : غدا ايه بس يا إيهاب لا يا ابني وقت تاني دلوقتي خلي حنين تشوف أوضتها وتشوف مقاسات ايه اللي عايزاها خلينا نمشي، مش وقت غدا

حاول إيهاب ولكن رفض والدها بشكل تام ومنها هي شخصيا.

وقفت حنين : وريني الأوضة لو سمحت علشان بابا.

وقف واستأذن عبدالقادر: اتفضل يا عمي معاها يلا

وقف عبدالقادر ودخل برفقتهما ليرى الغرفة التي ستتزوج فيها ابنته، الغرفة واسعة بالفعل ولكن تظل غرفة في النهاية مهما اتسعت، علق عبد القادر بهدوء : ربنا يسعدكم، ارفعي المقاسات اللي انتِ عايزاها وأنا هستناكي برا.

نظرت لإيهاب : عايزة متر أقيس به يا إيهاب، عندك؟

وافقها وذهب لإحضاره بينما خرج معه عبدالقادر لينتظرهما بالخارج، جلست قدرية أمامه بعد ما أعدت القهوة لتقدمها له، شكرها وسألها بفضول : ليه أخدتي الشقة بتاعة ابنك؟

تعجبت من سؤاله المباشر وفكرت قليلا قبل أن تقرر أن تكون صريحة : يعني شقة ليه إيهاب ياخدها؟ المقدم أنا اللي دفعته و..

قاطعها بجدية: حتى لو حضرتك دفعتي المقدم هو بيدفع أقساطها بشغله وتعبه وشقاه، ده شقاه هو

ردت بهدوء غير متوقع منها : ماشي ماقلناش حاجة بس أنا أم وعندي عيلين غيره، انسى حضرتك انك أبو حنين شوية وقولي، إيهاب سندي بعد ربنا وبيتجوز بنت بمواصفات بنتك أكيد حضرتك عارفها كويس، لو إيهاب اتجوزها في شقته ونسي اخواته أعمل أنا ايه؟ بلاش نسي هو مش هينسى خلينا نقول لو المصاريف كترت عليه وماقدرش يوفق بين البيتين تتوقع هيعمل ايه؟ طيب أنا هعمل ايه؟ هضيع ابني التاني وأطلعه وهو كام شهر ويبقى دكتور؟ ولا أطلع البت اللي هتتخرج دي وأقولها اشتغلي؟ ولا هطلع أنا أشتغل

والعمر والصحة مابقيتش زي الأول؟

كان لازم أعمل كده، طول ما هو في بيتي وتحت عيني هيصرف على اخواته ويراعيهم، كل اللي طلبته منه يكمل جميله مع اخواته لآخر السنة، بنت حضرتك تستناه السنة دي براحتها، يتجوزوا هنا وتفضل وسطنا براحتها، لكن ابني يطلع من تحت طوعي وايدي لا معلش ابني في ايدي مش هروح أدور عليه.

استمع عبدالقادر لوجهة نظرها لكن دون اقتناع هل من الممكن هو أن يضحي بحنين مثلا لأجل حور؟ أو يضحي بحور لأجل حنين؟ لا والله فالاثنتان مكانتهما متساوية في قلبه، لن يؤلم واحدة لأجل الأخرى كما فعلت هي، منذ البداية ضحت بابن من أجل الآخرين، نعم هي ضحت بابنها لأجل أخويه وإيهاب يعلم ذلك جيدا فهل يا ترى سيسامحها في يوم من الأيام؟

انتظرت حنين إيهاب في غرفتهما وتفاجأت أن الغرفة واسعة فخططت لفرشها كلها، دخل إيهاب وأعطاها شريط القياس، أخذته من يده وهي تنظر لعينيه بينما هرب هو من عينيها : عايزة تقيسي ايه؟

سألته : انت خلاص هتثبت الحاجات دي مكانها؟ الدولاب والسرير وكل الليلة دي؟

نظر إليها بتساؤل : عندك رأي تاني؟ قولي وهنعدله زي ما تحبي.

نظرت للغرفة حولها ثم علقت : لا كل حاجة أعتقد في أفضل مكان ليها

سألها : طيب عايزة تقيسي ايه؟

أشارت بيدها وهي تفكر معه بصوت عالٍ: الدولاب على اليمين تمام كده حلو مكانه، على الشمال في باب الأوضة في النص التسريحة كده زي ما انت حاططها على يمين الباب والشوفينيرة على شماله تمام، الحيطة اللي في الوش دي البلكونة وكويس الباب على جنب كده الحيطة دي فاضية هيتحط ستارة صغيرة على الباب وسيادتك هترسم على الحيطة دي رسمة تكون قدام عيني وأنا على السرير في وشها.

علق بتهكم : مش قلتي الرسمة فوق السرير؟

نفت بسرعة : لا هحط ستارة، أينعم مش موضة أوي بس أنا بحب الستاير كتير.

قال ليستفزها : طيب ما نرسم فوق السرير وحطي ستارة كبيرة على الحيطة كلها هنا بتاعة البلكونة؟

رفضت وهي تعقد حاجبيها بطريقة تعجبه فهو يحب ملامحها حين تعقد حاجبيها هكذا: هنا هتعمل زي تابلوه طويل، مستطيل طويل وحواليه إطار صغنن كده وترسم رسمتك اللي اخترناها في النص، حواليه هنحط تابلوهين صغيرين هشوف لو جبت حاجة جاهزة أو طلبت منك ترسمهم، مش مستعجلة عليهم، المهم الحيطة دي محتاجين

كنبة كبيرة كده وقدامها ترابيزة صغيرة بحيث نقعد عليها نشرب قهوتنا، نشرب الشاي، أي حاجة المهم يكون في مكان نقعد عليه غير السرير وكويس إن المساحة تسمح.

اقتربت من الحائط وخطت عدة خطوات : تقريبا الكنبة هتوصل لهنا، محتاجين حاجة في المنطقة دي ما بين السرير والكنبة، خلينا نقيس المسافة دي يا إيهاب ونقيس بين الدولاب والسرير ونقيس برضه بين السرير والتسريحة هجيب مشايات صغيرة كده.

أمسكت شريط القياس واقترب هو يشد طرفه كي يقيس معها، علقت : لا أنا هقيس امسك انت المتر وأنا هشد الطرف بتاعه

أمسك الجهاز وهي الطرف وكلما شد الجهاز تترك الطرف ليدخل مكانه، كررتها عدة مرات إلى أن وقف ونظر إليها بغيظ : وبعدين؟ بتعملي ايه؟

اقتربت منه ليدق ناقوس الخطر وتضطرب أنفاسه فازداد توتره من اقترابها لكنه لم يبتعد : انت من يومها ما كلمتنيش على فكرة

نظر لعينيها بتيه : بجد؟ ما أخدتش بالي

رفعت حاجبها باستغراب : نعم؟ عايز تفهمني إن ٣ أيام ماكلمتنيش وماأخدتش بالك؟

نظر لها ويداه على خصره لم يتحرك قيد أنملة بينما هي

تقترب منه حتى التصقت بصدره ورفعت رأسها لتنظر لعينيه بغيظ: بقى ماأخدتش بالك يا إيهاب؟

حاول أن يخرج صوته طبيعيًا رغم هذا القرب ولكن خانه صوته فحمحم كي يجلي حنجرته : عايزة ايه يا حنين؟ اللي انتِ عايزاه هعملهولك

همست بتلقائية: عايزاك تقرب مني

نظر رغمًا عنه لشفتيها وهي تتكلم ثم رفع نظراته لعينيها بهدوء: أكتر من كده؟ وبعد ما نقرب؟ وبعد ما نبقى أنا وانتِ كيان واحد؟ يجي شوية هوا مجرد هوا بسيط يوريني مقامي ومكانتي صح؟

تحرك ليبتعد وتابع : انتِ جاية ترفعي مقاسات يلا نقيسها

أمسكت ذراعه وغرزت أظافرها به بقوة : انت قلت ووعدت تكون صديق وسند

ابتسم بوجع: وأنا عند كلمتي ما رجعتش فيها ومش هرجع فيها، ما تقلقيش

هم ليبتعد ولكنها لم تترك ذراعه بل ضغطت عليه أكتر : اكتشفت ان اليوم اللي مش بتكلمني فيه مش بيعدي، اكتشفت اني ببقى عايزة أقول حاجات كتيرة أوي وانت تسمعها ومالقيتكش، هايدي صاحبتي بكلمها صبح ظهر فجر أي وقت وبتسمعني، بس انت صديق ازاي ومش لاقياك؟

سألها بهدوء : اتصلتي بيا امتى تكلميني وما رديتش

عليكي؟

صدمها بسؤاله فهي لا تملك جوابًا فكرر: اتصلتي امتى؟

تركت ذراعه وردت أول ما خطر ببالها : آخر مرة سيبتني زعلانة واستنيتك تكلمني و

قاطعها بذهول تام : وهو أنا اللي زعلتك آخر مرة؟ أنا يا حنين؟ أنا اللي أبوكي بيهددني يحبسني كل شوية وأختك اللي اتخانقت معايا وأمك ... وفي الآخر كنتي مستنياني أنا أكلمك؟

تذكرت كلام أختها فقررت اتباع نصيحتها : أيوة تكلمني حتى لو أنا اللي مزعلاك تكلمني، تصالحني علشان أنا هزعل اني زعلتك وطالما زعلانة فانت تصالحني.

استمع لها بذهول : يا سلام؟ انتِ زعلتي علشان زعلتيني فأنا أصالحك علشان ما تزعليش من نفسك؟ ده في أي منطق ده؟

ردت بتلقائية : منطق حنين بنت عبدالقادر.

ضحك رغمًا عنه من أسلوبها وهي شاركته الضحك ثم تجرأت لتضع ذراعيها حول رقبته وشبكتهما بدلال : ما تزعلنيش تاني لو سمحت.

علق وهو يهرب بعيدًا عن عينيها : نصابة كبيرة وعمري ما تخيلت انك نصابة.

ضربته بخفة على كتفه وردت بعبوس : ما تبقاش رخم يا

إيهاب

سألها بفضول : انتِ بتصالحي هايدي ازاي لما بتزعليها؟

ردت بسرعة : بشتمها

نظر للسقف وهو يزفر غضبًا : بتشتميها؟ بلاش هايدي، خلينا في أبوكي، أبوكي بتصالحيه ازاي يا حنين؟ بتشتميه؟

ابتسمت بحرج : لا بابا لا طبعًا، بابا أصلًا مش بيزعل مني باكل بعقله حلاوة.

عقد حاجبيه وكرر: بتصالحيه ازاي؟ انجزي

فكرت وأبعدت ذراعيها عن رقبته فأمرها : رجعي ايديكي زي ما كانوا حالًا لحد ما نشوف حل

أمسك ذراعيها ورفعهما لتضعهما حول رقبته مجددًا بينما وضع يديه على خصرها : بتصالحيه ازاي؟

ابتسمت بحرج : بابا بصالحه كده

قبلت وجنته بهدوء شديد ثم ابتعدت لتقبل وجنته الأخرى وابتعدت بخجل وبطء شديد عنه وهي تنظر لعينيه بابتسامة متوترة : بس بابا ذقنه مش بتشوكني كده.

ابتسم وتركها تبتعد : مش بحب أحلقها وماعنديش وقت أصلًا ليها، هتقيسي ولا؟

أمسكت شريط القياس وبدأ في قياس الغرفة بينما دخل عبدالقادر متسائلا: لسه يا ولاد ماخلصتوش؟

ردت حنين : بابا طلع موبايلك واكتب

أخرج هاتفه وساعدهما في رفع مقاسات الغرفة ثم خرجوا للشرفة وأخذت حنين مقاساتها هي الأخرى.

نزل إيهاب برفقتهما ليوصلهما لسيارته وقبل أن يركب قال بحرج : عمي الأوضة خلال أسبوع بالكتير وكل حاجة هتبقى جاهزة ممكن كدا نتجوز امتى؟

انتبهت حنين لسؤاله ونظرت لوالدها بفضول شديد، علق عبدالقادر : انتم عايزين تتجوزوا امتى؟

رد إيهاب بمزاح : امبارح

ضحكوا معا بينما علق عبدالقادر بجدية : لا بجد تخيلت انكم عايزين فترة تعرفوا فيها بعض الأول ها يا حنين؟

ردت حنين : لا يا بابا مش محتاجين، أنا عرفت إيهاب في الفترة اللي كان فيها شغال في البيت وعرفت طباعه قبل ما يكون في أي حاجة بيننا.

تمنت لو تطمئن والدها أنها لا تخاف منه لأن ما بينهما اتفاقًا لا زواجًا بالمعنى الحقيقي فلا داعي للخوف أو التأجيل فلن يتغير بينهما شيء، سيظلان صديقين مقربين لا أكثر أو أقل.

كرر إيهاب : ها يا عمي قلت ايه؟

تنهد بتفكير : تعال بكرا أكون اتكلمت معاها ومع والدتها ونحدد مع بعض ميعاد.

ثارت صابرين عندما أخبرها عبدالقادر برغبة إيهاب في تحديد موعد للزواج؛ اعتقدت أن ابنتها تعاندها فقط وستعود لرشدها حتمًا مع الوقت.

انتظرت حتى خرج عبدالقادر ليتمشى قليلًا فدخلت غرفة ابنتها التي كانت تتحدث على الهاتف فصاحت باهتياج: اقفلي وكلميني

اعتذرت حنين من صديقتها: سلام يا هايدي دلوقتي

أغلقت ونظرت لصابرين ببرود: خير؟

صرخت بحدة : انتِ بجد هتتجوزي اللي اسمه إيهاب ده؟ مش مشيتي كلامك عليا؟ وأثبتي اللي عايزة تثبتيه؟ كفاية بقى فُضي المسرحية دي علشان بوخت أوي.

وقفت حنين بغضب : مسرحية ايه؟ انتِ شايفة حياتي مسرحية؟

تأففت بملل: أووف يا حنين، أووووف، علاقتك بإيهاب هي اللي مسرحية مش حياتك، لو اتجوزتيه هتبقى مسرحية أيوة ومش هقدر أواجه المجتمع

ردت بتحدٍ: طظ في المجتمع اللي بتتكلمي عنه ده، كان فين مجتمعك لما اتعذبت مع الدكتور المحترم؟

وقفت صابرين في وجهها وبررت: انتِ ماعرفتيش تتأقلمي مع أمجد و

صرخت بغضب شديد : تاني؟ تاني هتقولي أنا؟ هتجوز

إيهاب ولو هتتبري مني هتجوزه ولو بالعند فيكي هتجوزه.

أمسكت صابرين ذراعها بعصبية : مش هتتجوزيه ولو

جذبت حنين ذراعها بعنف وتركت الغرفة لتخرج خلفها صابرين تهتف بحدة : رايحة فين اقفي هنا وكلميني

فتحت حنين باب الشقة لتغلقه صابرين وهي تصرخ : مش هتخرجي

فتحت حنين الباب بعنف وخرجت من البيت وضاع صراخ صابرين خلفها، ركضت إلى الشارع ودموعها خانتها فأخذت تهبط بغزارة

اتصلت بإيهاب من هاتفها الذي لم تتركه من يدها، رد عليها بسرعة : غيرت هدومي وفي الطريق أهو جاي لأبوكي

ردت بصوت مخنوق بالبكاء : ينفع تيجي بسرعة؟

توتر من صوتها فسألها : بتعيطي ليه؟ في ايه حصل؟

ردت باختصار : تعال بس بسرعة، هقعد على الكافيه في أول الشارع.

طمأنها بسرعة : حاضر دقايق وهتلاقيني قدامك بس بطلي عياط بالله عليكي .

اختارت حنين طاولة بعيدة لتجلس بمفردها في عزلة وهي تعيد كلام والدتها وعتابها مرة بعد الأخرى بأنها مَن فشلت في إرضاء زوجها أو فهمه، تذكرت أيضا أمجد في كل

مرة يتهمها أنها فاشلة كزوجة وكأنثى وكامرأة لا تمتلك من مقومات الأنوثة غير وجه جميل فقط ولكنها خاوية وباردة المشاعر، تساءلت كيف سيكون رد إيهاب إن اقترب منها وعرف حقيقتها وبرودة مشاعرها؟ هل سيتركها وينفر منها ويتفضل عليها مثلما فعل أمجد قبله؟ فكرت للمرة الألف أنها أخطأت حين قررت الزواج مجددًا حتى ولو باتفاق مثلما فعلت مع إيهاب فإلى متى سيتحمل هذا الاتفاق؟ وإلى متى سيظل بجانبها؟

قاطع أفكارها وصوله وصوته الملهوف : حنين؟

وقفت وألقت نفسها بين ذراعيه وهي تبكي بقهر : مابقيتش عايزة أرجع البيت ده تاني أرجوك خدني منه كفاية.

ضمها وهو يتمنى لو يستطيع أخذها الآن بالفعل لبيته، شدد يديه حولها بحنو : حبيبتي قوليلي بس حصل ايه؟ زعلانة ليه؟

ابتعدت عنه دون أن تنتبه لكلمة حبيبتي أو ربما انتبهت ولكنه قالها ككلمة عادية : اتخانقت مع ماما، تخيل لسه بتتهمني اني فشلت في زواجي الأولاني، لسه بتلوم فيا، فاكراني بلعب معاك وبضحك عليها وبتقولي امتى هتنهي المسرحية دي؟ حياتي و وجعي مسرحية ولعبة بالنسبة ليها، مابقيتش متحملاها ولا متحملة كلمة واحدة منها.

ابتسم إيهاب رغم وجعه : هي شايفانا مش مناسبين لبعض يا حنين ومش هنضحك على بعض لاننا مش مناسبين فعلا،

احنا ارتباطنا صوري اه بس مش بالنسبة ليها، فحاولي تعذريها و

قاطعته بغضب : إياك تقولي سامحيها واعذريها يا إيهاب إياك بحذرك.

رفع يديه بتراجع: طيب مش هقول خلاص، ممكن تهدي طيب؟ خليني أتصل بأبوكي ونحدد ميعاد للفرح طيب، وحاولي تتلاشيها اليومين دول لحد ما تيجي عندي وتبدئي خناقاتك مع أمي، أمي ايه بقى حاجة كده أورجانيك هتظبطك هتخليكي تعشقي أمك وترجعي تبوسي رجليها

ضحكت حنين رغمًا عنها ومسحت دموعها : والله انت رايق وبتهزر

ضحك على منظرها ومد يده يمسح دموعها بيديه: هتشوفي هتشوفي وهتقولي يوم من أيامك يا صابرين.

علقت بعبوس وهي تعقد حاجبيها : لو سمحت أنا دلوقتي بعيط فما تضحكنيش إذا سمحت، احترم عياطي ده.

ازداد ضحك إيهاب لتضحك هي الأخرى معه وتمتمت بحنق : مفيش أي احترام للعياط خالص كده؟

تنهد بارتياح : خوفتيني عليكي يا شيخة قلت حصل ايه، المفروض خلاص نكتسب مناعة في موضوع الخناق مع أمهاتنا ده

علقت بسخرية : كانت فين مناعتك دي لما اتخانقت معاها

ساعة الشقة؟ جيت تتشطر عليا وتقولي هسيبك من أول مشكلة تبيعني.

أسند ظهره على الكرسي خلفه : طيب كنت أعمل ايه؟ بعد ما أخدت مني شقتي يا حنين؟ اوعي تفتكري ان الموضوع عدى خلاص وانتهى، أمي اختارت اخواتي لتاني مرة وبترميني أنا، حنين أمك بتحبك - حاولت الاعتراض فتابع- مش هننكر ده هي آراءها غلط لكن بتحبك، أفكارها مغلوطة وطريقة تفكيرها غريبة بس بتحبك وكل خناقاتها معاكي حب ليكي ومش هتنكري ده، هي دي عقليتها ودي أفكارها لكن بتحبك، أمي ما بتحبنيش أو بلاش نظلمها أمي بتحب اخواتي أكتر، ضحت بيا من زمان علشانهم ودلوقتي لما فكرت في نفسي مرة واحدة كسرتني، خذلتني في الوقت اللي احتجتها فيه، فالفرق كبير بينهم، أم بتتخانق علشان مصلحة بنتها من وجهة نظرها و أم بتضحي بابنها علشان باقي عيالها، الفرق كبير أوي يا حنين.

حاولت حنين التخفيف عن وجعه : بس يا إيهاب بتحبك برضه يمكن دي أفكارها وشايفة ده الصح

رفض تبريرها بقوة: حبيبتي من سنين أخدت الشقة دي اترجيتها نشوف أي طريقة ندفع بيها المقدم رفضت تماما، استلفت من زمايلي وهبة قلعت الحلق بتاعها وقالت هوفر كل مليم واترجت أمي توافق بعدها اتصدمت ان معاها مقدم الشقة وبتحوش من فلوسي ومن ورايا، زمايلي وخالد بالذات انتِ عارفاه كان دايمًا يقولي حوش لنفسك واعمل

حاجة لبكرا كنت برفض وأقوله اخواتي وبيتي أولى، ساعتها لما لقيت الفلوس دي أمي محوشاها عرفت اني غلطت اني كنت بديها كل اللي معايا، كنت أرجع من الشغل تاخد كل اللي معايا، وتديني مصروف في ايدي زيي زي اخواتي وكأن الفلوس دي مش تعبي ومش شقايا وما طلعش عيني بيهم النهار كله بس اتعودت وقلت يلا خلي المركب تمشي لكن بعد المقدم بقيت بشيل، روحت فتحت حساب وحطيت فيه فلوس ليا وقلت مش هتحط في الموقف ده تاني و واحدة واحدة بدفع باقي تمن الشقة وبوضب فيها وهي هتتجنن انها مش عارفة تحوش زي الأول، مع انها طول الوقت تدي لمازن فلوس كل ما يحب يخرج وأقول مش مهم هو شاب ومحتاج يتسلى مع أصحابه خليه براحته ودلوقتي بعد السنين دي وبعد ما وضبت الشقة ولما احتجتها تقولي دي بتاعتي ومالكش حاجة عندي؟ لدرجة ان الأسطى طلعت قالها في إيصال أمانة بباقي تمن الشقة قالتله مش باسمي روح قدمهم للنيابة واحبسه.

علقت حنين بتبرير: بس هي عارفة انه مش هيعملها وعارفة انه بيعتبرك زي ابنه

علق بوجع : وهي ما اعتبرتنيش ليه زي ابنها؟ المهم يا حنين اوعي تفتكري ان الحياة معايا هتكون جنة، أمي قادرة تحولها لجحيم لينا احنا الاتنين وانتِ وافقتي تخلينا تحت رحمتها.

ابتسمت تطمئنه : فترة مؤقتة لحد ما يتخرج مازن ونروح

نشوف شقة صغننة لينا هتتسهل.

أومأ بتمني، اتصلت حنين بوالدها وأخبرته بمكانهما وانضم لهما وبعد نقاش طويل حددوا موعد الزفاف خلال عشرة أيام.

في يوم زفاف أميرة اتصلت بتردد بعبدالقادر الذي رحب بها، أخبرته بحرج عن زفافها : عمي النهارده فرحي وكنت بتمنى حضرتك تيجي تحضر معايا، محدش معايا نهائي من عيلتي غير عمي فياريت لو تيجي انت وحنين.

احتار عبدالقادر؛ لقد وعدها يوما إن احتاجته فسيلبي دون تفكير ولكن حنين ابنته

قاطع أفكاره أميرة وصوتها يخونها : أمجد رفض جوازي من الشخص اللي اخترته لانه افتكر اننا على علاقة من زمان علشان زميلي في الجامعة وأمي عملت فيا زي ما عملوا في حنين وحبسوني علشان ما يوصليش بس ربنا نجدني منه وحمدت ربنا اني في يوم ساعدت حنين وحاسة ان ربنا بعتلي أحمد يخرجني بسببها، أخدني على بيته والنهارده هنتجوز ممكن تيجي وتقف جنبي؟ وهتفهم لو حنين رفضت تيجي.

لم يستطع الرفض و وعدها أنه سيكون بجانبها ولن يتركها.

أغلق الهاتف لتسأله حنين : مين يا بابا بيكلمك وبتوعده انك هتروحله؟

أجابها بتردد : أميرة أخت أمجد فرحها النهارده

اختفت ابتسامتها وعلقت ببرود : ربنا يتمملها على خير هي برضه عانت معاه، عايزاك تحضر ليه؟

شرح لها وضعها وعرض عليها أن تذهب معه فرفضت تماما، خيرها إن كانت لا تريد منه الذهاب فهو لن يذهب ولكنها رفضت وطلبت منه الذهاب.

خرجت من مكتبه لتلاحظ سارة داخل مكتب زهير وتعجبت من تنقلها من رجل لآخر بكل سهولة فأين قلبها من كل ذلك؟

جلست على مكتبها بإحباط، سألتها هايدي التي اقتربت منها : مالك؟

مطت شفتيها: النهارده فرح أخت أمجد وعزمت بابا أو طلبت منه يكون معاها علشان محدش هيحضر من أهلها خالص.

اقترحت بهدوء : طيب ما تروحي مع عمو وخدي إيهاب كمان

عقدت حاجبيها وعلقت بسخرية: يا سلام عليكي، اسكتي يا بت ولا روحي مكتبك.

قالت قبل أن تذهب : صح أنا أصلا كنت هسألك دعاء فين؟ ماجتش ليه؟

أجابتها حنين : أعتقد أخدت إجازة يومين.

تلفتت هايدي حولها : سمير كمان مش موجود صح؟

أومأت برأسها بموافقة فهي لا تراه أيضا وقررتا الاطمئنان عليها في المساء.

بعد أن أغلقت أميرة الهاتف مع عبدالقادر دخلت فاطمة والدة أحمد بعدما استأذنت : أميرة حبيبتي عمك محمد عايزك

وقفت أميرة احترامًا له: خليه يتفضل يا طنط طبعا.

دخل محمد وألقى السلام ثم جلس أمامها : أميرة يا بنتي مين هيكون وليك في كتب الكتاب.

رفعت أميرة رأسها بتعجب : وليّ؟ ما ينفعش أنا أكون ولية لنفسي؟

ابتسم محمد : لا يا بنتي ما ينفعش ومن شروط الزواج وجود ولي للبنت، شوفي عم أو ابن عم أو خال أي حد تثقي فيه.

فكرت أميرة بحيرة ثم علقت : عندي عم بس بقالنا فترة طويلة ما كلمناهوش، الله يمسيه بالخير (ابتسمت وهي تتذكره) كان دايما ضد أمجد وضد أمي إنها بتمشي كلامه حتى لو غلط وكل ما يتدخل بيتخانقوا معاه لحد ما قاطعنا خالص وبطل يتدخل.

سألها : طيب لو كلمتيه ممكن يجي يحضر ويكون وليك؟

رفعت كتفيها بحيرة : مش عارفة بس هكلمه دلوقتي وأشوف.

وقف تاركا إياها : طيب كلميه وطمنيني يا بنتي

أمسكت أميرة هاتفها بتوتر واستجمعت شجاعتها ثم اتصلت به وبعد عدة رنات سمعت صوته فردت بتوتر : ألو السلام عليكم.

لحظة صمت قبل أن تسمع صوته : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. مين؟

تنهدت أميرة قبل أن تعرّفه بنفسها : أنا أميرة يا عمو كمال

رد باستغراب واضح : أميرة؟ ازيك يا بنتي أخبارك ايه؟

- الحمدلله بخير يا عمي كويسة.

- ووالدتك عاملة ايه وأخوكي؟

أجابته بتردد : معرفش إذا كنت عارف ان أمجد اتحبس ولا مش عارف؟ بس قرب يخلص المدة بتاعته.

سمعت تنهيدته : سمعت يا بنتي الله يهديه، كلمت والدتك وحاولت أتواصل بيكم بس هي رفضت.

ألقت أميرة جملتها دون أي مقدمات : عمو أنا سيبت البيت لماما، اتقدملي واحد زميلي في الجامعة إنسان كويس جدا ومحترم و أمجد رفض دون أي سبب و ووو

سردت له ما حدث وسط ذهوله وحوقلته حتى سمعها

تكمل بحزن : لولا أحمد لحقني وكسر الباب وطلعني وجابني للمستشفى كنت مت فيها، فأهله صمموا نكتب الكتاب وأروح بيته قبل ما أمجد يخرج وبصراحة أنا وافقت والنهارده كتب الكتاب يا عمو ومحتاجة حضرتك تكون وليي، قلت ايه يا عمي؟

سألها بهدوء: أنتِ واثقة فيه يا بنتي انه ابن حلال وهيسعدك؟

أكدت بسرعة : اه يا عمي، أحمد أعرفه من سنين مش أيام وهو شخص محترم وكويس وأهله كويسين جدا.

رد بدعم : طيب قوليلي آجي امتى وفين وهتلاقيني جنبك يا بنتي

ابتسمت أميرة بامتنان: متشكرة أوي يا عمي وربنا ما يحرمني منك أبدا، وياريت تسمحلي أكون على اتصال دايما بيك.

رد بسرعة بود : يا نهار يا أميرة يا بنتي؟ أسمحلك؟ يا بنتي أنا ياما اتحايلت على والدتك أكون جزء من حياتكم بس هي رفضت ودايمًا بترفض أي تدخل مني وعلشان كده بعدت لكن ياريت تسألي عليا وتسمحيلي أسأل عليكي.

أنهت المكالمة وهي سعيدة بهذا الوصال مجددًا مع عمها.

اتصلت حنين بتردد بإيهاب وحين لاحظ أنها متوترة و تتكلم بلا هدف قال بهدوء : حنين روحي عايزة تقولي

حاجة؟ ولا في ايه؟

سألته بتردد : احنا مش أصحاب أنا وانت؟

تنفس بصوت مسموع؛ فهو بداخله يتضايق كلما ذكرت صداقتهما ؛ هو حبيبها أو يتمنى أن يكون حبيبها لا صديقها

كررت سؤالها : إيهاب احنا أصحاب؟

أجابها : أكيد مش محتاجة كل شوية تسألي يا حنين، عايزة تقولي ايه؟ قولي على طول.

قالت بتردد شديد : فرح أميرة النهارده محتارة أروح مع بابا ولا لا؟ انت ايه رأيك؟ وهل ينفع تيجي معايا؟ نباركلها ونمشي؟

استغرب حديثها وعلق : أولًا مين أميرة دي يا حنين؟ وليه محتارة تروحي أو لا؟ صاحبتك روحي مش صاحبتك ما تروحيش بسيطة أهيه

زفرت بضيق : مش صاحبتي، أخت أمجد

تضايق إيهاب حين استمع اسمه، تساءل لمَ يشعر بذلك الوجع داخل قلبه كلما سمع اسم زوجها السابق منها؟ لمَ تظل تذكره؟ هل مازال قلبها ينبض لأجله؟ هل تحفظ ذكراه؟ لمَ تظل على تواصل مع عائلته؟

انتبه من أفكاره وتساؤلاته عليها تكمل: قلت ايه تيجي معايا؟ هيكون في قاعة **

تمنى لو يصرخ بها ولكن حافظ على هدوئه وهو يجيب: آجي معاكي فين؟ على فكرة يا حنين في شرط في الاتفاق معرفش ليه انتِ دايمًا بتتناسيه.

تساءلت بحيرة : شرط ايه؟

أجابها بضيق : انك وعدتيني ان جوازنا اه صوري بس هتحافظي على شكلي ومنظري مش تروحي لأخت جوزك السابق تباركيلها !

تضايقت حنين ؛ فهي تكره الاتهامات فردت باندفاع : انت مش فاهم حاجة فما تتكلمش في حاجة مش فاهمها.

صاح بها بنفاد صبر: طيب فهميني

ردت بحدة : اعتبرني ما قلتش حاجة خلاص ولو هروح فهروح مع بابا، شكرًا ليك.

أغلقت المكالمة دون أن تنتظر ردًا منه، بينما انزعج إيهاب وتمنى لو يكسر الهاتف في يديه من شدة غيظه.

ذهبت حنين برفقة والدها وحضرت كتب الكتاب، وقفت بجانب أميرة طوال الوقت ومن بعيد يراقبها إيهاب؛ فقلبه صمم أن يذهب ويرى عائلة زوجها السابق ويراها هي معهم، هل مازالت تحن إليهم؟ هل ستذهب للواجب لا أكثر أم هناك علاقة قوية بينها وبين عائلته؟ راقبها من بعيد وهي تقف بجانب أميرة وتمسك يدها، راقبها حتى انتهى المأذون من كتب الكتاب وبجانبها عمها وليّها وعبدالقادر شاهدًا على

عقد الزواج وخلفها حنين تدعمها وتمسك يدها، ضمتها بحب واضح فترك إيهاب المكان وقد تيقن من خسرانه لهذه القضية التي يحارب بها وحده.

٩

تم عقد قران أميرة وأحمد، فضمها أحمد بحب واضح : مبروك يا أجمل ميرو في الدنيا، ربنا يجعلك أجمل نعمة منورة حياتي دايما ويقدرني اني أسعدك يارب.

أمنت على كلامه بحب : ويقدرني دايما اني أسعدك يا أحمد.

اقترب عمها : مبروك يا أولاد وربنا يسعدكم يارب، أميرة شكرت فيك جامد يا أحمد يا ابني

ابتسم بحرج : ربنا يقدرني أسعدها يا عمي.

ربت على كتفه بحب : أنا من النهارده أميرة بنتي مش بنت أخويا وربنا يسامح اللي بعدني عنها بس خلاص ملحوقة، ربنا يسعدكم يا أولاد.

تزاحم الجميع عليها من عائلتيهما وأصدقائهما بالجامعة، لمحت أميرة عبدالقادر وابنته فتوجهت تجاههما بامتنان: أنا مهما أقول مش هقدر أشكركم، كفاية عليا وجودكم معايا النهارده، ما تتخيلوش فرق معايا ازاي

ابتسم عبدالقادر وربت على يدها بحنان : ربنا يسعدك يا بنتي ويجعل أحمد زوج صالح ليكي ولسه عند كلامي في أي وقت تحتاجيني هتلاقيني على بعد مكالمة منك زي النهارده.

شكرته بامتنان وفرحة، و نظرت لحنين بحرج: مش هقدر أطلب منك نكون أصحاب أو نفضل على تواصل.

أردفت حنين بهدوء: اللي حصل لسه بحاول أتعافى منه، كان نفسي أعرفك في وضع غير الوضع وظروف غير الظروف بس ده قدرنا ونصيبنا، انتِ إنسانة جميلة وتستاهلي كل خير وفوق كل ده أنا مديونالك بحياتي، لو أنا واقفة هنا النهارده فده لانك ساعدتيني.

ابتسمت أميرة بصدق: وعلشان ساعدتك ربنا بعت أحمد ليا، عمري ما ندمت للحظة على قراري، ربنا يسعدك يا حنين ويعوضك يارب بكل الخير اللي في الدنيا.

ابتسمت بود: يارب يا أميرة يارب، طمنيني عليكي من وقت للتاني.

قال عبد القادر بتأكيد: وزي ما قولنالك احنا على بعد مكالمة مش أكتر

نظرت أميرة لهما باستفسار: انتم ليه محسسيني انكم هتمشوا مش هتكملوا السهرة معانا شوية؟

رد عبدالقادر بتأثر : معلش يا بنتي اعذرينا انتِ خلاص اتجوزتي أهو وكتب الكتاب مر بسلام احتفلي وافرحي مع جوزك يلا روحيله.

انسحب عبدالقادر بابنته ولاحظ صمتها معظم الطريق فسألها : مالك يا حنون؟ مسهمة كده ليه؟

تنهدت بحيرة : عادي يا بابا أميرة كانت حلوة النهارده.

ابتسم بتأكيد: اه كانت جميلة ربنا يسعدها يارب بس

دلوقتي بسألك عن حنين، مسهمة كده ليه؟ مالك؟

قالت باندفاع: تخيل إيهاب مارضيش يجي معايا؟ متخيل؟

نظر إليها بطرف عينيه وسألها بهدوء: هو رفض يجي الفرح بشكل عام ولا رفض يروح فرح أخت زوجك السابق؟

عقدت حاجبيها بضيق : وهي تفرق يا بابا؟

استنكر تماما سؤالها ووضح قائلًا : فرق السما للأرض يا حبيبتي طبعا تفرق، خلي بالك إيهاب ما يعرفش حاجة عن أمجد وظروف جوازك منه ولازم يا حنين تفهميه، أنا تخيلت انك حكيتيله عن اللي حصل لكن هو بيتخبط ولازم ترسيه.

حركت رأسها برفض ؛ فهي لا تريد خوض كل التفاصيل مجددًا أو تخبره عن برودها العاطفي وعدم مقدرتها على إشباع رغبة زوجها؛ فهي قد كرهته وكرهت كل ما يجمعها به ولن تخبر إيهاب أبدًا بذلك، ستخبره فقط عن عنف أمجد ولكن ليس الآن، بعد أن يتم الزواج وتتوطد علاقتهما ببعض وتشعر أنه صديقها حقا ولن يتركها بمنتصف الطريق، هي لم تكذب عليه أبدًا ولم تعده بالحب وطلبت منه صديقًا فقط يقف يجابنها لم تطلب حبيبًا أو زوجًا والصديق لاحاجة له بمعرفة تفاصيل حياتها الزوجية المعقدة.

دخلت هبة غرفة أخيها وجدته يقف أمام الحائط شاردًا تماما فهتفت بصوت عالٍ : هوبا ... . هوبا!!!!

انتبه لها فابتسم : تعالي يا قلبي، ادخلي

وقفت بجانبه ونظرت للحائط الفارغ بتعجب : بقالك كتير أوي يعني ما رسمتش حاجة !

تنهد بإرهاق ووضع ما بيده على الطاولة خلفه : ماليش مزاج أرسم، الرسم ده مووود للأسف -أكمل بمزاح – ولو المود اللي جوايا طلع على الحيطة هتبقى مصيبة.

ضحكت معه لكنها علقت بجدية : في حاجة مضايقاك؟

جذبها ناحيته وضمها : لا يا قلبي عادي مجرد إرهاق مش أكتر.

عرضت بتعاطف : طيب أقدر أساعدك بايه؟ أعملك أكل؟

شكرها بابتسامة: روح قلبي والله يا هبة لو محتاج حاجة هقولك.

جلست وراءه قائلة : طيب هقعد معاك ولا عايز تفضل لوحدك؟

نفى بابتسامة : خليكي معايا.

سألته فجأة : طيب ايه رأيك لو أرتب هدومك في الدولاب؟

نظر إليها بحيرة فوقفت بحماس : طيب تمام يبقى هرتب هدومك أنا وانت روح كلم حنين خليها تغير الموود

لاحظت تعقيد حاجبيه حين ذكرت اسمها فاتسعت عيناها

واقتربت منه : يبقى حنين اللي عاملة المود السوداوي ده صح كده؟ صح؟ صح؟ قول يا إيهاب صح متخانقين؟

تعجب من إصرارها : في ايه يا بنتي مالك زي ما يكون دي حاجة حلوة يعني

ضحكت بحماس : لا بعد الشر عليكم طبعا بس كون إن يكون عندك حبيب وتتخانق وتزعل وتصالح والحوارات دي كلها فده في حد ذاته حاجة لطيفة، وجود حد في حياتك يهتم وتتخانق وتزعل وتفرح ده اللي حلو يا إيهاب

علق بسخرية: طيب ما أنا عندي انتِ مثلا بتحبيني وبنتخانق ونتصالح وبنهتم ها؟

عقدت حاجبيها بغيظ للتشبيه ثم قررت الرد بنفس طريقته فوضعت يديها حول رقبته بتهكم : يعني لما أقرب كده وأقولك وحشتني يا هوبا زي حنون؟

فك يديها وأشاح بوجهه عنها ونظر لألوانه : امشي يا بت اطلعي اعملي اللي هتعمليه يلا

ضحكت هبة و وقفت أمام وجهه بعناد : بذمتك لو دي حنين كنت هتقولها امشي اطلعي برا؟ بذمتك؟

حاول مداراة ابتسامته ولكن لمحتها فضحكت : اضحك اضحك ما تتكسفش

رد بحنق مصطنع: ما تمشي يا بت وتشوفي وراكي ايه؟

ضحكت وخرجت لترتب له ملابسه، بينما هو فاختفت

ابتسامته بعد أن أغلقت أخته الباب وجلس باستسلام فالجميع يتخيل أن بينهما قصة حب عنيفة لا اتفاقًا سخيفًا وافق هو عليه.

أعلن هاتفه عن وصول رسالة، وقف بفتور ليحضره وحين رأى اسمها على شاشته توترت نبضاته ولعن هذا العشق الذي سيطر على قلبه، فتح الرسالة ((آسفة لو كنت ضايقتك النهارده، أميرة ليها جميل عليا ومديونة ليها بحياتي وكان لازم أقف جنبها كنوع من أنواع رد الجميل، حسيت اني مديونة ليك بالتفسير ده))

قرأها عدة مرات ولكن بمَ ينبغي أن يشعر الآن؟ هل يجب أن يتجاهل شعوره المؤلم داخله؟ يتجاهل أنه مجرد صديق ولن تحبه يومًا؟ أم يتمنى أن تراه يومًا كحبيب؟

ألقى هاتفه من يده و خرج ليقف بالشرفة ليستنشق بعض الهواء عله يريح قلبه.

انتظرت حنين ردًا على رسالتها خصوصًا أنه فتح الرسالة

أحست بالإهانة والغضب؛ فمَن يظن نفسه كي يتجاهلها؟ للمرة الثانية تتوقع وتتمنى المزيد، كتبت بغضب ((يعني أنا من باب الذوق كتبت رسالة علشان ما تزعلش واحترمت مشاعرك وسيادتك بتتجاهلني؟ ما تخلينيش أندم على تعاملي بالذوق معاك وتحسسني بعدم التقدير))

أرسلت الرسالة وفي اللحظة التي استلمها ندمت على أسلوبها.

قرأ رسالتها ليبتسم بحزن فهذا المتوقع منها، فكر في الرد ولكن بمَ يرد؟ هل يكتب لها أنه يريد قلبها ملكًا له؟ هل يكتب أنه يعشقها ويكره مجرد تفكيرها في زوجها السابق؟ هل يكتب أنه يكره عندما تؤكد على صداقتهما؟ فهو لا يريد هذه الصداقة بل يطمع في العشق، العشق فقط ما يرضيه

أخيرًا قرر أن يكتب ((أنا ولا حد، ما طلبتش منك اعتذار ولا طلبت منك تقرير عن تحركاتك، ولا قلتلك اني زعلان علشان تحسي انك مديونة لي باعتذار ، انتِ بتعملي قصة من اللا شيء وتكبريها كمان، انتِ بعيدة كل البعد عني وما عندكيش أدنى فكرة عني أو عن حياتي أو عن أحاسيسي فما تتعامليش معايا على أساس انك فاهماني لانك مش فاهمة حاجة، سبق ووعدتك اني مش هرجع في كلامي فاطمني مش مطلوب منك أي حاجة وما تخافيش مش هتراجع))

قرأت رسالته بلهفة ولكن شعرت بالوجع بين سطورها وبالضيق من نفسها ومن سلبيته.

ألقت الهاتف من يدها؛ فهي متضايقة بلا سبب، لا تعرف ماذا تريد منه؟ هي تريد الكثير ولكن لا مسمى لما تريده.

بعد فترة وفي منتصف الليل كتبت (أنا متضايقة منك وما تسألنيش ليه بس مخنوقة ومتضايقة)

قرأ رسالتها واستغرب كثيرًا، فكر في رد لرسالتها ولكن لم يجد ما يكتبه أبدًا.

انتظرت حنين ردًا على رسالتها ولكن لم يصلها أي رد، ها هو مجددًا يرى رسالتها ولم يرد عليها، خرجت من غرفتها فقابلها والدها : تعالي يا حنون مالك يا حبيبتي؟

كان واضحًا من ملامحها أنها غاضبة : ماليش ابتسم بمزاح : انتِ هتفرقعي لو حد لمسك، مين مضايقك؟

أمسك يدها واقترح : تعالي نعمل قهوة وقوليلي ايه اللي مضايقك ولا مين اللي مضايقك وأنا أعلقهولك؟

دخلت برفقته للمطبخ وعلقت : طيب أنا أعملك القهوة

أجلسها على الكرسي : اقعدي كده أنا عايز أعملها، بس احكيلي متضايقة ليه؟ كلمتي إيهاب ولا لسه زعلان من قصة الفرح؟

انفجرت هنا عندما ذكر الفرح : تخيل بعتله وقلتله عن أميرة واني مديونة ليها وما عبرنيش؟ وبعدها يقولي أنا ما طلبتش تبريرك ولا تقرير عن رايحة فين ولا جاية منين؟بارد

سألها باهتمام : انتِ كلمتيه يعني ورد عليكي بأسلوب مش ظريف ولا ايه؟

جاوبته بحنق : بعتله رسالة وهو رد برسالة وبعدها بعت رسالة تانية وسيادته ما ردش، مش بيفهم في الذوق أصلا.

علق والدها بهدوء : وليه ما تفترضيش انه راجل صاحي من بدري ونهاره كله في الشغل واحنا نص الليل فنام من التعب ولما يصحى يرد؟

عقدت حاجبيها بتفكير ولكن لم تتقبل هذا المبرر فبررت: شاف آخر رسالة، ماكانش قادر يرد يعني قبل ما ينام؟ ولا تجاهلها ونام؟ ولنفترض نام ازاي عرف ينام وهو عارف اني متضايقة ومتغاظة منه؟

برر والدها : يا بنتي وهو يعرف منين انك متضايقة ومتغاظة؟ مش المفروض إن هو اللي زعلان؟

ردت بغضب : علشان بعتله اني متضايقة ومخنوقة منه وشافها وما ردش.

ابتسم والدها من اندفاعها؛ فهذا هو شجار المحبين الذي لم يشعره أبدًا مع أمجد؛ هي لم تتشاجر مع أمجد هكذا، لم تتضايق من عدم اتصاله أو تفرح باتصاله.

لاحظت حنين صمت والدها فوقفت بضجر : حضرتك شايف إن المفروض أنا اللي أصالحه يعني ولا ايه؟ ولا مستهيف الموضوع كله؟

التفت والدها وهو يضع فنجان القهوة أمامها وأجابها بعقلانية : حنين محدش مستهيف مشاعرك أبدًا وهو ممكن يكون فعلا نام يا حبيبتي من التعب، ممكن يكون مستني يكون أهدا ويتكلم، ممكن يكون محتاج يعرف أكتر عن أمجد، حنين أنا ممكن أقولك ألف طريقة وطريقة لتفكيره وأقول افتراضات كتيرة لكن كلها مالهاش لزوم، بكرا هيتصل بيكي وتعرفي منه كل اللي محتاجة تعرفيه، بس في نقطة مهمة لازم تخلي بالك منها، إيهاب ممكن يكون مش في باله أصلًا

كل اللي بتقوليه ده، مش عايز أغلط أو أعيب فيه بس شغله والوسط اللي بيتعامل فيه ممكن تكون المشاعر والزعل وكل ده آخر اهتماماته أصلًا ومش فارق معاه فانتِ هنا بتحرقي دمك وبتضربي أخماس في أسداس وهو في سابع نومة ولا فارق معاه أصلًا كل الهري ده.

حركت رأسها برفض : لا يا بابا لا إيهاب مش كده.

ابتسم وهو يرتشف قهوته بهدوء : ده انتِ اللي تعرفيه مش أنا.

قاطعهما رنين هاتفها فنظرا للهاتف ليعلق والدها : أهو جه على السيرة ردي عليه

عقدت حاجبيها بعناد : مش هرد خليه يرن

ضرب والدها كفًا بكف بحيرة : لا حول ولا قوة إلا بالله، يعني ساعة بترغي انه ماعبركيش وما ردش ولما يتصل تقولي سيبه يرن؟ ده ايه ده إن شاء الله؟ ردي عليه اتفضلي

حين ظلت جامدة فتح والدها المكالمة وفتح مكبر الصوت و أشار لها أن تجيب.

ردت بغضب : أيوة

حرك والدها رأسه بقلة حيلة، وسمع صوت إيهاب يقول بمرح: بالراحة شوية عليا كل دي أيوة؟

ابتسم والدها بينما ظلت هي عاقدة حاجبيها بغضب

إيهاب بهدوء : طيب مش هتردي تمام، سيادتك متضايقة ومخنوقة وأكيد دلوقتي بتطبقي عليا منطقك الغريب اللي قلتي عليه، اللي هو لما تزعلي أعمل حسابي ان انتِ اللي زعلانة علشان زعلتيني فالمفروض أنا أصالحك صح كده؟ يعني أنا اتضايقت فسيادتك اللي متضايقة فأنا اللي المفروض أصالحك صح؟

زادت ابتسامة والدها بينما علقت هي بعناد : مش هرد عليك ولعلمك ماكنتش هرد لولا بابا اللي زعق وقالي أرد غير كده ماكنتش هرد أصلًا.

رد بصبر : أصلا يعني؟ فكريني أشكر باباكي، ينفع طيب أقولك بصي من البلكونة ولا آخد بعضي وأروح بدل ما تحدفي فوقي جردل ميا مثلًا ولا أي حاجة؟

شهقت حنين وتبادلت نظرات الدهشة مع والدها وردت بعدم تصديق: انت تحت؟ بجد؟

سمعته يرد بخفوت : يعني ينفع أعرف انك متضايقة ومخنوقة وأسيبك كده؟

ابتسمت بخجل وأمسكت الهاتف بسرعة: على فكرة الاسبيكر مفتوح وقلتلك بابا اللي خلاني أرد يعني بابا سامعك

صمت للحظة بعدها رد بشك: بتهرجي صح؟ بتشتغليني؟

قالت بصدق: والله أبدًا بابا اللي فتح المكالمة وقدامي

رد باستنكار : بتهزري؟

تكلم عبدالقادر بابتسامة: ازيك يا إيهاب اطلع يا ابني

ارتبك إيهاب فوقع الهاتف من يده وحين حاول التقاطه وقع الموتوسيكل معه.

سمعت حنين صوت ارتطام شيء وخمنت أن الهاتف وقع من يده ثم سمعت صوت وقوع شيء قوي فركضت ناحية الشرفة لترى ما حدث له هي و والدها.

ضحكا حين وجداه يرفع الموتوسيكل من الأرض، رفع رأسه للأعلى وابتسم بحرج وهو يوقف دراجته النارية.

نظرت حنين لوالدها برجاء : بابا ينفع أنزله؟ دقيقتين بس

ابتسم وهو يرى الفرحة بعينيها : طيب انزلي و روحوا هاتوا فينو بدل ما أنزل أنا.

قبلته بحب وركضت للأسفل، حين رآها مقبلة عليه رفع رأسه أولًا ليجد والدها غير موجود، اقتربت منه ومدت يدها لمصافحته بابتسامة: جيت يعني

همس بحب : قلتي مخنوقة ومتضايقة

ردت بفرحة : أيوة وبعدين؟ هتعمل ايه علشان ما تخلينيش مخنوقة؟

رفع كتفيه بحيرة : والله ما أعرف بصي أنا قرأت رسالتك مرة واتنين وألف وحاولت أكتب رد مالقيتش رد فلقيت

نفسي زي الشاطر كده بركب الموتوسيكل وباجي على هنا هتسأليني ليه هقولك والله ما أعرف – أكمل بهمس – لو عايزاني أمشي همشي

عبست للحظة وقالت: لا تعال معايا الأول نجيب فينو

ردد باستغراب : فينو؟ بتستغليني انتِ صح؟

أومأت بتأكيد : طبعا

أشار بيده بابتسامة : تركبي ولا نمشي؟

قالت بغيظ: انت عايز توصل بسرعة ونرجع أسرع يعني وتمشي؟

أغلق دراجته بسرعة : نتمشى وبعدين عندنا فرن جنب بيتنا بيعمل فينو حلو ممكن نتمشى لعنده

ضحكت وشاركها الضحك ليبتسم والدها من الأعلى حين سمع ضحكتها العالية بينما ابتعد صوتهما فراقبهما من الأعلى وابتسامة رضى تزين ثغره ودعاء صامت بداخله.

تشابكت أيديهما وسألته بهمس: ليه جيت بجد؟

نظر ناحيتها بصدق: والله ما أعرف بس ماهانش عليا تفضلي مخنوقة، غير كده أنا طول الوقت من بعد ما رجعت من الشغل ماعرفتش أرسم أي حاجة واقف قدام الحيطة متنح، هبة قالتلي فين حنين تظبط المود بتاعك؟ فقلت مابدهاش هي متضايقة وأنا شرحة يمكن لما أشوفك المود يتظبط

سمعته بسعادة فعلقت بمرح : أممم بتستغلني يعني؟

ابتسم بمشاكسة: أيوة بستغلك، مش عايزة رسمة حلوة؟ يبقى ادفعي تمنها

سألت وهي تترك يده وتحتضن ذراعه بعفوية : أدفع تمنها ازاي؟

نظر إليها وهمس بعاطفة: تفضلي زي ما انتِ كده، جنبي وبس مش عايز حاجة تاني.

سيطر الصمت عليهما حتى همست حنين : إيهاب الفرن أهو.

ابتسم وسألها بمزاح : مفيش فرن غير ده؟ شكله مش حلو ماعندهوش زحمة.

ابتسمت بمرح : احنا فوتنا اتنين قبله

تنهد باستسلام وتمتم لنفسه بصبر : هانت

سألته بفضول محبب : ايه هي اللي هانت؟

نظر لعينيها مباشرةً وقال بدون مواربة : تيجي عندي وأقدر أقعد معاكي للصبح بدون ما حد يعترض أو يتكلم.

نظرت له بابتسامة ثم شهقت فجأة فسألها بفزع : في ايه مالك؟

قالت بعينين متسعتين: نسيت أجيب فلوس.

زفر إيهاب بحنق : يا شيخة وقعتي قلبي حرام عليكي، أنا قلت حصل ايه؟ بعدين ما أنا معاكي.

ضحكت وهي تدفعه ناحية الفرن : طيب هات بعشرة روح يلا.

سألها بحيرة: مش قليل بعشرة؟

نفت بسرعة : لا ده كتير بناكل أربعة بس بنجيب الباقي احتياطي مش أكتر.

اشترى ثم عادا إلى البيت و وقفا سويا وقبل أن تتركه وتصعد قالت بسعادة : متشكرة أوي يا إيهاب انك جيت ما تتخيلش ده فرق معايا ازاي.

ابتسم وقال بصدق : ماكنتش هقدر أنام ولا أرسم ولا أشتغل لو ما جيتش وشوفتك.

أمسك يدها دون مقدمات ورفعها قبلها بعاطفة : تصبحي على خير

خجلت من فعلته ونظرت لعينيه وهمست بتبرير : إيهاب بالنسبة لموضوع الفرح صدقني

قاطعها بحسم: مش عايز أسمع حاجة انتِ مش مستعدة تتكلمي فيها أو مش مضطرة تبرري قدامي يا حنين أي تصرف، خدي وقتك و أوعدك وقت ما تحبي تتكلمي هسمعك مهما يكون اللي هتقوليه هسمعه، روحتي الفرح علشان واجب ماعنديش مشكلة في ده صدقيني يمكن أكون أنا اللي

رد فعلي كان أوفر وكان المفروض آجي معاكي.

نظرت له بانبهار وشكرته على مراعاته لمشاعرها وقبل أن تذهب قالت بتذكر : وصلني لحد الباب جوا، ساعات بيبقى في قطط في المدخل بيفاجئوني.

ابتسم وتحرك معها : تعالي يا ستي لحد فوق كمان لو تحبي.

دخلت مدخل العمارة وأعطاها الخبز الذي اشتراه ومازال ممسكا بيدها فهمست بخجل : المفروض تسيب ايدي.

جذبها ليقربها منه وهمس بابتسامة : ولو مش عايز أسيب ايدك؟

ارتفعت نبضات قلبها وأحست بذبذبات سيطرت على المكان بأكمله وتقابلت أعينهما في نظرة طويلة؛ فهو مسلوب الإرادة والعقل معها؛ وهي أحاسيس جديدة تتعرف عليها لأول مرة، كوردة تتفتح لتنشر عبيرها وعطرها.

تساءل عن رد فعلها لو قبّلها؟ هل يقترب؟ هل يطفئ هذه النار التي اشتعلت بداخله؟ وهل ستنطفئ حقًا إن قبّلها أم ستشتعل أكثر لتحرقه معها؟

اقترب منها بحذر ليلمس خدها الناعم برفق وحرك شفتيه عليه، ضدمت من فعلته لكنها ذابت عشقًا بين يديه ووجدت نفسها تبعد وجهها عنه لتضعه في عنقه وتدفن نفسها أكثر بين ذراعيه فضمها بقلبه قبل يديه وتلقفها كالغريق الذي تعلق

أخيرًا بطوق النجاة، ضمها إلى صدره أكثر وهمس في أذنها بشغف : وحشتيني

حاولت لم شتات نفسها وابتعدت عنه بخجل وهمست بصوت مبحوح : تصبح على خير يا إيهاب

قبلت وجنته بسرعة واختفت من أمامه وهي تركض ولم تتوقف إلا بعد أن وصلت أمام شقتها وضربت الجرس، فتح أبوها بسرعة وقال بلوم: كل ده بتجيبوا الفينو؟ جيبتوا من أنهي فرن ياحنين؟

ردت ببراءة : من أبعدهم، إيهاب ماعجبهوش ولا واحد فيهم

رد بمزاح : وتلاقيه ده كمان ماعجبهوش وكان عايز يجيب من غيره.

سألته ببلاهة: مين قالك؟

ضحك والدها وضحكت معه ثم وضع ذراعه على كتفها بمشاكسة: لسه مخنوقة ومتضايقة ولسه هو ما بيفهمش و و و

ابتسمت بخجل: تصبح على خير يا بابا عندنا شغل بدري

ضحك بمداعبة : ماشي ماشي، مخنوقة تيجي تعيطي وتشتكي لكن مبسوطة يبقى تصبح على خير عندنا شغل.

ضحكت وقبلت وجنته: ربنا ما يحرمني منك أبدًا.

ابتسم بحنو : ولا منك يا روحي.

أخذ أحمد زوجته إلى شقته وتعشيا سويًا في جو هادئ ولكن مشحون بالتوتر والقلق، دخلت أميرة لتبدل ثيابها، جلست مكانها وانخرطت في بكاء حار؛ لكم تمنت أن تتزوج وسط عائلتها، أمها و أخوها لكنها تزوجت بدونهما، كم دعت الله أن تتخلص من أخيها وسيطرته فلماذا تشعر بالوحدة الآن؟ لمَ تتمنى أن تكون والدتها معها الآن تطمئنها وتنصحها كما تنصح كل أم ابنتها ليلة زفافها؟ لماذا تشعر بهذا الرعب داخلها؟ فهي لا تفقه شيئًا عن الزواج، كل ما أرادته أن تخرج من ذلك البيت فقط، نعم تحب أحمد بل تعشقه ولكنها غير مستعدة أن تصبح زوجته الآن.

سمع أحمد صوت بكائها فطرق الباب بقلق : أميرة انتِ كويسة؟

مسحت دموعها وردت ببحة : كويسة ينفع تسيبني شوية لوحدي؟

وقف أمام الباب وقال بلطف: حبيبتي طيب افتحي الأول طمنيني عليكي

حاولت منع عبراتها من الهطول لكنها لم تستطع فقالت برجاء : أحمد لو سمحت سيبني شوية براحتي.

وافقها وتركها ولكن قلبه لم يطاوعه على تركها بهذه الطريقة، نزل لوالدته بالأسفل وحين رأته شهقت بخوف : فيك ايه يا حبيبي؟

ابتسم بحنو : ولا منك يا روحي.

أخذ أحمد زوجته إلى شقته وتعشيا سويًا في جو هادئ ولكن مشحون بالتوتر والقلق، دخلت أميرة لتبدل ثيابها، جلست مكانها وانخرطت في بكاء حار ؛ لكم تمنت أن تتزوج وسط عائلتها، أمها و أخوها لكنها تزوجت بدونهما، كم دعت الله أن تتخلص من أخيها وسيطرته فلماذا تشعر بالوحدة الآن؟ لمَ تتمنى أن تكون والدتها معها الآن تطمئنها وتنصحها كما تنصح كل أم ابنتها ليلة زفافها؟ لماذا تشعر بهذا الرعب داخلها؟ فهي لا تفقه شيئًا عن الزواج، كل ما أرادته أن تخرج من ذلك البيت فقط، نعم تحب أحمد بل تعشقه ولكنها غير مستعدة أن تصبح زوجته الآن.

سمع أحمد صوت بكائها فطرق الباب بقلق : أميرة انتِ كويسة؟

مسحت دموعها وردت ببحة : كويسة ينفع تسيبني شوية لوحدي؟

وقف أمام الباب وقال بلطف: حبيبتي طيب افتحي الأول طمنيني عليكي

حاولت منع عبراتها من الهطول لكنها لم تستطع فقالت برجاء : أحمد لو سمحت سيبني شوية براحتي.

وافقها وتركها ولكن قلبه لم يطاوعه على تركها بهذه الطريقة، نزل لوالدته بالأسفل وحين رأته شهقت بخوف : فيك ايه يا حبيبي؟

طمأنها بسرعة : أنا كويس - قبل أن تسأله عن زوجته أكمل - وأميرة كويسة بس تعالي معايا فوق شوية.

نظر والده بالداخل لهما بقلق: أحمد انت بخير يا حبيبي؟

أكد بسرعة: بخير يا بابا.

نظر والده إلى زوجته بجدية : اطلعي يا فاطمة معاه شوفي أميرة واطمني عليها .

عاد أحمد لشقته برفقة والدته وسرد لها ما حدث بحيرة : أمي احنا اتعشينا وهي يادوب داقت الأكل بعدها دخلت تغير ومن ساعتها سامعها بتعيط وقافلة على نفسها شوفيها.

تأثرت فاطمة وقالت بتفهم: تلاقيها زعلانة، برضه صعبة انها تتجوز من غير أمها وخصوصا إن أمها عايشة وموجودة وأخوها برضه موجود بس بقت زي المقطوعة من شجرة.

اتجهت لغرفتهما ووقفت أمام الباب وطرقته بهدوء: افتحي يا أميرة.

مسحت أميرة دموعها بسرعة وحاولت إخفاءها : حاضر لحظة بس

نظرت لوجهها بالمرآة وحاولت مسح آثار الدموع، فتحت الباب وحاولت التبسم: أهلا يا ماما اتفضلي

نظر إليها أحمد بحزن على حالها وقرر تركها مع والدته علها تهدئها

دخلت فاطمة وأمسكت يديها وأجلستها معها : مالك يا ميرو يا جميلة؟ بتعيطي ليه يا قلبي؟

طأطأت رأسها بحزن وخجل : مفيش بس

قاطعتها بود : حبيبتي أنا أم وعندى رحمة ورامز وأحمد ودلوقتي بقى عندي أميرة كمان، زيك زيهم يا حبيبتي فقوليلي بتعيطي ليه ومالك؟

تنهدت بحزن : كان نفسي ماما تكون معايا، تفرح معايا، تدخل معايا هنا، تفرش معايا شقتي، تقولي أعمل ايه لما ما أعرفش حاجة.

ابتسمت وأبعدت خصلات شعرها عن وجهها : طيب أنا ومفيش أي حد في الدنيا ممكن يكون مكانها لأن الأم دي حاجة كبيرة أوي لا يمكن تتعوض ولا حد يقدر يحل محلها، بس ممكن نعتبر حد تاني زيها، اعتبريني زيها، اسأليني أنا، اتكلمي معايا، ناديني لما تحتاجي ماما، انسي خالص اني مامت أحمد دلوقتي واعتبريني مامتك انتِ، قوليلي بقى مالك؟

أشاحت وجهها بخجل : ماليش بس الوضع ده جديد عليا كله.

رفعت فاطمة رأسها بهدوء: أميرة هسألك سؤال ممكن أكون اتأخرت أسأله – نظرت إليها باستسفار فتابعت – انتِ بتحبي أحمد كزوج عايزة تعيشي معاه ولا كمنقذ هيطلعك من بيت أمجد أخوكي وسيطرته؟

زفرت أميرة بارتياح: هتعملي زي أحمد برضه؟ أنا أعرف أحمد من سنين يا ماما ولو ماكانش إنسان مميز في حياتي ماكنتش أبدا وافقت أتجوزه، أنا شوفت أمجد أخويا ازاي عامل مراته فلا يمكن أربط نفسي براجل إلا لو واثقة إنه هيسعدني وإني هقدر أعيش معاه وعايزة أعيش معاه.

ابتسمت بارتياح : طيب حلو أوي يعني انتِ عايزاه زوج؟

وافقت بإيماءة من رأسها، فسألتها مجددا : طيب ليه العياط؟ بس علشان مشتاقة لماما؟

نكست رأسها بخجل فاقتربت أكثر منها : قوليلي مالك؟

ظلت صامتة وهي تفرك يديها بتوتر.

سألتها بمغزى: خايفة؟

نظرت إليها ووافقتها على استحياء فابتسمت فاطمة بود : مش حاسة انك مستعدة لسه؟

وافقتها مجددا وحاولت أن تبرر : أحمد أعرفه من زمان كزميل، اه حبيته واتمنيت أفضل معاه بس أنا عمري ما كان ليا أي أصحاب أبدا، لو اتأخرت لحظة أمجد كان بيقلب الدنيا، فأنا صلتي بالحياة أحمد وبس، معلوماتي وخبراتي مصدرها أحمد، إني أنقله وأدخله منطقة الحبيب والزوج مش عارفة حاسة إن في حاجات كتيرة أكبر مني، محتاجة أتعود عليه شوية.

ربتت فاطمة على رأسها بتفهم : طيب وفين المشكلة؟

اتعودي عليه واحدة واحدة ولما تستعدي وتتقبليه يدخل المرحلة دي دخليه، الموضوع ده لازم تكوني مهيأة له نفسيًا وجسديًا علشان ما يعملش معاكي أي عقد وعلشان تقدروا تعيشوا مبسوطين، أحمد يا حبيبتي عاقل جدًا واللي هيريحك هيعمله، تحبي تفضلي هنا ولا تنزلي معايا تحت لحد ما تتعودوا على بعض شوية؟

فكرت لحظات بحيرة : انتِ رأيك ايه؟ يعني لو رحمة سألتك هتقوليلها ايه؟

ابتسمت بهدوء : هقولها هتتعودي عليه ازاي لو انتِ في بيت وهو في بيت؟ ولو نزلتوا تحت انتم الاتنين مش منظر حلو قدام الناس فهقولها خليكي هنا وفهمي جوزك على الوضع اللي يريحك ولما تكوني مستعدة اسمحيله يقرب.

نظرت أميرة لها بامتنان: انتِ ازاي قادرة تكوني كده؟ أحمد ابنك مش ممكن يزعل منك؟

وقفت فاطمة بمرح : ابني وهيتجنن عليكي بس كل حاجة في وقتها وأوانها حلوة، قربوا من بعض، خليكي في حضنه تتعودي عليه شوية شوية والقرب ده هيجي لوحده، ها تنزلي معايا تحت ولا تخليكي هنا؟

نظرت للأرض بخجل : خليني هنا خلاص

هزت رأسها بموافقة : طيب تعالي اقلعي الفستان ده بدل ما تحتاجيه هو يساعدك يلا

ساعدتها فاطمة على تغيير ملابسها واختارت لها ملابس للنوم هادئة وتستر جسدها بأكمله حتى تتعود على زوجها.

خرجت لابنها وجلست معه فسألها بلهفة : ها يا أمي اتكلمت معاكي؟

أومأت برأسها وقالت: شوف يا حبيبي هي مفتقدة مامتها وحاسة إنها ضايعة وتايهة وزي ما حكتلي عنها ماعندهاش أي خبرات في الحياة فهي حاليًا بيبي زوجة مطلوب منك تتفهم مشاعرها، تمتص خوفها وتعودها عليك شوية شوية، هي محتاجة لوقت يا أحمد لحد ما تتعود عليك كزوج مش كزميل في الجامعة، اديها وقت واوعى تجبرها وإلا

قاطعها أحمد بتفهم : وإلا هكون أمجد تاني في حياتها، ما تقلقيش يا أمي.

وقفت ووصته : مش هوصيك على البنت يا أحمد، البنت زعلانة إنها محرومة من أهلها النهارده خدها في حضنك وعوضها عن الأهل اللي خسرتهم.

تركته ونزلت لزوجها طمأنته بينما دخل أحمد لزوجته مبتسمًا وبيده كوب من العصير : بتحبي عصير المانجة فقلت أجيبلك.

نظرت ليده باستغراب: انت عملتلي عصير دلوقتي؟

وضع يده على رأسه بحرج: لا لقيته في التلاجة أنا بس صبيته في كوباية.

ضحكت أميرة : جاهز يعني مش فريش؟

نفى بسرعة : لا طبعًا فريش كنت طلبت من رحمة تجهزه علشان انتِ بتحبيه.

أخذته من يده بابتسامة: طيب تسلم ايدك يا حبيبي.

جلس بجانبها وبهدوء تكلم معاها : ممكن أطلب منك طلب؟

دق قلبها وتوترت ولكن حاولت أن تسأله بشكل طبيعي : طلب ايه؟

التفت إليها ورفع وجهها بحب: اتكلمي معايا، ثقي فيا إني عمري ما هضغط عليكي في أي حاجة ولا عمري هقرب منك بشكل انتِ مش مستعدة له، كل اللي بطلبه تثقي في حبي ليكي مش أكتر.

وضعت رأسها على كتفه واعترفت له: أنا كنت متوترة ومش عارفة أفكر والخوف سيطر عليا، حنين قالتلي إن أمجد اغتصبها واغتصب فرحتها فماعرفش ليه خفت.

وضع يده حولها بحب : أمجد ما بيعرفش يحب يا أميرة، بطلي تفكري فيه وفكري فينا أنا وانتِ وبس وإياكِ تخافي مني أنا درع الأمان بتاعك يا ميرو، لا يمكن حد يؤذيكي طول ما أنا عايش، بقيتي في حضني وفي بيتي.

حملها بين يديه لتتوتر لكنه طمأنها : خلينا نرتاح اليوم كان طويل.

وضعها برفق على السرير ووضع فوقها الغطاء وقبّل جبينها باحترام وحب

وصل إيهاب لبيته وصعد لغرفته مباشرة ومازال مبتسمًا، أمسك فرشاته وبدأ يضع أول الخطوط على الحائط أمامه.

انتبه على والدته تناديه : يا إيهاب، يا إيهاب انت نايم ولا ايه؟

دخلت الغرفة لتتفاجأ به يرسم فقالت بضيق : مابتردش على موبايلك ليه طالما صاحي؟

نظر حوله ليجد أن الصباح أشرقت أنواره فتوجه لهاتفه فوجده مغلقًا : موبايلي فاصل شحن، في ايه؟

علقت بنعاس : التليفون الأرضي بيرن لقيت الأسطى طلعت بيسأل عليك

نظر لساعته فذُهل وترك الفرشاة من يده : يا نهار ألوان.

تحرك بسرعة بدل ثيابه ونزل مسرعا.

نظرت قدرية إلى الرسمة على الحائط وعلقت بتهكم : أما نشوف آخرتها معاك ايه يا ابن قدرية، فاكرها بتحبك بجد مش بتتسلى بلعبة جديدة فرحانة بيها، يا خوفي لتاخد اللي وراك واللي قدامك وتفضل تجري يمين وشمال علشان تصرف على السنيورة وبعد ما تزهق تقولك باي باي

أغلقت الباب وعادت لتكمل نومها.

في استراحة الغداء لاحظت هايدي شرود صديقتها تماما وابتسامتها الغريبة من آن لآخر، وصل فضولها لأقصاه، فضربت ذراعها وهي تهتف : حنين

تفاجأت حنين وعقدت حاجبيها بفزع : ايه يا رخمة في ايه؟ خضيتيني.

نظرت لعينيها مباشرة باستجواب: مالك مبتسمة كده ليه؟ اعترفي حالا، من الصبح وكل شوية ألاقيكي مسهمة كده وبتبتسمي زي الهبلة في ايه؟

نظرت حنين حولها قبل أن تقترب منها بهمس: مش كنا متخانقين أنا وإيهاب امبارح؟

ردت هايدي بدهشة : معرفش يا اختي اتخانقتوا؟

عقدت حاجبيها ووضحت: مش خناق بالمعنى بس كنت مخنوقة منه و بعتله رسالة

أخرجت الهاتف لصديقتها لتريها الرسالة الأخيرة فعلقت هايدي باستغراب : مش فاهمة، ماهو ما عبركيش بعد ما قلتيله مخنوقة منك، منشكحة ليه يا بت؟ علشان ما عبركيش؟

ضحكت حنين : لا طبعا يا ذكية ماهو بعد ما بعت الرسالة ولقيته ماعبرنيش كنت هنفجر وحتى بابا لاحظ وفضلت أشتم فيه وبابا يهديني بعدها لقيته بيتصل وبيقولي أنا تحت بصيلي من البلكونة.

شهقت هايدي بتعجب: في نص الليل؟

أكدت بابتسامة : أيوة فبابا سمحلي أنزل بحجة أشتري فينو ونزلنا كل فرن نعدي عليه يقولي مش حلو تعالي نشوف غيره.

ضحكت هايدي بحماس: واشتريتوا ولا رجعتوا زي ما روحتوا؟

تنهدت حنين بشرود: اشترينا من آخر فرن في المنطقة عندنا.

سألتها صديقتها بجدية: بدأتي تحبيه؟

نظرت لها باستغراب وعقدت حاجبيها؛ فهي غير مستعدة أبدا لمثل هذا السؤال الآن فحاولت الهروب : ايه دخل الحب دلوقتي؟ احنا أصدقاء بنهتم بمشاعر بعض، إيهاب إنسان رقيق وچنتل جدا طلعي الحب برا.

نظرت لها هايدي بذهول : حبيبتي إيهاب بيحبك

وقفت بتوتر : أنا راجعة شغلي ده انتِ رخمة فصلتيني

أمسكت هايدي ذراعها بسرعة: طيب مش هفصلك خلاص، روحتوا بعدها ولا ايه؟

أجابتها باقتضاب : اه روحنا

لاحظت هايدي ضيقها فوضحت: والله ما عايزة أضايقك بس بلفت انتباهك مش أكتر علشان بس تنتبهي ان الاتفاق

اللي بينكم مش هيدوم كتير، لو حبيتيه ما تكابريش يا حنين.

ردت بابتسامة شاردة : تعرفي ساعة ما اتعشينا مع بعض رقصنا سلو أنا وهو، حسيت اني طايرة في حضنه مش مجرد رقصة عادية، وامبارح حضني قبل ما يمشي، أنا بحب القرب منه.

ابتسمت هايدي بتشجيع : طيب ده كويس ما تبعديش عنه طالما بتكوني مبسوطة معاه، اسمحيله يقرب.

انسحبت حنين والخوف بداخلها فماذا لو سمحت له بالقرب ليكتشف بعدها برودها العاطفي فتتدمر تلك الرابطة التي بدأت تتشكل بينهما؟

رنت عبارة أمجد في أذنيها (انتِ فاشلة وباردة ولا يمكن تعرفي تسعدي أي راجل في الدنيا واحمدي ربنا اني مكمل معاكي)

نفضت رأسها ؛ فالتفكير بأمجد مجهد ومتعب ومدمر، ستحافظ على مسافة بينها وبين إيهاب كي يظل بقربها لأطول فترة ممكنة.

انتبه هشام وهو على مكتبه لإيمي وهي تجلس أمامه وتضع قدمًا فوق الأخرى وتقول بدلال : بقالك كام يوم مختفي ليه؟ حتى التليفون مش بترد عليه

أجلى حنجرته قبل أن يبتسم بزيف : عادي شغل مش أكتر

أومأت برأسها بعدم اقتناع: وبعدين؟

نظر لها باستغراب : وبعدين ايه؟ محتاجة حاجة تعمليها في الحساب؟ أو

قاطعته بغضب : بتكلم عنك وعني؟ بنقضي وقت طويل مع بعض، بنتغدى مع بعض، بنتعشى مع بعض، بنسهر مع بعض ومرة واحدة مفيش فبسألك بعيد ليه؟

نظر حوله ثم وقف بقلق : تعالي برا هنا مش مكان ده.

خرجت خلفه وابتعدا عن مدخل البنك، وقف مقابلها وقال باقتضاب: بتقولي ايه بقى؟ لمجرد اني انشغلت يومين بتزعقي؟ عندي شغل ومراتي تعبانة و

قاطعته بتهكم : مراتك تعبانة، قلتلي بقى المفيد، الهانم تعبانة و

قاطعها بتحذير : الهانم دي مراتي وأم ابني فما تنسيش ده.

وضعت يديها على خصرها اعتراضًا لما تسمعه : دي نغمة جديدة عليا.

أمسك هشام ذراعها بتنبيه: إيمي، مراتي وابني خط أحمر وأنا سبق وقلتلك الكلام ده، مراتي تعبانة وأصلا هي مش في البيت دي في بيت أبوها فأنا متبهدل ما بين الشغل والبيت وزيارتهم فحاولي تقدري وما تبقيش زي الزوجة النكدية.

غيرت لهجتها تماما و وضعت يدها على صدره وأمسكت مقدمة قميصه بدلال : هشام أنا بحب أشوفك وأقعد وأتكلم

معاك، مراتك طبعا مهمة بس خليك عادل ما بينا.

ربت على يدها بابتسامة: حاضر يا إيمي بس تقوم بالسلامة وربنا يسهل.

تركته وظل هو بمكانه يفكر في زوجته التي ترفض حتى مقابلته وكلما ذهب لزيارتها ترفض الخروج.

رن هاتف حنين فابتسمت عندما رأت اسمه فنظرت لوالدها بحرج : ده إيهاب

ابتسم عبدالقادر وشجعها : طيب كلميه.

ردت بخجل : الو

سمعت صوته دافئا : ازيك يا حنين، عاملة ايه؟

ردت بتحفظ : الحمدلله بخير وانت؟

استغرب طريقتها: ما نمتش من امبارح بس الحمد لله بخير، المهم ايه رأيك أعدي عليكي أروحك؟ مش ده ميعاد خروجك من الشغل؟ خلينا نتغدى مع بعض قلتي ايه؟

نظرت لوالدها المنشغل بالطريق والسيارات حوله ثم علقت: أنا مع بابا بالعربية لو كنت اتكلمت بدري شوية كان ممكن.

أحس بالندم ولكن اطمأن ان لهجتها المتحفظة بسبب والدها فرد ببشاشة: طيب خلاص ماليش نصيب، هقفل دلوقتي وكلميني لما تروحي اتفقنا؟

ابتسمت : تمام باي.

أغلقت الهاتف وبررت لوالدها : كان فاكرني لسه في البنك وقال يعدي عليا

مازحها قائلًا: وانتِ ندمتي طبعا انك نزلتي معايا

ضحكت بمرح : لا مش للدرجة دي يعني.

انشغل والدها بالطريق بينما أرسلت هي رسالة له (ليه ما نمتش من امبارح؟)

ابتسم إيهاب حين قرأ رسالتها وكتب (علشان رجعت لقيتني مسكت الفرشاة وقعدت أرسم الرسمة اللي طلبتيها ويادوب خط هنا وخط هنا لقيت أمي بتناديني بتقولي الأسطى طلعت بيرن ببص حواليا لقيت النهار طلع والمفروض أنزل الشغل فنزلت مطبق)

ابتسمت وتعاطفت معه (طيب يبقى تروح ترتاح وتعوض ليلة امبارح مش تقولي تعدي عليا)

أرسلتها وانتظرت رده بفضول، حتى وصل رده أخيرًا ففتحت الرسالة بسرعة (انتِ ما تتخيليش أنا مستعد لايه في مقابل اني أشوفك أو ألمحك، لو في مجال أشوفك النهارده ياريت ،حتى لو هننزل نجيب فينو مع بعض)

ضحكت بصوت ليلاحظ والدها فسألها: خير؟

أحست بالحرج و وضحت : لا بس إيهاب بيسألني مش هنزل أجيب فينو النهارده؟

ضحك عبدالقادر بمشاكسة: قوليله بابا اللي هينزل تيجي

تروح معاه؟

ضحكت وكتبت ماقاله بحماس وانتظرت الرد

ضحك إيهاب حين وصلت رسالتها وهمّ بكتابة رد لكنه تراجع؛ فهي أخبرته أن والدها بجانبها، أخيرا بعد تفكير لحظات كتب بمغزى (أي حاجة تيجي من ريحة الحبايب)

ابتسمت لذكائه ورومانسيته ونظرت لوالدها : بيقول أي حاجة من ريحة الحبايب

لاحظت حنين ابتسامة والدها وقال بود : قوليله يا أهلا به في أي وقت مش محتاج لحجج

كتبتها حنين وأرسلتها فكتب إيهاب (قولي لوالدك الحجج بديها لنفسي لأن ورايا ألف حاجة ومطحون شويتين في الشغل مش أكتر)

أرسلها ثم أتبعها برسالة أخرى (لما توصلي وتخرجي من الحصار ده كلميني 🌹)

ابتسمت وأرسلت له (👍)

وضعت الهاتف بحقيبتها واسترخت على كرسيها تفكر بالأيام القادمة.

وضع إيهاب الهاتف من يده ونظر للرسمة أمامه على الحائط مبتسمًا ثم وقف ليكملها بحماس.

خرجت سارة من عملها وتوجهت لبيتها مباشرة استقبلتها

وردة : أحضر الغدا يا أستاذة؟

سألتها : ماما فين يا وردة؟

خرجت والدتها : أنا أهو هروح فين؟

نظرت سارة لوردة : تمام يا وردة روحي حضري السفرة انتِ.

دخلت سارة غرفتها لتبدل ملابسها، رن جرس الباب لتفتح وردة : نعم؟ مين حضرتك؟

سألها بحدة: مش ده بيت سارة إسماعيل؟

أجابته باستغراب : أيوة مين حضرتك؟

أزاحها جانبًا بعنف : يبقى توعي من وشي

صرخت إبتسام : يا لهووي إسماعيل؟

صرخ بغضب : أيوة إسماعيل يا حيلتها، بقى بتسيبي البيت يا إبتسام؟ بتطاوعي بنتك وتسيبي البيت وتسيبي إسماعيل؟

تراجعت بخوف وهو يقترب منها والشرر يتطاير من عينيه.

دخلت وردة بسرعة لسارة : الحقي يا أستاذة في واحد برا دخل البيت بدون إذني زقني ودخل وبيقول إسماعيل.

ارتعبت سارة وأمسكت ذراع وردة : اتصلي بزهير بسرعة وبلغيه انه هنا بسرعة.

خرجت سارة بسرعة لأمها وصرخت بوالدها: انت جاي هنا ليه وعايز مننا ايه تاني؟

التفت ليواجه ابنته وترك ذراع زوجته وجهر بصوته : أنا أبوكي يا بت.

صاحت به بكره : لا عمرك كنت أب ولا هتكون، روح للمخفي صاحبك اللي اسمه لمعي مش ده اللي بيعتني له؟

أمسك ذراعها بعنف : اللي سجنتيه يا حيلتها؟ اتمردتي وجاية تعيشي في النغنغة دي لوحدك انتِ وأمك؟

حاولت تخليص ذراعها منه بينما شدد هو قبضته عليها أكثر فصرخت به بحدة : النغنغة دي من شغلي ومش هتاخد مليم تاني مني، فابعد عني

ضحك بغضب : أبعد؟ ده بعينك يا حيلتها أنا قاعد هنا ومش هتتعتع من هنا ولا بالطبل البلدي - تلفت حوله ليجد المائدة وعليها بعض الأطباق فتابع بفظاظة وهو يترك ذراعها– هتتغدوا؟ وماله نتغدى هاتي المخفية اللي فتحتلي خليها تكمل حط الأكل.

نظرت سارة لأمها الخائفة ثم نظرت لوالدها واقتربت منه بغضب : اطلع برا وإلا هطلب الأمن، بلاش توصلني للمرحلة دي لو سمحت، انت مش هتقعد هنا.

ضحك باستخفاف: ومين يا بت هيطلعني؟

أشارت بيدها بتحدٍ : هطلب الأمن.

جلس على رأس المائدة وجذب أقرب طبق إليه قائلًا بلامبالاة : غوري يا بت هاتي باقي الطفح يلا

أمسكت سارة ذراعه تجذبه بعصبية: اطلع برا مش هتقعد هنا

حاولت سارة جذبه وحين لاحظ والدها إصرارها وقف معها ليصفعها على وجهها صفعة قوية ودفعها بقوة لتسقط على الأرض وهو يصيح بها: انتِ بتطردي أبوكي يا بت؟ اخص على دي تربية.

وقفت سارة وكلها إصرار على طرده فهجمت عليه مجددا : بقول اطلع برا

ضربها مجددا بعنف، فاقتربت إبتسام وحاولت تخليص ابنتها ليضربها هي الأخرى، صرخت وردة وركضت لتفتح الباب لتستغيث بموظفي الأمن.

وصل زهير ليجد وردة بالخارج فاستنجدت به : هيموتهم جوا الحقهم.

ركض زهير يتبعه رجال الأمن ليجد إسماعيل يضرب سارة فجذبه بعنف ووجه له لكمة أوقعته أرضًا، أمسكه رجال الأمن فصرخ بهم زهير : كتفوه وطلعوه برا واتحفظوا عليه وحسابكم انتم معايا علشان أشوف ازاي دخل هنا.

أخرجوه رجال الأمن وهو يصرخ بجنون : دي بنتي ومراتي، محدش هيبعدني عنهم، أنا هبلغ البوليس والنيابة وهخلي جوزها يرفع عليها قضية زنا مش مقعدها في بيتك؟ هفضحكم يا ولاد الكلب هفضحكم.

صاح زهير بحدة : غوروه من هنا

أغلق رجال الأمن الباب ، بينما ساعد زهير إبتسام وأجلسها على المقعد خلفها ونادى وردة : خديها يا وردة تغسل وشها كده وتفوق، خلاص يا ست الكل اهدي مش هيجي تاني.

مسحت دموعها و نظرت لابنتها بانكسار: قلتلك يا سارة مش هيسيبنا في حالنا

أغمضت سارة عينيها لتنهمر دموعها أكثر بينما تكورت حول نفسها وضمت نفسها بيديها وهي تجلس على الأرض مكانها، ابتعدت إبتسام مع وردة وتركت سارة لزهير الذي جلس بجانبها على الأرض قائلًا بلطف: كلميني انتِ كويسة؟

لم تجبه وأخذت تمسح دموعها من آن لآخر وهي صامتة، اقترب منها أكثر وأصر عليها: سارة اتكلمي، أنا آسف بجد مش عارف ازاي الأمن سمحله يدخل هنا، سامحيني

همست من بين دموعها : و انت ذنبك ايه؟ ده أبويا أنا

رد بتأنيب : بس انتِ في حمايتي ومسئولة مني وفي بيتي

أغمضت عينيها بحزن: في بيتك فعلا وده اللي جننه ومش بعيد يعمل زي ما قال ويخلي لمعي يرفع قضية عليا

أمسك يديها وأبعدهما عن وجهها ثم احتوى وجهها بيديه ومسح دموعها برفق ونظر لعينيها مباشرة مغمغمًا بوعد: لمعي انتهى وصفحته اتقفلت وأنا كنت مستني شهور العدة تخلص علشان أتكلم معاكي بس ما بدهاش بقى انتظار، لو

توافقي تتجوزيني هكون أسعد راجل في الدنيا و

قاطعته بكبرياء وهي تبعد يديه : بلاش عطفك يوصل للمرحلة دي انت مش مجبر تساعدني للدرجة دي – وقفت وهي تئن من الوجع – من بكرا هشوف شقة تانية و

أمسك ذراعها وجذبها له بإصرار: بصي لعينيا وقوليلي هل انتِ شايفة فيهم عطف؟ ده عطف؟

نظرت لعينيه وانهمرت دموعها بحيرة : مش عارفة أنا شايفة ايه ومش عايزة أعرف لاني إنسانة حظي قليل ولا يمكن أصدق اللي انت عايز توصلهولي.

أدارت ظهرها له فأمسك ذراعيها وهو خلفها قائلا بحنو: صدقي أنا معرفش ازاي وامتى دخلتي قلبي وحياتي وليه بس اللي عارفه اني عايزك في حضني مش بس في بيتي يا سارة.

أدارها برفق كي تواجهه وتابع: عايزك في حضني.

حركت رأسها برفض وهي تلتفت لمواجهته : مش عايزة أصدقك، أرجوك سيبني أمشي أنا إنسانة بسيطة أنا يادوب موظفة عندك، انت بس بتعطف عليا وصدقني ده

قاطعها وهو يغلق فمها تماما بشفتيه علها تصدقه، ترك لقلبه مهمة إقناعها.

تفاجأت سارة بقبلته ودق قلبها ولأول مرة ينبض قلبها بمثل هذه الطريقة، استغربت أ هي ستحبه حقا؟ هل هي تذوب

بقبلته بين ذراعيه؟ لمَ لا تقوى على البعاد عنه؟ أين قرارها بأنها ستبتعد إلى أن لا يقوى هو على البعاد فلمَ الآن هي التي لا تقوى على الابتعاد عنه؟

حاولت إبعاده ولكن أمام إصراره وضعت يدها على صدره وحين ابتعد عنها خانتها قدماها فأحاطها بين يديه ليضمها لقلبه وهمس بأذنها : ازاي مش حاسة بحبي ليكي؟

حاولت أن تبتعد لكنه شدد ذراعيه حولها : مش هسمحلك تبعدي عني، سيبيلي كل مشاكلك أنا قادر عليها.

حاولت الابتعاد مجددا فسمح لها ثم خطر بباله شيء آخر فنظر لها بجدية : سارة لو تماديت ودخلت لنقطة مش صح قوليلي وهبعد عنك تماما، أنا آسف لو حسيتي اني بفرض نفسي عليكي أو بجبرك أو بستغل

وضعت يدها على شفتيه بسرعة تمنعه أن يكمل : اوعى تقول كده، انت ... أنا مش عارفة أقول ايه؟ هقول حلم؟ ماعنديش جرأة أحلم بيك أصلا فأنا مش عارفة أنا ممكن أوصفك بايه أساسا بس انت أكبر وأكتر من أي حاجة اتمنيتها في يوم.

ابتسم بارتياح : يبقى خليكي في حضني واسمحيلي أتعامل مع مشاكلك، وتاني يوم بعد ما تنتهي عدتك هجيب المأذون موافقة؟

ابتسمت و أشارت برأسها بموافقة؛ فلقد تحققت أحلامها أخيرا.

سمع صوت والدتها وهي تتحدث مع وردة فابتعد عنها قليلا لينظر باتجاه والدتها التي دخلت وطمأنها : سارة كويسة أهيه يارب حضرتك تكوني بخير.

تنهدت إبتسام بابتسامة : الحمد لله هنقول ايه؟ الحمد لله

ابتسم : الحمد لله، أنا هنزل دقايق وراجع، وردة اعملي حاجة يشربوها تهديهم

علقت وردة : دول ما اتغدوش أصلا يادوب هجهز السفرة هجم علينا والأستاذة يادوب راجعة من الشغل مالحقتش

ابتسم زهير وأمسك يد سارة : ادخلي اغسلي وشك كده وخليه يرجع ينور من تاني و أنا عشر دقايق وراجع هنتغدى مع بعض كلنا – نظر لوردة- جهزي السفرة عقبال ما أرجع

ابتسمت وردة وتحركت مباشرة للمطبخ بينما نظر زهير لسارة و والدتها وخصوصا والدتها وقال بهدوء : لسه بقول لسارة تخلّص عدتها وربنا يسهل وآخد خطوة ناحيتها

نظرت إبتسام لهما بذهول وعدم فهم: قصدك ايه؟ خطوة ايه؟

علق زهير بحرج : أتجوزها، بعد إذنك طبعا

نظرت إبتسام له بذهول : تتجوزها؟ يا بيه مش علشان ساعدتنا تتجوزها، لا لا حضرتك مقامك كبير واحنا من بكرا هنشوف مكان تاني و

قاطعها زهير بإصرار: ما تعمليش زي بنتك - أضاف بمزاح

وهو ينظر لسارة - طيب أقنع مامتك ازاي دلوقتي؟

مازحته بجرأة: زي ما أقنعتني

نظر إليها مصدومًا فضحكت هي بخفة بينما علق هو : لا هسيبلك انتِ مهمة إقناعها وأنا نازل وجاي على طول سلام.

تركهما وخرج لتهمس إبتسام : هتعملي ايه يا بت؟

علقت مبتسمة : هتجوزه أول ما العدة تخلص، حنين وابن حلال.

اقتربت منها ونصحتها : قوليله كل حاجة، احكيله عن هشام بلاش يعرف من برا و

قاطعتها سارة بغضب : اوعي مش دلوقتي خالص، ممكن أحكيله في يوم من الأيام لكن مش قبل ما نتجوز وأبقى مراته.

نزل زهير عند رجاله وإسماعيل حيث وجد رجاله حوله وهو مكبل اليدين ويتم تأديبه عندما دخل زهير وقف الكل احتراما له، صرخ إسماعيل : أنا هحبسكم و

قاطعه زهير بضحك: وايه كمان ها؟ هتحبسني وايه كمان؟

أصر إسماعيل : انت مقعدها في بيتك بأي وجه حق؟ هرفع عليكم قضية زنا و

لكمه زهير واقترب منه بغضب : كلمة زيادة في حقها هخلي الرجالة دي تنفضك، أستاذة سارة مأجرة شقتي وفي عقد

إيجار بينا وبس من زمان.

علق إسماعيل بتهكم : مأجرة اه قلتلي؟ وأنا المفروض أصدق؟ وتأجر منك انت ليه؟ مش انت مديرها في البنك ولا فاكرني مختوم على قفايا؟

ابتسم زهير واقترب منه يوضح ببرود : المبنى ده كله بتاعي وطبيعي أي حد هيأجر شقة أو يشتريها فيه هيكون مني، فهمت يا ذكي؟

لمعت عينا إسماعيل فلو هذا المبنى الضخم ملكه فهو حتما غني كثيرًا، إذن فبدايته خاطئة مع زهير، نظر له وغير لهجته للاستعطاف : يا بيه حط نفسك مكاني، بنتي تسجني أنا وجوزها، الراجل اللي فاتح بيتها وبيتي؟ أنا على باب الله ولمعي كتر خيره كان راجل كويس ماحرمهاش من حاجة خالص، بتحبسه عايزني أعمل ايه؟ لا وكمان أخرج من السجن ألاقي حتى مراتي سابتني، اتجننت اعذروني.

ابتسم زهير فهو فهم لعبة اسماعيل، تراجع ناظرا لرجاله وبإشارة منه حلوا وثاقه ليقف إسماعيل مقتربا من زهير برجاء: مراتي مكانها معايا يا باشا، وبنتي كمان معلش.

صرف زهير رجاله و وقف أمام إسماعيل وقال بحسم : ولا بنتك ولا مراتك (أضاف) إلا لو هي حبت ترجع عندك دي بتاعتها لكن غير كده ولا مراتك ولا بنتك هيرجعوا.

وقف إسماعيل مفكرا كيف يتعامل معه؟ فقال بحذر : يا بيه أنا معرفش أعيش لوحدي، أنا راجل غلبان.

أخرج زهير من جيبه مبلغا من المال فلمعت عينا إسماعيل بينما وضعهم زهير في يده وتابع : تعرف تعيش، وكل أول شهر هديلك زيهم بس لو شوفت وشك هنا تاني لأي سبب صدقني هبقى وحش و انت مش هتقدر على وحاشتي.

هلل إسماعيل بفرحة : يا بيه انت تشاور بس، ربنا يخليك للغلابة يارب، البت سارة دي مبختتة والله، أمها داعيالها اه والله، مرزقة كده من يومها.

تركه زهير وأخبر رجاله أن يرافقوه للخارج.

عاد زهير ليجد سارة في انتظاره فسألته بترقب : عملت ايه معاه؟ طمني أرجوك

ابتسم و وضع يده على خدها بحب : ثقي فيا شوية لو سمحتي، مشي ومش هيجي تاني ما تخافيش

رددت بخوف : لا هيجي انت ما تعرفهوش ومش بعيد كمان يجيب لمعي معاه المرة الجاية، احنا لازم نمشي من هنا.

أمسك ذراعها قربها منه بلطف: بقولك خلاص قصته انتهت فصدقيني.

نظرت لعينيه وتساءلت هل يحبها حقا كما يخبرها؟ أم هي مجرد فتاة جميلة يريد الوصول إليها؟

نفت تلك الفكرة ؛ فهو شخص ذو أخلاق عالية ومعروف عنه ذلك، هو حتما يحبها، همست هربا من حصار عينيه : تعال نتغدى، الغدا جاهز يلا.

لم يترك ذراعها وهمس : تعالي نتغدى أنا و انتِ برا

رفضت بهدوء : ماما جوا متوترة وما أكلتش حاجة خالص ومستنياني من بدري معلش خليها وقت تاني.

ابتسم بتفهم : دي عندك حق فيها اعذريني أنا نسيت والدتك، خلاص نتغدى مع بعض هنا.

وقف هشام أمام بيت حماه مترددًا؛ فهو يريد زوجته وابنه في بيته لكن أخاها يقف له بالمرصاد.

أخيرا قرر الصعود، قابلته صفية واستقبلته بتردد ؛ فهي تريد إخباره عن حمل زوجته، من حقه كأب يعلم أن زوجته حامل في ابنه أو بنته، سمع زيد صوته فخرج مسرعا وهو يصرخ بفرحة : بابا، بااااابا

حمله هشام وضمه لقلبه باشتياق : وحشتني يا زيد

ابتسم الطفل الصغير بين يديه : وانت يا بابا واحشني، انت جاي تاخدنا البيت؟ صح يا بابا؟

ابتسم هشام بتمني : ياريت يا زيد يا ريت يا حبيبي، ماما فين؟

أشار على الداخل : في أوضتها جوا

نظر هشام لحماته برجاء : ينفع أدخلها يا ماما؟

ترددت صفية ولكن عمرو غير موجود، ستنتهز غيابه وتسمح له بالتحدث مع زوجته ؛ فربما يستطيعان حل مشاكلهما سويا

دون تدخل، أشارت له بالدخول وهي تدعو الله أن يلهم ابنتها القرار الصحيح.

طرق هشام الباب قبل دخوله ولكن ابنه فتح الباب ودخل يصيح : ماما، بابا جه ياخدنا

وقف هشام أمام الباب ولاحظ شحوبها وهي مسترخية على سريرها وحين رأته هبت واقفة بضعف: هشام؟

دخل بسرعة بلهفة : قلب هشام وروحه ودنيته كلها

حاولت الاعتراض لكن لم يعطها فرصة، وجه حديثه لابنه : زيد حبيبي اطلع مع تيتة شوية علشان أتكلم أنا وماما.

لاحظ زيد التوتر بينهما فخرج دون إضافة أي حرف، اقترب هشام منها بلطف: هدير انتِ عارفة كويس اني بعشقك، اه غبي في تصرفات كتير بس لا يمكن حد ينكر حبي ليكي يا هدير، بعشقك وبموت من غيرك.

أشاحت بوجهها بعيدا عنه بلوم : بس انت على طول عايش من غيري يا هشام، وعلى طول برا، وعلى طول بتهرب من البيت وعلى طول بتخلق ألف حجة وحجة علشان تهرب مني، فريحتك خالص، كده مش مضطر تألف حجج ولا تخترع مين عيان ومين معرفش ماله (نظرت له وأكملت) اعمل ما بدالك.

أمسك ذراعيها وهو خلفها يتوسل إليها : عارف ومهما تقولي عندك حق بس مابعرفش أعيش يا هدير وانتِ بعيدة عني،

أقسم بالله لا بعرف آكل ولا أشرب ولا أتنفس وانتِ مش في حضني ومعايا.

نظرت له باستنكار وهي تبعد يديه عنها : هو تملك ولا ايه يا هشام؟ يعني لا بحبك ولا بقدر على بعدك؟

نفى سريعًا : والله بعشقك والله بحبك

صاحت به بنفاد صبر: أي حب بتتكلم عنه؟ فين؟ وريني الحب ده، أنا مش شايفاه، مش حاساه، حب ايه وانت بتهرب مني بكل الطرق؟ ها؟ حب ايه وانت بتدور على كل حاجة ممكن تبعدنا عن بعض؟ حب ايه وانت مش بتحب تقعد أو تخرج أو تسهر معايا؟ أي حب؟ جاوبني.

نكس رأسه بخجل : مهما تقولي عندك حق وأنا مقصر في حبك جدا بس غصب عني، باجي عليكي غصب عني، سامحيني علشان خاطري سامحيني، علشان خاطر زيد سامحيني.

أغمضت عينيها فلم يعد زيد فقط بينهما لكن هنالك روح صغيرة تنمو بأحشائها الآن.

لغى المسافة بينهما وأمسك ذقنها رفعه برقة متناهية محاولا الوصول لقلبها : علشان خاطر زيد ادي أبوه فرصة تانية، فرصة أخيرة خليه يوريكي الحب اللي انتِ مش شايفاه

نظرت لعينيه لترى ذاك الحب واضحا بعينيه، داعب خدها برقة : معقول مفيش أي حاجة حلوة تشفعلي عند قلبك

وتخليه يحن شوية؟

همست بعتاب : انت شوفتني تعبانة وسيبتني وخرجت ما اهتميتش بتعبي، ما اهتميتش بابنك، سيبتنا ومشيت، هشام أنا خرجت من بيتك ابني بيعيط من الجوع لمجرد اني رقدت يوم ماقدرتش آكله، ازاي عايزني أسامحك وأثق فيك انك هتحافظ علينا؟ (أغمضت عينيها لتسمح لدموعها بالهطول) ازاي أخلف منك عيل كمان بس.

جلست على سريرها وخبأت وجهها بيديها وهي تبكي بينما هو وقف جامدا للحظات فماذا تقصد بطفل آخر؟

جلس بجانبها وسألها بتوتر : قصدك ايه تخلفي عيل كمان؟

حين لم ترد وازداد بكاؤها أمسك يديها أبعدهما عن وجهها وكرر بتعجب: قصدك ايه بعيل كمان يا هدير؟ انتِ حامل؟

لم تجبه بل أشاحت بوجهها فبدل مكانه ليجلس أمامها مجددا بإصرار: جاوبيني انتِ حامل يا هدير؟ ده قصدك؟

صاحت بوجهه بغضب: هتعمل ايه يعني لو كنت حامل؟ هتاخد بالك مني؟ هتقعد جنبي؟ هتربي ابنك معايا من تاني؟ ولا هتسيبني أربيه لوحدي زي ما ربيت الأولاني؟ تعرف ايه انت عن زيد علشان أكون غبية وأخلف عيل تاني منك.

انخرطت في بكاء حار ليضمها هو وقلبه ينبض بعنف وفرحة: انتِ روح قلبي يا هدير، أنا آسف بجد، سامحيني على غبائي وبعدي وقلة اهتمامي بيكي بس أوعدك هكون الأب اللي انتِ

عايزاني أكونه، اسمحيلي أصلح أخطائي معاكي، أرجوكي يا هدير، آخر مرة، مش هطلب فرص تانية منك بس اديني فرصة أخيرة، فرصة أخيرة خلينا نربي ابننا أو بنتنا مع بعض (أمسك وجهها بيديه وأخذ يمسح دموعها وهو يقول) يارب يرزقنا ببنوتة شبهك وتبقى حتة من قلبي زي أمها.

عاتبته بصوت مبحوح: أمها مش

وضع إصبعه على شفتيها وقال باعتراف: أمها قلبي كله بس أنا ساعات بكون غبي وباخدك أمر مسلم به انك هتفضلي جنبي ومعايا وفي بيتي، سامحيني بجد واوعي تملي مني يا هدير أنا بحبك، بحبك، يلا بينا خليني أعرفك قد ايه بحبك وقد ايه وحشتيني وقد ايه مشتاقلك ومحتاجك معايا.

وضع يديه على بطنها ثم انحنى ليقبل بطنها : اسمحيلي أكون جزء من حياته اوعي تحرميني منه قبل حتى ما يجي

قررت إعطاءه فرصة أخيرة؛ فابنها من حقه عليها أن لا تحرمه من أبيه.

أمسك سمير يد دعاء وقبلها برفق وهي ترقد على الفراش، دخلت الطبيبة مبتسمة : ها مستعدين؟

سألها سمير بتوتر: هو في أي خطر أو أي

قاطعته الطبيبة مبتسمة : لا طبعا اطمن، احنا هنحقنها دلوقتي بالبويضات اللي خصبناها والباقي على ربنا، اللي هو رايده هيكون بس خلينا متفائلين.

أخذتها الطبيبة وهي تدعو الله أن يرزقها أخًا أو أختا لابنتها تنير حياتهما.

جلس سمير بانتظارها في الخارج وهو يدعو الله أن يريح قلب زوجته، ابنته بالدنيا في قلبه ولكن زوجته تُصمم على الإنجاب مجددًا وتنغص حياتهما معا ولأجلها فقط يخوض هذه التجربة معها.

استعدت حور للذهاب لبيتها وهي في انتظار حمزه ليستلم منها العمل؛ فاليوم كان متعبًا؛ فالدكتور محي لم يأتِ وحمزة منشغل بافتتاح صيدليته الخاصة، تنظر لساعتها كل دقيقة بتعب وإرهاق إلى أن دخل حمزة معتذرًا : سوري سوري يا حور اتأخرت عليكي، بس كنت فاكر ان بابا هنا ويادوب كلمني قالي أجيلك.

نظرت له بغضب، وقفت وجمعت متعلقاتها : هعديهالك المرة دي علشان عمو لكن بعد كده؟

رفعت إصبعها في وجهه بتحذير فابتسم بمرح: بعد كده ايه؟

عقدت حاجبيها بحنق: بعد كده همشي في ميعادي وماليش دعوة

ضحك على أسلوبها وغضبها الطفولي : خلي بالك ساعتها هتتعاملي مع دكتور محي الدين مش أنا وهو وقتها هيعلقك على باب الصيدلية.

زمجرت باستنكار : ليه إن شاء الله؟ قال يعلقني قال

مازحها : ما تخافيش يا ستي ساعتها هاخدك معايا صيدليتي، (أكمل بلهجة غريبة أو هي استغربتها) مش هسيبك تبعدي عني أبدا.

استغربت لهجته وجملته نفسها وتذكرت حنين حين أخبرتها أن معتز وحمزة يتصارعان عليها صراعا خفيا، نظرت لحمزة باستغراب وتساءلت ؛ هل يحبها حقا؟

نفضت رأسها وعقدت حاجبيها أكثر : أنا اتأخرت ولازم أمشي، بعد إذنك.

تركته وراقبها وهو مبتسم وهمس بداخله : لحد امتى هتفضلي مش فاهمة يا حور؟ ولا فاهمة وبتستعبطي ولا حكايتك ايه؟

بمنزل أحمد وأميرة، وقفت أميرة بالمطبخ تعد عشاءً خفيفا وابتسامة عريضة تزين ثغرها؛ فهي في قمة السعادة، نهارها بأكمله تقضيه بالخارج مع زوجها، وكلما أخبرته بمكان تتمنى زيارته يأخذها إليه.

دخل أحمد فانتبهت من شرودها وقالت : دقايق وهيبقى العشا جاهز.

وضع ذراعيه حولها بحب وقبل عنقها : لا أنا جاي أساعدك وأشوفك لو محتاجة حاجة يا قلبي.

ارتبكت من قبلته ونظرت إليه بحب تسأله : هتفرجني على فيلم ايه النهارده؟

فكر للحظات ثم اقترح: امممم، طيب ايه رأيك من باب التغيير تختاري انتِ الفيلم الليلة دي؟

ضحكت لهروبه : امممم أنا اللي أختار؟ طيب ناكل وبعدها نشوف.

وضعت الأطباق بمساعدته على المائدة وتعشيا في جو هادئ يتكلمان عن أحداث يومهما الطويل بالخارج، ثم وقفت لتجمع الأطباق لكنه أوقفها : انتِ جهزتي العشا أنا هشيل الأطباق، ادخلي اختاري الفيلم اللي هنتفرج عليه وجهزي مكان السهرة ايه رأيك؟

وافقته ودخلت غرفتها لتبدل ملابسها أولا، احتارت في اختيار ما تلبسه، عشقها تزايد لزوجها آلاف الأضعاف، رقته، عطفه، حبه، حنانه، تفهمه لاحتياجاتها، صبره عليها طوال هذه الفترة، إنها حقا تحبه، أخيرا اختارت غلالة مثيرة ذات لون أحمر قاني وقررت إكمال جنونها ووضعت أحمر للشفاه بنفس الدرجة واستعدت تماما، نظرت لنفسها بالمرآة مرة أخيرة ولكن لم تتجرأ على الخروج بهذه الهيئة، فتحت خزانتها واختارت رداء (روب) قصيرا ناعما بنفس اللون ارتدته عله يداري جسدها قليلا، خرجت دون أن تنظر لنفسها مجددا كي لا تغير رأيها، لم تجده بالخارج فتوجهت للمطبخ، راقبته وهو يعد كوبين من النسكافيه لهما، يحمل بيده صينية صغيرة وضع عليها الكوبين وحين رآها بهيئتها تلك اهتزت الصينية بيده ليضعها بتوتر فضحكت وعلقت بمرح : اكسرهم بقى

عدل وضع الكوبين على الصينية وهو يحاول تهدئة قلبه و مشاعره الثائرة بينما اقتربت أميرة منه وهي تحاول أن تخفي توترها وما شجعها أنها لاحظت توتره هو الآخر.

وقفت بجانبه وهمست : أساعدك؟

نظر لعينيها بحب وردد : تساعديني؟ ولا قصدك تجننيني؟

ضحكت لتطير عقله : أنا؟ أنا بريئة عملتش حاجة أنا

نظر إليها من رأسها لأخمص قدميها وهو يلتهمها بعينيه : كل ده وماعملتيش؟ امال لو هتعملي هيبقى ايه؟ تضربيني بسكينة في قلبي؟

هتفت بسرعة : بعد الشر على قلبك

وضعت يدها على قلبه فأمسك يدها ورفعها لشفتيه فقبلها برقة متناهية لتذوب عشقا وتحمر خجلا فسحبت يدها بسرعة ثم علقت : الميا بتغلي على فكرة

نظر إليها لوهلة دون فهم ما تقصده ثم انتبه وابتسم : الميا بس اللي بتغلي؟

فهمت قصده ولكن لم تظهر ذلك وساعدته في إعداد الكوبين ثم توجها ليجلسا أمام الشاشة، اختار فيلمًا عشوائيًا وبعد أن بدأ اقتربت أميرة منه بتردد : ارفع دراعك ده لو سمحت.

نظر إليها باستغراب فأمسكت ذراعه لترفعه وتضع رأسها على صدره فابتسم و ضمها بذراعه، وبعد فترة سألته أميرة

بتراخي : هو الفيلم بيتكلم عن ايه يا أحمد؟ مش مركزة فيه ولا شادد انتباهي.

نظر لوجهها بوله: وحياتك انتِ ما شوفت مشهد واحد، أصلا دماغي مش فيا

رفعت رأسها إليه وواجهته بابتسامة : دماغك فين؟

لمس وجنتها بحب وثبت نظراته على وجهها : دماغي واخداها اللي بعشقها بقالي سنين وأخيرا ما صدقت إنها في بيتي وفي حضني، متخيلة ازاي ممكن أركز في أي حاجة تانية غيرك؟

تنهدت بحب وسندت رأسها مجددا على قلبه : بحبك يا أحمد

شدد ذراعيه حولها : وأنا بعشقك يا روح أحمد.

رفعت وجهها إليه وهمست : طالما مش بنتفرج دخلني جوا أوضتنا.

أمسك جهاز التحكم وأغلق الشاشة ثم حملها بين ذراعيه ودخل بها الغرفة ليضعها على السرير وقبل أن يبتعد أمسكت رقبته وهمست : خليك جنبي ما تبعدش.

جلس بجانبها بهدوء : مش عايزك تعملي حاجة مش مستعدة ليها يا أميرة وما تقلقيش أنا جنبك ومعاكي لآخر يوم في عمري.

ابتسمت واقتربت أكثر منه بوجهها : لآخر يوم؟ مش هتزهق؟

قبّل أرنبة أنفها : مش هزهق ما تخافيش.

همّ بالوقوف ولكن أمسكت ذراعه مجددا : بقولك ما تبعدش - مازحته – انت هتستغبى ولا ايه؟

عقد حاجبيه بدهشة أولا ثم ابتسم : صاحبك غشيم ودي أول مرة له يحب أصلا فواحدة واحدة كده عليه ينوبك ثواب.

ضحكت أميرة : ايه ده؟ انت بتقولي أنا واحدة واحدة؟ طيب يبقى كده أقولك تصبح على خير.

التفت لتبتعد عنه ولكنه أمسك ذراعيها بضحك : ايه هو ده؟ انتِ ما بتصدقي ولا ايه تعالي هنا في حضني.

اقترب منها ليأخذها بين ذراعيه وفي عالمهما الخاص، قبل أن يتمادى سألها بهمس : أميرة انتِ واثقة انك عايزاني أقرب؟ أنا مستعد

وضعت يدها على فمه تمنعه وهمست : كنت محتاجة أطمن واطمنت وعرفت إن الأمان في حضنك انت وبس.

غرقا سويا ليبدأ حياتهما بعد أن أحست بالأمان بين ذراعيه وعرفت أنها قد اختارت رجلا يحميها من الكون بأجمعه.

انتهت حنين من تجهيز كل متعلقاتها وحضرت حقائبها لنقلها لبيت إيهاب، دخلت صابرين غرفتها لتجدها تغلق آخر حقيبة فعلقت بحنق : انتِ برضه مش هتعقلي وترجعي عن اللي في بالك؟! هتروحي برضه تتجوزي النقاش ده؟

رفعت حنين رأسها باستغراب : انتِ لسه بتتكلمي في النقطة دي؟ ماما أنا فرحي خلال يومين خلاص وإيهاب إنسان كويس ومحترم و

قاطعتها برفض : وماحيلتهوش وما اتعلمش وماعندهوش حتى شقة يقعدك فيها، بتتجوزيه ليه؟ عنده ايه يقدمهولك؟

ردت بسرعة بدفاع: قلبه وحبه وكل ما فيه

سخرت صابرين من ابنتها : طظ، كل اللي قلتيهم دول ما يسدوش جوعك، ما يشتروش فستان، ما يصرفوش عليكي فوقي

أغلقت حقيبتها ونظرت إليها بإصرار : سمعت كلامك مرة وغرقتيني فالمرة دي مش هسمع غير كلام قلبي وعقلي أنا وبس مش هسمع لأي حد، بعد إذنك أنا رايحة بيت إيهاب علشان أرص حاجاتي.

خرجت حنين من الغرفة تجر حقيبتها بينما ساعدتها حور في نقل حقائبها للمصعد ومنه لسيارة والدهما الذي كان بانتظارهما وتحركوا لبيت إيهاب بينما رفضت صابرين تماما مرافقتهم.

١٠

استعد إيهاب لاستقبال حنين فبدل ثيابه و وقف أمام المرآة يهندم نفسه، راقبه أخوه وعلق باستغراب : إلا واحدة زي حنين بتتجوزك ليه؟ يعني ازاي؟

نظر إيهاب له من خلال المرآة دون رد فأكمل مازن دون مراعاة لمشاعر أخيه: واحدة أبوها مدير بنك وهي شغالة معاه في نفس البنك فدي مرتبها معدي ومستواها معدي ليه توافق؟(ابتسم بتهكم) آسف يا هوبا بس بجد ليه توافق على واحد زيك؟ نقاش؟

لاحظ ضيق أخيه وتغير ملامحه فتدارك نفسه وبرر: طبعا مش قصدي أقلل منك بس حنين الصراحة كتير، بنت جميلة ومستوى عالي وألف شاب يتمنوها فـ

قاطعه إيهاب بحدة : فليه توافق على واحد زيي صح؟ هو الواحد اللي زيي ده مش بني آدم؟ مش له حقوق في الحياة معاكم يعني؟ عمال تستكترها عليا زي ما استكترت شقتي وطمعت فيها لنفسك صح؟ مش دي فكرتك انت؟ مش دي أفكارك انت السودا اللي بتملا بيها دماغها وتخليها تمشي وراك؟

وقف مازن ودافع عن نفسه : لا ما تظلمنيش أنا ماليش دعوة بقصة الشقة أمك اللي

قاطعه إيهاب بضيق : بالله عليك ارحمني من تأليفك،

قصة الشقة وحوار العيادة ده حوارك انت مش أمك أبدًا، ده تفكيرك انت والعيادة اختراعك، فاعفيني من تأليفك و كدبك، أنا بصراحة مش عارف انت أناني ليه بالشكل ده يا مازن؟ واحد غيرك كان (بحث عن الكلمة التي يريد التعبير بها وحين لم يجد صمت) ولا مالهوش لزوم.

أصر مازن عليه : لا قول، ولا غيري كان ايه؟ نزل اشتغل صح؟ بس مش عارف أنا واحد زيي ممكن يشتغل ايه؟

واجهه إيهاب بجدية : يشتغل أي حاجة عمر ما الشغل كان عيب في أي مكان في الدنيا، ما برا مصر الأجانب اللي دايمًا تستشهد بيهم بيطلع الطالب بعد الثانوي يشتغل ويدرس ويصرف على نفسه، في أي جامعة بيشتغل ويصرف على نفسه وهنا برضه في طلبة كتير بتدرس وتشتغل.

علق بتهكم : وسيادتك ما درستش واشتغلت ليه؟

رد إيهاب بحدة : بجد بتسألني ليه؟ علشان تعرف انت تتعلم وتعرف تاكل وتلبس وتتمرقع وسط أصحابك، علشان أنا مش هشتغل علشان أساعد أو أسند أنا بشتغل علشان مفيش غيري فالكل معتمد عليا، فماكانش في شغل محتاج مني أربع أو خمس ساعات وبمرتب يكفي البيت كله فكان لازم أسيب الجامعة لكن أنا ما طلبتش منك تصرف طلبت بس تساعد في مصاريف نفسك بدل ما تيجي تقول بحث وحوار وتكدب وتؤلف وفاكر نفسك ناصح واني بصدقك بس بسيبك بمزاجي تخرج مع أصحابك، يا أخي بلاش تشتغل قدر بس

تعب الواحد وتضحيته علشانك، ولا بلاش يا سيدي تقدر بلاش تطمع في اللي في ايد غيرك وتستكتره عليه زي ما استكترت الشقة ودلوقتي جاي تستكتر خطيبتي؟! خليك في حالك يا مازن وابعد عن وشي ده كل اللي عايزه منك حاليا.

قاطعهما رنين هاتفه ليبتعد عن أخيه ويرى اسمها فأجابها بسرعة : أيوة يا حنين؟

خرج من الغرفة وأغلق الباب خلفه ونزل لاستقبالها.

خرج مازن خلفه وراقبه من الشرفة في الصالة لتخرج قدرية : واقف كده ليه يا مازن؟

علق بشرود : هي خطيبة إيهاب جاية هنا يا أمي؟

وقفت بجانبه بالخارج تنظر للأسفل : اه يا أخويا جاية تجيب حاجتها، عمري ما تخيلت أبدًا إن أبوها ولا أمها يوافقوا تيجي تعيش معانا هنا في البيت.

نظر مازن إليها بجدية: البت شكلها بتحبه يا بتعاند معاهم في كلتا الحالتين دي يا أمه مش هتعمر كتير وإيهاب يبقى أهبل لو فكر انها هتعيش معاه هنا وتاكل طقة وتجوع طقة، المفروض يفهم انه مجرد تجربة جديدة مش أكتر.

راقبا حنين وهي تنزل من السيارة ليستقبلها إيهاب بفرحة

علق مازن بالأعلى بإعجاب: بس البت فرس يا أمه

نظرت قدرية لابنها بصدمة من تفكيره : واد يا مازن دي خطيبة أخوك

نظر لها باستنكار: ما أنا عارف بس خسارة فيه

أمسكت ملابسه جذبته بعنف: حسك عينك ترفع عينك في البت، دي هتعيش معانا في بيت واحد وهتبقى مرات أخوك يعني زيها زي هبة أختك فاهم؟

أبعد مازن يدها بهدوء: وطي صوتك طيب لأحسن يسمعك وتخربيها أكتر ما هي خربانة وبعدين عارف انها مرات أخويا وعمري ما هبصلها أصلًا أنا بس بدردش معاكي مستغرب بت زي دي ازاي وافقت ترتبط بإيهاب ولا أكتر ولا أقل وماتدخلينيش في حوارات أنا بس مستغرب عاجبها ايه في إيهاب أخويا ولا تعليم ولا مستوى فليه؟

لم تجبه بل تابعتها وهي تدخل البيت برفقة إيهاب وابتسامة عريضة تزين وجهها.

دخلت قدرية تستقبل حنين وحور و والدهما، أدخل إيهاب كل حقائبها بمساعدة مازن بعد أن رفض إيهاب مساعدته في بادئ الأمر ثم تقبلها على مضض.

رن هاتف حنين لتجيب بسرعة ثم نظرت لإيهاب وعلقت بهمس: دي البنت اللي هتركب الستاير وصلت ينفع ننزل نجيبها؟

وافق إيهاب: طبعًا يلا

خلال دقائق صعدت الفتاة برفقتهما وبدأت في تركيب وتعليق الستائر بكل مشتملاتها.

تفاجأ إيهاب أن حنين جهزت ستارة للصالة بلون مناسب للون الفرش فحاول دفع ثمنها لكنها رفضت تماما، بدأت الفتاة في عملها بمساعدة حنين بينما تركهما عبد القادر على وعد بالعودة مجددًا لأخذ ابنتيه.

انضمت هبة لحور وساعدتها في ترتيب حقائب حنين ورصها في الخزانة وسط جو مليء بالمرح.

نادى إيهاب حنين : موبايلك بيرن

كانت منشغلة بما تفعله فنظرت تجاهه: شوف مين طيب انت.

تردد قبل أن يمسك هاتفها : هايدي

ابتسمت : رد عليها تلاقيها يا وصلت يا تايهة فشوفها يا إيهاب معلش فين؟

رد وقبل أن يتحدث سمعها : انتِ يا مصيبة البيت فين مش عارفة أوصل خالص، يا إما معتز حمار مش عارف يمشي على ال GPS

سمع معتز يقول باعتراض : ما هو بتنيل عليه أعملك ايه؟ المفروض وصلنا.

حمحم إيهاب قبل أن يسأل : وصلت فين طيب؟

تضايقت هايدي وتذكرت أمجد حين كان يجيب بدلًا من حنين ويخبرها بأي عذر كي لا تتحدث إليها أو تراها وأحست أن الزمن يعيد نفسه فعلقت بحدة : انت بترد على موبايل

حنين ليه؟ أكيد اسمي مكتوب هايدي قدامك

فهم إيهاب أن هايدي ضمن خط الدفاع الذي تكون أمام حنين، أجابها بهدوء متفهما اندفاعها : مشغولة مع البنت اللي بتعمل الستاير وهي اللي طلبت مني أرد علشان أعرف أجيبكم هنا، وصلتوا فين؟

رد معتز وشرح له مكانه بينما نزل إيهاب لاستقبالهما.

قبل أن تخرج هايدي من السيارة أمسك أخوها ذراعها بتحذير: اهدي وبلاش الطريقة دي مع إيهاب

جذبت ذراعها بحنق: مش هسيبها تكرر أخطاءها تاني ولو حسيت انه شبه أمجد مش هسكتلها

قبل أن يجيبها خرجت من السيارة ونظرت لإيهاب الواقف بتقييم، لاحظ إيهاب نظراتها المتفحصة لكنه لم يهتم بها.

خرج معتز ليتحرك إيهاب تجاهه، مد معتز يده بابتسامة: أنا

قاطعه مبتسمًا : دكتور معتز أخو الأستاذة هايدي، شبه عارفكم من كلام حنين عنكم.

ابتسم معتز بود: معتز وبس حنين زي أختي و نعتبر أسرة

رحب به ثم نظر تجاه هايدي : أستاذة هايدي يا أهلًا بيكي، اتفضلوا

صعدوا للأعلى واستقبلتهم حنين، اعتذر معتز لينصرف

ولكن أوقفته حنين : خليك يا معتز ولا لازم تروح الصيدلية؟

انتظرت هايدي بتحفز رد فعل إيهاب لجملة حنين.

تدخل إيهاب بابتسامة : اه خليك يا دكتور أكيد هنستفيد بايد زيادة

تبادل معتز نظراته مع أخته بتردد : بلاش خليني أروح الصيدلية وأشوف الدنيا ايه؟

رفع إيهاب يده باستسلام : لو عندك شغل مش هقدر أتكلم بس بجد خليك على الأقل البنات دي تلاقي حد تاني معايا تستغله، يعني ما تقلقش مش بعزم عليك من باب الضيافة، دول هيستغلوك استغلال سيئ .

ضحك الجميع بينما وافق معتز على مساعدتهم، خرج مازن من غرفته وتعرف على الجميع وحاول أن يلفت انتباه هايدي لكنها لم تعره انتباهها أبدًا.

صعد إيهاب على السلم لعمل بعض الثقوب بمساعدة معتز لتعليق خشب للستائر، راقبته حنين وبجانبها هايدي التي همست : بتبصيله كده ليه؟

ابتسمت وهمست : عادي.

سألتها بفضول: انتِ اللي قلتيله يرد على موبايلك؟

أومأت بموافقة فحذرتها هايدي : بلاش تعوديه يمسك فونك أو يفتش فيه، بلاش تديله مساحة كبيرة منك خلي في حدود في التعامل، انتِ قلتي انه اتفاق تعاملي على الأساس

ده، مش هنعيده تاني.

نظرت إليها حنين بدفاع : إيهاب مختلف يا هايدي وغير أمجد تمامًا، مفيش وجه مقارنة و وقفته فوق على السلم يعلق الستاير ومعاه معتز بيساعده أكبر دليل انه مختلف.

لاحظت حنين اقتراب الفتاة من إيهاب و صعدت على الأريكة أمامه بحجة إرشاده، علقت حنين بغيرة: هي البت دي بتتعمد تقرب منه ولا بيتهيألي؟

ردت هايدي دون أن تنظر تجاههما : بيتهيألك.

اقتربت حنين منهم ولاحظت نظرات الفتاة عن قرب فإعجابها واضح، عقدت حاجبيها بضيق وخصوصًا حينما ضحك إيهاب معها، فتراجعت بغضب لاحظته هايدي.

خرجت إلى الشرفة تبعتها هايدي التي سألتها : خرجتي ليه برا؟

لم تجبها بل نظرت للشارع أمامها، نظرت هايدي للداخل وراقبت الفتاة فلاحظت أنها بالفعل تتعمد الاقتراب من إيهاب

دخلت هايدي وعلقت ببرود : عنك يا إيهاب أنا هساعدها وانت كفاية عليك التعليق انت ومعتز.

لاحظ إيهاب نظراتها فابتعد وتلفت حوله ليجد حنين بالخارج فتحرك تجاهها.

حين رأته يقترب استدارت تواجه الشارع هربًا من عينيه،

وقف بجانبها بهدوء : تعبتي ولا ايه؟

ردت باقتضاب: لا عادي

لاحظ لهجتها فلمس ذراعها بذراعه متعمدًا : مالك طيب؟

ثبت نظراته على وجهها بحيرة بينما التفت هي بحدة وأجابت باندفاع : سايباك تاخد راحتك مع البنت اللي شكلها عاجباك أوي.

رفع إيهاب حاجبيه بصدمة؛ فهو أبدًا لم يتعمد الاقتراب منها أو يلتفت ناحيتها أساسًا بل هو لم ينظر لوجهها مطلقًا ولكن ما صدمه أكثر ما رآه الآن هل هذه غيرة؟

دق قلبه بعنف متسائلًا هل تغار عليه حقًا؟

سألها وقلبه ينبض بعنف : انتِ بتغيري عليا؟ ده بجد؟

نفت بسرعة : غيرة ايه اللي بتتكلم عنها؟ لا طبعًا، الظاهر انك ناسي الاتفاق بينا.

فكر بحيرة لكنه لم يفهم قصدها : ايه علاقة الاتفاق بكلامنا دلوقتي؟

وضحت بتهكم : مش كان شرطك الأساسي نحترم بعض ونراعي شكلنا قدام الناس؟ مش ده شرطك؟ يبقى زي ما بتطلب مني ما أعملش أي حاجة تسيئ لشكلك ومنظرك قدام الناس مطلوب من حضرتك المثل، تراعيني وتراعي منظري كزوجة، مش قاعد لازق فيها وعمال تساعدها وتطلع على السلم وهي تطلع جنبك وتلزق فيك، ايه هو ده بالظبط ها؟ ده

أنا ماعملتهاش.

ابتسم بفرحة ؛ فهو يشعر بغيرتها في كل حرف تنطقه وفي تعبيرات وجهها وغضبها، رد ببساطة : حد قالك ما تعمليهاش؟ تعالي يا ستي جنبي و

قاطعته بغضب : إيهاب لو سمحت

اقترب بوجهه منها وقال بعاطفة: عيونه وقلبه وروحه، اؤمري يا حنين، عايزاني أعمل ايه وأنا هعمله من غير نقاش أصلًا؟

قربه وترها وكلماته أسعدتها فأشاحت بوجهها بعيدًا عنه بابتسامة حاولت إخفاءها عنه : مش عايزة حاجة غير انك تراعي وجودي مش أكتر.

مد يده يلمس وجهها ويديره تجاهه بلطف: من عينيا، تعالي طيب جوا

خرجت هبة من غرفة أخيها وأعدت العصير و الكعك للموجودين، خرجت حور هى الأخرى وانضمت للجالسين، اقترب معتز منها بابتسامة: ازيك يا حور عاملة ايه؟ وأخبار تدريبك ايه في صيدلية فؤش؟

التفت إليه بهدوء : الحمدلله تمام وبعدين الصيدلية لوالده مش له هو وليها اسمها وده السبب اللي خلاني أتدرب فيها ان فيها زحمة غير كده اسمه حمزة مش فؤش، مش عارفة ازاي قبل انك تطلع عليه اسم غبي زي ده؟

تعجب معتز من دفاعها عنه بهذا الشكل ولهذا المدى فدافع عن نفسه: هو مش بيتضايق من الاسم ده انتِ ايه مضايقك؟

تضايقت من سؤاله؛ فهو بدون إجابة واحتارت بماذا تجيبه؟ فبالفعل لمَ تهتم هي بما يطلقه معتز على صديقه؟

حاولت الدفاع عن نفسها أمامه : ماهو مش معنى اني تقبلت هزار واحد صاحبي انه يتمادى فيه يا معتز، هو قبلها منك بس خلاص اتخرجتوا وبقيتوا دكاترة وده يحكمك تتعامل معاه كدكتور مش طالب صاحبك، وضعكم اتغير ولازم تقدر التغيير ده.

أومأ برأسه بتفهم ولكن دون اقتناع؛ فلربما تكون وجهة نظرها صحيحة لكنها لم تجبه عن سؤاله لمَ تهتم بـحمزة؟

أردف بشرود: تمام يمكن يكون عندك حق بس أنا حاليا مش بتكلم قدام حد غريب، ده انتِ يا حور، لكن أكيد قدام الناس بتكلم بشكل مختلف.

دخلت حنين غرفتها برفقة الفتيات وانتهين أخيرًا من تعليق الستائر ورافقتها حنين للخارج وقبل العودة لغرفتها أوقفها مازن : تصدقي مش قادر أصدق إن إيهاب هيتجوز؟

ابتسمت بمجاملة : لا صدق هنتجوز خلاص اهو

قبل أن يضيف المزيد تركته وتوجهت للداخل.

انتهى اليوم وذهب كل إلى بيته بينما وقف إيهاب في منتصف غرفته غير مصدق شكلها ورقة أثاثها وتخيلها

برفقته بين ذراعيه وتريح رأسها على كتفه، وتخيل نفسه يرسمها كما وعدته، تخيل أيامًا جميلة.

في بيت هايدي دخلت داليا والدتها غرفتها لتجدها تضع اللمسات الأخيرة فاقتربت منها بحنو : أجمل بنوتة في الدنيا

ابتسمت لوالدتها : ربنا ما يحرمني منكم يا ماما أبدًا.

عدلت داليا من خصلات شعر ابنتها : العريس المرة دي متفائله جدًا مش عارفة ليه؟

ابتسمت بهدوء : هنشوف بس ماما (انتبهت والدتها فتابعت) حتى لو وافقت فده مش رأي نهائي أبدًا، هنتخطب شوية وأتعامل معاه وأشوف رد فعله في مواقف كتيرة بعدها هقرر إذا كنت هكمل معاه أو لا، اتفقنا؟ مش معنى اني شوفته مرة في فرح صاحبتك و وافقت يجي يتقدم اني موافقة عليه خلاص.

ربتت داليا على كتفها بحب : أكيد ما تقلقيش يا قلبي

وصل العريس المنتظر وهو المهندس علاء عامر الألفي برفقة والده و والدته الأستاذة فاتن واستقبلتهم داليا بالترحاب وخصوصًا أن فاتن صديقتها منذ فترة طويلة ولكنهما لم يتقابلا منذ مدة وجمعتهما الظروف في زواج إحدى الصديقات مؤخرًا.

أُعجبت داليا بعلاء ولباقته في الحديث، كذلك زوجها وابنها معتز الذي توجه لغرفة أخته هامسًا: يلا يا هايدي اطلعي.

فركت يديها بتوتر وهي تلقي نظرة أخيرة فطمأنها معتز بحب : زي القمر وهو محظوظ لو كنتي من نصيبه.

ابتسمت لأخيها : ماقلتليش رأيك فيه ايه؟

رفع كتفيه بحيرة : مبدئيًا كويس، لطيف مش خنيق، لبق في الكلام، شغله كويس، الباقي انتِ بقى تحكمي عليه من خلال معاملتك معاه.

خرجت هايدي برفقة معتز وصافحت الجميع بخجل قبل أن تستقر بجانب والدتها، رحبت بها فاتن وكذلك زوجها ودقائق وانضم علاء وهايدي للحوار بهدوء ليتعرفا على بعضهما فعرفت أنه مهندس معماري بإحدى الشركات وهو عرف أكثر عن طبيعة عملها بالبنك.

بعد انتهاء السهرة وقبل أن تدخل هايدي غرفتها أوقفها والدها : ها يا هايدي؟

طأطأت رأسها بخجل : مش عارفة يا بابا حضرتك ايه رأيك؟

ابتسم محمود ؛ فلأول مرة لم ترفض بشكل قاطع لذا رد بهدوء: الرأي عندك انتِ يا قلبي، أنا رأيي مش مهم أبدًا بس مبدئيًا هو شخص كويس، محترم، أخلاقه كويسة، الباقي واحدة واحدة نعرفه.

علقت هايدي بشرود : بابا أمجد في البداية كان محترم جدًا والكل يشهد بأخلاقه، نعمل ايه لو طلع زيه؟

تدخل معتز في الحوار وقال بتوضيح : لا يا هايدي كان واضح، غيرته المجنونة دي واضحة من أول يوم سلمت عليه فيه وهو اتعصب وعمل خناقة ويوم خطوبتهم، طبعًا كان واضح بس هي اختارت تتجاهل ده، منعها من أصحابها تماما، ده منعها يوم الفرح ترقص مع أبوها عايزين ايه تاني؟

أيد محمود كلام ابنه : كان المفروض عبدالقادر يومها ياخد بنته ويروح بيها مش يسيبهاله

انضمت داليا للحوار: صابرين اتدخلت ومنعته لانه كان عايز يعمل كده، هي حكتلي بتستنكر رد فعله وتقولي كان عايز يبوظ فرح بنته.

محمود بحزن : ياريته كان بوظه ورحم البنت دي من كل اللي شافته واللي لسه هتشوفه مع الواد اللي هتتجوزه، برضه مش عارف ازاي عبدالقادر وافق عليه؟

صمتت هايدي بينما علق معتز : لا يا بابا إيهاب راجل محترم وكويس وطيب، شخصية مختلفة لو شوفته هتحبه

علق والده باهتمام : بجد؟ انت قابلته؟

رد بهدوء: قابلته امبارح لما وصلت هايدي وأصر أقعد معاهم وأساعدهم، عندي إحساس كبير انه هيقدر يسعد حنين، هو بس فقير شوية لكن شغال وأول ما اخواته يتخرجوا ويبقى حر نفسه وضعه هيختلف تمامًا.

نظر محمود لهايدي : وانتِ ايه رأيك يا هايدي؟ انتِ أكتر

حد قريب من حنين.

علقت بشرود : هي بتحبه أو هتحبه، ده موضوع مفروغ منه بس هل هتتحمل ظروفه والعيشة معاه في بيت أهله؟ كمان أمه غبية أوي زي طنط صابرين بس على بيئة كده فهتظبطها وتعمل منها كفتة لكن حنين ولا فارق معاها.

سألت داليا بفضول : طيب هي بتوافق عليه ليه؟ يعني طالما لسه مش بتحبه ليه الجواز وبالسرعة دي؟

ردت بتفكير: أعتقد عناد على طنط صابرين لأنها لسه رافضة تماما الجواز ده وهي بتعاند معاها.

قاطعهم محمود : سيبونا من حنين خلونا في علاء وهايدي، نقول للولد ايه؟ موافقون ولا رافضون؟

ابتسمت داليا حين لاحظت خجل ابنتها وردت عنها بسعادة: موافقون بإذن الله وربنا يتمملها على خير.

رجع عمرو من سفره السريع ليتفاجأ أن أخته تصالحت مع زوجها وعادت لبيتها ليجن جنونه، خرج دون أن يبدل ملابسه أو يستريح ولو قليلًا وتوجه لبيت أخته مباشرة، طرق الباب بعنف نوعًا ما وحينما فتحت أخته الباب انفجر فيها : تاني؟ تاني يا هدير مفيش فايدة فيكي أبدًا؟

تنهدت بتعب : ادخل بس الأول ونتكلم بالراحة

صرخ بها مجددًا : لا مش هتكلم بالراحة، راجعة ليه ها؟ ناقصك ايه في بيت أبوكي؟ قصرنا معاكي في ايه؟ يعني

أعرف ان الستات اللي بتخاف من الطلاق دي اللي بتخاف تتشرد وماعندهاش بيت، أبوها ميت، أخوها متجوز وعنده بيته ومش هيشيل مسئوليتها، ماعندهاش مأوى ولا مصدر رزق ولا ولا ولا وبتخاف لكن واحدة زيك خايفة تتطلقي ليه؟ مش هتلاقي غيره؟ في ألف راجل يتمنوا إشارة منك، مش هتلاقي بيت تعيشي فيه؟ الحمد لله بيت أبوكي مفتوح والحمدلله مرتاح ماديًا هيصرف عليكي انتِ وعيالك لحد ما يموت، ويا ستي مش عايزة تعيشي مع حد أقسم بالله آخدلك شقة لوحدك وأراعي عيالك أنا لكن خدي قرار.

سمعته وهي تنكس رأسها للأسفل حتى صرخ بها بغيظ: فهميني يا هدير انطقي.

رفعت رأسها تواجهه بهدوء : هو انت عندك بس الأسباب المادية؟ مفيش مشاعر؟ مفيش حب؟ مفيش عيال عايزة تتربي في حضن أبوها؟ مفيش

قاطعها عمرو بتهكم : هو فين؟

نظرت له باستغراب فكرر : هو فين؟ ادخلي ناديه خليني أتكلم معاه شوية.

علقت بضيق : خرج وراه

قاطعها بضحك : وراه ايه؟ يعني مراته كانت تعبانة وعرف انها حامل وأخيرًا رضيت تيجي البيت يترزع معاها – ارتفع صوته بغضب – يترزع في بيته جنب مراته وابنه يراعيهم، لكن لا يرميها في البيت تولع هي وابنها وهو يدور يتسرمح

برا ويكدب عليكي بأي حجة هبلة متخلفة، ماهي الهبلة مراته بتصدق ومختومة على قفاها، صح كده؟ قالك ايه المرة دي؟ صاحبه عيان؟ ولا بيتجوز؟ ولا بيهاجر؟ ولا ايه بالظبط؟ ايه الكدبة المتقنة دي اللي كل مرة تصدقيها ان اصحابه على طول عيانين ولا على طول عندهم مشاكل ولا ايه انتِ؟ فوقي وادخلي لمي كل هدومك ويلا معايا

وقفت مكانها وهي تطبق يديها فوق صدرها وأكدت بإصرار: أنا مش هسيب بيتي يا عمرو، أنا حامل في طفل جديد محتاج رعاية وحب، محتاج أب، ومش هحرمه منه من قبل حتى ما يتولد.

تراجع بحدة: ده آخر كلام عندك؟ مصممة تدفني راسك تحت الرملة وتكملي وانتِ مغمضة؟

صرخت هدير بوجهه : انت ليه مش قادر تستوعب اني بحبه؟ بحبه يا عمرو وهو بيحبني وبيعشقني اه له غلطات وهفوات بس عنده خط أحمر لا يمكن يتخطاه وبيحبني

صرخ بوجهها بغيظ : اللي بيحب حد ما بيشوفش غيره، بيخلص في حبه فده مش حب ده مجرد واحدة في البيت تربي عياله وببلاش

صاحت بنفاد صبر: طيب ماشي هو ما بيحبنيش بس أنا بحبه، بحببببه نقفل بقى الحوار ده؟

تراجع بأسف وحزن حقيقي : ملعون أبو الحب يا شيخة اللي يهين البني آدم ويحط كرامته في الأرض، ملعون أبوه،

همشي يا هدير وهقفل الحوار ده و وعد مش هكلمك تاني فيه ولا هتكلم معاكي من أساسه وانتِ لما تتعبي ولا يجرالك حاجة ما تتصليش بيا وتقولي الحقني ابقي اتصلي بحبيبك ده إذا عبرك ورد عليكي، سلام.

تركها وصم أذنيه عن ندائها ودخل سيارته وانطلق بسرعة مجنونة؛ فهو يعلم حتما أنها ستحتاجه قريبًا.

دخلت هدير لتجلس على أقرب كرسي وبداخلها ثقة أن زوجها سيخذلها مجددًا وقريبًا جدًا وستحتاج لأخيها الذي تركها دون عودة.

وافقت هايدي على علاء وتم تحديد يوم الخطبة لتخرج هي وحنين لشراء فستان كما اشترت حنين عدة فساتين أيضًا لزفافها.

يوم الخطبة توجهت حنين مبكرًا لهايدي كي تساعدها، أرسلت لإيهاب تطلب منه الحضور ولكنه رفض تمامًا فاتصلت به : أيوة يا إيهاب، مش عايز تيجي ليه حضرتك؟

تنهد بإرهاق ؛ فيومه كان شاق للغاية : دي صاحبتك الأنتيم ودي خطوبة على الضيق صح؟ آجي ليه؟ ماليش لازمة

عقدت حاجبيها بضيق : بس أنا كنت عايزاك معايا، إيهاب

صمت قليلًا مفكرًا في طريقة للرفض فكيف يخبرها أنه يخجل من وضعه؟ وكيف يخبر الناس بوظيفته؟ موافقته على الزواج بها قرار خاطئ سيدفع ثمنه غاليًا جدًا ولكن

للأسف هو مستعد لهذه التجربة.

انتبه لصوتها المتوسل : إيهاب إذا سمحت عايزاك معايا

لم يجد بدًا سوى الرد عليها مباشرة دون تزييف : طيب هاجي بس لما خطيب صاحبتك يسألك بكل بساطة هو وأهله خطيبك شغال ايه يا أستاذة هتقولي ايه؟ نقاش؟ احنا مش هندفن راسنا في الرمل احنا عايشين في مجتمع ما بيرحمش، أخويا نفسه بيتكسف يتكلم عني أو يقول إن أخوه اللي بيصرف عليه وفاتح البيت بيشتغل نقاش، ازاي هتقولي انتِ ان ده كان اختيارك؟

انتظر ردًا منها ولكن كما توقع لا رد فهي بالتأكيد لم تفكر بهذه الطريقة؛ فهي كانت حالمة كعادتها.

علق بألم قبل أن ينهي المكالمة : خلينا واقعيين أنا وافقت على اقتراحك بس عارف اني مش هكون في النور قدام أصحابك والوسط بتاعك فياريت انتِ تتقبلي ده، أنا آسف وعلى عيني أرفضلك طلب بس خليكي واقعية ومنطقية، لما تخلصي لو عايزاني آجي أروحك البيت مش هتأخر، سلام.

أغلق المكالمة ولم يعطها فرصة للرد ولكن بمَ سترد وبمَ ستجيبه؟ هل تخبره أنها لن تخجل من وظيفته وأنها فخورة بإنجازه وتحمله لتلك المسئولية؟ إذن فلِمَ لم تخبر زملاءها في البنك بخطبتها وأخبرت أصدقاءها المقربين فقط؟

للأسف هو محق؛ فهي عاندت والدتها دون التفكير في توابع قرارها وللأسف الشديد أن صمتها جرحه هو دون قصد

منها؛ فلربما أراد منها أن تعارض كلامه وتخبره أنها واثقة من قرارها وأنها أبدًا لن تخجل منه لكنها صمتت.

لاحظت هايدي صمتها فاقتربت منها : مالك يا حنون؟

نظرت تجاهها بحزن: جرحت إيهاب من غير قصد.

استغربت وجلست بجانبها : جرحتيه ازاي؟

قصت لها ما دار بينهما، نظرت لصديقتها منتظرة رد فعلها فوضحت : هو عنده حق، وانتِ عندك حق بس ده اختيارك انتِ يا حنين، للأسف وافقتي وقررتي من غير ما تفكري.

حنين بحيرة: يعني ايه؟ أعمل ايه؟

ردت بحيرة مماثلة : معرفش بس ده وضع اتحطيتوا فيه ولازم تتقبلوه وتشوفوا هتتعاملوا معاه ازاي؟ لو عايزاه يجي كلميه تاني اطلبي منه يجي وأنا ممكن أكلم علاء ما يحرجهوش هو وأهله

نفت حنين بسرعة : لا لا مالهوش لزوم وبعدين علاء انتِ يدوب بتتعرفي عليه فمش وقته (غيرت الموضوع) عزمتي حد من الشغل؟ كلمتي دعاء؟

أجابتها: كلمت دعاء بس اعتذرت هي مسافرة هي وجوزها يومين، البت دي شكل وراها حاجة بس مش بتقول.

حنين : ربنا معاها حماتها وحشة أوي، ربنا يوفقها أكيد عندها عذر فعلًا وإلا ماكانتش اتأخرت، طيب وسارة؟

نفت هايدي : لا ماكلمتهاش، غريبة سارة دي مابقيتش فاهماها حاطة عينها اليومين دول على مستر زهير.

أكدت حنين : فعلًا طول الوقت عينها عليه قلبها أستك بيمط

ضحكتا معًا واستمر المزاح بينهما طوال الوقت.

استعدت حور للخروج من الصيدلية فتفاجأت بحمزة يستعد مثلها فسألته باستغراب : انت رايح فين كده؟

نظر لها باستغراب مماثل: أعتقد نفس المكان اللي رايحاه، خطوبة هايدي.

علقت باستنكار : وانت تروح لهايدي ليه؟

رد بغيظ من وقاحتها ؛ فهو يذهب لأجلها هي فقط لكنه قال بتهكم : علشان معتز صاحبي الأنتيم وهو اللي طلب مني أروح فأكيد

قاطعهما وصول دكتور محي قائلًا بمزاح : بقى انتم الاتنين هتسيبوني وتمشوا؟ ماشي ماشي

بررت حور قائلة : ده ميعادي اللي بمشي فيه كل يوم فهو اللي بيسيب حضرتك مش أنا.

ابتسم محي وابنه الذي علق : شوف بياعة وقتي، ترميك تحت القطر وتجري

ابتسمت حور لمزاحه : طبعا امال أرمي نفسي معاك يعني؟

حمزة : لا ازاي (نظر لوالده وتابع) مش هتأخر عليك ساعتين وأرجع على طول.

محي باقتراح : طيب طالما رايح خد دكتورة حور معاك ولا ايه يا بنتي؟ بدل ما تطلبي تاكسي، هطمن عليكي أكتر مع حمزة

خجلت حور وتوترت فطمأنها بقوله : يا بنتي فيها ايه؟ انتم الاتنين رايحين نفس المكان.

اعتذرت بصدق : معلش يا دكتور بس ماالتعودتش أركب مع أي حد وبعدين ما قلتش لبابا.

رد ببساطة: طيب اتصلي بوالدك وأنا هستأذنه يلا

ترددت فشجعها : يلا اتصلي به، أو أقولك هاتي رقمه وأنا هكلمه.

أخرجت هاتفها بحرج : لا خلاص أنا هكلمه لحظة

اتصلت بوالدها : أيوة يا بابا

مد محي يده لها : هاتي أنا هكلمه بنفسي

استغرب عبدالقادر وسمع صوته : أهلًا بحضرتك يا أستاذ عبدالقادر أنا دكتور محي الدين والد حمزة.

رحب به عبدالقادر بدهشة : يا أهلًا بحضرتك يا دكتور

شرح محي له سبب اتصاله وبحرج وافق عبدالقادر وشكر اهتمامه، أخذت حور هاتفها وتحدثت مع والدها بعدها

تحركت برفقة حمزة.

استقرت بجانبه في سيارته وسيطر التوتر عليهما وصمت تام قطعه حمزة : أعتقد دي أول مرة في حياتك تركبي مع حد

نظرت تجاهه وحاولت أن تبدو طبيعية غير مرتبكة : اه وآخرها إن شاء الله.

علق بمزاح : ليه آخرها يا ستي ربنا يديم المحبة والود

نظرت له بحدة : أي محبة يا دكتور حمزة؟

حاول الدفاع عن نفسه : ماأقصدش المعنى اللي فهمتيه أقصد الاحترام، المودة، الصداقة يعني أي حاجة تحت البند ده مش شرط حاجة تانية يعني

هزت رأسها بتفهم دون أن تبدي رأيها؛ فهي غير مقتنعة بتبريره وللمرة الألف تتذكر كلام حنين حين أخبرتها عن الصراع بين معتز وحمزة عليها، نظرت تجاهه بطرف عينيها وتساءلت ؛ ترى هل يحبها حقًا؟

عقدت حاجبيها بضيق من أفكارها فأين وصلت أختها تحت شعار الحب؟ كيف تدمرت حياتها تحت وهم الحب؟

انتبهت على صوته : حور بقولك وصلنا يلا.

تلفتت حولها لتجد نفسها بالفعل أمام بيت هايدي، نزلت من السيارة وصعدا سويًا، سألها بتوتر : أي شقة يا حور؟

أشارت تجاهها وطرقت الباب ليفتح معتز فصُدم حين رآهما سويا: جايين مع بعض؟

أجابه حمزة: مش جايين من نفس المكان؟ يعني أكيد مش هسيبها تيجي لوحدها وأنا جاي لنفس المكان

ابتسم بتكلف وفتح الباب : اه طبعا أكيد اتفضلوا

سألته حور : فين حنين وهايدي؟

أجابها بضيق : في أوضتها ادخليلهم.

تركتهما وهربت للداخل بسرعة فهي لاحظت نظرات عتاب معتز، توترت ونظرت من الداخل لهما وتساءلت لمَ تتوتر لهذا الحد معهما وهل هي بالفعل محط اهتمامهما؟

انتبهت أو فُزعت حين أحست بيد على كتفها فصرخت فاعتذرت داليا بسرعة : آسفة يا حور مش قصدي أفاجئك يا قلبي، انتِ بخير؟

ابتسمت وهي تأخذ أنفاسها : أنا كويسة يا طنط بس معلش سرحت بس

نظرت داليا تجاه نظراتها لتجد معتز برفقة حمزة وتساءلت : أيهما يشغل قلب هذه الصغيرة؟ هي حتمًا تعلم بمشاعر ابنها ؛ لقد أحبها منذ الصغر فهل مازال يحبها أم نضج من هذا الحب؟

خرجت حنين من غرفة هايدي : حور سمعت صوتك تعالي احنا جوا

دخلت حور بعد استئذانها من داليا وحينما رأت هايدي قالت بإعجاب : واو ايه القمر ده؟

شكرتها هايدي، وأخرجت حنين فستانًا قائلة: يلا مابقاش في وقت غيري هدومك بسرعة علشان نلحق نعملك ميكاب

عقدت حاجبيها وتأففت : يوووه انتم ليه بتهتموا بالمظاهر كده؟ أنا مش عايزة ولا أغير ولا أعمل ميكاب

وقفت كلتاهما أمامها بإصرار وعلقت هايدي بإيجاز: غيري وانجزي علشان مش هتفلفطي مننا.

خلال نصف ساعة كانت حور تقف كملكة جمال ولأول مرة ترى نفسها بهذه الهيئة.

دخلت داليا لتتفاجأ بحور فعبرت عن مدى جمالها ثم أخبرتهن بوصول علاء وعائلته وكذلك وصول عائلة حنين، خرجت الثلاث فتيات بجمالهن المميز لتتجه كل الأنظار تجاههن.

مالت صابرين تجاه زوجها وهمست بأذنه بغضب : بقى دي توافق تجوزها لواحد نقاش؟ حرام عليك اللي بتعمله فيها ده.

نظر تجاهها بصدمة وعلق : هي حرة في حياتها وقرارتها

اعترضت بتهكم : وهو فين سيادته دلوقتي؟ مجاش، ومش هيعرف يكون معاها في أي مناسبة لانه عارف انه مش مناسب في المكان، كويس انه عارف مقدار نفسه، خفت

ليجي ويفضحنا

تركها زوجها غير قادر على سماع المزيد منها وتوجه لابنتيه مبتسما وضمهما لقلبه.

وقف علاء حين رأى هايدي مبتسمًا واقترب منها مد يده لها لتضع يدها بيده فرفعها لشفتيه وقبّلها برقة متناهية ثم اقترب منها بإعجاب : ماكنتش أعرف اني محظوظ للدرجة دي.

تساءلت بخجل : ليه يعني؟ عادي

رفع حاجبه باستنكار : ايه هو اللي عادي معلش؟ انتِ أبعد ما يكون عن العادي، لو لوحدنا كنت حطيت ايدك على قلبي كنتي حسيتي بنفسه هينفجر ازاي (همس في أذنها وأكمل بغزل) الظاهر اني هحبك وبسرعة.

جلست بجانبه وقلبها بدأ بالنبض لأول مرة لسماعها لهذه الكلمات، كلمات ليست كالكلمات.

كان حمزة برفقة معتز يتكلمان عن الصيدليات والعمل وظروفهما حتى لاحظ معتز شرود حمزة التام فالتفت خلفه ليتفاجأ بحور هو الآخر وقبل أن ينطق ناوله حمزة كوب العصير بيده : بعد إذنك يا معتز لحظة.

توترت حور مع اقترابه كل خطوة إلى أن وقف أمامها فرفعت عينيها له بلامبالاة، ضاع في عينيها للحظات قبل أن يتحدث بلهجة عادية : ما تعرفيش دكتورة حور فين؟ كنت

عايز أقولها كلمتين.

عقدت حاجبيها وردت بحنق : ههه دمك تقيل

استغرب ورفع حاجبه : لا بجد هي فين؟ انتِ عملتي فيها ايه؟

نفخت بضيق : هتستظرف يبقى بعد إذنك

مد يده ليمسك ذراعها بسرعة يمنعها وهو يضحك : خلاص خلاص سوري

وقفت و نظرت ليده بتحفز فترك ذراعها بسرعة معتذرا : سوري بجد بس دي أول مرة أشوفك كده فرد فعلي كان غبي سوري.

علقت بضيق : هايدي وحنين الاتنين رخمين ومصممين وأنا مش كده ولا بحب كده

اقترب حمزة منها وهمس : ما تسمحيش لحد يخليكي تعملي حاجة انتِ مش حاباها ولا مرتاحة فيها (نظر لعينيها وتابع) جمالك مختلف عن أي بنت في الدنيا كلها ومنفردة به، الميكاب ده ماهو إلا شيء ... شيء جانبي مالهوش أهمية أصلًا ومش هو اللي بيحدد شخصيتك، اللي بيحدد شخصيتك هو انتِ وبس.

مست كلماته قلبها في الصميم فابتسمت له ابتسامة صافية عشقها هو لينتبه كلاهما على صابرين تقف أمامهما فتراجعت حور خطوة : ماما ده دكتور حمزة حضرتك عارفاه أكيد

ابتسمت صابرين ومدت يدها تصافحه : اه عارفاه فاكرة انه كان موجود في فرح حنين يا أهلًا يا دكتور والد حضرتك اللي كلمنا من شوية؟

ابتسم حمزة باحترام : أهلًا بحضرتك يا طنط أيوة والدي كلمك لان الدكتورة ماكانتش راضية تيجي معايا وماكانش ينفع نكون جايين نفس المكان وتيجي لوحدها أو بتاكسي.

التفت صابرين خلفها بابتسامة: عبدو؟ (اقترب عبدالقادر فسألته) دكتور حمزة انت عارفه؟

رحب به عبدالقادر : اه طبعا يا أهلًا يا ابني و متشكر انك وصلت حور لحد هنا.

حمزة بحرج : يا خبر يا عمي ده واجب.

جاء معتز من خلفهم ليضع ذراعه حول صديقه وقال بمرح مصطنع: اتعرفتوا على فؤش صاحبي؟

نظرت له حور ولم تعقب بينما علقت صابرين باستغراب : فؤش؟

شرح معتز سبب تسميته هكذا ولكن علقت صابرين ببرود : بس دلوقتي بقيتوا دكاترة مش عيال يا معتز فخلاص اللي كان أيام الكلية ننساه بقى.

استغرب كلاهما من اعتراض صابرين وحاول حمزة تخفيف التوتر : عادي والله أنا ومعتز أصحاب من سنين و

قاطعته صابرين بجدية : وهو لازم يقدر صاحبه ويقدر

وضعه مش يهزر في أي وقت.

علق معتز بذهول: طنط أنا وحمزة أصحاب من زمان وبعدين الهزار ده بينا مفيش حد غريب أصلًا

تدخل عبدالقادر لينهي الحوار : أكيد طبعًا يا معتز انتم أصحاب يا حبيبي وبتهزروا وكلنا فاهمين ده واعذر صابرين هي عندها واحد و واحد اتنين وبس يا أبيض يا أسود ما بتفهمش في الهزار.

نظرت صابرين بحدة لزوجها وقبل أن تعترض أعلن محمود أنه قد حان الوقت لارتداء الخطبة.

راقبت حنين صديقتها وهي تلبس الخاتم ودعت الله من قلبها أن يرزقها السعادة التي تستحقها، أخرجت هاتفها والتقطت بعض الصور وأرسلت واحدة لإيهاب وكتبت(كان نفسي تكون معايا، كل اللي قلته ده مش فارق معايا بس كنت عايزاك جنبي)

وصلت الرسالة لإيهاب الذي قرأها بحزن وتمنى لو أنه وجد طريقة يكمل بها دراسته، كتب بسرعة (ربنا يتمملهم على خير ويسعدهم، صاحبتك هايدي تستاهل كل خير)

ابتسمت حين وصلتها الرسالة لكنها تمنت لو يكتب رسالة لها هي لا لصديقتها، وصلتها رسالة أخرى فتحتها بسرعة (بعتيلي صورة صاحبتك وخطيبها لكن فين قمري أنا؟ مش هتحني على الغلبان وتنوريله ظلمته؟)

ابتسمت وتمنت لو يراها بهذا الفستان، صورت نفسها ولكن تراجعت وكتبت (لو كنت مهتم بقمرك كنت جيت عنده)

فتح إيهاب الرسالة بسرعة وحين قرأها جلس مكانه وقلبه يئن بحزن لظروفه.

انتظرت حنين حتى انطفأت شاشته ولم يعد متصلًا بالإنترنت فأحست بوجع في قلبها فلقد جرحته مجددًا أو ضغطت عليه دون قصد منها.

انتبهت حور على رسالة في هاتفها فتحتها لتجد رسالة من رقم غير مسجل بهاتفها فتحتها لتقرأها(دكتورة أنا إيهاب لو ينفع بعد إذنك تبعتيلي لوكيشن المكان بتاع بيت الأستاذة هايدي أكون شاكر لحضرتك بس أرجوكي ما تعرفيش حنين ولا أي حد اني هاجي لأني هشوفها تحت بس مش هطلع وهمشي على طول لو سمحتي لو مش هينفع خلاص بس ما تعرفيش حد حاجة)

تعجبت من رسالته ؛ فإذا لن يصعد ويشارك بالاحتفال لمَ يأتي ليراها؟

نظرت لأختها وتوجهت ناحيتها: مالك سرحانة في ايه؟

تنهدت حنين بضيق : كان نفسي إيهاب يجي بس رفض

استغربت أكثر وتساءلت: طيب ليه رفض؟ ماقالكيش؟

أجابتها حنين بحزن : علشان مستقل بنفسه وخاف يحرجني لو حد سأله بتشتغل ايه، ماحبش يحرج حد هنا

ومع اني قلتله عايزاك معايا بس برضه رفض حتى بعتله صورة هايدي وعلاء فقالي ابعتيلي صورة ليكي انتِ، رفضت وقلتله لو كنت عايز تشوفني بجد كنت جيت بس ماردش وقفل النت خالص تقريبا مش عايز رسايل تانية مني.

أحست حور بإحساس غريب وتعجبت هل هو حب بالفعل؟ هل يشق الحب طريقه لقلب أختها؟ نظرت للرسالة بهاتفها بتفكير وأرسلت الموقع فقط دون أن تكتب حرفًا.

وصل إيهاب للمكان وأخرج هاتفه وأرسل لحور رسالة (أنا وصلت للوكيشن بس عرفيني أي عمارة لو سمحتي؟)

فتحت حور الرسالة و كتبت له رقم العمارة ثم كتبت (حنين هتفرح جدًا بالحركة دي، متشكرة انك فرحتها)

استغرب إيهاب رسالتها وكتب هو الآخر(ما عملتش كده علشان تشكريني بس على العموم شكرًا ليكي انتِ علشان ساعدتيني)

ابتسمت حور لرسالته وراقبت أختها بفضول.

وصلت رسالة لحنين فتحتها بسرعة حينما رأت اسمه (ممكن تنزلي تحت ثواني وبهدوء من غير ما حد ياخد باله؟ مستنيكي)

اتسعت عيناها وقرأتها عدة مرات قبل أن تتحرك بسرعة وحور تراقبها بابتسامة، خرجت للشرفة كي تراقبهما، رأت إيهاب يستند على دراجته النارية وهو يعبث بهاتفه بشرود،

راقبت المدخل وخصوصًا حين رفع إيهاب رأسه و أدخل هاتفه في جيب بنطاله.

خرجت حنين وهي غير مصدقة أنه أتى لرؤيتها فقط، حين رأته واقفًا بانتظارها أمسكت فستانها بطريقة مسرحية ومرح ليبتسم هو ثم دارت حول نفسها عدة مرات.

اقترب منها بهدوء إلى أن وصل أمامها وقال بمداعبة : كنت هندم فعلًا لو ما شوفتكيش بالفستان ده وبالجمال ده

ابتسمت وألقت نفسها بين ذراعيه ليحتويها هو ويضمها لقلبه بمنتهى العشق، أغمض عينيه يستنشق عبيرها بلهفة، وقبل أن يُرضي قلبه المشتاق ابتعدت عنه بسرعة وقالت بصدق : كنت هزعل أوي لو ماجيتش (أمسكت يده وجذبته بسعادة) تعال هعرفك

قاطعها وهو يمسك يدها ويجذبها تجاهه : حنين حنين استني يا روحي (وقفت ونظرت لعينيه فأكمل) أنا جيت علشانك انتِ وبس، علشان أشوفك مش علشان أطلع معاكي فوق لو سمحتي بلاش تضغطي عليا.

أمسكت مقدمة قميصه واقتربت منه بلوم : انت ليه بتعمل حساب للناس؟

نظر لعينيها بتيه وهو يتساءل تُرى ما رد فعلها لو قبّلها الآن؟

انتبه عليها تجذبه تجاهها أكثر وتكرر بجدية : إيهاب بطل

تعملهم حساب

وضع يده على خدها برقة : مش بعمل حساب لحد غير ليكي انتِ وبس لكن النهارده خطوبة صاحبتك، اليوم ده بتاعها خليكي معاها هي وافرحي معاها بلاش تكوني مشغولة بيا أو حد يقول كلمة كده ولا كده يضايقك يعني خلي النهارده لصاحبتك وبس، ولو تحبي نخرج بعد ما تخلصي معاها هستناكي.

فتحت فمها لتوافق ولكن تراجعت ؛ فلربما تمتد السهرة لوقت طويل وهو بالتأكيد مرهق ومتعب ومن حقه أن ينال الراحة.

لاحظ تعبيراتها فقال: ايه؟ فكري بصوت عالي.

رفعت نظرها لعينيه بتفكير: فكرت أوافق

ابتسم بتشجيع : طيب وافقي.

ابتسمت و يدها تعبث بأزرار قميصه ووضحت: خفت السهرة تطول وانت أكيد يومك كان طويل، فقلت خلاص خليها لبكرا بعد الشغل على طول.

تنهد و وضع يده فوق يدها على صدره وقال بود : مستعد أستناكي للصبح مش بس ساعتين ولا تلاتة.

ارتبكت نبضات قلبها وأحست بالخطر من اقترابه وهمساته ونظراته، سحبت يدها بهدوء من تحت يده واعتذرت : خلينا لبكرا أفضل، أو خلينا على تليفون.

تراجعت خطوة ليشعر بالإحباط فهي حتمًا ستتركه وتصعد للأعلى، أومأ بموافقة وظلت عيناه معلقتين بعينيها يرجوها صمتًا أن تبقى ولو قليلًا.

أحست حنين بشيء يشدها نحوه فتمنت لو تبقى بين ذراعيه للأبد، وقفت أمامه غير قادرة على الصعود للأعلى فهي بالتأكيد لا تريد تركه وأحست أنه هو الآخر لا يريد الرحيل من أمامها فلتبقى قليلًا أمام عينيه.

مد يده لها ونظرت ليده بتيه ثم رفعت عينيها فهمس مشجعًا : خليكي معايا شوية، بس شوية.

مدت يدها ووضعتها بيده ليحتضنها ثم أمسك يدها الأخرى وقربها منه وهمس بصدق : باتفاق أو من غير اتفاق انتِ أجمل حاجة حصلت في حياتي يا حنين، انتِ العوض اللي ربنا منّ عليا به.

أغمضت عينيها فهي تشعر كذلك نحوه ولكن ما نطقته كان مخالفًا لما تشعر به : أو هكون أكبر نقمة في حياتك وتكرهني وتكره اليوم اللي عرفتني فيه.

تعجب من ردها فترك يدها وضعها على خدها بعتاب : ليه بتقولي كده؟ انتِ كتير أوي على أي حد يا حنين، مين فينا بقى اللي مستقل بنفسه؟

رفعت عينين مليئتين بالدموع : بكرا هنشوف يا إيهاب مين كتير على مين ومين مستقل بنفسه، مش يمكن تكرهني بعد ما تعاشرني وتكره كل حاجة جمعتنا ببعض؟

نفى بثقة : لا يمكن ده يحصل وده وعد مني، لا يمكن ولو هندم على حاجة فندمان اني ما تعبتش أكتر وأكتر وشوفت أي طريقة بحيث ما أسيبش كليتي وأبقى حد مناسب ليكي بجد، ده ندمي الوحيد اني استسلمت للظروف.

مد يده مسح دموعها وتابع بابتسامة: بلاش تعيطي بقولك افرحي مع صاحبتك تقومي تعيطي؟ يعني تطلعي ازاي دلوقتي فوق كده؟ وبعدين عندك أسرة فوق شرسة هياكلوا إيهاب أول ما يشوفوا دموعك دي

ابتسمت لمزحته : معاك مناديل طيب؟

أخرج من جيبه علبة صغيرة لتمسح دموعها وهي تسأله : معاك مرايا بقى؟

ضحك بمرح: هشيل ليه المرايا بالله عليكي؟

ابتسمت بينما عقب وهو يشير لدراجته : في مرايا في الموتوسيكل لو تنفع

تحركت معه لتنظر في المرآة ثم عدلت نفسها وأخرجت علبة الزينة الصغيرة من حقيبتها الصغيرة المعلقة بكتفها مسحت خدودها بلمسة وردية و جددت أحمر الشفاه تحت نظراته المتابعة لها بتعجب تحول لرغبة من ضغطها على شفتيها

رفعت رأسها إليه بتساؤل: حلو؟

نظر لشفاهها وعقله يحمل آلاف الأفكار وانتبه لها تكرر

سؤالها : بقولك حلو؟

ابتسم وهو يرفع رأسه للسماء ويزفر أنفاسه الحارة : انتِ بتقتليني (نظر لعينيها وتابع بمرح) ارحميني شوية

تجرأت واقتربت من وجهه وهي تضع ظهر يدها على خده الخشن : أرحمك من ايه؟ هو أنا بعمل ايه؟

أمسك يدها وأبعدها عن وجنته وقربها لشفتيه قبّلها وعينيه متصلتين بعينيها وظل ممسكا بيدها لكنه وضعها على قلبه ورفع يده الأخرى لشفتيها ثم طلب منها بتنبيه:اطلعي لصاحبتك بدل ما أتهور وتزعلي مني.

أمسكت يده من فوق شفتيها وظلت ممسكة بها وهمست أمام نظراته: هتتهور ازاي يا إيهاب؟

نظرة عينيه أجابتها ولكن ترك يديها وكرر: اطلعي بلاش

ضحكت ثم تركته وأدارت ظهرها ثم التفت لتنظر خلفها فرأته منتظرًا فقالت : امشي يلا

ابتسم : لما تطلعي وتشاوريلي من

رفع رأسه للأعلى ليجد حور أختها فقطع جملته ورفع صوته : ازيك يادكتورة

خجلت حور ولكن ردت بسرعة : أهلًا يا إيهاب، مش هتطلع معاها؟

نفى بسرعة : لا لا ماشي على طول أشوفكم بعدين (نظر

لحنين) كلميني.

تركها وتحرك بدراجته لتظل حنين تتابعه بعينيها حتى اختفى فشعرت بالفراغ الذي أخلفه وأحست بالاشتياق له، كيف تشتاق لشخص كان أمامها منذ لحظات؟

صعدت لأختها مباشرة في الشرفة، فسألتها حور : كنت متوقعة هتخليه يطلع معاكي

نفت بابتسامة باهتة : ماحبيتش أضغط عليه وهو محروج يطلع وقالي النهارده يوم صاحبتك فخليكي معاها.

ابتسمت حور بهدوء : إيهاب فعلًا مختلف

ردت حنين بتأكيد : اختلاف زي الليل والنهار أو الظلمة والنور، ياريت حاجات كتيرة كانت مختلفة.

سألتها بفضول شديد : انتِ بتحبيه يا حنين؟

طال صمتها إلى أن همست بتيه: مش عارفة يا حور، مش عارفة أصلًا يعني ايه حب.

يوم كتب الكتاب وقف عبد القادر عند باب غرفته محدثًا زوجته: صابرين انتِ عزمتي كام واحد علشان أعمل حسابي في العشا الليلة دي؟

نظرت تجاهه في المرآة ببرود : ماعزمتش حد طبعًا

دخل وأغلق الباب خلفه بحنق: يعني ايه ماعزمتيش حد؟

التفتت تواجهه بحدة: يعني ماعزمتش حد، ليها كام معنى

دي؟ هعزمهم أقولهم ايه؟ تعالوا احضروا بنتي بجوّزها لواحد شوارعي؟ ولا أقولهم ايه؟

اقترب منها بغضب وحاول السيطرة على صوته : إيهاب شخص كويس ومحترم ومش معنى انه فقير يبقى شوارعي، أخلاقه هي كنزه الحقيقي، حنيته وطيبة قلبه وحبه لبنتك بيغنوه.

أولته ظهرها بعدم اقتناع وقالت وهي تنظر لانعاكسها بالمرآة : الكلام ده بينفع معاك انت وبنتك لكن أنا ما بيدخلش دماغي، الراجل بالنسبة ليا يعني يقدر يفتح بيته ويكفيه.

اعترض بضيق : وهو مش فاتح بيته؟ ولا مش مكفيه؟ ما انتِ شوفتي اخواته علمهم أحسن تعليم.

نظرت له في المرآة بضيق: انت عايز ايه مني؟ سألتني وجاوبتك.

تراجع باستسلام قائلًا : أنا فعلًا هعوز ايه منك ولا أنتِ عندك ايه أصلًا ممكن أعوزه؟ انتِ كنتِ ومازلتِ اختيار خاطئ في حياتي وقريب جدًا هصلحه.

التفتت بحدة تواجهه : قصدك ايه بقى يا عبدالقادر؟

نظر إليها مطولًا : بكرا هتعرفي.

تركها في حيرة من أمرها ؛ فماذا يقصد باختيار خاطئ سيصلحه قريبًا؟ وكيف سيصلحه؟

دخل عبدالقادر لحنين وجلس بجانبها بابتسامة : قوليلي

إيهاب هيجي امتى بالمأذون؟ وهيجيب كام واحد معاه علشان نعرف نعمل حسابنا في العشا؟

أجابته بحيرة: مش عارفة استنى أسأله

أرسلت رسالة له وخلال لحظات أخبرها بالعدد فهم لا يتخطون العشرة أفراد.

انضمت حور لهما ليخططوا لليوم في جلسة هادئة.

قبل أن يخرج والدها سألها: حنين انتِ برضه مصممة مش عايزة تعملي فرح؟

نفت بابتسامة حزينة : لا يا بابا مش عايزة فرح، واتفقت مع إيهاب على حفلة بسيطة على الضيق جدًا عندهم بس علشان الجيران في منطقته والناس تعرف انه اتجوز، مش عايزة فرح تاني.

خرج والدها وسألت حور أختها بحزن : ليه مش عايزة فرح؟ مش يمكن هو عايز؟

تنهدت بأسف : مش عايزة يا حور، وبعدين هو هيعمل حفلة عندهم في الشارع يعمل فيها اللي هو عايزه، بعدين مش يمكن كده أوفرله بدل ما يحجز قاعة بالشيء الفلاني؟ كده أفضل يا حور.

خرج إيهاب هو وأخوه ليشتري بدلة الزفاف واشترى لأخيه وأخته كذلك، راقبه مازن من بعيد وهمس لأخته : عارفة ايه المصلحة في جوازة أخوكي؟

نظرت هبة له بضيق : ايه؟

ابتسم قائلًا : انه اشترى هدوم كتيرة له وبما انه مش بيخرج فمين بقى هيستفيد بالهدوم دي كلها؟

سألته بتعجب : مين؟

أشار مازن لنفسه بفخر: العبد لله، هتنغنغ السنة دي بس أول مرة آخد بالي ان إيهاب ذوقه عالي جدًا للدرجة دي.

تركته هبة بحنق من طمعه وذهبت لإيهاب تقف بجابنه وتساعده في اختيار ملابسه.

سألته بفضول : هي ليه حنين ما طلبتش فرح كبير يا إيهاب؟ يعني ما تخيلتش إنها توافق يتعمل في الشارع

أجابها : مش عارف يا هبة، يمكن فكرت توفر مثلًا، أو يمكن مش حاسة ان من حقها تعمل فرحين، مش عارف بس لما سألتها حسيت انها مش عايزة فعلًا فرح كبير وماحبيتش أضغط عليها تعمل حاجة مش مستعدة ليها.

مساءً اجتمع الضيوف في منزل عبدالقادر، عائلة هايدي وعائلة إيهاب وأصحابه وكذلك الأسطى طلعت.

كان اللواء محمود بجانب ابنته التي أشارت للحائط أمامها : شوفت يا بابا رسومات إيهاب؟ فنان

تأمل والدها الحائط وقال بتأكيد : هو فعلا فنان بس هل هو شخص كويس؟ ولا ايه نظامه يا هايدي؟ هيقدر يصرف على حنين؟ هيعرف يعيشها كويس؟ مش هتخرج من مريض

زي أمجد وتتجوز واحد ما يعرفش يكفي طلباتها ولا معتمد على مرتبها؟

همست هايدي : طنط أخدت من حنين الفيزا بتاعتها اللي بتقبض بيها.

ابتسم محمود باستحسان : طيب ده شيء كويس، أنا عايز أشوفها يا هايدي قبل ما تخرج هنا لو ينفع

أومأت برأسها وتحركت لصديقتها وبعد قليل دخل محمود وعبدالقادر غرفة حنين وجلسا أمامها، ابتسمت حنين بتساؤل : خير يا عمو؟ هايدي لسه بتقولي حضرتك عايز تشوفني

ابتسم لها برفق؛ فهو يحبها كابنته : انتِ واثقة يا حنين من قرارك ده يا بنتي؟

أكدت بثقة: اه يا عمو، إيهاب شخص كويس جدًا.

أكد عبدالقادر : فعلًا يا محمود الولد محترم وكويس

أمسك محمود يد حنين بجدية: يبقى تعاهديني أنا وأبوكي ان لو أي حاجة حصلت تبلغينا بيها أنا أو أبوكي، خفتِ على أبوكي يزعل كلميني أنا، كلمي هايدي تبلغني، المهم عرفينا بلاش تواجهي زي المرة اللي فاتت لوحدك يا حنين، توعديني بده؟

ابتسمت حنين لهذا الحب الذي تشعره ممن حولها : أوعدك يا عمو حاضر بس إيهاب مختلف تمامًا عن أمجد.

طرقة خفيفة تبعها دخول حور تقول : بابا المأذون برا بيقول هتبدأوا امتى؟

ابتسم عبدالقادر و أمسك يد ابنته ووقف بها : يلا بينا؟

وضعت حنين ذراعًا في يد عبدالقادر والآخر في يد محمود وقالت بابتسامة: انتم الاتنين هتخرجوا معايا يلا.

خرجت حنين برفقتهما ليقف إيهاب لاستقبالها لكنه رأى محمود فنظر له بجهل وحيرة، عرّفته حنين بابتسامة : إيهاب ده عمو محمود بابا هايدي، بابايا التاني.

ابتسم إيهاب ومد يد يصافحه باحترام: أهلًا بحضرتك يا عمي.

أضاف محمود بمزاح ومغزى : نسيت تقولك اللواء محمود (اقترب من أذنه وهمس بتهديد) أنا اللي سجنت جوزها الأولاني ومستعد استعداد تام أسجنك في أي وقت تزعلها فيه.

اقترب إيهاب بثقة وابتسم وهو يهمس له : حضرتك مش هتتخيل أنا سمعت التهديد ده كام مرة في البيت ده، بس أحب أطمنك إن حنين في أمان معايا لأني بحبها والأيام هتثبت كلامي ده بإذن الله.

هز محمود رأسه بإعجاب لكلامه وابتسم بهدوء

تم عقد القران بهدوء تصحبه الزغاريد من والدة هايدي التي نظرت لصديقتها بتعجب: يلا يا صابرين باركي لبنتك

وقفت صابرين باقتضاب : على ايه؟ أنا داخلة أشوف العشا.

تركتهم وهي غاضبة بينما توجهت داليا لحنين تبارك لها وتهنئها على زواجها.

اقترب معتز من حور بابتسامة: عقبالك يا حور

ابتسمت بتكلف : ميرسي يا معتز، عقبالك انت الأول، بعد إذنك هشوف ماما وأساعدها.

تركته مسرعة هربا منه ودخلت لوالدتها تساعدها في تجهيز الطعام بالرغم من أن والدها طلبه جاهزًا بالعاملات لتقديمه للضيوف.

راقب إيهاب حنين وابتسامتها التي تنير وجهها وحين اقتربت منه همس بغزل: مبارك يا مراتي الحلوة.

ابتسمت بخجل وهمست : الله يبارك فيك يا جوزي.

قاطعتهما قدرية التي دخلت بينهما بابتسامة : مبروك عليكم يا حلوين، ربنا يسعدكم يارب.

بارك الأسطى طلعت كذلك لإيهاب و بعدها وجه حديثه لحنين بفخر : إيهاب ده يا أستاذة مش هتلاقي زيه أبدًا ولا في رجولته ولا حنيته ولا طيبة قلبه ولا أي حاجة أبدًا، راجل بمعنى الكلمة، راجل ومن ظهر راجل، والده الله يرحمه كان راجل سكرة ولو موجود كنتِ هتحبيه جدًا وكنتِ هتشوفي إيهاب ده حاجة تانية خالص بس النصيب والأعمار بقى،

حافظي عليه يا بنتي لأن هو هيحطك في عينيه من جوه.

بدأ تجهيز العشاء على المائدة وراقب إيهاب حنين وهي تتحرك من مكان لآخر غير مصدق أنها أصبحت زوجته حقًا.

انتبه لمازن أخيه يهمس بجانبه بامتعاض : هو أنا ليه مش حاسس انك اتجوزت بجد؟ يعني أي عريس بيتجوز أول حاجة بيعملها بيحضن مراته، بيبوسها، بيشيلها، انت ايه؟ داهية تكون خايف تقرب منها

التفت له إيهاب وعلق بهدوء : أنا مش محتاج إني أبوس مراتي أو أحضنها قدام الدنيا كلها علشان أوريلك انت أو غيرك أو أثبتلكم أي حاجة، وبعدين يا مازن يا أخويا يا سلام لو تخليك في حالك، تبقى مية مية.

ابتسم مازن ورفع يديه باستسلام : وماله حقك يا فنان، حقك.

خرج إيهاب للشرفة وتذكر حينما رآها أول مرة ونظر لتلك البقعة فأغمض عينيه وهو يتخيلها تقف وشعرها يتطاير خلفها، دخلت حنين خلفه لتجده مغمض العينين فاقتربت منه وهمست : بتفكر في مين؟

أجابها دون أن يفتح عينيه : خايف أفتح عيني ألاقيها اختفت وكانت جوه خيالي وبس.

ابتسمت بخجل : افتح عينك هتلاقيها قدامك بجد.

فتح عينيه ونظر لها فتنهد بحرارة : ياااا لو كل ما أفكر

فيكي ألاقيكي قدامي

تمنت لو عاد بها الزمن وعادت لشخصيتها القديمة الحالمة فلربما ألقت نفسها بين ذراعيه وسمحت له أن يقبّلها كما ترى في عينيه هذه الرغبة واضحة ولكنها تراجعت للخلف مذكرة إياه : انت فاكر انه اتفاق مش بجد؟

تراجع هو الآخر واستند على حافة الشرفة ثم ولاها ظهره بحزن : فاكر يا حنين ما تخافيش مش ناسي، عارف ان الأحلام بتفضل أحلام وعارف ان الواقع ... . هو الواقع (نظر تجاهها من فوق كتفه وتابع) اطمني وادخلي اتعشي مع ضيوفك بدل ما يدوروا عليكي.

ظلت مكانها تلعن أمجد وذكراه التي حولتها لتلك الشخصية.

لم تنفرد معه طوال السهرة ولم يحاول هو كذلك حتى انصرف برفقة عائلته.

أمسكت هاتفها آلاف المرات كي ترسل إليه رسالة لكنها تتراجع في كل مرة وظلت منتظرة أن يرسل هو إليها حتى غرقت في النوم.

في الصباح اتصلت حنين بدعاء صديقتها كي تدعوها لكنها اعتذرت منها وحين لاحظت حزن حنين وضحت لها السبب مع وعد من حنين بإخفاء سرها.

يوم طويل ومتعب للغاية وإيهاب مع أصدقائه يجهزون

مكان الحفل في الشارع.

عاد قرب الغروب لبيته كي يرتدي ملابسه ويستعد؛ لقد تأخر الوقت وحين دخل البيت تفاجأ بغرفته مفتوحة فأسرع للداخل فوجد مازن بداخل غرفته بل أمام الخزانة وبابها مفتوح فهتف وهو يقترب لإغلاقه بعنف : بتعمل ايه هنا؟

توتر مازن وتراجع للخلف : كنت عايز بس شراب ألبسه جديد ومش عارف فين

عقد حاجبيه بضيق وعلق بتهكم : ومالاحظتش ان دي هدوم حنين قدامك؟ ولا ما بتفرفش بين الحريمي والرجالي؟

شعر مازن بأنه محاصر فتراجع وصاح بغضب : كنت هقفلها يا إيهاب لما أخدت بالي انها هدومها، ولا هي أي تلاكيك والسلام؟ بعدين في ايه ما طول عمرنا بناخد حاجات بعض.

صاح إيهاب بحدة : كنا بناخد حاجات بعض أيوة بس كنا في أوضة واحدة لكن دلوقتي الوضع اتنيل واختلف وهتكون في واحدة عايشة معايا هنا فمابقاش ينفع تدخل هنا بدون استئذان ومابقاش ينفع تيجي تقلب في الأوضة لأي سبب.

قاطع صياحهما دخول قدرية : في ايه صوتكم جايب آخر الشارع ليه؟

قال مازن باستنجاد : سيادته بيزعق اني دخلت أوضته من قبل ما الهانم تيجي وهو هيعيش الدور.

انتظره إيهاب حتى أنهى جملته ثم نظر لوالدته بتحذير : فهمي ابنك ان من النهارده الأوضة دي خط أحمر، مابقاش ينفع يدخلها لأي سبب والمرة الجاية لو لقيته فاتح دولاب مراتي لأي سبب أقسم بالله ما هيحصل خير.

أمسكت قدرية ذراع ابنها وجذبته للخارج ولم تتوقف إلا بداخل غرفته و أحكمت غلق الباب وهي تعنفه : بتهبب ايه في أوضة أخوك؟

تركها وجلس على سريره بغضب فكررت سؤالها بصرامة: بتهبب ايه يا مازن رد عليا؟ مرة تقولي فرس ومرة تقولي حلوة ودلوقتي واقف بتتفرج على هدومها؟ أقسم بالله هتتجنن كده هديله مفتاح شقته يروح يقعد فيها بمراته، اه مش هتتجنن على آخرها.

وقف وصاح بها بتوتر: انتِ هتصدقي الهبل بتاعه ولا ايه؟

اقتربت وردت بسخرية : امال كنت فاتح دولابها ليه؟

رد بسخرية مماثلة : مكتوب عليه ان دي ضلفتها ها؟ كاتبين عليه وأنا ما شوفتش؟ فتحت الضلفة لقيتها بتاعتها يدوب هقفلها هو دخل أعمل ايه يعني؟

علقت بتهكم : شوف ازاي؟

أكد بوقاحة: اه شوف ازاي، بقولك ايه يا أماه مش ناقصاكي الحكاية

وجهت له نظرات محذرة وهي تقول: طيب طالما مش

ناقصاني الحكاية يبقى البت هتدخل هنا لو رفعت عينك فيها هخليه ياخدها ويمشي من هنا وابقى دور يا حلو على حد يصرف عليك باقي السنة بتاعتك.

نظر لها بحدة : انتِ بتهدديني يا أماه؟

أكدت قبل أن تتركه وتخرج : اه يا مازن، كله إلا الموضوع ده مرات أخوك زيها زي أختك في البيت وده آخر كلام عندي.

ارتدى إيهاب بدلته وأقنع نفسه للمرة الألف أنه مجرد اتفاق وليس زواجًا حقيقيًا وهي ليست زوجته.

أغلق الباب خلفه بالمفتاح و وضعه بجيبه ثم تحرك برفقة عائلته كي يحضر زوجته.

وصلوا ثم دخل إيهاب لحنين فوقف أمامها يطالعها بانشداه عندما رآها كالملاك الأبيض يرفرف بجناحيه، طالعته هي أيضًا بابتسامة وإعجاب وهي تراه في بدلته تمامًا كالأمير، اقترب إيهاب منها ورفع طرحتها من فوق وجهها وهمس بشغف : الصمت في حرم الجمال جمال.

قبّل جبينها برقة فابتسمت بسعادة ثم وضعت ذراعها بذراعه لتتحرك معه.

ساعدها كي تستقر في السيارة ورفع فستانها ثم دخل بجانبها والصمت التام يسيطر عليهما.

تفاجأت حنين بالمكان حين وصلت وبفرقة صغيرة في

استقبالها والموسيقى تصدح من كل مكان حولها.

جلست بهدوء تراقب إيهاب وسط أصدقائه والكل يرقص بفرح والزغاريد تملأ المكان.

سألتها هايدي التي بجانبها : إيهاب فرحان يا حنين انتِ بجد هتكملي الاتفاق بينكم؟

نظرت حنين لها باستغراب : انتِ بتقولي ايه؟ طبعا هكمله هو وافق على الارتباط بالشكل ده وعارف كل حاجة وماخبيتش عليه.

رفعت كتفيها بحيرة : مش عارفة يا حنين، بس حاسة ان قرارك غلط، اسمحيله يقرب منك ويسعدك.

نظرت حنين تجاهه وراقبته وسط أصدقائه بحيرة فكيف تسمح له بالاقتراب؟ حينها سيلعنها كما لعنها أمجد من قبل، لا لن تسمح له أبدًا باكتشاف حقيقتها وفشلها كأنثى.

أخيرًا انتهى الفرح ثم دلفت حنين إلى بيتها ووالدها معها، أمسك يدها وأكد للمرة التي لا تُعد : تليفون واحد وهكون قدامك تليفون بس ولا بلاش تليفون، رسالة واحدة يا حنين اوعي تعملي فيا زي ما عملتي قبل كده، مش هسامحك يا حنين.

ابتسمت وقبلت وجنته تطمئنه : بابا اطمن يا حبيبي بنتك اتعلمت من تجربتها ومابقتش زي الأول، ما تخافش عليا واطمن وأوعدك لو في أي حاجة حاضر هكلمك.

ضمها لقلبه قبل أن يتركها ويخرج ولكن أمسك ذراع إيهاب محذرا : بنتي أمانة هنا في بيتك يا إيهاب، أمانة فاهم؟ ابتسامتها وفرحتها وسعادتها كلهم أمانة في ايدك.

طمأنه بابتسامة : حاضر يا عمي واطمن أمانتك جوا عيوني الاتنين.

تركه ودخل سيارته ليتحرك بها مع ابنته وزوجته التي هتفت بقهر : يا خسارتك يا حنين في جوازة زي دي ومكان زي ده.

لم يجبها أو يعلق أحد على جملتها.

دخل إيهاب غرفته ونظر لحنين مطولًا بإعجاب، فستانها الطويل، طرحتها المنسدلة، زينة وجهها الهادئة وجمالها الذي يسلب عقله، رقيقة هي، اقترب منها بهدوء حتى وقف أمامها صامتًا.

رفعت وجهها إليه وهمست بهدوء: مالك؟ مش هتقول حاجة؟

تعلقت أعينهما لفترة قبل أن يقترب منها بهدوء ليقبّلها برقة متناهية وحين أحس منها بتجاوب تحولت رقته لاحتياج، لرغبة، لحب لا نهاية له، لعطش لا يرتوي أبدًا.

اندمجت حنين ونست العالم بأجمعه وتمنت أن تستمر هذه القبلة للأبد وألا يبتعد هو عنها أبدًا ولكن فجأة ظهرت صورة أمجد أمامها، تذكرت ذلك اليوم حين جردها من ملابسها

وأوقفها أمام المرآة يصرخ بها، تذكرت كل كلماته كأنها بالأمس القريب

((شوفي نفسك، جسمك مافيهوش أي حاجة مثيرة بالمرة أنثى خالية من الأنوثة واتقبلت ده، مفيش معالم الست عندك وقلت مش مهم، برودك واتحملته، انتِ ست باردة معدومة المشاعر، واتحملت علاقة زوجية باردة خالية من المشاعر والأحاسيس وفي الآخر أنا وحش؟ بغتصبك؟ المفروض تحمدي ربنا إني قابل بيكِ بكل عيوبك دي، انتِ مفيش راجل ممكن يقبلك ويقبل برودك، انتِ ما بتقبليش العلاقة تفتكري ليه ها؟ ما سألتيش نفسك؟ أجاوبك أنا لانك باردة وللأسف البرود ده مالهوش علاج فقبل ما سيادتك تتهميني بالاغتصاب والعنف و و و احمدي ربنا واشكريني اني ما رميتكيش من أول يوم لأبوكِ وقلتله بنتك مش ست ولا تعرف بأمور الستات و ما تنفعش زوجة أصلًا، احمدي ربنا اني سترت عليكِ وقبلت بيكِ، بدل ما تتنطظي كده عليا حاولي ولو تمثيل يا ستي ترضيني شوية بدل ما انتِ فاشلة في كل حاجة بالشكل ده، عايزة تروحي بيت أبوكِ روحي بس هقول لأبوكِ على برودك ده وهقوله انك ناشز ورافضة زوجك ومش بعيد تكوني شاذة كمان.

فجأة تخيلت إيهاب هو مَن يصرخ بتلك الكلمات أمامها، فأبعدته بعنف وصرخت به بعدم وعي: ابعد عني، انت زيك زي أي راجل ماعندكمش تفكير غير كده، مالكمش كلمة ولا عهد، نسيت اتفاقك؟ نسيته؟ بمجرد ما قفلت الباب نسيت؟

اطلع برا الأوضة دي لو سمحت.

حاول الاقتراب منها والتحدث لكنها صرخت : إياك تلمسني وإلا قسمًا بالله هصرخ و ألم عليك الشارع كله وأقولهم انك عايز تغتصبني.

ابتسم بوجع : أغتصبك؟ أنا جوزك و

قاطعته بسخرية : نفس المبرر الوقح وكأن الجواز بيديك الحق انك تغتصب اللي قدامك وتغتصب حقوقه.

تعجب إيهاب من الشخصية التي أمامه وانتبه لها تكرر بحدة: اخرج برا.

تراجع للخلف بهدوء : مش هينفع أخرج برا يا حنين، هدخل البلكونة وأسيبك براحتك تهدي.

فتح الشرفة ودخلها وأغلق الباب خلفه ليتركها تهدأ، أحكم كذلك إغلاق الستائر من العيون المتطفلة كي لا يراه أحد من الجيران ويسأله عن سر خروجه وبعده عن عروسته.

جلس على الكرسي ورفع قدميه على الطاولة الصغيرة أمامه، فحلم آخر قد ذهب في مهب الريح، أمل صغير انتعش بداخله حين سمحت له بتقبيلها ولكنها دمرته بقسوة بعدها، آه لو يعرف سبب طلاقها من زوجها الأول لربما وجد بعض الإجابات التي تريح قلبه وعقله.

جلست حنين على سريرها ودموعها أغرقت وجهها ؛ فأمجد دمر ماضيها وحاضرها ومستقبلها، لقد تركها حطام أنثى.

ساعات مرت وصدح أذان الفجر فوقف إيهاب متعبا ودلّك رقبته وجسده المتشنج من جلسته لساعات طويلة، طرق الباب بهدوء ودخل بحذر ليجدها جالسة مكانها على طرف السرير فهمس : حنين محتاج أغير هدومي علشان أنزل لصلاة الفجر

تنهدت ومسحت دموعها وأجابت دون أن تنظر إليه : الأوضة أوضتك اعمل ما بدالك.

أولته ظهرها ليراقبها بحزن وتمنى لو بيده أن يزيح هذا الحزن من عالمها، فتح خزانته وأخرج ملابسه وبسرعة بدلها وقبل أن يخرج نظر إليها فلم يطاوعه قلبه على تركها بهذه الحالة، اقترب منها وجلس أمامها على الارض وقبل أن يلمسها ابتعدت محذرة : ما تلمسنيش لو سمحت

رفع يديه باستسلام: من غير ما ألمسك اسمعيني، مش هينفع نعيش مع بعض بالشكل ده.

نظرت لعينيه باتهام : دلوقتي هتتراجع في

قاطعها بسرعة ووضح: مش قصدي أتراجع اسمعيني لو سمحتي، أولًا بجد آسف على تهوري من شوية وأوعدك اني مش هكررها تاني

انهمرت دموعها بشدة ؛ فهي تريد تكرارها آلاف المرات.

أكمل بحزن : أوعدك خلاص مش هلمسك تاني بدون إذنك وأنا عند وعدي ليكي، سامحيني بجد وبعدين اتفقنا نكون

أصحاب أنا وانتِ، الأصحاب بيغلطوا بس بيسامحوا بعض اعتبريها غلطتي الأولى والأخيرة بس أرجوكي ما تعيطيش بالشكل ده، كفاية عياط انتِ اتجوزتيني علشان تعيشي مبسوطة وبعيد عن كل حاجة تضايقك فمش هرضى أكون أنا الحاجة اللي تضايقك، قوليلي أعمل ايه علشان تسامحيني وتبطلي عياط؟

تنهدت وهي تمسح باقي دموعها وردت بخفوت: ما تعملش أي حاجة انزل صلي وادعي ربنا يهدينا أنا وانت وربنا يصلح حالنا ده كل اللي تعمله.

همس باسمها مجددًا : حنين

قاطعته بإصرار: إيهاب لو سمحت ما تعتذرش تاني وانزل، أنا هغير هدومي وهنام، لما ترجع نام انت كمان شوية اليوم كان متعب للكل.

خرج وتركها وقبل أن يخرج من البيت أوقفته والدته بحيرة: رايح فين يا إيهاب؟

نظر إليها مبتسمًا : نازل أصلي يا أماه هروح فين يعني؟

تعجبت : وهو في عريس بيسيب عروسته بعد ساعتين وينزل؟ (أكملت بتهكم) نسيت انها مش بنت بنوت الحق عليا، انزل يا أخويا صلي ، قال نازل يصلي قال.

نزل لصلاة الفجر ودعا الله أن يريح قلب زوجته ويسعدها.

رجع إلى بيته ووقف أمام باب الشقة غير قادر على الدخول

مجددًا، وبعد صراع طويل دخل وتوجه لغرفته طرقها بهدوء ثم دخلها ليجدها أبدلت فستان زفافها.

جلس على الأريكة وبدأ يجهزها لينام عليها فسألته بحيرة : بتعمل ايه؟

أجابها ببساطة: هنام شوية، عايزة حاجة مني؟

سألته بدهشة : مش هتنام على السرير؟

نظر إليها بحيرة قبل أن يجيبها : السرير مش هيسيعنا أنا وانتِ يا حنين، نامي شوية واطمني انتِ في أمان.

نام مكانه محدقًا في السقف متسائلًا عن الأيام القادمة، كيف سيعيشان في غرفة واحدة مغلقة؟

شدت حنين الغطاء فوقها ثم همست بتوتر: إيهاب (سمعت همهمته فتابعت بندم) أنا آسفة

سألها بهمس : آسفة ليه؟

أجابته بحزن : علشان مش قادرة أكون زوجة بجد، سامحني وحاول تعذرني.

ابتسم بحزن : ما تتأسفيش يا حنين انتِ عرضتي وأنا وافقت هما يومين هيعدوا بعد كدا هنزل شغلي من الصبح مش هرجع غير آخر النهار فمش هنحتك ببعض أصلًا وهرجع أنام من التعب فما تقلقيش كل حاجة هتكون زي ما انتِ عايزاها بالظبط، هنفضل بعيد عن بعض وهفضل برا على قد ما أقدر بحيث تاخدي راحتك هنا، اطمني.

ابتسمت بحزن وسمحت لدموعها بالنزول بصمت، سمع بكاءها الصامت وقلبه يتمزق لأجلها غير قادر على مواساتها فهي تزوجته؛ عنادًا في أمها فقط والآن وقت الندم.

لم يعد يتحمل بكاءها فقام من مكانه واقترب منها بجدية : قوليلي أعمل ايه علشان تبطلي عياط؟ أطلع برا؟ أطلقك؟ أعمل ايه؟

قامت من نومها متعجبة من كلامه ورفعت عينين مليئتين بالدموع ورددت بقهر : تطلقني؟ انت عايز تطلقني في أول يوم؟

جلس أمامها قليل الحيلة : طيب أعمل ايه؟ العياط ده هينتهي امتى؟ وهينتهي ازاي؟

همست ببكاء : خدني في حضنك لحد ما أنام ينفع تعمل ده؟

تعجب منها؛ فهو حقا لا يفهمها مطلقًا لكنه اقترب منها فوضعت رأسها على كتفه ليضع يديه حولها بحنو: نامي طيب وأنا هفضل جنبك لحد ما تنامي يا حنين.

ظل جامدًا إلى أن شعر بانتظام أنفاسها فسحب نفسه بهدوء وأحكم غطاءها وأبعد خصلاتها عن وجهها وهمس بأسف : ياريت أعرف سر سعادتك ايه يا حنين.

تركها وتوجه لأريكته ليغرق هو أيضا بالنوم فهو يشعر بالتعب جسديًا ونفسيًا.

أشرقت الشمس على أمجد وهو يستمتع بها وبداخله يراها أمامه جميلته المتمردة فهمس بصوت مسموع: هانت يا حنين، هانت يا حب عمري، يا أجمل حاجة في حياتي، هانت وهخرج من هنا وهرجعلك يا قلبي، هترجعي بيتي وتنوريه من تاني والمرة دي هنعيش صح أنا وانتِ، المرة دي هتفهميني أكتر وهتعيشي معايا بطريقتي، أوعدك يا حنين أوعدك انك هترجعي لبيتي ولحضني.

إلى اللقاء في الجزء الثالث لكلمات.

بقلم : الشيماء محمد أحمد

شيمووو


"أشهر كاتب جريمة في سلوفينيا"
CRIME SERIES
جثة في البحيرة
تادي جولوب
ترجمة: أمل رواش
العربي للنشر والتوزيع
روايات مترجمة
٢٣١٤٩٩٣٦٦٨



جثة في البحيرة
تأليف: تادي جولوب

ترجمتها عن الإنجليزية: أمل رواش
تحرير: سهيلة دويدار
مُراجعةٌ لُغوية: نوال أحمد

الطبعة الثانية:2024
الطبعة الأولى:2023
رقم الإيداع: 17016/2023
الترقيم الدولي: 9789773198978

60 شارع القصر العيني – 11451- القاهرة – مصر
ت: 20227921943 +20227954529+
www.alarabipublishing.com.eg
alarabipublishing@gmail.com

تصميم الغلاف: غدير الوحش

This book was published in agreement with Založba Goga.
Original title: Jezero
Published by Založba Goga in 2016

٢٣١٤٩٩٣٦٦٨

تادي جولوب

جثة في البحيرة

العربي للنشر والتوزيع

روايةٌ مِنْ سلوفينيا

ترجمة: أمل رواش

تمت مراعاة المعايير البيئية أثناء إعداد هذا الكتاب

We took into consideration the environment while doing this book

"The translation was published with the support of the Slovenian Book Agency."

"تم نشر الترجمة بدعم من وكالة الكتاب السلوفينية."





المقدمة



بدأ الثلج يتساقط وقت الظهيرة عندما انطلق "جوي"، وهو هجين غريب بين سلالتي "دوبرمان" و"شناوزر"، يعدو أسفل المنحدر، لم يعد يبرز منه فوق سطح الثلج سوى رأسه الأسود وأذنيه متدليتين، نصفهما يشبه أذني سلالة "الدوبرمان". في كل مرة يجرف برأسه الثلج الذي تساقط مؤخرًا، يعود وينظر باندهاش ولهفة إلى صاحبته التي تقف عند طرف الطريق ثم يواصل البحث عن كرة التنس الصفراء. لقد أسمته "جوي" على اسم شخصية "جوي" في مسلسل *"الأصدقاء Friends"، الشخصية* المفضلة للشابة التي تقف على قارعة الطريق وقد استغرقت في الضحك وهي تشاهد على كلبها الذي بدا مغلوبًا على أمره وهو يشق طريقه وسط الثلوج. عندما غرض مسلسل "الأصدقاء" على التلفزيون لأول مرة، كانت "ألينا" - وهو اسم الشابة - لا تزال في الحضانة. لم يلفت المسلسل انتباهها إلا في مواسمه الأخيرة وقد شاهدت أيضًا جميع حلقات مواسمه السابقة التي عرضت على امتداد

عشر سنوات. الآن، وكلما شعرت بالوَحشَة والحنين إلى الماضي تجلس من حين لآخر وتشاهد حلقة من حلقاته. تساءلت: "ما الذي تنتظره بعدما وجدت نفسها تشعر بالوَحشَة والحنين إلى الماضي وهي في سن الخامسة والعشرين؟ "

في الوقت نفسه، لم تتمكن في الحقيقة من تفسير السبب الذي جعل المسلسل التلفزيوني عزيزًا عليها لهذا الحد. ثمّة أشياء تروق لنا في أوقات معينة من حياتنا، وعندما تمر بنا لاحقًا، نكتشف أننا لا ندري حقًا ما الذي جعل من أشياء مثل كتبنا وأفلامنا ومسلسلاتنا التلفزيونية مفضلة عندنا، إلا أن الأمر لم يكن كذلك مع مسلسل " *الأصدقاء*" بالنسبة لـ"ألينا". هل المسلسل بعيد عن الواقع؟ نعم، بالتأكيد، فهل لشخصية مثل "فيبي" أن تعيش وتصمد في الحياة الواقعية حتى لثلاثة أيام فقط؟ لا.. ورغم ذلك فهي تعرف فتاة تشبهها، ابتسمت، ناهيك عن "جوي".. "جوي تريبياني" وهو يقول: *"كيف الحال؟"*

رغم أنها قد لا تعترف بذلك في وجود رفقة خاصة إذا لم يكونوا ثملين، ورغم أنها قد حصلت على درجة علمية في علم الأنثروبولوجيا في تلك الأثناء، إلا أنها مازالت تجد متعة في مشاهدة المسلسل. إذا اعترفت بذلك، فستضيف أن مسلسل *"الأصدقاء"* يبعث فيها نوعًا من *المتعة المحرمة* أي التي يصاحبها شعورًا بالذنب. يكفيها على الأقل أنها لا تستمع إلى مغني الروك " بون جوفي".

شق "جوي" طريقه في الثلج الذي سقط منه ما يقرب من

ثلاثين سنتيمترًا في غضون خمس ساعات. داس بقدميه التي تشبه سلالة "شناوزر" على الطبقة البيضاء الباردة وعندما وصل إلى كرة التنس وأطبق عليها بأسنانه، لم يستدر ليعود إلى صاحبته من حيث أتى، بل حول وجهته بمضاء وعاد يجرف الثلج مجددًا. بدا مشهد كلب "الدوبرمان" قصير الساقين وبفمه كرة تنس صفراء مشهدًا مضحكًا لا يخلو من ظرافة..

أمسكت الشابة بالكرة وبعد شد وجذب للكرة من فمه تركها لها، فتظاهرت برميها مرة أخرى لكنها لم تفعل بل أخفتها خلف ظهرها. أطلق الكلب ساقيه للريح مرة أخرى فوق الثلج، وركض بضع خطوات، ولما تَعَثّرَ في الثلج توقف مما جعله يرتبك فنظر على مرمى بصره أولاً ثم نظر إلى صاحبته التي قالت: "أوه، يا لك من كلب أحمق!". استدارت قليلاً إلى اليسار وألقت الكرة بكل قوتها على طول ضفة النهر كما اعتادت أن تفعل دائمًا في نزهتها المعتادة بصحبة كلبها - حسنًا، بل دعنا نقول: نزهتها المعتادة الثالثة بصحبة كلبها وذلك منذ وصولهما إلى بحيرة "بوهيني". طارت الكرة في الهواء واجتازت البساط الأبيض واختفت بين الأحراش، بدا هذا مسليًا للكلب أكثر من "ألينا" التي انتابها القلق من أنها ربما ألقت بها أبعد مما ينبغي ولعلها سقطت في الماء فنادت قائلة: "جوي"، "جوي".

ولم يستمع الكلب لندائها، ولم يسبق له أن فعل على الإطلاق. ظلت تنادي لوقت طويل بينما ظل هو يحفر لنفسه

مسارًا جديدًا عبر الثلج وبعدها اختفى بين الأحراش. إنه لن يخوض بالتأكيد في الماء إذا سقطت الكرة فيها؟

نبح الكلب. انتظرت أن يعود بالكرة في فمه تحت أنفه المستدق، غير أنه لم يعد. نبح مرة أخرى وظنت أنه لا بد ينبح على الكرة أثناء تدافعها على صفحة النهر، ومع ذلك لا بد أن يكون هناك حركة ما بين الأحراش على طول الضفة وهو يجري بينها، لكنها لم تشهد أي حركة. ها هي الشجيرات ساكنة بلا حركة بينما مازال الكلب ينبح، فهتفت: "جووووي!"

إنها لا تريد أن تتعب نفسها بالسير فوق الثلج الذي تساقط مؤخرًا، فهي ترتدي حذاء مشي لمسافات طويلة من قماش "جور – تكس" المقاوم للماء لكنه بلغ حد الكاحل فقط وإذا التصق الثلج بجواربك ثم تقاطر وذاب ببطء داخل حذائك، فإن "الجور- تكس" لن يحدث فارقًا في هذه الحالة. نادت قائلة: "جوووي"!

ظهر الكلب عند حافة الشجيرات بدون الكرة، لوحت له، ونادته كي يلحق بها وهي تربت على فخذيها بقفازاتها الصوفية قائلة: "جوي"، "جوي"، هَيّا تعال، تعال إلى أمك..".

نبح الكلب بشراسة واختفى بين الأحراش مرة أخرى.

تنهدت وتركت الطريق ثم مشت على الثلج حتى بلغ ركبتيها تقريبًا. خطت على أحد المسارات التي دَشّنها الكلب في انتظار وصول الرطوبة إلى جوربيها. إن العودة إلى مسكنها

ستستغرق ما يقرب من نصف ساعة سيرًا على الأقدام. يا له من كلب أبلَه!

تغلغلت فيما بين الأغصان وهي تحاول ألا تنفض الثلج حتى لا يتناثر عليها. عند طرف الأحراش، يقع النهر بالكاد على بعد بضعة أقدام. لما رآها الكلب، نبح، وصرخ، ثم هز ذيله، وأخذ يتناوب الجري إلى النهر تارة ثم إليها تارة أخرى. رأت "ألينا" الكرة ملقاة بجواره، فتساءلت: "ما هذا؟". التقطت الكرة، ثم قالت: "دعنا نذهب، يا "جوي".

ألقت نظرة على مرمى بصرها ولمحت الماء المتجمد على أطراف البحيرة، ومن بين الجليد برز شيء أبيض اللون بدا في الغسق شبيه بشيء مصنوع من البلاستيك الاصطناعي بل شبيه بيد عارضة أزياء بلاستيكية. تساءلت متعجبة:

"من يا ترى سيلقي بعارضة أزياء بلاستيكية في النهر؟".

الفصل الأول



الأحد 31 ديسمبر

سألتني المرأة التي تبلغ الستين من عمرها تقريبًا وهي تقبض على كأس نبيذ: "إذًا أنت شرطي؟". والحقيقة أنني سمعت سؤالها وكأنه: "إذ.. نت..شارطي؟".

بدا واضحًا أنها ثملت بالفعل بعض الشيء. أكملت قائلة: "يا له من أمر غير مألوف!". "غير مألوف؟ عادة ما يجد الناس اسمي غير مألوف، لا مهنتي". "تاراس"؟ نعم، اسم "تاراس" غريب بعض الشيء. لا أعرف سوى قليلين ممن يحملون الاسم نفسه، منهم بطل رواية "تاراس بولبا" لـ"نيكولاي جوجول" و.. ربما هناك عدد أكبر من ذلك بقليل ممن يحملون الاسم نفسه، لكن شرطي..".

أخذت تضحك كأنها قالت لتوها شيئًا يدعو للضحك. اقتربت منهما امرأة ووضعت يدها على كتف "تاراس" وقالت:

"إنه ليس شرطيًا. إنه مفتش جنائي".

لاحظ "تاراس" أن السيدة تلعثمت هي الأخرى بعض الشيء، بل ومدت حرف "الشين" طويلًا جدًا فقالت: "مفتششششش"، وهو ما يدل على أنها تناولت أكثر من كأس واحدة من النبيذ. فهي لا تقوى على تحمل تأثير الكحول أبدًا. وقالت: "انتظرا، انتظرا.. ألم تلتقيا من قبل؟".

عبست المرأة الأكبر سنًا عبوس المراهقين، وبدت.. وكأنها امرأة مسنة تنتحل شخصية مراهقة، ثم قالت: "لا، فزوجي لا يقدمني إلا لمن.. يستهدفهم فقط، لا لمن أستهدفهم أنا". ابتسم "تاراس"، محاولًا ألا تبدو الابتسامة مُتصَنّعة، ومد يده إلى المرأة الأكبر سنًا ليصافحها فقالت: "ليتك تتصل بي إذا أرسلوا لك مخالفة لوقوف سيارتك في الممنوع يا "تاراس بيرسا". "إن "تاراس"..".

صافحته المرأة ولا يزال العبوس باديًا على وجهها وقالت: "لا تقاطعيه يا "ألينكا"، فامرأة مثلي لا تلتقي كل يوم بشرطي ساحر مثله. أنا "كارين"، "كارين بريلك"، زوجة ذاك "الجنتلمان" المتألق الذي يقف هناك..".

لوحت بيدها وأشارت إلى الطرف البعيد من غرفة المعيشة الواسعة، ثم أكملت قائلة: "إنه شريك زوجتك.. لعلك تعرف ذلك. وهل تعد رجل شرطة إن لم تكن تعرف؟".

عاودت الضحك كأنها قالت لتوها شيئًا يدعو للضحك. حاول "تاراس" أن يضحك أيضًا. من الواضح أن "ألينكا"

رأت أن لا شيء مما قالته المرأة يدعو للضحك. قالت المرأة: "و"بيرسا"؟ لا أعرف أحدًا يحمل اسم "بيرسا". "ألم تسمعي بـ"فالتر بيرسا"؟". هزت المرأة رأسها بالنفي. قال: "لاعب كرة قدم؟ بالمنتخب الوطني؟". "أوه، إنني لا أتابع هذا النوع من الأخبار. لا تعنيني. كيف أنكِ..". التفتت إلى زوجة "تاراس" وأكملت سؤالها: "كيف أنكِ لا تحملين لقب "بيرسا" وأنتِ زوجته؟". "لأننا لسنا متزوجين، لكنني لا أزعج نفسي بشرح ذلك للناس. في عصرنا هذا يمكنني بالكاد أن أسميه حبيبي. لكن اسمحي لي يا "كارين" أن آخذه منكما لحظة". عبست "كارين" مرة أخرى ورأى "تاراس" أن لا شيء يدعو لذلك، ثم قالت: "تفضلي، تفضلي.. إن لم يكن هو زوجها، فهي.. شريكته".

توقفت برهة قبل أن تنطق كلمة "شريكته". أمسكت "ألينكا" بيد "تاراس " ورافقته إلى مجموعة ضيوف أكبر تقف بجوار بار صغير على الجانب الآخر من الغرفة وبدا أنهم يستمتعون بوقتهم، وقالت: "تظاهر أنك تتحدث معي". "ولماذا أفعل ذلك تحديدًا؟". "لأن تلك المرأة الوطواط العجوز سوف تلتهمك إن لم تفعل. يجب أن تشكرني لأنني خلصتك منها. بالمناسبة، لماذا تصر على إخبار الناس بأنك شرطي؟ ". أجابها بسخرية واضحة: "ربما لأنني كذلك؟ ألستِ طبيبة؟". "بلى، لكنني شريكة أيضًا في عيادة. وأنت شرطي، ولكن الأهم من ذلك كله.. أنك مفتش جنائي، وهذا ليس الشيء نفسه. لو أنك ما زلت شرطيًا في سنك هذا، لما بقينا معًا. ربما تزوجت

من.. لا أدري، ممرضة مثلًا؟". "آخ، ها أنت تتصرفين بغرور وغطرسة اليوم!". "سواء تصرفت بغرور وغطرسة أم لا، فذلك لا يغير الحقائق مهما بذلنا من جهد كي ننكرها. الجميع لديهم طموحات في الحياة، تزيد عند البعض وتقل عند البعض الآخر، منهم من يبقى رجل شرطة ومنهم من يبقى طبيبًا عامًا يجري بعض العمليات الجراحية في مناطق نائية معزولة، لكنني لست من هؤلاء، وأنت لست..". ابتسم "تاراس". رمقته "ألينكا" بنظرة حادة وأكملت: "لا داعي لذكر الأب الثري الذي رحل مؤخرًا". "وهل فعلت؟". "لم تفعل اليوم، وأشكرك على ذلك. لكنني أحمد الله على أنه كان أبي، وعلى أنني من أنا ولست أحدًا آخر. فلماذا يجب أن أهتم بما سيكون، سواء سيكون أو لن يكون؟". كلماتها المتلعثمة بعض الشيء جعلت الأمر يبدو وكأنها نحلة تطن على قرص عسل في غابة ممطرة. أكملت قائلة: "الأمر لا يعنيني". "أوه؟". "هل أنا ثملة؟". "كم كأسًا شربتِ؟". "كأس واحدة من النبيذ". رفعت كأسًا ذات ساق طويلة وقالت: "وهذه الكأس". قال "تاراس"، "تاراس بيرسا"، المفتش الجنائي، "بيرسا"، مثل اسم لاعب كرة القدم: "أنتِ ثملة إذًا". ثم أحاطها بذراعيه وقال: "دعينا نشرب نخب ذلك".

تقدم من طاولة المشروبات التي وضع عليها نبيذ أحمر وأبيض وأنواع مختلفة من الخمور، واختار لنفسه كأسًا مميزة من عصير البرتقال. اقترب منهما رجل أشيب، مظهره أشعث وشعره خفيف قليلًا، يرتدي نظارة بلا عدسات، وسترة

بيضاء وبنطالًا أبيض وقال: "أي نخب تشربانه هنا؟". إنه الطبيب "بريلك" الذي يُذكر "تاراس" دائمًا برجل الأعمال "ريتشارد برانسون"، حتى أسنانه كانت بيضاء مثله تمامًا. قال الطبيب: "هل يمكنني الانضمام إليكما؟". كان يحمل كأسًا من النبيذ؛ نبيذ أبيض. تساءل "تاراس" هل اختار اللون الأبيض ليتماشى مع لون سترته؟ أكمل قائلًا: "حسنًا. ماذا يحدث؟". قال "تاراس": "إنها حامل". قالت "ألينكا": "تاراس".. بالطبع لست حاملًا، إنه يمزح". قال "تاراس" وهو يرفع كأسه: "نحن نشرب نخب حظنا في الحياة لأننا من بين الواحد بالمائة من سكان العالم الذين يحملون فوق طاقتهم". قال الدكتور "بريلك": "هذا شيء يستحق بالطبع أن تشرب نخبه". شاركنا الطبيب "بريلك" - الذي فقد اتزانه أيضًا من أثر الكحول - النخب. قالت "ألينكا": "إن ضمير "تاراس" يؤنبه وينتابه هذا الشعور مرارًا وتكرارًا". "لا، ضميري لا يؤنبني. هذا كي لا أنسى فحسب". "أوه، لا تكن سخيفًا". ثم استدارت إلى طاولة الطعام وأخذت تتفقد صواني المقبلات. هتف الدكتور "بريلك" أو "برانسون" من خلفها: "سيُقدم العشاء في غضون ربع ساعة".

لوح "تاراس" بيده باستخفاف وقال: "دعها تأكل شيئًا، وإلا ستصاب بدوار". "كم كأسًا شربت؟ منذ متى وأنتما هنا؟ ربع ساعة؟". نظر "تاراس" إلى ساعته. كانت السادسة إلا ربع فقال: "منذ ساعة، لكن المسألة ليست مسألة وقت. الأمر أنها لا تقوى على تحمل أثر الكحول أبدًا. على أية حال، لقد مررنا

عليكم دون موعد مسبق ولا أريد أن يغادر أحد دون عشاء بسببنا". "هل تظن أن أي شخص هنا سيتضرر إذا غادر بدون عشاء؟". أشار الطبيب "بريلك" بيده نحو الضيوف واستدار ثم كرر السؤال: "هل تظن أن أي شخص هنا سيتضرر؟".

تجمع نحو عشرين شخصًا داخل الغرفة الأكبر في الطابق الأرضي من المنزل الصيفي، والتي كانت واسعة بقدر يسمح للضيوف أن ينقسموا إلى مجموعات أصغر، بما فيهم هو و"ألينكا". إنهم اثنان وعشرون، إذا لم يخطئ في الحساب، وعادةً ما يكون تقديره صائبًا في مثل هذه المواقف. وبناء على مظهرهم، حدد كل الأزواج الأكبر سنًا، وعادةً ما كان يقدر الأعمار تقديرًا صحيحًا أيضًا. فهذا جزء من وظيفته.

حدق الدكتور "بريلك" في كأسه لبعض الوقت كأنه مستغرق في التفكير ثم قال: "دعنا نخرج لندخن سيجارة؟". "هل تريدني أن آتي معك؟". "نعم، نعم.. أعرف أنك لا تدخن. سأخرج لأدخن سيجارة وأنت تخرج لتستنشق بعض الهواء النقي، بالإضافة إلى دخان سيجارتي، كلانا سيستفيد. هيا بنا..".

شقا طريقهما إلى الخلف، وتوجها نحو الباب المؤدي إلى بلكون صغيرة مسقوفة، إلا أنها تتسع لطاولة خشبية كبيرة وبضعة كراسي. أغلق "تاراس" باب البلكون وراءه، وسحب كرسيًا وجلس عليه. ما زال الثلج يتساقط على بعد مترين بانتظام وبغزارة.. ومع ذلك لم يكن الطقس باردًا. خمّن "تاراس" أن درجة الحرارة تبلغ الصفر تقريبًا. قال الطبيب:

"إنه جميل، أليس كذلك؟". أومأ "تاراس". قال: "إنني أمتلك المنزل الصيفي هذا منذ ثلاثين عامًا. كنت أول طبيب يبني منزلًا من هذا النوع. حسنًا، بعد ذلك امتلك كثيرون مثله، وتعدُّ هذه المنازل الآن مثل مسلسل "المستشفيات التي تقع على أطراف المدن". نظر إلى "تاراس" ثم أكمل: "هل يسمح سنك بأن تتذكر تلك المسلسلات التليفزيونية التشيكية؟". "مثل "بانا صوفا"؟". "إنه المسلسل الذي..".

بدا عليه الابتهاج، كما لو أن "تاراس" قال لتوه شيئًا رائعًا. أخذ رشفة من كأسه فشَرِقَ من فرط حماسته؛ فتناثرت معظم الرشفة على الطاولة التي أمامهما. قال الطبيب: "اللعنة، هل تعرف ما هي علامة الشيخوخة؟ عندما تقف وسط مجموعة من الناس وتبدأ في إلقاء نكات لا يعرف أي منهم عنها شيئًا. وتبدأ في إلقاء نكتة من نكات الشخصيتين الهزليتين "موجو" و"هاسو"، والجميع من حولك لا يفعلون شيئًا سوى التحديق بك ولسان حالهم يقول: "أي "موجو" هذا؟ وأي "ساهو" هذا؟". أخذ رشفة أخرى، ولكن بحرص هذه المرة وقال: "يا ترى ما شكل الثلج الآن على جبل "فوجيل"؟". "بدأ الثلج يتساقط ونحن نغادر المنزل، ولا بد أنه تراكم كثيرًا الآن. قبل ذلك لم يكن هناك أي ثلوج. اضطررت أن آخذ حذري من الصخور". "لا بد أن الثلوج في منتزه "شاجاريوف جرابين" كافية الآن للتزلج. أحب ذلك.. أحب رؤية آخر عربة "تلفريك" وهي تصل إلى جبل "فوجيل"، أحب تناول رشفة سريعة من براندي "شنابس"، ثم التزلج عائدا إلى المنزل.. حيث

أحصل على رشفة "شنابس" أخرى". ضحك ثم أضاف: "اسمع يا "تاراس"، لماذا لا تبيتان هنا الليلة؟ لا يجب أن تقود إلى المنزل في هذا الطقس؟ ابقيا ويمكننا أن نسكر مثل البشر الحقيقيين.. فالحيوانات فقط هي التي تعرف دائمًا متى تتوقف عن..". ضحك بصوت عالٍ مرة أخرى وأكمل قائلًا: "حسنًا، على الأقل من سيتبقى منا، يمكنك تناول عصير التفاح". هز "تاراس" رأسه بالنفي. قال الطبيب: "هيا، يمكننا الخروج غدًا لنمرح على الثلج، لَدَيّ بالسقيفة زوج إضافي من الزلاجات وأحذية تزلج مخصوصة للمسافات الطويلة..". أشار إلى سقيفة تبعد حوالي عشرين مترًا، يمكن بالكاد رؤيتها وسط الظلام. قال "تاراس": "في كل الأحوال لن تمثل أدوات التزلج أي مشكلة. في الشتاء أحتفظ دائمًا بزلاجتي وجميع معدات التجوال على الجليد في السيارة".

من الربيع وحتى الخريف يحتفظ "تاراس" بكل ما يحتاجه من أدوات للركض في حقيبة سيارته "السيتروين"، ومنها أحذية الجري والجوارب والبناطيل القصيرة والقمصان القطنية ومنشفة، ثم يبدلها في الشتاء بمعدات التزلج على الجليد. قال "تاراس": "بنتانا إنهما ستلحقان بنا بعد منتصف الليل، وسنذهب جميعًا في نزهة بالبلدة القديمة. وإذا تعهد طفلان يبلغان من العمر نحو عشرين عامًا لوالديهما بذلك، فا..". قال الدكتور "بريلك": "إذًا أنت لا تملك سوى القليل من الخيارات، هل تدرس الفتاتان؟ أين هما؟". "تعيش الاثنتان في فيينا، تدرسان علم الأحياء الدقيقة". "حسنًا، لا بد إذًا أن

نتناول نخب هاتين النابغتين".

رفع كأسه، وقرعا الكأسين وتناول رشفة. ثم أخرج الدكتور "بريلك" علبة سجائر من جيب بنطاله بدت شبه فارغة وسحب سيجارة "ماريجوانا" جاهزة ثم قال: "إنها هدية من بعض الطلاب".

قام بإشعالها ثم سحب نفسًا عميقًا واسترخى على الكرسي الخشبي. شم "تاراس" رائحة الدخان، الذي أخذ يرتفع في الهواء الرطب تحت سقف البلكون على شكل سحابة صغيرة. قال الطبيب: "أوه، أتمنى ألا يضايقك هذا الدخان. دائمًا أنسى أنك..". "شرطي؟ ". "حسنًا، نعم، أيها المحقق. أعني سيجارة "الماريجوانا". الجميع يدخنها الآن على أية حال". قال "تاراس": "الدخان لا يضايقني، لست في عملي على أية حال". "أتود أن تدخن؟". هز "تاراس" رأسه بالنفي. قال الطبيب: "ما رأيك في.. تشريع تدخينها وأشياء أخرى مشابهة؟". "لا أبالي". "لا بد أن يكون لك رأي في هذا الأمر. إنه عملك".

إنه لا يبالي. إذا كان هناك شيء تعلمه "تاراس" على مدار ما يقرب من ربع قرن قضاها في وظيفته، فهو أن مع القضايا التي لن يؤثر فيها رأيه - وهي كثيرة بالتأكيد - فإنه لا يبالي. الجريمة فقط هي موضع اهتمامه الذي لا يتغير. هناك نسبة من الناس تنجذب دائمًا إلى الجانب المظلم، فإذا صادرت مخدراتهم، سيبدؤون بالإتجار في منشط الأمفيتامينات، والكوكايين، والهيروين.. وفطر "الأمانيت"

الذي يسبب الهلوسة. وإذا وضعت كل هذه الأنشطة تحت طائلة القانون، فسيحولون نشاطهم إلى السرقة من المتاجر. سيظل هناك دائمًا شيء ما ضد القانون. قال "تاراس" بطريقة تشبه التلاوة: "لا أعرف. أنا حقًا لا أبالي. إنني أتعامل مع قسم جرائم القتل والانتحار والتعذيب الجنسي، بينما المخدرات تتبع قسمًا آخر، الجريمة المنظمة، قسم المخدرات غير المشروعة. أنت اختصاصي جهاز هضمي، إذا لم أكن مخطئًا؟". "نعم، الأمعاء وأشياء من هذا القبيل". ضحك الدكتور "بريلك" وبدا تأثير "الماريجوانا" واضحًا عليه. قال "تاراس": "ماذا تعرف عن الرئتين؟ هل يمكنك إجراء جراحة بالرئتين؟". "لا أدري. بمقدوري استئصال بضع قطع منها إذا لزم الأمر. أعرف أن الناس لا يجب أن يدخنوا".

اختنق بسبب الدخان وسعل لبرهة ثم بدأ في الضحك، واستمر يضحك حتى انهمرت الدموع على وجنتيه. خلع نظارته ومسحها بكُمّ سترته. والواقع أن "تاراس" يرى لو أن الأمر بيده، لحرم تدخين "الماريجوانا" بحكم القانون. المشروبات الكحولية على الأقل تجعل الناس اجتماعيين أكثر، لكن مع نفثتين من هذا المخدر، يدخل الناس عالم خاص بهم، فيضحكون مثلًا على نكات لا يعرفها أحد سواهم. قال الدكتور "بريلك": "حال زوجتك "ألينكا" على ما يرام. أظن أنها كانت دائمًا على ما يرام، حتى وهي طالبة، وما زالت كذلك. إنها رائعة على الدوام".

يرى "تاراس" أن على "ألينكا" أن تشكر جيناتها الوراثية لو

كان كسولًا مثلها، لتقدم في العمر بسرعة على عكس "ألينكا" التي تبدو بالتأكيد أصغر بكثير من سنها الحقيقي.

كانت "ألينكا" امرأة جميلة، في الخامسة والأربعين من عمرها. عندما تخطو داخل غرفة يدير كل الرجال رؤوسهم نحوها؛ بل إن النساء أيضًا، يحسدونها. فصديقاتها، بل جيلها، إما ربات بيوت مستأنسات، أو بدينات أو رياضيات متشددات، أو متعصبات لنمط حياة دون غيره، أو نباتيات، أو نباتيات متشددات، أو متعصبات لليوجا.. أو نحيفات للغاية، تبرز أوردتهن وعظامهن؛ وكما يقول الدكتور "بريلك"، لا تجد بأجسادهن ما تمسك به. بينما تتمتع "ألينكا" بقوام حسن، ووجه جميل كامل الأوصاف وأنف مدبب قليلاً عند منتصفه، وبدلًا من أن يصرف الانتباه عن هذا الجمال المتناسق غير أنه عززه بشيء من الجاذبية اللطيفة. كان شعرها متوسط الطول، فاتح اللون، وقد اكتسب هذا اللون بفعل الصيف تقريبًا، والآن اكتسب درجات اللون البني. عندما التقى بها "تاراس" لأول مرة، كان شعرها قصيرًا، وفي أقصر أحواله كان يشبه قصة شعر المغنية "Pink" المتدرجة بعض الشيء. ولفترة طويلة اعتقد "تاراس" أنها تصبغه باللون الأشقر. ومنذ فترة طويلة وحتى الآن، أطالت شعرها. ولطالما سمعها تقول إن قصات الشعر القصيرة لا تصلح إلا لمن هم في سن العشرين، أما في سن الأربعين فإنها تجعل المرأة تبدو وكأنها مثلية مسنة.

أخذ " بريلك" نفسًا عميقًا آخر من سيجارته ثم ألقى ببقيتها

في الظلام، فوق الثلج، ثم قال: "لقد مارسنا الحب كثيرًا في ذلك الوقت، اللعنة.. كم من مرة مارسنا الحب! لن تصدق مدى السرعة التي يعرضن بها أنفسهن على الأستاذ الجراح. إنه شيء يتعلق بالمعاطف البيضاء". قال "تاراس": "الجزارون أيضًا يرتدون معاطف بيضاء". "الجزارون؟ الجزارون؟". ضحك، ثم بدا كأنه توقف، ثم عاود الضحك مرة أخرى. لم يستطع التوقف وأخذ يردد: "الجزارون، ها، ها، ها". ثم سأل: "نحن نضايقك، أليس كذلك يا "تاراس"؟". "الأطباء؟". قال "بريلك" وهو يضحك: "ليس الأطباء فقط، بل كلنا.. كل الطموحين الصاعدين، الأثرياء الجدد، البرجوازية. ونحن منهم، أليس كذلك؟ شعورك بالضيق نحونا لا معنى له، يا "تاراس". سنظل هنا إلى الأبد. هذا لأننا لسنا انتقائيين، ونكتفي بأي شيء. نحن نتكاثر جنسيًا بشكل روتيني وبأي شكل، لهذا السبب نحتاج إلى تجنيد شخص جديد من حين لآخر، نضخ دماء جديدة لتلك الطبقة. أنت!".

أشار إلى "تاراس" بسبابته وبدأ يضحك مرة أخرى. وبدا واضحًا أن مخدر "الماريجوانا" بالسيجارة من نوع جيد وقوي جدًا. وبعد أن تمكن أخيرًا من التماسك والتحلي بالهدوء قال الطبيب "بريلك": "ربما سيأتي وقت..". وأيقن "تاراس" أنه على وشك تغيير الموضوع مرة أخرى، فأكمل الطبيب: ".. ربما يأتي فيه وقت لا تعرض فيه الفتيات أنفسهن على "رايكو بريلك" كي يمارسن الجنس معه، ربما، ولكنه لم يحن بعد". ثم أشار بإصبعه نحو السماء بطريقة

استعراضية، لا.. بل إلى السقف الخشبي فوق البلكون وقال: "وقت أن تعاني الذئاب من العجز الجنسي وتفقد التحكم في البروستاتا.. ولكن هذا لم يحدث حتى الآن". ثم زفر الدخان المتبقي في رئتيه. قال: "هل تعرف ذاك الفيلم؟". "ملك الخواتم"؟". قال الدكتور "بريلك": "اللعنة! "ملك اللا شيء". هيا، يا "تاراس"؟". "ماذا؟". "لماذا لا تبيت هنا الليلة؟ ويمكننا تناول بعض المشروبات. معنا هنا مجموعة من الأطباء، وأيًا كان نوعهم فليس بيننا أي قاسم مشترك. جميعهم مأخوذون ببريق مهنتهم، إنهم أغبياء ضيقو الأفق وبلهاء. لقد سئمت منهم، فهم يثيرون أعصابي". انحنى نحو "تاراس" وهمس في أذنه قائلًا: "هل تعلم أنني ضاجعت كل زوجاتهم؟ زوجة كل واحد من هؤلاء الأطباء؟".

استرخى على كرسيه، واستمر يتمتم، كأنما يتحدث إلى نفسه أو يفكر بصوت عالٍ قائلًا: "ليتني أستطيع أن أكون صادقًا، وأظن أنني أستطيع الآن، فلا أحد سوانا هنا، أنا وأنت فقط؛ اللعنة! إن اليوم الذي سأبلغ فيه الستين يقترب بسرعة. بعض هؤلاء الطلاب والممرضات الأغبياء وكل العملاء يرونني فاجرًا عجوزًا. لا أمانع في الجزء الأول لأنني كنت دائمًا فاجرًا وسأظل، لكن عجوز.. عندما أقوم بمضاجعة بعضهن، أشعر وكأنني شاذ جنسيًا، أغوي طفلًا بمنحه بعض الحلوى.. ربما سأضطر إلى الاستقرار بطريقة ما". شرب كأسه حتى الثمالة وقال: "سأستقر يا "تاراس"، هه؟". "ألم تستقر بعد؟". خنفر الدكتور "بريلك"، وكأنه ابتلع نبيذًا فاسدًا وقال: "نحن

أصدقاء، ألسنا كذلك يا "تاراس"؟". "ألسنا كذلك؟".

هل كنا صديقين؟ كان" بريلك" أكبر منه بعشر سنوات. التقى به "تاراس" بعدما أصبحت "ألينكا" شريكة له في العيادة، وذلك قبل بضع سنوات فقط، ربما أربع سنوات. كان يراه بانتظام وأحيانًا يخرجان معًا في جولة بالدراجة حول العاصمة ليوبليانا، وخرجا في رحلات تجوال أطول ثلاث أو أربع مرات.. وهي أمور قد تفعلها مع الأصدقاء. واليوم التقى أيضًا بزوجته.

قال "تاراس": "نعم، بالطبع". "هل أنت جاد؟". "جاد". "هل يمكنك أن تسدي لي معروفًا؟ نوع من الخدمة المهنية، كصديق، إذا طلبت منك ذلك؟". "أي نوع من المعروف؟". توقف "بريلك"، ونظر إلى كأسه الفارغ ولوح بيده باستخفاف ثم سأله: "هل قابلت زوجتي؟". "قابلتها". "هل تعلم أنها شاركت في الأولمبياد التي أقيمت بمونتريال عام 1976. تلك التي حصلت فيها "ناديا كومانتشي" ولأول مرة على علامة (10/10) لكمال أدائها، الأولى بلا منازع. وكادت "كارين" أن تؤدي عرضها، لولا كل المكائد التي تُحاك في المنتخب اليوغوسلافي، مثلما حدث مع "جاكي ستيوارت".. هل تعرف من هو "جاكي ستيوارت"؟". "أعرف. سائق "فورمولا واحد" في السبعينيات".فُتح الباب ومدت "ألينكا" رأسها عبر إطاره وقالت: "مرحبًا، أنتما الاثنان، العشاء جاهز على المائدة". ثم دخلت البلكون، وحدقت في الظلام. كان الثلج يزداد غزارة. قالت وهي ترتجف من البرد: "أصبح غزيرًا

جدًا، أليس كذلك؟". ثم التفتت إلى "تاراس" وقالت: "تاراس"، إذا أردنا العودة إلى المنزل الليلة، فعلينا أن نسرع".

يبدو أنها تعافت من تأثير الكحول. فتحت باب البلكون مرة أخرى كي ندخل وانتظرت حتى لحق بها "تاراس" وتبعه الطبيب "بريلك" عن قرب، فهمس له قائلًا: "إذا لم تخونني ذاكرتي، فإن زوجة "بالاجيتش" هي الوحيدة التي لم أضاجعها". وأشار بيده عبر الغرفة إلى امرأة بدينة بعض الشيء، ثم قال: "لم تطاوعني نفسي، يا لها من امرأة مسكينة!".

الفصل الثاني



أقبل الدكتور "بريلك "مبتسمًا عبر باب يبدو أنه باب المطبخ، ووضع ديكًا روميًا مشويًا ضخمًا على مائدة طعام هي في الأصل ثلاث طاولات صغيرة مغطاة بمفرش واحد، وقال: "ها هي الأوراك على المائدة، وبصفتي خبيرًا في هذه الأمور.. أقترح أن أقوم بتقطيعها قطعًا، ثم تتناولونها بأصابعكم، فنحن جميعًا نشعر بأننا في بيتنا على أية حال.. حسنًا".

توقف عن الكلام، وأمسك بمقص لتقطيع الدواجن الكبيرة الحجم، ثم أشار إلى "تاراس" وقال: "ربما لا تعرفون هذا "الجِنتلمان" الرائع الجالس هناك، ولعلكم لم تقابلوه في أي مكان آخر، فهو شرطي ومفتش جنائي في قسم.. ما اسمه

ثانية يا "تاراس"؟". أظهر "تاراس" انصياعًا، فأسرع يجيب قائلًا: "قسم جرائم القتل والتعذيب الجنسي". استدار الجميع نحو "تاراس" الذي اعتاد أن يكون محور اهتمام أي ضجّة جديدة لبعض الوقت، فمجرد النطق باسمه يتولد لديهم شيء من الإثارة، مثله مثل إحجامه عن شرب الخمور، ولكن بمجرد أن يضيف مهنته فا.. إن قلة قليلة من الناس ممن التقى بهم لم يشاهدوا مسلسلات ولا أفلام الجريمة الأمريكية؛ أعمال الجريمة والدراما الفنية التي يقوم ببطولتها نجوم هوليوود ذوي اللّحى الخفيفة؛ إذ تساندهم فتيات فاتنات يعملن على إنقاذ العالم. إن الواقع للأسف أكثر مللًا بكثير، فهو يخلو من أي جمال مقارنة بهذه الأفلام. فمنذ وفاة "بينكا"، شارك مكتبه مع رجلين في منتصف العمر. وإذا كان هناك أحد ممن يعمل معهم أقرب إلى هذا الجمال، فإنها "تاتيانا" التي تعمل بقسم الموارد البشرية، إنها الأقرب لكنها ليست قريبة بشكل استثنائي إلى..

قال أحدهم: "أنت مفتش جنائي إذًا؟ مثل..".

أخذوا يتناوبون ذكر أسماء بعض الممثلين، ابتداء من "ليوناردو دي كابريو" إلى "جيمس كاجني"، حسب عمر الشخص الذي ذكر الاسم، رغم أن "تاراس" لا يتذكر أن "جيمس كاجني" لعب دور الشرطي في أي من أفلام الأبيض والأسود التي شاهدها، ولطالما عَدّه أكثر من مجرد رجل عصابات.

أمسك الدكتور "بريلك" ورِك الديك الرومي بالمقص وضغط

بشدة حتى كسره وقال: "هكذا كسرت ما بين عَظْم العَانَة والحرقفة، وربما عند مفصل الورِك بالضبط. آمل ألا يكون بيننا طبيب بيطري".

وضع قطع الديك الرومي في طبق كبير وأخذت كومة اللحم تتزايد رويدًا حتى بدأ الضيوف أخيرًا في مد أيديهم ليأخذوا منها بعد أن ظل الدكتور "بريلك" يلح عليهم كي يفعلوا. لم ير "تاراس" زوجة "بريلك"، لعلها ما زالت في المطبخ.

راقب "تاراس" الضيوف خلسة وهو يقضم لحم الديك الأبيض. جلست إلى يمينه "ألينكا"، وإلى يساره امرأة بدينة إلى حد ما؛ إنها زوجة "بالاجيتش" المسكينة على ما يبدو، فلا واحدة سواها ينطبق عليها وصف "بريلك". جلس بجانبها رجل طويل وبدين أيضًا، لعله زوجها.

قالت زوجة "بالاجيتش"، والمعروفة باسم "إيرينا": "إن اسمك مثير للاهتمام.. أراهن أن والدتك هي من اختارته، وليس والدك". ابتسم "تاراس" وقال: "لماذا تعتقدين ذلك؟". "الأمهات هن المسؤولات دائمًا عن الأسماء غير المألوفة. أنا أعمل في جناح الأطفال وقبل بضع سنوات بث التليفزيون مسلسل "ساندوكان" لأول مرة.. هل تتذكره؟ قرصان ماليزيا؟". أومأ "تاراس". أكملت قائلة: "حسنًا، أصبح لدينا عدد لا بأس به من المواليد يحملون اسم "ساندوكان". مؤخرًا كان لدينا عدد لا بأس به ممن يحملون اسم "جاستن".. أتعرف "جاستن بيبر"؟ هل سمعت عنه؟". أومأ "تاراس". سألته:

"حسنًا، هل هي والدتك؟". قال "تاراس": "لا أعرف، لم أسألهما قط". تنحنح الرجل المجاور لها ومد يده من فوق طبق زوجته ليصافح "تاراس" وقال: "أنا "بالاجيتش".

لم يستخدم لقب "الدكتور" قبل اسمه، لكن بدا لي كأنه استخدمه. كان أول من وصل إلى الديك الرومي وأول من حصل على قطعة ثانية، والآن أرى لحيته تتلألأ ببلورات الدهون. وأظن أنه سيكون على الأرجح أول من يقول بعد العشاء إن وزنه زاد فجأة. بدا أن هناك شيئًا ما يؤرقه. بادر الطبيب قائلًا: "أتعرف ما أريد أن أعرفه؟.. حسنًا، بالطبع لن تعرفه رغم أن.. لكن باعتبارك مفتشًا جنائيًا لعلك تعرفه؟". ابتسم وتلفت حوله ليتحقق من وقع ما قاله على الحاضرين، ثم قال: "ماذا لو سبق لي أن أطلقت الرصاص على شخص ما؟ لا، لا.. ليس هذا ما أقصده. هيا أخبرني، هل هناك جريمة كاملة أم لا؟". سألته زوجته: "من أين جئت بهذه الفكرة؟". خيم الصمت على كل الجالسين إلى المائدة واستدارت كل الرؤوس نحو "تاراس" الذي سأله: "ماذا تقصد؟". "هل هناك طريقة لقتل شخص دون أن يُقبض على قاتله؟". قالت زوجة "بالاجيتش": "يا إلهي! أنت لا تفكر في قتل أحدهم، أليس كذلك؟". ضحكت وانضم إليها عدد قليل ممن يجلسون حول المائدة وأدلوا بتعليقات مشابهة، لكنهم واصلوا التحديق في "تاراس" - المفتش الجنائي - بفضول شديد، الذي قال: "هناك عدد غير قليل من الجرائم الجنائية المعلقة. هل هذا ما تشير إليه؟". "لا، لا.. أفكر في "الجريمة المستحيلة"..

حسنًا، لا أعرف كيف أعبر عما أقصده، مثل تلك التي وصفتها "أجاثا كريستي" في واحدة من رواياتها البوليسية. أن تكون وسط مجموعة من الناس، مثلنا هنا اليوم، فيقوم شخص بتسميم آخر أو شيء من هذا القبيل، وأنت، كمفتش جنائي، ربما تعرف الجاني، ولكنك لا تستطيع إثبات ذلك". تلفت "بالاجيتش" حوله متفاخرًا بما قاله. قال "تاراس": "لا، ليست هناك جرائم قتل من هذا النوع". سأل الرجل الجالس مقابل "تاراس": "كيف ذلك؟ ألا تستطيع أن تعرف ما إذا كان بيننا هنا قاتل أم لا؟ أقصد ما إذا كان من بين الجالسين إلى هذه المائدة شخص ارتكب بالفعل جريمة قتل؟". بالطبع لا يستطع "تاراس" أن يعرف ذلك. قال "تاراس": "إذا عرفت أنك قاتل، فقد أعرف أيضًا كيف أثبت ذلك".

هز" بالاجيتش" رأسه بالنفي وكأن إجابة "تاراس" أحبطته. سألت امرأة تجلس في الطرف الأقصى من المائدة، بعد ثلاثة مقاعد إلى اليمين: "وما رأيك، بصفتك خبيرًا في هذا المجال، في أفلام هوليوود؟ هذا إذا كنت تشاهدها من حيث الأصل". "بل أشاهدها.. إنها مجرد أفلام. ما تفعلونه جميعًا يختلف ربما تمامًا عما يفعله دكتور "هاوس" في مسلسله الشهير؟". رفع الدكتور "زجونك" صوته كي يسمعه الجميع وقال: "لا، لا فرق بينهما". ضَجَّ الجميع بالضحك وأضاف "زجونك" بابتهاج: "حسنًا، بصرف النظر عن حقيقة أن لا أحد منا يعمل حتى وقت متأخر من الليل، فأنا أعتقد أنهم صوروا المسلسل في عيادتنا لأنهم احتاجوا إلى مساحة للتصوير،

وإلى كل معداتنا التي لم نستطع استخدام أي منها في الفترة المسائية، بل إننا منحناهم مرضانا أيضًا".

ضَجَّ الجميع بالضحك ثانية وظن "تاراس" أن هكذا أغلق الموضوع وأنه سوف يركز مرة أخرى على قطعة الديك الرومي التي بين يديه، لكن "بالاجيتش" لم يغلق الموضوع وقال: "ولكن..". توصلت "ألينكا" لاستنتاج فقاطعته قائلة: "لكن لا، يا عزيزي "ميتيا"، إذا كنت ترغب في التخلص من "إيرينا"، لا أنصحك بفعل ذلك و"تاراس" في الخدمة. الجميع يعترفون له حتى بالأشياء التي لم يرتكبوها". ضَجَّ الجميع بالضحك مرة أخرى. أكملت: "لا تضحكون. إنني جادة فيما قلت. ليس هناك أسرار تُخفى عن "تاراس". أنا على يقين بأنه بالفعل يعرف أشياء عنكم جميعًا ولن يسعدكم أن يقولها على الملأ".

بدت مقتنعة جدًا بما قالته، حتى إن موجة الضحك كانت أقصر بكثير هذه المرة. سألت "إيرينا بالاجيتش": "حسنًا ماذا تعرف عني مثلًا؟". نظر إليها "تاراس" بابتسامة يمكن اعتبارها مهذبة. قال "بالاجيتش": "إنها تبالغ، "ألينكا" تبالغ. من أين له أن يعرف أي شيء عنا؟". رفع الدكتور "بريلك" صوته ونظر مباشرة إلى "تاراس"، بطريقة كيدية وقال: "علاوة على ذلك، فنحن جميعًا أطباء، وإذا تعلق الأمر بالقتل، فإن القاتل المتسلسل "ميتود تروبيك"، يُعدُّ، مقارنة بنا، مجرد هاوٍ بكل ما تحمله الكلمة من معنى".

تحول الضحك حول المائدة إلى قهقهة. ظهرت السيدة

"بريلك"، وهي أيضًا طبيبة، عند باب المطبخ، وقالت: "هل فاتني شيء؟".

***

قالت "ألينكا" وهي تحدق بالخارج عبر الزجاج الأمامي: "لعل من الأفضل عمليًا أن نقضي الليلة هنا". استمر "تاراس" في التبديل بين الضوء المنخفض والعالي دون فارق كبير أو نجاح، خاصة أنه مزق مؤخرًا أحد الأسلاك وهو يحاول تغيير لمبات المصابيح الأمامية فتركه على حاله، فتدلت اللمبة داخل المصباح الأمامي وانبعث منها شعاع مبعثر شارد، فبدا وكأنه يحاول استخدام سيارته "السيتروين" كي يكسر سرعة الضوء مثلما يحدث في أفلام الخيال العلمي أو على الأقل في تلك التي لا يزال "تاراس" يشاهدها، مثل فيلم "حرب النجوم". قال: "وعدنا الفتاتين". "نعم، وبمجرد أن نصل إلى "ليوبليانا"، هذا إذا وصلنا، سنتلقى منهما رسالة تقول: نعتذر، إننا علقنا في مكان ما". صمتت "ألينكا" وقالت وهي تتنهد: "يا إلهي، إن الثلج ينهمر بغزارة. لا أتذكر آخر مرة رأيت فيها الثلج يتساقط بهذا الشكل".

كان الطريق خاليًا. إنها عشية 31 ديسمبر. والجميع ذهبوا بالفعل للمكان الذي يودون رؤيته في مطلع العام الجديد، خاصة في مثل هذا الطقس. حاول أن يتذكر ما إذا كان قد اطلع على النشرة الجوية أم لا، ولم يجد مفرًا من الاعتراف بأنه لم يتحقق من توقعات الطقس هذا الصباح إلا عندما وصلوا إلى منحدر التزلج، حيث لم يبال في ذاك الوقت بحالة

الطقس في المساء. يوجد بالفعل حوالي أكثر من عشرة سنتيمتر من الثلوج سقطت مؤخرًا على الأسفلت، لم يُجرف ولا توجد آثار لأي إطارات بالمرة. لولا إزاحة الثلوج في وقت سابق وتكديسها على جانب الطريق في كومة يبرز فوقها عمود مخطط باللونين الأحمر والأصفر، لأصبحت القيادة ميؤوسًا منها، لأنه من المستحيل تحديد موقع الطريق الأسفلتي. لحسن الحظ، كانت إطارات سيارته جديدة، ولم يكن يعبأ بتغيرها لولا أن "ألينكا" هددته بأنها لن تستقل سيارته مرة أخرى إلا بعد تغييرها. لم يكن ليتعب نفسه ويفعل، قائلاً إن فصول الشتاء أصبحت أكثر اعتدالًا، وعندما فكر في عدد المرات التي ذهب فيها للتزلج لمسافات طويلة في الشتاء الماضي وحتى قبل ذلك، فقد يكون ما يقوله صحيحًا، ولكن ها هو الطقس يأتي على عكس توقعاته. قالت وكأنها تستجوبه: "حسنًا، ماذا تعرف عنهم؟".

لم يكن بحاجة إلى الالتفات إليها، فيمكنه أن يشعر بها وهي تحدق به. قال: "أعرف ماذا، وعمن؟". "ماذا تعرف عن زملائي الأطباء ولا يروق لهم أن تقوله على الملأ؟ إنني رأيت تعبيرات وجهك يا "تاراس" عندما سألتك زوجة "بالاجيتش". "ربما المفروض أن تكوني أنت الشرطي، وليس أنا". ظلت تحدق فيه. إنها تعرف كيف تضايقه بصمتها. قال: "أعرف أن كل النساء حول المائدة باستثناء زوجة "بالاجيتش" مارسن الحب مع "بريلك" في وقت من الأوقات". ضحكت "ألينكا" وقالت: "هل هذا ما قاله لك في الخارج؟". أومأ برأسه. قالت:

"هذا ليس سرًا. الجميع يعرف ذلك، حتى "كارين". صمتت للحظة وأضافت، كأنها تخاطب نفسها: "هممم، إذًا "إيرينا" لم تفعلها؟".

قادا السيارة لخمس عشرة دقيقة تقريبًا، وخلفهما تومض أضواء الفنادق ومستوطنة "ريبتشف لاز". أخذا يشقان طريقهما في الظلام في اتجاه "لاشكي روفت" و"بوليه" و"كاميه"، وكل المستوطنات التي تقع قبل "بوهينيسكا بيستريتسا"، حيث كان "تاراس" يأمل أن يتحسن الطريق. هذا إذا استطاعوا الوصول إلى القرية التالية أصلًا. لم تُظهر العاصفة الثلجية أي علامة تدل على التراجع، وتكدس الكثير من الثلج تحت الإطارات حتى أن "تاراس" كان ينتظر أن تبدأ الإطارات في الدوران وأن تغرز السيارة في البساط الأبيض. هل ستصمد بطاريات الكشاف اليدوي الذي يحتفظ به في درج تابلوه السيارة حتى ينتهي من تثبيت السلاسل المقاومة للجليد حول الإطارات؟ شيئًا فشيئًا أصبحت رحلته أشبه بالإبحار عبر بياض لا نهائي امتد وكوّن ظلالًا داكنة، إلى أن ظهر في الأفق البعيد لهذه الصورة الثنائية اللون والأبعاد أضواء زرقاء وامضة، كأنها واحة وسط الصحراء. وظن أنها شجرة عيد الميلاد، ولكن بعد ثوانٍ قليلة اتضح أن المسافة قريبة بشكل غريب وأن الأضواء الزرقاء الوامضة ما هي إلا أضواء سيارة شرطة توقفت بطريقة متهورة في منتصف ممر القيادة بحيث يستحيل على "تاراس" تجاوزها، لأنها تسد الطريق. إنها سيارة "سكودا أوكتافيا " زرقاء وبيضاء تومض

أضوائها ويعمل محركها. أخذ "تاراس" يسب يلعن ثم توقف. قال: "حسنًا، لنبدأ..". حاولت "ألينكا" النظر عبر نافذة السيارة وقالت: "يبدو أن لا أحد بالمكان. لعلك تظنه حادث طريق، ولكن أين؟".

من الواضح أنه لا مفر من تثبيت سلاسل الثلج حول إطارات السيارة الآن. لماذا لم يتمكن ولو لمرة واحدة من تركيب تلك السلاسل اللعينة دون أن يبتل. لا بد أن يقدم له هذان الزميلان سببًا وجيهًا يبرر سلوكهما. فتح الباب وترجل من السيارة تاركًا ما بها من دفء ممتع وخرج إلى الثلج والصقيع. أوشك أن يسير نحو سيارة الشرطة لكنه أدرك أن الأمر ليس بهذه السهولة، لذلك فتح باب السيارة مرة أخرى وتناول من المقعد الخلفي معطفًا لتسلق الجبال يستخدمه للتزلج.

قال ذات مرة لـ"ألينكا " بعدما رفض التنازل عن ارتداء سترة مقاومة للمطر من نوع "جور تيكس" بلونها الأسود الرمادي بدلاً من ملابس التزلج الفاخرة: "للناس فيما يعشقون مذاهب، وللبعض ذوق سيئ، حتى في معدات التزلج".

أغلق الباب بسرعة، ولكن ليس بالسرعة الكافية كي يجد المقعد جافًا عندما يعود إلى عجلة القيادة.

غطى رأسه ببُرنُس السترة ثم تفقد سيارة الشرطة، يبدو أن لا أحد داخلها.

الفصل الثالث



لا أحد بالسيارة، على الأقل في المقعد الأمامي. أوشك أن يدور حول السيارة عندما سمع فجأة نباح كلب بالمقعد الخلفي. اقترب أكثر ونظر عبر زجاج النافذة فرأى فتاة في حجرها كلب. طرق على الزجاج وفتح الباب. وجد الفتاة جالسة في الزاوية كما لو كانت تحاول الاختباء من شيء ما. كاد منظر كلبها المضحك في حجرها أن يثير ضحك "تاراس". إنه يحب الكلاب، بل معظم الحيوانات في الواقع. نبح الكلب الهجين مرة أخرى، بطريقة لطيفة، كأنها تحية، كأنما يريد أن يقول له بطريقة الكلاب الخاصة: "مرحبًا، الطقس سيئ اليوم، أليس كذلك؟". لا يتناسب حجم رأسه مع بقية جسمه ولا شخصيته مع تعبيرات وجه الفتاة التي تمسك به. كانت جالسة في الظلام لكن "تاراس" ما زال يلاحظ أنها ترتجف، كأنها تشعر بالبرد، رغم أن السيارة دافئة بالداخل. قال للفتاة: "مساء الخير. معذرة، السيارة تسد الطريق.. أين رجال الشرطة؟".

عندما تحركت الفتاة تمكن "تاراس" من رؤيتها بشكل أوضح. وحسبما يظن فإنها فتاة شابة في الخامسة والعشرين من عمرها. من الواضح أنها ليست مجرد فتاة جوّالة عثر عليها ضباط الشرطة الطيبون على قارعة الطريق وسط عاصفة ثلجية، واستقلت سيارتهم. أشارت الفتاة بسبابتها إلى مكان ما بالخارج وقالت: "بجوار النهر". ثم صمتت وانكمشت أكثر في زاوية المقعد، بينما لا يزال كلبها متحمسًا، يهز ذيله ويحاول التملص من قبضتها والركض نحو "تاراس" الذي وجد ذلك مضحكًا. فكلما قفز الكلب برأسه الكبير أو ساقيه القصيرتين لأعلى ولأسفل بلا كلل في حجر الفتاة، كتم ضحكته بالكاد.

أخرج محفظته من جيبه وفتحها ثم أظهر للفتاة بطاقة إثبات هويته كشرطي، أو بالأحرى أظهر غلافها الجلدي الذي يحمل شارته التي على شكل نجمة شعار النبالة الحكومي مع البحر وجبل "تريجلاف" الذي امتدت قمتاه لتطال ميزان العدالة. نظرت الفتاة إلى كلبها، ثم نظرت إلى "تاراس" وربتت على رأس الكلب. قال: "أنا أيضًا شرطي. وجودي هنا مجرد مصادفة لكنني شرطي". أومأت برأسها ثم قالت: "هناك شخص في النهر، وجدته عندما كان الكلب يبحث عن كرته. رميت له الكرة كي يعثر عليها، ثم بدأ ينبح و..". أومأ "تاراس" وتوقفت الفتاة عن الكلام فقال: "قلتِ إن هناك شخصًا في النهر؟ ميت؟". أومأت الفتاة مرة أخرى. "وتركوكِ هنا وحدكِ؟". "نعم". "سأذهب لأجدهم وسأرسل إليكِ أحدهما،

حسنًا؟". ابتسمت الفتاة، أو بالأحرى حاولت، ثم قالت: "هل بمقدورك أن تفعل ذلك؟".

أغلق "تاراس" الباب ونظر أسفل ساتر النهر القصير حيث زُصف الطريق بمحاذاته. توجد آثار أقدام على الثلج، آثار متنوعة، لبشر ولكل أنواع الكلاب. سارت الأقدام فوق الثلج الذي يغطي المكان. بعد حوالي عشرين مترًا، رأى شعاعين صادرين من كشافين يدويين يتلألأ وميضهما بين أفرع الشجيرات. تنهد وانطلق فوق الثلج.

بمجرد أن وصل إلى الشجيرات، كان الثلج قد بلغ جواربه بالفعل. ليست الرطوبة التي بحذائه تحديدًا هي ما يزعجه، لكنه يعلم من تجربته السابقة أنها قد تسبب مشكلات خطيرة.

أزاح بعض الأفرع بعيدًا عن طريقه وانتهى به المطاف بتسليط ضوء أحد الكشافين عليه مباشرة. حجب الضوء براحة يده واستخدم الأخرى لرفع شارته. شلط شعاع الضوء على الشارة ثم سقط على الأرض. قال أحد الرجلين وبدا أنه الضابط الأصغر سنًا: "مساء الخير. يا ربي! لم نتصور أبدًا أنك ستصل بهذه السرعة. قالوا إن الأمر سيستغرق بعض الوقت لأن الطريق من بلدية "بليد" مغلقًا نظرًا لانقلاب حافلة ووجود معوقات في ثلاث نقاط أخرى".

من يقف أمام "تاراس" كان طالبًا عسكريًا على كتفه نجمة بيضاء واحدة، مما يعني أنه لم يصبح ضابط شرطة بعد، مجرد مرشح، أو أيًا كان مُسماه الوظيفي. وبسبب الظلام، لم

يستطع رؤية شارة الرتبة العسكرية التي على كتف الشرطي الآخر، وافترض "تاراس" أنه يحمل على الأقل نجمة أو نجمتان. لا يمكن بالتأكيد أن يرسلوا تلميذين بمفردهما هنا. قال: "بعد إذنكما؟". دون أن ينتظر إذنهما أخذ الكشاف من يد الضابط المبتدئ ورفعه وسلط شعاعه على شريكه الذي طرفت عيناه بعصبية بعدما ضربهما الشعاع الأصفر ثم توقف الضوء عند كتفه. لم يصدق "تاراس" عينيه. مبتدئان!

قال: "أنتما مبتدئان؟! لذلك أرسلوكما هنا بمفردكما هذه الليلة، أليس كذلك؟". وقفا أمامه وهما في شدة الحرج. حاول الضابط الواقف في الظلام أن يقول شيئًا لكن "تاراس" قاطعه. فالذنب ليس ذنبهما. قال: "حسنًا، ما الذي يجري هنا؟". "اتصلنا بمخفر بلدية "يسينيتسه" وطلبنا منهم إرسال مفتش جنائي مع فريق عمل، وقالوا إنهم سيرسلون واحدًا من بلدية "كراني". ألست هو؟". "لا، أنا مفتش جنائي، دون فريق عمل، في طريقي من مكان لآخر، منعتني سيارتك التي تسد الطريق وبها فتاة مع كلبها من المرور. لم يتصل بي أحد، وجودي هنا مجرد مصادفة". سأل الشرطي نفسه: "ماذا؟ ألم يرسلوك من "كراني"؟". "هل يمكننا توضيح شيء؟". قال "تاراس": "أنا من يطرح الأسئلة هنا وعليكما أن تجيبا عليها، أتسمعان؟".

التزم ضابطا الشرطة الصمت ووقفا أمامه كأنهما تلميذان يوبخهما معلمهما. في الواقع هذا ما كانا عليه. سألهما: "لنبدأ مجددًا. ماذا يجري هنا؟". قال الضابط الذي لا يزال يحمل

كشافه وسلطه على مكان خلفه: "انظر، يا سيدي، كبير المحققين".

تقدم "تاراس" خطوتين إلى الأمام حتى يتمكن من رؤية ما أشار إليه. ضربت وجهه الريح التي تأتي إثر تدفق مجرى النهر. أخذ يتتبع شعاع الضوء، فرأى شيئًا يبرز من ماء النهر الذي تراكمت الثلوج على طول حافته وتكسو الشجيرات ضفته. إنه شيء أبيض ناعم.. كأنه ضنع من الرخام. اقترب أكثر وجلس القرفصاء وأدار الكشاف الذي يمسك به الضابط كي يسلط مزيدًا من الضوء عليه.

إنها يد تبرز من الماء، من الكوع فما فوق، بزاوية قائمة تقريبًا، مائلة عند الرسغ، أصابعها متجمدة ومشدودة. بدا هذا الجزء الظاهر نحيفًا وصغيرًا. في البداية خشي أن تكون يد طفل، لكن بقايا الطلاء على الأظافر أشارت إلى حقيقة أنها، في الواقع، يد امرأة. منعه الجليد المحيط باليد من رؤية المزيد من الجسد. وقف "تاراس" ثم التفت إلى ضابطي الشرطة وقال: "ليعد أحدكما إلى السيارة كي يحركها بعيدًا عن الطريق حتى لا نضطر إلى سحب المزيد من الجثث من مجرى النهر، وكي يعتني بالفتاة أيضًا". قال الضابط الذي يحمل الكشاف: "سأذهب أنا". ثم أومأ برأسه عندما طلب منه "تاراس" الالتزام بالسير عبر مسار واحد فقط من الثلوج التي تساقطت مؤخرًا. بدا على الضابط الارتياح واختفى قبل أن تتاح الفرصة للآخر كي يحتج.

التفت "تاراس" إلى الضابط الذي بقي معه والذي كان

يفضل بلا شك أن يعتني بالفتاة، وقال له وهو يحاول أن يبتسم: "حسنًا، حان دورنا الآن".

جلس القرفصاء مرة أخرى وحاول إزالة قطع الجليد الأكبر حجمًا التي حالت دون رؤية ما هو مخفي تحت السطح. بدا الجليد رقيقًا ومن السهل تفتيته. واضطر أن يتوقف مرتين، فقد قرص الصقيع أصابعه. في النهاية، ومن قلب الظلام المتدفق مع التيار، ظهر لليد جسد عارٍ، مستلقٍ أفقيًا، يحرك تيار الماء ساقيه بسلاسة وثبات، ويده عالقة بالأغصان، وكتفاه يتدليان للأسفل، لعل رأسه التوى للخلف لأنه لم يكن مرئيًا.

"هل ماتت غرقًا يا سيدي؟". لم يرد "تاراس"، أكمل الضابط: "لم نرغب في سحب الجثة من الماء لأننا لم نعرف ما..". صمت ضابط الشرطة الشاب فسأله "تاراس": "لم تعرفا ماذا؟". مد "تاراس" ذراعه فوق الماء وقبض بشدة على معصم الجثة الذي كان باردًا ومتجمدًا مثل الحجر، مثل الجليد. يبدو أنها سقطت في الماء من فترة ليست قصيرة. أجاب الضابط: ".. ما إذا كان مسموحًا لنا بذلك أم لا، ما إذا كان يجوز لنا تحريكها، لأنها إذا غرقت هنا، أو أيًا كان، فسوف يعدُّ هذا مسرحًا لـ..". جر "تاراس" الذراع ورفع أفرع الأشجار المحيطة بالجثة إلا أنها أبت أن تفلتها. قال "تاراس": "لم تغرق هنا. فعمق المياه لا يتجاوز المتر. وعلى أية حال، أشك في أنها غرقت. كم عدد الفتيات اللواتي تعرف أنهن يذهبن للسباحة عاريات عند درجة حرارة تبلغ خمسة تحت الصفر؟

لا أريد أن أخاطر وأتركها للتيار فيحملها في اتجاه مصب النهر".

وبغض النظر عن هذا الهاجس، فإن "تاراس" يعرف أن الجثة التي ظلت مغمورة في الماء فترة طويلة لن تحتفظ بأي آثار يُخشى أن تُمحى إذا سحبوها إلى الضفة.

كسر "تاراس" آخر قطعة جليد تمسك بالجسد والساقين فطفا الجذع فوق سطح الماء، وظل الجزء العلوي عالقًا بغصن تحت الذراع. ركع "تاراس" محاولًا ألا يفلت اليد وهو يُخلص الجثة من الغصن، فأخذ الجزء العلوي يطفو ببطء فوق السطح.

قال "تاراس": "لم تغرق".

تبدلت نبرة صوته ما بين التعب والملل كأنه لا يستطيع الاختيار بينهما. لمح "تاراس" الشرطي الواقف خلفه وهو ينقل وزنه من ساق إلى أخرى بعصبية كأنه قيد الاستجواب. سأل الضابط: "كيف عرفت يا سيدي؟". "لكي تغرق، فلا بد أن تتنفس أولًا. ساعدني من فضلك".

وثب الشرطي نحو "تاراس" بحماس، وكأنه أفاق لتوه من سبات عميق، وأمسك بساق الجثة، أشاح ببصره عن المرأة الميتة وعن "تاراس" وسقط على الثلج دون أن يفلت الساق. انتظر "تاراس" بصبر أن ينهض مرة أخرى ودون أن يستدير ليرى المرأة مرة أخرى، وساعده في سحب جسدها إلى الشاطئ. ثم وقف الشاب خلف "تاراس" واستدار في

اتجاه السيارة. أكمل "تاراس" قائلًا: "ولكي تغرق، يجب أن يكون لديها رأس". "آسف، إنني لا..". صمت "تاراس" وشعر به يرتجف فقال: "لا عليك. إنه ليس منظرًا ممتعًا بالمرة بالنسبة لي أنا أيضًا".

على الثلج ترقد أمامهما جثة امرأة شابة، جسدها عارٍ شاحب، بشرتها خالية تقريبًا من أي لون كأنها بلا ميلانين. وشيء كريه أن تُذكرنا بالجثث المجمدة المعلقة في ثلاجة تخزين اللحوم، وخاصة كتفيها المتصلين بشيء من المفترض أن يمتد إلى رقبة، لكن لا شيء هناك. الجثة بلا رأس. واستطاع "تاراس" أن يُقيم المشهد بسرعة، فالرأس مستأصل بشكل متقن. فهل بُتر بفأس؟ مرر ضوء كشافه بسرعة على طول الجسد. قال "تاراس": "اذهب وأحضر لي كيسًا وكذلك جهاز اللاسلكي كي أتحدث إلى الرجال في "كراني".

كان الجسد متجمدًا وبسبب اليد التي برزت من الماء بزاوية شبه قائمة، واجه "تاراس" والشرطي صعوبة كبيرة في إدخالها الكيس البلاستيكي الأسود.

سأل الشرطي الشاب: "هل ينبغي أن نحملها إلى السيارة؟". هز "تاراس" رأسه بالنفي وقال: "سوف تنتظر الجثة هنا. أعطني اللاسلكي".

ناوله الشرطي جهاز اللاسلكي الذي كان معلقًا في حزامه. ضغط "تاراس" على الزر، وقدم نفسه وانتظر صوت الطرف الآخر. تترك الضوضاء الصادرة من جهاز اللاسلكي في النفس

تأثيرًا مهدئًا. وفي معظم الأحيان يكون المغزى الوحيد من وراء تحقيقات الشرطة هو خلق شيء يشبه النظام في خضم الفوضى. غير أن ما قاله الطرف الآخر فهمه بالكاد؛ كان الخط سيئًا للغاية، مع كثير من التشويش.

استغرق "تاراس" خمس دقائق كي يشرح لهم هويته وكيف وصل للمكان واستدعى فريقًا متخصصًا في التحقيق بالجرائم الخطيرة مكون من محقق جنائي وطبيب تشريح وأخصائي في علم الأمراض أو طبيب وقاضي تحقيق. حاول أيضًا الاتصال من تليفونه الخاص لأنه في الواقع غير مقتنع بالإجراءات التي اتخذوها بعد هذه المحادثة المتقطعة التي يتخللها عبارات مثل: "هل تفهم؟ هل تسمعني؟.. من فضلك كرر ما تقول"، لكنه لم يجد شبكة تغطية. استخدم جهاز الإرسال مرة أخرى وعبر ضوضاء التشويش حاول أن يقول جملة واحدة: "قم بإرسال فريق تحقيق وسيارة، حتى لا يقضي رجالك العام الجديد هنا مع..".

أراد أن يقول جثة امرأة شابة بلا رأس، لكنه توقف عن الكلام. ساد صمت. انتظر "تاراس" أن يعود التشويش المنبعث من جهاز الإرسال الصامت حتى أجاب صوت عبر الجهاز فجأة وبوضوح مدهش: "ليس لدينا حاليا فريق واحد قائم بالعمل و..".

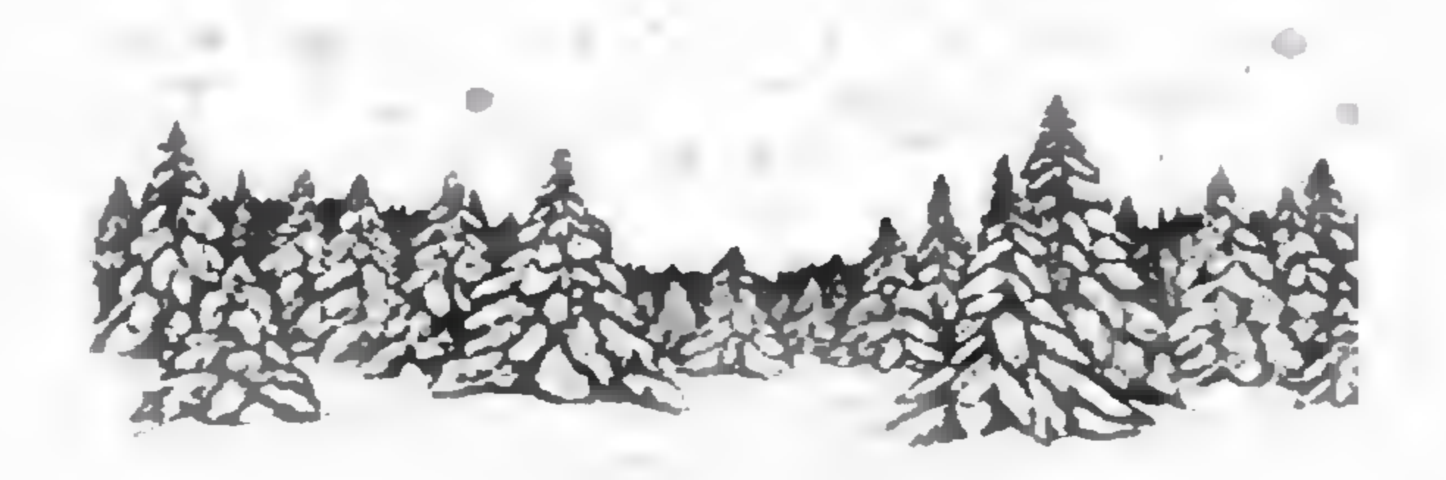
فُقد الاتصال كأن شخصًا قطع الهوائي. قال "تاراس" عبر جهاز الإرسال: "لا بأس، عندما تجد واحدًا فلترسله، لقد فعلت كل ما بوسعي هنا، كل ما هو ممكن بما هو متاح". نظر إلى

الشرطي الذي وقف خلفه حتى لا يرى كيس الجثة وقال: "حسنًا، أراهن أنك لم تتوقع أن تقضي ليلة رأس السنة بهذه الطريقة، أليس كذلك؟". أطلق الشرطي تنهيدة تحولت إلى سحابة ضخمة من بخار الماء حملها الهواء البارد وقال: "مطلقًا". أشار "تاراس" إلى الجثة التي خلف الضابط وقال: "لم يحالفك الحظ يا فتى، وليس أمامك سوى الانتظار. وإذا حاول أي ضابط محنك أن يتذاكى عليك، فأخبره أنني من أخرجتها. أنا "تاراس بيرسا"، كبير المفتشين الجنائيين في مديرية شرطة "ليوبليانا". وأتمنى لك عامًا جديدًا سعيدًا".

سلم جهاز الإرسال إلى الشرطي وشق طريقه فوق الثلج عائدًا باتجاه الطريق.

استدار بعد خطوات قليلة وألقى نظرة خاطفة على المسار فوق الثلج والشجيرات والشرطي، فبدا له المشهد كأنه مجرد خيال ظل. بدا أن الضابط يحدق في اتجاه "تاراس"، ولعله لم يحدق، لعله ابتعد لتوه عن الجثة.

الفصل الرابع



ما زالت "ألينكا" جالسة في السيارة، تبحث في درج "تابلوه" السيارة عن أسطوانة مدمجة مناسبة لأن الموسيقى التي يبثها الراديو في ليلة رأس السنة بشعة. اتفقت مع "تاراس" على هذا الرأي، بل إنه قال إنها بشعة حتى في الأيام العادية، فاستعاضت عنها بأسطوانات الموسيقى المدمجة التي احتفظت بها في درج "تابلوه" السيارة. عندما لا يستمع "تاراس" إلى المحطة التي تبث موسيقى الروك العاطفية المبالغ فيها، التي تعود إلى حقبة السبعينيات فإنه يضبط راديو سلوفينيا مرارًا وتكرارًا على محطة "البرنامج الثالث" وعلى الموسيقى الكلاسيكية.

أحيانًا كانت تسأله لا سيما عندما ثُبث مقطوعة موسيقية "ثقيلة": "هل تعرف ما الذي تستمع إليه أصلًا؟". فيقول: "أنا لا أستمع". فهو لا يعرف عن الموسيقى الكلاسيكية أكثر مما تعرف.

ذكرت "ألينكا" ذات مرة أنه بث هذه الموسيقى الثقيلة حتى يربك المسافرين معه، لأن بأعماقه الكثير من صفات رجل الشرطة. فهو يجد متعة في مشاهدة الناس عاجزين عن الانسجام معه ويَحول دون هذا الانسجام بجعلهم يستمعون إلى سيمفونية "هندبورج" الرابعة والخمسين في سلم موسيقي صغير لا يعرف عنه أكثر مما يعرف أي شخص منهم.

ويقول "تاراس": "لا أحد منهم يعرف هذه السيمفونية ربما باستثناء بعض الذواقة العارفين بالموسيقى أصحاب النظارات السميكة، وكثيرًا ما يخرج علينا أحدهم من أرشيف الراديو ويمسح الغبار عن واحدة من تلك الأُسطوانات وهو في طريقه إلى الاستوديو ويرسم على وجهه ابتسامة سادية". "غالبًا ما أستمع إلى الموسيقى الكلاسيكية وأنا أقود سيارتي بمفردي". "إذًا أنت تحاول إرباك نفسك فقط". "أوه.. ولماذا أفعل ذلك؟".

إنه يستمع إلى الموسيقى الكلاسيكية إذا أراد أن يركز تفكيره في شيء فقط، ولا يستمع إليها إذا لم يكن لديه ما يفكر فيه. كلما كانت المقطوعة الموسيقية أقل شهرة، قل إعجاب الناس بها، وستصفها "ألينكا" بأنها سخيفة وكارثية، ولكنها تظل الأفضل إذا احتاج المرء أن يركز تفكيره في شيء ما. صحيح أنه لا يتذكر الكثير من كل الموسيقى الكلاسيكية التي استمع إليها، ولم يصبح أبدًا خبيرًا فيها، وبالكاد أفلح في فهم أي شيء منها.. إلا أنه على دراية بأعظم أغاني موسيقى "شلاجر" الكلاسيكية الشعبية – وهو تعبير آخر

تستخدمه "ألينكا" - مثل " معزوفة على وتر الصول جي "Air on the G String للموسيقار "باخ" أو موسيقى "الفالس" لـ"دميتري شوستاكوفيتش" أو أي مقطوعة للموسيقار "فيفالدي"، وإذا صادف وسمع شيئًا مثل كونشرتو "الفصول الأربعة "The Four Seasonواعتقد أنه لن يساعده على التفكير فإنه يأخذ قسطًا من الراحة ويستمتع بالموسيقى، لكن هذا نادرًا ما يحدث. الحقيقة أنهم يبثون الكثير من الموسيقى الكلاسيكية الرديئة التي لا يمكن الاستماع إليها أو على الأقل المبتذلة أكثر من غيرها، ومع ذلك فالمرء لا يجد غناء وكلمات أقل إثارة للضجر إلا في الموسيقى الكلاسيكية فقط. إنه نجا على الأقل من الاستماع إلى أغاني من نوع "أنتِ زهرة قلبي You Are the Flower of My Heart"

قامت "ألينكا" بمحاولة أخيرة كي تشرح وجهة نظرها فقالت: "لعل الأمر له علاقة بالعمر، فمنذ أن التقينا لا أتذكر أني رأيتك يومًا منتشيًا وأنت تسمع الموسيقى الكلاسيكية". لم يستمتع بها يومًا ويجوز جدًا أن الأمر له علاقة بالعمر فعلًا.

ترددت "ألينكا" في الاختيار بين المغنيتين "ناتالي ميرشانت" و"شاكيرا"، وفي النهاية وضعت أسطوانة "شاكيرا" في مشغل الأسطوانات. إنها أسطوانة قديمة عندما لم تكن تغني إلا باللغة الإسبانية فقط، وذلك قبل أن تربطها علاقة عاطفية عابرة بلاعب الكرة "ميسي"، أو أيًا من كان.

ما زال الثلج يتساقط، رغم أنه تَرَقَّق على ما يبدو، واستطاعت "ألينكا" النظر عبر النافذة الجانبية للسيارة.

اختفى "تاراس" قبل حوالي خمس عشرة دقيقة أسفل المنحدر الذي قاده إلى النهر وإلى بعض الشجيرات، حيث كانت ترى ومضات افترضت أنها تصدر من كشاف يدوي. ثم بدأ ضوء الكشاف يتحرك نحو الطريق وأقبل شرطي - تستطيع أن ترى من هو الآن - وفتح الباب الجانبي للسائق وجلس في سيارة الشرطة. بعد عشر دقائق، تبعه شخص آخر وصل إلى السيارة بدون كشاف، وفتح الباب وتحدث مع من بداخلها لفترة، وأخرج شيئًا من صندوق السيارة الخلفي ثم عاد إلى الشجيرات مرة أخرى. ورأت أن الأمر سيستغرق بعض الوقت.

ثم جاء "تاراس" وتوقف عند سيارة الشرطة، وفتح الباب وجلس على المقعد الشاغر بجوار السائق، وأبلغه أن طبيب التشريح والمفتش الجنائي وقاضي التحقيق غير موجودين في الوقت الحالي، وأنهما مضطران إلى الانتظار، وسأله عما إذا كان يعرف ما يجب عليه عمله. قال الشرطي بشكل غير مقنع:

"نعم". تابع "تاراس" كأنه لم يسمع كلمة "نعم" على الإطلاق وقال: "استجوب الفتاة وقم بإعداد تقرير وبعدها فليرافقها أحدكما إلى مسكنها.. هل تسكنين بعيدًا عن هنا؟". "أسكن في مجمع سكني في "ريبتشف لاز". جئت هنا مع مجموعة أصدقاء للاحتفال بالعام الجديد". قال "تاراس": "قم بتطويق المنطقة، رغم أن هذا لن يحدث أي فارق في ظل هذا الطقس ومع كل هذه الثلوج، ولكن فلتفعل بغض النظر

عن ذلك. بمجرد أن تعود الفتاة إلى مسكنها، وبعد تسوية كل هذه الأمور، تناوبا على حراسة الجثة. لا نريد أن تصل الثعالب إليها، أليس كذلك؟". "هل نأخذ الجثة إلى بلدية "يسينيتسه"؟". قال "تاراس": "لا، فهي ليست قضية تتعلق بالصحة العامة، بل قضية تشريح جنائي..".

تجنب استخدام مصطلح تشريح الجثة وفكر في الإثارة التي قد يسببها هذا في علم طب التشريح الجنائي، وكيف سيلتف الكل حول الجثة المقطوعة الرأس. سيجد الدكتور "تشفيلاك" على طاولة التشريح شيئًا يرعب به طلابه لآخر مرة قبل أن يتقاعد.

سأل "تاراس": "هل الطريق إلى "بليد" ما زال مغلقًا". هز الشرطي كتفيه وقال: "مررنا به آخر مرة عندما وصلنا هنا، وقالوا إن الأمر سيستغرق بعض الوقت كي يعيدوا فتحه. يبدو أن الحافلة انقلبت على جانبها وطبقات الثلوج التي تكدست على الطريق غزيرة لدرجة يتعذر معها رفع الحافلة".

فتح "تاراس" الباب، وودّع الفتاة الجالسة بالمقعد الخلفي وتوقف بجوار السيارة لبرهة. نظر إلى سيارته التي كانت مغطاة بالفعل بطبقة سميكة من الجليد تشبه البطانية، ونظر إلى السماء، وطرفت عيناه بعدما سقطت عليهما بعض من رقائق الثلج، وبدلًا من العودة إلى سيارته، جلس في سيارة الشرطة.

"اسمع! سأستجوب أنا الفتاة، وفي غضون ذلك، لمَ لا تذهب

إلى سيارتي وتقوم بتثبيت السلاسل المقاومة للجليد حول الإطارات؟ ما رأيك؟".

كان يعرف أن الشرطي الشاب لن يبدي اعتراضًا، حتى لو واتته الجرأة.

عندما انتهى من الاستجواب وسلم السجل إلى الشرطي الذي عاد ثانية بعدما ثبت السلاسل المقاومة للجليد بالفعل قال "تاراس": "في الحقيقة، سأعيد الفتاة إلى مسكنها بنفسي. ففي كل الأحوال سأعود إلى بلدية "أوكانك".

قدم "ألينا" إلى "ألينكا"، ثم قاد السيارة ببطء وحرص حتى لا تنحرف أي من الإطارات خارج حدود الطريق. قال لـ"ألينكا": "الخطة تغيرت. طرأ ظرف قهري". سألت "ألينكا": "ماذا حدث؟". "وجدت هذه الفتاة جثة في الماء". "جثة؟". استدارت نحو الفتاة الجالسة بالمقعد الخلفي فقالت: "الكلب "جوي".. وجدها الكلب. في البداية اعتقدت أنها عارضة أزياء". سألت "ألينكا": "غرقت؟". قال "تاراس": "على الأرجح".

انعطف عند لافتة على الطريق تشير إلى المجمع السكني حتى وجد رقم المنزل فتوقف. كان المنزل الصيفي مضاءً وتتصاعد منه أصوات صاخبة. نزلت الفتاة من السيارة ثم قالت: "أشكرك".

بدت غير متأكدة مما إذا كان عليها أن تودعهم ثم تتوجه نحو مسكنها أم تعود إلى السيارة. سألها "تاراس": "هل كل

شيء على ما يرام؟".

أومأت برأسها ثم استدارت نحو مسكنها وكلبها بين ذراعيها. قال "تاراس" وهو يجلس خلف عجلة القيادة: "عام جديد سعيد". "فتاة مسكينة، لا أعرف كيف سيكون رد فعلي إذا صادفت شيئًا من هذا القبيل". "أنت طبيبة، يمكنك التعامل مع الأمر". "أنا طبيبة أطفال. يأتي الناس لرؤيتي وهم أحياء ويغادرون وهم أحياء".

قطعا الطريق المحاذي للبحيرة، وكلما خفت كثافة الأشجار قليلًا، أمكنهما رؤية الماء. بدأت الثلوج المتساقطة تغطي لوح الجليد الرقيق الذي تشكل فوق سطح الماء. إذا لم يكن المرء يعرف أنها بحيرة، فيمكنه أن يخطئ بسهولة ويظنها مجرد مرج مسطح شاسع. اعتاد "تاراس" وهو صبي أن يتزلج مع أصدقائه على الثلوج المتراكمة على أحد الخزانات التي أنشأوها في محاولة لتجفيف حقول المستنقعات القريبة من المكان الذي يعيش فيه. غالبًا ما غطت الثلوج الجليد، لكنه يتذكر شتاء جافًا حل عليهم، شتاء بلا ثلوج، ومن ثم تزلجوا على ما يشبه اللوح الزجاجي الأسود الضخم. ورغم الصقيع، إلا أن لوح الجليد بدا رقيقًا جدًا، وكان التزلج عبر البحيرة الصغيرة مخيفًا للغاية، بل إنهم استطاعوا أن يروا القاع فعليًا تحت الجليد، ويسمعوا طقطقة التشققات الناجمة عن تصدع السطح بسبب ضغط الزلاجات، يقطعها صوت الجليد نفسه، وجلبة التصدعات وهي تتوسع وتزداد. تخيل وهو طفل أن تحت هذا الجليد ربما توجد جثث عائمة في القاع المظلم.

ومع ذلك، حتى لو وجدت، فإنها لم تطف أبدًا من تحت هذا الامتداد الأبيض البريء إلى السطح، كما حدث هنا. من أين جاءت الفتاة المسكينة إلى البحيرة؟ ومتى؟ ومن الواضح أنها لم تتجمد بهذه الصورة إلا بعد..

اتصلت "ألينكا" بالبنتين لتخبرهما أنهما لن يعودا إلى "ليوبليانا" الليلة،ثم تمتمت وكأنها أحبطت: "لم يبدُ عليهما أي انزعاج بالمرة". تساءل "تاراس" أيهما ستبلغ العشرين من عمرها وأيهما الثامنة عشر؟ بدا أنهما متهيئتان لذلك وهذا في حد ذاته يحمل معنى. سألته: "هل الجثة التي وجدتها لغريق حقًا؟".

ابتسم. لطالما قال لها إنه يستطيع منحها وظيفة شرطي إذا لم تمضِ أمور عيادتها على ما يرام. قال: "لماذا تسألين؟". "لو أنك ترى أن هناك احتمالًا ولو ضئيلًا أن الشخص مات غرقًا، لأكدت ذلك. لأنه لو مات غرقًا فهذا سيكون أقل..". كانت تبحث عن الكلمة الصحيحة فأكمل جملتها قائلًا: "إثارة للمشكلات". "لا، أقل إثارة لاهتمام الناس. ألا تتعلق وظيفتك ببث الطمأنينة في نفوس الناس؟ ". "عملي هو القبض على مرتكبي الجرائم الجنائية".

الواقع أن وظيفته تهدف إلى حماية أرواح الناس وسلامتهم الشخصية وممتلكاتهم. جاء ذلك في أول تسعة بنود في المادة الثالثة من قانون شرطة جمهورية سلوفينيا. وينص القانون على أن واجب الشرطي هو منع الجرائم والجنح وكشفها والتحقيق فيها، وكشف مرتكبي الجرائم

والجنح واعتقالهم.. وهكذا حتى البند التاسع. مرت أوقات حيث كان "تاراس" يحفظ كل تلك البنود عن ظهر قلب، رغم أنه لم يكن هناك تسعة بنود في ذلك الوقت. قالت: "وهذا أيضًا، لكن هدف عملك الأساسي هو بث الشعور بالطمأنينة والأمان عند الناس، مثل عملي كطبيبة بالضبط. نحن نشفي الناس، رغم أن الجميع يموتون في نهاية المطاف، وكثيرون يموتون قبل السن الذي أقرته الإحصائيات كي تطمئنهم، لدرجة أن الجميع أصبح لديهم قناعة بأن من حقهم العيش حتى سن الثمانين على الأقل. نسبة كبيرة من أولئك الذين يفسدون صحة الإحصائيات من مرضاك أنت أقصد ضحايا الجرائم".

توقفت الثلوج شيئًا فشيئًا وبات بإمكانه على الأقل رؤية الطريق، رغم أن القيادة والانزلاق على طول الطريق ما زالا بالخطورة نفسها حتى مع السلاسل المقاومة للجليد. لم يتبق سوى كيلومتر واحد ويصلان إلى بر الأمان. وهكذا سيقضي ليلة رأس السنة مع أناس سيواصلون طرح أسئلتهم عن طبيعة عمله. قال: "حسنًا، هذه أيضًا رؤية أخرى للأمر، كما يمكنك القول إن وظيفتي أن أؤدي عملي وأحصل على أجر مقابل لذلك". "أوه، ليس أنت يا "تاراس". قد تستطيع خداع الآخرين باللامبالاة التي تدعيها، والتي تبديها أيضًا بكل أسف عندما تحتاج إلى إضافة نجمة جديدة إلى زيك الرسمي، لكن لا يمكنك خداعي. حتى لو غرقت في مجرى مائي مثل ذلك المسكين.. فلن تخبرني أبدًا؛ هل كانت الجثة لرجل أم

امرأة؟". "امرأة". تنهدت كأن كشفه عن كونها امرأة زاد الطين بلة، ثم قالت: "حسنًا، لو كنت مكانها، فسأتمنى أن تكون أنت من يبحث عن الشخص الذي ألقى بي في الماء. هل تعرف لماذا؟". "لأنني مفتش جنائي ماهر؟". "لأنك تأخذ الأمر على محمل شخصي. أنت غاضب من..". "الناس الذين يقتلون الآخرين؟ أليس هذا طبيعيًا؟". "لا، ليس ذلك هو السبب. أنت غاضب لأنهم يضايقونك فقط. إذا لم يقتلوا أنفسهم ولم يُقتلوا، فقد تعود لمنزلك بحلول الساعة الحادية عشرة صباحًا. أنت تسخر منا كأطباء، ولكن الحقيقة ينبغي علينا أن نكون في حجرة العمليات من الساعة الثامنة وحتى الثانية، حتى لو لم يكن هناك شيء نفعله. أن يضطر المرء إلى البقاء في مكان ما لمجرد أن اللافتة المعلقة على باب تقول ذلك يُفقده عقله". "هل خطر على بالك يومًا أن الأمر قد يتعلق بأخلاقيات العمل؟ الرضا عن عمل أديته على أكمل وجه؟". داعبت رأسه وقالت: "أنا زوجتك. وفر هذا لتقوله لرؤسائك".

كانت "شاكيرا" تغني أغنية "أين اللصوص، Dónde están los ladrones". وفكر في أنه ربما ينبغي على المسئولين أن يصدقوا على قرار بجعل هذه الأغنية نشيدًا للشرطة الدولية. لم يكن يعرف الكثير من اللغة الإيطالية، لكن كلمتي " لادرو ladro" بالإيطالية و"لاردونladron " بالإسبانية تحملان على الأرجح المعنى نفسه. قالت: "ليس هذا ما سألتك عنه". "عن ماذا إذًا؟". "هل أنا على حق؟ المرأة لم تمت غرقًا، إنه غرق مشتبه به، أليس كذلك؟". "حتى لو كنتِ على حق، يا

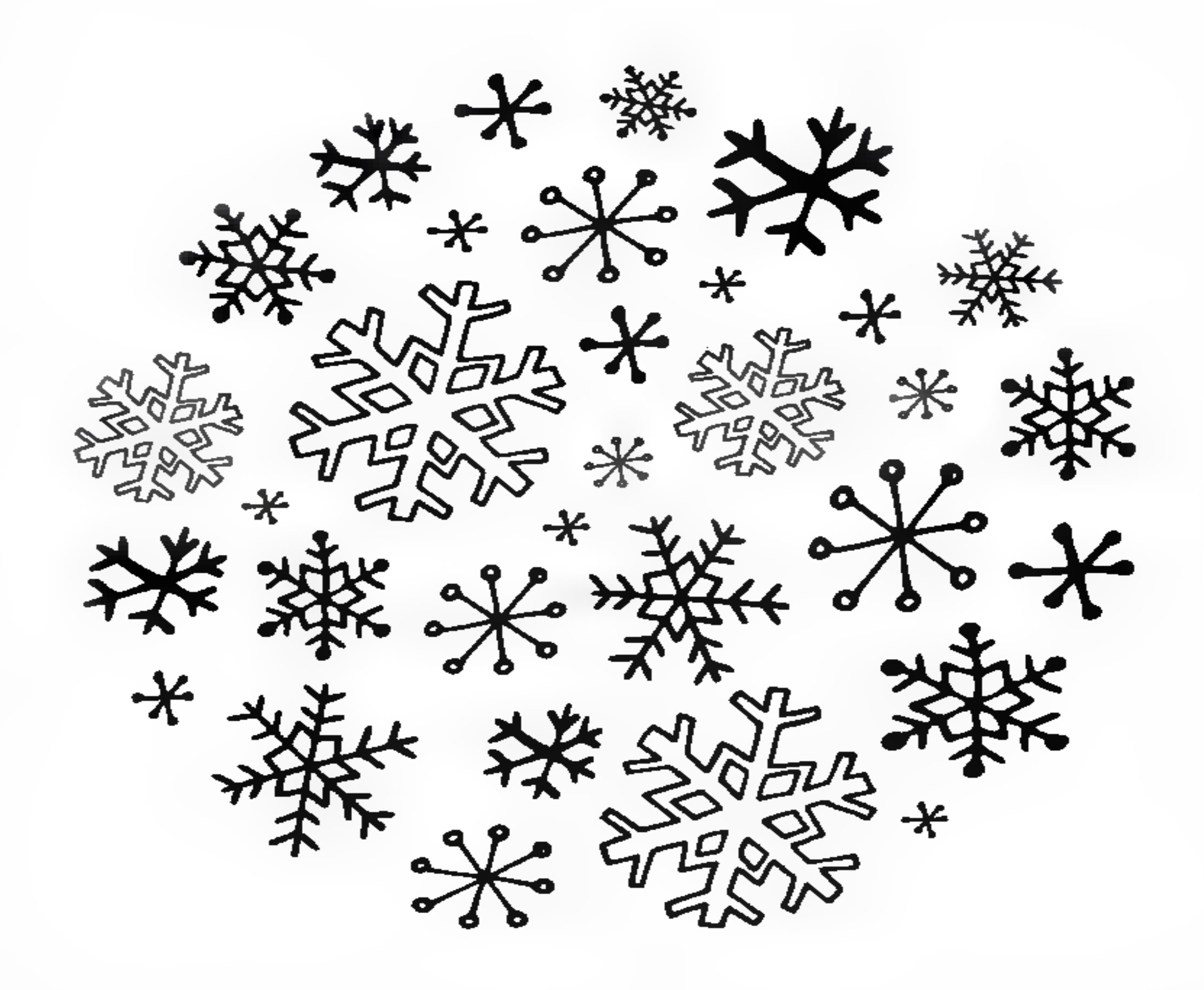
عزيزتي، لا أستطيع أن أخبرك".

بدا عليها السأم أكثر من الإهانة. لم يسبق أن عرفت من "تاراس" أي أخبار. قالت: "حسنًا، أنا مضطرة إذًا أن أقرأ الخبر في الصحف غدًا". "غدًا عطلة رسمية". "الإنترنت يعمل أيام العطلات أيضًا".

عندما انعطفا إلى الطريق المؤدي إلى المنزل الصيفي، كان "تاراس" ممتنًا للشرطي الشاب الذي ثبت السلاسل المقاومة للجليد. أصبحت المسارات التي تركوها عندما غادروا قبل ساعتين فقط بالكاد مرئية، وغرزت سيارتهم "السيتروين سي 8" في الثلج الذي سقط مؤخرًا والأملس كالمسحوق. سمعا صخب الحفلة المتصاعد من المنزل. لعل وزن النبيذ في معدة كل واحد من الجمع المبتهج زاد نصف لتر في المتوسط عما كان بعدما غادر "تاراس" و" ألينكا". عندما خرج "تاراس" من السيارة، فكر في أن الجو سيكون دافئًا على الأقل داخل المنزل وأن بمقدوره تجفيف جواربه، فهو لم يحضر معه جوارب إضافية.

انطلقت بعض الألعاب النارية من مكان قريب. نعم، هؤلاء الناس أزعجوه واستفزوه.

الفصل الخامس



الاثنين، 1 يناير

إنه صباح بارد. سقط مؤخرًا نحو ثلاثين سنتيمترًا من الثلوج. خرج "تاراس" إلى البلكون حيث تحدث هو و"بريلك" ليلة أمس ورأى أنه إذا ظلت درجات الحرارة منخفضة إلى هذا الحد، ستظل الثلوج ملساء كالمسحوق لفترة من الوقت. كان بإمكانه رؤية البحيرة من بين أفرع الأشجار، أو بالأحرى شعر بها قابعة خلف الضباب. إذا كانت الثلوج بهذا الكم الهائل هنا، فكم سقط منها إذًا أعلى الجبال، وفي

بلدية "راتيتشي"، وعلى هضبة "بوكليوكا" وفي منتجع "روجلا" للتزلج؟ لم يصدر أي صوت من بين الأشجار ولا عبر الضباب وتمنى أن يجد وقتًا كي يتحقق من ظروف الطقس على مسار "لويبي" لتزلج الضاحية بداية من "ريبتشف لاز" وحتى" بوهينيسكا بيستريتسا". هل حدد عمال الطرق مسار الطريق بالفعل صباح ليلة رأس السنة؟ تذكر الفتاة التي أخرجوها من الماء وشعر بالخجل، بل كاد أن يشعر بالذنب. عندما كان أصغر سنًا، كان يعتقد أنه بمرور الوقت، وعلى مر السنين، سيتغلب في النهاية على شعوره بالندم والذنب تجاه من يعدهم مرضاه، حسبما وصفتهم "ألينكا"، أو على الأقل سيتمكن من تخدير هذا الشعور، ولكنه ما زال موجودًا. استدار وفتح الباب بينما كانت "ألينكا" تنزل على الدرج. قالت: "ياه؟ هل خرجت بالفعل؟".

كانت لا تزال بالملابس نفسها التي ارتدتها ليلة أمس، وبغض النظر عن أنها ملابس تزلج، فهم لم يحضروا سواها في الواقع: جينز وقميص أبيض ضيق. تبدو "ألينكا" عمومًا أصغر سنًا من قريناتها، ولكنها بدت في سن المراهقة تقريبًا بحفلة الأمس وهي وسط النساء اللواتي يكبرنها بعشر سنوات ووضعن على وجوههن مكياجًا مفرطًا. يعد "تاراس" زوجًا سعيدًا من عدة أوجه.

أجاب عن سؤالها قائلًا: "إنني لم أتجاوز البلكون". "ألم يستيقظ أصحاب المنزل بعد؟". هز رأسه بالنفي. نظرت "ألينكا" في الساعة ثم أكملت قائلة: "حسنًا، لا تهتم، لا يمكننا

انتظارهم الآن. سنلتقي بالبنتين في غضون ساعتين أو أكثر قليلًا".

تناولا إفطارًا سريعًا، وحملا أغراضهما – المحفظة والتليفون المحمول ولا شيء سواهما – ثم خرجا إلى السيارة. شعر "تاراس " بالسعادة لأن "بريلك" لم يستيقظ وأسعده أكثر أنه لن يضطر إلى تبادل أطراف الحديث مع زوجته. ففي الصباح، وقبل تشغيل "الآلة" - كما يسمي جسده - يحب أن ينعم ببعض السلام، وبعد ما حدث ليلة أمس يحتاج لأن ينعم بالمزيد.

وجد قفل السيارة متجمدًا وبذل بعض الجهد كي يفتح الباب، خاصةً بعدما تجمد الإفريز المطاطي المحيط به والمثبت على الهيكل المعدني، وعندما سحب الباب، خرج الإفريز المطاطي من مكانه، وتدلى في الهواء مثل وتر قوس. حاول تثبيته على إطار الباب بالضغط عليه بشدة كي يعيده إلى مكانه مرة أخرى. قد يفلح ذلك في حرارة الصيف وليس في درجة حرارة تحت الصفر. استسلم وجلس في مقعد السائق، وأغلق الباب بحذر في محاولة لتثبيت الإفريز في مكانه ويملأ الفراغ جزئيًا.

قاد سيارته بعيدًا عن الرصيف، وبعد مائة متر أو نحو ذلك، توقف أمام كتلة ضخمة من الثلج. يبدو أن كاسحة الثلوج أزاحتها على جانبي الطريق الرئيسة، ولكنها حالت في الوقت نفسه دون الوصول إليه. خرج "تاراس" من السيارة ونظر إلى الكومة وركلها بغضب. ماذا عليه يفعل الآن؟ قاد السيارة

بحذر عائدًا من حيث أتى، محاولًا الحفاظ على مسار سيارته، وهي مهمة ليست هينة مع قشرة الثلج والجليد التي تراكمت على النافذة الخلفية. سأل "ألينكا": "هل لمحتِ مجرفة في أي مكان؟".

هزت رأسها بالنفي وقضيا بعض الوقت يحاولان العثور على واحدة فلم يجدا شيئًا في محيط المنزل. نظر" تاراس" إلى السقيفة الخشبية على الجانب البعيد من الفناء، ونظر إلى الثلج الغزير المتراكم بينها وبين المنزل، ثم إلى السيارة. تنهد وبدأ يمشي نحوها. وعندما وصل إليها كانت جواربه قد تبللت مرة أخرى كما وجدها مغلقة بقفل. ولأنه لا يريد أن يوقظ "بريلك"، لوح إلى "ألينكا" بإشارة تدل على أنه بحاجة لمفتاح. اختفت في المنزل ثم عادت في وقت لاحق ومعها مجموعة من المفاتيح. مشى عائدًا إليها متتبعًا مساره السابق. قالت وهي تناوله المفاتيح: "وجدتها معلقة على الجدار خلف الباب. تحقق من أن مفتاح قفل السقيفة واحد منها".

نظر إلى القفل ثم اختار ثلاثة مفاتيح محتملة وكان محظوظًا لأن القفل فُتح بأول مفتاح. جذب الباب للخارج وتمكن بالكاد من المرور، تحسس بيده الحائط ليعرف ما إذا كان بالسقيفة مفتاح إضاءة أم لا. فوجد مفتاحًا كبيرًا، من تلك المفاتيح الضخمة التي تحتاج إلى الإمساك بها بإصبعين كما يستلزم فتحها الضغط عليها بقوة. وجد ضوء المصباح خافتًا بشكل مدهش، كأن "بريلك" تأثر فعليًا بأسلوب الحياة

المحلي الذي يشتهر بالتقطير والبخل. أضاء المصباح مساحة صغيرة بالكاد، فرأى أن كل شيء مرتب بعناية؛ دراجتان على حاملين، وبعض الزلاجات، وزورق مطاطي مستندًا إلى الجدار الخلفي، وبعض أدوات من بينها مجرفة ثلوج، فحملها وسار مباشرة إلى الطريق. أعادت "ألينكا" المفاتيح لمكانها. لا تزال عائلة "بريلك" في سبات عميق.

ظل الجو باردًا داخل السيارة لأنه اضطر إلى القيادة ببطء فاستغرق محركها وقتًا طويلاً كي يسخن، وكذلك اضطر لأن يحافظ على تدفق الهواء داخل السيارة حتى لا يتراكم الضباب والثلج على الزجاج الأمامي. وجد مكيف الهواء مُعطّلًا، لذا كان لا بد أن يفتح النافذة قليلًا. لم ترتفع درجة حرارة السيارة بدرجة كافية كي يحتمل البرد داخلها وكي يتمكن من رؤية الطريق أمامه بشكل صحيح إلا بعد حوالي خمس عشرة دقيقة.

قالت "ألينكا" وهي تحاول إبقاء يديها دافئة تحت ذراعيها: "ألا تعتقد أن الوقت قد حان كي نحظى بشيء أفضل؟ يمكننا بالتأكيد تحمل تكلفته".

هز "تاراس" كتفيه ولوح بيده اليمنى فوق عجلة القيادة مبتسمًا. إذا استجوب أحدهم وأجاب عن سؤاله بالطريقة التي فعلها للتو، لكرر عليه السؤال: "أين كنت إذًا يوم الخميس بين الساعة الثانية عشرة ظهرًا والخامسة مساءً؟". أكملت "ألينكا" قائلة: "لماذا يبدو عليك التردد؟ ما الذي يقلقك؟". "لا شيء يقلقني". "لدينا المال وسنعيش مرة واحدة فقط.

لقد كبرنا ومررنا بما يكفي وحان الوقت لنُمَتِّع أنفسنا الآن".
"سنذهب للتزلج في النمسا في غضون أسبوع واحد فقط".
"هل سنفعل فعلًا؟ حتى الآن، دائمًا ما يظهر عائق فجأة".
"هذه المرة سنذهب، مهما حدث".

سحبت يديها من تحت ذراعيها وحاولت تدفئتهما بالنفخ فيهما، ثم قالت: "نحن نتبرع بالمال لهيئة "اليونيسيف" كي ترعى طفلًا فقيرًا في هذا البلد وآخر في إفريقيا، ثم نجد أنفسنا نقود سيارة بهذا الإفريز المطاطي المتدلي من إطار الباب، وبهذا المحرك، أو أيًا كان ما يعوقنا عن السير. والآن نسمع "تكتكتك تكتكتك" ثم لا شيء وبعدها "تكتكتك تكتكتك" فقط.. ما هذا؟". "إنه الدِبريَاج، على ما أظن. سوف آخذه إلى جراج صيانة السيارات". "ستفعل، نعم.. آمل أن تفعل هذا العام، وليس القادم". "لكن هذا العام قد بدأ لتوه". لم تضحك. قالت: "إن عيادتي تبيض ذهبًا يا "تاراس"، وستظل كذلك دومًا، لأن الناس ستظل تنجب أطفالًا. أحاول أن أتقاضى الحد الأدنى من الأجر، لكنه ما زال أكثر منِ المَفْرُوضِ أو المَطْلُوب. فلماذا لا يمكننا أن نمتع أنفسنا كلما استطعنا؟". "هل سبق لكِ أن جلستِ في سيارة جديدة، فارهة، باهظة الثمن؟".

لفت "ألينكا" حدقتي عينيها في حركة دائرية مثلما اعتادت كل من "آنيا" و"مويتسا" أن تفعلا وهما في ذروة مرحلة المراهقة. لقد تعلمتا هذه الحركة منها رغم أنها كانت أكثر من يثور عليهما كلما فعلت إحداهما ذلك قائلة: "لا تلفي حدقتيك

نحوي، أيتها الشقية". هكذا كانت "ألينكا" تتذمر إلى أن يتدخل "تاراس" ويحسم الجدل الدائر بينهما. أجابته قائلة: "لطالما كنت أجلس في سيارات فارهة وباهظة الثمن حتى التقيت بك فأجلستني في سيارة كبيرة وقديمة ورخيصة". "آسف، دائمًا أنسى ذلك".

ركب "تاراس" سيارة مثل تلك التي تتحدث عنها مرة واحدة فقط في حياته، فقد جلبت له جرائم القتل التي ارتكبت على ممشى "بيتاتشيف جرابن" للتسلق شهرة إعلامية عابرة، وقد اتصلت به مجلة إعلانات عن السيارات و..

قالت: "نعم، أعرف. إنهم منحوك سيارة "مرسيدس بينز" أو أيًا كان نوعها. تلك السيارة التي تشبه البارجة". "نعم، منحوني مرسيدس "فئة إس" لمدة ثلاثة أيام فقط، حتى يتسنى لي كتابة شيء عنها". ابتسم وتروى قليلًا وكأنه تردد في أن يخبرها برأيه أم لا. قالت: "إنهم منحوها بالتأكيد للشخص المناسب". "بالضبط. سيارة ذات أبواب تُغلق تلقائيًا بلمسة إصبع، وحزام أمان ذاتي التثبيت، كل شيء بها يعمل، فهذا يساعد في ذاك، وذاك يساعد في.. إنها سيارة لطيفة للمعوقين، المعوقين الأغنياء. هذا ما فكرت فيه عندما جلست فيها أول مرة، بل إنني شعرت بالخجل وأنا أتجول بها في أرجاء المدينة. وبحلول اليوم الثالث شعرت بأنها أصبحت ملكي، وأنني ربحتها، رغم أنني أرى أنها مجرد هراء". "لكنها لم تكن ملكك". "أعلم، ورغم ذلك ما زلت أشعر أنني أستحقها

لأنني كنت الأحسن، والأذكى، والأطيب قلبًا، وأعرف أكثر من الآخرين. إنني أتذكر وجهي عندما انعكس على زجاج واجهة أحد المتاجر حيث أوقفتها". "ثم؟". "رأيت ذاك التعبير الأبله مرسومًا على وجهي. إنه.. لا أعرف كيف أشرح، ذاك التعبير الذي يتماشى مع امتلاك السيارات باهظة الثمن". لفت "ألينكا" حدقتي عينيها في حركة دائرية مرة أخرى. قال: "أعتقد أن هذا التعبير الأبله هو سلوك تلقائي لا يمكن لصاحب سيارة من هذ النوع أن يتجنبه. إنه يعبر عن السيطرة وامتلاك زمام الأمور". "إذا كان الأمر كذلك لماذا لم تصلح الدبرياج؟". كان عليه أن يعترف بأن هذا لا يعد عذرًا كافيًا في الحقيقة. قال: "ظللت أتذكر هذا التعبير الأبله الغبي على مدار سنوات، كلما ضربت أخماسًا في أسداسًا، أو كلما حلمت بعطلة لم أقم بها من قبل، وأريد أن أنسى كل ذلك الآن. أشعر أحيانًا أننا أهدرنا خمسة عشر عامًا من حياتنا. تلك السنوات التي تقع بين سن الخامسة والعشرين والأربعين. هذه السيارة اللعينة تذكرني بذلك".

وصلوا إلى المكان الذي سدته سيارة الشرطة ليلة أمس. لم يكن من الصعب رصد الموضع الوحيد على الطريق الذي يؤدي إلى "بليد"، حيث تتفرع العديد من المسارات من الطريق إلى النهر. سألته: "هل يمكنك أن تخبرني بأكثر مما قلته للناس بالأمس؟".

***

عندما عادا ليلة أمس إلى منزل "بريلك" قبل منتصف الليل

بنصف ساعة ودخلوا المنزل وسط تهليلات صاخبة من أناس قابلهم من ساعة واحدة فقط، والآن وجدهم يتصرفون وكأنهم يعرفونه منذ زمن بعيد. بالطبع كانوا سكارى. لا بد أنهم شربوا أكثر من نصف لتر منذ تركاهم، وكونهم أطباء لا يعني أنهم شربوا أقل من ذلك.

صاح "بريلك": "هُش، الصمت يا سادة، دعونا نستمع إلى ما سيقوله!".

وعندما صمتوا جميعًا، حاول "بريلك" أن يناول "تاراس" كأس نبيذ، كأنه نسي أنه لا يشرب ثم قال: "حسنًا، يا "تاراس"، لا تخيب رجاءنا. فما قيل عن الحادث في البرنامج التليفزيوني مجرد هراء".

ضحكوا جميعًا. ربما ما جاء في البرنامج التليفزيوني مجرد هراء، ولكن ليس هناك تليفزيون بالمنزل الصيفي الذي يملكه "بريلك" أو على الأقل بالغرفة الواسعة حيث كان الحفل على قدم وساق. قال "تاراس": "أخشى أن ما سأقوله مجرد هراء أيضًا. لا شيء يمكن أن أقوله سوى أننا وجدنا جثة امرأة ميتة في النهر. لماذا ماتت ومن تكون.. لا أعرف، وحتى لو أعرف فلا يجوز لي أن أخبركم". قالت "ألينكا" التي بدت عليها خيبة أمل كبيرة: "إنه لم يخبرني أنها امرأة إلا بعد استجواب استمر نصف ساعة".

على الرغم من ذلك، ظلوا يسألونه مرارًا وتكرارًا، كأن بوسعه أن يخبر كل شخص على انفراد بمعلومات تزيد عما

قاله أمام الجميع. استمر هذا حتى الساعة الرابعة أو الرابعة والنصف صباحًا عندما تفرقوا جميعًا عائدين إلى منازلهم الصيفية القريبة التي يمتلكونها.

"لم تغرق". هكذا كررت "ألينكا" لاحقًا وهما مستلقيان على السرير القابل للطي الذي شغل تقريبًا كل غرفة الضيوف بالطابق الأول. كررت الجملة نفسها مرة أخرى بعد بضع ساعات وهما يقودان سيارتهما من" بوهينيسكا بيستريتسا" باتجاه "بليد".

قام "تاراس" بتحويل محطة الراديو إلى "راديو 3"، الذي يبث الحفل الموسيقي على وتر الصول "xth" في سلم ""yz الصغير. لفت "ألينكا" حدقتي عينيها في حركة دائرية وقالت: "اللعنة على الموسيقى الكلاسيكية، أولًا أمي وشغفها بالبيانو، والآن أنت".

أزيحت الثلوج من على الطريق السريع بالكامل تقريبًا وانعطف "تاراس" إلى أول محطة بنزين كي يخلع السلاسل المقاومة للجليد. واجه مشكلة في خلعها لأن من الواضح أن الشرطي الشاب أراد القيام بعمل متقن فثبتهم بشدة. نَمِلَت أصابعه بالفعل بسبب الصقيع مع رفعه لأول سلسلة. دعك يديه كي يدفئهما، نظر إلى محطة البنزين ثم سب ولعن بصوت عالٍ. إذا كان هناك شيء يكرهه عند ذهابه للتسلق، فهو ذاك الشعور بالتنميل في أصابعه من شدة الصقيع، هذا غير الاستيقاظ مبكرًا للذهاب للرحلة. استغرق وقتًا طويلًا جدًا حتى شعر بالدفء يدب في أصابعه مرة أخرى. وبمجرد

أن تمكن من خلع السلسلة الثانية، أنزلت "ألينكا" زجاج النافذة ولوحت له بالتليفون. إنه "مارن"، الفني الجنائي، وواحد من فريق عمل "تاراس" الموسع. ماذا يريد "مارن" الآن؟ فكر للحظة ألا يرد على المكالمة. لم يكن تليفونه متاحًا كما أنهم يعلمون أنه لن يكون في "ليوبليانا".. تنهد وضغط على زر التليفون الأخضر. قال "مارن": "تاراس"، عام جديد سعيد مع أطيب تمنياتي. هل يجب أن أبدأ بدونك؟". "تبدأ ماذا؟". "التعامل مع ما وصل اليوم.. انتظر.. وصل الساعة الرابعة صباحًا إلى طب التشريح الجنائي، يبدو أنك أرسلت الطرد؟". "أنا؟ ماذا أرسلت؟". اكتسب صوت "مارن" نبرة تنم عن تعب كأن حديثه مع "تاراس" استنفد بهجته. قال "مارن" ببطء: "تقرير استلام الأدلة يشمل..". بدا أنه يبحث في الصفحة عن الجملة الصحيحة، وأكمل قائلًا: ".. جثة لأنثى بدون رأس. ويُذكر هنا أن ضابط البحث الجنائي المسؤول عن القضية يدعى "تاراس بيرسا". كم عدد الذين يحملون اسم "تاراس بيرسا" في سلوفينيا؟".

الفصل السادس



كان هناك رجل بقاعة استقبال مبنى كلية الطب حيث يقع معهد طب التشريح الجنائي بطابقها الثالث، اضطر للعمل في رأس السنة الجديدة. ومع شعور فاتر بالتعاطف نحو رجل آخر في موقفه نفسه، طرق "تاراس" زجاج نافذة مكتب الخدمة المغلقة حيث جلس الآخر خلفه يتحدث في التليفون وهو يدير ظهره إلى طاولة الاستقبال، وإلى أي زُوّار محتملين، وعلى الأرجح لم يتوقع زيارات في رأس السنة الجديدة. عندما استدار بمقعده قليلًا، تبين "تاراس" أنه قد يكون طالبًا يقوم بهذا العمل المعتاد بدلًا من الحارس المتغيب. أشار الشاب إلى التليفون في يده وابتسم بعد ذلك مباشرة، ولكن ابتسامته لم تكن موجهة لـ"تاراس" بل للتليفون، أو بالأحرى للشخص الذي على الطرف الآخر. ثم أدار ظهره نحو "تاراس" مرة أخرى. خطا "تاراس" عبر الباب وأخذ تليفون الرجل بهدوء وحذر، ولكن بِالْقَسر أيضًا. لم يعد التعبير المرسوم على وجهه "تاراس" لطيفًا.

قال: "البروفيسور "تشفيلاك"؟ أين أجده؟". حدق الطالب في "تاراس" بدهشة وبدا عاجزًا عن التصرف. ومن نظرة عينيه أدرك "تاراس" بعضًا من تحدي المراهقين، ولكنه لم يكن بارعًا جدًا في التعامل معهم، حتى مع بنتيه، ناهيك مع شخص بالغ من حيث المظهر.

سأله "تاراس": "تشفيلاك".. فوق؟ تحت؟". "تحت..". جاء رد الطالب أو أيًا كان في الوقت المناسب وهذا أنقذه دون قصد من.. أيًا كان. قال "تاراس": "شكرًا لك".

استدار "تاراس" ونزل إلى البدروم الذي لم يكن بدرومًا بالمعنى المعروف، ولكنه طابق أرضي يحتوي على ثلاجات كبيرة وضعت على جانب واحد من الممر، بعضها ثابت وبعضها متحرك، كما يوجد به نوع آخر من الثلاجات عبارة عن صندوق أسود كبير، ومجرد النظر إليه في حد ذاته شيء مروع، فهو يستخدم لحفظ "البضائع السائبة"، وهو الاسم الذي أطلقوه على أشلاء الجثث بعد الحوادث الخطيرة والانفجارات وما إلى ذلك. تُفتح الثلاجة من أحد الجوانب كي تدخل الشاحنة؛ ويتم تسليم الجثث في شاحنات صغيرة زرقاء داكنة، ويتصل الجانب الآخر أو بالأحرى يتقاطع مع ممر توجد خلفه مساحة أخرى كئيبة للغاية، إنها المشرحة. لاحظ "تاراس" وجود قلة قليلة من الناس تقف في الممر الواقع بين الثلاجة والمشرحة وعندما اقترب أكثر رأى رجلين يدخنان بالخارج، من بينهم تعرف على الدكتور "تشفيلاك"، رئيس المعهد، و"شباروفيك"، وهو أيضًا من المعهد، ومعهما

رجل أصغر سنًا وهو مصور الأشعة السينية من المركز الطبي الجامعي، إلا أنه لم يتذكر اسمه. كانت هناك امرأة ذات شعر أحمر والمصور والسكرتيرة "مايدا"، وكذلك رجل شاب لم يتعرف عليه.. من الوهلة الأولى، حتى المراقب الأقل خبرة سيعرف أنهم فريق التشريح ويبدو أنهم ينتظرون شخصًا ما. ظل "تشفيلاك" يتحرك في مكانه بعصبية. قال "تاراس": "صباح الخير. ماذا لديكم اليوم؟".

ظلوا جميعًا صامتين تحرك "تشفيلاك" ثانية.. في تلك اللحظة فُتح باب المشرحة وخرج "مارن" وهو يدفع أمامه عربة الترولّي بمعداتها. هز رأسه تحية لـ"تاراس" وقال: "حسنًا، لقد انتهينا منها. إنها لك الآن".

لمح "تاراس" طاولة خلف "مارن" ممدد عليها جسد، جسد أنثوي عارٍ، تميل قدماه نحوه. وهناك تجويف غير طبيعي في الجزء العلوي حيث يجب أن يكون الرأس. رغم أن باب غرفة التشريح فُتح لبضع ثوانٍ فقط، إلا أن رائحة اللحم المتعفن فاحت من الغرفة. قال "تشفيلاك": "بحق الجحيم، أين كنت يا "تاراس". وقبل أن يجد "تاراس" فرصة ليسأله عما يقصده بعبارة "بحق الجحيم"، وجه الشاب المجاور كلامه لـ"تشفيلاك" قائلًا: "أعترف أنني جديد نسبيًا هنا.. وأعرف أنني أحتاج إلى التعود على أن النظرية شيء والتطبيق شيء آخر وأن أعمل على هذا الأساس، ولكن ألم نتجاوز الحدود هنا؟ ولا فارق إذا كنا في رأس السنة جديدة أم لا؟".

لم يبد ثملًا ولا بد أنه استجمع بعض الشجاعة ليخطو

خطوته الأولى كعَالِم جريمة خبير ويقول هذا الكلام أمام هذا الجمع. ربما كان مجرد أحمق غير أنه لم يبد كذلك. سأل "تاراس" وهو ينظر بهدوء في عيني الرجل مباشرة: "وهل تجاوزت أنت أيضًا؟".

ارتبك الرجل، فتلفت حوله، ولم يغثه أحد منهم. لقد تم استدعاؤهم جميعًا فجأة مثلما حدث مع "تاراس"، وكل ما وجده الرجل الشاب مجرد جملة براقة تقول: قم بتسوية هذا الأمر حتى ننتهي منه ونخرج من هنا. استجمع قواه في النهاية وقال: "أنا "مريان دوليس" قاضي التحقيق في هذه القضية، ويجب أن أقول، ولست أستعرض ذكائي هنا.. إن شيئًا كهذا ما كان ينبغي أن يحدث..".

لم يكن "تاراس" يعرف الرجل، لكنه بالطبع عرفه بعد جملته الأولى وحتى قبل ذلك. يشترط القانون أن يكون موجودًا قاضي تحقيقات في مسرح الجرائم التي تعامل معها وكان ملزمًا بالتعاون معهم لأنهم المسؤولون من الناحية النظرية عن إجراءات العملية برمتها، وعن التفتيش والتحقيقات، بل ومن المفترض أن يوجهوا مسار التحقيق، رغم أن كل ذلك اقتصر في معظم الأحيان على متابعة عمل خبراء الجريمة وطب التشريح. عندما يكونون في مسرح الجريمة، فإن التفتيش من الناحية القانونية والرسمية لا يكون محل تشكيك من قبل المحكمة. لقد نجح هذا الأمر بشكل عام، ما دام قضاة التحقيق ليسوا من الشبان المغرورين الذين ينفذون مهامهم الوظيفية تنفيذًا حرفيًا محضًا ولا يفعلون

أي شيء سوى التدخل فحسب، لذلك، وكما قال "برايك" ذات مرة، لا بد من إزاحتهم من الطريق. قال "تاراس": "اسمع، إنه الأول من يناير، كنت أنوي الذهاب في نزهة حول المدينة مع ابنتيّ اللتين نادرًا ما أراهما وسأفعل ذلك. ليس لَدَيّ الكثير من الوقت. هل تتكرم وتخبرني بإيجاز عن هذه المسألة، وإلا سأرحل؟". أخرج تليفونه من جيبه ونظر إلى شاشته وأكمل قائلًا: "لقد تأخرت بالفعل في الحقيقة". صاح قاضي التحقيق الشاب وقد احمر وجهه غضبًا قائلًا: "ألست المفتش المختص بالجثة التي هناك؟". حدق الجميع، من "تشفيلاك" وحتى السكرتيرة، في الأرض. قال "تاراس": "لا". "ولكن كيف؟".

كرر "كيف" مرة أخرى ونظر إلى الجميع فوجدهم ما زالوا يحدقون في الأرض والجدران. ويمكن لـ"تاراس" أن يرى من لا مبالاتهم الواضحة، أنهم لم يصدقوه.

قال "تاراس": "حسنًا، كنت في إجازة أمس، وفي طريق عودتي من رحلة تزلج في جبل "فوجيل"، صادفت سيارة دورية الشرطة، ثم وجدت طالبين يحملان نجمة بيضاء على أكتافهما، وقد عثروا على هذه المرأة، فقمت بمساعدتهم. هذا كل ما حدث". قال "دوليس": "كيف؟ ألم تأمر بإخراج الجثة من النهر، وقمت باستجواب الشاهدة التي عثرت على الجثة، وأمرت بإعادتها إلى المنزل، اسمك وارد بالمحضر.. أليس كل هذا كافيًا لنفهم أنك المسؤول عن القضية؟ عندما وصلنا إلى هناك وجدنا المنطقة لم يتم تأمينها كما يجب.. ولم نجد حتى خبراء طب التشريح وقالوا لنا من المفترض

أنها ماتت غرقًا. لم يخبرنا أحد أن المرأة بلا رأس!". "ألم يخبروك؟". تنهد "تاراس" وابتسم. إذا أراد يومًا أن يتخلص من أحد ويقتله، فسيفعل ذلك في ليلة رأس السنة الجديدة. قال: "يبدو أن في الأمر التباس. لا أعرف كيف حدث ذلك. باختصار؛ كنت أقود سيارتي عائدًا من رحلة تزلج على جبل "فوجيل"، فوجدت سيارة شرطة تسد الطريق، ووجدت ضابطين يتعاملان مع جثة في الماء، فقمت بمساعدتهما في سحب الجثة من النهر وتسوية الإجراءات قدر الإمكان، وهذا كل ما حدث. على أية حال، فإن مديرية شرطة "كراني" هي المسؤولة عن الحوادث في بلدية "بوهيني"، وليس نحن". أومأ "تشفيلاك". أشار "تاراس" إلى الباب المؤدي إلى المشرحة خلف قاضي التحقيق وقال:

"إنني أجريت بالفعل مقابلة مع المحظوظة التي وجدت الجثة وطلبت من الشرطيين أن يصحباها إلى منزلها، بل إنني وزوجتي أوصلناها بسيارتنا إلى هناك.. هذا كل شيء. هذه ليست قضيتي. علاوة على أنني أخبرت الناس في "كراني" بصوت عالٍ وبوضوح أن الفتاة لم تمت موتًا طبيعيًا، ولذلك أرسلوها هنا".

لم يذكر بالطبع أنه فعل هذا مقابل قيام الشرطي بتثبيت السلاسل المقاومة للجليد على إطارات سيارته. كان هناك صمت محرج، ثم نظر الجميع إلى قاضي التحقيق الذي أصبح وجهه الآن أكثر احمرارًا من ذي قبل، والذي قال: "لكن كيف؟ كيف؟ عندما اتصلوا بنا أخبرونا أن المحقق الجنائي

كان بالفعل في مكان الحادث وأن مديرية شرطة ليوبليانا قد تولت القضية. لهذا ذهبنا إلى هناك مع طبيب التشريح. وجدنا شرطيين قالا لنا إن المحقق الجنائي قام بكل هذا ثم غادر". "هل هذا ما قالاه؟". "حسنًا.. لقد كنت هناك إذًا". تدخل "تشفيلاك" قائلًا: "اسمحا لي". استدار الجميع نحوه بما فيهم "تاراس". فأكمل "تشفيلاك" قائلًا: "بين أيدينا هنا جسد غَضّ بشكل مدهش بالنظر للمدة التي قضاها في الماء والتي أقدرها ارتجالًا بما يزيد عن أسبوع، ومع ذلك لم يتعفن. والأسوأ من ذلك، أن العالم سوف يستيقظ صباح الغد ويدرك أن الشرطة ومعهد الطب التشريح الجنائي ومعهد طب التشريح بدأوا عامهم الجديد بفشل ذريع، لذا أقترح أن نبدأ أولًا في أداء عملنا كأننا اتفقنا بالفعل ورتبنا كل شيء بالشكل الصحيح، وبعدها تجلسان معًا في مكان ما وتسويان كل شيء. لم يتبق لي سوى بضعة أشهر على التقاعد، ولا يمكنهم المساس بي، لكن ما زال أمامكما الكثير حتى تتقاعدا".

نظر إلى "دوليس" الذي تحول وجه إلى اللون الأحمر الصارخ مرة أخرى. انتظر "تاراس" بضع لحظات، ثم هز رأسه وقال: "هذه ليست قضيتي يا "تشفيلاك" إذا توليتها الآن، فلن أجد طريقة لأنفض يدي منها، وهذا ما لا أريده". فوجئ "تشفيلاك" برد "تاراس" فسأله: "ولماذا لا تريده؟". هز "تاراس" رأسه وقال: "لا أريده فحسب". ماذا عساه أن يقول؟ إنه وعد "ألينكا" بالتزلج لمدة أسبوع في النمسا ولطالما كان قادرًا على إيجاد الحجج كي لا يذهب. وإذا أحيلت قضية

هذه المرأة إليه، فلن تصدق "ألينكا" أبدًا أن القضية فرضت عليه. قال "تشفيلاك": "ألا يمكنك أن تأتي معنا في الحال حتى لا نضيع رأس السنة بأكملها في انتظار أن يجدوا شخصًا يوقع على التقرير اللعين؟ ترفق بنا قليلًا!".

أشار بيده إلى كل من تجمعوا حوله وحدق لا شعوريًا في صف الوجوه المتجهمة.

تنهد وأخرج تليفونه من جيبه ومشى مارًا بالثلاجة إلى الباب الزجاجي الذي يُفتح تلقائيًا وخرج. أومأ إلى الرجلين اللذين يدخنان هناك وتحقق من وجود شبكة على تليفونه. عندما عاد، كان الفريق لا يزال يقف خارج المشرحة. مد "تاراس" يده ليصافح "دوليس" وهو يقول: "أنا "تاراس بيرسا"، كبير المفتشين في مديرية شرطة ليوبليانا.. عندما أكون في الخدمة". صافحه "دوليس" وهز يده بامتنان، ثم ابتسم وقال: "لا أدري، يبدو أنني أفسدت الأمور هنا.. رغم أننا تلقينا بالفعل رسالة من "كراني" مفادها أن المفتش الجنائي كان هناك وأنه يجب علينا تولي المسؤولية لأنهم مشغولون بحوادث الطرق.. ومن ثم ابتلينا بهذا الجسد". بعد ساعة، جلس "تاراس" و"تشفيلاك" بمكتب الأخير في الطابق الثالث بكلية الطب، يشربان القهوة من آلة بيع المشروبات الساخنة. قال "تشفيلاك" الذي بدا عليه التعب: "هل تعرف يا "تاراس" أن رجلًا في سني لا يقوى على تحمل هذا القرف؟". "لهذا السبب أنت على وشك التقاعد، أليس كذلك؟". بدا على وجه "تشفيلاك" الامتعاض وقال: "كنت أتوقع منك أن تقول شيئًا

من قبيل: لا أحد يكبر في السن لدرجة تستدعي التقاعد".

نظر إلى "تاراس" ثم حول عينيه ونظر من نافذة الطابق الثالث لكلية الطب وقال: "لا، ليس لهذا السبب في الحقيقة. على مدار سنوات.. ولفترة من الوقت يبدو الأمر وكأنك ستتأقلم. تبدأ وأنت غير مستعد حقيقة لبعض الأشياء. إنهم يصدمونك وتشعر شعورًا مروعًا. ثم يصبح الأمر أقل فظاعة في كل مرة لأنك شاهدته بالفعل من قبل. تغسل يديك، وتغلق المكتب وتعود إلى المنزل، وتقول لنفسك.. الآن سأحصل على شيء لآكله، وأشرب كأسًا من النبيذ وأضاجع زوجتي في المساء.. دونما انزعاج من أنك انتهيت لتوك من تقطيع جسد فتاة تبلغ من العمر عشرين عامًا من الرقبة وحتى المفصل الغضروفي الذي يصل بين الشعبتين العلويتين لعظمتي العانة اليمنى واليسرى، إلى منطقة الأُربيّة التي تجمع أسفل البطن والفخذ العلوي، ثم تجد نفسك تعمل بشكل آلي، أو على الأقل تعتقد ذلك. أرأيت ذلك اليوم؟ فرج حليق حديثًا، ذهبت الفتاة إلى مكان ما لتمارس الجنس، فقام شخص ما بقطع رأسها.. بحق الجحيم!". فتح درج بمكتبه وسحب منه زجاجة. "هل تمانع؟". "لا". أمسك "تشفيلاك" الزجاجة ورفعها أمام عينيه وقال: "ويسكي أيرلندي، من المفترض أنه الأفضل، وأخف قليلًا من "الاسكتلندي". "أعرفه، يُصنع في مدينة "بوشميلز". زرت معمل التقطير مع "ألينكا" قبل عامين أو ثلاثة".

أخذتهم تلك الجولة التي يقودها مرشد إلى الساحل أولًا، ثم إلى شبه الجزيرة حتى "ممر العمالقة"، المكون من

أعمدة البازلت المتداخلة المثمنة الأضلاع الشهيرة، ثم إلى معمل التقطير حيث حكوا لهم عن أسطورة "حصة الملاك" حيث تشرب الملائكة من الويسكي الذي يتبخر في أثناء التعتيق كما تقول الأسطورة. بعد الجولة قاموا بشراء لتر من الكوكتيل الخاص بالمنطقة الذي يحمل علامة تجارية لونها أسود، رغم أن "تاراس" يعلم أنه لن يجربه مجرد تجربة. من المؤسف أنهم لا يعطون فرصة لأنفسهم لكي يستمتعوا. قال "تشفيلاك": "يدمن الكثير من أطباء التشريح على الكحول. هل تعرف "بريزنيك"؟". أومأ "تاراس" برأسه. أكمل "تشفيلاك" قائلًا: "اعتاد "بريزنيك" وضع مشروباته الكحولية في الثلاجة مع الجثث لتبريدها، ثم يشربها ويوزعها وهو يقول: "هل تريد جرعة معتقة؟ يا له من رجل مزعج! مات منذ فترة طويلة، انتصرت عليه جرعاته المعتقة. أنا لم أمت لأنني لم أشرب أبدًا في أثناء العمل، ولا أتناول مَشْرُوبات كُحُولِيّة قبل الثامنة في المنزل. لولا هذه القواعد لأصبحت مدمنًا. أهداني أحدهم هذه الزجاجة في عيد ميلادي الخمسين، والآن أبلغ من العمر خمسة وستين عامًا ولم أفتحها بعد. لطالما قلت إنني سأفتحها في مناسبة خاصة أو في..". نزع غطاء الزجاجة وقال: "حسنًا، تبقى لي ستة أشهر على التقاعد. بالتأكيد لن أصبح مدمنًا للكحول خلال هذه الأشهر الست، لذلك.. إلى جانب ذلك، هناك مناسبة خاصة هنا طوال الوقت، ولكنني لم أحتفل بها أبدًا. أنا حي، وهي ميتة. لا أحد من زبائني حي. رحمكم الله جميعًا.. ارقدوا بسلام، كأنها ليست مناسبة خاصة بما يكفي.. حسنًا، ليس لدي أي كؤوس". احتسى جرعة كبيرة

من الزجاجة وقال: "أما زلت لا تشرب؟". هز "تاراس" رأسه بالنفي، "هل ما زال يضرك؟". "أضرني عندما شربت آخر مرة". رمقه "تشفيلاك" بنظرة فضوليّة. أكمل "تاراس" قائلًا: "كانت منذ خمس سنوات مضت، كأس واحدة". "ألا تريد أن تحاول مرة أخرى الآن؟ لعلك تجاوزت ذلك". "لم يكن الأمر لطيفًا آخر مرة. المسافة إلى متجر "A&E" للخمور ليست بعيدة بالطبع، كما أن الشراب لن يمتعني ورأسي مشغول بكل هذا. أنا لست معتادًا عليه".

أمال "تشفيلاك" الزجاجة مرة أخرى، وأخذ رشفة، ولعق شفتيه ثم وضع الزجاجة على الطاولة. سأله: "ولكن هل يمكنك ذلك إن استطعت؟". "أتقصد إذا استطاعت معدتي أن تتقبله أم إذا لم يكن ضارًا بشكل عام؟". "كلاهما". "سأظل ثملًا طيلة الوقت". ضحك "تشفيلاك"، ونظر إلى الزجاجة، وثبت غطاءها على الفوهة وأعادها إلى الدرج وقال: "لا، لن يحدث لك هذا يا "تاراس"، ليس أنت.. خمسة عشر عامًا في انتظار هذا؟ هيا..". جلسا صامتين لبضع لحظات، وسأله "تشفيلاك" وهو يعبث في شعره الأشيب: "ماذا وجدت عوضًا عن الشراب؟". "ماذا يجب أن أجد؟". "لا بد أنك وجدت شيئًا. لا أحد يستطيع أن يتعامل مع هذه الحياة على ما هي عليه. هل سبق لك أن دخنت؟ مثل الصبيان؟". "أنت ثاني شخص يسألني هذا السؤال في غضون يومين. لا، أنا لا أدخن". "ثم ماذا؟". "لا شيء". هز "تشفيلاك" رأسه متشككًا. تشكك تام.

قال "تاراس": "حسنًا، أنا أذهب للجري وأتردد على الصالة

الرياضية وأشياء من هذا القبيل". "وهل يساعدك ذلك؟". هز "تاراس" كتفيه. سأله "تشفيلاك": "هل تعبث؟". "أعبث.. مع من؟". "مع النساء". ضحك "تاراس". هز "تشفيلاك" رأسه، وفتح الدرج وأخرج الزجاجة مرة أخرى وقام بنزع غطائها، ثم قال: "لم تكن ثرثارًا أبدًا. لقد راقبتك طوال هذه السنوات. أستطيع أن أتبين ما يزعجك، أنا لست مجنونًا ولست من ليوبليانا أيضًا". "ما علاقة هذا بذاك؟ ما الذي جعلك تقول ذلك؟". ابتسم "تشفيلاك" وقال: "أنت تعمل وتحاول أن تجاري الجميع ممن يذهبون دومًا إلى منزل عطلات جبلي في "ترينتا" تملكه أمهاتهم، أو منزل عطلات على شواطئ مدينة "بورتوروج" يملكه آباؤهم. أنت تكد وتكدح، وتتحمل كل هذه الحثالة البشرية، ولا تمتلك أي شيء بينما يذهبون جميعًا للتزلج في النمسا. لا تقل إن كل ذلك لا يثير غضبك". قال "تاراس": "حسنًا، إنني أمتلك كل شيء الآن. وفي غضون أسبوع، سأذهب أنا و"ألينكا" في عطلة تزلج. خمن أين؟". "لكن الضرر وقع بالفعل، أليس كذلك؟". "في منتجع "باد كلاينك..".

كان عليه أن يعيد مقطع "كلاينك" حتى يستكمل نطق كلمة "كلاينكيرتشهايم".

أكمل "تاراس" قائلًا: "كلاينكيرتشهايم".. في شقة يبلغ إيجارها ثمانمائة يورو في اليوم، مع جاكوزي وإطلالة على منحدر التزلج". "أنت أدرى". ابتسم "تاراس". ماذا كان من المفترض أن يقول؟ أنه كان محقًا؟ أم أنه ليس محقًا؟ أم

أنه كان سيغضب حتى بدون العشرين عامًا التي وصفها "تشفيلاك"؟

قال "تاراس" أخيرًا: "ليس الأمر كذلك". "أنا أقول لك هذا لأنني أعدّك صديقًا، حتى لو لم نلتقِ في الأغلب إلا فيما ندر.. لقد كنت دائمًا هادئًا، وأعتذر إذا كنت ضايقتك". "الناس تتغير". تمتم "تشفيلاك" وهو يحاول أن يبتلع شرابه ويقاطعه في الوقت نفسه قائلًا: "لا، نحن لا نتغير". شَرق واضطر أن يسعل ثم أكمل قائلًا: "نحن لا نتغير، بل نصبح أكثر غضبًا فحسب". وضع الزجاجة على الطاولة ونظر في عيني "تاراس". "ماذا لدينا هذه المرة، يا "تاراس"؟". قال "تاراس" وهو يهز رأسه: "إنها ليست قضيتي. حتى لو أردت أن أتولى التحقيق فيها، فلن تكون لي أبدًا. غدًا عندما يستيقظون بعد انقضاء حفلات رأس السنة، ستتولى المديرية العامة زمام الأمور، لأن مديرية "كراني" مشغولة جدًا وصغيرة جدًا، ولسنا مسؤولين عن الجثث التي يجدونها شمال "ميدفوده"، كما أنك أيضًا لا تحصل على جثة مقطوعة الرأس على طاولة التشريح كل يوم". تابع "تشفيلاك" كأنه لم يسمع ما قاله: "من يمكنه أن يقطع رأس امرأة، شابة؟". نظر إلى زجاجة الويسكي. سأله "تاراس": "هل ظلت بها الروح؟". هز "تشفيلاك" رأسه بالنفي، وأمسك الزجاجة ودفعها بعيدًا وقال: "لا، بل فارقتها لأنها لم تنزف. هذا يعني أن قلبها قد توقف بالفعل". "لكنك لا تعرف سبب الوفاة؟". قال "تشفيلاك" وهو يهز رأسه مرة أخرى: "لقد أخذت عينات للاختبارات

النسيجية، ولكن يبدو أنها ستعالج بفلوريد الصوديوم في الوقت الحالي. وأخذت عينات من الدم وقطعة من اللحم لتشخيص الحمض النووي. سيحصل رجالك على النتائج وبعدها تتحقق من قواعد بياناتك. إن أي أثر آخر، كما افترضت أنت، قد جرفه ماء النهر". "ماذا عن الأدوات؟".

تظاهر "تشفيلاك" بأنه متفاجئ من سؤاله، ثم نظر إلى الزجاجة على الطاولة أمامه كأنها تتوهج وقال: "ربما يجب أن يكون مثلجًا. إن صبه في جسمك وهو دافئ هكذا يعد مضيعة للوقت". ابتسم "تاراس". سأله "تشفيلاك": "لماذا تبتسم؟".

كم سيفتقد "تاراس" هذا الرجل عندما يغادر المعهد. غادر "بينكا" أولًا وقريبًا سيغادر "تشفيلاك، ذاك الرجل ذو الشعر الأشيب، الخبير العظيم الذي رأى على طاولة التشريح وعلى مدار حياته كل ما يمكن ولا يجب أن يراه أي إنسان، والذي تمكن، بحنكته ودقته، أن يمنح هذه المهنة – أي تقطيع الموتى إلى أشلاء – المعنى والهيبة. ويمكنه أيضًا أن يتقبل المزاح.

ذات مرة أوضح "تشفيلاك" الأمر لـ"تاراس" قائلًا: "جئت إلى المعهد بالصدفة. كنت طبيبًا شابًا أعمل في عيادة في "موسته" يديرها أربعة عجائز أشرار. ولأنه كان زمن اتخاذ القرارات المهنية الجماعية، فقد استمروا في إرسالنا هنا وهناك، كي نخيط جروح اليد الطفيفة، ونتعامل مع قسم الطوارئ والحوادث وكل ما شابه. وذات يوم وجدت أن

الدكتور "ميلتشنسكي" أعلن عن حاجته لمساعد بالمعهد فتقدمت بطلب. كنت أرى أن لا فرصة أمامي للحصول على الوظيفة، لأنها تشترط أن يكون المرشح حاصلًا على درجة الماجستير أو في طريقه للحصول عليها على الأقل. لم أحصل على الماجستير بالطبع، ولكن بعد ذلك تلقيت دعوة لإجراء المقابلة وقال زملائي إنه ينبغي أن أذهب، ولم تكن فكرة جيدة أن أتجاهل دعوة الرجل العجوز.. لذا ذهبت. وصلت إلى مكتبه. كان العجوز جالسًا يدخن سيجارًا، فقال لي: "حسنًا، يا زميل، أخبرني عن تاريخك الطبي". وبمجرد أن قلت: "سيدي الدكتور ميلتشنسكي، لقد جئت من الريف و.." حتى صرخ الرجل العجوز وقال: "إنها لك!". ثم عدت إلى العيادة لإنهاء عقد عملي هناك ولم تسمح لي الدكتورة "فوديب"، أحد العجائز الأشرار الأربعة، بترك العمل حتى أخبرتها أنني سأعمل مع الدكتور "ميلتشنسكي"، فاضطرت إلى إنهائه. حسنًا، لقد أجريت تشريحًا لجثة الدكتورة "فوديب" بنفسي بعدها بعشر سنوات تقريبًا".

بفضل "تشفيلاك" كان دخول "تاراس" إلى المَشرَحة أسهل بكثير. إنه المكان الذي لا يعرف "تشفيلاك" سواه، ويعرف كل كبيرة وصغيرة فيه؛ كل مادة، كل أداة موجودة به كي تحقق وظيفتها الأساسية المحضة. لا يوجد بالمشرحة أي ديكور، لا شيء من شأنه أن يضفي لمسة أكثر إنسانية على المساحة المربعة التي كانت في واقع الأمر غرفة استشارات طبية كبيرة بعض الشيء. استحوذ على مركز الغرفة حوض

عميق من الفولاذ مرتفع الجنبات وعميق به منافذ لصرف لدم والسوائل الأخرى. وتحتوي الغرفة على معدات وتركيبات ملحقة بالسرير المعدني لتثبيت الجسم الذي سيحضرونه من الثلاجة، لتجنب تحريك الجثة أو رفعها. كل مساحات العمل الأخرى التي يمكن أن تخطر على بال "تاراس" بها شيء ما، شيء صغير تافه لم يكن موجودًا لأنه ضروري للغاية، مثل بعض الديكورات المبالغ فيها، أو أداة بل شبه أداة فقط، أو صورة رسمتها ابنة عمرها أربع سنوات، أو ثقالة ورق لا يحتاجها أحد فعليًا.. فقد وضع "تاراس" على مكتبه دمية على شكل شخصية "كارتمان" من مركز تسوق "ساوث بارك"، كانت هدية. كما أن جميع المكاتب الأخرى عليها أشياء مبعثرة، ومكتظة بالأوراق التي تجد عليها إما علامات أكواب القهوة، كما هو الحال على مكتب "تاراس"، أو بقع دهنية من الشطائر على مكتب "برايك"؛ وحتى مكتب "أوسترتس" المنظم بحذق وبدقة، حيث كل ورقة في مكانها، لا تضاهي المشرحة في الترتيب والنظام. رحل "بينكا"، ورقد أيضًا على اللوح المستطيل بالغرفة التي أشرق فيها "تشفيلاك" وسط هذا العقم والجدب مثل الشمس فوق جبل "إيفرست"، في شروقها على الأقل، إن لم يكن في دفئها أيضًا.

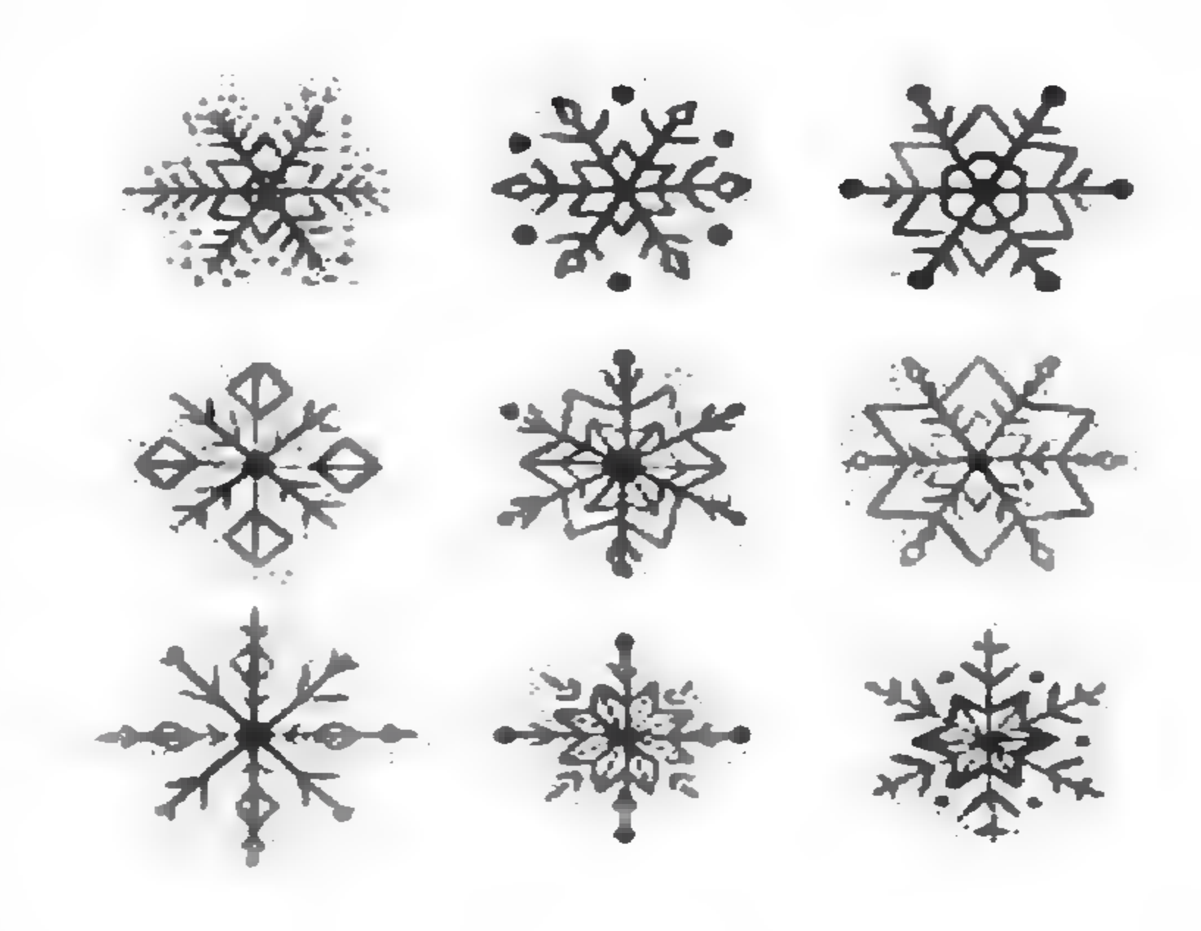
منذ أكثر من ساعة بقليل، خطا "تاراس" نحو الطاولة حيث يرقد الجسد المقطوع الرأس وتفقده لأول مرة في ضوء أقوى من ضوء الكشاف اليدوي. كان الجسد لامرأة متوسطة الحجم وبدون أي ملامح مميزة للوهلة الأولى، نحيلة، نهداها

صغيران، شعر عانتها حليق. وللمرة الثانية، أعتقد أنها قد تكون شابة.

قال "تشفيلاك" وهو يقترب من الجثة مرتديًا قفازات: "حسنًا، دعنا نرى ماذا لدينا هنا. لماذا تهتم كيف قطعوا رأسها إذا لم تكن قضيتك؟".

انتظر "تاراس" بصبر، وهو يحدق في الزجاجة الموجودة على مكتب "تشفيلاك". لطالما أحب الفكرة، الصورة الذهنية للويسكي؛ لون الزجاجة، الملصق البسيط، كل الثرثرة الفارغة حول الشعير المصنوع منه، ويسكي الشعير الفاخر، ويسكي الشعير المعادي، التعتيق لنوع من أنواع "البراندي" أو لويسكي براميل الميناء، حصة الملاك وغيره.. ولكن عندما جربه، عندما كان ما زال يشرب، اختفت هذه الصورة، وأصبح طعمه مجرد مشروب كحولي مصنوع من الحبوب المخمرة فحسب، وهذا على الأقل أحد الأشياء التي لم يفتقدها على الإطلاق في امتناعه القسري عن الشراب.قال "تشفيلاك": "سكين، سكين كبير وحاد للغاية، استنادًا إلى طبيعة القطع، بين فقرة الرقبة الثالثة والرابعة، قطع سلس وحاسم، دون إحداث الكثير من الفوضى".

الفصل السابع



عندما ولدت "آنيا"، كان "تاراس" لا يزال شرطيًا عاديًا في الثاني والعشرين من عمره يحمل نجمة صفراء واحدة على كتفه. وكانت "ألينكا" في السنة الرابعة من إجمالي ست سنوات في كلية الطب في ليوبليانا. عندما اكتشفت أنها حامل، بكت بكاءً مرًا ثم اتصلت بـ"تاراس" لتخبره أنها ستجهض. حينها كان "تاراس" في نيبال في رحلة استكشافية بوليسية بجبل "دولاجيري" في جبال "الهيمالايا" التي يبلغ ارتفاعها أكثر من 8000 متر، واستغرق الأمر أسبوعًا كي تستجمع شجاعتها وتخبره بأنها حامل،

ثم أسبوعًا آخر لتنسيق إنشاء روابط هاتفية عبر الأقمار الصناعية مع غياب "تاراس" عن معسكر القاعدة، في أعلى الجبل. رغم أن الرحلة سُميت رحلة استكشافية بوليسية، إلا أن "تاراس" كان في الواقع الشرطي الوحيد من بين إجمالي أعضائها؛ أما الباقين فجميعهم من الرياضيين والطلاب والمتسلقين الذين ترعاهم الشرطة. كان "تارس" يعايرهم بذلك كلما حاولوا أن يضايقوه بشأن مخالفات وقوف السيارات والغرامات التي لا يدفعها رجال الشرطة وبالنكات التي تهزأ منهم وما شابه ذلك. في الحادي والعشرين من مايو في الساعة العاشرة صباحًا بتوقيت سلوفينيا والرابعة إلا ربع بتوقيت نيبال، اكتشف "تاراس"، الذي عاد من الجبل أول أمس ويقضي يوم استراحة، أنه بعد بضعة أشهر، وعند عودته إلى بلده، سيصبح أبًا. جلس على كومة من الحجارة، ومن تحته الخيام المثبتة على المنحدرات المقطوعة في الجليد، ومن فوقه يقع النهر الجليدي والجبل الذي يرتفع حوالي أربعة كيلومترات فوق كل هذا، ووضع تليفونه المتصل بالأقمار الصناعية على أذنه وضغط عليه، قيل له إن نتيجة اختبار الكشف المبكر عن الحمل "كلير بلو" إيجابية، ولكن لا داعي للقلق لأنها ستجري عملية إجهاض. قال: "حسنًا".

ثم انقطع الخط لأن القمر الصناعي المسؤول عن تشغيله اختفى في مكان ما خلف نُجد "أنابورنا". إذا خرج من خيمته في منتصف الليل كي يتبول، فيمكنه مشاهدة تلك الأقمار

الصناعية وهي تطير فوقهم، مجرد نقاط صفراء، لا هي نجوم ولا هي طائرات لأنها أسرع من الأخيرة بكثير.

حصل على استراحة ليومين، ثم جاء دور فريق ثلاثي كي يصعد إلى القمة. مات ثلاثة أشخاص في اليومين الأخيرين، امرأة فرنسية مع دليلها من جماعة "الشيربا" المتخصصة في تسلق الجبال، التي استهدفت الوصول إلى قمة الجبل الذي يبلغ ارتفاعه حوالي 8000 متر، وبعد ذلك بيوم واحد مات متسلق يوناني، وقد التقطت مروحية شحن روسية من تبقى من الفريق اليوناني. صعد "تاراس" إلى قائد بعثته وسأله عما إذا كان بإمكانه الحصول على دور متقدم في طابور التليفون لأنه لديه شيء عاجل.

قال لـ"ألينكا": "احتفظي به". "هل أنت واثق؟". "نعم، سوف ندبر الأمر بطريقة أو بأخرى". لم يملك سوى الأمل في أنها سمعت بالفعل الجزء الأخير من الجملة لأن رجع الصدى كان قويًا للغاية بحيث بدا وكأنه يتحدث إلى نفسه. عندما وصل، بعد شهر، في منتصف يونيو، إلى مطار ليوبليانا، استقبلته فتاة ترتدي فستانًا صيفيًا وبطنها مستديرة بشكل واضح.

في السادس والعشرين من شهر مايو، وقف "تاراس" على القمة رافعًا قبضته على ارتفاع 8000 متر رغم أنه لم يدرك قدر الحدث وحجمه في ذاك الوقت. لو أدرك، ربما حاول البقاء على القمة لفترة أطول من الخمس عشرة دقيقة التي قضاها فوقها، لكنه يتذكر هذه الدقائق باعتبارها واحدة من لحظات الفرح العارم النادرة في حياته، والتي يصعب

مقارنتها بأي فرحة قبلها أو بعدها. ومن حيث كونها عارمة، كان الأقرب إليها فرحته بولادة "آنيا" وبعد ذلك بعامين ولادة "مويتسا" إلا إنها لم تكن الفرحة نفسها.

بعد عودته، انتقلت "ألينكا" للعيش معه، بشقته "الاستوديو" التي يستأجرها في "كوزيه". أما والدها الذي يعمل كممثل تجاري لشركة أجنبية متعددة الجنسيات للمعدات الطبية، فقد أرسل لها خطابًا كي يبلغها أنه يتبرأ منها وأنه يجب عليها "ألا تتصل به مرة أخرى". وعلى مدار الخمسة عشر عامًا، تمكن "تاراس" و"ألينكا" عن طريق رهن عقاري طويل الأمد وبراتب واحد، راتب "تاراس"، من الانتقال من استوديو مستأجر إلى شقتهم المكونة من غرفة واحدة اقتطع جزءًا منها بفاصل ليكون نصف غرفة. لم يتواصل معها والدها العجوز مرة أخرى إلا بعدما أصيب بسرطان البروستاتا وقرر أن يصحح أخطاءه التي ارتكبها على مدار الخمسة عشر عامًا الماضية ويعتني بها، كما قال. اشترى لها حصة في عيادة الدكتور "بريلك"، والتي كانت تمر بصعوبات مالية وتم تشغيلها في البداية كعيادة لطب الباطنة العام، وعندما انضمت إليها "ألينكا"، بدأت تعمل أيضًا في طب الأطفال. وهذا يعني أن كبار السن الذين يعانون من مشكلات في الأمعاء والأطفال الذين أصيبوا بنزلة برد يأتون جميعًا إلى العيادة نفسها، لكنهم يجلسون في غرف انتظار منفصلة. قبل وفاة والدها بقليل، سأل "ألينكا" عن "تاراس". وأخبرت "ألينكا" "تاراس" بذلك حتى إنه فكر في زيارته في المستشفى لكنه توفي قبل أن

تواتيه الفرصة. حضر جنازته من أجل "ألينكا" كما حضرتها "آنيا" و"مويتسا" أيضًا، وكانتا في ذاك الوقت في سن المراهقة؛ "آنيا" في العام السابع من الدراسة، بل إنهما بكيتا عليه.

لا يمكن أن يكون الاختلاف بين أختين كبيرًا لهذا الحد. كانت "آنيا" طويلة، سمراء، عيونها بلون الشوكولاتة وشعرها أسود، وفي طفولتها بدت نسخة طبق الأصل من أبيها كما بدا في الصورة الوحيدة التي لديه وهو في عمرها نفسه، جميلة وأنيقة. أما "مويتسا" فكانت أقصر من أختها بخمسة سنتيمترات، شقراء وزرقاء العينين مثل "ألينكا"، كما ورثت منها طبعها المزاجي. ومن حيث الشخصية، فقد ورثت كلتاهما في الحقيقة صفات من كليهما. وفي سن المراهقة، جعلتا كل شيء بالمنزل مفعمًا بالحيوية في أغلب الأحوال. كانت لديهم خلافات خاصة مع "مويتسا"، ولا يستطيع "تاراس" شرحها الآن بدقة، وإذا حاول فستبدو سخيفة. الآن ستبدو الأسباب التي قالها في ذاك الوقت سخيفة، لكنه يعلم أن ما حدث كان لا مفر منه. هل كان ينبغي حقًّا أن يثور غضبًا لأن "مويتسا" لم ترفع أكمامها وهي تغسل يديها؟ إنها على الأقل كانت تستغرق في النوم مقارنة بـ"آنيا" التي كانت تستيقظ في السنوات القليلة الأولى من حياتها كل ساعتين في الليالي السعيدة، وتستيقظ طوال الليل في الليالي السيئة، وتجلس في سريرها وتظل تصرخ حتى يقوموا بمداعبتها واللعب معها. "تاراس"، الوحيد الذي

لديه وظيفة في ذاك الوقت، ويتلقى دورة تدريبية إضافية، ويقوم أيضًا بتدريب إضافي ليصبح مفتشًا جنائيًا، أمضى عدة ليالٍ نائمًا في الحمام، يضع رأسه إما بجوار المرحاض أو البالوعة – ورائحة الاثنين كريهة. كانت الفتاتان "آنيا" و"مويتسا" جميلتين بشكل لا يصدق، رغم أن "تاراس" وضع في حسبانه أنه ربما يراهما بهذا الجمال لأنهما بنتاه فحسب. وهما الآن تبلغان؛ واحدة عشرين، والثانية ثمانية عشر عامًا؛ وهما الفتاتان أنفسهما اللتان وقفتا يومًا في سرير الأطفال النقال في الثالثة صباحًا في انتظار أن يلعب معهما بعدما بدل حفاضتيهما، واللتان ذهبتا إلى اليوم الأول من المدرسة مع منديل أصفر حول عنقيهما ليدل على أنهما صغيرتان ولا تعرفا شيئًا عن المرور، وتمسك كل واحدة منهما بدمية أرنب منفوش. وقد التحقتا بلعبة الجمباز، ثم كرة السلة.. وفي مقر عمله وضع "تاراس" على مكتبه صورة "آنيا" في يومها الأول في المدرسة وهي تعض على شفتها بأسنانها العلوية التي فقدت إحداها، وإلى يمينها تقف "مويتسا"، باهتة قليلًا في الصورة، وبرفقتيهما "تاراس" و"ألينكا"؛ وخلف" آنيا" تظهر "تينكارا"، أفضل صديقة لـ"آنيا" في الحضانة، وهي تأكل لفافة بذور الخشخاش الحلوة. فماذا حدث لها؟

قالت لهما "آنيا" باللغة النمساوية: "طاب يومكما".

التقيا بهما على "الجسر الثلاثي" على نهر ليوبليانيكا الذي كان خاليًا تمامًا إلى حد ما في الثانية بعد الظهر في اليوم الأول من العام الجديد، ناهيك عن جامعي القمامة المحليين

الذين يرفعون القمامة التي خلفها المحتفلون وراءهم ليلة أمس. كانت "آنيا" تضايق "تاراس" دائمًا وتقول له "طاب يومك" باللغة النمساوية لأنها تعرف كم يغير النمساويون أعصابه.

تجول الأربعة حول المدينة، عبروا "الجسر الثلاثي"، إلى نافورة "روبا"، ثم ساحة كنيسه القديسين "سيريل وميثوديوس"، ثم انعطفوا أمام مسرح العرائس إلى الممر الضيق المؤدي إلى القلعة. عاش "تاراس" في ليوبليانا لثلاثين عامًا ولكنه ما زال يجد صعوبة في معرفة أسماء الشوارع. كان يحفظ المدينة عن ظهر قلب بالطبع.. ولكن إذا كان لا بد أن يجد اسم شارع لم يكن من مساراته الرئيسة إلى مركز الشرطة حيث يعمل أو قريبًا منه، فعليه استشارة موقع "جوجل". كما يعاني الصعوبة نفسها مع أسماء العطلات الجديدة في البلد الجديد. كان يعرف جميع الأعياد القديمة، ولكن منذ الاستقلال أجريت بعض التغييرات، وتم التخلي عن العديد من إجازات الأعياد القديمة وأضيفت العديد من الأعياد الجديدة.. ما الذي يأتي أولًا؛ عيد الاستقلال أم عيد الدولة؟

كان يستمع لثلاثتهن في الغالب؛ "آنيا" و"مويتسا" تتحدثان، و"ألينكا" تسأل، وبينما كانا يسيران على هذا النحو مع البنتين اللتين صارتا شابتين، دون أن يدرك "تاراس" متى حدث ذلك. لم تبدوا أصغر سنًا بكثير منه ومن "ألينكا". ضحكت "ألينكا" معهما بالقدر نفسه من الحيوية والشباب اللتين يتمتعان بهما،

لم يكن "تاراس" يجر قدميه باعتباره رجلًا مسنًا يلف نفسه بمعطف رمادي، فما زال محتفظًا بلياقته البدنية. قال لنفسه، إذا كان هذا هو معيار اللياقة، فلعله احتفظ بأدنى مستوياتها. كان لدى الفتاتين أصدقاء محليون من طلاب وصيادلة ومهندسين معماريين، وهو أمر سخيف بعض الشيء بالنسبة لميول "تاراس"، لكن لعل ذلك يرجع لتقدم العمر أيضًا، فالأشخاص الأصغر سنًا يثيرون أعصابك، خاصة لو كانوا من أصدقاء بناتك الذين ما زالوا نائمين الآن، بالطبع. قالت "آنيا": "وأنت أيها العجوز المُحنّك؟ ما لي أراك هادئًا بعض الشيء؟". "أنا أفكر في الحياة التي يتعذر فهمها". "ما هو الطارئ الملح الذي جعلك تضطر إلى الذهاب للمخفر؟".

شرح لهما بإيجاز أين ذهب ولماذا، دون الخوض في التفاصيل، لا سيما تلك المتعلقة بالرأس المقطوعة. قالت "ألينكا" ثم ضحكت: "هل يمكنك أن تخبرنا الآن عما إذا كانت قد ماتت غرقًا أم لا؟". رأى "تاراس" أنها ربما ينبغي أن تأخذ هذه المسألة على محمل أكثر جدية. قال: "لم تغرق، بل قتلت. إنها تكبر "آنيا" و"مويتسا" بقليل".

وهما صغيرتان، كم من مرة انتابه الذعر ليلًا، عندما فكر في كل المخاطر التي قد تتعرضان لها؛ مثل حادث طريق.. سائق مهمل يقود سيارته فوق مكان عبور المشاة ويداهمهما عند أحد التقاطعات بسبب السماعات التي فوق أذنيه، أو التليفون المحمول في يده.. هناك مليون خطر محتمل! حاول أن يهدئ من هواجسه بالتفكير في آلاف المخاطر التي تعرض لها ونجا

منها بطريقة ما، ولكنه فكر على الفور في عدد المخاطر التي لم ينجُ منها. سألت "مويتسا " بطريقة ما زالت تتسم بشيء من الفضول: "حقًا؟ كيف؟ ". "أنا لست في مزاج جيد الآن، حسنًا؟".

إنه أدرك أنها لا تملك الصورة الذهنية نفسها التي يملكها. فالفتاة الميتة بالنسبة لها مجرد ارتباط بكلمتين: "فتاة ميتة"، لا تكمن وراءهما صورة جثة مقطوعة الرأس ملقاة على طاولة التشريح وبجوارها الدكتور "تشفيلاك" يقف ممسكًا بمشرطه لبرهة، كأنه حائر، ثم قال: "عادةً ما أبدأ من الرأس، ولكن نظرًا لعدم وجودها فا..". وبدأ بعمل شَقٍّ من الرقبة إلى الأسفل.

عندما كانت "آنيا" في السادسة من عمرها قررت ألا تأكل اللحوم، لأنها لا تريد قتل الحيوانات، وذلك لم يسعد "تاراس"، لكن لا شيء بيده. لو قالت له إنها لا تحب طعم اللحوم، لما سمح لها بمقاطعتها، لكنه وقف عاجزًا أمام حالة الاستنكاف الضميري التي تنتابها. في غضون شهر قررت "مويتسا" أيضًا أن تفعل الشيء نفسه. توجد صورة في ألبوم العائلة، المجلد الأول، التقطت في أثناء عطلة قضياها مع الفتاتين على شاطئ البحر، واحدة سمراء والأخرى شقراء وتتكئان بمرفقيهما على الطاولة الخشبية وهما تتناولان وجبة مكونة من طبق اللحم "شنيتزل" النمساوي وتحمل كل واحدة منهما شريحة ضخمة من العجل. وتعد هذه الصورة هي الدليل الوحيد الذي يملكه "تاراس" على أنهما كانتا تأكلان

اللحوم في يوم من الأيام. وإذا قال لهما إنه حضر تشريح جثة حصان بلا رأس، لأصابهما بصدمة وأثار غضبهما. قالت "مويتسا": "آسفة، يبدو أن الأمر لم يكن لطيفًا". "حسنًا، لم يكن يومًا لطيفًا أبدًا. إنها ليست قضيتي حتى، بل مجرد سوء فهم".

من الأعلى، بدت مدينة ليوبليانا نائمة، والثلوج أقل بكثير مما كانت عليه في "كارنيولا العليا"، يبلغ ارتفاعها عشرة سنتيمترات، وربما أكثر قليلًا. كانت الجبال البعيدة مخبأة خلف غيوم منخفضة وكل ما يمكن رؤيته من جدران القلعة مجرد ثلاثة أو أربعة ظلال رمادية تتألق عبرها أضواء عيد الميلاد برفق. قالت: "دعونا نذهب إلى منطقة "ترنوفو" لتناول القهوة.. ولتخبرانا بكل ما هو جديد في عاصمة الإمبراطورية البلغارية".

ساروا في الممشى المنحدر حيث الحصى أولًا، ثم الأسفلت ومنه إلى كنيسة "سانت جيمس" ومن هناك إلى نهر "ليوبليانيكا"، عبر جسر "هراديكي" المعلق إلى منطقة "ترنوفو"، حيث توجد أربعة أقواس بها مقاهٍ ومحلات بيتزا تقع خارج وسط المدينة ولا يصل إليها، حتى في فصل الصيف، سوى السياح الأكثر مثابرة. تحدث "آنيا" و"مويتسا" عن دراستيهما وحاول "تاراس" التركيز والإنصات لها، لكن سرعان ما سرح بأفكاره بعيدًا. ببساطة لم يكن مهتمًا. فمنذ صغرهما، وهما بالمدرسة الابتدائية، تولت "ألينكا" العناية الحصرية بتعليمهما، وتولى "تاراس" مهمة اصطحابهما إلى

ملعب كرة السلة واللعب معهما. ظلت "ألينكا" تذكره كيف أن "آنيا" وهي في نهاية الصف التاسع، أي الصف الأخير من المرحلة الابتدائية، ذكرت شيئًا عن السيدة "بيتريتش" فسألها "تاراس" عمن تكون. فقالت "آنيا": "ألا تعرف من هي؟ إنها مدرسة فصلي من الصف الخامس وحتى الآن!".

لقد ذهب إلى اجتماع جمعية أولياء الأمور والمعلمين مرة واحدة فقط لأنه شعر بالملل الشديد وهو يستمع إلى مناقشاتهم حول ما إذا كان يجب السماح للطلبة باستخدام الهواتف المحمولة في الرحلات المدرسية أم لا، فقرر ألا يحضر اجتماعاتها مرة أخرى. لو كان الأمر بيده، لقام بحظرها، ليس فقط في المدرسة الابتدائية، ولكن على الكوكب بأسره.

في بعض الأحيان كانت "ألينكا" تقول: "كان يجب أن تنجب ابنًا".

ربما كانت على حق. فقد لعبت كلتا الفتاتين كرة السلة في المدرسة الابتدائية، وحضر "تاراس" و"ألينكا" مبارياتهما وهتفا لهما، رغم أنهم جميعًا كانوا يعلمون أن لا مستقبل لهما مع كرة السلة، فسيأتي يوم تتوقفان فيه عن ممارستها وتبدآن في أداء أشياء تحتاج إلى المزيد من البراعة. في الخامسة عشر من عمرها، في الصف الأخير من المدرسة الابتدائية، وجدت "آنيا" بالقرب من منزل أحد أصدقائها مزرعة بها بعض الخيول التي تقاعدت في الإسطبلات، وتعتني بهم فتاة تكبرها بقليل. بدأت بالذهاب إلى هناك

لمساعدة الفتاة في رعايتهم من ناحية وكي تركب الخيول أيضًا من ناحية أخرى. هناك وجدت فرسًا وحيدة لم تصبها الشيخوخة ومن الممكن امتطاؤها، وسرعان ما حذت "مويتسا" حذوها. كانت تلك نهاية رحلتهما مع كرة السلة. لا يزال "تاراس" يتذكر هذا التغيير الذي طرأ على حياتهما بالتفصيل. فقد ذهب ذات يوم كي يصحبهما من المزرعة إلى التمرين ووجدهما يضايقون الفرس "نوردا"، أو أيًا كان اسمها، التي ما زال في الإمكان امتطاؤها، وذلك بتمرير التفاحة لبعضهما بعضًا، ورميها في بعض الزوايا الغريبة حتى لا يستطع الحيوان الإمساك بها. فلما قال "تاراس": "أعطِيا الحيوان المسكين التفاحة"، فأخبرتاه أنهما تمارسان تمارين الشد مع الفرس فحسب.

نشأ "تاراس" في الريف حيث يعد مجرد ضرب حصان على رأسه مشكلة، في حين قالت له "مويتسا" التي ولدت ونشأت في المدينة: "إن شد الحصان من ذيله هو أحد التمارين التي تفيده، لكننا لا نجرؤ على القيام بذلك بعد".

لم تعودا أبدًا إلى التدريب الرياضي، وعندما احتاجتا، بعد حوالي عام، إلى اختيار تخصص دراستيهما، اختارت كلتاهما، الكبرى أولًا ومن بعدها الصغرى، علمًا بيطريًا، ثم بعد التفكير في الأمر معًا ومليًا، اختارتا علم الأحياء. ومع ذلك فإن العلوم البيطرية، وبصرف النظر عن جانب بسيط منها، ما هي إلا علوم تعد الحيوانات في الواقع لرحلة يصلون بعدها إلى أطباقنا، على عكس ما تخيلته "آنيا" و"مويتسا". قام جدهما

لأمهما بعدما التقيتا به في المستشفى بدفع تكاليف السنة الأولى من دراستيهما في فيينا، وبعد ذلك دفع ثمن حصة عيادة "ألينكا." قالت "ألينكا": "والدي يود أن يتولى دفع مصاريف دراستهما في مكان ما بالخارج وقلت له إنني لا بد أن أرجع إليك أولًا".

قال "تاراس" لنفسه إن "ألينكا" نسيت سريعًا السنوات الخمس عشرة التي لم يكن والدها فيها والدها. ماذا عساه أن يقول؟ لا، سأدفع أنا المصاريف؟ لا، الدراسة في ليوبليانا بنفس..

كانت الرحلة الاستكشافية إلى "دولاجيري" آخر رحلة قام بها بجبال "الهيمالايا". في ديسمبر، وبعد عودته، وُلدت "آنيا". وعلى مدار السنوات القليلة التالية تدبر "تاراس" شئون معيشته يومًا بيوم، وكثف جهوده لتعزيز مؤهلاته ودفع فواتيره وسدد الرهن العقاري بانتظام، واضطر أيضًا إلى تبني أسلوب حياة يخلو من تسلق الجبال. وبما أن الشخص الذي لا يملك دافعًا لا يحقق سوى النذر اليسير، وبما أن الدافعية تنبع من العواطف وليس العقل، فقد اختار الغضب كوسيلة للتعامل مع الأمر برمته. سيظهر الرجل العجوز الكامن داخله.

لم يكن الأمر هينًا أن يعيش وهو في الخامسة والعشرين من عمره حياة أطلق عليها زملاؤه، من خلف ظهره على الأقل، حياة إنسان آلي. يبدأ عمله في السابعة، العمل، ثم العمل، ثم استراحة القهوة، ثم العمل، ثم العمل، ثم المنزل، وبعد ذلك ينشغل مع بنتيه، من تمارين الجري، إلى الملاكمة

في صالة الألعاب الرياضية. وبعدما حصلت "ألينكا" أخيرًا على وظيفة بالعيادة في "موسته"، عندها فقط استطاعوا الذهاب إلى السينما أو المسرح أو الالتحاق بدورة دراسية في لغة أجنبية.. كان قد توقف عن الخروج لاحتساء الكحول مع الأصدقاء، وبحلول الوقت الذي أجبرته مشكلات بالمعدة على الامتناع التام عن الشرب، كان بالفعل يشرب الكحول بشكل معتدل منذ عشر سنوات. في غضون ذلك، ذهب زملاؤه المتسلقون في رحلات إلى جبال "الهيمالايا "ومنطقة "باتاجونيا"، و"قيرغيزستان"، وأمريكا الجنوبية، وأرخبيل "لوفوتن"، أو إلى جبال بلدية "شاموني" بفرنسا على أقل تقدير. نظرًا لأنه تجنب سماع أخبار تسلق الجبال، ما زال "تاراس" يكتشف دون رغبة منه بطولاتهم في تلك الرحلات.. ووفياتهم أيضًا للأسف. وعند ظهور والد زوجته بعدما أصيب بالسرطان، أحصى "تاراس" الضحايا وأدرك أن ثلاثة عشر من أصدقائه المتسلقين السابقين لقوا حتفهم. الكل ما عدا واحد ماتوا في الجبال.

هل كان عليه أن يشكر الأب العجوز على أنه حي؟ وعلى أنه بدأ يتصرف بمسؤولية في أواخر أيامه؟ وعلى تحمل المسئولية بعد خمسة عشر عامًا؟ هل ينبغي أن يغضب من "ألينكا" لأنها قبلت منحة أبيها باعتبارها أمرًا مفروغًا منه؟ هل يشكرها على عدم إعطائه الفرصة كي يرفض هذه المنحة؟

تجولوا في المدينة لبضع ساعات. في "ترنوفو"، تناولن بعض النبيذ بينما شرب "تاراس" الشاي، ثم ذهبوا لتناول

البيتزا وعندما عاد هو و"ألينكا" إلى المنزل بعد الثالثة ظهرًا بقليل، سقطا على الأريكة أمام التليفزيون واستغرقا في النوم. وعندما استيقظا، كان الفيلم الذي بدأوا مشاهدته قد انتهى منذ فترة طويلة وهبط الظلام بالفعل في الخارج. تنهد "تاراس" وقال: "كان يجب أن أذهب للركض. آمل أن ما يقولونه عن أن ما فعلته في رأس السنة الجديدة ستفعله طوال العام غير صحيح، لا أريد أن أنام طوال العام".

في أثناء ذهاب "ألينكا" إلى الحمام، وجد زجاجة نبيذ في الثلاجة، فصب لها كأسًا وأعد لنفسه بعض الشاي الأسود. لن يخرج للركض. وكما يقول الإيطاليون "دولتشي فار نينته" السعادة في أنه لن يفعل أي شيء اليوم سوى الراحة والاستجمام. نظر إلى فِنجانه وشعر بأنه سخيف، الشعور نفسه مرة أخرى ولا يزال. اعترضها وهي تتجه عارية نحو غرفة النوم وقال: "أهنئك بالعام الجديد، أو أيًا ما يقولون".

ضحكا، شربت رشفة من الكأس، عانقها، وعندما حملها بين ذراعيه تذكر الفتاة مقطوعة الرأس الممددة بالثلاجة في معهد الطب التشريح الجنائي، وتذكر أيضًا زملاءه الذين لقوا حتفهم.. ضرب مؤخرتها بيده، ثم قلبها على ظهرها وأقبل على ثدييها، أخذ يداعب حلمة أحدهما ثم الأخرى، وانحنى عن قرب ولمسها بلسانه. إن الخوف من الموت هو أفضل مثير للشهوة الجنسية. علاوة على ذلك، ستعود الفتاتان إلى المنزل في غضون ساعة أو نحو ذلك، ومن ثم عليه هو و"ألينكا" الاستفادة من الوقت المتاح لهما.

الفصل الثامن



الثلاثاء، 2 يناير

قال "بافليكا"، الرجل الجالس في مكتب الاستقبال بالمدخل: "درفاريتش" ينتظرك في مكتبه"."ماذا يريد؟". "لا أدري. قال إنني يجب أن أوقفك وأرسلك إليه على الفور".

كان "تاراس" أول من يصل دائمًا إلى مقر عمله، ليس من بين الأوائل، بل الأول. فهو يرى أن من يصل إلى العمل أولًا يعني أن لا أحد يمكنه أن يحدد متى وصل ولا يمكن لأحد أن يتهمه بأنه غادر مبكرًا، أي قبل انتهاء مواعيد العمل. بمجرد أن يصل "تاراس" إلى مقر عمله يُرسل بريدًا إلكترونيًا شريرًا إلى "درفاريتش"، رئيسه المباشر، عدة مرات في الأسبوع، يسأله فيه عن أمور يعلم أنه لا يعرف عنها شيئًا. إنه يتصرف

بهذه الطريقة ليس لأنه يكره عمله، بل لأنه وبعد مرور عشرين عامًا لم يعد يستمتع به كثيرًا لدرجة أنه لا يقضي بمكتبه أكثر من ست ساعات في الأيام التي يتحتم فيها ذلك. وكان ذلك بالطبع أقل من الثماني ساعات الإلزامية، لكن "تاراس" لم يشعر بأي تأنيب ضمير حيال ذلك، لأنه يقوم خلال ست ساعات من العمل المتواصل، دون استراحة غداء أو قهوة، بما يقوم به ثلاثة أشخاص في أربع وعشرين ساعة. ونظرًا لأن النتائج ليست كل شيء، فقد كان يتأكد دائمًا، عند رفع "الهلب"، كما يسمي المغادرة، أن بين يديه بعض الأوراق التي من المفترض أن يذهب بها إلى مكان ما أو أن يسويها في المساء، وحتى لو تطلب ذلك العودة إلى المكتب مساءً، فإنه يفضل العودة عن قضاء يوم عمل كامل هناك. لقد نجح التكتيك حيث جلبت له ساعات العمل المتقطعة هذه شهرة بين زملائه، حتى إنهم لقبوه بـ"مدمن العمل المنتظم".

أن تكون الأول في العمل يعني أن تصل في السابعة إلا الربع، وهو الوقت الذي يدخل فيه إلى المطبخ الصغير ليعد لنفسه فنجانًا من القهوة، ويتصفح الإنترنت حتى الساعة السابعة، ويقرأ الصحف اليومية الإلكترونية، ثم يرسل بريدًا إلكترونيًا إلى "درفاريتش" يحمل سؤاله المعتاد ثم يشرع في العمل. ومع حلول الوقت الذي يصل فيه "برايك" و"أوسترتس" بين الساعة الثامنة والثامنة والنصف، يتمتع "تاراس" بهذه الساعة الثمينة التي يعدها أكثر ساعات يومه إنتاجية، لأنه يستغلها في إنجاز "الهراء اليومي المعتاد"،

كما أسماه، أي كتابة التقارير والملاحظات والمحاضر. وعلى عكس معظم الآخرين في محيطه، فقد كان بحاجة إلى التمتع بمزيد من السكينة والهدوء وهو يؤدي هذا العمل أكثر من أي عمل آخر. بالطبع هناك استثناءات، فهناك أيام كان يصل فيها إلى المكتب في الوقت نفسه الذي يصل فيه الجميع، وكان الثاني من يناير يومًا من هذه الأيام حيث يوقف سيارته بمكان الانتظار في الثامنة والنصف ثم ينطلق إلى مكتبه.

وجد "تاراس" امرأة، بل تقريبًا فتاة، تجلس خارج مكتب "درفاريتش" وعندما اقترب من الباب وقفت على الفور واستقبلته بتحية. رد "تاراس" التحية، وارتبك بعض الشيء، وانتظر لحظة ليرى ما إذا كانت تريد أن تتحدث إليه. عندما لم تفعل طرق الباب ودخل دون انتظار رد، فوجد "كريستان"، رئيس مديرية الأمن العام للشرطة، يجلس مع "درفاريتش". عندما دخل "تاراس" حيّاه "كريستان" بإيماءة ثم صافحه، فجلس "تاراس" على الكرسي الشاغر الوحيد المتاح. بدأ "درفاريتش" قائلًا: "اللعنة يا "تاراس"، نحن بحاجة إلى حل هذا المسألة بشكل عاجل". وعندما لم يُعد "تاراس" الكُرة التي أرسلها إلى ملعبه، أكمل قائلًا: "الفتاة مقطوعة الرأس، تلك المسألة التي عبثنا بها في "بوهيني".

بالطبع كان "تاراس" يعرف ما يدور حوله، فقد أيقن ذلك من اللحظة التي أرسله "بافليكا" إلى هنا. وعندما قال "عبثنا بها"، أيقن "تاراس" أن قوله "عبثنا بها في بوهيني" شيء لا يبشر

بالخير، فهو من كان في "بوهيني"، ورغم حقيقة أنهم ثلاثة إلا أنه الوحيد الذي كان في "بوهيني".

قال "تاراس": "لقد ناقشنا هذا بالفعل مع زميل شاب من المحكمة يا..".

حاول "تاراس" أن يتذكر لقبه؛ ماذا كان مرة أخرى؟ "دولينك"؟ لا، "دوليس" ثم أكمل قائلًا: "أظن أننا سوينا المسألة".

سرد الأحداث مرة أخرى وعندما انتهى تبادل "درفاريتش" و"كريستان" النظرات. قال "درفاريتش": "حسنًا، ليس المهم الآن كيف حدث ذلك، بل المشكلة أنه في غضون نصف ساعة سيكون لدينا خمسة صحفيين بمديرية الأمن العام للشرطة، ولا بد أنهم يعرفون أكثر مما نعرف، وبعد ذلك سيتعين عَلَيّ التظاهر بأن كل شيء واضح بالنسبة لي". قال "تاراس": "لا بد أن أقول إنني لا أرى أي مشكلة بالمرة. بالأمس انتشلنا جثة امرأة شابة من الماء ونحاول إثبات هويتها. كونهم لم يرسلوا فريقًا مختصًا لإجراء التحقيق، فهذا ليس خطئي، لكن ما زال بوسعك القيام بذلك. حتى لو لم يتم طمس كل شيء في مسرح الجريمة، فلن تعثر على أي شيء هناك، فهي لم تمت بين الشجيرات حيث انتشلناها من الماء. وهذا كل ما في الأمر. لماذا لا نعرف من هي؟ لأنها ظلت بالماء لبعض الوقت وبدون ملابس يمكن أن نستدل منها على هويتها. هذا ما سنقوله لهم. لا يتعين علينا ذكر الرأس المفقود هذا إن لم يكن لسان الطالبين قد ذل بالفعل".

تبادل رئيس مديرية شرطة ليوبليانا ورئيس مديرية الأمن العام النظرات مرة أخرى، ثم وقف "كريستان" وصافح "درفاريتش" أولاً ثم التفت إلى "تاراس" وقال وهو يصافحه: "حظًا سعيدًا. سنتدخل إذا لزم الأمر". سأل "تاراس" بمجرد أن غادر "كريستان" وأغلق الباب خلفه: "لماذا؟ هل هذه قضيتي، أم ماذا؟".

أومأ "درفاريتش" برأسه. قال "تاراس": "كيف ذلك؟ كيف يمكن للمحققين الفيدراليين التخلي عن قضية شائكة من هذا النوع؟ ". "بناءً على طلبي". صمت وعندما لم يُظهر "تاراس" أي علامة تسهل على "درفاريتش" مهمته، أكمل وهو محبط إلى حد ما قائلًا: "الأمور تزداد تعقيدًا يا "تاراس". نحن نحصل على مبلغ معين من المال من ميزانية بلدنا الرائع ومن..". كم كره "تاراس" طريقته كلما تحدث إليه كأنه تلميذ في المدرسة! أكمل قائلًا: ".. ومن أجلها يتعين علينا القيام بقدر معين من العمل. في حالتنا هذه فا..". قال "تاراس": "أعرف ما يعنيه ذلك في حالتنا هذه. يمكنك تخطي هذا الجزء".

توقف "درفاريتش" كأن عليه أن يقرر هل يجب أن يتجاهل ما قاله "تاراس" أم لا ثم قال: "ما القضايا التي تعمل عليها حاليًا؟".

إنه أصغر من "تاراس" ولم يكن محققًا جنائيًا بارعًا. وبسببه فكر "تاراس" كثيرًا في مدى الظلم الذي يُرتكب عندما يُرقى

شخص عديم الفائدة في الوظائف القيادية اتباعًا لمبدأ عدم الإضرار فحسب وذلك اتقاءً للمشاكل، ثم يصبح المدير. بالطبع هم بحاجة إلى شخص من هذا النوع، شخص يمكنه تلقي التعليمات وتفويضها، وهو جوهر ما يفعله "درفاريتش" في الأساس، ولكن في هذه الحالة يكون من الأنسب أن يحمل مسمى "المسؤول" على سبيل المثال وليس "المدير"، ويتقاضى راتبًا أقل بدرجتين من الأشخاص الذين يعملون في الميدان. إذا كنت محققًا بارعًا، فستظل محققًا على الأرجح، وإذا كنت محققًا سيئًا، فستتم ترقيتك عاجلاً أم آجلاً. بغض النظر عن مدى سوء المحقق، فعندما يتم تكليفه بالمنصب، يبدأ في الإطراء على نفسه قائلًا إنه حصل على الترقية لأنه يعرف أكثر وقدرته على العمل أكبر. على "تاراس" أن يكون وقحًا مع "درفاريتش" إذا أراد أن يتركه وشأنه.

أجابه "تاراس" وهو يعدد القضايا: "ثلاثة".

كل هذا أصبح أهون على "تاراس" منذ أن أصبح لـ"ألينكا" عيادة تبيض ذهبًا. يعرف "درفاريتش" كيف يبدي الاحترام الشديد تجاه الأشخاص الذين احتلوا مرتبة أعلى في السلم الاجتماعي، وهؤلاء هم الأطباء وأصحاب العيادات الخاصة وكذلك شركاؤهم بالتأكيد. لقد كان أكثر تهذيبًا تجاه "تاراس" عنه مع الآخرين، والتهذيب في الأساس هو كل ما توقعه "تاراس" منه ولا شيء غيره. وعلاوة على ذلك فإن راتبه أيضًا لم يعد ضروريًا بفضل والد زوجته الراحل.

سأله "درفاريتش" رغم أنه يعرف الإجابة: "في أي مرحلة

هم الآن؟". "وصلوا المحكمة". "هذا يعني وحسبما تعتقد أن..". "نعم، ثلاث إفادات فقط، إذا طلبوها، ويحسم أمرهم". تظاهر "درفاريتش" بالدهشة. ينبغي أن يعترف "تاراس" بأنه يتمتع ببعض المواهب التمثيلية. سأل "درفاريتش": "ما سبب ترددك إذًا في تولي أمر هذه القضية؟ فلن تصادف كل يوم جثة لأنثى بلا رأس، ولا حتى في هذه الوظيفة، ربما لن يحدث أبدًا". "لا أظن أن لَدَيّ أي مشكلة في الوفاء بالأنصبة المقررة". "لا، بالطبع لا، لكني ما زلت لا أفهم كيف تبدي استعدادًا لرفض قضية شائكة من هذا النوع، كما وصفتها بنفسك". "لأنني وعدت "ألينكا" بأن آخذها للتزلج في "باد كلاينكيرتشهايم". انتهز "تاراس" الفرصة كي يعلمه بهذا الأمر. قال "درفاريتش": "أوه، هل ستقضي فترة طويلة في "باد كلا.."؟". نطق "باد كلا.." بطريقة توحي بأنه يذهب هناك كل يوم. قال "تاراس": "لمدة أسبوع". كرر "درفاريتش": "أسبوع". ثم توقف وكأنه يريد استيعاب المعلومات وأكمل قائلًا: "هذا شيء طيب. ما زلت لا أرى أي سبب يمنع إدارة الشرطة هنا من تولي هذه القضية". حدق في "تاراس" الذي قال: "تقصد، لماذا لا يمكنني تولي القضية؟". أومأ "درفاريتش" ثم قال: "أنت ورجال فريقك، "برايك"، و"أوسترتس" و..".

توقف ونظر إلى "تاراس" الذي جعله ينتظر بعض الوقت دون أن يكلف نفسه عناء لعب هذه اللعبة، والذي أكمل جملته قائلًا: "و"بينكا"، إنه مات منذ زمن". هز "درفاريتش" رأسه بالنفي قائلًا: "لا أقصده". نهض ومشى نحو الباب، ثم فتحه

وخطا نصف خطوة داخل الممر وهو يقول: "لأنه مات فا..".

عندما عاد إلى الغرفة، تبعته المرأة التي سبق أن حيّت "تاراس" وهو في طريقه إلى المكتب وأومأت له الآن أيضًا. قال "درفاريتش": "أقدم لك "تينا لانك"، أخصائية نفسية مؤهلة.. وفي الوقت نفسه، أو بالإضافة إلى ذلك، خريجة كلية الحاسبات أيضًا. هل ترتيب مؤهلاتك صحيح؟". قالت الفتاة وقد بدا عليها الإحراج: "حسنًا، في الحقيقة العكس هو الصحيح". "أيًا كان، إنها الزميلة الجديدة والعضو الجديد في فريقك، يا "تاراس".

مدت الفتاة يدها لتصافح "تاراس" وهي تكرر "تينا"، فصافحها تلقائيًا وأومأ لها ثم ترك يدها واستدار نحو "درفاريتش" الذي من الواضح أنه لم يتوقع رد الفعل الذي بدا على وجه "تاراس".

قال "درفاريتش" وهو يشير إلى نفسه بأصابعه العشرة: "أشكرك يا "بويان".. شكرًا لك على رفع العدد الإجمالي لأفراد مجموعتي وأيضًا مراعاة جميع المعايير المهنية والتعليمية و..". قاطعه "تاراس" قائلًا: "هل يمكنني التحدث بلا..". أخذ يلوح بيديه وهو يبحث عن الكلمة الصحيحة فسأله "درفاريتش": "بلا مجاملة؟". "بلا قيود. إذا كان ما فهمته صحيحًا، فهذه الشابة ستحل محل "ميلان"، أليس كذلك؟". "بينكا"؟ نعم. أتعرف أنني نسيت أن اسمه "ميلان"؟ لا أظن أنني ناديته أبدا باسم "ميلان". فكر "تاراس" أن هذا لا يهم، فهو أيضًا نسي أن "بويان" هو الاسم الأول لـ"درفاريتش".

قال "تاراس": "كان "ميلان" مرشدًا لي، رغم أنه يكبرني بثلاث سنوات فقط، لكنه عمل في إدارة التحقيقات الجنائية منذ البداية".

ثم استدار بحيث لم يكن واضحًا ما إذا كان سيوجه كلامه إلى "درفاريتش" أم الفتاة وقال: "لقد عمل محققًا جنائيًا لثلاثين عامًا. وفي قضية كتلك، سأحتاج بالتأكيد إلى شخص لديه خبرة، فنحن لا نتعامل هنا مع قضية ابن مخمور قام بطعن أبيه، أو شيء من هذا القبيل..".

أومأت الفتاة. من الواضح أنهم أطلعوها على طبيعة القضية ويبدو أن ذلك حدث قبل أن يعرف "تاراس" أنه سيتولى التحقيق في القضية. أكمل "تاراس" قائلًا: "شخص لديه خبرة. أنا آسف، هذا لا ينطبق عليكِ، أليس كذلك؟". قالت الفتاة: "لا، ليس لَدَيّ خبرة". هز "تاراس" كتفيه مستهجنًا وكان قد استدار بالفعل نحو "درفاريتش" عندما أكملت الفتاة قائلة: "أنت أيضًا لم يكن لديك خبرة عندما توليت قضية "فارتا"، ومع ذلك أنت من قام بحلها وليس زملاؤك من الفريقين اللذين لديهما الخبرة وتولوا التحقيق فيها قبلك". التفت إليها "تاراس" مندهشًا ومتسائلًا، "فارتا"؟ منذ متى كان ذلك؟ قال "تاراس": "حالفني الحظ فقط". قال "درفاريتش": "لقد حالفك الحظ لأن مرشدك كان بارعًا، وزميلتنا الشابة ليست هنا لأنها جميلة، إنما لأنها الأفضل من بين جميع المرشحين لهذا المنصب من حيث المؤهلات. إنها حاصلة على شهادات من كُلّيّتين، يا "تاراس"، علم النفس

وحاسبات، ودورة في التحقيق الجنائي وحصلت على علامات من الأفضل لك ألا أقارنها بعلاماتك. كم من هؤلاء المرشحين برأيك لديهم الاستعداد للمجيء إلى هنا؟". "حقيقة أن الزميلة جميلة هو شيء أشرت إليه مرتين حتى الآن. أنا لا أهتم بشكلها، المشكلة عندي أنها بلا خبرة وأنها ستحتاج إلى التدريب، وهو أمر لا يمكننا تحمله في القضية التي بين أيدينا".

ألقى نظرة أكثر تمعنًا على الفتاة التي لن تضطر إلى العمل مع "درفاريتش" مباشرة. فهي بالنسبة له مجرد نبات زينة سيزين به مكتبه.

لقد عقصت شعرها الأسود الطويل إلى الخلف على شكل ذيل حصان. إنه أسود جدًا. فهل صبغته؟ بالنظر إلى بشرتها السمراء، ربما لا. يبلغ طولها من 180 سنتيميترًا تقريبًا، ترتدي سترة زرقاء داكنة وتنورة قصيرة فوق الركبة، على الأقل الآن بما أنها جالسة. رغم الثلوج بالخارج، فقد ارتدت حذاءً كان "تاراس" يسميه "الحذاء الخنجر" لأن كعبه عالٍ ومدبب. يعرف "تاراس" أن جميع زميلاته الأخريات، بمعهد بطب التشريح الجنائي وغيرهن من الموظفات يرتدين بناطيل في العمل. وفي بعض الحفلات، وفي مناسبات أخرى يقمن بارتداء أحذية أكثر أنوثة بعض الشيء، فيبدو عليهن الإحراج لأنهن لسن على طبيعتهن، أو على الأقل يراهن "تاراس" الذي لم يكن معتادًا رؤيتهن متأنقات بهذه الطريقة على ذلك. إن طريقة "تينا لانك" وهي تضع يدها خلف ظهرها في حَرَج

عندما صافحت "تاراس"، والجالسة في مكتب "درفاريتش" جعلتها تبدو كأنها تقوم بتجربة أداء للعمل كمضيفة في أحد معارض السيارات. جميلة؟ أول شيء لاحظه أن عينيها واسعتان بعض الشيء، كعيون شخصيات رسوم "المانجا" الكرتونية اليابانية، فبدت له مضحكة بعض الشيء.

قال "تاراس": "لا أقصد أن أقول إنكِ لست جميلة.. أو أنكِ جميلة، أو أي شيء بهذا المعنى". ماذا أراد أن يقول؟ أيًا كان، فقد تَوَرّد وجهها خجلًا. "إذًا أنت لاحظت جمالها بالفعل، أليس كذلك؟ عفوًا يا آنسة، سنحاول أن ننتبه لكلامنا، لكن مهنتنا ما زالت مهنة ذكورية في العموم". "أنتَ نفسك بدأت العمل بالتحقيق الجنائي في السابعة والعشرين من عمرك. أنا في التاسعة والعشرين". ابتسمت. إنها بالتأكيد أجمل من "بينكا". قال "تاراس": "أنا لم أحضر لعملي في تنورة قصيرة". قال "درفاريتش" وهو يكاد يصيح به: "تاراس". "في غضون ساعة، سيخرج فريقي للعمل الميداني في "بوهيني"، هذا إذا كنت أتذكر الجزء الأول من محادثتنا بشكل صحيح. هناك سيبلغ ارتفاع الثلوج مترًا الآن، وبالتالي فإن كعب حذائها المدبب لن يفي بالغرض".

فكر كيف سيسيل لعاب "برايك" و"أوسترتس" عندما يقدمها لهما ثم قال: "وإذا كنت سأضطر إلى العمل مع.. معذرةً، ما اسمها مرة أخرى؟". ساعدته "تينا" قائلة: "تينا لانك". قال "درفاريتش": "ألا يمكنك تقبل مزحة يا "تاراس"؟ لقد أخبرتك أن هذه الشابة لديها كل المؤهلات اللازمة وهي

أفضل مرشح يمكننا الحصول عليه، وإذا كانت أجمل من أي مغفل في فريقك، فما الخطأ في ذلك؟". التفت "تاراس" إلى الفتاة المبتدئة التي نظرت إليه بدورها، وبدت ثابتة تمامًا. لو كان "تاراس" في مكانها منذ حوالي عشرين عامًا، لتبول في بنطاله من شدة الخوف. قالت: "فيما يتعلق بالعمل الميداني، أنا أسكن في شارع "كانكار"، أي على بعد خمس دقائق فقط سيرًا على الأقدام من هنا، لذلك يمكنني أن أعود إلى المنزل وأرتدي برقعًا إذا كنت تريدني أن أفعل ذلك". ضحك "درفاريتش" بينما استطاع "تاراس" بطريقة ما السيطرة على نفسه حتى لا يضحك. أكملت قائلة: "لَدَيّ بالفعل درج به عدة تنانير قصيرة بالمنزل، ولكن هذه التنورة (أمسكت بحافة تنورتها ولفتها لأعلى سنتيمترًا أو نحو ذلك)، ليست من ذلك الدرج".

عندئذ لم يستطع "تاراس" أيضًا السيطرة على نفسه فابتسم على مضض. للمرة الثانية، فكر في إنه كان سيتبول في سرواله لو أن "بينكا" اختبر قوته وثباته بهذا الشكل منذ أكثر من عقدين. نظر إلى "درفاريتش" وقال: "أنا في حاجة حقيقة إلى شخص سبق أن قام بمثل هذه الأشياء". قال "درفاريتش": "لا، هي من ضمن فريقك الآن".

الفصل التاسع



بعد ذلك بدقيقتين، كان "تاراس" يسير في الردهة باتجاه مكتبه ترافقه الفتاة الجديدة. كانت الردهة طويلة لأن "تاراس" اختار عن عمد مكتبًا يقع على أبعد مسافة ممكنة من مكتب "درفاريتش"، رغم أن ذلك لم يعد عليه بأي فائدة تذكر. ظل صامتًا حتى نهاية الردهة ولم يتوقفا إلا عندما وصلا إلى باب المكتب، فاستدار نحوها، وسألها: "هل أنت على علاقة به؟". "بمن؟ ""درفاريتش"؟ لا".

"على علاقة بأي شخص آخر؟". هزت رأسها بالنفي وبدا الاستنكار على وجهها، فقال: "بـ "كريستان"؟". لفت حدقتي عينيها الواسعتين بشكل غير طبيعي في حركة دائرية. قال وهو يفتح الباب: "إنه مجرد سؤال. أريد أن أعرف أين أقف".

يتقاسم "تاراس" مكتبه مع زميلين آخرين ويشكل منهما فريقه الجنائي أيضًا إذا اقتضت الضرورة. وجد كل منهما

جالسًا أمام جهاز الكمبيوتر الخاص به. راهن "تاراس" على أنهما لا يتفقدان رسائل البريد الإلكتروني المتعلقة بالعمل في الثاني من يناير، بل لعل "برايك" يتصفح بعض المواقع الأخبار المبتذلة، مثل مقالات حول انفصال لاعب الجولف الشهير "تايجر ودز" عن لاعبة التزلج "ليندساي فون "أو أي شيء آخر من هذا القبيل. ولعل "أوسترتس" يستعد لتفقد موقع شركة "إيباي" للتسوق الإلكتروني محاولًا العثور على مصباح خلفي أيمن لسيارته "الأوبل أوميجا"، إلا أنه ما زال منحنيًا فوق لوحة المفاتيح ممسكًا بدبوس ورق مستقيم، محاولًا اصطياد نُدَف الغبار الكبيرة المتراكمة بين المفاتيح. عندما لاحظا دخول "تاراس" حيّاه بإيماءة بالكاد مرئية، وأوشك كل منهما على مواصلة ما يفعله دون توقف لولا ظهور شيء جديد خلف "تاراس". ظل "أوسترتس" في وضعه السابق منحنيًا فوق لوحة المفاتيح وفي يده الدبوس المعدني، واكتفى برفع حاجبيه فقط بينما استدار "برايك" ووضع يده على مؤخرة رقبته واسترخى على ظهر مقعده وقال: "وو.. هوو، ماذا لدينا هنا؟".

لم يرد "تاراس" على سؤاله، بل جلس أمام جهاز الكمبيوتر الخاص به، وضغط على الزر، ونظر إلى الشاشة وانتظر بصبر حتى بدأ شيء ما يتحرك في مكان ما بأحشاء الجهاز. استغرق الأمر بعض الوقت حتى ظهرت النافذة تطالبه بكلمة المرور الخاصة به. وقفت "تينا" في منتصف الغرفة مترددة ونظرت نحو "تاراس" الذي ما زال يحدق في الشاشة أمامه.

نظر "برايك" نحو "أوسترتس" وهز كتفيه، ثم نهض وخطا نحو "تينا"، أو بالأحرى مشى هائمًا نحوها وهو يدفع بطنه الضخم المترهل أمامه وهي الحركة التي ذكّرت "تاراس" بناقلة شحن تحاول الإبحار عبر الميناء. قال "برايك": "أنا "بافلي"، في خدمتك". مد يده، فصافحته تينا" وهي تقول: "تينا لانك"، زميلتك الجديدة، على ما يبدو أن..".

نظرت إلى "تاراس"مرة أخرى الذي رفع رأسه عن الشاشة ونظر إليها بدون حتى إيماءة، ثم عاد ونظر إلى الشاشة مرة أخرى. قاطعها "برايك" قائلًا: "حسنًا، سعدت بلقائك". كرر الجملة مرة أخرى، فبدا كأنه عجوز متقاعد أسقط سَهْوًا حبة "فياجرا" في الشاي الذي يتناوله. وبينما كان يعبر عن مدى سعادته ثانية، ارتجف ذقنه. وانتاب "تاراس" الرعب وهو يفكر في أن هذا الرجل يفعل ذلك وهو أصغر منه. في النهاية، سلمها "برايك" إلى "أوسترتس" الذي صافحها ثم أفلت يدها بسرعة وهو يحدق بها بطرف عينه واقترب من وجهها. تساءل "تاراس" عما إذا كان "أوسترتس" قد ذهب بالفعل إلى طبيب أسنان كي يحشو أسنانه الستة اليمنى السفلية التي تَسَوَّسَت، وعما إذا كانت رائحة أنفاسه ما زالت كريهة حتى اليوم، وهو ما جعله، ودون رغبة منه، يشعر بالمسؤولية عما يجري. ألقى نظرة على مكتبه وتناول كوبًا ورقيًا به بعض من بقايا القهوة المُتَيَبِّسة وأوشك أن يرميه في سلة المهملات الورقية إلا أنه غير رأيه وأعاده لمكانه باستخفاف وهو يقول: "الآنسة "لانك" هنا بدلاً من "بينكا"..".

لاحظ تأثير هذه الجملة على وجهي زميليه اللذين حيّاها بإماءة. هل هو الوحيد الذي يرى أن إرسال خريجة حاسبات تحمل شهادة في علم النفس بدلاً من محقق جنائي متمرس، غريب؟

أكمل قائلًا: "هذا هو مكتبه وعليه جهاز الكمبيوتر الخاص به، غير أن أغراضه ما زالت به".

عندما توفي "بينكا" في مطلع فصل الخريف، ترك بمكتبه أدراجًا مكتظة بالأوراق. في العزاء الذي أعقب الجنازة أبلغ "تاراس" ابنه بذلك فقال إنه سيتصل به لاحقًا، ولم يتصل مطلقًا. والآن، بعد نصف عام تقريبًا، بدا مكتب "بينكا" كأنه قيد مثله مثل مكتب "تاراس"، ربما بدا أكثر ترتيبًا بعض الشيء، كأن من يشغله قد ذهب في إجازة طويلة وسيعود. قال "تاراس": "ماذا سنفعل بكل هذه الأغراض الآن؟". قالت "تينا": "سأجد صندوقًا وأخليها بالكامل". "كلمة المرور لجهاز الكمبيوتر الخاص به هي..". "لا داعي لذلك. فقد أنشأوا بالفعل حسابًا لي على الشبكة وسأقوم بتسجيل الدخول بحسابي الخاص". تحدث "برايك" مرة أخرى قائلًا: "إذا كنتِ تبحثين عن صندوق، اذهبي إلى "ماريانا" في قسم الحسابات. إنهم يتسلمون دائمًا أغراضًا في صناديق، ومن المؤكد أن لديهم بعضًا منها. أبلغيها أنني أرسلتك إليها".

ابتسمت له ثم رافقها إلى الباب وأشار إلى المكان الذي يجب أن تذهب إليه. وعندما عاد قال وهو ينقر بقدميه على الأرض: "مرحبًا يا "تاراس"، ما هذا الذي جلبته لنا اليوم؟".

"إنه "درفاريتش"، وليس أنا". "واو، يا لها من امرأة شديدة الجمال!".

كان يربت على بطنه بكلتا يديه، وهي حركة ما كان "تاراس" ليفهم معناها مهما حاول. هل معناها أنه ينوي أن يلتهمها؟ نظر إلى "أوسترتس" الذي أخذ يدق بالفعل على لوحة مفاتيحه النظيفة، وبدا كأنه ابتلع لسانه، وقد التصق مرفقيه بخصره.

والحقيقة أن "بافلي برايك" و"زوران أوسترتس" أو "برايك" و"أوسترتس" كانا رجلين غريبي الأطوار، فلا أحد منهما ينادي الآخر باسمه الأول، أما "تاراس" فكان دائمًا "تاراس" ولم يكن "بيرسا" أبدًا، ربما لأن اسمه يوحي بأنه لقب. من لا يعرفهما لن يخمن أبدًا أنهما محققان جنائيان بارعان مثلما لن تخمن للوهلة الأولى أن فرقة موسيقى الروك "رولينج ستونز" فرقة رائعة. لا شيء يميز كل من الرجلين بشكل فردي إلا أنهما يكملان بعضهما بعضًا بشكل رائع. كان "أوسترتس" نحيفًا، خفيف الشعر، ساحرًا عندما يتعلق الأمر بالمسائل التقنية بطريقة تشبه الطريقة العملية لميكانيكي السيارات لذلك كان "تاراس" يستشيره كلما اشترى سيارة. جميع السيارات التي امتلكها "تاراس"، بما في ذلك سيارته الحالية، مستعملة، واعتاد "أوسترتس" أن يرافقه دائمًا إلى التاجر ويتفاوض على السعر. إنه أصغر من "تاراس" بحوالي عشر سنوات، وأصغر من "برايك" بخمس سنوات ولديه طفلان ما زالا في المدرسة الابتدائية. بينما أنهى ابن "برايك"

الوحيد دراسته الثانوية وكان يراه كل أسبوعين وفقًا للترتيبات التي اتفق عليها مع زوجته السابقة. وبقدر معرفة "تاراس" بـ"برايك"، فبإمكانه أن يقول بثقة تامة أن ما من امرأة أخرى دخلت حياة "برايك" بعدها. كان لا يزال يحمل صورتها على مكتبه بحجة أن ابنه كان داخلها أيضًا، ولطالما شك "تاراس" في وجود أي صورة لابنه بحوزته بدون الأم. كان "برايك" بالفعل أشيب وبدينًا تمامًا، فلا تراه إلا وتجده إمّا يلتهم سندويشات وإمّا يحشو معدته بأقراص مضادة للكوليسترول يوفرها نظام التأمين الصحي بالإضافة إلى حبوب مستخلصة من البن الأخضر وأشياء مماثلة وجدها له "أوسترتس" على شبكة الإنترنت في محاولة لإنقاص وزنه وخفض نسبة السكر في دمه بما يكفي لإجراء جراحة لترميم الغضروف المفصلي قبل أن يتوقف تمامًا عن العمل. كل منهما كان قادرًا على التعامل مع الناس وكلما ظهروا في مكان ما، تقبلهما الناس باعتبارهما حالة فريدة من نوعها. وبفضل "ألينكا" وليس بمبادرة منه لم يكن "تاراس" مثل "أوسترتس" الذي يرتدي كنزات فضفاضة بطلت موضتها منذ ثلاثين عامًا تقريبًا، ولا مثل "برايك" الذي يعرج من فرط الترهل، وعينه تبحث باستمرار عن أي شيء يلتهمه. في الواقع، كان أحد أسباب نجاحهم هو اختلافهم الشديد، غير أنهم ظلوا حتى الآن ثلاثة رجال، ووجود امرأة بينهم يمكن أن يعقد الأمور فِعليًا. قال "برايك": "هل تراها جذابة أنت أيضًا يا "أوسترتس"؟". قال "أوسترتس" دون أن يرفع عينيه عن الشاشة: "لا بأس بها". "لا بأس بها أم جذابة؟". "كلاهما".

نظر "تاراس" إلى "برايك" الذي هز كتفيه مستهجنها كأنه يقول: إنه "أوسترتس" كما عهدته. هتف "برايك": "يا أبله، إنها ليست جذابة فحسب، بل إنها صاروخ حقيقي". ثم نظر إلى "تاراس" الذي أومأ برأسه كي يلتزما الهدوء والصمت.

عادت "تينا" بصندوق كبير من الورق المقوى، وفتحت الأدراج، ودون إبداء أي تعاطف نحو أغراض الراحل "بينكا" بدأت في إفراغها. فكر "تاراس" في أن هذا كل ما تبقى من إنسان بعد ثلاثين عامًا.. مجرد درج مليء بالمستلزمات المكتبية؛ أقلام حبر جاف، وأقلام رصاص، وممحاة، ودباسة.. ودرج آخر مليء بالوثائق والمستندات التي لم يعد الشخص الذي مات بحاجة إليها، وكذلك شريط تسجيل أو أداة تستخدم لتخزين الصوت والصورة من النوع الذي يحتاج بذل جهد كبير للعثور على جهاز يمكنه قراءة ما هو مسجل عليها. لقد ظلوا يتساءلون على مدار نصف عام عما سيفعلونه بكل هذه الأغراض، والآن تأتي هذه الفتاة وتسوي كل شيء في نصف ساعة. سألت "تينا" عندما انتهت من تعبئته: "أين أضعه؟". قال "تاراس": "سآخذه". سوف يتصل بابن "بينكا" مرة أخرى، وإذا لم يحضر، فسيخزنه في القبو. ربما يجد "تاراس" بعض الوقت لتفقد تلك الأغراض بنفسه ذات يوم. جلست "تينا" على الكمبيوتر وأخذت تنظف الشاشة ولوحة المفاتيح بقليل من سائل التنظيف وإسفنجة لا بد أنها أحضرتها عندما ذهبت للعثور على الصندوق. ولأول مرة منذ مجيئه هنا، منذ عشرين عامًا على الأقل، دقَّق "تاراس" النظر

في لوحة المفاتيح الخاصة به. قالت وهي تنتظر أن يبدي الكمبيوتر أية استجابة: "أوه، يا له من جهاز عفا عليه الزمن!".

بدا الأمر كأن "أوسترتس" انتظر هذا التعليق حتى يبدأ حديثًا استغرق خمس دقائق عن أشياء لم يفهمها "تاراس" ولم يهتم بها، ومن الواضح أن "برايك" كان مثله. إنهم أثاروا أعصابه، فنقر بقلمه على المكتب فالتفت الثلاثة نحوه. قال: "الآن وبعد أن تعرّفنا جميعًا على بعضنا بعضًا، اسمحوا لي بكلمة حول مهامنا المستقبلية. أنتما الاثنان لا تعرفان حتى الآن أننا سنبدأ العام الجديد بقضية جديدة..".

روى مرة أخرى القصة نفسها للمرة الثالثة أو الرابعة خلال يومين. عندما انتهى ساد صمت بالمكتب. أكمل قائلًا: "في حوالي الثانية عشرة، من المفترض أن يصلنا تقرير معهد الطب التشريح الجنائي، بصمات الأصابع والحمض النووي..".

ثم توقف عندما أدرك أنه يوجه حديثه بالفعل لـ"تينا" لأن "برايك" و"أوسترتس" يعرفان هذه الإجراءات. في الحقيقة ينبغي أن تعرفها هي أيضًا. بأي اسم من المفترض أن يناديها؟ أيناديها بـ"لانك" مثل "برايك" و"أوسترتس" وليس "تينا" مثل "بافلي" و "زوران"؟ هل سيستمر "برايك" في إلقاء أقذر النكات التي وجدها على الإنترنت وأقلها احتشامًا في أثناء تناول قهوة الصباح؟ حسنًا، إن هذا لشيء لا يمكن أن يفوته. قال "تاراس": "في غضون ساعة، سيعلن "درفاريتش" للرأي العام عن العثور على الجثة. سيقول إنها ظلت في الماء لفترة طويلة مما يجعل التعرف عليها مستحيلًا. لن يذكر

الرأس وهذا يعني أننا أيضًا لن نذكره، ولا حتى في اللقاءات الإخبارية. انتبهوا حتى لا يفلت الأمر من بين أيدينا".

لم يومئ "برايك" ولا "أوسترتس" مجرد إيماءة لأن الجزء الأخير من كلامه لم يكن يخصهما على أية حال. سأله "أوسترتس": "ألا تراودك أي أفكار بعد؟ أعني، هل هذا كل ما تعرفه؟". "نعم".

خطا "تاراس" إلى اللوح الذي ثبته على الحائط، بل كانا لوحين في الحقيقة؛ أحدهما عبارة عن لوح للنشرات أو البيانات مصنوعًا من الفلين ويمكنه تثبيت الأشياء عليه بدبابيس، والآخر سبورة بيضاء يمكنه الكتابة عليها بقلم ملون ومسحه، وهو يستخدمه لتدوين التخمينات والافتراضات التي تنتقل، بمجرد التصديق عليها، إلى اللوح الأول. أخذ الممحاة ومسح جميع الملاحظات السابقة حتى أصبح اللوح نظيفًا وأبيض قبل البدء في الكتابة عليه من جديد، والتحدث بصوت عالٍ. لم يكن يتحدث معهم، فكل من "برايك" و"أوسترتس" يعرف أنه كان يتحدث إلى نفسه، وأنه لن يغير عاداته بسبب الوافدة الجديدة. قال "تاراس": "أولًا، سوف نرسل فريق التشريح الجنائي إلى الموقع الذي تم العثور فيه على الجثة، دعهم يتحققون مما إذا كان هناك أي شيء فاتني بالأمس، أو أول أمس. ورغم الظروف التي تعاملت في ظلها مع الموقف، إلا أنني لا أتوقع أن يعثروا على أي شيء جديد".

ثم كتب رقم واحد وبجانبه دوّن: تفقد الموقع، شرطة،

التشريح الجنائي.

استأنف كلامه قائلًا: "ثانيًا، جمع المعلومات والتحدث مع القرويين بقرية "ريبتشف لاز"، وهي لحسن الحظ القرية الوحيدة التي تقع عند المنبع حيث موقع الجريمة، ثم إجراء مقابلات مع مالكي منازل العطلات في "أوكانك". وسنتفقد أيضًا أحوال الضيوف في الفنادق المجاورة للبحيرة، كما سنتحقق من وجود أي شخص مفقود منذ الوقت الذي نظن أن الجريمة ارتكبت فيه. إن جثة الفتاة وصلت إلى النهر عبر البحيرة، مما يعني أن الجريمة ارتكبت على الأرجح في مكان ما بالقرب من شاطئها". توقف وفكر لحظة.. ثم قال: "ماذا يسمون خبراء المياه؟ علماء الهيدرولوجيا؟". لم ينتظر إجابة، بل كتب عالم الهيدرولوجيا بعد رقم ثلاثة ثم قال: "ربما لن يفيدنا ذلك كثيرًا، ولكن دعونا نجرب".

أخذ خطوة إلى الوراء ونظر إلى اللوح مرة أخرى، ثم التفت إلى الثلاثة خلفه وقال: "سوف أذهب إلى "وكالة البيئة السلوفانية" وأقابل أحد علماء الهيدرولوجيا، وأنت يا "برايك"، اتصل بـ"جولوب" كي يرسل فريقه إلى "بوهيني". أخبرهم أننا سنلتقي بهم في "بوهينيسكا بيستريتسا " ولتتصل بي إذا وصلوا قبلي، وعليكما أنتما الاثنان انتظار التقرير ثم تأخذانه معكما إلى هناك". سأل "برايك": "و"تينا"، هل ستأتي معنا؟". نظر "تاراس" إلى "تينا" التي كانت جالسة أمام الكمبيوتر وبدا مرتبكًا بعض الشيء عندما التقت أعينهما. نظرت إلى "برايك" ثم إلى "تاراس" مرة أخرى. نظرتها

المستضعفة جعلتها تبدو صغيرة السن للغاية، فذكّرته بابنتيه. قال "تاراس": "يمكنها أن تذهب معكما أو أن تأتي معي. ستحتاج إلى بعض الوقت لتعتاد علينا".

قال لنفسه إن الأمر سوف يستغرق منا وقتًا أطول حتى نعتاد عليها. ردّدت نظراتها المرتبكة بين "تاراس" والاثنين الآخرين.

قال "تارس": "في الحقيقة.. يمكنك أن تأتي معي. قلتِ إن بوسعك أن تستعدي بسرعة، أليس كذلك؟". أومأت برأسها بشكل قاطع وقالت: "سأعود في غضون خمس عشرة دقيقة". "بل يمكننا المرور على مسكنك في طريقنا. يمكنني انتظارك في السيارة". لم يتمالك "برايك" نفسه وقال: "فهمت، أنت تريد أن تبدأ، أليس كذلك؟ جميل، لطيف..".

فكر "تاراس" "لن تدخل أي امرأة حياتك أبدًا يا برايك". ومن ثم تركه يزيح الجملة عن صدره. قال "تاراس": "هناك شيء آخر. نحن الثلاثة تعودنا أن نتعامل بدون ألقاب، لذا لا "سيد" ولا "آنسة" هنا، إذا كان هذا يناسبك يا "تينا" خاصة وأنتِ تتعاملين مع رجل عجوز مثل "برايك". زمجر "برايك" بغضب وقال: "عجوز؟ انظروا من الذي يتكلم!".

بعد عشر دقائق، أوقف" تاراس" سيارته في موقف سيارات الأجرة في شارع "كانكار". وبعدما ذهبت "تينا" إلى شقتها، قام بتعبئة استمارة الأمر التنفيذي. لقد استغل غيابها لتجاوز المربعات التي ينبغي وضع علامة عليها والأرقام الغامضة

التي ينبغي أن يعبئها، وفكر في أن "تينا" يمكنها القيام بهذه المهمة من الآن فصاعدًا. عندما كان يخرج إلى جولات ميدانية مع "بينكا"، كان هو من يملأ الاستمارة، حتى لو كان يقود السيارة؛ الآن بما أنه أصبح بمفرده لفترة من الوقت، فسيعبئها بنفسه بالطبع. لا، إنه يعبئها الآن ليس لأن هناك فتاة أصغر منه سنًا سوف تجلس بجواره عندما تعود "تينا"، بل لأنه أخفى عن "برايك" و"أوسترتس" حقيقة أنه يحتاج إلى نظارة للقراءة أيضًا. إنها جذابة، أو على الأقل هذا ما يعتقده الجميع على ما يبدو.

الفصل العاشر



قال الرجل ذو اللحية المشذبة الأنيقة التي تبدو بخطها الفاصل بين الأجزاء المشعرة والحليقة من جلده وكأنها إطار لوجهه، وفوق ذلك بدا وجهه شاحبًا إلى حد ما: "إذا فهمت ما تقصده بشكل صحيح.. فأنت تريد أن تعرف المدة التي تستغرقها جثة ألقي بها في بحيرة "بوهيني" كي تصل هنا..". ثم وضع إصبعه على خريطة بسطها فوق المكتب أمامه وقال: "حوالي ثلاثة كيلومترات من "ريبتشف لاز". نظر "تاراس" إلى الخريطة، ووقع بصره على مقطع الطريق الذي صادف به سيارة الشرطة وأومأ.

قال الرجل: "أخشى أنني لا أستطيع إفادتك في هذا الأمر".

سأله "تاراس": "لماذا؟". "لأني ليس لَدَيّ أدنى فكرة عن مدى سرعة حمل الماء للأجسام، سواء طفت على السطح أم غرقت.. هذه كلها أشياء تخرج عن حدود علمي". تطلع إلى "تينا"، ولم تكن المرة الأولى. قال "تاراس": "في الحقيقة إنني لم أنتظر منك أن تخبرني أين ألقي بالجثة في الماء، بل أين لم يُلق بها". "ماذا تقصد؟". "وفقًا لخبراء الطب الشرعي فإن الفتاة قُتلت منذ حوالي أسبوع وهي المدة نفسها أيضًا التي ظل فيها الجسد بالماء. في غضون هذه المدة، هل بإمكان المياه حملها من أي جانب من البحيرة؟". ابتسم عالم الهيدرولوجيا وقال: "لا، لا أعتقد ذلك. في الواقع، التيار ببحيرة "بوهيني" تيار جيد. ولكن مسطحها المائي يتبدل بالكامل بمعدل ثلاث مرات في السنة فقط، ومن ثم إذا تم إلقاء جثة في البحيرة عند جانبها الشمالي الغربي، في مكان ما بالقرب من "أوكانك"، فعلى الأرجح أنها ظلت هناك أسبوعًا قبل العثور عليها". "هل تقصد أن ذلك لا بد أنه حدث بالقرب من المجرى المنساب من البحيرة إلى "سافا بوهينيكا"؟". "يزرينكا"، يُطلق على المجرى المائي القصير المنساب من البحيرة اسم "يزرينكا" ولا يصبح اسمه "سافا بوهينيكا" إلا عندما يمتزج مع مجرى آخر يسمى "موستنيكا" وذلك بعد حوالي مائة متر أو نحو ذلك". "حسنًا، "يزرينكا".

إن طريقة عالم الهيدرولوجيا أثارت أعصابه ومن الواضح أن العكس كان صحيحًا أيضًا. قال العالم: "نعم، على الأرجح. لماذا لا تذهب إلى البحيرة وترمي فيها قطعة خشب وتراقب

ما يحدث لها؟ ". قال "تاراس" وهو يحاول ألا يبدو ساخرًا: "أظن من المفترض ونحن في القرن الحادي والعشرين أننا نملك بعض الأساليب الأكثر تقدمًا". عندما عادوا وجلسوا في السيارة واتجهوا نحو الشارع الجانبي غمغم "تاراس" كأنه يتحدث إلى نفسه إلى حد ما قائلًا: "لا بأس، لقد حاولنا".

أزيحت الثلوج الأسوأ من على الطرق وتكدست على جوانبها وتحول لونها بالفعل إلى الأسود الرمادي. لطالما اعتقد "تاراس" دائمًا أن ثلوج المدينة ليست جميلة، ولا يمانع إذا هطل المطر طوال فصل الشتاء في ليوبليانا، ما دام سيجد مترًا واحدًا من الثلج في هضبة "بوكليوكا" ليتزلج عليه لمسافات طويلة.

قادا السيارة لبعض الوقت في صمت وشعر "تاراس" بالحرج لأنه أدرك أن الراديو يبث عبر السماعات عملًا كلاسيكيًا إلا أنه رتيب. وفكر في أن يترك الموسيقى تصدح لكنه حول المحطة الإذاعية بعد دقيقة إلى محطة موسيقى الروك. كانت أغنية "طفل في الوقت المناسب Child in Time " لفرقة "ديب بيربل". وأوشك أن يضغط على الزر لينتقل إلى المحطة التالية لكنه توقف متسائلًا: ما هذا الذي يفعله؟ لم يكن هو من يغني على أية حال.

سألها "تاراس": "حسنًا، ما الذي وضعك في طريقنا؟". شعر أن أنسب من يطرح هذا السؤال هو "تشفيلاك" الذي أوشك على التقاعد. سألته "تينا" وكأن سؤاله لشخص آخر بالسيارة: "أنا؟". ابتسمت ثم سألته: "هل أنا مضطرة للإجابة؟". "لا،

لستِ مضطرة إذا كان سرًا". "أوه، لا، ليس سرًا. إذا كان الأمر يعنيك يا سيد..". "تاراس" فقط بدون سيد". "آسفة، سأتعود على ذلك. لا، ليس سرًا. إنه الملل. هذا هو جواب السؤال. كان لَدَيّ أهداف وأمنيات مختلفة في الحياة، ولكنني نسيتها من أجل والديّ، وسجلت في الحوسبة ومعالجة البيانات، ولكي أرضيهما، أكملت أيضًا دراستي رغم علمي أنني لا أهتم بها حقيقة". "وما تلك الأمنيات؟". ابتسمت وقالت: "سوف تضحك.. عندما كنت ألعب في صندوق الرمال وأنا طفلة صغيرة تخيلت نفسي عالمة آثار، عالمة حفريات أو شيء من هذا القبيل حتى قبل أن أعرف أن مثل هذا المسمى موجود. لعبت الفتيات من أقراني بالدمى، ولعبت أنا بالمجرفة". "وعلم النفس؟". "ظننت أنه سيكون نهاية المطاف، أو على الأقل سيكون الأفضل. أو.. أوه، لا أعرف كيف فكرت حينها. في الوقت نفسه دأبت على قراءة قصص الجريمة وشاهدت الكثير من مسلسلات الدراما الأمريكية. أعرف أن هذا شيء أحمق وطفولي، لكنني أردت أن أكون جزءًا من فريق تحقيق جنائي يقوم بحل الألغاز". "لماذا تعدينه حماقة؟ هذا في الواقع ما يحدث لنا جميعًا". صمتت لحظة وابتسمت على استحياء ثم قالت: "حسنًا، في الحقيقة أنت مسؤول جزئيًا عن وجودي هنا اليوم". "أنا؟". "نعم، قضية "فارتا" كانت واحدة من القضايا التي نوقشت في دورة علم النفس التي درستها. هل حلها كان حقًا مجرد حظ؟". "دائمًا يلعب الحظ أيضًا دورًا ما. كيف ناقشتِ قضية "فارتا" هذه؟". "في السنة الثالثة، في علم الأمراض النفسية وعلم النفس الاجتماعي،

درسنا الجريمة".

عض على شفته حتى لا يتفوه بأي كلمة. ها هم يرسلون له خبيرًا في علم الأمراض النفسية وعلم النفس الاجتماعي والفيسبوك بدلًا من شخص يتمتع ببعض الخبرة العملية في التحقيق الجنائي. هل هذا ما يسمونه العصر الحديث؟ من سيحل محله؟ هل سيكون إنسانًا أم برنامج كمبيوتر؟

قال: "كانت "فارتا" قضيتي الأولى. أعني.. أول قضية شاركت في حلها".

بعد شهر من إنهاء دراسته في التحقيق الجنائي وإتمامه أيضًا أسابيع التدريب العملي المطلوبة، تم تعيينه في فريق "بينكا" للتحقيق في اختفاء بعض الأشخاص، وقد ظنوا في البداية أنهم اختفوا للتهرب من الدائنين أو الضرائب أو من زوجاتهم؛ ثم عثر بعض المشاة من جامعي الفطر على أول جثة في الغابة، بالصدفة، كما عثروا على بطارية من نوع "فارتا" في مسرح الجريمة وهكذا سميت القضية باسمها.

هل تضايق "بينكا" أيضًا عند التحاق "تاراس" بفريق التحقيق؟ من المؤكد أنه لم يُظهر ذلك.

كان التحقيق مستمرًا ولم يستدلوا على أي شيء. عدم وجود أي دليل مادي جعلهم يلجأون إلى التحايل. فقاموا باعتقال أول شخص اكتشفوا أنه تورط مع الضحايا الثلاثة المعروفين في شبكة من الجمعيات الغامضة المشبوهة، وشحذوا كل أسلحتهم ضده. بناءً على إشارات ملتبسة لا

تعد حتى مجرد الأدلة، قاموا باحتجازه في البداية لمدة أربع وعشرين ساعة، وبعد ذلك، بناءً على أدلة أضعف رفض قاضي التحقيق ببساطة الأخذ بها، تمكنوا من تمديد احتجازه لمدة ثمانٍ وأربعين ساعة أخرى بمقتضى حكم قضائي غير أن ذلك لم يقودهم إلى أي شيء أيضًا. عندما ييأسوا، أرسل "بينكا" "تاراس" إلى الرجل قائلًا: "دع الفتى يحاول". جلس "تاراس" أمام الرجل السمين المغرور الذي غرف فيما بعد بوصفه زعيم منظمة من القتلة، ونظر إليه الرجل بعجرفة وأخذ يشكو من طريقة تعامل الشرطة معه وكيف يواصلون مضايقته رغم أنه قدم حجة غياب لكل التهم التي وجهت إليه.

قال بعجرفة: "تشير أصابع الاتهام دومًا نحو "الريفيين"، أما الناس من الجنوب.. فهم جميعًا محميون، أليس كذلك؟ لا تفكر مرتين في اختبار ثبات رجل صادق..". قال " تاراس" وهو يعرف أنه يدلس الحقائق: "أنا أتفهم تمامًا ما تقوله. كل ما أحتاجه منك مجرد تلخيص لما قلته لزملائي ثم سيطلق سراحك على الفور".

أومأ برأسه بل ظل يومئ لمدة ساعة ونصف وهي المدة التي استغرقتها المحادثة التي كانت أقرب إلى المونولوج من جانب المشتبه به، الذي لم يُدلِ لـ"تاراس" بأي شيء لم يسبق أن أدلى به لزملائه. إنه لم يصر على استكمال المونولوج إلا لأن "بينكا" أمره بعدم الخروج من غرفة الاستجواب قبل ساعتين على الأقل.

قال الرجل: "لذا، سأخبرك أيضًا أين كنت في الوقت الذي

أزعجتني بالسؤال عنه..". قدم له قائمة حجج غياب دون أن يطلب منه "تاراس" ذلك قائلًا إنه عندما اختفى "سلونياك" كان في مكان كذا وكذا، وعندما اختفى "برايينيك".. و"كوفاتش".. و"ماركيتش".. كان في مكان كذا وكذا..

لقد ذكر اسماء أربع جثث، من إجمالي ثلاث. لم يعثروا على الرابع حتى الآن، ولم يعرفوا عنه أي شيء على الإطلاق. حتى "تاراس" كاد أن يغفل عن ذلك.

ظلوا يضغطون عليه، ولكنه لم يدلِ بأي شيء جديد رغم ذلك، أما الباقي فكان واضحًا وضوح الشمس. وكما اعتاد "بينكا" أن يقول: "عندما تكون على يقين، عندما تعرف ما الذي تبحث عنه، ستجده..". كان بوسعه بسهولة أن ينسب لنفسه الفضل في حل هذه القضية وأي شخص في مكانه كان سيفعل ذلك.

لم ينس "تاراس" أبدًا مقولته: "عندما تعرف ما الذي تبحث عنه، ستجده".

قبل ستة أشهر، توفي "بينكا" بسبب سرطان الرئة، بعد مرور اثنا عشر عامًا منذ آخر مرة أشعل فيها سيجارته وقبل ستة أشهر من التقاعد. عندما زاره "تاراس" آخر مرة، قبل أسبوع من وفاته، ساروا إلى "شتوركليا" بأقصى نهاية شارع "زالوتشكا" وتناولا القهوة هناك، بل "تاراس" هو من تناولها وحده أما "بينكا" فلم يكن بمقدوره تناول أي شيء قد يهيج معدته وقد طلب شايًا بالنعناع غير أنه لم يشرب إلا القليل

منه.

قال "بينكا" حينها: "قرأت في مكان ما أنه في غضون أربعة عشر عامًا يستعيد الجسد عافيته بالكامل. تبقى لي عامان كي أصل لهذا الرقم".

كان "بينكا" رجلاً ضئيل الحجم في العموم والآن فقد نصف وزنه.. حتى إنه اضطر لأن يربط بنطال البيجاما المخططة باللونين الأزرق والأبيض، في عقدة عند الخصر، وإلا سيفلت.

قال نادمًا: "لو كنت أعرف، لما اهتممت كثيرًا بهذه السنوات. استشعرت ذلك كلما أغمضت عيني مساءً، بل ونهارًا في بعض الأحيان.. أنت تعرف هذا الإحساس الذي يشعر به المرء عندما ينفث الدخان من رئتيه. يا له من شعور مبهج! لقد تخليت عنه منذ اثني عشر عامًا، لكنه ليس بالشيء الذي يمكن نسيانه. اللعنة!".

تناول رشفة من الشاي، مما جعله يسعل وظلت أنفاسه تخشخش لفترة طويلة، ثم أسند "تاراس" ظهره وساعده حتى وصل إلى مكان عبور المشاة وعبر الطريق.. إلى قسم الأورام ثم إلى غرفته.

قال: "هل لي أن أقدم لك بعض النصائح، يا "تاراس"؟ آخر ما..". "هيا، يا "بينكا".. هات ما عندك". "هيا، اسمع..".

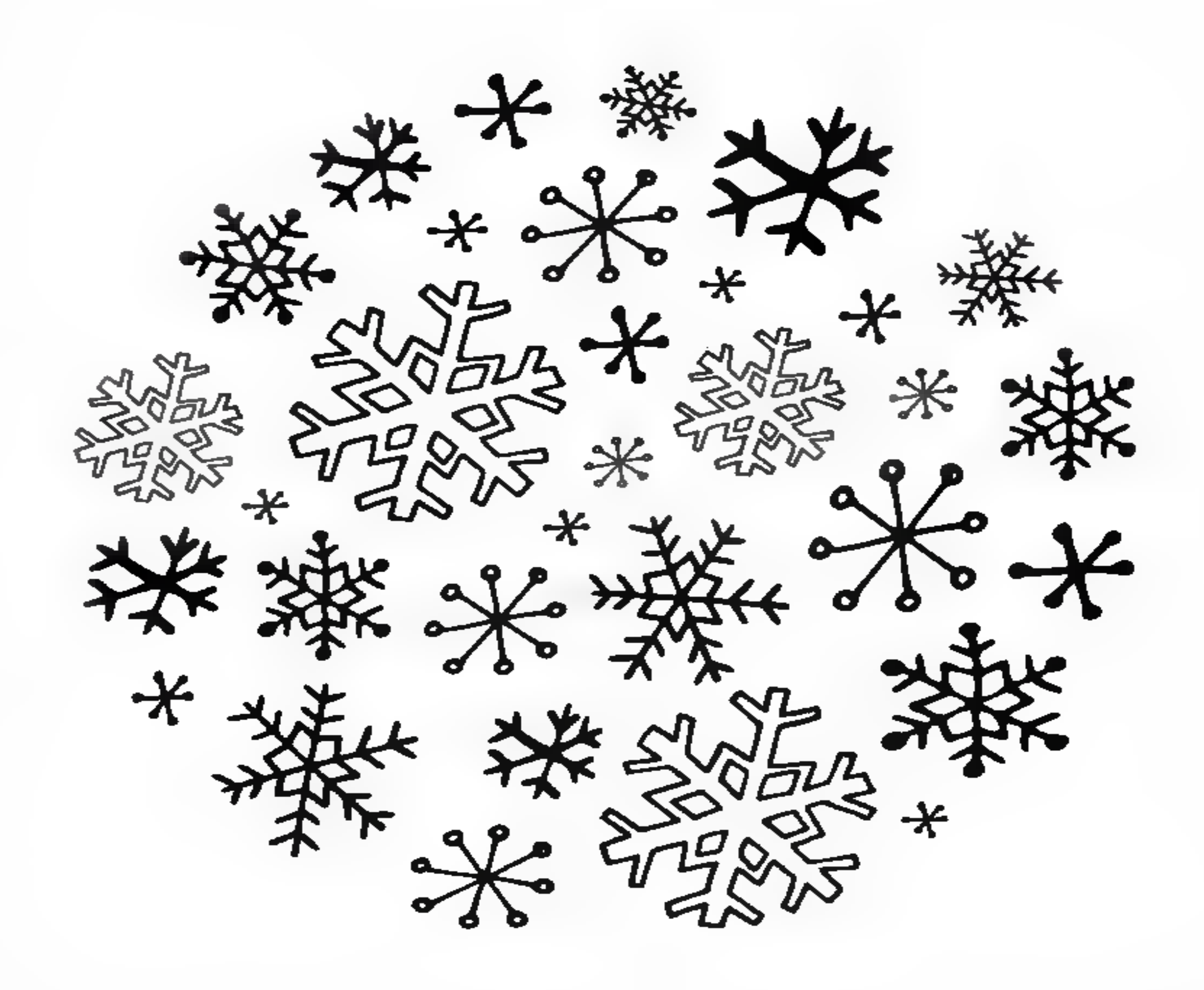
أشار له بإصبعه ليقترب منه، كأنه لا يريد أن يسمع رفاقه بالغرفة والذين لاحظوا وصوله وهم ممددون على أسرتهم دون أن يبدوا أي اهتمام، لما سيقوله.

قال: "اسمع. استيقظ كل صباح، واخرج إلى البلكون، وانظر إلى الشمس وقل بأعلى صوت: "رائع"! قم بذلك كل صباح، يا "تاراس". فماذا لو أنه صباحك الأخير؟".

باعتباره متسلق جبال رأى "تاراس" الشمس مرات عديدة، وشاهدها وهو في كيس نومه وهي تشرق. في الأشهر التي تلت جنازة "بينكا"، تساءل "تاراس" عما إذا كانت هذه الشموس هي التي وصفها "بينكا" يا ترى. إنها شموس لا تنساها مهما حدث مثلما لا ينسى المدخنون السجائر مهما حدث.

بعد يوم من زيارة "تاراس"، دخل "بينكا" في غيبوبة لم يفق منها أبدًا. والآن جاءت هذه الشابة الجذابة التي أحضرها "درفاريتش"، لتخفي آخر دليل مادي متبقٍ على أن "بينكا" كان موجودًا هنا. الأسوأ، في ظنه، أن الوضع يتفاقم.

الفصل الحادي عشر



قالت "تينا" بنبرة يشوبها بعض الإحباط: "أهذا إذًا ما جرى؟". ثم أكملت قائلة: "لقد عرضوا علينا القضية في الجامعة باعتبارها مثلًا يُحتذى به على كيفية استخدام تكتيكات مناسبة من قبل محقق جنائي لا يرحم جعلت المتهم يقر ويعترف". "لم أستخدم أي تكتيكات، وإذا حدث، فهي تُحسب لـ"بينكا" وليس لي".

بدأ يشعر بالندم لأنه اصطحبها معه. فقد اعتاد القيادة بمفرده ولذا فإنه عَدّ كل هذا الحديث، وكل هذا الحماس من

الراكب الجالس إلى جواره بالمقعد الأمامي بمنزلة مصدر إزعاج له.

ومن الواضح أن "تينا" لم تنتبه إلى الحالة المزاجية التي تنتاب "تاراس" فتابعت قائلة: "درّس لنا أستاذ بالجامعة أظن أنه كان مشروع محقق جنائي واعد، فقد دارت نصف محاضراته حول أشياء من هذا النوع. ربما يعود إليه الفضل أيضًا في وجودي هنا الآن. لعلي خشيت أن أصبح مثله وأقضي حياتي في الحديث عن أشياء كنت أرغب في القيام بها، لكنني لم أقم بها أبدًا".

كانت ترتدي بنطال "جينز" وحذاء مشي لمسافات طويلة، وعندما جلست في السيارة وضعت على المقعد الخلفي جرموق من القماش يلبس فوق الحذاء لحمايته من الماء، لم يكن من النوع السياحي الذي يستخدم في النزهات العائلية بجبل "شمارنا جورا".

لمحته "أنيتا" وهو يتابعها وهي تضعه على المقعد. قالت "تينا": "هناك شيء واحد لا أفهمه. هذه القضية شميت باسم البطارية التي عُثر عليها مع الجثة الأولى. ما الذي أدى إلى ذلك؟". "البطارية؟ لا شيء. كل ما حدث أنني قضيت أسبوعًا أسأل البائعين في المتاجر وفي أكشاك الصحف عما إذا كان بوسعهم تذكر أي شخص اشترى منهم بطارية "فارتا"، إلا أن ذلك لم يسفر عن أي شيء. فقد كان الجميع يشترون البطاريات في ذاك الوقت لاستخدامها في الكشافات اليدوية ومشغلات الأقراص المدمجة، وغيره. من المحتمل أن

الصدفة وحدها هي التي أودت بالبطارية هناك، أو أنها كانت موجودة هناك من قبل". "هل أضعت أسبوع عمل من أجل بطارية؟". "نعم.. ولا، فهذا يعتمد على الطريقة التي تنظرين بها للأمر".

ابتسم "تاراس". إنه لم يخبر أحدًا بهذا الأمر قط، ولا حتى "بينكا" ولا حتى عندما قابله في المستشفى بعدما فقد الأمر أهميته. لو كان أكثر خبرة حينئذ ويعرف ما يعرفه الآن، لتمكنوا من القبض على القتلة في وقت أبكر. عندما سأل الناس عن هذه البطارية، أيقن الجميع على الفور حقيقة الوضع. جذبت القضية الانتباه فتداولتها الألسن، مجرد ثرثرة، ونظريات متباينة إلا أنه واصل البحث بشكل جزافي عن مُشتري البطارية المشؤومة والذي كان على الأرجح، وحسبما افترضوا حينها، حارس غابة أو صيادًا، لم يستطع رؤية.. دعنا نقول، الصورة الأكبر. قال: "حكت لي امرأة تعمل في كشك ببلدية "شكوفيا لوكا" كيف اشترى القتيل سيارة جديدة مؤخرًا. بوسعي استدعاء ما قالته حرفيًا، فقد قالت لي: "من الواضح والمؤكد أن هناك شخصًا لم يتحمل ذلك". وهكذا اتضح في النهاية أن الأمر يتعلق بالجشع والحسد. فقد كان زعيم العصابة هو الشريك التجاري السابق للقتيل، والجار الذي تخلى عن حصته في شركتيهما وافتتح نزلًا لم يحرز نجاحًا يُذكر.. ومن نزله الذي أغلق أبوابه، كان عليه أن يشهد أعمال جاره التجارية تنمو وتزدهر، وعندما اشترى الجار سيارة جديدة، أصبح الأمر بالفعل فوق طاقته. فهل

شعر بالإحباط؟". هزت كتفيها ثم قالت: "إنه لا يشبه كثيرًا الممثل "كيفن سبيسي" في فيلم "سبعة". "لا تبالغي في تقدير المحققين الجنائيين، فهم أغبى من رجال الشرطة في كثير من الأحيان". ضحكت. "هل سبق أن حققت في شيء مشابه؟". "مثل ماذا؟". "مثل..". "تقصدين جثة مقطوعة الرأس؟".

أراد أن يقول إنه لم يسبق أن صنف قضاياه حسب الجزء الذي تأذى أو استأصل من الجثة، لكنّ سؤالها واضح ولا يستدعي أن يتحلى بالذكاء كي يجيبه.

تابع قائلًا: "لا، على الأقل لم أحقق في قضية استدعت إشراك محققين جنائيين. أذكر وأنا ما زلت شرطيًا توليت قضية قُطع فيها رأس شخص بالخطأ عند استخدام مسدس ماء عالي الضغط. ربما ليس هذا ما تقصدينه، أليس كذلك؟". هزت رأسها بالنفي وقالت: "بلى".

لقد تولى التحقيق في قضايا جثث عثر عليها في الماء من قبل، من بينهما جثة لرجل وجِدَت في نهر "سافا" بلا أي وثائق تثبت هويته ولم يفتقده أو يبلغ عن غيابه أحد. وبعد مراجعة قواعد البيانات، ليس في الوطن وإنما في بلدان أخرى أو على الأقل في البلدان التي توجد بها قواعد بيانات من هذا القبيل، لم نعثر على أي بيانات خارج سلوفينيا.

قالت "تينا": "هل كوّنت رأيًا في هذه القضية؟". "ليس بعد". لم يصل لأية استنتاجات بهذا الشأن. قال: "كبداية، نحتاج

أولًا أن نحدد هوية هذه المرأة".

إذا لم يجد صعوبة في تحديد هوية القتيلة، فعلى الأرجح سوف تسير الأمور بعد ذلك بلا معوقات. إن تحديد الاسم أولًا وبعده الدافع سوف يقودهم إلى زوج أو زوج سابق أو حبيب. هكذا تسير الأمور عادة. وإذا سارت الأمور على هذا المنوال، فسوف يحددون الاسم والدافع اليوم، وعندها، سيعرف أيضًا من هو القاتل، ثم يصبح كل المطلوب إثبات ذلك، وهو ليس بالأمر الهين دائمًا، لكن القاتل عادةً ما ينهار عندما نقترب منه فيُقر ويعترف. قال: "المسألة هي..". صمت وكأنه متردد في إخبارها بما يدور في رأسه. فسألته: "هي؟". "لا شيء. سوف نكتشف اليوم هوية تلك البائسة المسكينة التي انتهى بها المطاف في الماء، وبعد يوم أو يومين، سنحدد من لديه دافع لقتلها، ومن ثم سنتعامل مع جمع الأدلة بتروٍّ ومثابرة ودقة. هكذا تسير الأمور عادة ولا أدري لماذا يجب أن تكون مختلفة هذه المرة".

إن المسألة الأولى، وحسبما يعتقد، أنه إذا كان الفاعل زوجًا عنيفًا هاجم زوجته في فَوْرَة غضب، لأودى ذلك إلى مذبحة، لكن الضحية في هذه القضية فتاة قطع أحدهم رأسها بسكين..

ماذا قال "تشفيلاك"؟

".. سكين، سكين كبير وحاد للغاية، استنادًا إلى طبيعة القطع، بين فقرة الرقبة الثالثة والرابعة، قطع سلس وحاسم،

دون إحداث الكثير من الفوضى".

والمسألة الثانية أنه إذا أردت قطع رأس شخص ما، فأنت بحاجة إلى المساحة والأدوات اللازمة كي تقوم بذلك، وهو شيء لن يتوفر إذا كان الفاعل يتصرف في فَوْرَة غضب.

والمسألة الأخيرة أنه على مدار كل هذا الوقت كان ينبغي أن يفتقدها ويبلغ عن غيابها أحد، ولكن من الواضح أن لا أحد قد فعل.

ضحكت "تينا" وقالت: "أظن أن توليك التحقيق في هذه القضية يثير شغفك؛ فالمحققين الجنائيين يسعدهم العمل على شيء كهذا". "لماذا؟". "لأنها تختلف عن كل القضايا الأخرى". نظر إليها فابتسمت وقد بدا عليها الإحراج ثم قالت: "أقصد أليس العمل على هذه القضية أفضل من مطاردة لصوص الدجاج؟ أفهمت ما أقصده؟".

منذ زمن وحتى الآن، يعد "تاراس" مهنته مجرد وظيفة. من الواضح أنه عَدّها مجدية، لأنه يتقاضى أجرًا في مقابلها؛ لم تكن أسوأ وظيفة في العالم، ولكن إذا كان الأمر بيده، ربما اختار العمل في مجال آخر. ما هو؟ لا يدري، وفي بعض الأحيان كان ينتابه القلق خشية أن يصبح مثل معظم السلوفينيين الذين فضلوا الثبات والاتكالية والبقاء في المكان نفسه، وجزء من ذلك يعني العمل أسبوعًا معياريًا، أي لمدة أربعين ساعة. فهناك أشخاص يذهبون إلى العمل بصفته منزلهم الثاني، بل ولعلهم يفضلونه على الأول لأنه لا يشمل

الزوجة والأطفال بتساؤلاتهم ومطالبهم وتوقعاتهم الدائمة منه.. فكم من مرة عاد فيها "تاراس" إلى المكتب في فترة ما بعد الظهيرة أو حتى في المساء لسبب اضطراري أو لأنه نسي شيئًا هناك، فيجد إما "برايك" أو "أوسترتس"، جالسًا أمام الكمبيوتر، يتصفح أي شيء كان، فيسارع دومًا ويقول له الجملة نفسها: "أوه، هل تأخر الوقت لهذا الحد؟ أحتاج حقيقة إلى إنهاء بعض الأمور هنا ثم..".

وسواء أكان "أوسترتس" أو "برايك" فإنه يسارع بإطفاء جهاز الكمبيوتر فور أن يرى "تاراس"، كأنما أُلقي القبض عليه متلبسًا بارتكاب فعل يعاقب عليه القانون ثم يغادر إلى المنزل. قال "تاراس": "لصوص الدجاج لا يقتلون الناس". "أعترف أن لصوص الدجاج ليست أفضل الاستعارات في هذا الصدد، لكنك تفهم قصدي". لم يسرق لصوص الدجاج أمسياته، ولا حتى فترات الظهيرة. أومأ برأسه، فالإيماءة هي الرد الأسهل. أكملت "تينا": "ولكن، لماذا قطع الرأس؟ لا بد أن لهذا مغزى".

ليته يستطيع أن يقترح عليها تغيير الموضوع، فمزاجه متعكر. لا يدري أين قرأ أن مشاة البحرية الأمريكية عندما يعودون بعد طول انتظار للإنزال وبعد رحلتهم الطويلة إلى طوكيو، فلا أحد منهم يتحدث عن المعارك التي خاضوها سوى المبتدئين، أما الجنود من ذوي الخبرة فلا يأتون على ذكرها مطلقًا. قال" تاراس": "هيا أخبريني أنتِ، فشهادتك الجامعية أحدث من شهادتي".

توقفت لبرهة كأن عليها أن تفكر مليًا في السؤال، لأن الإجابة سيبنى عليها الكثير. حملقت خارج نافذة السيارة وقالت وهي تمعن التفكير: "قاتل منظم للنساء، وحقيقة أنه كلف نفسه عناء قطع الرأس تشير إلى مستوى أو تخطيط غير ضروري لتحقيق الهدف الأصلي ألا وهو قتل شخص ما. حسنًا، شخص من هذا النوع قام بالتخطيط للحدث، وملك زمام نفسه عند ارتكابه الفعل. عادة ما يقوم بقتل الضحية في مكان سري ويتخلص من الجثة في مكان آخر، وهو ما يشير إلى أنه قاتل محترف، وهذا النوع من القتلة عادة ما يكون معدل ذكائه فوق المتوسط لذا فهو يختار الضحية المثالية من حيث النوع، ورغم أنه في العادة لا يعرفها إلا أن هناك سمات خارجية مشتركة عادةً بين القاتل والضحية. لماذا الرأس؟ ربما أراد إخفاء هويتها وقد أفلح في ذلك حتى الآن. ومن خصائص هؤلاء القتلة أنهم مُلِمّون بحدود طب التشريح وبالتالي غالبًا ما يحرقون الجثة أو يتخلصون منها بإلقائها في الماء، كما في قضيتنا هذه".

توقفت كأنها سرحت بأفكارها بعيدًا. قال "تاراس": "قلتِ.. ضحايا؟!". "نعم؟". "لدينا ضحية واحدة فقط". "أوه، نعم". فكرت قليلًا، كأنها تلقت لتوها معلومة كانت تجهلها ثم تابعت قائلة: ".. واحدة. لا أدري ما الذي جعلني أفكر في أنه قاتل متسلسل!". قاطعها "تاراس": "انتبهي لكلامك. لم يكن لدينا سوى قاتل متسلسل واحد في هذا البلد ولم ينجح إلا لأنه هاجم نساء من أدنى طبقات المجتمع ولم يفتقدهن أو يبلغ

عن غيابهن أحد. لو أنه قتل شخصًا واحدًا لديه عائلة، شخصًا واحدًا لديه من ينتظره، لما وصل إلى أرقام تؤهله لتأسيس ناديًا".

أليس غريبًا أن الفتاة الممددة في الثلاجة بمعهد طب التشريح لم يفتقدها ولم يبلغ عن غيابها أحد؟

انحرف عن الطريق السريع إلى الطريق الرئيسة ثم انعطف نحو "بليد" عند الدوار حيث يوجد بالمنتصف حواجز خرسانية قابلة للطي. بعد دقيقة صمت سألها: "حسنًا، ماذا عن الرأس المقطوع؟".

نظرت إلى "تاراس" وابتسمت بشيء من الإحراج. ولأول مرة أطال النظر إلى وجهها أكثر من المعتاد، لعلها في الثلاثين من عمرها، إلا أنها بدت أصغر سنًا، وللمرة الثانية في اليوم نفسه يجد نفسه يتساءل عما إذا كانت هذه الفتاة هي الشخص المناسب فعلًا لهذه الوظيفة أم لا. حتى الآن كان هذا المجال مقصورًا على الذكور فقط وحتى النساء اللواتي عملن به خضعن إجباريًا لنوع من إعادة التأهيل الفريد من نوعه. فكم مرة حكى "برايك" قصة زميل له ضاجع واحدة من هؤلاء النسوة ذات مرة. رغم أن القصة برمتها على الأرجح مختلقة فإنها تحولت لحكاية خيالية يتداولونها فيما بينهم. فقد قال لها الزميل وهما يمارسان الحب شاكيًا: "أنتِ تعضينني..". فرفعت رأسها وقالت له: "هل ستعلمني كيف أمارس الجنس الفموي؟".

في نسخة أكثر بذاءة من القصة، وضع "برايك" نفسه بدلًا من الزميل. قالت "تينا": "نحن نتعامل إذًا مع نوع خاص من الكراهية. أن تقرر قطع رأس شخص ما فلا بد أنك تكرهه كرهًا شديدًا". "وماذا فعل بالرأس؟". "ربما ما زال في المجرى المائي، لكننا لم نعثر عليه بعد". هز "تاراس" رأسه بالنفي ثم قال: "لا أظن ذلك. لا يوجد منطق يبرر الذهاب إلى أطراف منطقة البحيرة لقطع رأس شخص ثم رميها بالبحيرة نفسها. إن الرأس بمنزلة تذكار". "مثل تنظيم الدولة الإسلامية، داعش؟". "نوعًا ما". "هل ترجح أنه واحد منهم؟ ". ومرة أخرى هز "تاراس" رأسه بالنفي ثم قال: "لا أظن ذلك. كل شيء وارد بالطبع، لكنه مستبعد. وإذا كنا سنحقق في غضون أسبوع فيما إذا كان تنظيم داعش مسئولًا عن الجريمة أم لا، فنحن في ورطة". "ثم؟ ". "لا أدري. إذا كانت الضحية محلية فلن نواجه أي مشكلة حتمًا، فعاجلًا أم آجلًا سيفتقدها شخص ما ويبلغ عن غيابها. أما إذا كانت أجنبية.. ولنفترض أنها عاهرة وقع في حبها فلان المعقد من بلدية "يسينيتسة"، وظل يتردد عليها لفترة من الوقت بصفته زبونًا، ثم حاول إقناعها بالتوقف عن ممارسة الدعارة، فرفضت، ثم ضبطها متلبسة مع رجل آخر و..". "وأين الرأس في هذه الحالة؟". "لا أدري. وحتى إذا كان هذا ما حدث على وجه التقريب، فلا ينبغي أن نواجه أي معضلات عسيرة. فعندما يعود فلان الطبيعي إلى رشده، سوف يقفز إلى البحيرة وراءها". "لماذا تعتقد أنها قد تكون عاهرة؟". "لا أعتقد، بل أفترض".

قبل أن يشق الجثة ويشرحها سمع "تاراس" "تشفيلاك" يملي على السكرتيرة ما يلي:

"شعر منطقة العانة حليق، أزيل كل شعر العانة باستثناء شريط رفيع فوق البظر، عرضه سنتيمتر واحد وطوله أربعة سنتيمترات..".

قالت "تينا": "هذا لا يعني أنها كانت عاهرة". "لا، ولكن الاحتمال الأرجح بالتأكيد أنها ذهبت إلى "بوهيني" من أجل..". كيف سيقول لها هذا؟ أكملت بدلًا منه قائلة: "المتعة". "بالضبط، شكرًا.. حسنًا، أو أنها على الأقل اعتقدت أنها ستحظى بها، فأنتم، أيها النساء، لا تحلقن عانتكن عادة كل يوم". ضحكت ثم قالت: "هذا يتوقف على ذوق كل واحدة. ثم.. يا "تاراس"؟". "ماذا؟". "إنني بلغت من العمر سنًا يجعلني قادرة على التعامل مع كلمات بذيئة مثل "يضاجع" وغيرها". "يسعدني سماع ذلك".

وتساءل عما إذا كان من المناسب أن يروي لها قصة "برايك" البذيئة. لا، لم يكن ليفعل ذلك، وعلى أية حال فقد رن التليفون، فضغط "تاراس" على الزر وأنصت لبعض الوقت.

قال وهو يضع التليفون المحمول في صوان باب السيارة: "إنه "برايك"، كما توقعت. أيًا كان رجلنا، فإنه على الأرجح أيمَن اليد. هناك معلومات قليلة لعلها تُفيد. لا توجد آثار أخرى. لم أكن أتوقع بصمات أصابع على أية حال، ربما بعض الآثار تحت الأظافر، لكن لا يوجد شيء.. لا شيء. لا توجد في

قواعد البيانات، على الأقل قواعدنا، بصمات للضحية، ولا حتى حمضها النووي. نحن في انتظار أن ترد نتائج البحث من قواعد بيانات بلدان أخرى، وكذلك اختبارات السموم من معهد طب التشريح. مبدئيًا، حاليًا، لا شيء".

بعد نصف ساعة، بعدما قاد سيارته في صمت وهو يستمع إلى موسيقى "الروك أند رول" التي شاعت في السبعينيات والثمانينيات، أوقف "تاراس" السيارة في "بوهينيسكا بيستريتسا" خارج حانة على هيئة كابينة خشبية، حيث وقفت سيارة بالفعل تحمل شارة المختبر الجنائي الوطني. بالكاد تم إزاحة الثلج من منطقة انتظار السيارات خارج البنايات. واجه "تاراس" صعوبة في ضبط وقوف سيارته بين السياج الخشبي وكومة الثلج التي لا بد أن تحتها سيارة. في حانة شبه خالية، جلس "جولوب" مع اثنين من زملائه يرتديان سترات تحمل شارات شُرطية واضحة. عندما اقترب "تاراس" من طاولتهم لاحظ أيضًا أنهم يرتدون ملابس العمل خضراء اللون. كان يفضل أن يرتدوا جميعًا ملابس مدنية لكنه نسي إعطاءهم تعليمات بذلك. جلس على الكرسي الشاغر الوحيد وفي الوقت نفسه تقريبًا ظهر كرسي آخر من الطاولة المجاورة تحمله "تينا" التي قدمها لهم. وفي أثناء التعارف والمصافحة رمى الرجال "تاراس" ببعض النظرات التي تحمل مغزى، نظرات مكشوفة لم يفهم معناها مطلقًا. هل اعتقدوا حقًا أن المرأة سيروق لها هذا أو حتى ستتفاعل معه؟ هل سيروق لها الموقف بداية من: أوه، مرحبًا.. إلى

المصافحة ثم النظرات التي رمقوا بها "تاراس"؟

سواء لاحظت "تينا" ذلك أم لا، فقد تجاهلته. جلس الجميع وكرر "تاراس" بإيجاز قصة جثة الأنثى التي عثروا عليها في النهر. أخبرهم كيف كانت الجثة بين بعض الشجيرات وأن الثلج كان يتساقط بغزارة في ذلك الوقت. قال "جولوب": "حسنًا، فليكن ما يكون، سيظل هناك دائمًا شيء ما يمكن العثور عليه، رغم أن الثلج لا يخلق سوى المشكلات فحسب. لو أنها قُتلت في المكان الذي وجدتها فيه، لاختلف الأمر، لكن بهذه الطريقة.. سنبذل أقصى جهدنا، لكن لو كنت مكانك لما توقعت الكثير". قال "تاراس": "وأنا كذلك". قال "جولوب" وهو ينظر إلى ساعته: "اتصلنا بغواص سيكون في الموقع في غضون ساعة تحسبًا لوجود شيء تحت الماء يحمل دلالة. ينبغي أن يصل هناك في الواحدة".

أومأ "تاراس" ثم اتصل بـ"برايك" واكتشف أنه على بعد كيلومتر واحد فقط من "بوهينيسكا بيستريتسا" ومعه "أوسترتس"، لذلك طلب منهما الذهاب مباشرة إلى الموقع. تخيل وجه "برايك" المحبط لأنه أدرك أنه لن يحصل على القهوة وفطائر "الكرواسون" قبل بدء العمل، سيعوضه عن ذلك بالتأكيد. قال "برايك" بعد برهة: "نعم، حسنًا".

قبل المغادرة، ذهب "تاراس" إلى طاولة الاستقبال، وبينما كان يدفع الفاتورة للنادلة، سألها وهو يتظاهر بأنه غير عابئ بالأمر: "على ما يبدو أنهم وجدوا امرأة في النهر، فهل صحيح؟". "نعم، لقد غرقت. هذا ما قيل". "من هي؟ هل

تعرفين عنها أي شيء؟". "لا أحد منا يعرف؟".

نظر إليها "تاراس" مستطلعًا. ردت له المرأة باقي نقوده وأعطته الفاتورة وهي تقول: "لو أنها واحدة منا لعرفنا. نحن حقيقة لا نتطفل على الآخرين".

كانت المساحة بين سيارتهم والسيارة المغطاة بالثلوج ضيقة جدًا لدرجة أن "تينا" لم تستطع صعود السيارة واضطرت إلى الانتظار حتى يخرجها "تاراس"، فانزلقت العجلات على الثلوج التي تشكل على مسارات، وواجه صعوبة في الوصول إلى الجزء الذي أزيحت منه الثلوج بساحة الانتظار. انتظر حتى ركبت "تينا" السيارة ثم قال وهما ينطلقان في اتجاه البحيرة: "أشعر أن الحظ سيسعفنا هذه المرة وسنعثر على شيء ما، حتى ولو مجرد بطارية قديمة".

الفصل الثاني عشر



أوقف "تاراس" السيارة على جانب الطريق وحرص على ترك مساحة تكفي سيارتين أخريين. خرج من السيارة وانتظر حتى يرتدي خبراء الأدلة الجنائية بدلاتهم البلاستيكية الواقية التي تحمل علامة "تايفك" التجارية، وهي نوع بوسع أي شخص يحتاج ملابس واقية لطلاء الجدران أن يشتريها من أي متجر من متاجر "دي آي واي DIY" للأجهزة والخرداوات. رافقهم "تاراس" ومشوا على طول أعمق مسار يؤدي إلى النهر حيث أرشدهم إلى الشجيرات التي انتشل الجثة من بينها بمساعدة الشرطي. ذهبت "تينا" معهم بينما بقي "برايك" و"أوسترتس" في السيارة.

جال "جولوب" بنظره عبر النهر وضفته ثم قال: "كما افترضت".

رغم أن "تاراس" يعرف أن "جولوب" كثير التذمر والتأفف، إلا أن بوسعه الاعتماد عليه. إذا كان هناك أي شيء تحت الثلج، فسيجده حتمًا.

تابع "جولوب" كلامه قائلًا: "سنفحص كل شيء، لكن الأمر سيكون صعبًا. إذا كان عَلَيّ الاختيار بين النار والثلج، سأختار النار دائمًا. فالأدلة سرعان ما تُطمس وأنت تحاول إزاحة الثلج عنها. عندما يصل الغواص بقاربه، سنصعد لمنبع النهر ومنه إلى البحيرة". سألت "تينا" "تاراس" في أثناء عودتهم إلى السيارة: "ألن يُلقي الاثنان الآخران نظرة؟". "إذا فعلوا فسوف يطمسون بأقدامهم ما لم يتم طمسه بعد، وإلى جانب ذلك، من الأفضل أحيانًا أن يقوم كل شخص بعمله ويؤديه بشكل جيد. أنتِ تعرفين إلى ماذا يؤول الأمر إذا قام الجميع بالقليل من كل شيء..".

وصلوا إلى الطريق واستدار "تاراس" نحو النهر الذي أصبح مرئيًا الآن من بين الشجيرات، بسبب نور النهار وتساقط بعض الثلوج بالفعل من على الأغصان. كان الرجال ذوو الأردية البيضاء يتحركون بحذر بين الشجيرات.

اعتمد "برايك" و"أوسترتس" في عملهما على سيارة "رينو لاجونا" التي قطعت بالفعل ما يقرب من خمسمائة ألف كيلومتر خلال ساعات العمل. قال "برايك" وهو يدخن كالعادة: "سيدي الرئيس، أنا بحاجة لتناول بعض القهوة. أعلم أن معك قهوتك، فدعني على الأقل أشرب بعضًا منها".

أومأ "تاراس" برأسه وطلب منهم أن يتبعوه بسيارتهما. بعد عشر دقائق كانوا جالسين بفندق "يزرو" في" ريبتشف لاز" و"برايك" يحتسي قهوة "الكابتشينو" ويقضم قطعة "كرواسون" ويمضغها برفق. قالت "تينا": "لا أعرف من الذي

يزين هذه الأماكن بهذه الطريقة؟".

ثم أشارت "تينا" إلى البار ومنطقة تناول الطعام وبها صفان طويلان من الطاولات لم تُعد بعد.

قال "أوسترتس": "ما الخطأ في الزينة؟". قالت "تينا": "ألوانها وأشكالها". لم يجد "تاراس" مفرًا من الابتسام. قال "أوسترتس" وهو يهز كتفيه استهجانًا: "أرى أن لا بأس بها كما أن المكان نظيف". قال "تاراس": "المستشفى أيضًا نظيف لكن لا أحد يذهب هناك كي يشرب قهوة".

أومأ "برايك" لأن فمه كان محشوًا بفطيرة "الكرواسون". يستطيع "تاراس" أن يتخيله وهو يجلس على طاولات البيوت الريفية التي سيزورها يمضغ بنهم فطيرة "البوتيتسا" المحشوة بالجوز الحلو ويزدردها بكأس أو كأسين من "البراندي" المصنع من البرقوق، في حين يتولى "أوسترتس" طرح الأسئلة، ويتخيل "أوسترتس" الذي يقود السيارة وهو يخبره بالتعليق الذي سمعه من الناس: "لو أنها واحدة منا لعرفنا".

قال "برايك" وهو يمسح فتات "الكرواسون" من زوايا فمه بمنديل: "حسنًا، يبدو أن ما سنقوم به اليوم سيكون أشبه بنزهة، أليس صحيحًا، يا "تاراس"؟". "سنرى. سيكون رائعًا لو كشفنا اليوم عن هوية زبونتنا". ضحك "برايك" بينما ندم "تاراس" على صياغة جملته بهذه الطريقة فأضاف قائلًا: "هوية فتاتنا الشابة".

ذهب "تاراس" إلى طاولة الاستقبال وقام بدفع الفاتورة أيضًا، رغم صياح "برايك" عبر الغرفة كي ينتظر حتى يسحب محفظته من جيبه. إنه على الأقل ليس مثل "أوسترتس" الذي يُضرب به المثل في البخل، فكلما حان وقت دفع الفاتورة، تجده جالسًا جامد الوجه كالحجر، كأن لا علاقة له بالأمر. لوح له "تاراس" بيده إشارة إلى أنه دفع الفاتورة بالفعل ثم سحب بطاقة هويته الشرطية من جيبه وأظهرها للنادل الذي سأله: "هل أنتم هنا بسبب المرأة التي عثروا عليها في" بيستريتسا"؟". أومأ "تاراس" وقال: "أولًا، أود التحدث إلى مدير الفندق. أما زال.. هنا؟". "نعم، سأتصل به".

أدار النادل قرص التليفون، وأخبر الطرف الآخر أن رجال الشرطة هنا ثم انتظر على الخط لفترة أطول مما ينبغي مما جعل " تاراس" يلوح له، وعندما بدا عليه التردد، جذب سماعة التليفون من يده وقال: "مرحبًا. اسمي "تاراس بيرسا"، محقق جنائي. جئت مع زملائي هنا للتحقيق في قضية قتل، ونود التحدث إليك. أين يمكننا مقابلتك؟".

لحظة صمت. قال الرجل على الطرف الآخر: "يمكنك مقابلتي، يا سيد "بيرسا"، لكن لَدَيّ الآن..". فقال السيد "بيرسا" بنبرة رتيبة صارمة: "لا يبدو أننا نفهم بعضنا بعضًا".

سأل نفسه لماذا يضطرونه دائمًا أن يخاطبهم بهذه الطريقة حتى ينصاعوا، ثم أكمل قائلًا: "عثرنا منذ يومين على جثة امرأة في النهر بالقريب من فندقك ولا بد أن أتحدث على وجه السرعة. أين يمكننا ذلك؟".

بعدما تلقى الرد وضع سماعة التليفون دون تحية وشكر النادل. قال مدير الفندق وهو يقدم نفسه لـ"تاراس" الذي دَوّن اسمه في دفتره: "يجب أن تعذرني. لقد انتهينا لتونا من احتفالات رأس السنة، والمكان هنا كان أشبه بمستشفى المجاذيب، ونحن نتعافى الآن. أنا أتفهم، بالطبع، أن الموتى لهم أولوية، لذا أرجو أن تحدد لي ما تحتاجه.. واسمحوا لنا بتقديم شراب لكم أو أي شيء من هذا القبيل".

كان مكتب المدير عبارة عن غرفة صغيرة بالجزء الخلفي من الفندق وتطل على الغابة وليس البحيرة. وافترض "تاراس" أنهم ربما احتفظوا بالغرف الأفضل للنزلاء. تحت لوحة زيتية تجسد بالطبع منظرًا طبيعيًا لبحيرة "بوهيني" جلس رجل قصير، أصلع وبدين، قميصه داخل بنطاله وحزامه مشدود حول خصره بشدة. بعد المصافحة والتعارف المبدئي، عاد الرجل ليجلس إلى مكتبه فبدا كأنه سقط من على الكرسي وقرفص خلف المكتب. قال "تاراس": "حسنًا، لدينا جثة لامرأة عثرنا عليها أول أمس في النهر على بعد حوالي ثلاثة أو أربعة كيلومترات بمحاذاة الطريق المؤدي إلى "بوهينيسكا بيستريتسا". إنها امرأة شابة نحاول حاليًا تحديد هويتها. نأمل أن تتمكن من مساعدتنا".

فتح المدير ذراعيه مثلما يفعل الطفل الفضولي وقال: "تحت أمرك في أي شيء يقع في نطاق سلطاتي". "أنت وموظفيك". "بالتأكيد، بالتأكيد.. هل يمكنك أن تريني صورة لها أو أي شيء من هذا القبيل؟".

بدا فضوليًا، وشعر "تاراس" أنه لم يأخذ الأمر بالجدية اللازمة، فقال: "الصورة لن تساعدك. الحيوانات البوليسية.. قامت بدورها". جفل مدير الفندق. أكمل "تاراس" قائلًا: "قتلت المرأة قبل رأس السنة الجديدة بأسبوع تقريبًا. فما نسبة الإشغال بالفندق في ذلك الوقت؟". أومأ المدير وقال: "أوه.. حسنًا، إذا أخذنا في الاعتبار أن الثلوج لم تكن قد سقطت، وبصرف النظر عن عيد الميلاد ورأس السنة الجديدة، فإن نهاية ديسمبر ليست موسمنا الحقيقي، غير أن نسبة الإشغال فيه تكفي كي لا نتكبد خسائر. نعم، لقد استقبلنا عددًا قليلًا من النزلاء وما أنقذنا هذا العام هو استضافتنا لاجتماع بعض الكيميائيين أو علماء الأحياء الذين قضوا هنا ثلاثة أيام. في الوقت نفسه الذي.. وقت ارتكاب الجريمة، كما تقول". قال "تاراس": "كيميائيون؟". "علماء أحياء، أعتقد أنهم من جامعة ليوبليانا. إنهم صيادلة في الواقع، أتوا من معاهد في ليوبليانا وأماكن أخرى. سوف أتحقق من الاسم الذي يطلق عليهم بالضبط، رغم أن السيد "ميهليتش" جاء هنا أيضًا لرؤيتهم..". "ميهليتش"؟ مدير شركة "سالوبريس" للصناعات الدوائية؟". "نعم، إنه أقام هنا ثلاثة أيام كاملة". أخذ يلوح بذراعيه في الهواء وابتسم لـ"تاراس" ابتسامة ماكرة وقال: "كما قلت، جاءنا بعض النزلاء الفرادى أيضًا، إلا أن عددهم قليل. سأتحقق من العدد". "هلا تفضلت وأعطيتني قائمة بجميع نزلائك في الفترة من العشرين إلى الخامس والعشرين من ديسمبر؟ وكذلك تواريخ

ميلادهم وأرقام هواتفهم إذا وجدت".

ظل المدير يومئ الآن بسرعة كبيرة، مع فواصل قصيرة، فأدرك "تاراس" السؤال الذي سيتبع تلك الإيماءات. سأله المدير: "ولكن هل بمقدوري أن أمدك بهذه المعلومات؟ هذه أمور حساسة، كما تعرف. لا يأتي الجميع إلى هنا مع..". ".. عائلته؟". "صحيح، صحيح.. هذا هو". "اسمع، يمكنني الحصول على أمر من المحكمة لو أردت ذلك، لكن هذا مضيعة للوقت، ووقتي ضيق. أعطني المعلومات ويمكنني أن أعدك بأنني سأتعامل معها بمنتهى..". استدار "تاراس" ورمق المدير بنظرة ماكرة ثم تابع قائلًا: ".. أنت مدير متعاون جدًا. كل ما أريده هو التحقق من أن كل فرد بالقائمة ما زال على قيد الحياة".

أومأ القزم الذي يشبه أقزام "سنووايت" والجالس تحت لوحة زيتية، كُتب عند إطارها جملة واحدة فقط: بحيرة "بوهيني" قبل عاصفة الصيف، ثم قال: "نعم، أنت تفهم مخاوفي، أليس كذلك؟". نظر بشيء من الإحراج إلى "تينا" التي ابتسمت له بلطف. قال "تاراس": "أولًا، أود التحدث إلى كل من عمل في الفندق خلال هذه الفترة، حالًا".

رفع المدير سماعة التليفون وعندما انتهى من حديثه التفت إلى "تاراس" وهمس له: "هل قُتلت؟". أومأ "تاراس". فقال المدير: "يا إلهي..". قالت "تينا": "أود أن أطرح عليكم بعض الأسئلة أيضًا".

تمالك "تاراس" نفسه حتى يداري دهشته. لا مانع، فليدعها تفعل.. قال "تاراس": "تفضلي اسألي". قالت "تينا": "إن لم تكن الضحية فتاة محلية، وهناك الكثير مما يرجح أنها لم تكن.. ألديك أي فكرة عمن تكون؟ هل هناك أي شخص مفقود حتى ولو بالمعنى الأكثر التباسًا للكلمة؟". "أتقصدين أي من النزلاء؟". "من النزلاء والموظفين ومن الأشخاص الذين تعرفهم أنت أو نزلاؤك..". هز المدير رأسه بالنفي وقال: "لا، لم يبلغني أي خبر عن مفقودين". "إذا كان عليك أن تخمن، فماذا ستقول، من يمكن أن تكون هذه المرأة؟ إنها شابة، مثلما يتبيّن لنا، وجذابة إلى حد ما، ودعنا نفترض أنها ليست من هنا، فمن هي، في رأيك؟". هز المدير رأسه مرة أخرى بالنفي. سألته: "هل يمكن أن تكون عاهرة؟". جفل المدير كأنما قُبض عليه متلبسًا بجرم ثم قال: "عفوًا، نحن هنا لا نتعامل مع..". قالت "تينا" كما لو كانت تتحدث مع أحد الباعة بكشك في السوق: "لا أحد يقول إنك تتعامل مع أي شيء، لكن بعضهن بالتأكيد يترددن عليك هنا. إنه فندق، أليس كذلك؟". "إن المشهد هنا عائلي بامتياز. يأتي الناس هنا في عطلات التزلج، وكثيرون منهم يصطحبون أطفالهم، التزلج فوق منحدر جبل "فوجيل" يعد نوعًا من التزلج العائلي لأن المنحدرات قصيرة وليست شديدة الانحدار، كما تعلمين". قالت "تينا": "أنا أعلم. ولكن في الوقت نفسه لا بد أن هناك بعض النزلاء الذين.. كيف وصفناهم من قبل.. لا يأتون هنا مع عائلاتهم". "نعم، بالطبع، ينزل بالفندق أناس من كل نوع، لكننا لا نسألهم عن مصدر رزقهم". "من حيث المبدأ، هل سجل جميع النزلاء

الدخول والخروج أيضًا؟". "نعم". صمتت "تينا" ونظرت إلى" تاراس" الذي قال: "لا بأس، لم تقدم لنا مساعدة كبيرة، لكنك ما زلت..".

بسط المدير ذراعيه كأنما وقع في حرج. قال "تاراس": "لا بأس، لا بأس.. طالما لا علم لك بالأمر فلا تقول ما ليس لك به علم، لكن يمكنك مساعدتي في شيء آخر".

أومأ المدير، فأخرج "تاراس" دفتر ملاحظاته، وأخرج صفحة بيضاء ثم وضع عليها قلم حبر جاف وناولها للمدير ثم قال: "أود أن تكتب لي قائمة الفنادق التي تقع على ضفاف البحيرة، حتى لا يفوتنا أي منها". "أوه، ليس هناك أي مشكلة في ذلك". رماه "تاراس" بنظرة تحمل ريبة. قال المدير: "كما قلت لك إن الفنادق أغلقت أبوابها من شهر نوفمبر حتى عيد الميلاد، فمعظم شهر ديسمبر يعد موسم ركود. قبل بضع سنوات، اتفق أصحاب الفنادق على أن يظل واحد منها فقط مفتوحًا على أن يتولى المسئولية في غياب الباقين، ويستوعب خسائر هذه الفترة من الموسم، بينما ينتهي الآخرون من أعمال الجرد وأشياء من هذا القبيل. هذا العام جاء دورنا لنكون تحت الطلب". " ماذا عن الشقق الموجودة خارج "ريبتشف لاز". "الشيء نفسه، يتم إغلاقها في الأسبوع الذي يسبق عيد الميلاد حتى يمكنها العودة للعمل بكامل طاقتها بعد ذلك".

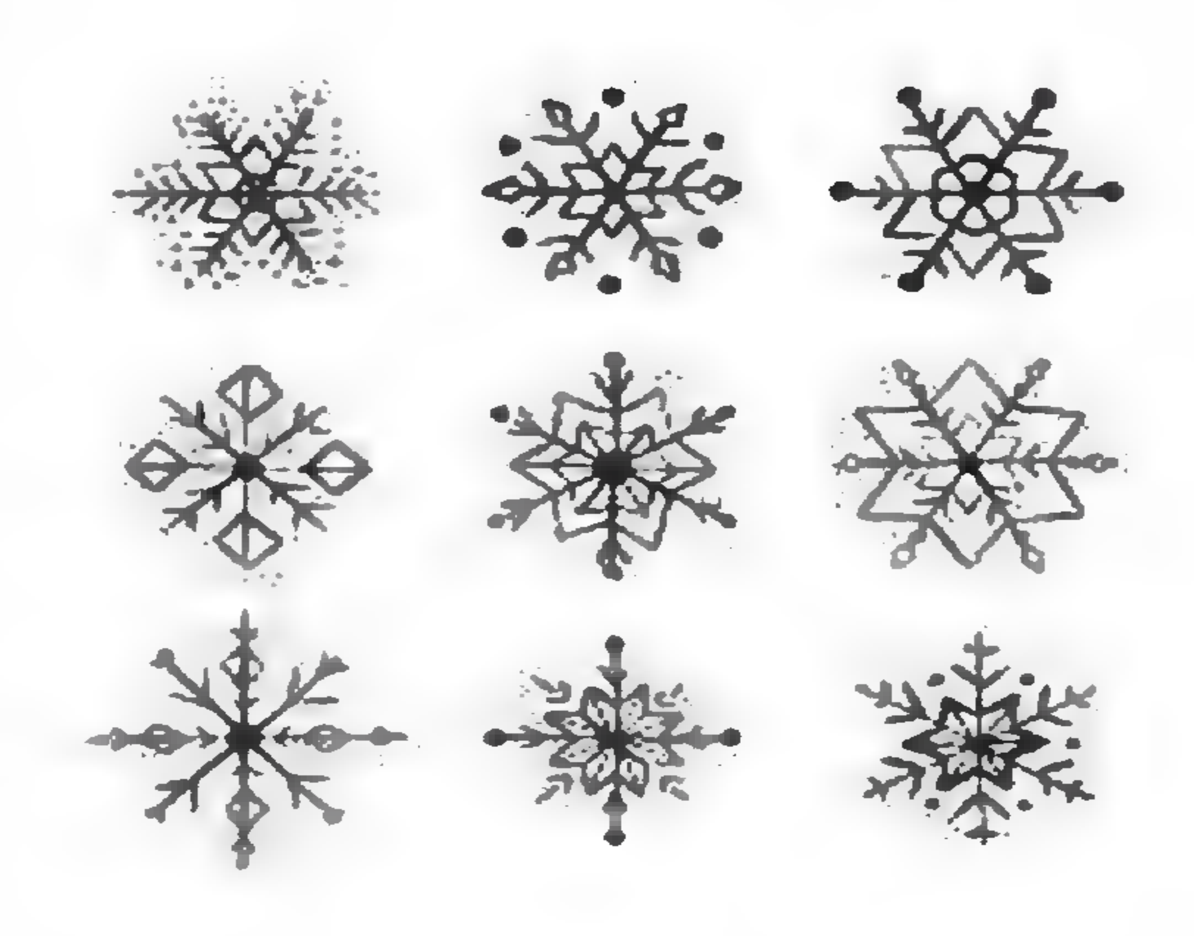
كان هناك عدد من موظفي الفندق ينتظرون بالفعل في غرفة الاجتماعات، وبمساعدتهم كتب "تاراس" لأول مرة

قائمة بكل أسماء من عملوا بالفندق خلال الأسبوع الذي من المرجح أن الجريمة وقعت خلاله، ثم أطلع "تينا" على القائمة لإجراء مقابلات معهم. تحدثوا إلى كل شخص في القائمة باستثناء عاملة التنظيف التي من المقرر أن تصل بعد الظهر، وكذلك موظف الاستقبال الذي كان في إجازة بعد احتفالات العام الجديد. لا أحد يعرف أي شيء، لم ير أحد أي شيء غير عادي. قام جميع النزلاء بتسجيل أسمائهم عند الدخول والخروج، ليس هناك أي موظف مفقود. مبدئيًا، لا شيء على الإطلاق.

قال المدير: "هذه قائمة النزلاء". ظل المدير ممسكًا بالورقة في يده للحظة قبل أن يمررها إلى "تاراس" الذي قال: "لا تقلق، سأتصل بهم خلال ساعات العمل". بعدما ودعه ووصل بالفعل إلى باب المكتب، تذكر "تاراس" شيئًا فاستدار عائدًا مرة أخرى وناول المدير بطاقة عمل تحمل بياناته الشخصية وهو يقول: "هناك اثنان من موظفيك لم يكونا هنا اليوم؛ عاملة النظافة وموظف الاستقبال. هلا أبلغتهم أن يتصلوا بي بمجرد وصولهم؟". تناول المدير بطاقته ونظر إليها بعناية، ربما بدافع الذوق فقط. قال "تاراس": "بالمناسبة، عاملة التنظيف، كم عمرها؟". قال المدير بعدما فكر قليلًا: "أوه، من الصعب تحديد سنها. حسنًا، أظن أنها ما بين الأربعين إلى الخمسين. لماذا تريد أن تعرف؟".



الفصل الثالث عشر



التزم "تاراس" الصمت وهو يقود السيارة بمحاذاة البحيرة، فقالت "تينا": "آمل ألا أكون قد أفسدت الأمر". "بماذا؟". "بتدخلي في الحديث مع المدير بهذه الطريقة". هز "تاراس" رأسه بالنفي وقال: "لا عليكِ، لكن من الآن فصاعدًا دعيني أنتهي من أسئلتي أولًا. إنني أستخدم نظامًا.. نوعًا من الحدس، ثم بعدها يمكنك المحاولة. والتزمي بذلك إلى أن نتعود على بعضنا بعضًا على الأقل. لكن..".

بينما كانت السيارة تتجاوز محطة "تلفريك" جبل "فوجيل"

تابع قائلًا: "أخشى أن فرصًا مثل هذا التنسيق لن يتوفر المزيد منها اليوم. فقد بات من المؤكد تقريبًا أن كل مُلَّاك منازل العطلات في "أوكانك"، قد عادوا أدراجهم إلى ليوبليانا. حسنًا، على الأقل هؤلاء الذين أعرفهم".

توقف على جانب الطريق في منطقة خلت بالكاد من الثلج وتكفي لإيقاف سيارتين أو ثلاث؛ حيث يمكنك استشعار وجود أقرب المنزل لا رؤيته، فليس هناك سوى ممشى ضيق يقود إلى الطريق الجانبي المكسو بالثلوج والذي يؤدي بعد مائة متر تقريبًا إلى مجموعة من منازل العطلات حيث توجد سيارة أخرى متوقفة على الجانب نفسه، ولا تزال مغطاة بطبقة سميكة من ثلوج العام الجديد تشبه البطانية. ونظرًا لأن الثلج الذي يغطي الطريق المؤدي إلى المنزل الأول لم يزاح بعد، أوشك "تاراس" أن يتجاوزه لولا ذاك الضوء الساطع من غرفة المعيشة. وقبل أن يصلا إلى الباب، فتحته سيدة عجوز ووقفت على عتبته تحمل قِطًا أبيض اللون، ويقف كلب هَجِين عند قدميها. بدت أشبه بالساحرة الشريرة في قصة الأطفال "هانسيل وجريتل". قالت السيدة مستطلعة: "مرحبًا". رد "تاراس" التحية قائلًا: "مرحبًا". ثم سحب بطاقته الشرطية من جيبه وقال: "أنا "تاراس بيرسا"، كبير المحققين الجنائيين وهذه زميلتي "تينا لانك". نحن نجري تحريات بشأن قضية نحقق فيها وسنكون ممتنين للغاية إذا منحتينا بعضًا من وقتك". سألت السيدة العجوز على الفور بعينين تبرقان: "أهي جثة نهر "سافا"؟".

أيقن "تاراس" أنهما لن يواجها أي مشكلة مع هذه السيدة. وبالفعل، بعد دقيقة واحدة، كان هو و"تينا" جالسين على مقعد على شكل حرف "L" مقلوب في الزاوية خلف منضدة حولها كرسي واحد فيما كان من الواضح أنها الغرفة الواسعة الوحيدة بالبيت الصغير، والتي تؤدي إلى الطابق العلوي مباشرة. وضع طبق به كعك " البوتيتسكا" أمامهما ثم أخذت السيدة العجوز تروح وتجيء حول الموقد. شق الكلب طريقه بين أرجل المنضدة فمسد "تاراس" رقبته.

قالت السيدة: "قهوة أو شاي؟". أجابها "تاراس" قائلًا: "في الواقع نحن في عجلة من أمرنا فلا بد أن نتحدث إلى كل أصحاب منازل العطلات هنا". ردّدت قائلة: "لست في عجلة من أمرك إذًا، لا أحد هنا اليوم.. فقد غادر الجميع باستثناء منزل واحد فقط". رمقت "تاراس" بنظرة كأنها تأتمنه على سر وقالت: "حسنًا، أظن أن عليك أن تقابل أصحابه". وضعت بَرّاد شاي على النار ثم جلست إلى المائدة وهي تقول: "لقد قُتلت، أليس كذلك؟". قال "تاراس": "بلى". وقبل أن تجد السيدة العجوز فرصة لتسأله: كيف؟ تابع قائلًا: "نحاول الآن إثبات هويتها، وأتساءل عما إذا كان بإمكانكِ مساعدتنا".

قفز القط القابع على المقعد المجاور لـ"تاراس" وحدق بعينين خضراوين كالزمرد في "تاراس" فهتفت السيدة العجوز قائلة: "يا إلهي. ما هذا؟ ما حكايتك؟ ماذا لديك؟ إن القط لم يتصرف بهذه الطريقة من قبل. لا بد أن طاقة غريبة تكمن فيك".

ابتسم "تاراس" وأوشك أن يداعب القط إلا أنه هسس في وجهه ولم يتحرك حتى عندما ربت على رأسه. ظل يهس حتى بعدما سحب يده ببطء ليخرج دفتره من جيب سترته، ثم استقر على المقعد وحدق فيه بلا حراك بعينين خضراوين لامعتين. قال "تاراس": "ما اسمك من فضلك؟". "ماريا ستروبنيك". "ستروبنيك" هو اسم زوجي، رغم أنه متوفي. "كم مرة تأتين هنا في الغالب يا سيدة "ستروبنيك"؟". ضحكت السيدة العجوز وأيقن "تاراس" أن السيدة تعجبه.

قالت: "أنا لا آتي بل أعيش هنا.. فهذا بيتي. قبل وفاة زوجي استخدمنا هذا المكان كمنزل لقضاء العطلات، ولكنني استقريت هنا بشكل دائم بعد وفاته ولن أغادره إلى أن يحملوني في تابوت". "هل تعرفين الجيران؟". "أعرف الجميع. فكما ترى، أنا الشخص الوحيد الذي يبقى هنا طوال الوقت، لذلك اتفقنا على نوع من الترتيبات الضمنية، منها أن أقوم بمراقبة منازلهم، وأتصل بهم إذا حدث أي مكروه. وهذا لا يعني أنه حدث، لكن من يدري؟". "ألديك أرقام هواتفهم؟". "بالطبع".

ثم قفزت وأسرعت إلى الموقد حيث كان الماء يغلي. رفعت برّاد الشاي من على النار ونثرت فيه بعض الزهور المجففة وهي تقول: "إنه شراب منزلي الصنع، لقد جمعت زهوره بنفسي". قالت "تينا": "رائحته جميلة بالفعل". "إنه مُكوّن من النعناع والبابونج ولحاء الصفصاف وبعض الأعشاب الأخرى، خلطتي السرية. إنه مفيد لنزلات البرد ويساعد في التخلص

من الصداع". سألها "تاراس": "هل يمكنك إعطائي قائمة بأسماء الجيران وأرقام هواتفهم؟". "بالتأكيد، بالتأكيد..".

أعادت صندوق الأعشاب وكذلك الشاي إلى خزانة المطبخ وفتحت درجًا آخر أخرجت منه دفترًا وضعته على الطاولة أمام "تاراس". فتحت إحدى صفحاته وعرضت على "تاراس" قائمة بأسمائهم وأرقام هواتفهم مدونة بعناية بقلم رصاص.

التفت "تاراس" إلى "تينا" وسألها: "هل يمكنك نسخها من فضلك؟".

أومأت "تينا" ثم أخرجت تليفونًا محمولًا من جيب سترتها ونقرت على أيقونة الكاميرا عدة مرات.

سمعوا دويًا قويًا بالخارج يصدر من مكان قريب، فركض الكلب من تحت المنضدة يعوي عواء طويلًا وقفز في سلة بالقرب من خزانة الملابس بينما ظل القط يهسهس.

قالت السيدة العجوز: "حسنًا، إنهم أناس جدد وهم الوحيدون الذين لا أعرفهم هنا. سبق وجريت التحدث معهم بخصوص هذه المفرقعات النارية، ولكن دون جدوى". سألها "تاراس:" "منذ متى جاءوا هنا؟". "هذا يومهم التاسع. دوت تلك المفرقعات لأول مرة عند وصولهم، قبل عيد الميلاد مباشرة، ولكن بعد ذلك دوت مرة أو مرتين فقط، ولم أكن أعرف ما الذي يجري، ولكن في ليلة رأس السنة الجديدة أصبح دويها أشبه بجبهة قتال. إنهم شباب، لكنهم موجودون هنا طوال الوقت. لا أحد يعرف ما الذي يفعلونه

بالضبط". "سنمر عليهم ونذكرهم أن الألعاب النارية في منتزه "تريجلاف" الوطني محظورة".

ابتسمت له السيدة العجوز بامتنان. "لكن أخبريني من فضلك، هل لاحظتِ أي شيء غير عادي مؤخرًا؟". :غير عادي؟". قطبت جبينها وفكرت قليلًا ثم قالت: "هذا يعتمد على ما تعدّه غير عادي". "شيء مختلف عن طبيعته العادية". "ماركوليس" اشترى سيارة جديدة. ربما ليس هذا ما تعنيه. أليس كذلك؟". هز "تاراس" كتفيه وقال: "ماذا جرى للقديمة؟". "أخذتها ابنته. نعم، قبل أن..".

ثم أخبرته عن طراز السيارة التي كانت بحوزتهم من قبل والتي بحوزتهم الآن. أنصت إليها "تاراس" بهدوء لكنه توقف عن تدوين الملاحظات.

قالت بطريقة أقرب إلى الهتاف: "نعم، هناك شيء غير عادي حدث. قارب "بالاجيتش" شرق". "أتتحدثين عن الدكتور "بالاجيتش"؟ رجل فارع الطول وبدين بعض الشيء؟". أومأت السيدة العجوز. سألها: "قارب؟". "نعم، قارب خشبي لا يميزه شيء، لعله..". ثم همست قائلة: "لعله لم يرُبط بالوتد جيدًا فجرفته المياه بعيدًا". "متى شرق؟ ". "منذ أسبوع تقريبًا". "وهل أبلغ "بالاجيتش" الشرطة؟". "لا أدري. أغلب الظن، لا. لقد كان مجرد قارب خشبي قديم، وشبه مهترئ".

هبت واقفة وذهبت إلى الموقد، وصبت الشاي في كوبين. كُتب على كوب "تاراس": بيتي، البيت السعيد. قال "تاراس":

"ألم تسمعي عن أي شخص مفقود ممن تعرفينهم؟". هزت رأسها بالنفي وبشيء من الأسف قالت: "لا، عاد الجميع إلى ليوبليانا في الأول من يناير بعدما جاؤوا لتناول الشاي معي قبل مغادرتهم. لم يتغيب أحد. حسنًا، على الأقل الذين يترددون بانتظام على المكان لكنني أتذكر أن سيارة كبيرة رمادية اللون مرت من هنا في وقت مبكر من صباح يوم رأس السنة الميلادية وبها رجل لم أره من قبل". "إنها سيارتي. لقد أمضيت ليلة رأس السنة الجديدة في منزل الدكتور "بريلك". "أوه، سيارتك". "لا بد إذًا أن يمر الجميع على منزلك إذا أرادوا الوصول إلى منازل العطلات التي يملكونها؟". أومأت السيدة العجوز. فتابع قائلًا: "لعل بوسعك إذًا تحديد من كان هنا في الفترة بين الثاني إلى الثالث والعشرين من ديسمبر؟".

قطبت جبينها ثم هزت رأسها بالنفي وقالت: "نعم، في العادة أستطيع لكنني أصبت بحمى ورقدت في السرير في هذه الفترة ولولا تلك المفرقعات النارية، لما عرفت أن هناك أحدًا بالبحيرة من الأصل. لم يمر عَلَيّ أحد سوى "ميلان".. "ميلان بالاجيتش"، لا أحد سواه. لقد سافر إلى الخارج مع عائلته لقضاء عيد الميلاد ورأس السنة الجديدة وحضر ليتفقد أحوال منزل العطلات الذي يملكه فلاحظ اختفاء القارب. اتصل بي أولًا ليطلب مني الحضور إلى منزله، لكنني لم أستطع الذهاب إليه". "متى كان ذلك؟". "انتظر، دعني أتذكر.. اتصل "ميلان" بعدما رقدت في السرير يومين من إجمالي أربعة أيام، وخرجت لأول مرة يوم عيد الميلاد، مما

يعني أنه كان..". "الثاني والعشرون؟". "نعم، لا بد أنه كذلك".

غادر "تاراس" المنضدة وأوشك أن يودعها لولا أنه تذكر السيارة الثلجية فسألها: "هل هذه سيارتك؟". "أي سيارة؟". ولما أخبرها عن السيارة الثلجية على الطريق الرئيسة، قالت: "تصور أنني لا أعرف من صاحبها. نادرًا ما أذهب إلى الطريق الرئيسة. إذا اضطررت إلى الذهاب إلى القرية فإنني أسلك الممشى المحاذي للجانب الآخر من البحيرة، فالمشي أجمل بكثير. لا شيء على الطريق العام يهمني".

عندما غادرا، وقفت السيدة العجوز على عتبة الباب تلوح لهما بينما وقف كل من الكلب والقط عند قدميها. قبل أن يقود السيارة، دون "تاراس" بدقة رقم لوحة السيارة المغطاة بالثلوج بدفتره، وكذلك نوعها ولونها. وبمجرد أن انتهى، كانت يداه قد تجمدتا من الصقيع واضطر أن ينفخ فيهما وهو جالس خلف عجلة القيادة.

تفقدا المنازل، الواحد تلو الآخر، ولم يجدوا سوى أبواب مغلقة وأقفال مُوصَدَة. والشيء نفسه في منزل عائلة "بريلك" حيث قال "تاراس": "هذا هو المكان الذي احتفلت فيه بالعام الجديد".

قالت "تينا": "حقًا؟". ثم تظاهرت بالجدية وتابعت قائلة: "أين كنت الأسبوع الماضي؟".

بمجرد أن أطلقت ضحكة سمعا دويًا قويًا آخر، مفرقعة نارية أخرى ثم وقفة قصيرة ثم دوت الثانية، والثالثة، حتى

الخامسة. قال "تاراس": "هيا بنا، حان الوقت لأن نقوم بعمل مركز شرطة "بوهينيسكا بيستريتسا".

قاد السيارة على طول الطريق الذي ينحني بالفعل عند أقصى الجزء الشمالي الغربي من البحيرة، وتوقف خارج منزل عطلات كبير تنتظر خارجه سيارتان من النوع الصديق للبيئة، وهناك أربعة شبان تتراوح أعمارهم بين العشرين والثلاثين عامًا، التف اثنان منهما حول مجسم كبير لرجل الثلج وهما يمررا زجاجة خمر فيما بينهما، ويركع أحدهما، وهو رجل ذو لحية، أمام رجل الثلج محاولًا أن يعلق عليه كتلة ثلجية مستطيلة من المفترض أنها تجسد القضيب الذكري. عندما نزل "تاراس" من السيارة، هبّ الرجل واقفًا والتفت إليه وصرخ فيه بعدوانية: "ماذا تريد؟".

أخرج "تاراس" بطاقة هويته الشرطية ببطء وبمنتهى الهدوء كأن لا شيء وراءه سواه، ولوح بها في الهواء إلا أن هذا لم يوقف أيًا منهم. قال الرجل: "إن لم يكن معك أمر تفتيش.. فلتغرب من هنا وعليك اللعنة". قهقهت الفتاتان من خلفه. في هذه الأثناء، خرجت "تينا" أيضًا من السيارة.

استدار الرجل نحو كورال القهقهة الواقف خلفه وهتف بالفتاتين قائلًا: "انظرا، من عندنا هنا؟ ضابط شرطة.. وعاهرة؟ في الواقع لدينا اثنان.. اثنان من ضباط الشرط.. امرأة كي نضاجعها ورجل كي نصب عليه لعناتنا".

قهقهت الفتاتان كأن ما يفعله صديقهم شيئًا عاديًا جدًا.

ليس بيد الشرطة حيلة وهي على ملعبهم. وقفت "تينا" عند الباب ونظرت إلى "تاراس" متسائلة. اقترب "تاراس" من الرجل الذي كان يصرخ ويهتف، فتوقف عن الضحك، وعبس، ولأنه كان يترنح حاول أن يثبت قدميه في الثلج. قال "تاراس" بمنتهى الهدوء وكأنه لم يسمع صراخ الرجل: "لا نريد سوى التحدث معك فقط". "ما الذي يمكن أن تتحدث فيه معي أنا؟ ".

وقف الرجل قبالته وأخذ يصيح وهو يلكم بقبضته في الهواء. لم تمثل لكمته تهديدًا حقيقيًا، بل كانت مجرد ترنح من جراء السُكر، ومن ثم تفاداها "تاراس" بسهولة وأمسك بذراع الرجل وجذبه إليه ثم أداره ولوى ذراعيه خلف ظهره فصرخ وجثا على ركبتيه. قال "تاراس": "احضري الكَلَبشات من السيارة، يا "تينا". فصاح الرجل: "عليك اللعنة..".

حاول التملص، لكن "تاراس" لوى ذراعه أكثر، أخذ الرجل يولول ويصرخ وعندما أحكم "تاراس" قبضته عليه، توقف. التزم أصدقاؤه الثلاثة، الشاب والفتاتان، الصمت مؤقتًا. راقبهم "تاراس" بهدوء بينما كان ينتظر "تينا" وهي تحضر الكلبشات من السيارة. سألته إحدى الفتاتين: "ماذا، هل ستقيده فقط؟". لم يرد "تاراس" بل قام بتقييد معصميه بالكلبشات ودفعه باتجاه السيارة وأدخله إلى المقعد الخلفي عنوة ثم أغلق السيارة واستدار نحو الثلاثة الباقين. وقال: "والآن أين توقفنا؟ أوه، نعم..". أظهر لهم هويته الشرطية مرة أخرى ثم قال: "أنا "تاراس بيرسا"، كبير المحققين الجنائيين.

هل يمكن أن نأخذ من وقتكم خمس دقائق؟".

نظروا إلى بعضهم بعضًا في حيرة، فأومأت الفتاة التي سبق أن تكلمت وقالت: "حسنا إذًا. أليس الأفضل أن ندخل حيث الدفء؟ ".

أشار "تاراس" إلى المنزل، فنظر الثلاثة إلى بعضهم بعضًا مرة أخرى ثم استداروا ومشوا نحو الباب. عبروا ردهة صغيرة تفضي إلى غرفة معيشة كانت في حالة من الفوضى العارمة في أعقاب الحفلة.. فقد تناثرت قطع ملابس في كل مكان، وفوق الطاولة تبعثرت زجاجات فارغة ونصف فارغة وكذلك كؤوس، بعضها مقلوب. ودون أن ينتظر دعوة من أحد جلس "تاراس" إلى طاولة صغيرة ذات سطح زجاجي تشير الكراسي التي حولها إلى أنها منضدة طعام بينما وقفت "تينا" خلف "تاراس". قال "تاراس": "نود إجراء مقابلة استطلاعية لجمع تحريات حول القضية التي ربما سمعتم عنها بالفعل". قال الرجل الذي يبلغ ثلاثين عامًا تقريبًا والذي جلس بين الفتاتين: "تمهل وانتظر دقيقة لقد درست القانون بما يكفي لأن أعرف أننا لسنا ملزمين بالموافقة على إجراء المقابلات الاستطلاعية".

تلفت حوله ملتمسًا أي تأكيد على كلامه من الفتاتين، ورغم أنه لم يحصل على أي منه تابع قائلًا: "هل أنا على حق؟ وإذا كنت فعليك أن..". ثم أشار بيده نحو الباب.

مرر "تاراس" إصبعه عبر بقايا مسحوق أبيض على المنضدة

وقال: "إذا كنت على حق، فسوف أستدعي قسم مكافحة المخدرات ليحضروا هنا في غضون نصف ساعة. وسأبقى في انتظارهم كي لا ينتهي المطاف بأي شيء هنا في قاع البحيرة. لذا أغلق فمك".

أخرج دفتره من جيبه ونظر إلى أول الفتاة. بعد عشر دقائق، حصل على أسمائهم وعناوينهم وأرقام هواتفهم ومهنهم، جميعهم كانوا طلابًا. لقد مكثوا هنا عشرة أيام والمفترض أنهم سيبقون ثلاثة أيام أخر، هم الأربعة فقط، لا أحد سواهم. لم يتغيب أحد ولم يروا أحدًا..

سأل "تاراس": "هل سرقتم قارب "بالاجيتش"؟". تبادلوا النظرات. قالت الفتاة التي من الواضح أنها تولت دور القائد: "حسنًا، الحقيقة أننا خرجنا في رحلة على متن قارب بالبحيرة". "ثم؟". "حسنًا، استخدمناه ليومين أو ثلاثة، لا أستطيع أن أتذكر حقًا. لكننا لم نسرقه على الإطلاق، بل وجدناه على الشاطئ فحسب، ولما حاولنا إعادته حيث وجدناه لم نتمكن من العثور على مكانه الأصلي، لذلك قمنا بربطه في وتد على الشاطئ". "وتد؟". قال الشاب: "مرساة. لقد أعدناه بالتأكيد.. لشخص ما". "هل يمكنك العثور على مكانه؟". أومأت الفتاة وقالت: "إنه عند أول مفترق طرق يأخذك إلى الطريق الرئيسة، وعندما تستدير نحو البحيرة وتصل إلى الشاطئ ستجده حتمًا في مكان ما، على بعد مائة متر إلى اليسار أو اليمين، لا أتذكر بالضبط". "يمكنك أن تدلي زميلتي على مكانه، أليس كذلك؟". نظرت الفتاة إلى

"تينا" كأنها لم تلاحظ وجودها من قبل ثم قالت: "لا يمكننا الوصول إلى هناك بالسيارة في الوقت الحالي". قالت "تينا": "سنمشي". ثم أشارت إلى الباب وقالت: "تفضلي، بعدك..".

جلس "تاراس" مع الاثنين الآخرين صامتًا. راقبهما وانتظر ولم يَطُل انتظاره. قالت الفتاة: "هل نحن مشتبه بنا، يا تُرَى؟". "أتقصدين، بصرف النظر عن مهاجمة ضابط شرطة، وتعاطي المخدرات وسرقة قارب؟". جفل كلاهما. "ألم تقل..". "ماذا؟". أشارت إلى المنضدة وقالت: "أنك ستتغاضى عن هذا؟". قال "تاراس": "بلى، قلت وسأحترم كلمتي إذا قدمتما لي شيئًا من المساعدة". انحنى كلاهما تجاهه بانصياع. "منذ حوالي أسبوع جاءت هنا فتاة، في مثل عمرك تقريبًا، ربما كانت غريبة عن المكان، مثلكما تمامًا، وفي الوقت الذي احتفلتم فيه بالعام الجديد هنا، قُتلت بوحشية على يد مجهول. فلتبحثا في ذاكرتكما وأخبراني.. بأي شيء". سألت الفتاة: "بماذا؟". كرر "تاراس" وهو يحدق بالرجل: "أي شيء. إنها فتاة جذابة إلى حد ما ومن النوع الذي لا ينساه الرجال. هيا، اذكر لي عشر نساء لفتوا نظرك هنا؛ على منحدر التزلج، في الفندق، أو في أي مكان..". قال الرجل وهو يهز كتفيه: "لا أدري.. أتذكر مجموعة من الفتيات الإنجليزيات على جبل "فوجيل". أومأ "تاراس" برأسه. فأكمل قائلًا: "أتذكرهم لأن لفت نظري أنهن لم يقفن على زلاجات من قبل". أومأ "تاراس" فقال الشاب: "ورأيت نادلة في الفندق..". "طويلة، شقراء، شعرها مصبوغ باللون الأصفر". "نعم هي". دون "تاراس" في

دفتره. هز الرجل كتفيه وقال: "لست متأكدًا. نحن هنا.. في عزلة إلى حد ما، وعلى أية حال..". أومأ "تاراس" ولسان حاله يقول: نعم، عزلة، لذا يقيمون هنا كأزواج. ثم التفت إلى الفتاة وقال: "وأنتِ؟". "أنا؟". "أمممممم". "النساء لا تلفتن انتباهي حقيقة.. حسنًا، لا أعرف، ولا واحدة هنا على أي حال. لم ألاحظ سوى هؤلاء الفتيات الإنجليزيات على منحدر التزلج، ولا أتذكر النادلة. كان هناك بعض الفتيات في الفندق وأتذكر أننا سخرنا منهن وقلنا أنهن..". قال الرجل: "بائعات هوى". "بصرف النظر.. لا أعرف أكثر مما قلت". سأل الرجل: "هل تدخل الأشباح في حسبانك؟". "أشباح؟". "منذ حوالي ثلاثة أو أربعة أيام سافرنا إلى "بليد" لنقضي يومًا واحدًا لأننا كنا نبحث عن بعض من المفرقعات أو الألعاب النارية لليلة رأس السنة الجديدة. في طريق عودتنا، بعدما هبط الظلام بالفعل، كدنا نصدم فتاة بالسيارة وذلك على بعد كيلومتر واحد من البحيرة. رأيناها تمشي بمحاذاة الطريق مرتدية معطفًا داكنًا ولا تحمل أي كشافات ولا أي مصدر للضوء بالمرة". "هل نفدت؟". "ما هي؟". "المفرقعات النارية؟". "أوه، لا.. لقد نسيها "تيلن"، الرجل الذي ألقيت به في سيارتك، في ليوبليانا واضطررنا إلى الذهاب إلى "بليد". لم تكن المفرقعات النارية وصلت هناك بعد، لذلك لم نجد مفرًّا من القيادة إلى بلدية "رادوفليتسا" لإحضارها". أومأ "تاراس" وقال: "وهذه المرأة؟ هل كان معها كلب؟". "نعم بالفعل". "شيء صغير له رأس ضخم؟". "لا أدري. لكنني متأكد أنه كان يتدحرج على الأرض لشدة قِصَره". دخلت "تينا" وقالت: "القارب في المرسى خارج

منزل العطلات". "لقد أخبرتك أنه بالمرسى، ولكنه ليس المكان الذي أخذناه منه". قال "تاراس" وهو ينهض من على المقعد: "لا عليكِ. شكرًا جزيلًا على وقتكم. قبل أن نغادر، نطلب منكم تسليم أي مفرقعات نارية متبقية معكم، وفيما يتعلق بالقارب.. إليكم رقم تليفون صاحبه". انتزع صفحة من دفتره ودون عليها الرقم ووضعها على المنضدة، ثم قال: "سأتصل بهم صباح الغد لأخبرهم بما حدث للقارب. آمل أن يصلهم خبر منكم بالفعل قبل ذلك".

فتح "تاراس" باب السيارة ووضع صندوق المفرقعات النارية بين المقعدين الأماميين ثم التفت إلى المقعد الخلفي. قال الرجل المقيد اليدين، أو "تيلن" على ما يبدو: "أيها السافل ستدفع ثمن فعلتك هذه أنت..". جلست "تينا" على مقعد المجاور للسائق ونظرت إلى "تاراس". أكمل الرجل قائلًا: "وهذه العاهرة التي معك عندما تقعان، أنتما الاثنان، في يد والدي سيطردونكما من الخدمة، أضمن لكما ذلك".

قبل أن يعود إلى السيارة، كان "تاراس" ينوي إطلاق سراح الرجل. فمن الغباء أن يزيد الأعباء التي فوق رأسه بعبء هذا الطفل الشقي المدلل. كان ينوي فك الكلبشات عن رسغيه حتى وهو يصب الآن لعناته وإهاناته عليه وعلى "تينا"، كان ينوي نزع الكلبشات عن معصميه ويركله في الثلج ثم يقود سيارته ويغادر، ولبرهة تردد في فتح الباب له. قال الرجل: "ألا تعرف من أنا؟ هل تعرفان لقبي أيها الأوغاد؟".

فما كان من "تاراس" إلا أن نزل من السيارة، وفتح الباب

الخلفي، وسحب الرجل الذي ظل يصرخ ويستغيث قائلًا: "ساعدوني، ساعدوني، الشرطة تضربني..".

لما خرج من السيارة، جثا على ركبتيه وجعله ينبطح ودفع برأسه دفعًا في الثلج فغرز وجهه فيه، ومن ثم أصبح صراخه مكتومًا، وعندما أخذ يلهث بحثًا عن هواء يتنفسه، أخذ يتلوى وقد جن جنونه. عندما سمح له "تاراس" بالتقاط أنفاسه صاح الرجل: "أيها المجنون. إنك..". لم يكمل الجملة لأن "تارس" دفن وجهه في الثلج ثانية ودفعه لمسافة أعمق من المرة الأولى ومن ثم لم تعد صرخاته مسموعة. عندما سمح له "تاراس" بتحريك رأسه حاول الالتفاف نحوه، لكن "تاراس" لم يسمح له وأخذ يحصي عدد مرات لُهاثه المتشنج، ومحاولاته لملء رئتيه بالهواء، وفي المرة الخامسة، دفن رأسه في الثلج وضغط عليها أكثر. قالت "تينا": "تاراس".. أخذ يعد.. واحد، اثنان.. قالت "تينا": "تاراس"! أخذ يعد.. سبعة، ثمانية.. قالت "تينا": "تاراس"! أخذ يعد.. تسعة، عشرة..

ثم وقف وتراجع خطوة إلى الوراء. اختلج الجسد من تحت "تاراس" وارتعش فجذب رأسه فوق الثلج، وأداره على جنبه. اختلط بصاق الرجل بالقيء المندفع من فمه. فك "تاراس" الكلبشات من معصميه وأعادها إلى حقيبة السيارة الخلفية وعاد إلى مقدمتها حيث كان الرجل يحاول أن ينهض.

سأله "تاراس": "هل اكتفيت؟". نظر إلى "تاراس" بعيون منتفخة وهو جاثٍ على ركبتيه. قال "تاراس": "انظر، لقد

تبولت على نفسك". ظل راكعًا في الثلج وهو يحدق في اتجاه السيارة التي انطلق بها "تاراس". قالت "تينا" عندما وصلوا إلى الطريق الأسفلتي: "ليتك تذكرني ألا أتهور وأجادلك، هَلّا فعلت؟". قاما بتفقد المنازل الأخرى في "أوكانك"، ولم يجدا بها أحدًا. كل أبواب المنازل موصدة. التزمت "تينا" الصمت طوال الوقت، فقال "تاراس" لنفسه:"ها هي حفرة الرمل يا تينا، هَيّا.. إنها لكِ".

الفصل الرابع عشر



أحب كل من "برايك" و"أوسترتس" العمل في الميدان، كما فضل "تاراس" أيضًا العمل الميداني على الجلوس في المكتب في انتظار حدوث أي شيء، ناهيك عن عقد الاجتماعات مع رؤسائه، ولم تدب الحياة في "برايك" و"أوسترتس" إلا بعدما انتقلا للعمل بالميدان، وسط الناس. وكما توجد محفزات جوهرية لدى "برايك" تكمن في كل ما له علاقة بفن الطهي باستخدام نكهات الخمور، فإن "أوسترتس" لديه محفزات أيضًا، ومثلما يحب "برايك" الطعام يحب "أوسترتس" الثرثرة على الأقل عندما يتطرق الحديث إلى

الأشياء التي تقع في نطاق اهتماماته رغم أن هذا الانطباع لا يؤخذ عنه للوهلة الأولى. لقد وصلوا إلى مكان يبعد عن النُزل دقيقة أو دقيقتين بالسيارة بالقرب من البحيرة في "ستارا فوجينا"، وفي تلك القرية الجبلية الألبية بامتياز سيجد "أوسترتس" بين سكانها من الريفيين الكثير من الموضوعات التي تهمه، بدءًا بأفضل أنواع مواد البناء لعمل توسعات ملحقة بالمباني، إلى أنواع قطع الغيار، إلى السيارات باختلاف أنواعها، وحتى الجرارات الصغيرة، رغم أن جزازة العشب الصغيرة تعدُّ أكثر من كافية لزراعة أي شيء ينمو حول منزل "أوسترتس" الصغير والمبني من المعدن سابق التجهيز، والذي يقع على أطراف بلدية "هوريول".

ويتمتع "أوسترتس" بقدرة فائقة على إجراء حديث ممتد بمجرد أن يقول: "لديك بالفناء آلة رفع قوية لرفع القش. إن عدد قواطعها ثلاث وثلاثين قاطعًا، أليس كذلك؟".

أما إذا قيل له إن "آلة الرفع تحتوي على دبرياج وعمود تشغيل معدلين" فإنه يتخلى عن تحفظه على الفور ويصبح أريحيًا.

عندما أوقفوا السيارة خارج نُزل "ميهوفيك" كرر "برايك" بارتياح قائلًا: "أظن أنها ستكون نزهة رائعة".

يوجد على جدار واجهة النُزل نقش يوضح أنه يعمل في مجاله منذ عام 1888، ويمكن للنزلاء أن يقرأوا في الكتب الإرشادية السياحية أنه يضم أيضًا أحد عوامل الجذب في

القرية ألا وهو صندوق "الأوركستريون" الموسيقي بحجم دولاب يقلد صوت الأوركسترا والذي يرجع أصله إلى منطقة "بوهيميا". قال وهم يغادرون السيارة: "أتراهن أنني أحفظ قائمة طعامهم عن ظهر قلب؟".

لم يرد "أوسترتس" في البداية، كان يعلم أن "برايك" لا ينتظر منه ردًا، علاوة على أنه لا يشك في أن "برايك" يحفظ بالفعل قائمة الطعام عن ظهر قلب. لم ينتظر "برايك" رده بل تابع سرد القائمة قائلًا: "الطبق الأول يتكون من حساء لحم البقر، لحم الخنزير المشوي، مكعبات البطاطس المقلية، سلطة مشكلة، فطائر "الاشتروكلي" الحلوة. ويتكون الثاني من حساء اللحم البقري، شرائح الدجاج بصلصة الفطر البري، البطاطا المقلية مرة أخرى، سلطة مشكلة، وفطائر "الاشتروكلي" الحلوة، أما الثالث فهو وجبة نباتية تتكون من: حساء الخضار، الجبن المقلي، البطاطا المقلية، سلطة مشكلة، وفطائر "الاشتروكلي" الحلوة".

كان "برايك" يعرف أن "أوسترتس" ينصت إليه غير أن الأخير لم يعلق عندما انتهى من سرد القائمة. فتابع "برايك" قائلًا: "عندك حق، فهم لا يغيرون قائمة الطعام تغيرًا جوهريًا، بل يكتفون باستبدال نوع اللحم فقط، يضعون الدجاج بدلًا من لحم الخنزير وعليه الجبن المقلي. الأمر بسيط، أليس كذلك؟ إليك حيلتهم؛ إنهم يستبدلون بعض الأطعمة الفاخرة، أو ستة عشر نوعًا من رقائق "الرافيولي" المحشوة مع مرقة الإوز، بشيء بسيط طازج ومحلي الصنع يضعونه على

المائدة". سأل "أوسترتس": "من أين نبدأ؟ بالنُزل؟". تجاهل "برايك" سؤال "أوسترتس" وتابع قائلًا: "هناك أساس لكل شيء؛ فالعالم يتغير حولنا باستمرار وكي لا ينقلوه عنوة إلى مكان ما بالفضاء، يجب أن نرسي بعض الأسس. يعدُ لحم الخنزير المشوي أحد هذه الأسس. هل سمعت من قبل عن فن الطهي الجزيئي المعتمد على استكشاف التحول الفيزيائي والكيميائي لمكونات الطعام التي تحدث في أثناء الطهي؟ حسنًا، إنه أحد هذه التغييرات. هل هو حقيقي، أم مجرد هراء؟ من يدري؟ ما دام هناك أماكن مثل نُزل "ميهوفيك" تقدم لحم الخنزير المشوي جيدًا بالفرن، فلا شيء يهم. أما هؤلاء الذين يفضلون أكل النمل بأعواد الطعام الصيني بدلًا منه، فلماذا يجب أن أهتم بهم ما دام هناك شيء اسمه لحم الخنزير المشوي يُقدم في مكان ما في هذا العالم، أما إذا ألغوا كل هذا وتركونا للنمل الجزيئي، فستكون تلك نهاية العالم حتمًا بالتزامن مع الأحداث الكارثية، مثل اندلاع حرب أو وقوع كارثة طبيعية أو.. لا أدري.. أن يرتطم كويكب كبير بالأرض مثلًا".

شاهد "برايك" قبل أيام قليلة وللمرة الألف فيلم "أرمجيدون" بطولة "بروس ويليس" على شاشة التليفزيون، والآن بعدما انتقلوا بالحديث إلى الكويكبات، أخذ يُفتش في ذاكرته عن الاسم الذي أطلقوه على الكويكب الذي سيرتطم بالأرض ويبيد العالم. وبعد أن تذكر الاسم في النهاية قال: "مُدَمِّر الكون"، هذا هو الاسم الذي أطلقوه على ذاك الكويكب.

لم يبدُ أن "أوسترتس" لديه أي فكرة لذلك تابع "برايك" قائلًا: "وارد جدًا، الآن، في هذه اللحظة بالذات، أن يرتطم بنا كويكب و..". اتضح أن "أوسترتس" شاهد الفيلم نفسه لأنه صحح له الاسم قائلًا: "بل "قاتل الكون". ولأن "برايك" اغتاظ من تصحيح "أوسترتس" للاسم فقال وهو يرمقه بحدة: ".. وقد يأتي طبق طائر الآن ويهبط فوق لحم الخنزير المشوي الذي آكله ويحوله إلى جزيئات". ثم أشار إلى الطريق التي سلكوها للتو وقال: "لا، لن نبدأ بالنُزُل، سنبدأ بالمنزل الأخير، ثم ننتقل من واحد لآخر على الاتجاه المعاكس حتى نصل إلى نُزُل "ميهوفيك"، إلى لحم الخنزير المشوي".

بعد ساعتين من المرور على المنازل بالطريق في الاتجاه المعاكس وصلوا بالفعل إلى النُزُل. عاد "برايك" راضيًا لأنه بلغ غايته أخيرًا، ولأنهما أنهيا مهمتهما التي لا لزوم لها، كما توقع، فهي لم تسفر عن أي شيء قد يفيد قضيتهم أو يساعد في تعزيز تحقيقاتهم وتحرياتهم. عاد راضيًا لأن الناس قدموا له في بعض المنازل شراب "صاديفيتس" الكحولي الفاخر واشترى لترين منه. أخذ لعابه يسيل كلما فكر في لحم الخنزير المشوي والبطاطس المقلية. كان يتضور جوعًا لدرجة تجعله يلتهم خنزيرًا برمته، حسبما قال، ورغم أن "أوسترتس" لم يعلق، غير أنه لم يشك لحظة في أنه يستطيع ذلك، إذا واتته الفرصة.

فتح "برايك" بابًا خشبيًا بزجاج أصفر غير شفاف واستقبلته النادلة التي وقفت عند البار تغسل الكؤوس والتي رحبت به

بصوت عالٍ. رد تحيتها ثم رفع صوته وحيّا النزلاء القلائل الجالسين في وسط المطعم. هناك زوجان بدا أنهما الأكبر سنًا، ويتحدثان بلهجة بلدية "ستيريا" التي ربطها "برايك" بوجود سيارة "سكودا فابيا" رمادية تقف خارج النُزل وتحمل لوحة مرور مدينة "ماريبور"، بينما كان الثلاثة الآخرون من السكان المحليين، اثنان منهم من المزارعين جاءا كي يتناولا كأس نبيذ بدلًا من تناول الغداء، أما الثالث والأخير الجالس إلى البار فكان صورة نمطية لأحمق القرية. رد الزوجان من بلدية "ستيريا" تحيته، ولم يكلف الثلاثة الآخرون أنفسهم عناء ردها. سألته النادلة وهي فتاة في منتصف العشرينيات وترتدي تنورة منقوشة بالزهور وبلوزة رمادية مطوية ذات ثَنيات متعددة وسترة من اللون نفسه: "ماذا تطلب؟". هتف "برايك" كأنه سيقول شيئًا مهمًا: "الطبق الأول". وأكد على طلبه بضرب الطاولة بقبضته. قالت الفتاة: "لحم خنزير مشوي، بطاطس، وسلطة، أليس كذلك؟ وأنت؟". "لحم الخنزير المشوي أيضًا، لكن مع أصابع بطاطس بدلًا من مكعبات البطاطس". صاح "برايك" قائلًا: "رقائق؟! من يأكل أصابع البطاطس مع لحم الخنزير المشوي؟".

بينما كان يسير مع "برايك" إلى المنزل الأول الذي خططا لزيارته تصفح "أوسترتس" على تليفونه الموقع الإلكتروني لإدارة الإحصاء بجمهورية سلوفينيا، وأخذ يقرأ البيانات والمعلومات على "برايك" الذي لم يبدِ أي اهتمام بها. وحسب الموقع فإن عدد سكان "ستارا فوجينا" يبلغ خمسمائة وستة

وسبعين، منهم مائتان وتسعة وسبعون رجلًا ومائتان وسبعة وتسعون امرأة، وهم يشكلون مائة وستين عائلة أو مائتين وتسع أسر يعيشون في مائتين وواحد وتسعون منزلًا جميعها ذات أسقف شديدة الانحدار. لم يذكر الموقع الإلكتروني الرسمي أن كل المنازل تتمركز فيما بين مجرى "موستنيكا " والتلال شديدة الانحدار المحيطة به، وهو ما يستطيعان رؤيته بأعينهما.

بعدما قدر "برايك" الموقف قال وهو يدق جرس آخر منزل بالطرف الشمالي للقرية: "إذا تفقدنا المنازل العَشر، فإننا سننتهي من مهمتنا في غضون ثلاث ساعات".

عندما دخل "أوسترتس" و"برايك" المنزل كانت الساعة الثانية عشرة وخمس وأربعين دقيقة، واحتسى "برايك" أول كأس من شراب الـ"شنابس" في الثانية عشرة وخمسين دقيقة أي قبل أن يحتسي "أوسترتس" كأسه بدقيقتين. مرت على "برايك" أوقات حسد فيها زملاءه ممن يعملون في منطقتي "ستيريا" أو "ليتورال" على النبيذ الذي يُقدم لهم كي يشربوه بل ويأخذوه إلى منازلهم أيضًا، ولكن منذ أن تطور إنتاج النبيذ بمنطقة "كارنيولا السفلى" والتي تتبع أمنيًا مديرية أمن ليوبليانا، اعتاد احتساء شراب "الصاديفيتس" وغيره من المشروبات الكحولية الأخرى، ومن ثم لم يعد يحسدهم الآن على أي شيء. حسم "برايك" الأمر قائلًا: "المشروبات الكحولية أفضل من البيرة التي تضطرك إلى التبول باستمرار".

أدمن "برايك" على الكحول بالطبع، بل إنه ظهرت عليه جميع الأعراض التي أقرها الخبراء - بدءًا باشتهاء الكحول إلى التداعيات الجسدية التي تصحب الإدمان عليه، والتي اعتبرت في حالته مجرد كَبْوَة – فلم يبلغ استهواؤه الخمور درجة فاجأت مَن يحيطون به من المقربين بل إنهم دافعوا عنه قائلين إنه لم يكن يشرب سوى كأس أو كأسين كلما اجتمع برفاقه فقط. إن زوجته التي من الواضح أنها لم تتفق مع رأي بقية المحيطين به هجرته لأنه تحول بالفعل إلى مدمن، وكان يصل إلى مقر عمله في حالة مروعة فيتداعى فوق مكتبه الذي لم يترك به مكانًا إلا وتقيأ عليه. ولولا "أوسترتس" فقط لما وجد طريقه إلى المنزل. لم يقل له "تاراس" شيئًا في ذلك اليوم، لكنه توجه منزله في السابعة من صباح اليوم التالي، ودق الجرس. وبعدما سمح لـ"برايك" المحطم بإعداد قهوة له قال له بنبرة تتسم بهدوء استثنائي كأنه يعلق على أحوال طقس أمس إنه إذا أراد الاستمرار في العمل في مجال الخدمة المدنية فعليه ألا يكرر ذلك ثانية مطلقًا. سأله "تاراس": "موافق؟". قال "برايك": "موافق". "وسأوافيك بإنذار خطي رسمي قبل أن أفصلك من الخدمة، حتى لا تظن أن ما أقوله مجرد مزاح". أومأ "برايك" وأنهى "تاراس" قهوته وقال له بعدما حيّاه: "أراك في غضون ساعة".

أومأ "برايك" مرة أخرى، وتركه جالسًا على الطاولة، وقد فرغ عقله من أي أفكار. بعدما عاودته أفكاره، خطر على باله أن الانتحار بالتأكيد أفضل من أن يضيف إلى كل هموم

الحياة الأخرى الامتناع عن المسكرات أيضًا. ومن ثم نزل إلى القبو، وأحضر حبلًا كان البناؤون يستخدمونه في أيام الزمن السعيد كي يسحبوا دلاء بها خلطة مونة البناء إلى الطابق العلوي، وحاول العثور على مكان مناسب لتثبيته كي يشنق نفسه. لم يستطع تحديد المكان المناسب ووجد نفسه يفكر تلقائيًا في الاتصال بـ"أوسترتس"، ولكن بمجرد أن خطرت هذه الفكرة على باله حتى تلاشت فكرة الانتحار. لم يخطر على باله أن ينتحر بمسدس عمله من نوع "بيريتا" إلا وهو يقود سيارته في طريقه إلى مكتبه. شعر باضطراب بمعدته واضطر إلى التوقف عند أول محطة للحافلات حيث كان السادس في طابور دخول الحمام فلم يتحمل الانتظار وتقيّأ في صندوق قمامة صغير. ويتذكر أنه سمع أحدهم يقول: "استحلفكم بالله، اتصلوا بالشرطة".

تقيأ "برايك" مرتين أخريين قبل أن يصل إلى عمله وأيقن أن حتى فكرة الانتحار لم تعد هي الأخرى أحد خياراته. منذ ذلك الحين، قرر ألا يشرب بمفرده ولا حتى كأسًا واحدة من باب حماية نفسه من العودة للإدمان. احتفظ ببضع زجاجات من النبيذ وصندوق زجاجات من البيرة في قبو منزله، وسيضيف إليهما الليلة زجاجتي براندي الفاكهة التي اشتراهما. لقد ادخر كل هذا بالقبو في انتظار أن ينظم عشاء أو نزهة. لم يعد يشرب في مثل هذه المناسبات أكثر من غيره لأن لا أحد يباريه في الأكل. لقد اكتشف أنه إذا أكل، يمكنه أن يشرب، وإذا حشا معدته بالطعام، يمكنه أن يشرب الكثير من

الكحول دون أن يسكر.

إن العمل الميداني يُعد منطقة رمادية تقع بين أن تبقى وحيدًا بالمكتب، وأن تعمل مع رفاق. والعمل مع الرفاق فرصة ينتهزها "برايك" كي يشرب مع التحكم في كمية ما يشربه، ولو أن ذلك يصعب عليه، وبالطبع لم يكن ليفعل ذلك إلا في غياب "تاراس". كان ينتشي بعد كأس أو كأسيين فقط فيؤدي عمله بشكل أفضل، فيقوم بإقصاء المشتتات الخارجية، ثم يأخذ استراحة قصيرة، ثم يزور منزلًا أو منزلين ويرفض ما يقدمونه له، إلى أن يتراجع تأثير الكحول، ثم يحتسي كأسًا آخر، وهكذا دواليك حتى تأتيه ما أسماها "الدودة الملحة" وترد له شيئًا من صوابه بحيث إذا اضطر للعودة إلى مقر عمله يبدو متعبًا بعض الشيء لكنه يظل محافظًا على اتزانه. على أية حال فإن من يقود السيارة هو "أوسترتس" الذي لم يمتنع عن تناول البيرة ويقبل ما يعرض عليه منها في نزهات "برايك" إلا أنه يرشف منها ما يروي ظمأه فقط. في الواقع تُعدُّ البيرة أقل أنواع المشروبات الكحولية التي يُقبل عليها "أوسترتس". كما أنه لم يشرب حتى الثمالة إلا في المرة الأولى فقط، وعندما شعر بالغثيان، كما يحدث دائمًا في المرة الأولى، أدرك بطبيعته العملية أن الكحول لم يُخلق لأمثاله، مثلما يدرك، على سبيل المثال، أن أي زيت غير زيت "إلف"ELF لم يُخلق لسيارة "الستروين" التي يملكها "تاراس".

لا يروق لسكان "كارنيولا العليا" عمومًا أن يزعجهم أحد في منتصف عملهم أو على الأقل في منتصف ذلك الجزء

من اليوم المخصص للعمل، ولا يروق لهم كذلك أن تزورهم الشرطة، وهم في هذا الصدد لا يختلفون عن سواهم في أماكن أخرى من سلوفينيا، إلا أنهم تخلوا هذه المرة عن تحفظهم المعتاد بسبب الفضول الذي أثاره خبر انتشال جثة امرأة من نهر ليس ببعيد عنهم. لم يهزوا أكتافهم استهجانًا، مثلما يفعل غيرهم عندما يمثلون أمام ممثلي الدولة كأفراد الشرطة، ويقولون إنهم لا يهتمون إلا بشئونهم الخاصة، فيرد عليهم ممثلي الدولة بمقولة شائعة في برنامج "اطلب واسمع" على راديو "ماريبور : توقف عن العمل للحظة واستمع. وللأسف، لم تكن إجابتهم مفيدة بالنسبة لـ"برايك" و"أوسترتس".

وعندما يسألون: "من تكون تلك الفتاة؟"، يردون على السؤال بسؤال آخر أو يقولون: "كما تعلمون، نحن لا نعرف. إذا كانت من هذه الأنحاء، لقال شخص.." أو "لو كانت واحدة منا، لعرفنا. لا أحد مفقود هنا".

إذا زاروا رجلًا، خاصةً إذا كان متقاعدًا، فسرعان ما تجد زجاجة بغطاء من الفلين طريقها إلى الطاولة وهو يعلق قائلًا: "إنه مصنوع من الكمثرى المزروعة بفناء المنزل. قمت بتخميره بنفسي كما تعرف. هَلّا جربته".

في ضوء كلامه هذا لا بد من تفهم سبب حماس "برايك" المصطَنَع للطبق رقم واحد في هذه الأنحاء.

استغرق الأمر خمس عشرة دقيقة حتى وصل طبقيهما

إلى طاولتهما. ربما استغرق إعداد الوجبتين وقتًا أقصر إذا لم يعقد "أوسترتس" الأمر بطلب رقائق البطاطس لأنها الصنف الوحيد الذي لا بد من تحضيره من نقطة الصفر. انشغل "برايك" بالتهام الطعام لفترة من الوقت وهكذا نجا "أوسترتس" مما قد يقوله من عبارات على غرار: "إنه طعام طيب المذاق"، أو "لا شيء يضاهي الطعام المنزلي" أو "لحم الخنزير هو أفضل اللحوم حقًا".. ولكن عندما أخذ "برايك" أول نفس عميق وأراد أن يقول شيئًا أكثر تبحرًا أو على الأقل أكثر استفاضة، بادره "أوسترتس" بسؤال: "هل ترى أننا يجب أن نمر على عدد من المنازل يتجاوز ذلك العدد بقليل؟ حتى لا يقول "تاراس" إننا لم..".

ألقى "برايك" بشوكته في الطبق الذي لم يفرغ من الطعام بعد مما يشير إلى أن سؤال "أوسترتس" أغاظه بشدة. ثم قال وهو يصرخ حتى إن جميع من بالنُزُل استداروا نحوه: "فليذهب "تاراس" ويجمع بيانات التعداد تلك بنفسه، فلا طائل من وراء أي شيء على أية حال، لا أحد يعرف أي شيء ولم يفقد أي أحد أي شخص".

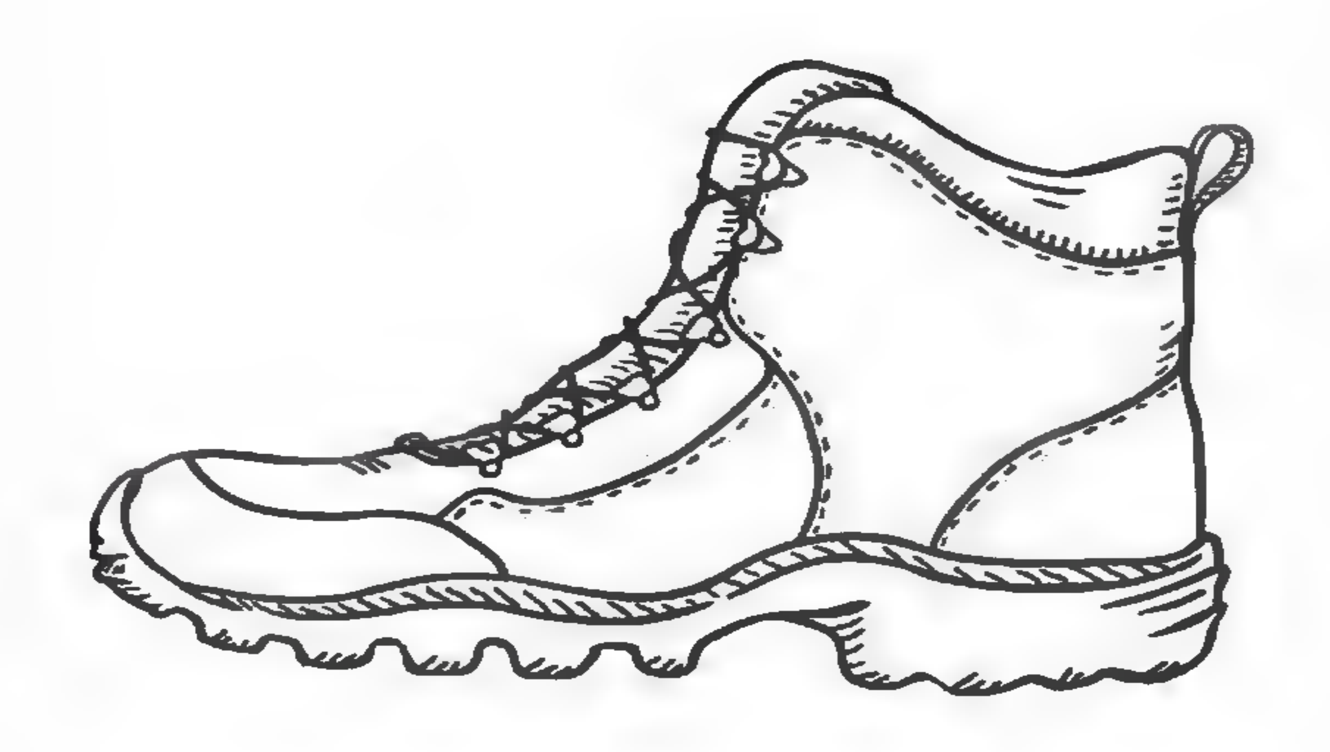
أومأ "أوسترتس" برأسه بطريقة تشبه تلك الدمى ذات الرؤوس الهزازة المثبتة على زُنبُرك، والتي شاعت لبعض الوقت فأكثر الناس من وضعها على الأرفف الخلفية للسيارات، واتخذت شكل كلاب وبطاريق مختلفة تومئ إيماءات متتالية تتزامن مع حركة السيارة. لم يوقف "أوسترتس" إيماءاته المتكررة إلا بعدما التقط "برايك"

شوكته مرة أخرى، غير أنه أعاد الكرة وقال مجددًا: "ومع ذلك لدينا عشرة فقط".

لم يسمح "برايك" لتعليق "أوسترتس" أن يشتت تركيزه في التهام الطعام هذه المرة، ومن ثم غرز "برايك" الشوكة في قطعة من اللحم ودفع ببعض البطاطس على الشوكة بسكين، ووضعها كلها في فمه، وأخذ يمضغها ببطء، ثم وضع السكين والشوكة بعناية على الطبق بطريقة تجعل النادلة تفهم أنه لم ينته من طعامه بعد ومن ثم لا ترفع طبقه عن الطاولة بالخطأ. مسح زوايا فمه بمنديله وسأل "أوسترتس": "حسنًا، ما العدد الذي تراه كافيًا، برأيك؟". "خمسة عشر منزلًا كحد أدنى".

ابتلع "برايك" ما كان يمضغه، وتلفت حوله ثم اجتَز قطعة أخرى من لحم الخنزير المشوي، ومعها قطعة أخرى من البطاطس في فمه وتمتم: "بل يكفي أربعة عشر".

الفصل الخامس عشر



الأربعاء، 3 يناير

توجد قائمة بنزلاء النُزُل على مكتب "تاراس" وشملت أربعة عشر شخصًا شغلوا خمس عشرة غرفة. تمنى ألا يجد بينهم أي أجانب، ولكنه بالطبع وجد. حسنًا، هناك زوجان فقط قاما بتسجيل الخروج وشغلا الغرفة رقم 212 وذلك في الثالث والعشرين من ديسمبر باسم "ليز هان" و"هانس هان" من "فورستنفيلدبروك"، وبعدما كتب اسم البلدة على متصفح الإنترنت تبين أنها تقع على بعد بضعة كيلومترات غرب

ميونيخ، وحسبما يرى على الخريطة، على الجانب الأيسر منها. حسنًا، من الواضح أن الزوجان لن يمثلا لهما أي مشكلة.

قام بفتح تطبيق الترجمة المفضل لديه ثم دون الخطوط العريضة للمحادثة التي سيجريها مع الزوجين على قُصَاصَة ورق. لقد حان وقت اختبار لغته الألمانية.

سألته "تينا" وهي تعلق معطفها: "هل وجدت أجانب بين النزلاء؟". "اثنين". "هذا يعني أننا بحاجة لاستشارة قانونية دولية من وزارة العدل و..". قاطعها قائلًا: "لا تعقدي الأمور".

قام بالاتصال برقم يبدأ برمز التليفون الدولي لألمانيا "49" ثم رمز ميونيخ "89" ثم انتظر لبضع ثوان حتى سمع صوتًا على الطرف الآخر من التليفون. قال بالألمانية: "مرحبًا، هل يمكنني التحدث إلى السيد "أوليفر شولتس"، من فضلك. اسمي..".

خشي أن يخبره الصوت النسائي على الطرف الآخر من الخط أن السيد "شولتس" قد تقاعد بالفعل، لكن ذلك لم يحدث بعد. عندما انتهى وأغلق سماعة التليفون بارتياح أوضح لـ"تينا" قائلًا: "إنه زميل".

قبل شهر واحد فقط ما كان ليجرؤ على التحدث باللغة الألمانية، وها هي ثلاث سنوات من الدورات التدريبية بدأت تؤتي ثمارها أخيرًا.

التقى "تاراس" بـ"شولتس"، في دورة تدريبية في ميونيخ، إذ أرسلوه مع ثلاثة محققين جنائيين سلوفينيين آخرين،

عندما لم يكن "تاراس" ليتجرأ بعد على أن يغامر ويبتعد عن منطقة اللغة الإنجليزية الآمنة نسبيًا والتي يجيدها. إذا حالفه الحظ، فإنه يأمل أن يخبره "شولتس" في وقت مبكر من اليوم أن: "alles was in Ordnung mit Frau und Herr Hahn" أي أن السيدة والسيد هان لا غبار عليهما ومن ثم يستطيع أن يصب تركيزه على المشاركين في الندوة التي نظمتها كلية التكنولوجيا الحيوية من ليوبليانا. كبداية، عليه أن يبحث عما ذكره الإنترنت عن الاجتماع.

فوجئ "تاراس" أن الإنترنت لم يذكر أي شيء عن الاجتماع وهو ما رآه غريبًا. فإن لم تُذكر على صفحات الإنترنت، فأنت لست موجودًا في هذا العالم. من الواضح أن هذا الاجتماع قد عُقد بالفعل ومع ذلك لم يحصل إلا على مجرد نُبذة عن إنجازاتهم التي تمت خلال العام الماضي وعن الملتقى غير الرسمي. أطلق عليه الجميع "ملتقى غير رسمي" ولم يطلق عليه أحد اسم "حفل". أهكذا تتحدث هذه الأجيال الجديدة؟ وإذا كان كل شيء عاديًا وطبيعيًا هكذا، فلماذا استشعر في كل شخص تحدث إليه بهذا الشأن بعض الإحراج؟ ولماذا كانوا يرددون الكلام نفسه كأنهم قد تلقنوه؟ اتصل بمكتب أعضاء هيئة التدريس بكلية التكنولوجيا الحيوية وطلب التحدث إلى العميد الذي كان، على ما يبدو، المنظم لهذا الشيء غير الرسمي، أيًا كان اسمه، فوجده غير متاح. أوشك أن يدخل في جدال مع السكرتيرة التي أوضحت قبل فوات الأوان أنها تحاول الاتصال به طوال النصف ساعة الماضية

وأن تليفونه أخبرها أن رقمه غير متاح، من فضلك حاول.. فطلب منها أن تجعله يتصل به بمجرد أن تصل إليه.

لم يجد "تاراس" مدير شركة "سالوبريس" للصناعات الدوائية أيضًا لأنه كان محلقًا في الهواء بين ليوبليانا وموسكو، وسيتواصل معه فور أن يتمكن من ذلك. قال "تاراس": "فور هبوط طائرته". قال الصوت النسائي على الطرف الآخر من الخط بحزم: "فور أن يتمكن من ذلك". "عليه أن يتصل بي على الفور لأنني أود أن أسأله عن المرأة التي كانت معه في "بوهيني" والتي سجلت الدخول إلى النُزل باعتبارها زوجته". صمتت. سألها: "أتفهمين؟".

على الطرف الآخر قال الصوت النسائي بنبرة ما زالت فظة ولكن يشوبها شيء من التوجس: "نعم". "بالنسبة لامرأة تستخدم اسم "أنتونيا ميهليتش"، وهو الاسم الذي سجلت به الدخول للنُزل، ووفقًا للتحريات التي جمعتها فإنها كانت تحتفل بعيد ميلادها الثامن عشر في "بوهيني" وذلك في الثالث والعشرين من ديسمبر. من المؤكد أنكِ تتفهمين أنني بحاجة إلى التحقق من هذه المعلومات وأود التحدث إلى السيد "ميهليتش" أولًا قبل أن أتصل برقم زوجته والتي أفترض أنها ليست في الثامنة عشر من عمرها". قال الصوت النسائي دون تردد هذه المرة: "سيتصل بك السيد "ميهليتش" فور أن يصل مطار "شيريميتيفو" بموسكو". "متى سيكون ذلك؟". "ستهبط طائرته في الساعة الثالثة، ثم يستغرق خروجه من المطار خمس عشرة دقيقة أخرى أو نحو ذلك.

هل يتصل بك في الثالثة والنصف؟". "حسنًا. أود أيضًا الحصول على رقم تليفون "أنتونيا" البالغة من العمر ثمانية عشر عامًا، لأنني أود أن أستجوبها أيضًا".

حصل بالفعل على رقم من كان اسمها "باربرا" وليس "أنتونيا".

في المكتب المجاور لمكتبه، كانت "تينا" تحاول التواصل مع أصحاب منازل العطلات. أحرزت بعض النجاح، ولكن مع إجابات مشابهة لا طائل من ورائها من قبيل: "لا أحد متغيب"، أو "لا أحد في عداد المفقودين"، أو "هل قُتلت حقًا؟" أو "ليس لدينا ما نقوله في الوقت الراهن يا سيد، يا سيدة.. وأشكرك على وقتك ولطفك".

جلس كل من "برايك" و"أوسترتس" إلى مكتبه ليكتب تقاريره ويضع على الورق ما توصلا إليه بالفعل من تحريات وما لخصه "برايك" في جملة واحدة قائلًا: "كل ما وجدناه مجرد صفر على الشمال".

إن تدوين ملاحظاتهما عن المقابلات الاستطلاعية التي أجرياها مع القرويين في" ستارا فوجينا" سوف تستغرق اليوم بطوله لا سيما وهما يكتبان على أزرار لوحة مفاتيح الكمبيوتر بإصبع واحد لا غير، بينما يستخدم "تاراس" ما يسمى بالكتابة العمياء أو الكتابة باللمس ودون النظر إلى اللوحة ويكتب بأصابعه العشر تقريبًا وهو الشيء الذي ينبغي أن يشكر عليه "بينكا"، لأنه أرسله إلى دورة الكتابة السريعة

على لوحة مفاتيح الكمبيوتر وذلك بمجرد انضمامه إلى مجموعته وقال له حينها: "فات الأوان بالنسبة لمن هم في أعمارنا. أما بالنسبة لك، سيكون من المفيد أن تتعلم أكثر المهارات نفعًا لضابط الشرطة؛ الكتابة السريعة على لوحة المفاتيح".

في ذاك الوقت شعر بأن "بينكا" يستهزئ به رغم أنه لم يُظهر مشاعره، أما الآن فهو يشعر بالامتنان له. إنه يستخدم، في الواقع، تسعة أصابع، ويظل خنصر يده اليمنى مرفوعًا في الهواء طوال الوقت وغالبًا ما كان يحرك يده اليمنى على الجزء الأيسر من لوحة المفاتيح.

نادت "تينا": "تاراس".. استدار نحو "تينا" التي كانت غطت سماعة التليفون بيدها وقالت: "إنه شخص يدعى "بريلك" ويقول إنه يعرفك".

أومأ "تاراس" وتوجه إلى مكتبها. قالت: "يمكنني أن أحول المكالمة إلى تليفون مكتبك". لكن "تاراس" كان قد أمسك بسماعة التليفون بالفعل. قال "بريلك": "مرحبا يا "تاراس"، كيف الحال؟ اللعنة! ما هذا السخف الذي نتعرض له؟". قال "تاراس" وقد انتابه شعور طفيف بعدم الارتياح: "وسيزداد يومًا بعد يوم". "اسمع، اتصلت بي فتاتك تلك وسألتني أين كنت خلال الأسبوع الذي يسبق عيد الميلاد. كنت في سويسرا في دورة تدريبية، وأنت تعرف ذلك". "نعم، أعرف، لكنها مسؤولة عن "أوكانك"، لذلك لم أتدخل في عملها". "حسنًا، لا عليك. لم يكن أي شخص موجودًا في منزلنا في

ذلك الوقت. وعلى حد علمي لم تذهب "كارين" هناك أيضًا. ألم تعرف بعد من هي تلك الفتاة التعيسة؟". "بلى". "كيف ذلك؟".

ابتسم "تاراس". إنه السؤال الذي يخشاه وسيطرح عليه مرة واحدة على الأقل اليوم، من قبل "درفاريتش"، وربما من قبل آخرين أيضًا. أجابه "تاراس" قائلًا: "للأسف، تركت الطبيعة بصمتها، ويبدو أنه لا أحد يفتقد الفتاة".

مرت لحظة صمت على الطرف الآخر من التليفون، كأن "بريلك" يتمعن في جملة: "تركت الطبيعة بصمتها" أو "لا أحد يفتقد الفتاة". قال: "أوه، هذا كل شيء إذًا. لا شيء بأيدينا، أليس كذلك يا "تاراس"؟ إنها إرادة الرب".

بعدما أغلق التليفون أوضح "تاراس" لـ"تينا" التي استمعت دون قصد إلى المحادثة إنه صاحب منزل العطلات الذي قضى فيه ليلة رأس السنة الجديدة. سألته: "لا داع إذًا للاتصال بزوجته". قال "تاراس": "بل اتصلي بها. علينا أن نضع أمام اسمها بالقائمة علامة " ✓ ". قال في الساعة الثانية وهو يشير إلى السَّبُورَة البيضاء: "اجتماع".

رفع "برايك" و"أوسترتس" رأسيهما عن الكمبيوتر ونظرا إليه وهم يدفعان مقعديهما للخلف قليلًا بينما همَّت "تينا" كي تقف، وهي تبتسم ابتسامة يشوبها الإحراج ثم جلست مرة أخرى.

قال "برايك" وهو يبتسم: "هل ظننتم أننا ذاهبون إلى قاعة مؤتمرات أو مكان من هذا القبيل".

قهقه "أوسترتس" وابتسم "تاراس" ثم توجه إلى السّبُّورَة البيضاء ومَحَى جميع النقاط التي كتبها في اليوم السابق بعناية حتى أصبح سطحها نظيفًا تمامًا.

سأل وهو ينظر نحو "برايك" و"أوسترتس": "ماذا لدينا الآن؟". قال "برايك" وهو يتناول قُصَاصَة ورق من على مكتبه: "حسنًا، أجرينا مقابلات استطلاعية في "ستارا فوجينا"..". قاطعه رنين التليفون على مكتب "تاراس" الذي أشار إلى "تينا" كي ترد واستمر في الاستماع إلى "برايك" الذي تابع قائلًا:

".. مع أربعة عشر شخصًا في أكبر عدد من المنازل، أعني حسب العائلات أو العناوين. والنتيجة التي خرجنا بها فيما يخص ضحيتنا مباشرة، هي صفر على الشّمال..". غطت "تينا" سماعة التليفون بيدها ولوحت إلى "تاراس" بيدها فتوقف "برايك" عن الكلام مؤقتًا. قالت: "هليب" من كلية التكنولوجيا الحيوية". اتجه "تاراس" إليها وتناول سماعة التليفون وقال: "مرحبًا، معك "تاراس بيرسا "، كبير المحققين الجنائيين".

شرح له الموضوع باختصار وطرح أسئلة على غرار ما طرحه على الآخرين. اتسم صوت الرجل على الطرف الآخر من الخط بالتحفظ، ولم يُدلِ لـ"تاراس" إلا بإجابات مقتضبة فحسب، وهي من قبيل إجابات الآخرين نفسها: "لا شيء"، "لم أرَ شيئًا"، "كل من أعرفهم ممن حضروا الندوة عادوا أيضًا إلى المنزل، لا أحد مفقود".

قال "تاراس": "قل لي، ما الهدف من هذه الندوة؟". "ماذا تقصد؟". "لماذا قضيت ثلاثة أيام هناك؟". بدا التردد يشوب صوت الطرف الآخر، وقال بعد برهة: "في الحقيقة لم تكن ندوة بقدر ما كان ملتقى..". سأله "تاراس": "غير رسمي؟". "كان كذلك أيضًا". "هل من المعتاد أن يحضر اجتماعاتك مدير شركة "سالوبريس" للصناعات الدوائية أيضًا؟ ولثلاثة أيام كاملة؟". توقف لبرهة مرة أخرى ثم قال: "نحن ندرب الباحثين الذين سنستعين بهم مستقبلًا، كما ترى. نحن نصنع كوادر سيستفيد منها السيد "ميهليتش". "ملتقى عملي وغير رسمي؟!". ثم نظر "تاراس" إلى القائمة التي أمامه وتابع قائلًا: "حضره أربعة طلاب وعميد كلية ومدير شركة للصناعات الدوائية مع رفيقته". لمس "تاراس" عدم ارتياح ينتاب نبرة صوت الطرف الآخر وهو يقول: "إنهم الطلاب الأفضل، وعادة لا يتوفر الكثيرون منهم. يتعاون الأربعة مع شركة "سالوبريس". جعله "تاراس" ينتظر ثانية وبعدها قال: "لا أعرف لماذا يتملكني شعور بأننا سنتحدث مرة أخرى؟". لم يرد "هليب" على الفور وعندما فعل لم يَشُب نبرة صوته أي تخوف، فقال: "لا أعرف مبررًا لشعورك هذا، كما ترى، أيها المحقق". ودعه "تاراس" ببرود ووضع سماعة التليفون. نظر إلى "برايك" الذي تابع قائلًا: "هذا يعني أنه لا أحد يعرف أي امرأة مفقودة. لقد وضعنا كل شيء في حسباننا حتى مواشي المنزل، ولم يأتِ أحد على ذكر أي حديث عن أي سائح، ناهيك عن المومسات". ثم قال "برايك" وهو يقلد الأصوات المضحكة التي قالت: "لا، لن تجد أمثالهن هنا." أو "جميعنا

هنا في القرية قوم شرفاء!".

ثم تابع بصوته الطبيعي: "حاولنا أيضًا التحري عن أي شخص يعبث ويقيم علاقة غير شرعية ومع من، ولكننا لم نخرج بشيء محدد، الوحيد الذي فعلها شخص في الثلاثين من عمره، فمعظم سكان القرية من كبار السن".

قال "تاراس": "حسنًا، فتاتنا، الفتاة التي علقت بالجليد، تبلغ من العمر ثلاثين عامًا". حدق "برايك" في "أوسترتس"، ثم نظر إلى "تاراس" وتنهد قائلًا: "كنت أعرف أنك ستقول ذلك. في الواقع، من بين كل هؤلاء القوم الشرفاء التقينا مصادفة بشخص أرعن يرفس كالثور وهو في الثلاثين من عمره".

***

أشاح "برايك" بيده إلى "أوسترتس" الذي فرغ من طبقه وهو يقول: "حسنًا، بما أنك انتهيت من طبقك، هَيّا تفضل الآن وابدأ عملك". ثم أشار إلى المزارعَين الجالسين على الطاولة المجاورة وقال: "هيا، اذهب قبل أن يلوذا بِالْفِرَارِ". دون أن يَتفوّه بكلمة واحدة، نهض "أوسترتس" واقترب من الثنائي الجالس إلى الطاولة الأقرب إلى الباب. تنحنح وهو يخطو أمامهما، فتطلعا إليه بتوجس ثم حدقا في الشارة الشُرطية التي أظهرها لهما وهو يقول: "أيمكنني الانضمام إليكما؟". جلس دون انتظار رد ووضع دفتر ملاحظاته وقلم الحبر الجاف على الطاولة.

بادر الرجل الذي يرتدي قميصًا منقوشًا بمربعات حمراء

وزرقاء ويجلس مقابل "أوسترتس" وسأله: "هل هذا بخصوص المرأة التي انتشلت من الماء؟".

يبدو أنه أخذ زمام المبادرة رغم أنه كان أكثر توترًا من رفيقه. قال أوسترتس": "نعم". ثم أشار إلى "برايك" الذي جلس في هدوء تام مع مسحة حزن غطت وجهه وهو يتعامل مع آخر قطعة من لحم الخنزير المشوي موضحًا لهما أنه وزميله هذا يجريان مقابلات استطلاعية الغرض الأساسي منها التحري وجمع المعلومات، وأن من حقهما رفض إجراء هذه المقابلة، إذا رغبا. للحظة بدا أنهما يفكران في هذا الخيار.. لكن من الأفضل للجميع بالتأكيد ألاّ يفعلا.

وسرعان ما أومأ كلاهما برأسيهما إيجابًا.

سأل الرجل الذي يرتدي القميص المنقوش بالمربعات: "ولكن ما الذي يمكن أن نعرفه عنها؟ هل تعرف أي شيء يا "بوجدان"؟".

هز "بوجدان" رأسه بالنفي وبعد عشر دقائق وضع "أوسترتس" قلم الحبر الجاف على الطاولة ثم قال: "وبخلاف هذه المرأة، كيف سارت الأمور الأخرى؟". سأل الرجل الذي يرتدي القميص المنقوش بالمربعات: "ماذا تعني؟". "هل سبق أن حدث شيء مشابه في قريتك؟". قال الرجل الآخر بعد فترة صمت بدت لـ"أوسترتس" طويلة جدًا. "على حد علمي، لا". "هل أنت متأكد؟". وأضاف الرجل الذي كان يرتدي القميص المنقوش بالمربعات: "جميعنا هنا قوم طيبون".

بمجرد أن انتهى "أوسترتس" منهما، وقف الرجلان ودفعا الحساب وغادرا.

سأل "برايك" وهو يمضغ بعض من فطائر "الاشتروكلي" التي اختارها بحشوة الجوز: "ماذا فعلت لتخيفهما لهذه الدرجة؟".

في غضون ذلك دفع الزوجان من بلدية "ستيريا" الحساب أيضًا وقالا وداعًا. قال "أوسترتس": "سأذهب لأتحدث إلى النادلة الآن فلم يعد لديها زبائن". أومأ "برايك" بأريحيّة. عاد "أوسترتس" بعد عشر دقائق إلى "برايك" الذي تجهم وجهه إلى حد ما وهو يحدق في طبقه الفارغ. لا بد أن يغادرا سريعًا. غمغم "برايك" قائلًا: "حسنًا، دعنا نجري مقابلة أخرى". غمغم "برايك "ونادى على الرجل الرَثّ الهيئة الجالس إلى البار قائلًا: "مرحبًا، يا صديقي، هل يمكنك أن تأتينا هنا؟!".

***

قال "برايك": "هل كتبت هذا الجزء يا "أوسترتس"؟". أومأ "أوسترتس" برأسه وفحص أوراقه، ونزع ورقة من دفتره، ونظر إليها ولخصها قائلًا: "في مزرعة تُعرف محليًا باسم "بوتشار"، في وقت ما في أوائل الثمانينيات، على ما يبدو، كان لديهم طفل بلا أب، كما قيل لنا". وضع الورقة على مكتبه ونظر إلى "تاراس" الذي قال: "حسنًا، ثم؟". قال "أوسترتس": "لا شيء، هذا ما قيل لنا". لولا أن "تاراس" يعرف "أوسترتس" من سنوات طويلة، لظن أحيانًا أنه غبي. سأله "تاراس": "من

قال؟".

***

كان الرجل الجالس إلى البار بلحية شعرها غزير أسود إلا أن معظمها أشيب، ويرتدي سترة صيد رمادية لم يخلعها رغم أن النُزُل كان دافئًا. وعندما ناداه "برايك" كي يأتيه أشار إلى نفسه متسائلًا، فأومأ "برايك". وقف الرجل ببطء وحذر، ونظر حوله بالنُزُل كمن يستجدي بعض المساعدة، ولم تأتِه بالطبع. امتثل الرجل للأمر واقترب كالحمل الوديع ومثل أمام "برايك" الذي مسح ذقنه بمنديل من التيل الكتّاني ثم وضعه على الطاولة وهو يشير إلى الكرسي الشاغر كي يجلس عليه. قال "برايك": "نحن من رجال الشرطة".

وأظهر "أوسترتس" شارته مرة أخرى لأن "برايك" لا يكلف نفسه عناء القيام بأشياء من هذا القبيل. سأله "برايك": "من أنت؟". قال المخلوق الذي تَسَمَّرَ في مكانه من الرعب: "أنا "أنطون شتيفي"، وينادونني "تونا".

***

قال "أوسترتس": "يمكن أن تسميه.. عامل مزرعة". تفقد "أوسترتس" قائمته وتابع قائلًا: "عامل بمزرعة تحمل اسم "أوبلاك"، حسبما يتذكر، ولا يعرف شيئًا عن هوية المرأة التي انتشلت من بالماء، ولكن بعد استجواب طويل أخبرنا عن..".

***

قال "برايك": "اسمع، يا "تونا"..". وبعد حوالي عشر دقائق من الاستجواب، ردد "تونا" الإجابة نفسها قائلًا: "حسنًا، على حد علمي لا أعرف".

"لماذا لا تخبرنا بما تعرفه إذًا؟". استنتج "برايك" أن عامل المزرعة لا بد أنه في الستين من عمره بعدما قدر عدد سنوات عمله الشاق وكذلك كمية المشروبات الكحولية التي تناولها بانتظام. غطت سمرة وجهه مع بعض الاحمرار الناجم عن تناول الكحول وغطت كذلك الشعيرات الدموية المتعرجة تحت سطح جلده، ومع ذلك كان الرجل نحيفًا مفتول العضلات وعلى عكس ما توقع "برايك" لم يشم رائحة نتنة تفوح من الرجل.

قال "تونا": "ماذا تقصد، يا سيدي؟".

لاحظ "برايك" أن الرجل فقد اثنتين من أسنانه السفلية. قال "برايك" وهو يفكر في "تاراس" الذي يعدُّه أحيانًا مزعجًا: "لَدَيَّ رئيس مزعج في ليوبليانا. فلتعطني هدية له".

***

سعلت "تينا" فالتفت الرجال الثلاثة نحوها.

قال "برايك": "ماذا؟". "لا شيء، مجرد سعال. تفضل وأكمل كلامك". ابتسم "تاراس" لنفسه. سوف يستغرق الأمر بعض الوقت ليعتادوا أن امرأة باتت تشغل مكتب المسكين "بينكا" القديم، وقد اختفى من عليه جهاز الكمبيوتر الخاص به ليحل محله جهاز الكمبيوتر المحمول الخاص بها فبدا المكتب

فسيكا. استخدم كل من "تاراس" و"برايك" و"أوسترتس" أجهزة كمبيوتر أصبحت أشبه بالصناديق القديمة، ولطالما اشتكى "أوسترتس" من جهازه لذلك فقد ضعق عندما رأى جهاز "تينا" المحمول على مكتب "بينكا". قال "أوسترتس": "كان بمقدوري إحضار جهازي المحمول أيضًا". ثم نظر إلى "تاراس" الذي لم يبدِ أي اهتمام بما قاله.

استخدم "أوسترتس" بمنزله جهاز كمبيوتر محمول بلوحة مفاتيح حساسة تعمل باللمس وهو ما أثار أعصابه جدًا حتى إنه استخدم لوحة مفاتيح خارجية أخرى عادية حتى يتَسنّى له الضغط عليها بقوة فتستجيب وتصدر صوت النقر المتقطع القديم اللطيف.."تك.. تك.. تك.. تك.." بدلًا من صوت النقر الناعم المتوالي للوحة الكمبيوتر المحمول.."إررررس" أو "تتتتتتتا".

ومثلما فعلت يوم أمس، ارتدت "تينا" السترة والسروال الجينز أنفسهما. وجد "تاراس" نفسه يلقي نظرة خاطفة على سروالها الجينز كلما سارت بين المكاتب أو انحنت لالتقاط شيء سقط على الأرض. رماه "برايك" بل و"أوسترتس" أيضًا بنظرة خاطفة يعرف مغزاها.

تناول "أوسترتس" الورقة مرة أخرى وقرأ منها ما يلي: "يبدو أن الفتاة الحامل هي "ديانا بالوه"، ابنة "ميلان بالوه".. صاحب مزرعة "بوتشار". وحسب ما قاله "تونا"، كانت حاملًا، ثم فجأة لم تعد حاملًا ولا يوجد أي أثر يذكر للطفل. سأل "تاراس": "ألم تقم بمزيد من التحريات؟". قال "برايك":

"نعم، بالطبع. لقد دفعنا له ثمن كأسه التالي..". وقال "تاراس" لنفسه: والمؤكد أنك شاركته الشراب أيضًا. تابع "برايك" قائلًا: "وبعد أسبوع من اختفاء بطنها، اختفت الفتاة". قال "أوسترتس": "انتشلوها من الماء بعدما استقلت قاربًا وألقت بنفسها في البحيرة. عثروا عليها بعد أسبوع واحد فقط وواجهوا صعوبات جمة عند انتشالها. اعتبرت وفاتها رسميًا مجرد حادث غرق".

أخذ "تاراس" قلمًا ملونًا وكتب على السّبُورَة البيضاء ما يلي: "ديانا بالوه"، "ستارا فوجينا"، طفل غير شرعي، ثم علامة استفهام حتى لا يترك السّبُورَة فارغة على الأقل.

ثم قال "تاراس": "نحتاج مزيدًا من التحريات عن هذه العناصر".

رفع "برايك" سبابته مثل طالب يحاول جذب انتباه معلمه بالفصل، وقال: "إنما.. لا بد أن تعرف شيئًا عن مصدر معلوماتنا. إنه مجنون بعض الشيء". "إلى أي درجة؟". "لدرجة أنه يخرج لصيد سمك " السّلّور" في بحيرة "بوهيني". قال "تاراس": "وماذا في ذلك؟".

***

بعدما أنهى "تونا" حديثه مع "برايك" وغادر النُزل قالت النادلة: "لا تأخذ ما قاله على محمل الجد، فهو مُختَل، كما ترى. فمنذ عشرين عامًا وهو يخرج سرًا لصيد سمك "السّلّور" في البحيرة". فسألها "بريك": "وماذا في ذلك؟". "لا يوجد

سمك "سَلَوْر" في بحيرة "بوهيني."

***

قال "تاراس": "سواء مجنون أم عاقل، لا يهمني. تحققا، أنتما الاثنان، من حقيقة موضوع تلك المرأة الغريقة، وسنرى هل ما قاله حقيقي أم لا". نظر إلى السّبُورَة البيضاء وقال: "ابحثا عن أي شيء حدث مؤخرًا؟ ولو حتى في هذه الألفية؟ أي شيء مَهْمَا يَكُن؟". قلب "برايك" أوراقه وخلطها بشكل عشوائي، ثم قال: "وجدت شيئًا.. هناك شخص قام بإحراق قارب رجل يدعى.. "يانيز بيرتوسيلي" الذي اعتاد أن يتركه على الضفة بعيدًا قليلًا عن الشاطئ". ثم قرأ من الورقة ما يلي: "أبلغ "بيرتوسيلي" الشرطة التي حققت في الأمر وخَلُصَت لاستنتاج مفاده أنه حُرق بالبنزين مع سبق الإصرار والترصد. حسنًا، لا أرى أي طريقة تجعل قاربًا يحترق على شاطئ بحيرة سوى الحرق المتعمد، لا يمكن أن يحترق من تلقاء نفسه". "هل اشتبه "بيرتوسيلي "هذا في أي شخص؟". نظر "برايك" إلى الورقة مرة أخرى وقال: "نعم، بالفعل. اشتبه بـ"ماريان ماجيوشار"، أحد جيرانه بالطبع. دب بينهما خلاف على قطعة أرض.. خلاف دائم، على الأرجح". قال "تاراس": "قوما بمزيد من التحري عن هذا أيضًا. هناك قارب شرق ثم أعيد وربما له علاقة بقضيتنا".

التفت إلى "تينا" التي ابتسمت وهي تسوي أوراقها. تسلل شعاع الشمس المشرقة عبر إحدى نافذتي الغرفة فانعكس على شعرها، الذي ما زلت تضمه على شكل ذيل

حصان، فأكسب لونه الأسود الفاحم لمعانًا يسميه الألمانيون "رابينشفارتز" أي السواد اللامع لريش الغراب حسبما يظن "تاراس".. كما يصفونه بكلمة أخرى ترتبط بكلمة "رابين"، و"رافين" أي غراب أسود، وكذلك كلمة "رابينموتار" التي تعني الأم القاسية.. فهل كانت هذه المرأة التي تدعى "بالوه"، واحدة من "الرابينموتار"؟

نظرت إليه "تينا" نظرة متسائلة لأنه كان يحدق بها دون أن يدري. هز رأسه وكأنه يقول: لا شيء، ثم أشاح بعينيه كي لا يطيل النظر إليها. سيختلف الأمر مع "برايك" و"أوستراتس"، فلن يعرف "تاراس" كيف يصف لون شعريهما، أو ما تبقى منه حتى لو انعكس عليهما وغمرهما بريق نجم "السوبرنوفا " الساطع الهائل الذي يشبه انفجار نجم من النجوم.

عندما صمت "برايك" ولم يبدِ "تاراس" أي علامة على أنه ينوي أن يقول شيئًا قالت "تينا": "حسنًا، لقد تحدثت إلى جميع مُلّاك منازل العطلات في "أوكانك" وعددهم اثنا عشر باستثناء اثنين منهما لم أتمكن من التوصل إليهما، أظن أن النتائج تتطابق تمامًا مع ما توصل إليه "زوران" و"بافلي"..".

نظرت إليهما وكاد "تاراس" أن يقسم أن وجهيهما احمر خجلًا. فمنذ متى نادتهما امرأة شابة جميلة بأسمائهم الأولى؟ في العشرين سنة الماضية؟ هل سبق وحدث ذلك، يا تُرَى؟

تابعت قائلة: "مبدئيًا، لم يفتقد أي شخص أي أحد، ولم يرَ أو يسمع أي شخص أي شيء، والحقيقة أن معظمهم لم يكونوا

متواجدين في منازل العطلات وقت وقوع جريمة القتل". ثم أخبرتهم عن السيدة العجوز التي التقيا بها في محيط البحيرة والطلاب الأربعة الذين احتفلوا بالعام الجديد في "أوكانك" ومدوا إقامتهم بها وكانوا وقت وقوع جريمة القتل في..

قالت "تينا": "على حد علمنا، وبخلاف السيدة العجوز و"بالاجيتش"، "ميلان بالاجيتش"، فإنهم الوحيدون الذين بقوا هناك لعدة أيام". ولم تأتِ على ذكر العِرَاك الذي حدث بين "تاراس" وأحد الطلاب الأربعة. أكملت قائلة: "نعم، القارب، لقد تحدثت إلى" بالاجيتش" بشأنه وقال إنه مر على مركز الشرطة في طريق عودته من "أوكانك" وأبلغ عن القارب المفقود.. وذلك في الثاني والعشرين من ديسمبر. وباستثناء ليلة رأس السنة الجديدة، فهو لم يعد إلى "بوهيني" منذ ذلك الحين إلا أنه تلقى هذا الصباح مكالمة تليفونية بشأن القارب من جيرانه الجدد الذين قمنا..".

نظرت إلى "تاراس" الذي تَصَوَّر أنها ابتسمت له ابتسامة لمحها بالكاد ثم قالت: ".. أقصد الطلاب الذين زرناهم أمس وأُبلغونا أنهم استعاروا القارب ثم أعادوه بعد ذلك. وقد تأكدت أن القارب مربوط بالفعل بالمرسى أمام منزل العطلات الذي يملكه "بالاجيتش". دفعت الأوراق على مكتبها وتراجعت قليلًا للوراء وقالت: "إنه شكرني على إعادة القارب وسألني إذا كان عليه إبلاغ الشرطة أنه استعاد القارب، وهذا كل شيء". نظر تاراس إلى السَّبُورَة. كم تمنى أن يضيف أي

شيء، لكن ليس هناك شيء يمكن إضافته. ففي وقت وقوع جريمة القتل، لم يكن بِتَجَمّع منازل العطلات سوى السيدة العجوز التي كانت طريحة الفراش بعدما أصابتها الحمى، وأربعة طلاب حمقى يفعلون كل ما يخطر على بالهم، لكن ذلك لا يشمل قتل امرأة وقطع رأسها، ثم يمارسون حياتهم كأن شيئًا لم يكن، ما لم يساعدهم التعاطي المفرط لبعض أنواع المخدرات على ارتكاب هذه الجريمة، أما "بالاجيتش"، فما كان ليجرؤ على التردد على مراكز الشرطة بعد ارتكابه جريمة قتل للإبلاغ عن قارب مسروق، أم أنه جَرُؤ؟

سألها "تاراس": "هل سألتِ "بالاجيتش" إن كان قد رأى أي شخص آخر وهو هناك؟". "نعم سألته. لا، لم يرَ أي أحد. يبدو أن زيارته لمنزل العطلات كانت خاطفة، استغرقت نصف ساعة فقط. لقد جاء ليتحقق من أن كل شيء موصد، ويفصل خطي الكهرباء والمياه، كما زار السيدة "ستروبنيك" التي أكدت لنا ذلك ثم توجه إلى مركز الشرطة للإبلاغ عن سرقة قاربه".

أزال الغطاء عن قلمه الملون، وبعد مشاورات موجزة، أخذ يردد ما يكتبه على السّبُورَة. كتب بجوار "ستارا فوجينا" و"طفل غير شرعي" كلمة " قارب" ووضع أمامها علامة "x2" بين قوسين. ماذا يقول المثل؟ "لا شيء يحدث في هذا العالم من قبيل المصادفة". بعدما التزم الصمت لبرهة تحرك خطوتين إلى الوراء ونظر إلى ما كتبه على السّبُورَة البيضاء، ورغم أن هذا هو أسلوبه المعتاد إلا أنه لم يكن

يدقق النظر حقيقة فيما كتبه. عندما يقدم تقريره إلى "برايك" و"أوسترتس" و"تينا" سيضيف أيضًا عبارة " ندوة كلية التكنولوجيا الحيوية" إلى السّبُورَة. إن مدير أكبر شركة للصناعات الدوائية في البلاد لا يحضر كل يوم ندوة من هذا النوع وبرفقته عاهرة تحتفل بعيد ميلادها الثامن عشر هناك. نظر مرة أخرى إلى ما كتب، إنه لم ينتهِ بعد، فقام بمحو علامة "x2" التي بجوار كلمة "قارب"، وكتب بدلًا منها "x3".

تفقد الوقت على تليفونه وقال: "سيتصل "درفاريتش" قريبًا، وأرجو ممن سيجيب عن التليفون منكم أن يخبره بأنني ذهبت لمكان ما بالميدان دون أن أخبركم أين، وأنني سأعود في حوالي الساعة الرابعة". أغلق تليفونه وتناول سترته من على شمّاعة المعاطف وهو يقول: "إلى اللقاء".

الفصل السادس عشر



عاد "تاراس" لمنزله في الواحدة والنصف. بعد خمس دقائق، استبدل ملابسه وارتدى سروالًا للركض، وسترة ثقيلة ومعطفًا واقيًا من المطر. وقف عند الباب يرتدي حذاءه الرياضي ممسكًا بموزة ثم انطلق إلى ممشى "الذكرى ورفقة السلاح"، حيث زُرعت الأشجار على جانبيه وذلك عند وفاة رئيس دولة يوغوسلافيا التي تفككت منذ زمن بعيد، زُرعت أشجار "زيزفون" بعدد سنوات عُمر الرئيس الثمانية والثمانين والتي تُلقي بظلال رائعة في فصل الصيف. ركض "تاراس" عبر الدَرب الأخضر، وبدلًا من عَرِيش الأغصان المُورِق الوَارِف، وجد أغصانًا تعرت من أوراقها وإشرأبّت باسقة نحو السماء، ووجد الأرض مغطاة بثلج أملس كالمسحوق وطأته الأقدام غير أنها لم تدك طبقاته، ولأن أساسه مُتخَلْخل

فإن الركض فوقه يعدُّ ضربًا من المستحيل. وعلى أيه حال فهو بالكاد يجد وقتًا من أجل الركض والذي لا يكفي أيضًا للقيام بتمارين إحماء وتمدد بشكل صحيح، لم تكن تلك فكرة "تاراس" عن الاستجمام والتسلية، لكنه يعلم أنه لن يستطيع القيام بالأشياء التي ينبغي عليه إنجازها في المساء، أو كما يسميها الأعباء الثقيلة، بدون الذهاب للركض حتى لو لمسافة صغيرة. استغرق حوالي خمسين دقيقة لإكمال طريقه الذي لم يفكر في قياس طوله مطلقًا، غير أن المسافة حتى منزله تبلغ حوالي سبعة كيلومترات. قام ببعض التمارين السريعة؛ ثم اِستحم، وارتدى ملابسه، وتناول على عجل شطيرة أعدها في الصباح وتركها في الثلاجة، وقام بتسخين بعض الشاي الذي خمّرَه أيضًا هذا الصباح. وصل إلى ساحة السيارات خارج مقر عمله في الساعة الثالثة. دخل المكتب بعد ثلاث دقائق ووجهه ما زال متوردًا من الركض. وجد زملاءه الثلاثة هناك جالسين أمام أجهزة الكمبيوتر. علق سترته على الشماعة، وجلس على مكتبه وشغل جهازه. سأل "تاراس": "هل اتصل؟". قالت "تينا": "نعم، اتصل". "هل أراد أن يعرف لماذا لم نحدد هوية الفتاة المقتولة بعد؟". هزت رأسها بالنفي ثم قالت: "قال لا بد أن تكون بمكتبه صباح الغد في التاسعة. هناك شخص يُدعى "بيتان" يود التحدث معك، ومعي أنا أيضًا".

ابتسم "تاراس". يا له من رجل خائب! من كان يظن أنه كذلك؟ توقف كل من "برايك" و"أوسترتس" عن الكتابة. قال

"تاراس": "هل قال لماذا؟". "لا، ولم يقل من هو "بيتان" هذا أيضًا". قال "تاراس" وهو يبتسم: "أنا أعرف من هو". نظرت إليه مُتَحيِّرة، ثم فهمت، فقالت: "آه، "بيتان"؟". سأل "برايك": "أوه، "بيتان"؟ ماذا لدى هذا المثلي ضدك؟". سألت "تينا": "أوه، ذلك المحامي، "بيتان"..". قال "برايك": "نعم، حامل لقب "محامي العام" وغيره من الألقاب. والأكثر هو أنه.. هل ينبغي أن أخبرها؟". ولأن "تاراس" كان يعرف أن "برايك" سيحكي القصة حتى بدون إذن منه، فقال: "فلتخبرها". "كنت لا أزال أعمل في جهاز مكافحة المخدرات، كان لدينا رئيس لا يأبه بأي شيء ولا بأي شخص. إنه "تيسيلي"، أنت تعرفه يا "تاراس".

لطالما بدأ "برايك" هذه القصة بهذا المَطلَع، وكما يفعل الآن، لطالما اكتفى "تاراس" بالإيماء. قال "برايك": "حسنًا، أوقعتنا تحقيقاتنا في بعض قضايا الكوكايين في طريق مجموعة من محامي المجتمع الراقي ورجال الأعمال والسياسيين، الذين أقاموا حفلات ماجنة لتعاطي الكوكايين في قصر معروف على الساحل، على الحدود الإيطالية مباشرةً. إنها مجموعة مُتَوِّعة من حيث الجنسيات.. دولية.. بلقانية - إيطالية، ومُتَوِّعة أيضًا من حيث الميول الجنسية. كل الأنواع التي تخطر على بالك، وكلها في غاية الديمقراطية. استطعنا أن نزرع بينهم نادلًا من رجالنا قام بتسجيل حفلة العربدة تلك فأدركنا من التسجيل ما نحن مقبلون عليه. يعلم الله بأي معجزة تمكنا من الحصول على أمر قضائي، وبمعجزة أكبر، لم

يتسرب خبر حصولنا عليه، ومن ثم شاهدنا عرضًا رائعًا عندما اقتحمنا المكان".

أطال "برايك" فترة صمته وكان "تاراس" يعلم أيضًا ما هو آتٍ. أكمل "برايك" قائلًا: "مرحبًا يا "أوسترتس"، أين كنت حينها؟.. لا عليك.. حسنًا، مبدئيًا، وجدنا خمس عشرة فتاة، جميعهن عاريات، وكلهن بقصة شعر واحدة، وكلهن صبغن شعورهن باللون الأصفر، وكلهن حليقات العانة، وأعمارهن لا تزيد عن عشرين عامًا، ولا واحدة منهن دون السن القانونية، لقد تحققنا من ذلك بالطبع، وكلهن إما "متلبسات" بممارسة الجنس أو يتعاطين الكوكايين، أو كليهما، في كثير من الحالات. حسنًا، لم نجد "بيتان" بينهم، بل ضَبَطناه في كشك خاص مع رجلين. كان يمارس معهما الجنس الفموي ويمص الكوكايين من على جسديهما وقد حلقا شعر العانة وذلك، دعوني أذكركم، حتى لا يختنق الرجل المحترم منه".

لم يكن "تاراس" ينظر إلى "برايك" بل إلى "تينا" التي تجهمت قليلًا عندما بدأ "برايك" الحديث عن "بيتان"، ثم نظرت إلى "تاراس" وقالت: "هل تمزحون معي؟". هز "تاراس" رأسه بالنفي، فنظرت إلى "برايك" الذي قال: "ليتنا كنا نمزح. فما زلت أشعر برغبة في التقيؤ حتى اليوم كلما فكرت في هذا الأمر، أعني، مشهد لدميتين من الذكور و"بيتان" بكِرْشه الكبيرة بينهما".

أشاح بوجهه بعيدًا من القرف ولم يجد "تاراس" مفرًا من الابتسام، فبغض النظر عن مساوئه، فمن المؤكد أن كِرْش

"بيتان" ليست أكبر من كِزش "برايك". سألت "تينا": "ومتى كان هذا؟". قال "برايك": "التوقيت ليس هو المهم. مطلقًا، من الناحية الرسمية فإن ما حدث لم يحدث بالمرة. فبعدما قبضنا عليهم جميعًا في سلة واحدة، وسجلنا كل شيء، وحرّزنا ما يقل قليلًا عن كيلو جرام من الكوكايين، وجدنا الشرطة المالية في أعقابنا في اليوم التالي بمجرد أن وطئت أقدامنا مقر عملنا وفصلت "تيسيلي" لأسباب واهية تعد مجرد هراء، وأسقطت قضيتنا. سألته: "ماذا تقصد بـ"أسقطت"؟". "بسبب خلل في الإجراءات يفترض أن المحكمة سترفض القضية وبالتالي يتم إسقاطها. الأمر القضائي الذي حصلنا عليه ينص على تفتيش منشأة المطعم ولا يشمل تفتيش تلك الأكشاك، التي كانت جزءًا من المنطقة الخاصة، كما أننا وجدنا الكوكايين هناك فقط على ما يبدو، وهذا ليس صحيحًا بالطبع، فقد كان مبعثرًا في كل مكان". نظرت "تينا" إلى "تاراس" مرة أخرى وقالت: "وماذا يريد هذا الرجل منك؟". قال "تاراس": "أوه، هذه النوعية من الأشخاص نجدها في طريقنا دومًا".

في الرابعة إلا ربع اتصل "ميهليتش" الذي قال بصوت عميق يميل إلى الطابع الرسمي: "أنا "ميهليتش". قيل لي إنك ترغب في التحدث معي". قدم "تاراس" نفسه، وكرر ما قاله ثلاثين مرة على الأقل هذا اليوم..

قال " ميهليتش": "أخشى أنني لا أستطيع مساعدتك".

وعندما بدأ يشرح كيف أنه لا يعرف شيئًا عن القضية ولم

ير شيئًا، فكر "تاراس" في أن يسأله عما كان يفعله مدير أكبر شركة للصناعات الدوائية في اجتماع يضم بعض الكيميائيين لمدة ثلاثة أيام كاملة، إلا أنه قرر أن ينحو منحًا آخر.

بادره قائلًا: "رفيقتك". قال الصوت على الطرف الآخر من التليفون: "نعم؟". "عاهرة، أليس كذلك؟".

ساد صمت لخمس أو ست ثوان، ليس فقط على الطرف الآخر من الخط، بل في الغرفة أيضًا حول "تاراس". قال "ميهليتش": "ألم تسمع عن شيء اسمه اللباقة، يا سيد "بيرسا"؟". "للأسف ليس لدي وقت لها". ساد صمت مرة أخرى، أقصر قليلًا. هذه المرة. "أفضل استخدام كلمة "رفيقة"، لا "عاهرة"، لكن استخدم ما يحلو لك كلمات، وتبسيطًا للأمر، نعم، عاهرة". "هل كانت العاهرة الوحيدة التي تعاملت معها خلال تلك الأيام الثلاث؟". ضحك "ميهليتش" وقال: "عزيزي المحقق، صحيح أن شركتنا هي شركة رائدة في إنتاج عقار الفياجرا المتداول، ومع ذلك، فأنا على مشارف السبعين تقريبًا!". "هذا معناه، نعم؟". "نعم، الوحيدة". "حسنًا، إذًا أشكرك على وقتك". "سيد "بيرسا"؟". يعرف "تاراس" ما هو آتٍ. قال "ميهليتش": "أعتقد أنه يمكنني الاعتماد على قدرتك على كتمان الأسرار". "بالطبع. أي شخص يستطيع ذلك".

للمرة الثانية في اليوم نفسه، اتصل "تاراس" برقم تليفون "باربرا"، رفيقة "ميهليتش"، وقالت آلة الرد الآلي إن الرقم غير متاح.

***

في الثامنة وصل كل من الصيدلي "بويان" والمهندس المعماري "أنجي"، صديقي "آنيا" و"مويتسا". انشغلت "ألينكا" بالطهي الذي لم تحبه يومًا وكانت متوترة لأنها أرادت أن تترك انطباعًا جيدًا لدى كلا الصديقين. حاول "تاراس" أن يقدم المساعدة وأن يخفي اللامبالاة. إذا كان هناك شيء لم يعجبه على مدار حياته، فهو الجلبة التي يثيرها الناس بخصوص الطعام. وتذكر أنه كان ضيفًا في برنامج حواري مسائي يناقش ساعات العمل غير المنتظمة، وبينما كان جالسًا في غرفة المكياج، سأله المذيع عما إذا كان يشاهد أي من برامج تليفزيون الواقع أم لا.

فأجاب "تاراس": "لا". قال المذيع: "نعم، إنها فظيعة حقيقةً. حسنًا، على الأقل برامج الطهي؟". "لا، لا سيما تلك".

لم تكن المسألة الطعام فقط إنما المسألة أن استيعابه للأشياء الحديثة محدود. كان "تاراس" رجلًا من عصر مختلف، عصر التناظرية لا الرقمية. ورغم أنه لم يبلغ من الغباء أو العمر ما يجعله لا يفهم ماهية الهواتف الذكية أو شبكات وسائل التواصل الاجتماعي أو التسوق عبر الموقع الإلكتروني لشركة "إيباي"، فإنه لا يعير كل ذلك أي اهتمام.

قالت له "آنيا" يومًا: "أنت الشخص الوحيد على كوكب الأرض الذي لم يلتقط صورة "سيلفي". اكتشفت ابنته "آنيا" ذلك في وقت ما منذ عامين تقريبًا. وحتى اليوم لم يلتقط

"السيلفي" بعد.

كان "بويان" و"أنجي" من المخلوقات الرقمية. يتذكر "تاراس" أنه كان مخلوقًا مرتبكًا وهو في الثانية والعشرين من عمره، لا يعرف إلا ما يريد أن يفعله في الحياة، وما يجب عليه عمله في حال اكتشف أنه لا يريده حقًا وهو شيء لم يفضل أن يفكر فيه. ثم التقى بـ"ألينكا"، ووقعا في الحب بجنون، وأنجبا طفلًا لم يخططا لمجيئه، ولكن الآن، أصبح هذا العصر.. ضربًا من الفوضى. لا بد أن الأمور تسير هكذا عندما يتجاوز المرء سن العشرين بقليل، أليس كذلك؟

ومقارنة بـ"بويان" و"أنجي"، رأى "تاراس" أنهما كانا في الستين لا العشرين من عمريهما بالنظر إلى أنها يخططان لكل شيء، ويفرزان كل شيء، ويفكران بتمعن في كل عمل يقومان به، ويعرفان كيف يتناولان الطعام بعيدان الطعام الصينية، ويحفظان جميع الشوارع في فيينا وباريس عن ظهر قلب. وذات يوم أنزلهما "تاراس" من طائرة هليكوبتر وقفزا في مكان ما على منحدرات جبل "تريجلاف" وطلب منهما أن يجدا طريق العودة إلى المنزل، ولو لم يكن معهما تليفون واتصلا بمركز الانقاذ في الجبل لماتا من الجوع. إنهما يمارسان الرياضة، بل أكثر من رياضة في الواقع، مارسا كل ما يُعد عصريًا في ذلك الوقت، ثم سرعان ما ينبذانه بمجرد ظهور بدعة جديدة. إنهما يخططان لحياتهما تخطيطًا دقيقًا صارمًا. وكان "تاراس" يتساءل أحيانًا هل كانا سيحبان بنتيه لو أن "ألينكا" لم تمتلك عيادة تبيض ذهبًا، هل سيحبانهما

لو أنهما مجرد بنتين لمحقق جنائي فقط، وإن كان كبير محققين؟ هل مواصفات "آنيا" و"مويتسا" أيضًا تتطابق مع مواصفات خطة عمليهما المستقبلية؟

في زيارتهما الأولى، توقفا عند صورة لـ"تاراس" وهو على قمة جبل "دولاجيري"، تلك التي يركع فيها على الثلج ويرتدي قفازاته مرة أخرى، ولم يعد يتذكر لماذا خلعهما أصلًا، وإلى جواره يقف "يانيز"، المتوفى الآن، وكان "داري" من التقط الصورة، المتوفى أيضًا..

قال أحدهما وربما حتى كليهما: "صورة لطيفة". "لطيفة؟". "صورة من مرحلة جموحك، أليس كذلك؟". "مرحله الجموح؟".

لسوء الحظ، لعلهما محقان في أنها مجرد مرحلة جموحه الذي ولى، والتي لم يمروا بها أبدًا.. للأسف. وبعدما شكبت لهم جميعًا كؤوس النبيذ، وكأس كوكاكولا لـ"تاراس"، ثم قرعوا الكؤوس وأخذوا الرّشفة التي يستلزمها النخب، لم يلمسوا بعدها الشراب تقريبًا بقية المساء. كانا يعرفان عن النبيذ أكثر منه، بل إنه لا يعرف شيئًا على الإطلاق، لكن من الواضح أنهما لا يحتسيانه. قالت "ألينكا" عندما حاول مناقشتها في الأمر: "لن ترى أي أحد جديرًا ببنتيك لدرجة ترضيك. لن يروق لك أي أحد حتى لو جاءنا شابان من فرقة "الهيفي ميتال" من دولة "بريكموريه". قال "تاراس": "أولًا، فرقة "موتورهيد Motörhead" لا تنتمي لموسيقى "الهيفي ميتال"، وثانيًا هي "برليكيا Prlekija " ليست "بريكمورية".

ثالثًا، وهو ما لم يقُله لـ"ألينكا"، إنه كان يستمع إلى فرقة "موتورهيد" عندما التقيا قبل أن يهجر رياضة التسلق. كان يستمع إلى أغنيتهم "الآس البستوني Ace of Spades " قبل أن يصعد إلى الجبل كي يجدد نشاطه ويمتلئ بالهمة والطاقة.

لم يشعر بأنه في حاجة إلى الاستماع إلى هذه الأغنية وهو في طريقه إلى العمل، ولا في أثناء كل ما قام به على مدار العشرين عامًا الماضية.

تناولوا الدجاج مع الأرز ووجده "تاراس" لذيذ الطعم للغاية، رغم أن رأيه لا يعتد به بالطبع، فهم أكلوا ما قُدم لهم فحسب. أنهت "ألينكا" كأسها من النبيذ وهي منشرحة الصدر، ثم أحضرت ألبومات صور العائلة، لطالما رتبت داخلها الصور التي التقطها "تاراس" بعناية. في البداية كان يلتقط تلك الصور بكاميرا "كانون" غير رقمية اشتراها من شارع الرئيس في "كاتماندو"، عاصمة نيبال، ثم بكاميرا رقمية. هذه صورة لهم في أثناء عطلة مع معسكر النادي الرياضي المحلي في مكان ما في شبه جزيرة "إستيريا"، وواحدة في أثناء عطلة باليونان قاموا بها بسيارته "السكودا" الزرقاء الداكنة القديمة المستهلكة إلى حد ما، وصورة أخرى في جبل "تريجلاف" حيث اصطحبهم "تاراس" جميعًا معه عندما كانت "مويتسا" تبلغ ست سنوات بالكاد. لقد ناموا طوال الليل في أعلى كوخ جبلي يقع تحت قمة "كريداريكا "، وهو اليوم نفسه الذي تصادف فيه وجود تجمع من قدامى المحاربين في حرب

الاستقلال هناك. وقد تشاجر "تاراس" معهم في المساء؛ لأن نادلة واحدة لم تكن كافية لخدمة الحشد المخمور، ومن ثم أخذوا ينادون على "ألينكا".

قالت "آنيا": "ماذا لدينا هنا؟". ثم سحبت ألبومًا قديمًا من درج الألبومات به صورة لـ"ألينكا" قبل أن تعرف "تاراس". صورة لم يرها "تاراس" قط من قبل. عندما بدآ في المواعدة، قالت ذات مرة شيئًا عن أحد أصدقائها السابقين فأوقفها "تاراس" قائلًا: "لا عليك، لا أريد أن أعرفهم. لو أنكِ ما زلتِ تحتفظين بصورهم أو أي شيء آخر يتعلق بهم، فلتفعلي، لكن دون أن تريني إياهم فحسب". لذلك عندما أخرجت "آنيا" هذا الألبوم، نهض وقام بتشغيل التليفزيون متظاهرًا بأنه يريد أن يشاهد الأخبار، وهو ما لم يكن من عادته.

في العاشرة والنصف خرج الشبان الأربعة كي يتناولوا بعض المشروبات، أو بالأحرى كي يتحرروا.. رغم أنهم ألحوا في دعوتهما للخروج معهم ولكن "تاراس" و"ألينكا" فضلا البقاء بالمنزل. ذهبت "ألينكا" كي تأخذ دُش ماء سريع وقام "تاراس" بتنظيف الطاولة. بعد أن رَصّ جميع الأطباق وأدوات المائدة في غسالة الأطباق، ولم يتبق على الطاولة سوى الألبوم القديم، تركه حيث هو، ثم جلس على الأريكة أمام التليفزيون، ثم نهض مرة أخرى، وجلس إلى الطاولة، ترقب وانتظر حتى سمع صوت مياه الدُش تجري في الحمام ثم فتح الألبوم وأخذ يتصفحه. وجد صورًا لـ"ألينكا" في أثناء الولادة، وهي في المدرسة، وهي تحمل شمعة حمراء طويلة

والقس يمسح جبهتها بالزيت المقدس في أثناء طقس "التثبيت"، وهي مع العائلة، وهي مراهقة، وهي تقف على شاطئ البحر في سن المراهقة، ثم بضع فراغات بلا صور، وبعدها صورة لـ"ألينكا" وهي طالبة، في رحلة ما مع زملائها الطلاب من كلية الطب. كانت تقف في منتصف الصف الثالث وهي تبتسم للكاميرا ابتسامة جميلة رغم أنها قالت بنفسها إنها تبدو دائمًا فظيعة في الصور.. هناك، في آخر الصف الثاني، رأى وجه دكتور "بريلك" المألوف، المحاضر الساحر بلحيته المتأنقة والمتموجة قليلًا. وبشعره الفاتح الأشقر المائل للون البلاتيني. لم يكن ينظر إلى الكاميرا مثل الآخرين، ولكن إلى جهة اليسار. لم يتطلب الأمر خبيرًا في علم الجريمة كي يخمن ما كان "بريلك" يبحث عنه ولماذا.

الفصل السابع عشر



الخميس، 4 يناير

وصل "تاراس" إلى عمله في السابعة، وأول شيء فعله هو الاتصال بـ"باربرا"، رفيقة "ميهليتش" في محاولة ثانية. ومرة أخرى لم تكن متاحة. ثم أمضى بعض الوقت في فرز التقارير الخاصة بالمقابلات الاستطلاعية وعندما انتهى فتح دفتر ملاحظاته ودقق بعناية فيما كتب. راجع جميع ملاحظاته وعندما وصل إلى نهايتها، أغلق دفتره ووضعه على المنضدة ثم عاد وفتحه على الفور ثانية، ووجد أنه قد كتب شيئًا على

عجل بخط رديء، واستخدم يده الأخرى للعثور على ورقة من بين كومة التقارير وحدق في كليهما لبعض الوقت، ثم وضعهما مرة أخرى على المكتب واسترخى على ظهر كرسيه. جلس هكذا لفترة من الوقت، وهز كتفيه مستهجنًا ومشى إلى السَّبُّورَة البيضاء وكتب عليها شيئًا.

في الثامنة، اتصل بالسكرتيرة في شركة "سالوبريس" وتفاجأ عندما ردت عليه. قالت: "أوه، الوقت مبكر جدًا، أيها المحقق".

من الواضح أن المحادثة مع المدير أصابت الهدف منها، على الأقل وعده بكتمان الأسرار. دائمًا ما تعطينا السكرتيرات مؤشرات ذات دلالة. بعدما شكرها على نقل رسالته للمدير، قال: "لا يمكنني الوصول إلى "باربرا" تلك على ما يبدو".

شعر بعدم ارتياح ينتاب الطرف الآخر، مرت بضع ثوان من الصمت، وكأن السكرتيرة عاجزة عن اتخاذ قرار. قالت في النهاية: "ولا نحن أيضًا، الرقم غير متاح، أليس كذلك؟". "نعم". "هل يمكنك أن تعطيني مهلة لساعة واحدة من فضلك؟ سأجرب طريقة أخرى".

وافق. دعهم يعتقدون أنهم حلفاؤنا. ما دام ذلك قد يفيد، فلا حرج. قالت السكرتيرة: "ما هو رقم تليفونك المتاح؟".

أعطاها رقم تليفونه ثم ودعها. تحقق من الوقت واتصل برقم آخر. دق الجرس لبرهة قبل أن يجيب الطرف الآخر. قال: "ليس لأن النوم جفاك يا "تاراس"، فتجده مبررًا لتظن

أن الآخرين يعانون مثلك". "صباح الخير سيد "تشفيلاك". بالنسبة لشخص على وشك التقاعد مثلك، ليس مما يُدهش أنه يغط في نوم عميق وطويل". "ماذا تريد؟". "تلك الجثة المجهولة.. لنسميها "جين دو" على سبيل المثال..". "ألم تحدد هويتها بعد؟". "بلى، وهذا ما جعلني أتصل بك. سبق وأجزمت لي بأنها في الثلاثين من عمرها تقريبًا، أليس كذلك؟". "نعم، بالتقريب". "هل من المحتمل أن تكون أصغر من ذلك، لنَقُل في سن العشرين مثلًا؟". "لا، غير محتمل".

أطلق "تاراس" تنهيدة لعلها وصلت لمسامع "تشفيلاك"، ومع ذلك لم يُظهر نحوه أي تعاطف. سأله "تشفيلاك": "هل هذا كل شيء؟". "قل لي أي شيء يا "تشفيلاك"، أي شيء؛ مهنة، هواية، عادة سيئة.. تشوهات تكشف ذلك، لا أعرف. قل لي هل كانت تقوم بهواية غزل الدانتيل على سبيل المثال؟، أي شيء كان، أي شيء". "لديك نتائج تشريح الجثة بالفعل، لذا فأنت تعلم أن لا شيء بدمها سوى الهيموجلوبين فقط، لا شيء آخر.. لا مخدرات، ولا كحول. لا توجد أيضًا أي علامات ظاهرية تنم عن ممارسة أي نوع من الأنشطة المتعلقة بالعقاقير في ماضيها القريب، هذا فيما يخص أوردتها.. أما جميع أعضائها الداخلية فهي في حالة جيدة أيضًا، ولم تظهر الأشعة السينية للهيكل العظمي أي تشوهات قد توحي بأي شيء آخر. من حيث المبدأ لم تكن تعمل في مَسبَك لصهر المعادن أو داخل منجم، وإذا كانت قد مارست أي رياضة، فقد كانت بهدف الترفيه ليس إلا. لا يوجد شيء في الهيكل

العظمي من شأنه أن يوحي.. بأي شيء، لكن.. ما الذي جعلك تفكر في غزل الدانتيل؟".

لعله لم يقصد أن يعبر عما بداخله بهذه الطريقة، غير أنه لاحظ بعدها أن غضبه تراجع وانحسر.

أصغى "تاراس" ولم يقل أي شيء حتى عندما فرغ "تشفيلاك" من كلامه. لوّح إلى "تينا" التي دخلت الغرفة، وهو لا يدري حقيقة لماذا فعل ذلك، ثم نظر إلى الساعة المعلقة على الحائط. لاحظت "تينا" ذلك وسرعان ما خلعت معطفها وعلقته ومعه حقيبة صغيرة أحضرتها معها،كانت ترتدي تنورة أقصر من تلك التي كانت ترتديها في اجتماعهم الأول. هل يمكن وصف هذه التنورة "بالقصيرة"؟

قال "تشفيلاك": "أنت عالق يا "تاراس". "بالفعل". "عاجلًا أو آجلًا سيظهر شخص يعرفها أو يفتقدها. لم يمر سوى ثلاثة أيام فقط". "بل عشرة". "حسنًا، ربما لن يفتقدها أحد ويبلغ عن غيابها. اعتقدت أنك في عمرك هذا ستكف.. كيف يمكنني أن أقول ذلك؟.. ستكف عن أخذ القضايا على المحمل الشخصي". قال "تاراس": "أنا أعتقد ذلك أيضًا". ربما "ألينكا" كانت محقة. قالت "تينا" بعدما أغلق التليفون: "مرحبًا. هل تأخرت؟". هز رأسه بالنفي وقال: "لا، لا.. على العكس تمامًا". نظرت إليه وقد بدا عليها الدهشة. قال: "سأشرح لك فيما بعد". نهض وارتدى سترته وتابع قائلًا: "الآن ينبغي أن أقوم بشيء أولًا". "اجتماع "درفاريتش" في التاسعة، يا "تاراس"، ما زال على جدول الأعمال؟". قال بعدما وصل للباب بالفعل:

"سوف أتأخر عنه قليلًا..".

سرعان ما نزل في الممر الطويل باتجاه المخرج حيث ضَبَطته سكرتيرة "درفاريتش" وهو في طريقه للخروج من المبنى، وقالت: "إلى أين؟ أليس لديك اجتماع مع "درفاريتش" في التاسعة؟".

***

قبل بضع سنوات، وفي أحد لقاءاتهما الغرامية همست في أذنه أنها ليست الشخص الذي يدمر عائلة..

قالت: "هل فهمت ما أقصده؟".

كانت قد ثملت بعض الشيء بالفعل. كانت تضغط على "تاراس" الذي كان جالسًا على الطاولة يشرب عصيره ليذعن لقرارها. قال بحسرة: "حسنًا، هذه هي النقطة الجوهرية.. ولا أنا أيضًا".

كان "تاراس" يسأل نفسه من آنٍ إلى آخَر ماذا ستكون إجابته لو أنه كان ثملًا مثلها؟

***

قال للسكرتيرة: "قد أتأخر قليلًا". "أوه.. وماذا أقول له؟". "قد أتأخر قليلًا". "كما تريد يا سيد "تاراس". بالمناسبة، هذا لك". ناولته ورقة. إنه فاكس. شكرها ولم ينظر فيه بعدما تناوله. وكي لا يضبطه "درفاريتش" أو "بيتان" في الممر، وثب بسرعة من الباب الرئيس ليدلف إلى مبنى مديرية

شرطة ليوبليانا. قد يكون "درفاريتش" رئيسه، لكنه سيتعمد ألا يكون بمكتبه في التاسعة.

هكذا، وقبل خمس دقائق من موعد الاجتماع، كان "تاراس" جالسًا يشرب القهوة في مقهى "ماكسي" يراقب الزبائن. كان يعرف النادل الذي عمل سابقًا في مقاهٍ أخرى مجاورة. وها هو الآن جالس وسط المتقاعدين الذين أتوا لتناول الشاي والكعك، ووسط النواب الذين أتوا إلى هنا لينالوا قسطًا من الراحة لأن المقهى يقع في مقابل البرلمان. سألت سيدة عجوز بصحبة اثنين آخرين النادل: "هل لديك كعكة "تشيبيلي بيك"". سألها النادل "مارجان" مستعلمًا: "تشيبيلي بيك"؟!، قالت السيدة بإصرار: "نعم، كعكة "تشيبيلي بيك". وبدأت تشرح لأصدقائها ما هي وكيف اعتادوا صنعها في ولاية "ستيريا". سألها "مارجان"، وقد أزعجه الانتظار: "هل أحضر لكِ أي بديل عنها". "أود.. هل أنت متأكد أنها غير متوفرة؟".

قرأ "تاراس" الفاكس الذي كان من "شولتس"، وأخبره بالألمانية أن السيدة "ليز" والسيد "هان" ما زالا على قيد الحياة وسأله عن أحواله..

فاكس؟ حاول أن يتذكر ما قد يكون نسيه عن أي ميثاق يتعلق بإرسال رسائل من هذا النوع عبر البريد الإلكتروني، لكنه لم يستطع. غادر الساعة التاسعة وعشر دقائق وتوجه إلى الاجتماع.

في التاسعة وست عشرة دقيقة، فتح باب مكتب

"درفاريتش" وهو يقول: "أسف، العمل". لم يرحب به "درفاريتش" ولا "بيتان". جلس بجانب "تينا" التي تنفست الصعداء عندما رأته، أو هكذا ظن. سأل "تاراس": "ما الأمر؟". أشار "درفاريتش" بيده إلى "بيتان" كي يبدأ. قال "بيتان": "أنا "بوريس بيتان" و..". قاطعه "تاراس:" "أنا أعرف من أنت. "برايك" يُبلغك سلامه". "برايك"؟". "برايك"، إنه الشرطي الذي اعتقلك يومًا ما بالمنشأة الرئيسة بتلك مزرعة التي تقع على الساحل". قال "بيتان": "أوه، فهمت".

كان يستحق تهنئة من "تاراس" لأن حُمرَة الخجل لم تبد على سَحنَتِه. "حسنًا، على أية حال، أنا هنا بصفتي المحامي الذي يمثل السيد "ريزمان"، لعلك سمعت عنه".

قال "تاراس": "سمعت". ثم استدار نحو "درفاريتش" وقال: "إنه ذلك المخادع الذي فلت من السجن مقابل اعترافه للمحكمة وهو الآن رهن الإقامة الجبرية". التفت إلى "بيتان" مرة أخرى وقال: "أي جرم ارتكبه موكلك هذه المرة؟ مخدرات، كوكايين..؟". "الأمر يتعلق بتجارته المشروعة تمامًا في المكملات الغذائية..". "أوه، أنت محق، تقصد.. المنشطات، لقد نسيت، وتصادف وجود الكوكايين بين هذه المنشطات، أم ماذا؟". تحدث "درفاريتش" أخيرًا قائلًا: "السيد "بيتان" هنا ليشتكي من سوء معاملتك لابن موكله". "وأين نلت شرف لقاء ابنه؟". قال "بيتان" وهو يتفرس في وجه "تاراس": "بالأمس في "أوكانك" بجوار بحيرة "بوهيني". هز "تاراس" كتفيه استهجانًا ثم قال: "ساعدني قليلًا.. لقد تحدثت أمس

إلى عدد غير قليل من الناس في "بوهيني". "في "أوكانك"، عندما ألقيت القبض عليه بسبب سلوكه غير اللائق مع ضابط شرطة، وهو أمر لا ننكره، واحتجزته في سيارتك". سحب ورقة من المجلد الذي وضعه على حِجره وقرأ منها ما يلي: "عبر الغابة على بعد حوالي مائة متر من منزل العطلات الذي يملكه والده، أخرجته من السيارة وغرزت رأسه في الثلج ثلاث مرات لفترة طويلة حتى فقد وعيه تقريبًا، وفي المرة الثالثة سببت له التقيؤ وحدوث تسرب لا إرادي..". سأل "تاراس": "تسببت له في ماذا؟". حرك "بيتان" الورقة وهو يتملل بعصبية. سأله "تاراس": "ما هو نوع التسرب الذي تسببت فيه؟". قال "بيتان" وقد بدت حُمرَة الخجل على سَحنَتِه هذه المرة: "لقد تبول على نفسه". "أوه!". "وهو ما سبب له آلامًا جسدية وأذى نفسي كما هو مثبت، هنا..".

عرض على "تاراس" ورقة أخرى عن قرب فبدت الأحرف ضبابية غائمة أمام عينيه وهو يحاول إخفاء أن على "بيتان" أن يبعد الورقة عن عينيه إذا أراده أن يقرأها.

قال "بيتان": "هذا ينص على أنه تقيأ وأن ذلك سبب له..". تضمن التقرير عبارة طبية لم يفهمها "تاراس" طوال في حياته. قال "بيتان": ".. تمزق المريء، تمزق في الحلق". أعاد "تاراس" الورقة وابتسم، ثم قال: "ما ذكرته قد يكون بسبب الكوكايين الذي لاحظت وجوده عندما زرت المبنى الذي أشرت إليه". بدأ "بيتان" دفاعه قائلًا: "هذا ليس صحيحًا". لكن تاراس" قاطعه قائلًا: "ليس لديك قضية. سأغادر الآن،

فالبعض في هذه المؤسسة لديه عمل عليه القيام به". ثم نهض واستدار نحو الباب. "لدينا شاهد". استدار له "تاراس".

قال "بيتان" وهو يشير إلى "تينا": "زميلتك".

دون أن يقصد "تاراس" نظر إليها ولاحظ هدوءها، بل ومَسْحَة من سخرية ارتسمت على وجهها. بالتأكيد لم تتواطأ معه؟ ما علاقتها بهذا الأمر؟ مرت كل أنواع الاحتمالات السيئة في ذهنه في تلك اللحظة. ما كان "بينكا" ليفعلها. ما كان "برايك" و"أوسترتس" ليفعلاها، ما كان أي شخص يعرفه ليفعلها. لم يكن يعرفها إنما يعرف جيلها، الذي يصغره بعشرين عامًا.. كما أنها امرأة. ماذا يعرف عن النساء؟ لم يعمل أبدًا مع إحداهن. ماذا لو كانت واحدة من هؤلاء الذين يمشون فوق جثث الآخرين من أجل طموحاتهم؟ ماذا عن"درفاريتش"؟ هل هو من دبرها؟ هل حرضها على ذلك؟

قال" درفاريتش": "هيا يا "تينا"، تكلمي". قالت "تينا": "من أين أبدأ؟".

"أخبرينا بما حدث". "حسنًا، ما قاله السيد "بيتان" صحيح بالطبع".

شعر "تاراس" كأنه تلقى صفعة للتو على وجهه، بل شعر بما يشعر به شخص غازل فتاة في أحد الحفلات ثم أدرك، بعدما أفاق من سكره، أنها زميلة ابنته بالمدرسة. مع ظهور فتاة بتنورة قصيرة ذهبت عشرون عامًا من العمل البوليسي.. أدراج الرياح وضاع معها كل مجهوده لتطوير حدسه كي

يفهم الناس، ونواياهم، وسلوكهم، وشخصياتهم.. أوه، يا عزيزي "تارا"..

كررت "تينا" قائلة: ".. ما قاله صحيح بالطبع، ذلك فيما يخص وصف الأحداث التي جرت خارج منزل العطلات. ولكن ما قاله بعد ذلك ينافي، إلى حد بعيد، الحقيقة. صحيح أن زميلي احتجز الشخص المعني لأنه هاجمه في أثناء تأدية مهامه الوظيفية، ولكن بعدما هدأ ذلك الشخص المعني – وكل ذلك كان في الواقع على بعد عدة مئات من الأمتار من المبنى المشار إليه - أطلق زميلي سراحه. لم يكن هناك؛ ماذا أسميته..؟". لم يرد "بيتان" بل راقب "تينا" ساكتًا. تابعت "تينا" قائلة: "حسنًا، لم يكن هناك أي عنف بل افترقنا بهدوء تام، هذا إذا تجاهلت صراخ ولعنات ابن موكلك الذي تحميه".

تجهم وجه "بيتان" من الاستياء فذكّر "تاراس" بسَحنة ضفدع الغُلجوم العملاق. تابعت "تينا" قائلة: "حتى تلك اللحظة لم يكن قد تبول على نفسه. وأظن أنه وصفني أيضًا بالشرطية العاهرة كما سَبّنا بألفاظ نابية". تحول تجهم "بيتان" إلى تكشيرة ثم قال: "هل فكرت مليًا فيما قلتِ؟ قد يكلفك سوء تقدير هذه الأمور غاليًا". فوجئت "تينا" فقالت: "سوء تقدير؟ ما الذي يعنيه ذلك؟". "يعني تقدير الوقت المناسب للإقرار بالحقيقة. أعتقد أننا جميعًا هنا نعرف حقيقة ما حدث بالفعل في "بوهيني".

نهض "تاراس" ومشى إلى الباب. نظر إليه "درفاريتش" دون أن يعطي أي لمحة عما يجول في عقله. عندما فتح الباب،

أستدار متوجسًا وقال: "سأنتظرك بمكتبي بعدما تنتهين منه يا "تينا". كان على وشك إغلاق الباب عندما تحدث "درفاريتش" أخيرًا قائلًا: "أود أن أتحدث إليك يا "تاراس" بعدما أنتهي من السيد "بيتان". "أنت تعرف أين تجدني".

عندما عاد إلى المكتب، وجد "برايك" و"أوسترتس" هناك بالفعل، جالسين أمام أجهزة الكمبيوتر. ربما اتضح لهما من تعبيرات وجهه أنه يريد أن يغرز رأس شخص آخر في الثلج، فرماه كلاهما بنظرة فضوليّة. قال "تاراس": "لا شيء يستحق الذكر. هذا القميء يعرف دائمًا كيف يستفزني، وقد فعلها هذه المرة أيضًا". سأل "أوسترتس": "ماذا أراد منك؟". أشاح "تاراس" بيده باستخفاف وقال: "لا شيء.. لا داعي لإزعاجكما بهذا الأمر".

نقر على لوحة المفاتيح، فُتحت الشاشة، فقام بتصفح عناوين الصحف على شبكة الإنترنت. لقد أدرك، العام الماضي فقط في الواقع، أن شغفه بالأخبار أخذ يتضاءل رُوَيدًا رُوَيدًا. قرأ خبرًا عن فوز بطل التزلج السلوفيني "بيتر بريفك" ببطولة التزلج "فور هيلز Four Hills Tournament" للعام الجديد. إنه خبر عظيم بالنسبة له. إذا ظلت الأمور تسير على هذا المنوال، سيجد نفسه جالسًا في غرفته يحدق في نقطة وهمية على جدار أبيض وقد بلغ الستين من عمره. حاول قراءة المقال بأكمله كي يُضَيِّع الوقت في انتظار عودة "تينا"، قد يشكرها أولًا ثم يعرف منها كيف تعامل معها "درفاريتش" و"بيتان" بعد مغادرته.

قال "أوسترتس" وهو يشير إلى السّبّورَة البيضاء: "ما هذا يا "تاراس"؟ ما الذي كتبته هناك؟ مفرقعات نارية؟ أي مفرقعات نارية؟". نظر "تاراس" إلى السّبّورَة كأنه يراها لأول مرة ثم قال: "لا شي، مجرد ملاحظة، كي لا أنسى".



الفصل الثامن عشر



طفل لم يولد، غير شرعي، مختفٍ، قارب، الأول أم الثاني أم الثالث، اجتماع الصيادلة ثم المفرقعات النارية. لقد كتب على السَّبُورَة أي شيء يبدو خارجًا عن المألوف، أي شيء يتموّج ويحرك السطح الراكد.. للبحيرة. قال "تاراس": "هل يمكنك الاتصال بشعبة الخدمات الاجتماعية يا "برايك".. من المسؤول عن منطقة "بوهيني"؟". "لا أدري". قال "تاراس": "ربما بلدية "يسينيتسه". حسنًا، اتصل بهم وتحدث إلى أي شخص يعمل هناك منذ أوائل الثمانينيات. إذا لم يجدوا فينبغي أن يعطونا رقم تليفون أي شخص كان يعمل هناك قبل تقاعده". حاول "برايك": "لقد مرت ثلاثون عامًا على..".

صمت لأن "تينا" دخلت إلى المكتب في اللحظة نفسها. رحبت بـ"برايك" و"أوسترتس" وجلست على مكتبها، حسنًا، بل مكتب "بينكا". استدار الثلاثة تجاهها. رفعت شاشة الكمبيوتر المحمول، وشغّلته، وثبّتت شعر ذيل حصانها، ثم

قالت وكأنها لاحظت للتو أن الثلاثة يحدقون بها: "أوه، ماذا هناك؟". سأل "تاراس": ماذا أرادوا منك؟

نظرت إلى الشاشة التي أضاءت، وضغطت على بعض مفاتيح لوحة التحكم وهي تقول: "لحظة واحدة". مزيد من النقر ثم قالت: "ها هي..". عندها فقط رفعت رأسها ونظرت إلى "تاراس" وقالت: "آسفة، ماذا كنت تقول؟". "ماذا أرادوا منك؟". "أوه، ماذا أرادوا؟ لا شيء يستحق الذكر. كان عَلَيّ أن أنصت إلى محاضرة حول مجمل العواقب السيئة التي قد تترتب على إخفائي أخطاء رؤسائي". "محاضرة ممن؟". "أغلبها من "بيتان" وأضاف "درفاريتش" للمحاضرة أنه في هذه الحالات من الضروري الإقرار بالحقيقة وأنه كان يأمل أن أفعل ذلك. لم أشعر أنه يريد أن يوقعك في مأزق، بل أظن أنه أراد تجاوز هذا بطريقة لا تثير استياء "بيتان" فحسب". سأل "برايك": "هل فاتنا شيء، نحن الاثنان؟".

شرحت "تينا" ببساطة سبب استدعاء "بيتان" وما وجهه لـ"تاراس" من تهم من المفترض أنه ارتكبها. عندما انتهت نظرت إلى "تاراس" وابتسمت، فسألها: "ما الذي يُضحك؟". "لقد خطر ببالك للحظة أنني سأفشي سرك، هه؟". قال "تاراس": "قد يحدث". سأل "برايك" بحماس: "هل تبول "بيتان" على نفسه؟". ثم هز كتفيه غير مصدق وقال: "ماذا حدث في الدنيا؟! على الأقل أنت اعتدت أن توجه صفعات للأوغاد وكانوا يعرفون لماذا توجهها لهم. على الأقل كانت هذه الصفعات تتصف بهذه الدرجة من الصدق. أما اليوم،

عندما يحدث الشيء نفسه في المدرسة تجدهم يقولون: لا يمكننا أن نفعل ذلك، لا يمكننا أن نفعل ذلك. أتذكر عندما كان ابني "بلاش" في المدرسة وظل يتورط في إثارة المشكلات وبشكل متكرر، ذهبت إلى المعلمة وأخبرتها، بل وطمأنها، أنني لن أحتج إذا صفعته. أتعرف ماذا أخبرتني؟ قالت: "أعتقد أن هذا سيكون.. أوه، لا، نحن لا نفعل أشياء من هذا القبيل هنا لأنها غير تربوية". ثم عادت وقالت في الواقع: "حسنًا، ربما لا يصح أن تفعلها أنت، لكن ماذا عن زوجتك؟".

لم يستمع له سوى "تينا" فقط لأن "تاراس" و"أوسترتس" قد سبق وسمعا هذه القصة التي كان لها في الواقع تَتِمّة ولم يكملها "برايك" لأن شخصًا طرق الباب وفتحه في الوقت نفسه ودخل. كان "درفاريتش" الذي قال: "تاراس"، هل لديك دقيقة؟". "نعم".

مشى "درفاريتش " إلى مكتب "تاراس" وأخذ يبحث عن كرسي شاغر إلا أنه لم يجد أي كرسي. توقف أمام السَّبُّورَة ونظر إلى العبارات المدونة عليها وقال: "أنتم تحرزون تقدمًا". قال "تاراس": "لم يحدث". "وهذا؟". "هذه مجرد حبال بالية نتعلق بها". "هل عرفت لمن الجثة؟". "لا". تنهد "درفاريتش" غير أنه لم يبدِ أي ضيق على الإطلاق، ثم قال: "ستعرفها.. ما جئت لأقوله لك في الواقع هو أن "بيتان" الذي جاءنا هنا اليوم.. لا تدعه يخدعك، فما لديه ضدك لن يبلغه مُراده، حتى لو طرق كل الأبواب الرسمية. إنه يعلم ذلك". ثم أشار إلى "تينا" وقال: "لقد جرب الضغط على زميلتك الشابة..

ولم يفلح في ذلك أيضًا، ونحن لا ينبغي أن نقول ذلك، أليس كذلك؟". "بالطبع، خاصة إذا لم يكن هناك ما يقال". أومأ "درفاريتش"، ثم قال: "حسنًا. ما أردت أن أقوله لك أنه لن يدعك وشأنك. إن الرجل الذي يعمل لحسابه، وإلى جانب تجارته في المكملات الغذائية، فهو أيضًا شريك في إحدى محطات التليفزيون، وشريك كذلك في حوالي ثلاث محطات إذاعية بالإضافة إلى عدد قليل من الصحف والمجلات. عليك أن تتوقع العداوة والانتقام".

هل كان مخطئًا بشأن "درفاريتش"؟ ماذا لو كان محققًا غير كُفء وألقى بنفسه في منصب المدير الذي يحتاج من يشغله بين فترةٍ وأخرى أن يهضم بعض الحُثَالَة وأن يفوض الأشياء إلى من هم أدنى منه في السلم الوظيفي. لذا، ماذا لو أنه ينسى مع مرور الوقت، كيف كان مدركًا تمامًا أن تحقيق العدالة لموتاه من القتلى يستغرق وقتًا أطول من تحقيقها لمن يتحمل "تاراس" مسئوليتهم. هل كان يطمع في منصب "درفاريتش"؟ هل يطمع فيه مقابل مائة يورو إضافية شهريًا؟ هل يريد أن يقضي كل أيامه في المكتب، وفي عقد الاجتماعات، وفي تملق كُلّ من هَبّ ودَبّ؟ هل كان "درفاريتش" يضايقه أكثر مما يمكن لأي رئيس آخر؟

قال "تاراس": "فليفعل ما يشاء. ليس لَدَيّ أسرار مخفية". "في الواقع، ينبغي أن نستعد جميعًا للضرب تحت الحزام. يجب أن نضع ذلك في الاعتبار".

استدار نحو الباب، وتوقف أمام "تينا" وسألها عن وظيفتها

الجديدة وتبادلا المجاملات ثم غادر.

بعدما اختفى "درفاريتش" وقع "برايك" في حيرة من أمره فقال: "أسرار؟ أي أسرار تقصد؟". لم يرد "تاراس" على سؤاله بل نظر إلى العبارات المدونة على السّبُورَة فبدت له كأن أحدهم وضع ثلاث قطع من أحجِيّة مجهولة الصورة وهو يحاول معرفة الصورة المخفية وراءهم.

لا جدوى من المحاولة، فهم ثلاث قطع من أحجِيّة لا أحد يعرف عدد قطعها، ولا أحد يعرف ما إذا كانت هذه القطع الثلاث جزءًا من الصورة المعنية أم لا.

قال "أوسترتس" من وراء شاشة الكمبيوتر: "أخيرًا وجدتها، يا "تاراس" !"دبرياج" "فيتيس" بخمسمائة وتسعين يورو. سنرى كيف يعملان".

في الثانية عشرة ذهبوا لتناول طعام الغداء في مطعم صغير داخل سوبر ماركت "ماكسي"، وحتى هذه الوجبة عَدّها "تاراس" في وقت من الأوقات مكلفة للغاية، وقت أن كان غداؤه يتكون من شطائر محلية الصنع ولبن مع الموز وبدائل مماثلة في التكلفة، بل إنه كان يشعر بتأنيب الضمير إذا ذهب هناك كي يشتري طبق حساء، وحتى الآن، عندما أصبح في مقدوره تحمل تكلفة تناول الطعام في المطاعم الراقية، حيث يمكنه الاستمتاع بصحبة أناس من أمثال "بيتان"، فضل الذهاب إلى مطاعم الطلاب والعمال. اختار الدجاج مع الأرز، وكذلك "تينا"، بينما طلب "برايك" و"أوسترتس" الـ"جولياش"

يَخنة اللحم والخضار مع عصيدة دقيق الذرة.

جلسوا إلى الطاولة وشرع "برايك" في حديث مستفيض عن أفضل أنواع اليَخنة المدرجة في بنوك الطعام ولأن.. "تاراس" لم يكن يستمع إليه فقد جلس أمام "تينا". سألته "تينا": "لماذا كتبت مفرقعات نارية على السَّبْورَة، يا "تاراس"؟".

كان "تاراس" قد أخذ لتوه قضمة من دجاجته محاولًا ألا يبتلعها بسرعة. لم يجد وقتًا كافيًا لأي شيء منذ ولادة بنتيه، بل إنه عانى من متاعب بسبب تناول الطعام بسرعة كبيرة منها تسلل الطعام إلى قصبته الهوائية، والآن، ليس هناك ما يدعو لأن يزدرد طعامه، ومع ذلك ظلت المشكلة قائمة. تمكن من السيطرة عليها هذه المرة. قال "تاراس": "هل تتذكرين ما قالته السيدة العجوز مع القط والكلب". "عن المفرقعات النارية؟". "نعم". "قالت إنها بدأت تفرقع عندما وصل هؤلاء الأربعة". "لا، ليس هذا ما قالته". نظرت " تينا" إليه نظرة حائرة. فقال: "بل قالت إنها فَرْقَعت في البداية عند وصولهم، وإنها لم تكن متأكدة حينها من أنها مفرقعات نارية أم شيء آخر حتى بدأوا في إطلاقها قبل حلول العام الجديد. عندما تحدثت إلى الاثنين الآخرين في أثناء ذهابك لتفقد القارب، أخبراني أنهم اشتروا الألعاب النارية قبل يوم أو يومين فقط من ليلة رأس السنة الجديدة لأن أحدهم نسيها في ليوبليانا واضطروا إلى القيادة إلى بلدية "رادوفليتسا" لشرائها".

وضعت "تينا" السكين والشوكة على الطبق الفارغ ودفعته

بعيدًا قليلًا.. كان طبق "تاراس" فارغًا بالفعل ثم قالت: "وما مدلول ذلك؟". "مدلوله أن منْ أطلق الألعاب النارية التي فَرْقَعَت في الثالث والعشرين شخص آخر. شخص من المؤكد أن المقابلة الاستطلاعية التي قام بها مُخبِرنا قد فاتته. هذا إذا كانت بالفعل مفرقعات نارية". "وجدنا بطارية "فارتا" إذًا، أليس كذلك؟".

نظرت إليه بفضول. ما زال "برايك" و"أوسترتس" منهمكين تمامًا في تناول اليَخنة. في فترة الاستراحة التي بين الشوطين، أي بين هجومين على الطبق، لم يجد "أوسترتس" غضاضة في التقاط قطع اللحم من الفجوات الموجودة في أسنانه. كان "برايك" يقطع الخبز قطعًا ويمسح الصلصة به. إذا كان لديهم شيء من الفضول المهني، فقد فقدوه منذ فترة طويلة وهو ما لا يُعد بالضرورة أمرًا سيئًا. قد يطول أمد القضية، وإذا ألقيت بنفسك فيها واستغرقتك مثلما فعلت "تينا" على ما يبدو، فلن تصمد حتى الكيلومتر الثاني والأربعين، أي لن تصل لخط نهاية المارثون أبدًا. نظر إلى "برايك" فرأى قطرة من اليَخنة تجري من شفته السفلية إلى أسفل ذقنه.. حسنًا، لم تكن المقارنة بسباق الماراثون هي الأنسب في حالته. أجابها "تاراس": "آمل أن نكون وجدنا شيئًا ما. أي شيء أفضل من لا شيء".

عندما عادوا إلى المكتب، وجدوا تليفون "تاراس" يرن. لقد نسيه على مكتبه وتوقف الرنين قبل أن يتمكن من الرد عليه. إنه رقم من مدينة "تسيليه". أعاد الاتصال بالرقم مرة أخرى

فأجابت سكرتيرة "ميهليتش" قائلة: "السيد "بيرسا"؟". "كيف يمكنني مساعدك؟". "من فضلك دون رقم التليفون الذي سأمليه عليك. أخبرتها أنك ستتصل بها".

قام بتدوين الرقم على قُصاصة من الورق وشكرها وأوشك أن ينهي المكالمة عندما أوقفته السكرتيرة قائلة: "السيد "ميهليتش" يود التحدث إليك أيضًا. لحظة واحدة". انتظر بضع ثوان حتى يلتقط "ميهليتش" سماعة التليفون. ودون أن يحيي "تاراس"، الشخص الذي يفتقر إلى اللباقة، أصاب الرجل لُب الموضوع مباشرة وقال: "أيها المحقق، لا يمكنني منعك من النظر في أشياء لا علاقة لها بالمرة بقضيتك، ولا أريد حتى أن أصعب الأمر عليك، وهذا هو السبب أيضًا في أننا أعطيناكم رقم.. كيف يمكنني وصفها؟ فلتقل رقم صديقتي. ولكن نظرًا لأن اللعبة تنطوي على أمور خطيرة -وبالتأكيد أنت محق في ذلك – فهذه الأمور الخطيرة كانت أيضًا سبب بقائي في "بوهيني" لمدة ثلاثة أيام كاملة. يمكنني، إذا كنت ترغب في ذلك، أن أشرحها لك". "أرجوك أن تفعل". "لا يمكنني شرحها عبر التليفون. هل يمكنك زيارتنا في "سالوبريس" ببلدة "سلوفنيسكه كونجيتسه" أم أن هذا صعب؟ لنَقُل بعد غد في الساعة الحادية عشرة؟". "أمهلني دقيقة فقط، دعني أتحقق".

أبعد التليفون عن أذنه وقلب بعض الأوراق على مكتبه عشوائيًا، وانتظر قليلًا، ثم أجابه قائلًا: "نعم، الموعد مناسب".

ودّعه وأغلق التليفون، وعندما رفع عينيه، ضَبَط "تينا"

وهي تحاول أن تداري ابتسامة. سألها: "ماذا؟". "لا شيء، لا شيء..". "ماذا؟". "هل قمت بتقليب الأوراق عشوائيًا لتتظاهر بأنك تبحث عن هذا الشيء الذي تسجل فيه يومياتك.. ماذا يسمونه؟". "ماذا؟ مخطط جدول أعمالي، أهذا ما تقصدينه؟". "نعم، على الأرجح. هل هناك أي شخص ما زال يستخدم مخطط جدول الأعمال هذه الأيام؟".

تناولت تليفونها المحمول ومررت إصبعها على الشاشة عدة مرات وتظاهرت بأنها تكلم شخصًا مثلما فعل "تاراس" دون أن يكون هناك صوت، فلا أحد على الخط بالطبع ثم قالت: "لن تصدق ذلك، كنت أتحدث إلى شخص يكبرني في العمر". أخرج لها لسانه وقرأ الدهشة في عيني "أوسترتس" الذي رآه وهو يفعل ذلك والذي أنهى لتوه مكالمة تليفونية، ثم قال: "شعبة الخدمات الاجتماعية في بلدية "سلوفينسكه كونيتسه". لقد رتبت معهم زيارة". أومأ "تاراس". استدار نحو "تينا" وقال: "هناك شيء يمكنك القيام به". سلمها رقم التليفون الذي سجله للتو وقال: "هذه رفيقة "ميهليتش". قابليها وحاولي أن تجدي أي شيء يفيد. بادئ ذي بدء، هل ما زالت على قيد الحياة أم لا؟".

أمسكت بالورقة بين إبهامها وسبابتها بلهفة وبشيء من الدلال. لأول مرة منذ أن التقى بها، بدت ملامح وجهها متناسقة، بل أضفت عليه عيناها الواسعتان فوق المعتاد مَسحة من جاذبية فريدة.

الفصل التاسع عشر



في التاسعة والنصف مساءً، استلقى "تاراس" على أرضية صالة الألعاب الرياضية بالمدرسة الابتدائية في وسط ليوبليانا غارقًا في عرقه حتى إنه تحامل على نفسه كي يفتح عينيه. شعر بالسعادة لانتهاء جلسة التدريب، بل وهنّأ نفسه على اجتيازها، وعلى اجتياز تمارين المقاومة بجميع مراحلها، بما في ذلك المرحلة التي يعدّها شاقة للغاية، حيث يقفز من على قوائم اللياقة المثبتة على الجدار إلى مرتبة كبيرة مع شَقْلَبَة ثم قفزة بالساقين من فوق أربعة حواجز. في كل مرة يذهب فيها لأداء هذه التدريبات يقول لنفسه إنه لن يؤدي تمارين هذه المرحلة وسيتخطاها إلى ما يليها،

لكنه لم يفعل ذلك أبدًا. في حالة حدوث تمزق في أربطة ركبتيه، وهو ما يحدث لرجال أصغر منه بكثير وهم يؤدون هذا التمرين، يعتقد "تاراس" أنه سيتوقف عن أدائه. ففي سن الشباب، يمكن إصلاح التمزق بعملية جراحية، وربما لا. رفع نفسه عن الأرض ونهض ثم وضع مرتبته فوق كومة المراتب مع الآخرين.

سأله "ياسنيتش" قائلًا: "هل نخرج لنشرب شيئًا، يا "تاراس"؟".

يعمل "ياسنيتش"، مديرًا في شركة أمن خاصة، ومن المعروف أنه كان ملاكمًا قديرًا لَعِب عن فئة الوزن المتوسط؛ والآن يتردد، مثل "تاراس"، على صالة الألعاب الرياضية ثلاث مرات أسبوعيًا، إلا أنه لا يُجهد نفسه أبدًا في أداء تدريبات شاقة مثلما يفعل "تاراس". كان يقوم بالإحماء ويعلق كيس الملاكمة الخاص به ويضربه على فترات متقطعة تصل لدقيقتين، لعشر مرات مع استراحة بين الفواصل تصل لدقيقة واحدة، ثم يقوم بعشرين تمرين ضغط وتمدد. وبينما كان "تاراس" غارقًا في عرقه مع نهاية التدريب، كان "ياسنيتش" بالكاد يتصبب عرقًا لحد لم يتجاوز تحول لون رقبة قميصه إلى لون أغمق قليلًا. ورغم ذلك لم يدع "تاراس" الأوهام تتملكه، فليس لديه أي فرصة للفوز عليه إذا تلاقيا في حلبة الملاكمة.

أجابه "تاراس" قائلًا: "لا أستطيع".

يبدو أن اللكمات التي تلقاها "ياسنيتش" عبر مسيرته المهنية قد أثرت أيضًا على ذاكرته، فكلما خرجا معًا ليشربا، يتفاجأ دائمًا بأن "تاراس" لا يشرب الكحوليات ويضطر أن يشرح له في كل مرة سبب تمسكه بتناول "الكوكاكولا"، وفي كل مرة ينتهي هذا الحوار بأن يسأله "ياسنيتش": "ألا يمكنك إيجاد حل لحالتك هذه بأي شكل من الأشكال؟". وفي كل مرة يهز "تاراس" رأسه بالنفي بصدر رحب. قال "ياسنيتش": "ولا حتى البيرة فقط؟". "لَدَيّ عمل". ذهب إلى محل معجنات "بوريك" في شارع "ميكلوشيتش". سأله النادل قائلًا: "أتريد "كوكاكولا" أيها المحقق؟". "نعم".

أعطاه الألباني زجاجة "كوكاكولا" بلاستيكية سعة نصف لتر، وبينما كان "تاراس" يعد يورو ونصف لدفع الحساب، ابتسم "النادل" ابتسامة عريضة وقال: "سأقدم لك "البوريك" مع "الكوكاكولا". "إذا فعلت، سأدفع ثمنها". ابتسم النادل وهز رأسه بالنفي ثم قال: "لا، لن تفعل. نحن هنا قوم طيبون يساعد بعضنا بعضًا". "أتظن أنني من ضباط التفتيش الصحي؟". "أعرف أنك لست منهم. ليس هذا بيت القصيد".

كان قد انتهى تقريبًا من تناول "البوريك" عند وصوله إلى السيارة. لا، لم يكن لديه شيء يفعله، لا شيء سوى أنه وعد "ألينكا" بأن يشاهدا معًا فيلمًا أحضرته من المكتبة.

عندما عادت "آنيا" إلى المنزل من فيينا بعد غياب شهرين وأخذت تتصرف كأن كل شيء لا بد أنه تغير في غضون هذين الشهرين، سألته قائلة: "هل ما زلت تستعير الأفلام،

أنت وأمي؟". قال "تاراس"، الذي لم يتعلم بعد طريقة تنزيل الأفلام من على شبكة الإنترنت: "تذكري أنني ما زلت ضابط شرطة ولا يزال هذا مخالفًا للقانون". وحقيقة الأمر أنه لم يحاول أن يفعل ذلك قط. علقت "آنيا" قائلة: "طريقة التنزيل في غاية السهولة".

صدقها "تاراس"، لكنه لم يكن ليتعب نفسه ويتعلمها. لم يكن الوقت مناسبًا هذه المرة على أية حال لأن الفيلم الذي أحضرته "ألينكا" من المكتبة كان تركيًا، وهو تحفة فنية على ما يبدو لأنه فاز ببعض الجوائز في مهرجان "كان". لم يستسغ ترجمة الحوار من اللغة التركية إلى الترجمة الإنجليزية، وما يستتبعه من سَقَطات حتمًا في عملية الترجمة، فما بالك لو تُرجم إلى اللغة السلوفينية، بل لعله تُرجم إليها من الإنجليزية، كلغة وسيطة، لا التركية. قال تاراس" وهو يخرج القرص المدمج من غلافه: "مدته ثلاث ساعات". "ثلاث ساعات؟!".

قررا أن يشاهدا نصف الفيلم الليلة ويؤجلا بقيته إلى الغد. توقع "تاراس" أن تستغرق "ألينكا" سريعًا في النوم بعد عشرين دقيقة من بداية الفيلم وسيحول القناة إلى مباراة بين فريقي "ساوثهامبتون" و"بولتون واندررز" أو أي مباراة أخرى من أي نوع تفتقر للإثارة. كان متعبًا لدرجة أنه لم يكن واثقًا من أن لديه طاقة كافية كي يتابع خيوط المؤامرة التي تُحاك في القرية الأناضولية أو أن يتحامل على نفسه ويشاهد قصة "أيدين" هذا الذي عمل في السابق

ممثلًا ويدير الآن فندقًا صغيرًا في قرية نائية في مكان ما وسط الأناضول، ويكتب في أوقات فراغه عمودًا في إحدى الصحف المحلية، ويخطط لتأليف كتاب عن المسرح التركي كما ذُكر على غلاف القرص المدمج.

قالت "ألينكا" وهي مستغرقة في التفكير: "تاراس"، هل يمكنني أن أسألك سؤالًا؟". "وهل سَيُفيد لو قلت لا؟!". لأن نبرتها لم تكن ساخرة، تابع قائلًا: "هَيّا، تفضلي". "ماذا بك؟ هل لديك مشكلة؟".

جلست في الركن المحبب إليها من الأريكة البرتقالية التي اشتراها.. أوه، كم كان ذلك منذ زمن بعيد! لم يتذكر "تاراس" متى، بل لعلها من أول الأشياء التي اشترياها معًا، أريكة ذات جودة عالية، صمدت على مدار تلك السنوات، وفي الوقت نفسه لم تكن مريحة بالمرة. وكلما جلس عليها "تاراس"، ولو مرة واحدة في اليوم يظل يَتَمَلْمَل في جلسته ثم يقول شاكيًا إنه سيتخلص منها، فالجلوس عليها في وضع مريح يستلزم الاستعانة بعدد غير قليل من المهارات التوافقية حتى يصل في النهاية إلى جلسة مريحة إلى حد ما. سألها "تاراس" قائلًا: "ماذا تقصدين؟". "أراك هادئًا أكثر من المعتاد.. مستغرقًا في التفكير أكثر من المعتاد.. أرى بعض الأشياء.. بعض الأشخاص يثيرون أعصابك أكثر من المعتاد..". "مَنْ تقصدين؟". "الأطباء من زملائي، على سبيل المثال". "كثيرًا ما أثاروا أعصابي دائمًا". "بل أكثر من المعتاد". "منذ متى تجاوز ذلك المعتاد؟"، "على مدار الستة أشهر الماضية أو نحو ذلك". "لطالما أثاروا

أعصابك أنتِ أيضًا".

أوقف قرص الفيديو الرقمي مؤقتًا وجلس على آلة التعذيب البرتقالية اللون. اكتشف بطريقة ما أن أكثر الأوضاع راحة إذا كان يشاهد التليفزيون أو يقرأ، هو وضع ساقيه على كرسي مطبخ قصير والضغط على حوضه وهو يستند إلى حافة الأريكة، ويستلقي بطريقة سائقي سيارات "الفورمولا1".

قالت "تينا": "ليس إلى هذا الحد الكبير". "فماذا بي إذًا؟ ليس لَدَيّ أي مشكلة". رفع "الريموت كنترول" وهو يقول: "هل أبدأ؟". "هل في حياتك امرأة أخرى؟". "نعم، امرأة بدون رأس". لم تبتسم، وهو أيضًا لم يجد ما قاله يدعو للضحك. قالت: "أنا جادة، يا "تاراس". من أين جاءتكِ هذه الفكرة؟ هل قلت شيئًا.. وأنا نائم مثلًا، أم ماذا؟ "لا، أنا أريد أن أعرف فحسب، أظن أن هناك امرأة أخرى". "من هي؟ ليس في حياتي امرأة أخرى".

حدقت فيه لبرهة بالطريقة نفسها التي يحدق بها في صور الناس المنعكسة في مرآة عندما يكون جالسًا إلى طاولته بغرفة على جدارها مرآة. قالت "ألينكا": "هذا ليس صحيحًا، ليس صحيحًا أنك لا تعرف امرأة أخرى. ماذا عن تلك الفتاة الجديدة التي تعمل معك؟". "لم أعرفها إلا منذ ثلاثة أيام فقط، وأنتِ تقولين إنني أبدو غريبًا على مدار الستة أشهر الماضية". أشاحت "ألينكا" بيدها باستخفاف، ولسان حالها يقول: ما الجدوى من المُجادَلَة؟ قالت: "لم أقل إن بينكما شيئًا، بل قلت إنه ليس صحيحًا أنك لا تعرف امرأة أخرى".

ضغط "تاراس" على زر التشغيل بـ"الريموت كنترول" وهو يقول: "ثم؟".

ظهرت مقاطع من أفلام أخرى واستخدم زر التقدم السريع بـ"الريموت كنترول" حتى وصل إلى التحذير من أن أي نسخ للفيلم يُعد جريمة يعاقب عليها القانون، بل ويعد ذلك بمنزلة نوع من السرقة، ثم ظهرت لقطة لشاب يحاول اقتحام سيارة. عندما ظهرت هذه اللقطة ذات مرة قال "تاراس" لـ"ألينكا" حرفِيًا: "كان ينبغي عليهم إرسال اللص إلى مصنع سيارات لا إلى سيارة. الأشخاص الذين يقومون بتنزيل الأفلام من على شبكة الإنترنت يسرقون من المصدر وليس من الأفراد". قالت "ألينكا": "لا بأس. لا شيء بك، كل شيء على ما يرام".

ماذا به؟ عدة أمور، منها أنه لا يعرف كيف يخبرها بأنه يشعر بنوع من.. الفراغ. لماذا تخلى عن رياضة التسلق؟ لماذا كدّ وكافح على مدار كل هذه السنوات ليشق طريقه إذا كان الفضل في كل شيء سيعود في النهاية إلى رجلها العجوز، أبيها؟ لسنوات طويلة، كان يستيقظ، يعمل، يعتني بالطفلتين، طفلة واحدة في البداية، ثم طفلتين، يدفع الفواتير، يسدد الرهن العقاري، يبحث عن رياضة بديلة للتسلق، ليست في خطورة التسلق ولا تحتاج لا للكثير من الوقت ولا المال مثل الجري، ركوب الدراجات، الملاكمة الترفيهية، ثم يَشُد من عزمه، ويَشُد، ويَشُد، ثم إذا به يجد كل شيء يبدو تحصيلًا حاصلًا.. ويجد نفسه يردد داخله أن لا خيار آخر متاح له على

ما يبدو وأن خياره ليس بذاك السوء الذي يتصوره. رغم كل شيء، هناك ملايين من الناس، بل مليارات، في موقفه نفسه.

حدث ذات مرة أن صادف ورأى والد زوجته في السوبر ماركت للمرة الأولى على مدار كل هذه السنوات. كان "تاراس" يحمل في يده سلة، فلم يكن بحاجة لعربة تسوق في ذاك الوقت، ولم يكلف الرجل العجوز نفسه عناء تحيته بل ألقى بنظرة على محتويات السلة. قال "تاراس": "متسلطة أنتِ، أليس كذلك؟". أنا لا أفهمك يا "تاراس"..

لم تنظر إلى الشاشة حيث عبر رجل عجوز حقلًا ثم انتقلت الكاميرا لتستعرض أعمدة الحجر الرملي في الأناضول، أو إقليم "كبادوكيا"، أو أيًا ما كان. أكملت قائلة: "بعد كل هذه السنوات، أصبح لدينا أخيرًا ما يكفي من المال لنحصل على كل ما عجزنا عن تحمل تكلفته في السابق، ورغم ذلك أنت مُحبَط، بل أحيانًا أشعر أنك من تسعى إلى الإحباط وليس العكس".

على الشاشة، وصل الرجل العجوز في المشهد إلى منزل صغير، فندق، ووقف وراء طاولة الاستقبال، من الواضح أنه المالك. قال "تاراس": "ليس بفضلي". "ماذا؟". "حقيقة أنه أصبح في مقدورنا تحمل تكلفة أشياء عجزنا عن تحملها في السابق، لا فضل لي فيها".

نظرت إليه كأنه يقول شيئًا لا يمكنها تصوره ثم قالت: "وهل ذلك يُهم؟". "إن لم يكن يُهم، فماذا يُهم إذًا؟". "ما أهمية

ما ستفعله ببطاقة يانصيب فزت بها بالفعل؟ بجانب ذلك، إذا كنت تعده مهمًا، فقد فزت، والدي اعترف بـ..". "فزت؟ بماذا اعترف؟ إن اعترافه ليس لأجلي إنما لأنه كان يخشى الموت فحسب. إنه حتى لم يسألني عن رأيي، بل تصرف بطريقته الخاصة. علاوة على أن الأمر ليس كذلك، فأنا لم أدخل معه في منافسة". لعله دخل معه في منافسة، رغم ما قاله. تابع "تاراس" قائلًا: "الأمور تسير بشكل رائع الآن، لكن ليس بفضلي، ولا بفضل عملي. ليس لأنني كافحت وشقيت على مدار عشرين عامًا، ولم أسافر إلى أي مكان على مدار عشرين عامًا، أعني إلى الجبال.. لماذا؟ يا ربي! حتى يتمكن هو من.. هكذا، في طرفة عين". "كان بوسعك أن ترفض مساعدته". هز رأسه بالنفي وقال: "لو كان بوسعي الرفض..". ثم أشار إلى الطاولة وقال: "لظلت الفواتير تتراكم هنا على الطاولة. قد أكون مُحبَطًا، إلا أنني لست ساخطًا. إنه مدين لي بالطريقة التي اختار أن يحتضر بها، وأنتِ مدينة له، ولأننا لم نملك حسابات منفصلة أبدًا، فأنا مدين له أيضًا. لذا..". نظر إليها نظرة أكثر اتهامية مما كان ينوي بقليل وقال: "على أية حال أنتِ من أخذ وليس أنا". لفت حدقتي عينيها في حركة دائرية وقالت: "هل بلغنا هذا الحد؟ إذا أردت أن تحسب كل سنت صرفته على مدار حياتك قبل أن يتولى أبي الدفع، فا..". قاطعها: "دعينا نتوقف عند هذا الحد. فلن يقودنا ذلك لأي نتيجة، لست ساخطًا على أي شيء، وحتى لو سألتني عن رأيي حينها لقلت: نعم". "أين المشكلة إذًا؟". "ليس هناك مشكلة".

بل المشكلة في أنه حتى الآن، وبعد عشرين عامًا، وأكثر من أي وقت مضى في الحقيقة، يجد نفسه يتذكر أشياء من نوع وجبة العشاء التي تناولوها في منزل من منازل قرية "توكوتش"، التي كانت آخر منازل يمرون بها في طريق رحلتهم إلى معسكر القاعدة بجبل "دولاجيري" في جبال الهمالايا. قامت صاحبة المنزل، وهي سيدة نيبالية تنتمي إلى قبائل "جورونج" العرقية، بشواء دجاجتين بناءً على طلبهم. ظل الجميع في انتظار الطعام طوال المساء حتى جاءت السيدة أخيرًا بصينيتين فوقهما أوصال الدجاجتين بما في ذلك الرؤوس والمخالب، وكلها يَابِسة ومحترقة وغير صالحة للأكل.

وبحثًا عن زريعة قالت السيدة: "كانتا دجاجتين عجوزين".

ورغم ذلك فقد التهموا كل شيء. فهل يتذكر الآن ما تناوله حتى بالأمس؟ قال لها بعد تردد: "لا أدري، ينتابني شعور بأنني لم أخصص وقتًا كافيًا للجبال، هذا كل شيء". "هَيّا اذهب للتسلق إذًا. اتصل بأحد زملائك من تلك الأيام الخوالي وسافرا معًا للتسلق، فقد تجد نفسك أكثر لياقة مما كنت عليه حينها". ضحك "تاراس" ثم قال: "شكرًا، لكنني لست كذلك".

علاوة على اللياقة، فإنه بعدما أدرج في ذهنه مؤخرًا قائمة بأسماء زملائه من المتسلقين الدائمين، والمتسلقين العابرين والمتسلقين لمرة واحدة لم تتكرر، وجد أنه من إجمالي عشرين اسمًا مات ثلاثة عشر، مات واحد منهم فقط

بالسرطان، والبقية ماتوا وهم يتسلقون الجبال.

قال "تاراس": "من بقي منهم حتى أتصل به؟".

ومع ذلك.. عندما يفكر في زملائه العشرين، بل والاثني عشر أيضًا، ممن وصلت إليه أخبارهم حتمًا على مر السنين رغم أنه حاول ألا يتلقّط أخبارهم، وجد نفسه يحسدهم. إنه شعور سخيف، لكن، نعم، شعر بالحسد. قالت "ألينكا": "أنت لا تكف عن الحديث عن ذلك يا "تاراس"، ألا تدرك ذلك؟ وما تقوله ليس مديحًا لي ولا لأي منا. هل تحسد الموتى؟". "أنا أحسدهم لأنهم عاشوا كما أرادوا أن يعيشوا. لا أريد أن أكون من الأموات، بالطبع، لكنني أحسدهم. لقد عاشوا حياتهم كما ينبغي وعلى أكمل وجه، أما أنا..".

إنه ركض في ماراثون ليوبليانا مع ملايين غيره، ويحمد الله لأنه رزقه بـ"آنيا" و"مويتسا"، إلا أنهما قد رحلتا عن البيت وتعيشان حياتهما الخاصة. قالت "ألينكا": "عندما أسمعك تقول ذلك، أشكر القدر لأن لدينا بنات فقط، لو رزقنا بابن، الله وحده يعلم ماذا كنت ستفعل به؟". "ماذا كنت سأفعل به؟ ماذا تقصدين؟ سأجره معي إلى رياضة التسلق؟". لم ترد "ألينكا"، فتابع قائلًا: "علاوة على أنني لا أعرف إذا كانت المشكلة تتعلق بالتسلق أم بغيره، فكلما فكرت في أنني كنت مجبرًا على الاستيقاظ في الرابعة صباحًا، وعلى قيادة السيارة لمدة ساعتين لأصل لمكان وأغوص بها في الوحل فتتعطل بي ليومين، وأتوقف في منتصف الطريق فوق حجارة أكلت الثّغرِيَة وجهها.. لعلي أشعر بالحنين إلى الأيام

التي تضايقت فيها وأنا أفعل ذلك.. هل تفهمينني؟". قالت "ألينكا": "إنك تمر بأزمة منتصف العمر". بدا الارتياح في نبرة صوتها. قال "تارس": "نعم، قد أكون. فماذا الآن؟".

صمتا وتذكر "تاراس" أنه كان من المفترض أن يشاهدا الفيلم معًا. على الشاشة، انخرط مالك الفندق في مُناكفة مع امرأة تصغره سنًا بكثير. أهي ابنته أم زوجته، يا ترى؟

"هل أعيد شريط الفيلم من البداية؟". هكذا سألها لأن أحداث حبكة القصة قد تطورت بالفعل، ولم تنظر "ألينكا" إلى الشاشة ولو حتى مرة واحدة ولم يتابع هو أيضًا تسلسل الأحداث.

قالت "ألينكا": "ألم تفكر في أن شيئًا مشابهًا غير التسلق ربما نغص عليك حياتك في كل الأحوال، حتى لو لم تتخلَّ عن رياضة التسلق؟". "أو أفكر في أنني ربما كنت لأكون من بين هؤلاء الاثني عشر وربما أبوك العجوز قد أنقذ حياتي.. لقد رتب كل شيء حتى بلغ هدفه". حدقت "ألينكا" في الشاشة السوداء ثم قالت: "كيف تبدو هذه الفتاة الجديدة؟ ما اسمها مرة أخرى.. "تينا"؟". "ليس بيني وبينها أي شيء". "أنا أعرف. إنه مجرد سؤال". قال "تاراس": "فتاة شابة وجميلة، على الأقل هذا ما يقوله الجميع عنها". "وأنت". قال وهو يهز كتفيه بلا مبالاة: "أنت تعرفين "أوسترتس" و"برايك"، كل الفتيات جميلات في نظرهما بينما لا أظن أن بها أي شيء لافت".

أعاد شريط الفيلم إلى مشهد البداية، وضغط مرة أخرى على زر التشغيل، وتجاوزه بكثير، لذلك كان عليهما مشاهدة مقطع التحذير من النسخ غير القانوني للفيلم. للمرة الثانية، يقطع الرجل ذو اللحية الرمادية الطريق الضبابي بين أعمدة الحجر الرملي في "كابادوكيا" حيث نحت بها الناس منازلهم. لقد مر أكثر من عشرين عامًا منذ آخر مرة تشبث فيها بصخرة بشكل صحيح وكما ينبغي. كلما وقع بصره على أي تشكيل صخري يجد نفسه يفكر في التسلق. قال "تاراس": "أيمكن أن أسألك عن شيء؟". "مؤكد، ماذا؟". "لماذا قرر رجلك العجوز إنقاذ "بريلك" من ورطته المالية؟". "ماذا تعني؟". كان يحدق في الشاشة حيث كل المشاهد تمر أمامه ببطء شديد، وانتظرها لترد على سؤاله، ولما لم تفعل قال: "على حد علمي لم يكونا صديقين. لم تكن هناك ضرورة ملحة أو هدف حقيقي من دمج طب الأطفال مع عيادة طب الباطنة العام". قالت: "لا أعرف. لا بد أن لديه أسبابه. هل كل "لماذا" يتبعها "لأن"؟ لماذا تريد أن تعرف السبب الآن؟ ". أشاح بيده وقال: "فلتقولي إنها أحد عيوب أخلاقيات مهنتي، مجرد سؤال تبادر إلى ذهني".

بعد عشرين دقيقة استغرقت "ألينكا" في النوم. أوشك "تاراس" أن يحول إلى قناة رياضية، تناول "الريموت كنترول"، ولكنه عاد مرة أخرى وشاهد القصة الشائكة ذات الإيقاع البطيء عن علاقة رجل عجوز بزوجته التي تصغره سنًا بكثير حتى كلمة النهاية، حتى الواحدة والنصف صباحًا.

في أثناء مشاهدته للفيلم، وجد نفسه يعاود التفكير في القضية التي يعملون على حلها. فكر في القوارب، المفرقعات النارية، "ميهليتش" والمومس التي رافقته وعمرها ثمانية عشر ربيعًا، الفتاة الحامل من" ستارا فوجينا" منذ ثلاثين عامًا مضت، تنظيم داعش، البحيرة، كما فكر في "تينا" أكثر مما فكر في "برايك" و"أوسترتس". نعم، كل "لماذا" لا بد أن يتبعها "لأن". إنه يعرف ذلك بصفته محققًا جنائيًا.

رغم أنه غفى عدة مرات في أثناء عرض الفيلم، إلا أنه كان متنبهًا تمامًا عند نهايته. قال لنفسه إنها فرصة ليعيد النظر ويرى صورة يومه الفائت من بعيد، وبعيون مختلفة. نهض وبدأ يذرع الغرفة ذَهابًا وإيَابًا حتى يتدفق الدم في جسده على أمل أن يصل لدماغه جُزَيء أو جُزَيئان إضافيان من الأكسجين. جلس وتناول ورقة فاتورة أو مذكرة أو أيًا كانت، ورسم على ظهرها مخططًا للبحيرة والأماكن المحيطة بها، "أوكانك"، "ستارا فوجينا"، والنهر الذي يتفرع منها وبعد حوالي مائة متر يقع مجرى "سافا بوهينيسكا"، بينما كان من قبل.. الآن.. ماذا كان ذلك..؟ كتب تحت رسمه التخطيطي، قارب، طفل، ملتقى الطلاب من كلية التكنولوجيا الحيوية. أخذ يحدق فيما كتبه لبعض الوقت.

لعله لم يغفل أي شيء لأنه لا يوجد شيء بالفعل. كان يتمنى أن يجد أي شيء، لكن الواقع.. كَرمَش الورقة ورماها على التليفزيون الذي يحمل علامة "سوني" التي أخذت تومض فوق الشاشة السوداء، أوقف تشغيل شريط الفيديو ثم

التليفزيون وجلس على الأريكة، كأنه لا يستطيع أن يقرر ما إذا كان يريد أن ينهض من على الأريكة أم يميل إلى الخلف في محاولة للجلوس في ذاك الوضع التوافقي المريح. لقد مرت أربعة أيام منذ العثور على الجثة، وأحد عشر يومًا منذ أن قطع أحدهم رأس الفتاة، وما زالوا لا يعرفون حتى اسمها.

وضع "الريموت كنترول" في خزانة أسفل جهاز التليفزيون وفي طريقه إليه التقط الورقة التي كَرْمَشها ورماها، وفحص ما كان على وجهها، لعله كان شيئًا مهمًا، فوجد أنها فاتورة إصلاح سيارته التي دبر أمرها "أوسترتس"! فوجد له "دبرياج" وحَذّافَة محرك، بالإضافة إلى المَصنعيّة بتكلفة ثمانمائة وسبعين يورو، ثم وضعها على الطاولة. سوف يعيد النظر فيها غدًا.. أو في أي وقت آخر.

ثم تذكر شيئًا، كأنه نقر نوعًا ما على الشيء الذي غفل عنه إلا أنه أصيب بخيبة أمل نوعًا ما. هذا؟ هل هو هذا الشيء؟ أحضر مفكرته الرمادية وتصفحها حتى وجد ما كان يبحث عنه. قال لنفسه لعل ذلك لا يعني أي شيء، ومع ذلك هناك "لأن" تتبع "لماذا" عادة.

الفصل العشرون



الجمعة، 5 يناير

وجد "تاراس" غرفة "ميهليتش" كما هو متوقع بالنسبة لمكتب مدير شركة أدوية، مدير مدرسة قديمة. خلف مكتبه مقعد من الجلد غلق على الجدار من ورائه لوحة رسمت بألوان مائية، وفوقه تمثال إفريقي من خشب الأبنوس وبجواره وبالحجم نفسه يوجد تمثال تقليدي للسيدة "بابوشكا" العجوز، الدمية الروسية بالوشاح على رأسها، وعلى بعد متر منه توجد طاولة مستديرة للقهوة، على جانبيها مقعدان أقل فخامة، وتبعد عنهم قليلًا طاولة اجتماعات بيضاوية كبيرة حولها سبعة كراسي، وقد غطيت الجدران من حولها بكل أنواع الجوائز والشهادات التي حصلت عليها الشركة تتصدرهم صورة ملونة كبيرة لـ"ميهليتش" مع المارشال "تيتو". وبحسب غفر "تيتو" في الصورة، خمن "تاراس" أن الصورة لا بد أنها اِلتُقِطَت في

أواخر السبعينيات، قبل وفاته بعام أو نحو ذلك. بالغرفة عدد قليل من الدواليب ذات الأبواب الزجاجية تحتوي على ما قد يمكن اعتباره كتبًا منمقة لم يطلع عليها أحد منذ زمن، هذا إن كانت قد قُرأت من الأصل. عندما رافقت السكرتيرة "تاراس" إلى الغرفة، نهض "ميهليتش" بخطوات مفعمة بالحيوية تثير الدهشة بالنظر إلى أن عمره الذي تجاوز السبعين، واعترض طريق "تاراس" كأنما يريد منعه من الوصول إلى مكتبه وهو يقول: "صباح الخير، صباح الخير أيها المحقق".

بعدما حيّاه "تاراس" أشار "ميهليتش" للسكرتيرة لتسأله عما يود أن يشرب. طلب "تاراس" قهوة وطلب "ميهليتش" ماء وعصيرًا. سأله "تاراس" قائلًا: "أين نجلس؟". تلفت "ميهليتش" حوله كأنه يرى الغرفة لأول مرة ثم أشار إلى طاولة القهوة الصغيرة المستديرة وقال: "هناك، ما رأيك؟". أومأ "تاراس" واختار مقعدًا. قال "ميهليتش": "كيف كانت عطلة نهاية الأسبوع؟". "لا بأس بها". "سمعت أنك رياضي قديم؟". "كيف عرفت؟".

أخذ "ميهليتش" يسرد بعض إنجازات "تاراس" في رياضة تسلق الجبال، وفي الجملة نفسها أدرج أنشطته الترفيهية اللاحقة مما أشعره بالضيق، رغم أن "تاراس" لم يعد نفسه عداء ماراثون أو متزلجًا في سباقات الضاحية. أخذ "ميهليتش" يردد النظر في ورقة على الطاولة مدون فيها ما يساعده في هذا السرد. قال "ميهليتش": "أعددت نفسي لـ..". تجهم "ميهليتش" ثم أصدر صوتًا ينم عن أن ما قاله للتو

أفسد شيئًا ثم تابع قائلًا: "قصدت أن أقول، أعددت نفسي للعمل، لكن هذا ليس عملًا، أليس كذلك؟". قال "تاراس": "أظن ذلك، نحن نسميه في الشرطة مقابلة استطلاعية".

أحضرت السكرتيرة مشروباتهما وقدمت السكر والحليب لـ"تاراس" فرفضهما. أخذ "ميهليتش" رشفة من العصير وتَمَضمَض بالماء، ثم استرخى على ظهر مقعده وانتظر أن يأخذ "تاراس" رشفة من قهوته. سأله "ميهليتش" قائلًا: "إذًا، ما الذي تريد أن تعرفه أيها المحقق؟". "حسنًا، في الحقيقة أنت من طلبت هذا الاجتماع، فمن المفترض أن لديك شيئًا لتخبرني به". ابتسم "ميهليتش" وقال: "أنت على حق. في الواقع أنا من طلبت عقد هذا الاجتماع". شبّك أصابعه، وتلامس إبهاماه فوقهما. قال "ميهليتش": "السبب هو أنني أود أن أطلب منك التعامل مع هذه المسألة بتكتم شديد، ليس فقط لأنني كنت في "بوهيني" مع.. صديقة، لا.. لا، فهذه ليست الأخبار التي تثير ضجة حقيقة. إنه مجرد أسبوع أو نحو ذلك للاستجمام بعيدًا عن النكّد المنزلي، وفي كل الأحوال أنا كثير السفر. ألا تقرأ فضائح صحف "التابلويد"؟". "إذا اضطررت لذلك". "نعم، عندك حق. وأنا مثلك. لكن الأمر سيختلف إذا.. هل يسمح وقتك بالاستماع إلى شرح مطول قليلًا، سيد "بيرسا"؟". أومأ "تاراس". تابع "ميهليتش" قائلًا: "لا بد أن يطول قليلًا على ما يبدو لأن.. هناك استثمارات ضخمة في هذه اللعبة، والتزام الصمت حيال هذا الأمر يعد عدم شعور بالمسئولية من جانبي، وذلك في ضوء التحقيق

الذي يتعين عليك بالطبع إجراؤه.. لذا..".

رفع يديه، وفتح راحتيه ووجههما نحو "تاراس" كأنه يؤدي اليمين ثم قال: ".. وبالتالي، الحق كل الحق ولا شيء غير الحق. هيا بنا إذًا. فلنبدأ منذ خلق "آدم". هل لديك أي اهتمام بالطب؟ عسى أن تكون، وإلا فستجد الدقائق الخمس القادمة في غاية الملل". لم ينتظر إجابة، أخذ رشفة سريعة أخرى، من العصير ثم ماء، واسترخى على ظهر مقعده، وعيناه شِبْه مغمضتين ثم بدأ قائلًا: "حسنًا، البشرية..". ثم ابتسم وفتح عينيه على اتساعهما لبرهة ثم أضاف: "منذ خلق "آدم". ثم أغمض عينيه نصف إغْمَاضة مرة أخرى وقال: "كما تعرف، تعاني البشرية من العديد من المشكلات، مشكلات صحية يمكننا تخيلها، من حيث الحدة، بنوع من الرسم البياني. على هذا الرسم البياني، توزع مجموعة صغيرة من المشكلات الخطيرة جدًا، ثم تنخفض حدة المشكلات ليصبح للمخطط ذيل طويل توزع عليه المشكلات التي تتزايد خطورتها بمرور الوقت. إنني أتحدث عن ظهور مُسبِّبات لأمراض منقولة تنتقل عدواها بسبب العولمة بسرعة أكبر وتتفشى في جميع أنحاء العالم الآن، "الإيبولا" على سبيل المثال. إذا أصبح الطقس في الشتاء هنا أدفأ، فستعيش هذه الفيروسات وتنتشر دون أي مشكلة، لديهم إصابات في المملكة المتحدة، لذلك من المحتمل أن يكون لدينا حالات هنا أيضًا. لدينا أيضًا فيروسات تعيش دائمًا في الغابات التي لم يكن يطرقها أعداد كبيرة من الناس، والآن بما أن الناس تنتقل إلى هناك، فا..".

سأل "تاراس" قائلًا: "مثل "الإيدز"؟". "نعم، يعد "الإيدز" أو فيروس نقص المناعة البشرية على رأس هذه الفيروسات. في مرحلة ما تأتي مجموعة من الأشخاص إلى مكان معين ومعهم أعداد كبيرة من ذريتهم تتنقل في جميع أنحاء العالم. هل يمكنك أن تتخيل؟ هناك شيء جديد بالغابات التي لم يطرأ عليها أي جديد منذ أزمان سحيقة، هل تتخيل الوليمة التي قدموها للحشرات والطفيليات؟ يا لها من فرصة لقفزة سريعة لأمراض مستجدة لم تتفش بين البشر من قبل! والتي لا نعرف حتى سببها. حدث شيء مشابه لذلك مؤخرًا في البرازيل عندما قاموا بإزالة مساحات من غابات الأمازون كي يبنوا مدنًا ثم اكتشفوا فجأة مرضًا رهيبًا يصيبهم ويهاجم ذريتهم، أطفالهم. فما الذي يحدث؟ تتعرض الأم للدغة بعوضة تصيبها بفيروس ينتقل عند الحمل إلى الجنين ويبدأ في التكاثر داخل دماغه، فيولد الأطفال بضمور تام في أدمغتهم، هذا إذا بقوا على قيد الحياة ولم يموتوا في بطن أمهاتهم، وهذا المرض من الأمراض الموزعة إحصائيًا على ذيل هذا الرسم البياني". "أنت تتحدث عن فيروس "زيكا" المستجد؟". "بالطبع".

توقف لبرهة، كما لو كان يريد إعطاء "تاراس" الوقت كي يمعن التفكير فما قاله ثم استأنف كلامه قائلًا: "وهذه المشكلات البسيطة التي لا تلفت انتباه أحد تشبه فصيلة صغار الضفادع في مراحل تطورها وارتقائها. إذا لم تتعامل مع حساء صغار الضفادع منذ البداية وهي ما زالت صغيرة

بعد، فسوف تتطور وترتقي وينتهي بك المطاف لتجد نفسك في غرفة مليئة بضفادع العلجوم الضخمة".

نظر إلى "تاراس" نظرة محاضر يتأكد من أن طالبه يتابع الدرس، ثم قال: "لكن صغار الضفادع التي ذكرتها ليست هي المهمة في سياق قصتنا". "ضفادع العلجوم الضخمة هي المهمة، أليس كذلك؟". "نعم، بالضبط، أي المشكلات التي تتوزع على امتداد الطرف المقابل لذيل الرسم البياني". ابتسم "ميهليتش" ثم أستعاد جِدِّيته، وتابع قصته بوتيرة أسرع بكثير حتى كادت الكلمات أن تخرج من فَيه مثل القذائف. قال: "النوع الثاني من المشكلات الصحية الحادة التي تواجهها البشرية تتمثل في المضادات الحيوية، وبشكل أكثر تحديدًا مشكلة مقاومة الجسم لمفعول هذه المضادات والتي لا توزع نسبها على ذيل الرسم البياني لأنها تهم الجماهير العريضة. في العالم الغربي، نجد السكان يتقدمون في السن ولم يظهر وباء إنفلونزا في الخمسين عامًا الماضية استطاع قتل معظم السكان الذين تزيد أعمارهم عن خمسة وستين إلى سبعين عامًا. في اليابان، على سبيل المثال، يقع ما يقرب من ستين بالمائة من السكان فوق سن الخمسين، ويتم إنفاق النصيب الأكبر من الميزانية على الرعاية الصحة لهذه الشريحة من السكان". هز رأسه يَمْنَةً ويَسْرةً وتابع قائلًا: "أعني مَنْ هم من أبناء جيلي، وذلك بدءًا من الإنفاق على أدوية الكوليسترول والعلاج الكيميائي وحتى الفياجرا. أنت نفسك ستحتاج هذه الأدوية، ولكن لم يحن وقتها بعد". قال

"تاراس": "شكرًا لك".

***

هذا جعله يتذكر طبيبه الذي أجبره على إجراء فحص للدم خلال زيارته الاضطرارية الأخيرة وذلك كي يحصل على شهادة صحية مطلوبة لعمله. تمتم الطبيب قائلًا: "أرى أن مستوى الكوليسترول لديك مرتفع، لكن بالنظر إن نمط حياتك، لا أظن أن وصف أي أقراص سيفيدك كثيرًا". قال "تاراس": "لن أتناول أي أقراص".

***

تابع "ميهليتش" قائلًا: "هل تعلم أن معظم الأموال التي تنفقها الدولة على كل فرد تتركز في العام الأخير من عمره". لم يكن "تاراس" على علم بهذه الحقيقة. تابع "ميهليتش" قائلًا: "إذا بالغت قليلًا، وفيما يتعلق بميزانية الصحة، يتمتع الرجال بصحة جيدة إلى حد ما منذ ولادتهم وحتى السابعة والسبعين من عمرهم. عندما تصيبهم الأمراض في هذا السن، فإنهم يستهلكون في هذه السنة الأخيرة ما يقرب من الثمانين بالمائة من الميزانية التي يتم إنفاقها على صحتهم على مدار حياتهم، وفي بعض الحالات قد تصل إلى تسعين بالمائة. كما يُخصص جزء كبير من هذه الأموال للإنفاق على مجال إدارة الألم، ثم يلي ذلك مباشرة الأمراض التي تلتهم ثلث الميزانية ومنها علاج السرطان وأنواع العدوى من قبيل التهابات المعدة والتهابات الجهاز التنفسي والجلد والمسالك

البولية والتهابات ما بعد الجراحة، أي العدوى البكتيرية في الأساس". صمت، وحدق في عيني "تاراس" مباشرة لبضع لحظات ثم قال: "وهنا ندخل في لُب الموضوع". أنهى العصير ثم تَمضمض بالماء مرة أخرى وقال: "المضادات الحيوية. لعلاج هذه الالتهابات نستخدم كميات هائلة من المضادات الحيوية التي تتناقص فعاليتها بسرعة. فالسلالات التي تقاوم المضادات الحيوية في تزايد مستمر. توجد بالمستشفيات سلالات تقاوم بشكل أو بآخر كل المضادات باستثناء نوع واحد فقط، وهو مُكلِّف للغاية ولا تنتجه سوى شركة واحدة غامضة تبيعه مقابل مبالغ طائلة، ولا يُمنح إلا للمرضى بعد تقدير ما تمثله حياتهم المستقبلية من قيمة، وكذلك تقدير تكلفة العلاج.. فمن حيث المبدأ، إذا كان عمرك يتجاوز السبعين عامًا وإذا لم يكن طبيبك المعالج الذي بيده اتخاذ القرار في هذه المسألة صديقًا لك، فلا تتوقع أن تُعالج به. هناك أيضًا مجموعة أخرى من مستخدمي المضادات الحيوية فاتني أن أذكرهم. ولأن عدد السكان في العالم الغربي في تراجع مستمر، ولأن الانتخاب الطبيعي لم يعد موجودًا بالمرة، نجد أطفالًا يعانون من التَلَيُّف الحويصلي وأمراض مشابهة، وهؤلاء يحتاجون إلى المضادات الحيوية طوال الوقت، ويخضعون لدورات من المضادات الحيوية لمدى الحياة وبلا توقف. كل هؤلاء الملايين، والمليارات الآخرين، بل يمكنك القول.. كلنا بلا استثناء.. نتعاطى المضادات الحيوية كي ننجو من الموت ونعيش".

قرأ "تاراس" شيئًا عن هذا إلا أنه عَدّها مجرد مبالغات صحفية. تابع "ميهليتش" قائلًا: "لماذا لا يصنعون مضادات حيوية جديدة؟ لماذا لا يطورون أي مضاد حيوي إذا كان من الممكن أن يدر أرباحًا تقدر بالملايين؟ لأن عملية تطويره أكثر تكلفة، بل ومُكلِّفة للغاية؛ أنا أتحدث عن عشرات المليارات من الدولارات أو اليورو. وجدير بالذكر هنا أن براءة اختراع هذا المضاد الحيوي تنتهي صلاحيتها في غضون عشر سنوات. بعد عشر سنوات من استخدامك لأطنان من الأموال، يتم تخفيض حصص الأدوية الجنيسة المتداولة، مثل أدويتنا. في الحادي والثلاثين من الشهر الثاني عشر، في الساعة الثالثة والعشرين وتسعة وخمسين دقيقة وتسع وخمسين ثانية بالضبط..". ثم أشار عبر النافذة وقال: "في هذا الموعد المحدد تجد الشاحنات المعبأة بالأدوية وجميع الوثائق تصطف عند البوابة ومحركاتها تدور، تنتظر وهي على أهبة الاستعداد. وفي منتصف الليل بالتمام، تنطلق". سأله "تاراس" قائلًا: "أنت تتحدث عن الأدوية الجنيسة التي تكافئ منتجًا دوائيًا ذا علامة تجارية مسجلة وتعد بديلًا له؟". "نعم، ليس من الصعب تصنيعها بمجرد أن يوضع المصدر الأصلي على الطاولة ويصبح في متناول أيدينا. أما الأدوية الأصلية، فهذه قصة أخرى. إنني أؤيد الإجراءات التي تتخذها الدولة في هذا الصدد. إنه دور الدولة، فهي تمول الأشياء التي لا يستطع القطاع الخاص تمويلها، ومن بينها الإنفاق على البحوث في مجال العلوم، ثم تبيع المصدر الأصلي لقطاع الصناعة كي يتمكن من صنع أجهزة الراديو، والتليفزيون،

وهواتف "الآيفون"، وسترات "جور تيكس" المقاومة للمطر، والأوراك والرُكَب المصنعة من عنصر التيتانيوم الكيميائي، أو المضادات الحيوية. إذا اضطررنا إلى انتظار القطاع الخاص الذي هو محل تقدير كبير لا يستحقه، فلن نجني منه أي شيء بالمرة، لأن الأرقام التي يدلي بها لا هي بالصحيحة ولا بالصادقة. هل تعرف شركة "نوفارتيس" للصناعات الدوائية؟". "التي اشترت شركة "ليك" للصناعات الدوائية والمنافسة لشركتك".

"نوفارتيس" ليست منافسًا لنا لمجرد أن حجم مبيعاتها يبلغ حوالي ستين مليار دولار أمريكي فقط، بل لأنها أيضًا شركة تصنع الأدوية المكافئة أي تقلد الأدوية الأصلية. هذا شيء لم تتوقعه، أليس كذلك؟".

توقف كأنه قال شيئًا لم يكن يصح أن يُصرح به، ثم قال وهو يشير إلى صورته المعلقة على الحائط حيث وقف إلى جوار "تيتو": "أنا، كما ترى، شيوعي من الحرس القديم. لم يعد هناك ما يسمى بالحزب الشيوعي، ولا الشيوعية، لكنني ما زلت "أحمر". إنها الديمقراطية؟ اسمع.. شركتنا تغطي منطقة شاسعة تصل إلى نصف بلدنا. هل تعتقد أن الدولة ستنجح في لعب هذا الدور إذا اختار العمال المدير بأنفسهم حسب قواعد الشيوعية؟ ولماذا تنجح الدولة فيما لم تنجح فيه الشركات الخاصة؟". أشاح بيده في الهواء وقال: "حسنًا، لنعد إلى قضيتنا. هل يمكنك تصور المشهد؟ شاحنات تنتظر أمام البوابة عند منتصف الليل، هذه ليس تعبيرًا مجازيًا، فهم

ينتظرون بالفعل هناك ويقومون بالعد التنازلي للانطلاق". "أتصوره، إلى حدٍّ ما". "حسنًا، والآن ننتقل من العام إلى الخاص. ما أقوله لك الآن ليس سرًا. الجميع يعرف ذلك، بما في ذلك الحكومات نفسها. مؤخرًا كان هناك أحاديث كثيرة عن مبادرات لتطوير مضادات حيوية جديدة، لكنك تعلم كيف تسير هذه الأمور، ببطء شديد. ومع ذلك، هناك حِراك وزخم في صناعة الأدوية، صحيح أنه لا يرقى لمستوى الطموح المطلوب.. دعنا نقل أننا بدأنا تنظيف بيتنا قبل تجديده. في ضوء ذلك، قررنا في "سالوبريس" منذ فترة، منذ حوالي عام على وجه التحديد، أن نقوم بإحياء بعض سلالاتنا القديمة، التي تم حفظها حسب تقنية "التجفيد" في مجفف بالتجميد متشعب علوي وذلك عند درجة حرارة 80 تحت الصفر..".

لم يكن لدى "تاراس" بالطبع أدنى فكرة عما تعنيه كلمة "التجفيد"، غير أن "ميهليتش" لم يقلها لكي يفهمها "تاراس". أكمل قائلًا: "قررنا أن نسمح لطلاب متخصصين في علم الأحياء الدقيقة والتكنولوجيا الحيوية بالتعامل معها. لماذا؟ لإحياء سلالات البكتيريا وجعلها تتكاثر، واختبار الأوساط المُستَنبَتة، واختبار معدات القياس التي نمتلكها، والتحقق مما إذا كانت الخلايا ما زالت تنتج المواد الطبيعية الأساسية أم لا.. من حيث المبدأ، قاموا بالعمل التحضيري، دون أي توقعات لأي نتائج، لا شيء متوقع".

أنهى "تاراس" قهوته وهز رأسه بالنفي عندما سأله "ميهليتش" إذا كان يريد المزيد منها فتابع الأخير قائلًا:

"لذلك اتصلنا بالجامعة وأرسلوا لنا أربعة طلاب ثم دفعناهم لتوقيع اتفاقية عدم الإفشاء، وبعثنا بهم إلى مختبرنا. هل تعرف ما تعنيه هذه الاتفاقية؟". قال "تاراس": "تعني أن تظل نتائج تعاونكم سرية وفي طي الكتمان". "نعم، تعني.. الحق في ملكيتنا للنتائج وذلك تحسبًا لأي شيء. هل أنت مهتم بالكيمياء، أيها المحقق؟". "في هذه اللحظة أم بشكل عام". ابتسم الرجل العجوز وأومأ ثم قال: "أعني للحد الذي سيجعل الشيء الذي سأقوله لك يستحوذ على اهتمامك وهو ما جعلني أدعوك لزيارتي هنا..".

أخذ قلمًا ملونًا ووضع خطًا تحت شيء مكتوب على ورقة ورفعها في وجه "تاراس" وهو يقول: ".. ها هو ذا".

رأى "تاراس" سطرًا مكونًا من أرقام وأحرف تتصل ببعضها بعضًا بشرَط وخطوط واصلة قصيرة وأقواس، استغرق ذلك ثانية أو ثانيتين فقط ثم أعاد "ميهليتش" الورقة إلى الطاولة وهو يقول: "آمل ألا يكون لديك ذاكرة فوتوغرافية، وإلا سأضطر إلى قتلك". ضحك ثم توقف عندما رأى أن "تاراس" لم يشاركه الضحك وقال: "أسف، نكتة لا تليق". "هذه صيغة كيميائية لمضاد حيوي جديد، هل ما فهمته صحيح؟". أومأ "ميهليتش" ثم قال: "ليست مجرد صيغة كيميائية لمضاد حيوي جديد، بل لمضاد حيوي جديد يعد الأكثر فعالية على هذا الكوكب". سكت وراقب وقع كلامه على "تاراس" ثم قال: "حسنًا، على الأقل نحن نعتقد أنه ربما الأقوى على الإطلاق". "أفترض أنك لم تكتشف سر هذه الصيغة في "بوهيني"؟". "لا،

لا.. تمهل قليلًا من فضلك. أوشكت الصورة التي تحتاج إلى معرفتها أن تكتمل ومن ثم سوف تتفهم سبب مطالبتي لك بألا تدس أنفك في موضوع أكبر من أي شيء في حياتك أو حياتي أو حياة أي إنسان على وجه الأرض".

أخذ يطرق الطاولة بعُقد أصابعه، ثم شبَك أصابعه ونظر إلى "تاراس" وسأله قائلًا: "هل تؤمن بالمعجزات يا سيد "بيرسا"؟". هز "تاراس" رأسه بالنفي وقال: "أؤمن بالصُدف في أحسن الأحوال". "وكم عدد الصدف التي قد تُفضي إلى معجزة؟". لم يرد "تاراس" فأخرج "ميهليتش" ورقة أخرى من درج مكتبه ووضعها على المنضدة قبل أن يكمل كلامه، ردّد النظر بين الورقة وبين "تاراس" ثم قال: "إذا أغلقت مختبرًا على أربعة طلاب وتركتهم يعملون حتى الإنهاك، فماذا سيحدث؟ قام واحد منهم بعملية إِستِنبات بكتيري باستخدام سلالة: (XPZ79.1989.FTC14) على وسط الاستِنبات (أ) الذي استطاع ترشيح خلايا، وبعدما استقبلها المضاد الحيوي استطاع أن يقترن بالفيروس العَضَوِي داخلها على ما يبدو".

تحدث بوتيرة سريعة للغاية، دون وقفات أو تَشدِيد على الأحرف، مثلما يفعل الممثل الذي يظهر في بعض إعلانات الأدوية التي يبثها التليفزيون محاولًا أن يردد عبارة "استشر طبيبك أو الصيدلي في أقرب وقت ممكن"، وهي العبارة التي ينص عليها القانون.

تابع "ميهليتش" قائلًا: "ثم نقل ما ترسب من الوسط المُستَنبَت إلى أنبوب "سكوت" المختبرية المعدة للإتلاف.

وحتى تلك النقطة كان أنبوب الاختبار خارج الخط الذي يفصل بين الأوساط المُستَنبَتة الأصلية المستخدمة كعينة وتلك المستحدثة. لم يقم الطالب بوضع علامة عليها لتميزها وكان لونها هو لون أنبوب الاختبار نفسه التي تحتوي على عينة الوسط المستحدث. ومن شبه المؤكد أن عاملة التنظيف – وهي سيدة عملت في ألمانيا على مدار عشر سنوات وتعرف كيف تحافظ على كل شيء في مكانه – قد قامت ليلًا بتنظيف سطح المنضدة، وفي أثناء قيامها بذلك، نقلت الأنبوب الذي لا يحمل علامة تميزه من الوسط المُستَنبَت (أ) إلى خط الأنابيب التي تحتوي على الوسط المستحدث". ابتسم ثم تابع قائلًا: "عملت السيدة المسكينة في ألمانيا لمدة عشر سنوات حتى تم إلغاء تأشيرتها واضطرت للعودة إلى الجنوب. وإذا لم تُبادر هي نفسها، بعد يوم أو يومين، وسألتنا عما إذا كان من المفترض أن تقوم أيضًا بتنظيف عدادات المختبر أم لا، لما اكتشفنا الأمر أبدًا على الأرجح. حسنًا، وفقًا للبروتوكول، قام الطالب الثاني بأخذ هذا الأنبوب الذي يحمل الوسط المُستَنبَت (أ) المستخدم والتي لم يضع عليها علامة تميزها، وزرع بها سلالة خاصة به. النتيجة هي: تكاثر سريع في النمو عند درجة حرارة 37 درجة مئوية هذا من دون تطبيق ظروف هوائية دقيقة وعندما قام بقياس ما أنتجته المادة باستخدام تقنية "الكروماتوغرافيا HPLC " السائلة عالية الأداء، أسفر ذلك عن قمة رابعة إضافية لم يكن ينبغي أن تتكون". مال نحو "تاراس" وهمس قائلًا: "بصراحة، أفسد الطالب التجربة". ثم اعتدل في جلسته وعاد للوتيرة السريعة

نفسها وقال: "بقية القصة كانت أقرب إلى تقصي ملابسات جريمة منها إلى تقصي ملابسات تجربة علم أحياء دقيقة أو كيمياء. ماذا يفعل الإنسان عندما يرتكب خطأ؟ إما أن يعترف به، أو يحاول إلقاء اللوم على شخص آخر. جمع الطالب الخلايا التي تكاثرت لأنها كانت آخر أنبوب اختبار وآخر الخلايا التي لا بد من جمعها. صحيح أن التجربة فشلت لكنه نجح على الأقل في إعادة إحياء الخلايا، هذا هو المكسب الوحيد. والأكثر أهمية هنا هو أنه لم يستطع التخلص من وسط المُستَنبَت الأصلي (أ) المستخدم مرتين بذرواته الثلاث الأساسية وبالرابعة الإضافية لأن هذا مخالف لإجراءات الدستور التشغيلي المعياري الموحد والمعتمد في مجال صناعة الأدوية، كما لم يتمكن من إعادته لمكانه لأن الجميع يعرفون أنه من يقوم بإجراء التجربة عليه، فقام بسكب المركب في أنبوب اختبار طالب ثالث كانت مهمته تغيير المكونات في بيئة الإستِنبات بإضافة الإنزيمات. وبالتالي، عندما جاء الطالب الثالث للمختبر يوم الاثنين، قام بنقل جزء من المركب المترسب بالأنبوب الخاص به إلى أنبوب اختبار آخر وأخضعه لتفاعل بالإنزيمات، إلا أنه ارتكب خطّأ ولم يقم بتخفيف المحلول الأصلي حسب النسب الصحيحة، ومن ثم أصبحت نسبة تركيزه أقوى عشر أضعاف من..".

نظر إلى أعلى ثم قال الكلمات القليلة التالية بوتيرة طبيعية وقد ألم به الحرج: "لم يكن خطأه في الحقيقة. لقد زودوه بوسط إستِنبات رخيص الثمن من المفترض أن يجري به

التجربة. يبلغ ثمن النسخة الأصلية النقية منه حوالي أربعة آلاف وخمسمائة يورو، في حين أن المائتي مليجرام التي حصلنا عليها تكلفنا مائة وخمسين فقط. أنت تعرف أن الأمور تسير على هذا المنوال، وهو ما سيخدم بحث الطالب". ثم تحول إلى الوتيرة الأسرع مرة أخرى وهو يقول: "في أثناء التفاعل، تحول المركب الذي حصل عليه الطالب من الوسط الخاص بالسلالة التي استخدمها إلى اللون الأخضر، بينما ينبغي أن يميل إلى الاصفرار قليلًا. ومن شدة الذعر، ألقى الطالب بأنبوب الاختبار في حمام ماء تبلغ حرارته 45 درجة مئوية". سأل "تاراس" قائلًا: "ذعر؟". "هكذا يتصرف الناس في مثل هذه المواقف. هذا غير معقول بالطبع، ولكن هذا ما يحدث في الواقع. نحن نستخدم الحرق كي نتخلص من الأدلة. حسنًا، عندما ألقى بهذا الشيء في الماء الساخن، أدرك أنه لم يحقق أي شيء بفعلته هذه، لذلك أخرج أنبوب الاختبار الذي تحولت محتوياته إلى اللون الوردي. الآن لم يعد أخضر اللون بل ورديًا. ماذا يفعل الآن؟ لم يستطع أن يسكب المحتويات في أنبوب آخر لأن جميع أنابيب الاختبار مسجلة بالإضافة إلى عدم وجود أنابيب صرف في المختبر، ولم يستطع وضعه تحت مجهر اختبار السلالات كي يعرف سبب لونه الوردي، لا لشيء سوى أن الجميع سيلاحظ ذلك. ما المخرج إذًا؟ قبل ارتدائه لبدلة نقل المواد الخطرة ودخوله المختبر، اتصل بالطالب الرابع وسأله عما إذا كان بوسعه استخدام بعض الشرائح المجهرية الإضافية التي لم يضع عليها علامة مميزة، ثم وضع عليها قطرات من الماء،

ومن ثم لن يفضي ذلك إلى أي نتائج، وسوف ينظف ويعقم الصفائح الوردية في جهاز "الأوتوكلاف" دون أن يدري أحد وسيصبح كل شيء على ما يرام بل ورائع. لو استطاع ذلك، لانتهت قصتنا ولما اضطررت أنت إلى التعامل معنا في هذا الشأن على الإطلاق". انتظر "تاراس" بفارغ الصبر ما سيقوله. أكمل "ميهليتش" قائلًا: "ولكن لأن هذا الطالب كان يعاني من فتق بالقرص الغضروفي وخضع مؤخرًا لعملية جراحية..". ضحك ثم قال: "حسنًا، كما ترى، قرر البعض استخدام المزيد من ميزانيتهم الطبية قبل سن الثامنة والسبعين. وحدث أن تفشت عدوى في المستشفى في قسم الجراحة وتقويم العظام ولذلك احتجز هذا الطالب لبضعة أيام، فقام بأخذ عينات، بصفته متخصصًا في الأحياء الدقيقة، من عدد قليل من مقابض الأبواب ومن يده، وفي المختبر رقم 4، ومن دون علم رئيسه، حاول فحص ما يمكن أن يُستَنبَت من هذه المسحات بإضافتها إلى الأوساط الأصلية المتنامية، من بينها أيضًا، وباختصار، بكتيريا التهاب اللفافة الناخر، وهو في الأساس عدوى بكتيرية تصيب أنسجة الجلد وتسمى "النسيرية".. وكلها من الجراثيم المقاومة للعقاقير والمضادات الحيوية، وأضاف إليها الطالب المركب الوردي وتركهما يتفاعلان طوال الليل. من باب الفضول، ذهب للتحقق من النتائج في اليوم التالي..".

نظر إلى الأعلى ووضع الورقة التي كان يحملها على الطاولة ثم قال: ".. فوجد جميع الخلايا، إذا تجاوزنا عن المصطلحات

المهنية هنا، ميتة". سكت، كما لو أن شرحه للقصة أنهكه، واسترخى على ظهر مقعده وقال: "إن فك شفرة التجربة وتكرارها استغرق منا ستة أشهر أخرى". "وماذا كنت تفعل في "بوهيني"؟ من المؤكد أنك لم تكن تطهو الحساء الوردي الذي خلفه الطالب وراءه؟!". ابتسم "ميهليتش" ثم قال: "لا، التقينا هناك لمناقشة شروط اتفاقية عدم الإفشاء". "أموال؟". "لم تكن الأموال هي الأهم في الحقيقة، بل الأقل أهمية لأننا سنجني الكثير منه في كل الأحوال إذا نجونا من الحسد. لقد ناقشنا من سينسب له الفضل، وكذلك الطريقة التي سنروي بها القصة. لن نروي، بالطبع، القصة نفسها التي عهدت إليك بها للتو، بل شيئًا على غرارها، كما تعلم.. وسيكون مدخلها: بعد سنوات عديدة من التعاون بين.. ثم كذا وكذا وكذا.. إلى آخره". "هممم..". "إنها هممم.. تلك التي قلتها، على وجه التحديد، يا سيد "بيرسا". "يظل السؤال القائم عن أي نوع من الأموال تتحدث؟ ". "إذا أسفرت الدراسة الإكلينيكية عن النتائج نفسها، ولا يساورنا شك تقريبًا في ذلك، وبعد الانتهاء من إجراء كل الاختبارات والحصول على كل التراخيص الدولية اللازمة.. تشير التقديرات الأولية أننا سنجني حوالي مائة مليار يورو". "مائة مليار؟!". "على الأقل، هذا بتكاليف زهيدة تشمل إنزيمات مجانية، وأوساط اِستِنبات أصلية مجانية، وعمليات إنتاج مجانية، وكفاءة عالية، إلى أن تنتهي السنوات العشر المقبلة، وإلى أن يتم تقليد منتجنا والتوصل لمكافئ له". "مائة مليارا". "أنا أعرف ما الذي تفكر فيه أيها المحقق". "حقًا؟". "نعم، أنت تعتقد أن حياة الإنسان، مع هذا

القدر الهائل من الأموال ستفقد معناها، أليس كذلك؟". "في الحقيقة لم أصل إلى هذا المدى بعد. لكن نعم.. خاصة إذا تمتع هذا الإنسان بذاكرة فوتوغرافية؟". "قلت لك إنها نكتة سخيفة وأعتذر عنها مرة أخرى. لكن أحسنت، لقد نسيت بالفعل أنك..". تنهد، وأسند مرفقيه على الطاولة وانحنى نحو "تاراس" وقال: "ستكون خصمًا لدودًا، أيها المحقق. لا أريدك أن تقف على الطرف الآخر من المواجهة، فالحقيقة أنني لا أعرف من هي صاحبة الجثة التي لديك في ليوبليانا، كل ما أعرفه أن لا علاقة لنا بها". بينما كان يودعه، وجد "تاراس" حقيبة في انتظاره عند السكرتيرة. قال "ميهليتش": "هدية بسيطة". "أنت تعلم أنني لن أقبلها؟". "ليست شيئًا مميزًا، مجرد مكملات غذائية رياضية ومستحضرات من منتجاتنا، للركبتين وأشياء من هذا القبيل". قال "تاراس": "أشكرك". وبعدما انطلق "تاراس" في الممر نحو المصعد سمعه يقول: "هناك أمر آخر". لحق به "ميهليتش" في الممر وهو يقول: "سوف أرافقك للمصعد". ضغط على زر المصعد وعندما وصل وفتح بابه، ضغط "ميهليتش" على زر الانتظار. أبعد يده عن اللوحة وصمت لبرهة كأنما يحاول ترتيب أفكاره قبل أن ينطق بما يلي: "بل أمرين.. أولهما، هل تصدق أن لا علاقة لي بهذه الفتاة القتيلة؟". "يجب أن تسألني بدلًا من ذلك عما أفكر فيه، وليس ما أصدقه. ففي مجال عملي يعد التسليم بصدق الآخرين نوعًا من الترف". استغرق "ميهليتش "في الضحك. قال وهو ينهي اللقاء: "لسوء الحظ. هذه هي النقطة التي نتشابه فيها إلى حد كبير. فأنا أيضًا لا أتمتع بهذا الترف. آمل

أن تكف عن دس أنفك فيما سيقودك إلى طريق مسدود، لكن لا يمكن أن أصدق أنك ستكف، هل يمكنني؟". قال "تاراس": "نوعًا ما". اختلس النظر إلى الممر كأنه يريد أن يتحقق من أنهما ما زالا بمفرديهما ثم قال: "الأمر الثاني.. هل لديك أطفال يا سيد "بيرسا"؟". "ألم تتحقق من هذا أيضًا؟". ابتسم "ميهليتش" ابتسامة ماكرة. قال "تاراس": "بالطبع. ابنتان، في العشرين والثمانية عشر من عمريهما". تبدلت تعبيرات وجهه في لحظة، وتحولت من المكر إلى الشفافية وقال: "لعلك تستنكر سلوكي؟". لم ينتظر رد "تاراس" إنما أكمل قائلًا: "أنا أبدًا لم أدفع مقابلًا للفتاة المسكينة كي ترافقني إلى "بوهيني". أنت لا تصدقني، أليس كذلك؟ أعني لم أدفع الثمن بالمال، بل سأرتب لها بعض أمورها في المقابل. يبدو أنها تريد أن تصبح مغنية، وستكون. ليس معقولًا أن تسيء لسمعتي بعدما رحلت أكثر مما أساءت إليها وهي معي".

قال "تاراس": "هذا شيء لا يخصني". ابتسم "ميهليتش" وقال: "حقًا؟". "نعم، حقًا. ما دامت الفتاة البالغة من العمر ثمانية عشر ربيعًا ليست ابنتي".

دخل إلى المصعد وضغط على الزر، ولأن هناك من طلبه وهو في وضع الانتظار مما جعله يصعد بدلًا من أن ينزل، ولكن عندما توقف، لم يجد أحدًا ينتظره. بعد ذلك بقليل، فكر "تاراس" وهو ينزل بالمصعد عائدًا من حيث أتى، أنه بعد عام آخر من العمل أو نحو ذلك، لن يضطر مطلقًا إلى أن يهتم بأشياء يسيل لعاب الأثرياء من الرجال المسنين المهتاجين

جنسيًا عليها بوصفها الأهم.

عاد "ميهليتش" إلى غرفته وجلس إلى مكتبه لبعض الوقت وهو يضع مرفقيه عليه ويعقد يديه. ثم أرخى يديه ببطء والتقط الورقة وحدق في الصيغة الكيميائية المدونة على صفحتها ثم صاح مناديًا: "سيمونا". وعندما لم يتلق رد صاح مناديًا عليها مرة أخرى. ظهرت السكرتيرة عند الباب وقالت: "نعم؟". "اتصلي بـ" بريداليتش". "أتقصد "بريداليتش" الذي يعمل موظفًا لدينا؟ "بريداليتش" من قسم الموارد البشرية؟". "من؟ لا، وما شأني به؟ اتصلي بـ"بريداليتش" من وزارة المالية".

اختفت السكرتيرة من أمامه ودخلت مكتبها وأخذ "ميهليتش" يحدق مرة أخرى في الورقة التي أمامه.. الكلمات والأرقام التي كتبها على الورقة قبل خمس دقائق فقط من وصول المحقق. لم يكن مجنونًا حتى يخاطر باحتمالية تمتع "تاراس" بذاكرة فوتوغرافية بالفعل فتلتقط صورة للصيغة الكيميائية.

الفصل الحادي والعشرون



توقعت "تينا" أن تقابل فتاة صبغت شعرها باللون الأشقر وتضع على وجهها طبقات من مساحيق التجميل، أو مغنية شعرها داكن ووجهها مصبوغ أيضًا بالمساحيق. امرأة مصبوغة الوجه.. تتسكع على الجانب المقابل من الطريق مثل هؤلاء اللواتي يظهرن في الأفلام وهن يبعن أنفسهن مقابل المال. مبدئيًا، فقد توقعت أن تقابل عاهرة رغم أن "تينا" لم تَر كثيرات منهن. سبق لها بالطبع أن زارت حي الدعارة الأحمر عندما سافرت إلى أمستردام، كما أنها خرجت مع أصدقائها في باريس في نزهة ليلية عبر حي "بيجال" حيث يباع الجنس. حسنًا، كان هذا كل شيء تعرفه عنهن. أما هنا في ليوبليانا فهي لا تعرف أين تجد العاهرات، وبالتأكيد لن تجد في هذه الحانة أي عاهرات يشبهن اللواتي رأتهن في هولندا

وفرنسا.

في الحانة حيث رتبت اللقاء مع "باربرا"، وعلى عكس كل توقعاتها، جلست أمامها مخلوقة جسدها ضئيل، شعرها لونه أشقر طبيعي، ترتدي سترة لونها أزرق فاتح وأمامها كوب من "الكاكاو"، بل بدت لـ"تينا" أصغر سنًا من الثامنة عشرة، بل ويبدو أنها بلغته لتوها. تفقدت "تينا" محيط المكان ثلاث مرات تحسبًا لأي احتمالات أخرى، إلا أنها لم تجد سوى زوجين يشغلان طاولتين من إجمالي خمس أو ست طاولات. سألتها "تينا" بتَشَكُّك: "باربرا"؟

ابتسمت الفتاة ونهضت ثم مدت يدها وصافحتها. انتظرت "تينا" حتى سجل النادل طلبها وأحضر ما طلبته "باربرا" ثم توقفت عن الحديث عن الطقس وفصل الشتاء وسألتها: "هل تعرفين سبب هذا اللقاء؟". طرحت عليها "تينا" السؤال وهي تحاول قدر الإمكان أن تبدو غير مبالية رغم علمها بأنها لن تعطِيها هذا الانطباع أبدًا، بل إنها بدت أشبه بمعلمة. يبدو أن "باربرا" إما لم تلاحظ ذلك أو أنها اعتادته. قالت "باربرا": "في الحقيقة لا أعرف. قال "برين" إن الشرطة تريد أن تتحدث معي. ولا أرى ذلك غريبًا، لذا كان لا بد أن آتي وأتحدث معك". "برين"؟ ". "السيد "ميهليتش". "أوه..". "أنتِ تستغربين الاسم لأن الجميع ينادونه بالسيد "ميهليتش"، أليس كذلك؟". أومأت "تينا" ثم قالت: "منذ متى تعرفينه؟". قطبت الفتاة جبينها وتريثت قليلًا ثم قالت: "منذ حوالي ستة أشهر، على ما أظن. وأناديه بـ"برين" مؤخرًا فقط". قالت "تينا": "حسنًا،

هذا ما أريد أن أعرفه. ما نوع العلاقة التي تربطك بالسيد "ميهليتش"؟". "ماذا تقصدين بالعلاقة؟".

بدت دهشتها حقيقية ولأول مرة ميزت "تينا" في حديث الفتاة أحرف العلّة العريضة الممدودة التي تميز لهجة سكان "كارنيولا" السفلى.

قالت "تينا": "أنتِ سجلتِ دخول للفندق وشغلتِ غرفته نفسها لمدة ثلاثة أيام. فبماذا تسمين هذه العلاقة؟". قالت الفتاة بارتياح كأن شرح "تينا" للسؤال ساعدها حقًا في إيجاد الإجابة الصحيحة: "إنه راعٍ لي. سوف يدبر لي أموري.. أريد أن أكون مغنية".

ابتسمت "باربرا" ابتسامة حلوة. استدعت "تينا" صورة "ميهليتش" في مخيلتها والتي عرفتها من الصحف والتليفزيون.. رجل شعره أشيب، والله وحده يعلم على موضة أي عصر مشط شعره إلى الخلف عبر فروة رأسه، بشرته مليئة بالبقع الرمادية والتجاعيد، ولذقنه لُغد، يرتدي دائمًا بدلة رسمية وربطة عنق، عادة ما تكون رمادية فاتحة مع ربطة عنق زرقاء. إنها صورة تجسد رجلًا عجوزًا أنيقًا، إلا أنه يظل عجوزًا. أومأت برأسها حتى لا تقرأ "باربرا" أفكارها.

قالت "باربرا": "أظن أنني أود أن أصبح في المستقبل معلمة في الحضانة".

ثم أشارت خلفها، ربما في اتجاه الكلية وقالت: "أنا أدرس هنا، في كلية التربية. أود أن أعمل مع الأطفال. إنني أراهم

ظُرفاء جدًا". "وأي نوع من موسيقى تغنين؟". "أوه، أنا لا أغني، بل أود ذلك. لا أمانع أن تكون موسيقى.. موسيقى.. على غرار.. تلك التي تعزفها فرقة "مودرياني " أو "يان بليستينياك"، أود ذلك. هل تحبين "بليستينياك"؟". قالت "تينا": "نعم، جدًا".

"أرأيتِ؟ ما من فتاة من معارفي إلا وتحبه. أي أغنيه له تحبين؟ لا، لا، دعيني أخمن..". بدأت تغني قائلة: "في الغرفة 102، شرق قلبي المكسور، في الغرفة 102، هجرني وتركني وحيدة..". لم تجد "تينا" مفرًا من الاعتراف بأن صوتها مقبول. سألت "تينا": "تحبين هذه الأغنية، صحيح؟". "صحيح. عرض عليكِ السيد "ميهليتش" إذًا ترتيب كل ما يلزم كي تصبحي مغنية، أليس كذلك؟". "نعم، بالضبط". "وكيف ستدفعين له مقابل هذه المساعدة؟". "أوه، أدفع له؟ إنني لا أملك أي مال، كما ترين". قَهقَهَت كأنها قالت شيئًا مضحكًا ثم تناولت قطعة من البسكويت الذي قدمه النادل وغمستها في كوب "الكاكاو"، وحملتها إلى فمها وقضمت منها أصغر قطعة ممكنة. قالت "تينا" التي لم تعد تشعر بأي حرج بالمرة: "أود أن أعرف هل قدمتِ له خدمات جنسية في المقابل؟ هل طلب منكِ أن تخبريني بالحقيقة؟ لأننا سنتحدث معه أيضًا حول هذا الموضوع، واعلمي أن أي شيء ستقولينه هنا سيظل سرًا بيننا". هتفت قائلة: "أوه، هذا..". بدت كأنها فهمت السؤال لتوها ثم تناولت قضمة صغيرة أخرى من قطعة البسكويت وقالت: "نعم، حسنًا، نعم". قالت "تينا": "فهمت". "لم يطلب

مني ذلك قبل بلوغي الثامنة عشرة من عمري. مارسنا الجنس لأول مرة في "بوهيني". لم أكن أعرف ذلك، لكن السيد "ميهليتش" قال إن ممارسة الجنس قبل سن الثامنة عشر غير قانوني". "ليس تمامًا". "أليس الأمر كذلك؟!". "لا، إنه يعد غير قانوني إذا كان الشخص القاصر أقل من خمسة عشر.. ". "حقًا؟". "أو إذا كان الشخص البالغ أكبر سنًا بكثير.. في هذه الحالة ينبغي ألا تقل القاصر عن الثامنة عشرة، كما في حالتك". قامت الفتاة بقضم قطعة بسكويت أخرى وتريثت قليلًا على ما يبدو ثم قالت: "حسنًا إذًا لا يوجد مشكلة ما لم نفعل ذلك قبل "بوهيني"؟". "نعم".

بدت لـ"تينا" أشبه بطفل اكتشف لتوه أن سرقته للبسكويت خلسة من الدولاب لن يوقع به في مشكلة. ابتسمت "تينا" بعدما أدركت الآن لماذا أرسلها "تاراس" إلى هنا.. إنه أرسلها لتعرف كم أن التباعد بين عالمها وعالم هذه الفتاة شاسعًا وبلا حدود! سألتها "تينا": "ألا تجدين أي غضاضة في ذلك؟". "قلت لكِ إنني لا أملك أي مال. إن منحه القليل من الحب لا يكلفني مالًا". الحب؟ هكذا أرادت "تينا" أن تسألها، ولكنها عَقَدت لسانها، فهذا ليس من شأنها. قالت: "حسنًا، دعينا نتغاضى عن ذلك، فنحن لم نطلب مقابلتك لهذا السبب. هل تعلمين أننا عثرنا على جثة امرأة شابة في البحيرة، أو بالأحرى في النهر الذي ينبع منها؟". "حقًا؟". "نعم".

هل من المعقول أنها لم تكن تعرف ذلك؟ ظلت "تينا" صامتة، في انتظار أن تفصح لها بأي طريقة كانت عن أنها

سمعت أي شيء عن القتيلة، ولكنها لم تفعل. قضمت قطعة البسكويت التالية ولعقت شفتيها قليلًا وهي تبتلعها. وجدت "تينا" نفسها تفكر في الجنس الفَمَوي.. بهاتين الشفتين الصغيرتين جدًا.. قالت "باربرا": "لا أعلم، لا أعلم حقيقةً. لم يبلغني بخبرها أحد". "الخبر في جميع الصحف وعلى شاشات التليفزيون". "كما ترين، أنا لا أشاهد التليفزيون على الإطلاق". وعندما نظرت إليها "تينا" مستفسرة، أضافت كأنها تعتذر قائلة: "أنا أقرأ الكتب".

تحدثت عن الكتب لبضع دقائق وذكرت أسماء مؤلفين لم تسمع بهم "تينا" من قبل. قالت "باربرا" بشيء من الخجل: "أنا أقرأ الروايات الرومانسية". لا، لم تنجح "تينا" في تكوين أي فكرة عن حقيقة هذه الفتاة.. لكن، نعم.. لم يكن بالفندق سواها ولثلاثة أيام متتالية ولم تكن جزءًا من فريق كلية التكنولوجيا الحيوية.

عندما أخرجت "تينا" محفظتها لدفع الفاتورة قالت "باربرا": "بصراحة، شعرت بالملل قليلًا. كان "برين" يقضي معهم النهار كله وحتى بعد ذلك، كما تعرفين، فهو..". مالت نحو "تينا"، ومن امرأة لامرأة حازت على ثقتها همست قائلة: "لم نجد الكثير لنقم به معًا". رفعت قبضتها الصغيرة.. وهَزهَزَت خنصرها ثم أرخته وقالت: "لم يجرؤ على تناول تلك المنشطات، بسبب ضغط الدم..".

في طريق عودتها إلى محطة الحافلات في شارع "بريشيرين" حاولت "تينا" أن تفكر بعقلية الشرطي. هل من

المعقول أن هذه الطفلة البالغة من العمر ثمانية عشر عامًا شاركت السرير مع رجل عجوز له علاقة بالجثة التي انْتُشِلت من الماء؟ كم عمر "ميهليتش"؟ خمسة وستون؟ بل يزيد؟ لم يكن صغير السن عند ولادة "باربرا". رن تليفونها. أخرجته من حقيبتها. كان "تاراس". قال: "مرحبًا، أين أنتِ؟". أخبرته أنها التقت بالفتاة وأنها في طريقها إلى المحطة. "ثم؟". قالت: "ثم لا شيء..". تعتقد "تينا" أن لقاءها بـ"بربارا" لم يُضف أي شيء مفيد. لم يدعها تنتهي من كلامها بل قال: "نعم، توقعت ذلك. هل يمكنك التحقق من رقم السيارة الذي سأمليه عليكِ عندما تصلين المكتب؟". عثرت على قلم ودونت الرقم. سألته قائلة: "مَنْ تفترض أن يكون مالكها؟".

من الواضح أنه أغلق التليفون بالفعل ونسي أن ينهي المكالمة. لم تسمع على الطرف الآخر من الخط سوى الموسيقى. هل كانت موسيقى "الروك" لفريق "بون جوفي" الأمريكي؟

كان مزاجه معتدلًا بلا أي سبب حقيقي يدعو لذلك. قال على نغمات أغنية "سرير من الورود :"Bed of Roses "هكذا وضعنا علامة (✓) على اسم "باربرا" في القائمة".

انتظر انتهاء الأغنية، ثم تَلَمَّس مكان زر تغيير محطات الراديو أسفل عجلة القيادة، وضغط عليه عدة مرات ومن دقات موسيقى "الروك" التي تبثها محطة إذاعية خاصة، انتقل إلى البرنامج الثالث لراديو الدولة، واستمع إلى ما يكفي من الموسيقى الكلاسيكية مما جعله يقرر أنه لا يرغب في

سماعها الآن، وعاد إلى موسيقى الروك وبمجرد أن بدأ المغني "أليس كوبر" في غناء مطلع أغنية "السم": "أنتِ سُم يسري.." رن تليفونه وبدون النظر إلى المتصل، ودون خفض مستوى الصوت، ضغط على الزر لاستقبال المكالمة.

سمع صوتها عبر سماعة "الهاند فري" اللاسلكية. إنها "ألينكا"، بدا صوتها متأثرًا حتى إنه شعر بالأسف على الفور لأنه سيتوقف عند "يوووووو.." التي يغنيها "أليس كوبر" من أعماقه.

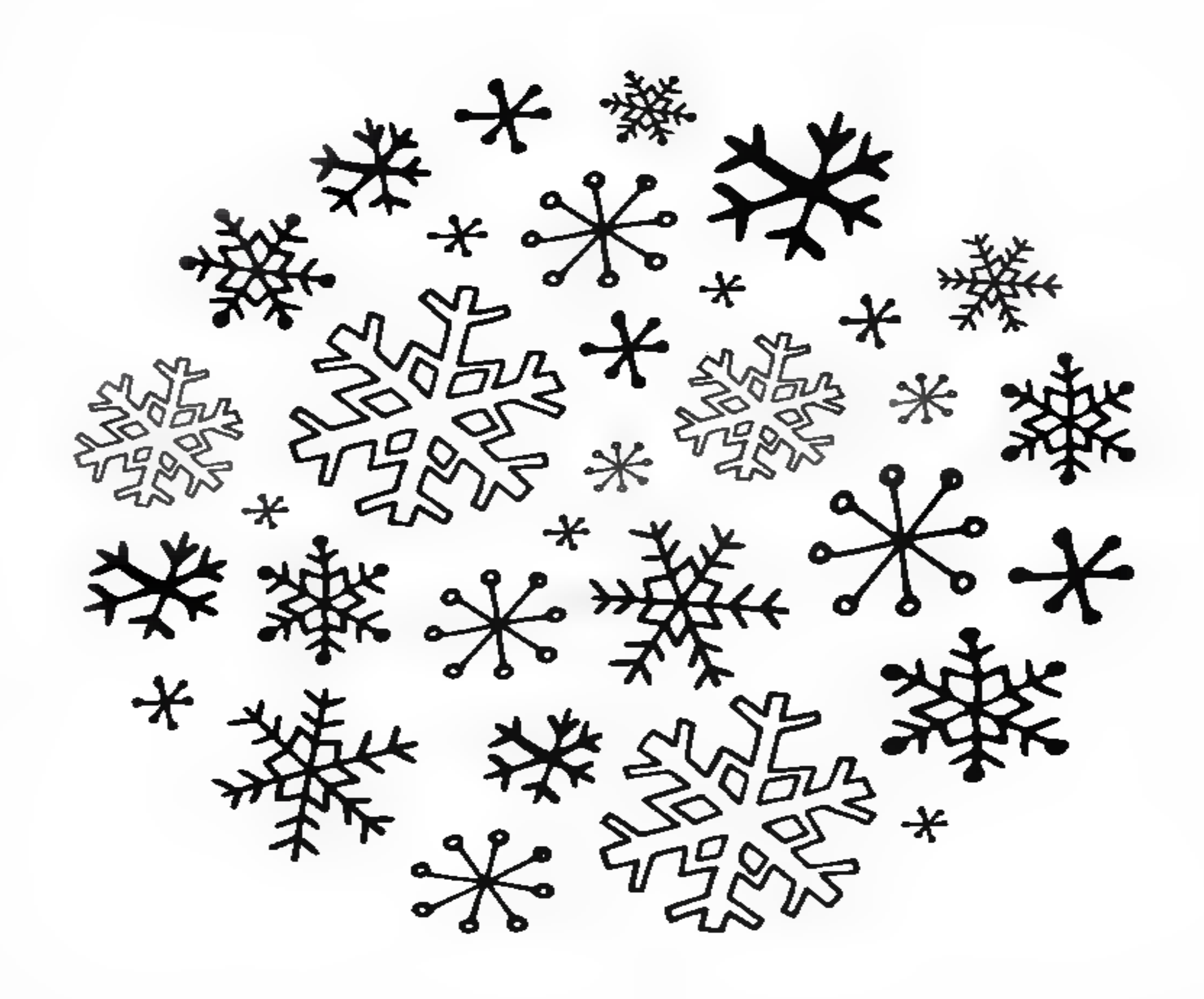
قالت "ألينكا": "هل سمعت الخبر؟". أوقف الموسيقى.

حدث أن اتصلت وتحدثت إليه بهذه النبرة، ثلاث، وربما أربع مرات حتى الآن، وفي كل مرة ينتابه القلق، فقد يكون ثمة مكروه أصاب ابنتيهما. وفي كل مرة يقول لنفسه أنه إذا حدث مكروه، لما بدأت الجملة بـ"هل سمعت.."؟ إلا أنها تظل بداية غير شافية. قاطعها وقد نفد صبره قائلًا: "سمعت ماذا؟". "أصيب "بريلك" بسكتة دماغية". لم يكن خبرًا لطيفًا، غير أنه تنفس الصعداء. أكملت قائلة: "منذ نصف ساعة، وهو في عمله". "هل حالته سيئة؟". "نزيف في المخ. إنني اتصلت بـ"بلاجيتش"، أتذكره؟ إنه طبيب بقسم الأعصاب ولم يفصح عن شيء سوى أن الحالة لا تبشر بالخير".

أنهيا المكالمة قبل بلدة "تروبان" التي اعتقد "تاراس" أنه سيبلغها في غضون عشرين دقيقة أخرى ورغم ذلك ظل مزاجه معتدلًا. رفع الصوت في الراديو فسمع أحدهم يغني:

"الجو حار بالمدينة، حار بالمدينة الليلة" وهو ما يتناقض بشكل غريب مع ما يمر به من مناظر طبيعية تكسوها الثلوج.

الفصل الثاني والعشرون



عندما دخل كل من "برايك" و"أوسترتس" إلى غرفة المكتب، وجدا كل من "تاراس" و"تينا" يقفان أمام جهاز كمبيوتر "تينا". الواقع أنها كانت تجلس أمام الكمبيوتر.. وتكتب، بينما وقف "تاراس" خلفها يدقق النظر في شاشتها. كان "أوسترتس" أول من دخل الغرفة فسمع "تاراس" يقول: "أنا لست محصل ضرائب، أبلغيها أن تأتي إلى هنا".

كتبت "تينا" شيئًا ثم ضغطت على زر الإرسال. لم ينتظرا طويلًا حتى تلقيا الرد. أومأ "تاراس" وكتبت "تينا" شيئًا آخر

وانتظرا. عندما تلقيا الرد الثاني، بدا مُرضِيًا تمامًا، فأومأ "تاراس" إلى زميليه قائلًا: "مرحبًا".

عندما وصل "تاراس" إلى المكتب، لم تكن "تينا" موجودة. وجد ورقة على مكتبه مدون بها رقم سيارة ليوبليانا الذي طلب منها التحقق منه وقد كُتب تحته اسم بأحرف صغيرة للغاية حتى إن "تاراس" اضطر أن يبعد الورقة عن عينيه بطول ذراعه كي يتمكن من قراءتها، "إيفا باسكا"، وجد "تاراس" لقب "باسكا" مضحكًا. بينما كان يضع الورقة على المكتب، اجتازت "تينا" الباب وهي تجفف يديها بمنديل ورقي. قالت: "مرحبًا". رد التحية وهو يرفع الورقة مرة أخرى. فقالت: "نعم، اتصلت بعنوان منزلها ولم أجدها، ثم بتليفونها المحمول، وظللت أتلقى رسالة تقول إن الرقم غير متاح، ثم اتصلت بمقر عملها..". قلبت بعض الأوراق على مكتبها ثم تابعت قائلة: "شركة "هيدوتكنيكا" للمياه في ليوبليانا، حيث..". قاطعها "تاراس" قائلًا: "لم تجدينها؟". أومأت "تينا" ثم قالت: "نعم، لم أجدها، قالوا إنها غير موجودة، لكن بمجرد أن استخدمت تكتيكاتك، أعطوني بريدها الإلكتروني على مضض وقالوا إنها تقضي عطلة في تايلاند، والحقيقة أنها كانت في طريق عودتها من هناك، وهم يتوقعون أن تكون في عملها غدًا". "تكتيكاتي؟". "لجأت إلى الوقاحة.. هددتهم بإجراء نوع من التفتيش لمقر عملها، على ما أذكر". تمتم "تاراس" قائلًا: "فتاة ذكية".

ظن "تاراس" أنه لمح احمرارًا بوجهها من الخجل، إلا أنه لم

يستطع التأكد من ذلك لأنها جلست على الكمبيوتر وضغطت على أزرار لوحة المفاتيح لتكتب شيئًا. قالت "تينا": "حسنًا، في الواقع، ها هو..". قفز "تاراس" إلى حيث تجلس ووقف خلفها وتفقد شاشتها فقالت: "لقد أرسلت لها رسالة قبل خمس دقائق فقط..". "ولم تتلقِ ردًا بالطبع". قرأت "تينا" الرد: "أنا في مطار فرانكفورت، في طريق العودة من العطلة. هل الأمر ملح؟". تنهد "تاراس" فنظرت إليه "تينا" بدهشة، فقال: "كان يجب أن تكون ميتة، ما اسمها؟". "إيفا باسكا"؟". "أيًا كان.. لقد ظننت أنها مَنْ أسميناها "جين دو" المجهولة الهوية". صمتَ فسألته وهو يقف واضعًا يده على ظهر كرسيها: "ماذا أقول لها؟". "إنني آسف لأنها على قيد الحياة". التفتت خلفها ونظرت إليه، فقال ببطء: "أبلغيها إننا بحاجة إلى التحدث معها على وجه السرعة، فلنقل الساعة الثامنة من صباح الغد". "في منزلها؟ في عملها؟". "لا، لقد سئمت من هذا. أنا ضابط شرطة يحقق في جريمة قتل، ولست محصل ضرائب. أبلغيها أن تأتي إلى هنا".

***

لم يكن يوم الجمعة يومًا مناسبًا لزيارة "سيمونا ناتيك"، مديرة مركز الخدمات الاجتماعية في "يسينيتسه"، ليس لأنها لا تعمل يوم الجمعة، بل لأنها كانت غارقة في العمل حتى أذنيها. عندما يسألها الناس أحيانًا عما يفعله الأخصائيون الاجتماعيون في الواقع ترد قائلة: "نحن نتعامل مع الناس من الولادة إلى القبر"، وكأن هذه الفترة المديدة لا تكفي

ليعرفوا إجابة السؤال. مؤخرًا، كُلفت إدارات الخدمات الاجتماعية أيضًا بتصنيف نفقات الجنازة نيابة عن الدولة مما يعني أنه حتى الموتى يأتون إليهم الآن من العالم الآخر، وذلك في صورة أقاربهم الذين يأتون لصرف تكاليف جنازات ذويهم. ويأتي على رأس كل المصاعب التي واجهوها ما يتعلق بحماية الطفل والأسرة والصحة العقلية للسكان الأكثر عرضة للحرمان الاجتماعي، ومتابعة أزماتهم المالية التي غالبًا ما كانت السبب الأول وراء اختلال صحتهم العقلية.

تعد "يسينيتسه" مكانًا فريدًا من نوعه بالنسبة لطبيعة عملها، إذ تغطي إدارتها المنطقة التي تمتد من "جيروفنيتسا" إلى الحدود النمساوية والإيطالية، أما منسق العلاج المجتمعي - وهو مسمى لطيف للتعامل مع اختلالات الصحة العقلية - فإنه يقوم بتغطية منطقة أوسع تقع، على أصعدة أخرى، تحت إشراف إدارات الخدمات الاجتماعية في بلدية "رادوفليتسا" و"ترجيتش". أما لماذا تعد "يسينيتسه" مكانًا فريدًا بالنسبة لطبيعة عملها، فذلك يعود أولًا إلى وجود مصانع الصلب التي تشتهر بها البلدة والتي جلبت أشخاصًا من المناطق الأقل تطورًا في يوغوسلافيا السابقة من أجل سد احتياجاتها من القوى العاملة، ولم يهتم أحد بما سيحدث لهؤلاء الأشخاص مع نهاية حياتهم العملية بالمصانع ولا بأي عبء سيمثلونه عليهم فيما بعد. كان المصنع كبيرًا جدًا ويحتاج إلى عدد هائل من العمال، أما السكان الأصليين للمدينة، وهم سكان محليون تعود جذورهم لهذه المنطقة

فإن نسبتهم إلى عدد السكان لا تتجاوز اليوم الثلث. وبعدما استقر الوافدون الجدد في المجتمع على مدار جيل أو جيلين، بدأ الأجانب الجدد يتوافدون على المنطقة، وكذلك المهاجرون من كوسوفو وألبانيا ومقدونيا.. ولأن معظم هؤلاء لا يتحدث سوى اللغة الألبانية، كان لا بد من توظيف مترجم يعمل بدوام جزئي كي يتواصل معهم. وفي هذا الإطار، قالت المديرة في اجتماع مجلس الإدارة الأخير: "إن منصب المترجم الفوري سيصبح قريبًا وظيفة ثابتة بدوام كامل".

وعقبت على ذلك في الاجتماع المنعقد في مكتبها بالطابق الثاني من مبنى بُني اللون يميل للاحمرار اشترته الوزارة مؤخرًا من مصانع الحديد قائلة لكل الحاضرين، وجميعهم من النساء: "على الأقل خرجنا من كل هذا بشيء مفيد. وظيفة مترجم ثابتة بدوام كامل".

لم تكن المديرة متشائمة بطبعها إلا أنها عجزت في بعض الأحيان عن منع شعورها بالتشاؤم كلما جلست إلى مكتبها وهي لا تدري من أين تبدأ يومها. هناك مشكلات تتعلق بعمال المصانع المتقاعدين الذين اضطروا للعيش على معاش تقاعدي زهيد وغالبًا ما يضطرون أيضًا إلى تقديم دعم مادي لأفراد آخرين من أسرهم، وهناك كذلك برنامج يضم جماعة الأبوة والأمومة الفاعلة، وهي واحدة من سبع عشرة جماعة أخرى يضع المركز مسألة تنظيمها على رأس أولويات عمله المعتاد، وهي تتراوح بين جماعة تساعد على دمج الأجنبيات في المجتمع، إلى جماعة تقدم خبزًا مجانيًا ووجبة دافئة

للفئات الأكثر احتياجًا، إلى جماعة تهتم بكبار السن الذين بلا أقارب عادة.

تنهدت "المديرة" وقررت أن العائلات التي تعاني من خلل وظيفي في أداء مهامها تجاه أفرادها ستحظى بالأولوية هذه المرة، لأنها عائلات تجد مشقة في تربية أطفالها، ولا تعرف أوجه صرف ميزانيتها، ولا تمتلك المهارات الاجتماعية الأساسية، ومن ثم يتعين على إدارتها تعليمهم كل هذه المهارات.

عندما رن جرس التليفون، لم تكن سعيدة بالمكالمة التي قاطعتها، بغض النظر عمن سيكون صاحبها. قالت الفتاة من مكتب الاستقبال: "يقولون إنهم من الشرطة". "ألم تسأليهم عن سبب الزيارة؟". "يقولون إنهم بحاجة إلى التحدث معكِ شخصيًا". تنهدت مرة أخرى وقالت لموظفة الاستقبال أن تسمح لهم بالدخول. ما سبب الزيارة؟ لم تستطع توقع أي شيء محدد رغم وجود احتمالات لا حصر لها بالطبع؛ فزيارات الشرطة لها اعتيادية. قال "برايك": "صباح الخير سيدة "ناتيك". قالت بتحفظ: "صباح الخير". لو لم يخبروها بأن الزوار من رجال الشرطة، لاعتقدت أن أحدهما من عملاء المكتب لأنه ينتمي إلى فئة كبار سن بلا أقارب.

حياها "أوسترتس" أيضًا قائلًا: "صباح الخير". سأل "برايك" وهو يتلفت حوله قائلًا: "هل يمكننا الجلوس؟ ". أشارت إلى طاولة حولها كرسيان. جلس المحققان إلى الطاولة وظلت هي جالسة إلى مكتبها. سأل "برايك" قائلًا: "لا بد أنكِ تودين

معرفة سبب الزيارة بالطبع؟". وعندما لم يجد ردًا، وبشيء من الارتباك، بدأ في سرد القصة وهو ما كان سيفعله في كل الأحوال.. ثم قال: "وفكرنا في أن نسأل مركز الخدمات الاجتماعية الذي يغطي تلك المنطقة". قالت: "لكننا لا نغطيها". "كيف ذلك؟ فمن إذًا؟". "رادوفليتسا". بلدية "رادوفليتسا" مسؤولة عن منطقة "بوهيني". "رادوفليتسا"؟". أومأت.

لعن "برايك" "تاراس" في سره وهو ينظر إلى "أوسترتس" الذي هز كتفيه استهجانًا. من المسؤول عن "بوهيني"؟ "يسينيتسه"؟ نهض وتوجه نحو الباب، ثم نهض "أوسترتس" على مضض وظل واقفًا بجوار الطاولة وهو متردد.. هل يتبعه أم لا؟ وبمجرد أن أمسك "برايك" بمقبض الباب واستدار ليقول وداعًا، فوجئ بأن "أوسترتس" لم يكن يتبعه. قال "أوسترتس" وهو يردد النظر بين "برايك" والمديرة: "أهذا يعني أنكِ لا تستطيعين مساعدتنا على الإطلاق؟". ابتسمت. إذا كان هناك شيء واحد تعلمته في عملها فهو ضبط أعصابها.

لطالما جاءها الناس بمشكلات يتعذر حلها وما زالوا يتوقعون، بل ويطالبون بإيجاد حلول لها، فيفقد الجميع أعصابهم، ويبكون، ويتوسلون، ويهددون.. إلا هي. قالت لـ"أوسترتس": "لم أقل ذلك، أيها المحقق".

ولاحظ "برايك" أنها نادت "أوسترتس" بالمحقق بينما لم تناديه بأي مُسَمى. قالت: "لم أقل سوى أن بلدية "رادوفليتسا" هي من تغطي منطقة "بوهيني"،

لا "يسينيتسه". نظرت إلى "برايك" وسألته قائلة: "هل ستجلس؟ ".

***

قال "برايك" لـ"تاراس": "خطر ببالي أن أدق رأس تلك المرأة اللعينة، لكنني تمالكت أعصابي وتراجعت، ثم أخبرتنا أنها تعاملت شخصيًا مع حالة وردت إليهم في وقت ما في نهاية الثمانينيات، وهي تخص امرأة هرعت إلى المستشفى في "يسينيتسه" في اللحظة الأخيرة من الولادة، وبعدما وضعت مولودها اختفت في صباح اليوم التالي". "اختفت؟". "نعم، تلاشت في الضباب. لقد سجلت نفسها باسم تبيّنَ فيما بعد أنه اسم وهمي وقد لَمْلَمَت أغراضها وغادرت". "والطفل؟". "طفلان.. توأم، صبي وفتاة. لم ينج الصبي، وعُرضت الفتاة للتبني". هزّش "تاراس" رأسه وهو يقول: "هل قمتم بـ..؟". "بالطبع فعلنا. فقد تبناها زوجان مسنان، توفيا العام الماضي، ميتة طبيعية، لا شيء مريب، وبعد ذلك..".

***

تابعت المديرة قائلة: ".. زارت الفتاة المركز. نحن نتابع أطفالنا، كما تعلمون، وعادة ما تربطنا علاقة طيبة بهم، وحتى لو انتقلوا إلى أجزاء أخرى من البلاد، فهم يلجأون إلينا دومًا حالما يحتاجون إلى أي مشورة أو مساعدة. أعتقد أننا نحن الأخصائيين الاجتماعيين نلعب دورًا مهمًا في حياتهم".

سأل "أوسترتس" قائلًا: "أكانت هذه آخر مرة رأيتها فيها؟".

أومأت. قال "أوسترتس": "ومتى كان ذلك؟". "في وقت ما في أوائل الخريف، نهاية سبتمبر، على ما أظن. لقد توصلنا إلى عنوانها ورقم تليفونها، فاتصلنا بها، وزرتها في منطقة "كروشكا بيلا"، بجوار "يسينيتسه" مباشرة.. وبعدها انقطع اتصالنا بها".

***

انتظر "تاراس" بفارغ الصبر أن ينتهي "برايك" من حديثه. قال "برايك": "منزل الوالدين.. منزل الوالدين بالتبني تم بيعه. أخبرنا الرجل الذي تحدثنا إليه أنه اشتراه من شابة قالت إنها راحلة خارج البلاد". "وهل لهذه المرأة.. هذه الفتاة، اسم؟". "بالطبع، "آنا زفونار"، لقب "زفونار" من والديها بالتبني". "وأين "آنا" هذه الآن؟". ضحك "برايك" وقال: "كما ترى، هذا ما لم نعرفه. كل ما توصلت إليه تحرياتنا أنها عملت معلمة بإحدى الحضانات في "يسينيتسه" وقدمت استقالتها في سبتمبر الماضي، وعرفنا أيضًا أنها كانت هادئة الطباع. عندما زارت مركز الخدمات الاجتماعية سألت عن والديها الحقيقيين.. وبالطبع لم يكن لدى المديرة ما تخبرها به". "وتليفونها؟". "رقم وهمي".

نقر "تاراس" على المكتب أمام لوحة المفاتيح، ثم حرك يده إلى رأسه وظل ينقر بإيقاع غير محدد في البداية، ولكن بعد ثانية أو ثانيتين بدا وكأنه ينقر نغمة مشهورة أو ينقر واحدة قيد الإعداد، ورغم ذلك لم يكن نقره كافيًا لأي شخص كي يخمن أيهما يعزف، ثم قال في النهاية: "تحققا من اسمها

في السجلات المدنية". تابع "برايك" قائلًا: "أما فيما يتعلق بالأمور التي طلبت أن نتحقق منها، فالنقطة الأولى هي أنك على حق.. السيارة ما زالت موجودة في مكانها وما زالت مغطاة بالثلج..".

قال "تاراس": "لم أكن على حق". "ولكن كيف، فهي ما زالت..؟". "حسنًا، انس الأولى.. النقطة الثانية؟". "نعم، ذهبنا إلى الفندق.. ما اسمه ثانية؟". ساعده "تاراس" قائلًا: "جيزيرو". "نعم. وهناك قابلنا الرجل الذي يعمل بمكتب الاستقبال وعاملة التنظيف. لم تُضف عاملة التنظيف أي جديد، بل ظلت تردد مِرارًا وتكرارًا أنها لا تقوم بشيء سوى التنظيف وبمقابل زهيد أيضًا..". "ثم؟". "حسنًا، وجدنا لدى موظف الاستقبال قصة أخرى. هنا..".

أخذ يقلب في دفتر ملاحظاته. سأله "تاراس" وقد نفد صبره قائلًا: "ماذا قال موظف الاستقبال؟". "ها هي.. قال الموظف إنه لاحظ أن عالم الأحياء الدقيقة هذا، أو رئيسهم أو أيًا كان..". سألته "تينا" قائلة: "العميد؟". "هو ذا. في صباح الثاني والعشرين من ديسمبر، وقبل يوم واحد من ذهاب العميد لقضاء عطلة، رآه الموظف وهو يتحدث إلى امرأة شابة لم تكن من الفندق، لكن موظف الاستقبال يظن أنها تبدو مألوفة بالنسبة له". "مألوفة؟ كيف؟ بصفتها نزيلة بالفندق.. مواطنة محلية، أم ماذا؟". "لم يكن يدري كيف. سألته الشيء نفسه وقال إنها تبدو مألوفة له بشكل غريب. هذه هي العبارة التي رددها، لكنه لا يتذكر من أين يعرفها.

وسألته عما إذا كان قد رآها من قبل بصفتها متزلجة على الجليد، أو من رواد الفندق المنتظمين، أو عاهرة، أو أي شيء من هذا القبيل، لكنني لم أجد لديه إجابة. كل ما كان يعرفه أنها بدت مألوفة له فحسب. أتعرف يا "تاراس" أن..؟". "أعرف. إن مواصفتها تتطابق إلى حد كبير، مع الفتاة التي انتشلناها من الجليد". "كيف عرفت؟". لم يرد "تاراس". ذهب إلى مكتبه وأخذ ينقر عليه بأصابعه ثم قال: "أخيرًا".

أخرج دفتر ملاحظاته، وأخذ يقلب صفحاته حتى وجد ما كان يبحث عنه ثم تناول سماعة التليفون واتصل بالرقم. ظل يرن لفترة من الوقت حتى ردت عليه سيدة قائلة: "كلية التكنولوجيا الحيوية، مكتب العميد، كيف يمكنني مساعدتك؟". جاءه الرد من الطرف الآخر من الخط كأنه صادر من جهاز الرد الآلي.

أوضح لها "تاراس" من هو وشدّدَ على عبارة "كبير المحققين الجنائيين"، ولكن يبدو أن ذلك لم يترك أي أثر يُذكر على السيدة، فقالت: "العميد ليس موجودًا". قال "تاراس": "لا بد أن تعثري عليه. إننا نحقق في جريمة قتل ولعله يستطيع مساعدتنا. أين أجده؟". حملت نبرة الطرف الآخر إحراجًا طفيفًا هذه المرة وهي تقول: "في منزل العطلات الذي يملكه في منطقة "بالا". سيبقى هناك حتى يوم الأحد لأنه يعمل على مشروع يحتاج إلى السكينة والهدوء. إنه يذهب هناك عندما يحتاج إلى أن يركز في عمله. يمكنني أن أعطيك رقم تليفونه المحمول..". "نعم". "لكنني أنبهك إلى عدم وجود

إشارة لشبكة التليفون في مكان وجوده. سأعطيك الرقم على أية حال وستكون محظوظًا إذا صادف وذهب العميد إلى بلدة "بوفيتس" أو إلى أي مكان أقرب إلى الوادي".

أملَته السكرتيرة الرقم وسألها "تاراس" أيضًا عن عنوان منزل العطلات. اتصل بالرقم بمجرد أن أنهى المكالمة فجاءه الرد كالتالي: "الرقم الذي طلبته غير متاح الآن".

نظر إلى "برايك" ثم "أوسترتس" الذي تجمد في مكانه وصرخ قائلًا: "تاراس"، لا بد أن أحضر طفلي من المدرسة. لا تزج بي في هذا الآن". لم يقل "برايك" أي شيء، ولم يكن هناك ما يدعوه لذلك، فقد فهم "تاراس" بدون أن يتكلم أنه قد تناول بضعة كؤوس من المشروبات الكحولية في "يسينيتسه"، وأي رئيس لَقّاح ما كان ليرسله إلى رحلة في حالته تلك.

سأله "برايك" بأريحيّة كأن "أوسترتس" قد حسم الأمر بالفعل قائلًا: "لا تقل إنك تفكر في السفر إلى "بالا" اليوم؟".

استدار نحو "تينا" التي ابتسمت ثم أشارت إلى نفسها بإصبع السبابة. قد لا يُعد جمالها أخاذًا، أو على الأقل من النظرة الأولى، لكن ابتسامتها لطيفة، لا، ليس فقط ابتسامتها.. كان يعتقد أنها واحدة من هؤلاء النساء اللواتي لا تلفتن الانتباه في حضور دميتان تجلسان إلى الطاولة المجاورة وترتديان سروالين قصيرين، لكن بعدما تغادر الدميتان وتبقى هي الوحيدة بالغرفة، تدرك أنت أنها تفوقهما

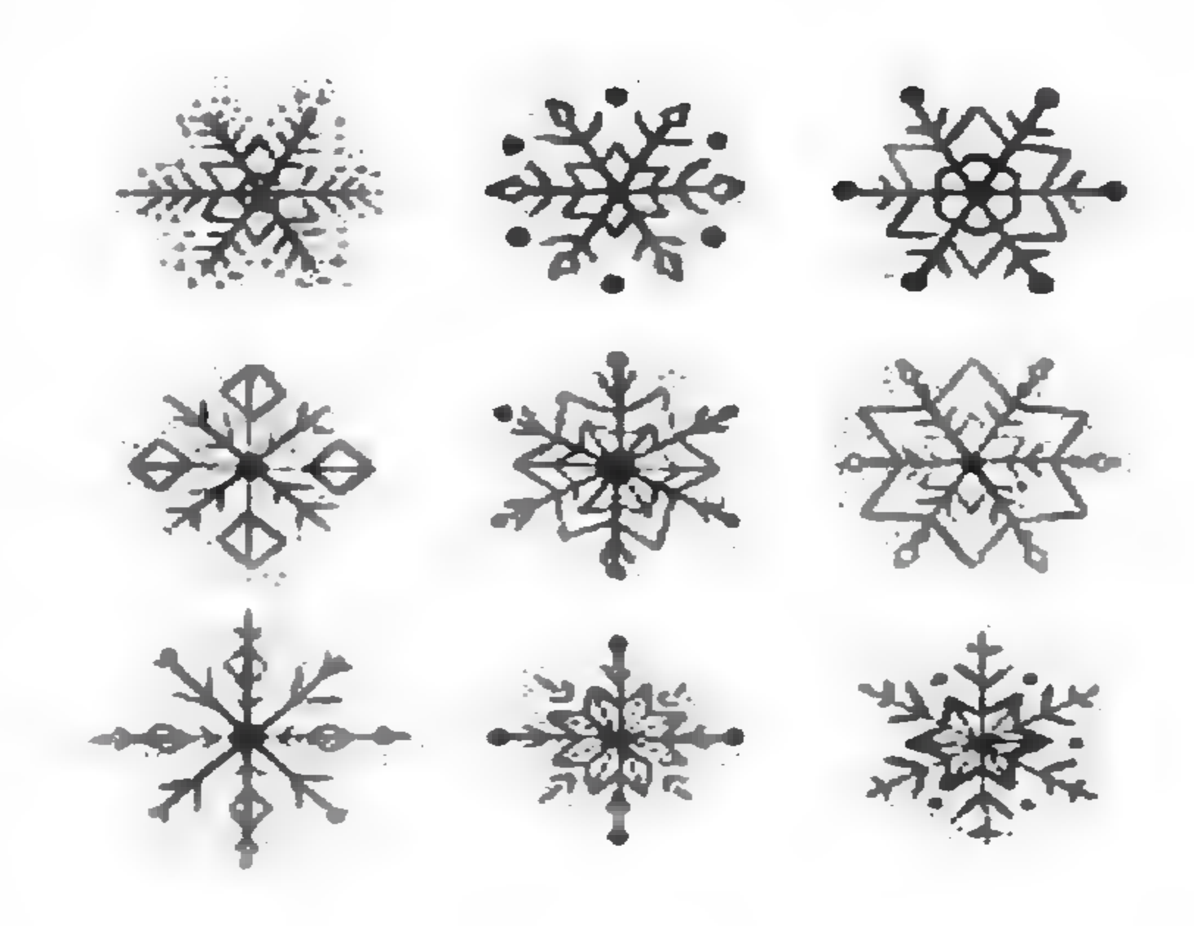
جمالًا في كل شيء. لعل الأمر كذلك، ولعل ذلك أيضًا من الأشياء التي لا يملك لها تفسيرًا. بمجرد أن التقى "درفاريتش" وزملاؤه اللاجنسيون على حدٍّ سواء بـ"تينا" ظنوا أنهم جاءوا بها إلى مِنَصّة للجمال، بينما هي في الواقع مِنَصّةٌ للصواريخ.

سألته "تينا" قائلة: "نعم، يا "تاراس"؟ ". قالتها بنَبرة تختلف تمامًا عن نَبرة "برايك" عندما قال: "لا تقل أنك تفكر في..؟". قال "تاراس": "هل تحببين رؤية الطبيعة البكر في أجمل وادي في جبال الألب؟". "هل تدعوني إلى رحلة.. إلى أين يا ترى؟". تحقق من الوقت على شاشة تليفونه وأومأ ثم قال: "إلى "بالا". نعم، لكن ليس اليوم، فلَدَيّ شيء أود لو بوسعي ألا أفعله. غدًا إذًا، عندما ننتهي من..". نظر إلى الورقة التي على المكتب المدون عليها رقم السيارة: LJ OB-073. ثم أكمل قائلًا: "وبعدها نذهب في رحلة إلى "ترينتا"، أتوافقين؟". قالت: "نعم".

وكعهده دائمًا، شَرَعَ "برايك" في حديث مستفيض عن كيف يخرج دائمًا إلى الميدان مع "أوسترتس"، دون غيره، دائمًا "أوسترتس" وليس أي شخص آخر، وليس أي شخص أصغر منه سنًا كأنما هناك أحد غيرهما في الفريق وكأنما كان هناك غيرهما قبل مجيء "تينا". نظر "تاراس" إلى "تينا" التي هزت كتفيها.



الفصل الثالث والعشرون



تردد "تاراس" عند دخوله الغرفة. لم يكن يخشى الموتى، إلا أن معاناة الأحياء أثرت في نفسه. فقد رافق الأسرة التي ربته وهو في سن الصبا لزيارة عمته التي ليست عمته، بل هكذا اعتاد أن يناديها، وذلك بعد إصابتها بجلطة دماغية، ويتذكر أنه رأى السيدة العجوز مستلقية على السرير عاجزة عن تحريك أي شيء في جسدها فيما عدا شفتيها، ولكن في صمت أيضًا. افترض "تاراس" أنها كانت تصلي.. رأى عينيها مفتوحتين على وسعهما، ومفعمتين برهبة صامتة تنبع من شخص يريد أن ينتهي كل شيء وبأسرع وقت ممكن. لم

يرَ "تاراس" ما يدل على أن الأشخاص المحيطين بسريرها يسهلون هذا الأمر عليها، بل إنهم ضايقوها أكثر وذلك لأنهم ببساطة ظلوا يروحون ويجيئون حولها ويتبادلون أطراف الحديث. فقد سمع هاتين الشفتين تقول لهم: "أتوسل إليكم، دعوني أستوفي صلاتي".. ورغم مرور أربعين عامًا على هذه الزيارة، إلا أن ذكراها ما زالت حية في وجدانه.

إذا كان "بريلك" مستلقيًا هناك بلا حراك كجثة هامدة، فعليه أن يبذل جهدًا كي يتظاهر بالحزن والشفقة عليه، وهو شيء لا علاقة له بـ"ألينكا"، سواء كان مرتبطًا بها أم لا. لم يكن "بريلك" يندرج ضمن مجموعة معينة من الناس لا يستطيع "تاراس" العيش بدونها؛ مجموعته التي تتكون من ثلاثة أفرد فقط ولن يبكي أحد سواهم. لن يبكي "بريلك" الذي لم يكن يومًا عضوًا في مجموعته، ولم تنقطع بهما السبل يومًا في أثناء التسلق، ولم يشاركه خيمة مزقتها رياح الإعصار عند درجة حرارة تنخفض عن الصفر بعشر درجات وتهدد بأن تُطيح بهم من على ارتفاع خمسة آلاف متر في مضيق نهر "كالي غانداكي" بجبال الهمالايا.

عندما فتح "تاراس" باب الغرفة كانت "كارين" زوجة "بريلك" أول من رأى، هذا إذا أسعفته ذاكرته واستدعى اسمها الصحيح. خطا داخل الغرفة في صمت وأغلق الباب خلفه ثم تَنَحنَح. استدارت "كارين" ولما رأته ابتسمت، أو بالأحرى حاولت أن تبتسم. كان وجهها ملطخًا بكحل المسكرة الأسود الذي أذابته دموعها، وعندما ابتسمت حَوّلَ الكحل المسال

صفحة وجهها لقناع غريب الشكل. رد "تاراس" ابتسامتها بأخرى وعندما اقترب رأى أنها تمسك بيد زوجها التي ارتخت بلا حراك بين كفيها. بدا وكأنه نائم، لا، ليس نائمًا، بل ميتًا. تركت يده ونهضت ثم عانقت "تاراس". ربت "تاراس" على ظهرها وهو محرج بعض الشيء كحال أي رجل تعانقه امرأة لم يلتق بها إلا مرة واحدة، أيًا كانت الظروف.

نظر خلفها وهو يعانقها، فرأى كم اختلف وجه "بريلك" تمامًا عن ذاك الذي رآه آخر مرة حتى إنه بالكاد تعرف عليه. إنه ليس "بريلك" المفعم بالصحة والحيوية، زير النساء العجوز، بشعره الأشيب الفاتح، بل يميل إلى الشيب، والذي يعد غزيرًا بشكل مدهش مقارنة بعمره، فمن يرقد أمامه الآن إنما هو شيخ شاحب وكأن دماءه استنزفت من جسده، ومن ثم لم يعد هناك فارق يُذكر تقريبًا بين الجلد والشعر الذي بدا مُلَبّدًا، مُتَجَعّدًا، وملتصقًا بجمجمته. والأسوأ أن "تاراس" رأى في منتصف هذا الوجه الساكن الذي يعد جثة أكثر من كونه جسدًا حيًا، عينين مفعمتين بالحياة، كحالهما دائمًا، بل وأكثر من مفعمة مقارنة بملامح تلك الجثة المحيطة بهما. أخذت عيناه تتابعان "تاراس" وهو يربت على كتف "كارين" التي ظلت تردد وهي تبكي: "أرأيت، يا "تاراس"، أرأيت؟". لم يسمع منها سوى هذه الجملة التي ظلت ترددها مرارًا وتكرارًا: أرأيت، أرأيت..؟

بعدما أفلتته من بين ذراعيها أخيرًا تهاوت على الكرسي، فظل "تاراس" واقفًا وتمنى أنها لم تفلته لأنه ظل واقفًا بجوار

السرير لا يدري ماذا يفعل، فإذا نظر إلى وجه "بريلك" سيرى عينيه اللتين تَقشَعِر لهما الأبدان، وإذا أشاح ببصره، سيشعر بالإحراج مِنْ فَوْرِهِ. سألها "تاراس": "ما مدى سوء حالته؟". تلقى المزيد من نحيبها وهي تجيب عن سؤاله، فقال: "سؤالي سخيف، نعم، إنني أرى بِأُمِّ عَيْنَيّ أنه..".

وجدت "كارين" بعض المناديل الورقية على الطاولة بجوار السرير، فجذبت منديلًا من العبوة البلاستيكية وجففت عينيها، فلطخت وجهها بكحل المسكرة الأسود. لم يكن يدري هل من اللائق أن يخبرها بذلك أم لا؟

قالت: "إنهم لا يعرفون. يقولون إنهم لا يعرفون حتى الآن، وأنه من المبكر جدًا أن يوصفوا حالته الطبية. إما أنهم لا يعرفون، أو لا يريدون أن يقولوا، هكذا هم الأطباء".

تمالك "تاراس" نفسه وهو ينظر الآن في عيني الرجل المريض. رأى "بريلك" عاجزًا عن إغماض جفنيه، على الأقل هذا ما افترضه "تاراس"، ويبدو أنه لم يغمضهما طوال الوقت. رأى قَطّارَة العَيْنِ على الطاولة بجوار السرير ومن الواضح أن "كارين" نسيتها. سألها قائلًا: "هل هذه قَطّارَة العَيْنِ؟". قالت: "نعم، نعم". تناولت الزجاجة وأقْطَرت في عينيه لترطبهما. لم يرف له جفن. قالت "كارين" شاكية: "إنني لا أصدق.. لا أصدق.. منذ أربعين عامًا.. وطوال.. طوال حياتي، انتظرت منه أن.. لا أصدق.. لماذا حدث له ذلك.. طوال حياتي..".

كان الهواء خانقًا بالغرفة المعبئة برائحة دواء يمتزج بروائح إفرازات الجسم والعرق والبول. ولأنه الشتاء، فقد أغلقت بالطبع النافذة الوحيدة بالغرفة.

قالت "كارين": "أخبرتني "ألينكا" إنها قادمة و..". قال "تاراس" عندما توقفت عن الكلام: "الحقيقة أنني لا أعرف لماذا لم تصل حتى الآن. كان من المفترض أن نأتي معًا، ثم، كما تعرفين، كان عليها تنظيم شئون العيادة، والآن بما أن.. حسنًا، كما تعرفين..".

التزم الصمت ولم تعلق "كارين". وقف بجوار سرير "بريلك" الممدد بلا حراك ينظر في عينيه اللتين تحدقان به. قبل أيام قليلة فقط جلسا معًا في البلكون، دخن "بريلك" سيجارة "ماريجوانا" وأخذ يتحدث عن صَوْلاته وجولاته في غرفة نومه، وما زالت الحياة تدب فيه.. كان يمشي.. يركض.. يتحدث.. ويتباهى بنفسه.. ويحتسي الخمر الذي لم يستطع "تاراس" أن يحتسيه. والآن.. لا شيء من هذا. لا يحتاج "تاراس" إلى طبيب ليشرح له أنه لن يفعل ذلك مجددًا. هل يعي ما يجري حوله؟ هل يراقبه في هذه اللحظة ويشعر بالفزع لأنه يقرأ من ملامح وجهه كم أن حالته ميؤوس منها؟ وهل لمن عجز عن التحكم حتى في جفنيه أن يعي ما يجري من حوله؟ هل يتمنى "بريلك" أن يخرج "تاراس"، مسدس "بيريتا" من جيب سترته الداخلي ويطلق على رأسه رصاصة الرحمة، كما يحدث في بعض الأفلام؟

جلست "كارين" بجوار "بريلك" وأمسكت يده بكفيها،

وأخذت تَقْطُر بين فترةٍ وأُخرى محلول الماء في عينيه. طال الوقت.. وعندما دخلت "ألينكا" أخيرًا إلى الغرفة، شعر "تاراس" في الواقع بإنهاك يشبه.. لا، لم يستطع تشبيه هذا الشعور بأي شيء آخر.

تعانقت المرأتان وتكرر البكاء والنحيب أنفسهما، على غرار ما كان من قبل، حتى إن "تاراس" تساءل دون أن يدري عما إذا كان حزنها هذا حقيقة أم تمثيلًا. بمجرد أن واتته هذه الفكرة، شعر بالذنب. شرعت "ألينكا" في البكاء بمجرد أن خطت داخل الغرفة وانهمرت الدموع على وجنتيها وتساقطت على الأرض. ومهما كان لقاء المرأتين اليائستين حزينًا ومؤلمًا، إلا أنه جلب لـ"تاراس" نوعًا من الراحة تشبه تلك التي يشعر بها بطل مسرحية تنحسر عنه الأضواء لبعض الوقت لتذهب إلى شخصية ثانوية، فيلتقط البطل أنفاسه في الظل على حافة خشبة المسرح قبل أن يعاود التمثيل مرة أخرى. نظر "تاراس" إلى "بريلك" وجفل.

عيناه.. ظلت عيناه تحدقان صوبه مباشرة، أو هكذا بدا له، وبمجهود يفوق طاقة البشر أخذتا تتفرسان بـ"تاراس" دون غيره. تفصدت قطرات العرق على جبهته وبدا سطح جلد وجهه الجامد الفاقد الإحساس مشدودًا، كأن العضلات من تحته تجاهد كي تعثر على وَصْلة تَلامُس بها دماغه إلا أنهم استنفدوا طاقتهم قبل أن يصلوا إليها. انحنى "تاراس" عليه بينما استمرت "كارين" في النحيب وظلت "ألينكا" تربت على كتفيها وظهرها وهي تقول: "ستتحسن حالته، يا "كارين"،

سيكون كل شيء على ما يرام..".

أخرجت بعض المناديل من حقيبة يدها ومسحت الدموع على وجه المرأة المُنكسِر والتي لم تتحسن حالتها كثيرًا بعد هذه المواساة. أمسك "تاراس" بيد "بريلك" وربت عليها وهو يقول: "كيف حالك أيها الرجل العجوز؟". هكذا سأله بلطف وهدوء حتى يتمكن "بريلك" من سماعه، هذا إذا كان بوسعه أن يسمعه من الأصل. انحنى نحوه كأنه يتوقع منه استجابة..

خرج من فم "بريلك" صوت: " غرغررررر"، شيء يشبه "غرغررررر".. فقفز "تاراس" بشكل غريزي بعيدًا عنه ثم سألهما رغم أنه لم يكن مضطرًا لذلك قائلًا: "هل سمعتما هذا؟".

قفزت "كارين" ومرت أمامه وهي تدفعه بعيدًا ثم عانقت زوجها وهي تقول: "رايكو"! ماذا قلت؟ ماذا تقول؟".

احتضنته بشدة، وهزت رأسه بقوة لدرجة أن "تاراس" خشي أن تؤذيه بلا قصد. وبدا الأمر كأنها تحاول أن تجر من فمه الكلام، فأخذت تقول: "هَيّا أخبرني، أخبرني..".

استمرت تهذي وتكرر الجملة نفسها، فأخذ "تاراس" ينقر على كتفها بخفة وهو يقول: "برفق، برفق يا "كارين"..".

وقفت "ألينكا" وراءها وقد تحولت الآن من الصديقة المصدومة إلى الطبيبة. أدرك "تاراس" هذا التحول المفاجئ، وأكتشف أن أجمل ما فيه أن "ألينكا" الصديقة ليست أقل إخلاصًا بأي درجة من الطبيبة. أشارت إليه "ألينكا" كي

يتراجع للخلف قليلاً وسألته: "ماذا حدث؟". "لقد قال شيئًا، أو بالأحرى حاول أن يقول شيئًا؟". "هل أنت واثق؟". أومأ لها. قالت: "سأستدعي الطبيب". ثم تكلمت بلغة الإشارة، ففهم أن عليه أن يراقب "كارين" عن كثب.

لم تكن بحاجة لأن تكلمه بلغة الإشارة. بعدما غادرت "ألينكا" استدار "تاراس" فوجد "كارين" قد عادت مرة أخرى لتجلس بهدوء بجوار السرير وتمسك بيد زوجها بكفيها، مثلما كانت تمامًا عندما دخل الغرفة. استلقى "بريلك" ساكتًا كوجهه بالضبط. أيًا كان ما أراد أن يقوله.. فإن وَصَلات مخه لم تتلامس فحسب.

عندما خرج "بلاجيتش" من الغرفة سألته "ألينكا" قائلة: "كيف حاله؟". هز "بلاجيتش" رأسه بالنفي.. "بلاجيتش" العجوز السمين والذي قال "بريلك" عن زوجته أنها الوحيدة التي لم يضاجعها، هذا إذا سلمنا بصدق كلامه. عندما أحضرته "ألينكا" إلى الغرفة، أومأ برأسه لـ"تاراس" ليشد من أزره. إذا كان على "تاراس" أن يختار طبيبًا يراه الأكثر قبولًا من بين أولئك الذين حضروا حفلة ليلة رأس السنة الجديدة، فسوف يختار "بلاجيت

قالت "ألينكا": "ميلان"، هيا أخبرنا فأنت لم تدرس الطب لسبع سنوات كي تهز لنا رأسك فحسب". تنهد "بلاجيتش" وبدأ يتحدث وهو يتوارى خلف عبارات طبية طنانة، ومن ثم لم يفهم "تاراس" نصف ما قاله، غير أنه أدرك أن حالته متدهورة. قال "بلاجيتش": "نزيف في المخ.. ارتفاع ضغط

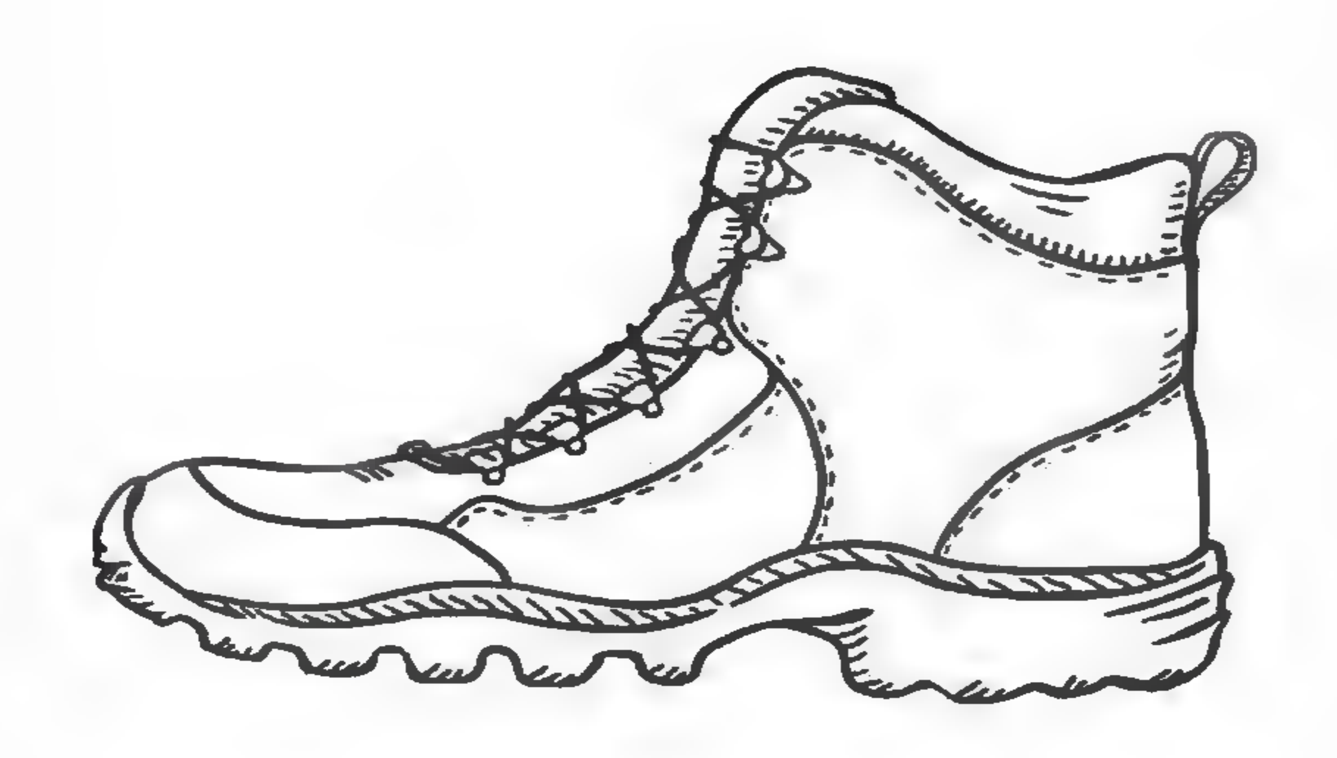
الدم.. تمدد الأوعية الدموية.. قصور في نوى المهاد الحسية والحواسية.. قصور الأوعية الدموية.. أو شيء من قبيل.. الناسور الشرياني الوريدي..".

عندما انتهى من توصيفه للحالة الطبية بدا منهكًا وكذلك "ألينكا". ظلا صامتين لبرهة، ثم تحدث "بلاجيتش" مرة أخرى، قائلًا وهو ينظر إلى "تاراس": "مهما كان الذي أراد أن يقوله، فقد كنت آخر مَنْ يسمع صوته". قال "تاراس": "لن يكون قادرًا على التحدث بعد الآن أم..". قالت "ألينكا": "قد يموت "بريلك" اليوم، غدًا، في غضون عام..". ثم انخرطت في البكاء مرة أخرى. أومأ "بلاجيتش" وتنهد ثم قال: "غدًا على الأرجح أكثر منه في غضون عام. بصراحة، إذا حدث لي أي شيء مشابه، فلن أفعل شيئًا سوى التوسل كي تُزهق روحي. لا أتمنى لأي شخص أن يحدث له ما حدث لـ"رايكو" المسكين".

ربت على ظهر "ألينكا"، وصافح "تاراس" وبدأ يمشي في الممر ثم استدار بعد بضع خطوات قليلة وقال: "أعرف أيها المحقق أن الوقت غير مناسب حقًا.. لكن هل ألقيت القبض على قاتل تلك المرأة؟". قال "تاراس": "لا". "حسنًا. حظًا سعيدًا إذًا". بعد أن تلاشت وقع خطوات "بالاجيتش" ببضع ثوان، تهاوى الاثنان على المقاعد في ممر المستشفى، لا شيء مسموع سوى نحيب "ألينكا" وشهقاتها. انتظر "تاراس" حتى توقفت وناولها منديلًا ورقيًا، ثم قال: "لطخ المكياج وجهك وحول عينيك". تناولت منه المنديل شاكِرة ومسحت أكبر قدر

ممكن من المكياج، ثم قالت: "بخصوص رحلة التزلج تلك، لا بد أن..". قاطعها "تاراس" قائلًا: "لا بأس، أنا مقدر الموقف وأتفهمه". "لا، لن نلغيها. سنذهب هذا العام، مهما حدث. يمكننا تقليل مدتها فحسب، أليس كذلك؟". أومأ برأسه. تقليل مدتها على الأقل. سألها: "هل لديكِ فكرة أين حدث له ذلك؟". "في العمل على ما يبدو، في مكتبه أو في مكان ما.. لا أدري". "لم أفهم ما كان يقوله "بلاجيتش". ما السبب؟". تنهدت، ثم تمالكت نفسها وقالت: "إنهم لا يعرفون.. تمزق شرياني. لماذا؟ ألف سبب وسبب". نهضت ونظرت إليه. "دعينا نذهب ونودع "كارين"؟".

الفصل الرابع والعشرون



الاثنين 8 يناير

تَجاوَز "تاراس" تصفحه المعتاد للصحف الإلكترونية، وبدلًا من ذلك قام بكتابة تقرير عن اجتماعه مع "ميهليتش". اختصر شرحه الطويل في بضع جمل وطبع التقرير ثم قرأه مرة أخرى. جلس لبعض الوقت خلف مكتبه وهو يُدَلِّك جبهته وحافة فروة رأسه بأصابعه. وجدته "تينا" على هذا الحال قبل السابعة والنصف تمامًا.

وبدلًا من تحيته سألته قائلة: "ماذا تقول الخلايا

الرمادية الصغيرة لذكائك الحاد اليوم؟". بدلًا من الإجابة سألها "تاراس" قائلًا: "هل قرأتِ روايات "أجاثا كريستي" ومحققها "بوارو" صاحب الخلايا الرمادية؟". "لقد قرأت لكل كتّاب الرواية البوليسية.. من أجاثا حتى هؤلاء الكتّاب الإسكندنافيين المعاصرين من أمثال الروائي النرويجي "جو نسبو".. وغيرهم". "ثم؟". "من منهم أراه الأفضل؟". أومأ "تاراس". قطبت جبينها، ومالت برأسها يمينًا ثم يسارًا، وهي تحاول أن تقرر.. ثم سألته قائلة: "من أراه الأفضل، أم من أحبه أكثر؟". "من تحبين؟". قالت: "نسبو". ثم أوضحت على الفور قائلة: "نعم، أعلم أن بطل رواياته "هاري هول" هذا، أو أيًا كان اسمه يُعد "سوبرمان". فقد كرس نفسه لعمله بشكل يفوق التصور، وفي الوقت نفسه أدمن على الكحول ولم يترك واحدة من مساعداته من الشرطيات إلا وضاجعها أو على الأقل أوقعها في حبه.. لماذا تبتسم؟". قال "تاراس": "لأنني لست مثله". بالفعل لم يكن "تاراس" مثله. تابعت قائلة: "حسنًا. مبدئيًا، إذا اضطررت إلى اختيار واحدة من روايات الجريمة كي آخذها معي في عطلة، فسوف أختار رواية لـ"نسبو" رغم أن رواياته أثقل بكثير من روايات "أجاثا كريستي" وقد تجد قراءتها مملة على الشاطئ. وأنت، هل قرأتها؟". "لقد قرأت بعض روايات "أجاثا كريستي" في زمني، وتخبرني خلايا ذكائي الرمادية الصغيرة أن ثمّة هواء بدأ يملأ منطادنا لحسن الحظ وينبغي أن ينطلق عاجلاً أو آجلاً".

رمقته بنظرة متسائلة، فقال: "أعني قضيتنا".

وصلت "إيفا براسكا" في الموعد المحدد. في الواقع استدعى البواب "تينا" من مكتبها في حوالي الثامنة إلا دقيقتين. خرجت لاستقبالها وعادت بصحبة امرأة ذات شعر داكن وبشرة سمراء اللون، سمينة بعض الشيء، في منتصف الثلاثينيات من عمرها. استقبلها "تاراس" وصافحها وقدم لها كرسيًا وضعه أمام مكتبه. جلست ووضعت ساقًا على ساق ونظرت إلى "تاراس" بقلق وترقب.

سألها "تاراس": "هل تعرفين سبب استدعائك هنا؟". هزت رأسها بالنفي، وتحسبًا ألا يكون هذا الرد كافيًا، أضافت بعد فترة توقف لا بأس بها قائلة: "لا، لا أعرف. لا أعرف حقيقة". "هل أنتِ صاحبة السيارة المسجلة والتي تحمل رقم..". ثم قرأ الرقم من ملاحظة مدونة بدفتره. قالت: "لا". وبعد فترة تذكرت أن تهز رأسها بالنفي فسألها: "ماذا تعنين بـ"لا"؟ - "حسنًا.. أنا لست.. أعني، لم أعد أملكها. اعتقدت أن كل هذا تم تسويته، لكنني أخشى، وكما أرى الآن.. ماذا فعل هذه المرة؟". عندما رأى "تاراس" أنها على وشك أن تجهش في البكاء، قال: "اهدئي، أخبريني بالموضوع بهدوء وتمهل. لم يرتكب أحد أي عمل مخالف للقانون. لقد عثرنا لتونا على سيارة مهجورة، تحمل لوحة أرقام مسجلة باسمك، وهذا كل شيء".

نجح في تهدئتها، أو على الأقل هكذا بدا له الأمر لثانية أو ثانيتين، ثم، وفي لحظة واحدة تقريبًا، حل غضبها محل خوفها، فقالت: "هذا اللعين..! إنني آسفة".

كان لديها صديق انتقل للعيش معها بعد شهر واحد من

بداية تعارفهما، ولفترة من الوقت مضى كل شيء على ما يرام، ثم في أحد الأيام الجميلة طرقت الشرطة بابها ومعها أمر تفتيش لشقتها، وعثروا على مخدرات في غرفة نومهما، في خزانة الدولاب التي اختارها لنفسه.. هيروين.. كوكايين.. والماريجوانا وأنواع أخرى.. بل كل الأنواع. كان عليها أن ترافقه إلى مركز الشرطة حيث استجوبوها هناك، لكن ليس في مكتب عادي، بل في غرفة خاصة. دققوا في كل شيء، وتحفظوا عليها لمدة أربع وعشرين ساعة، ولم يطلقوا سراحها إلا بعدما وكلت لها والدتها محاميًا.

قالت: "هل تدرك كيف كانوا يحدقون بي في العمل؟ بل إنني أسمعهم حتى الآن يهمسون من خلف ظهري بينما أسير في الممر قائلين: "ها هي رفيقة تاجر المخدرات". لكنني لم أكن على علم بأي شيء، لا شيء على الإطلاق حقيقة. كما أنني لم أخبر أي أحد بأني سآتي إلى مركز الشرطة اليوم. يظن الجميع أنني في المنزل مصابة بنزلة برد".

استغرقت القضية ستة أشهر، ولحسن الحظ انتهت بإدانة صديقها، وحكم عليه بعقوبة مشروطة، كما أسقطت القضية المرفوعة ضدها لعدم كفاية الأدلة على ما يبدو. طلبت منه الرحيل، وغادر لكنه أخذ السيارة التي يفترض أنهما اشتركا معًا واشترياها في أثناء الفترة التي قضاها معها. قالت: "حتى ذلك ليس حقيقيًا. إنها ملكي، إنني اشتريتها بمالي، لكن أمي قالت لي اتركيها له طالما أنه سيغادر". "ومتى كان ذلك؟". "أوه، لا بد أنه منذ.. عام أو نحو ذلك. سأحتاج إلى

تجديد الضريبة الخاصة بها في شهر فبراير القادم". انفجرت في البكاء وتمنى "تاراس" ألا يكون بكائها بسبب السيارة. سألته: "ماذا فعل هذه المرة؟". قدمت لها "تينا" منديلًا ورقيًا فتناولته. سألها "تاراس": "هل تعرفين لحساب من يوزع صديقك المخدرات؟". هزت رأسها بالنفي، فسألها: "ماذا عساه أن يفعل في "بوهيني"؟". تلقى منها رد الفعل نفسه. أطلقا سراحها في الثامنة والنصف. عندما رافقتها "تينا" إلى باب المدخل اضطرت لأن تطمئنها ثلاث مرات فقالت لها إن تسجيل السيارة باسمها لا يعني أنها ستقع في ورطة أيًا كان ما فعله صديقها السابق واسمه "روبي لاب". عندما عادت إلى المكتب، وجدت "تاراس" يتحدث في التليفون.

في التاسعة استقلوا سيارة الشرطة "السكودا" وانطلقا بالسيارة من ليوبليانا باتجاه "كارنيولا العليا".

سألت "تينا": "هل سنذهب عبر ممر "فيرشيتش" الجبلي؟". "بل عبر ممر "بريدل"، فهناك ثلوج على الطريق المؤدي إلى "فيرشيتش" وأنا لا أستطيع أن أشق طريقي عبر الثلوج بسلاسل مقاومة للجليد على إطارات السيارة".

كان يومًا مشمسًا، وتخيل "تاراس" كم سيكون الطقس جميلًا على هضبة "بوكليوكا" بل وسيكون أجمل في وادي "تمار" بجبال الألب الذي كان يفضله عندما يتعلق الأمر بمسارات التزلج عبر الضاحية. يمر المسار في "بوكليوكا" عبر غابة من شجر التنوب الكثيف. غابة في غاية الجمال، لكن شجر التنوب لم يمتد سوى عشرة كيلومترات فقط..

قد تسوء الأمور. في غضون ساعتين سيحصل على إجابة، سيعرف اسم الجثة التي بقيت في الثلاجة بمعهد طب التشريح عشرة أيام وكل ما يعرفونه عنها حتى الآن هو أنها امرأة تبلغ من العمر حوالي ثلاثين عامًا، ولا شيء غير ذلك. في الواقع، لم يكن حتى على يقين من سبب اعتقاده بأن المحادثة التي كان يأمل في إجرائها ستسفر عن الإجابة. وفي النهاية، قد يكتشف أن الفتاة مجرد واحدة من معارف "هليب" التقت به مُصادَفة ولفترة وجيزة بالفندق واعتقد الجميع أنه شيء لا يستحق الذكر لمجرد أنها ما زالت على قيد الحياة وتتمتع بصحة جيدة، ولكن.. لا بد أن شخصًا ما قد رأى شيئًا، فهناك الكثير من المُصادَفات في هذه القصة بالفعل. هناك شيء ما يهتف به ويخبره بأن الأوان قد آن اليوم كي ينفك خيط الكرة المعقود. هل ذلك مجرد أمل؟ أم خيبة أمل؟ فبرغم كومة الملاحظات التي كان لا بد أن يجمعها، لم يكن لديه شيء محدد يهتدي به. لا شيء لديه سوى زميلة جديدة سمعت عنه كمحقق جنائي في الجامعة، والآن هذا.

سألته "تينا": "أي دور لعبه المدعو "لاب" في كل هذا؟". "لا أعرف. وحيث إنني لا أعرف وحيث إننا لا نملك دليلًا ملموسًا بعد كي نتعامل معه، فليس هناك خط سير نتبعه، ولا شخص نشتبه فيه، ولا دافع للقتل. نحن نبحث عن منحنيات، عن أشياء انحرفت عن المسار الذي ينبغي أن تكون عليه. إن سيارة تاجر مخدرات صغير من ليوبليانا على بعد تسعين

كيلومترًا من مجال نشاطه المعتاد تمثل نقطة من النقاط المهمة. أين ذهب ولماذا ترك السيارة وراءه؟

هل سيتحدث إلى "برايك" و "أوسترتس" عن الرسوم البيانية والمنحنيات والنقاط؟ بالطبع لن يفعل، وبالطبع لن يذكرها لامرأة ليست إلا مجرد متدربة". قالت "تينا": "بمن اتصلت؟". "زميل من قسم المخدرات. كنت أرغب في معرفة لحساب من يعمل "لاب" هذا".

كانت منحدرات التزلج في بلدية "كرانيسكا جورا" مكتظة للغاية حسبما تشير النقاط العديدة التي تتحرك أسفل التلال فهل يرجع ذلك إلى حلول موعد العطلة الشتوية للمدارس الابتدائية؟ حاول "تاراس" أن يتذكر موعدها، لكنه قرر أن هذا الزحام يعود إلى أنهم في بداية العالم الجديد.

سألها قائلًا: "هل تتزلجين؟". قالت: "نعم، بالطبع".

اجتازت السيارة قرية "ريتشي" والمركز الحدودي السابق مع إيطاليا وتوجه قبل بلدة "تارفيزيو" الإيطالية نحو ممري "سيلا نيفيا" و"بريدل" الجبليين.

قالت "تينا" عندما مرت سيارتهما عبر المراكز الحدودية المهجورة: "لم أذهب أبدًا إلى "ترينتا" عبر هذا الطريق الذي يشق الجانب السلوفيني أولاً، ثم الإيطالي".

تذكر "تاراس" كيف كان ينبغي في الماضي إظهار جواز السفر في كل مرة يمر فيها المرء من هنا. قال: "حقًا؟". "نعم".

عندما كان متسلقًا للجبال، اضطر أن يقود سيارته "الرينو5" القديمة ما لا يقل عن مائة مرة على الطريق عبر "بريدل" حيث يواصل شق طريقه آناء النهار والليل إلى هناك، محاولًا ألا يغلبه النوم في طريق العودة من فرط الإجهاد، بل إن التفكير في احتساء البيرة عند أول محطة بنزين، في "يسينيتسه"، هو ما أبقاه مستيقظًا في بعض الأحيان. وقد ولى كل ذلك بعدما دخل قانون فرض القيود على تعاطي الكحول حيز التنفيذ فتغطى الثلاجات التي تحتوي على البيرة بغطاء "التاربولين" المصنوع من قماش المشمع عند الساعة التاسعة صباحًا وهو التوقيت نفسه الذي يهبط فيه "تاراس" ومن تصادف وجودهم معه من المنحدرات الجنوبية للجبل، هذا إذا حالفه الحظ، وبعدها يستمتع بشرب "الريد بُل" المُقلّد الرخيص حتى يصل إلى ليوبليانا.

لقد مروا بالسيارة عبر "كافي ديل بريدله"، وهي مدينة تعدين إيطالية مهجورة حاولت التعافي على مدى العقود الماضية بعد إغلاق منجمها، ثم مر لاحقًا بأربعة منعطفات إلى "بريدله" حيث ينخفض الطريق بشدة عند قرية "لوك بود مانجارتيم". ظل يقود طوال الوقت تحت الواجهة الصخرية المهيبة لأحد الوُهدان الأقل شهرة في سلوفينيا.

قالت "تينا": "لم آت هنا من قبل، بل لا علم لي حتى بوجودها".

لم تقل ما كانت تفكر فيه بخصوص الواجهة الصخرية على الجانب الآخر من الوادي الضيق أو الطريق أو الأشياء الأخرى

ككلٍ.

قال "تاراس": "هل تعرفين أنهم قاموا بتصوير مَشاهِد أحد أفلام "كيكتس"،الصبي المغامر وراعي الغنم هنا، فوق قرية "ستريميتس"؟. تساءل "تاراس" عما إذا كانت تعرف من هو "كيكتس" من الأصل إلا أنها قالت: "حقًّا؟ افترضت أن المَشاهِد صُورت في محيط ممر "فريجيتشي" الجبلي أو في مكان ما فوق مدينة "كرانيسكا جورا". "نعم، جرت أحداث القصص هناك، وتم تصوير بعض الأفلام هناك أيضًا، وقد استخدموا هذه المنطقة في الفيلم الثاني من سلسلة أفلام "كيكتس".

سافرا عبر قرية "لوك بود مانجارتيم"، مرورًا بالنُّزُل الذي اعتاد "تاراس" الاحتفاء فيه بانتصاراته في رياضة التسلق، أو تلمس المواساة بعد إخفاقاته أو البقاء داخله في يوم مطير. الآن يرى لافتة معلقة على الباب مكتوب عليها بأحرف كبيرة: "مُغلَق". بدا كأن ما من أحد استقبل أي زوار هناك منذ فترة طويلة. استمرا في السير عبر الطريق المؤدي إلى قلعة "كولوتش" النمساوية المجرية عند التقاء الرافدين "كورتينيتسا" و"بافشيتسا"، حيث انعطف "تاراس" يسارًا فوق ممشى أسفلتي ضيق تحت الواجهة الصخرية "لوشكا ستينا" التي تقع بالحافة الشرقية، قاصدين وجهتهما، فيما وراء الظهر الفعلي المغلق لكهف "بالا" القصي الموحش الذي نسيه خلق الله، ولكن ملاك منازل العطلات لم ينسوه. قاد سيارته إلى طرف الزاوية حيث تهاوى جزء كبير من الصخور

على ارتفاع مائة متر من الواجهة الصخرية على مدار عقد من الزمان، وسقطت أكبر قطعة منه، وهي لوح مستطيل ضخم، بجوار الطريق مباشرة، وما زال بوسعك أن ترى أثرًا لجرح أصفر شاحب بالمكان الذي إِنْخَلَعَ منه اللوح من جسد الجبل أعلاه.

قال "تاراس": "عندما تهاوى هذا اللوح الصخري، كنت قريبًا من هنا".

وفور أن أنهى جملته جاءت سيارة "هيونداي" ذات دفع رباعي لونها أخضر داكن.. واقتربت من الزاوية ولم يتمكن" تاراس" من تفاديها إلا بعدما انعطف جهة اليمين فاصطدمت مقدمة سيارته بجدار الثلج الذي جرفته كاسِحة الثلوج، وغرزت به. أخذ "تاراس" يسب ويلعن والتفت وراءه فوجد "الهيونداي" الخضراء قد اختفت بالفعل عن الأنظار، فسأل "تينا": "هل رأيتِ لوحة الأرقام؟". "لم ألمح سوى أنها تتبع مرور مدينة "جوريتسا". عندما مرت كنت أنظر فوق إلى الصخور".

تناول "تاراس" تليفونه وحاول الاتصال بغرفة العمليات كي تتبع السيارة "الهيونداي" ذات اللون الأخضر الداكن، لكن لم تكن هناك إشارة. وصل إلى جهاز راديو اللاسلكي الخاص بالشرطة وشغّله، ولكن لم يتلق أي استجابة سوى صوت طقطقة.

قال: "حسنًا، هذا عظيم!".

ثم خرج من السيارة لفحص الإطارات الأمامية فوجدها قد حفرت ممرًا عميقًا في كومة الثلج الناعمة. أخذ يسب ويلعن مرة أخرى ويركل الإطارات رَكْلًا. ربما استمر في فعل ذلك لو لم تخرج "تينا" من السيارة وتقبل عليه لترى الضرر الذي لحق بالسيارة بنفسها.

استغرق الأمر نصف ساعة كي يقوما بتَكْسير عدد كافٍ من أغصان الشجيرات التي على الطريق، ووضعها تحت الإطارات، ومع الضغط انزلق "دبرياج" السيارة ففاحت منه رائحة كريهة إلى أن تمكن من إعادتها أخيرًا إلى الطريق حيث مر بمنعطفين ملتويين بعد ذلك، ثم مرت السيارة عبر الغابة إلى منطقة أزيحت منها الثلوج كليًا، حيث وجدا واديًا واسعًا ومُستَويًا بشكل فريد أخذ ينفرج أمامهما. تحقق "تاراس" من وجود إشارة على تليفونه مرة أخرى، وفكر للحظة في الاتصال مرة أخرى للإبلاغ عن السيارة "الهيونداي"، إلا أنه أشاح بيده باستخفاف ووضع التليفون جانبًا مرة أخرى. قال: "ربما يكون "هليب" على بعد أميال من هنا".

سارا على طول الطريق ببطء وهما يتفقدان اللافتات المثبتة على حافة الطريق ليجدا تلك التي تشير إلى المنعطف، جهة اليمين، حيث يتسع الطريق.

قال: "ها هي ذي".

ولم يتفاجأ عندما وجد الطريق إلى منزل العطلات قد أزيحت منه الثلوج عن بكرة أبيها مثل ذلك الذي أتوا عبره.

أوقف السيارة بجوار سيارة "تويوتا" بيضاء فارهة وأوشك "تاراس" أن يعلق على مستوى الرفاهية التي يتمتع بها بعض الناس، لكنه تذكر بعد ذلك أنه أُدرج مؤخرًا ضمن تلك الفئة المرفهة. خرجوا من السيارة، على الفور، ارتدت "تينا" معطفها بينما انطلق "تاراس" في سترته إلى المنزل الذي لا يشبه الكوخ من حيث الحجم كما توقع بل بدا أنه كان في السابق بيتًا ريفيًا على سطحه طبق قمر صناعي.

حتى بدون هذا الطبق، فقد بدا واضحًا أن المبنى الأنيق الذي تم تجديده لم يعد يعمل وفقًا للغرض الأصلي من بنائه، ولعلهم هدموا المبنى القديم وقاموا ببناء آخر جديد في مكانه حسب التصميم الأصلي. هناك الكثير من الخطوط المستقيمة ذات الزاوية القائمة والمتوازية، والكثير من التناسق والتماثل لدرجة قد تفوق أي عصر من العصور الزاهرة. توجه نحو المدخل الأمامي فوجده لم يُغلق بشكل محكم، فاندهش، ثم طرقه.

لا مجيب.

طرق الباب طرقًا أشد وعندما لم يتلق ردًا خطا إلى الردهة التي لا تشبه البيت من الخارج. ومع ذلك لم يكن هذا ما لفت انتباه "تاراس" إنما تلك الرائحة التي يألفها جيدًا. أشار إلى "تينا" كي تبتعد وخرج من البيت وركض إلى السيارة وفتح درج القفازات بتابلوه السيارة وأخرج مسدسًا.

همس لـ"تينا" قائلًا: "انتظري هنا حتى أتصل بك".

دخل "تاراس" الردهة فوجدها تفضي عبر باب مُوارب إلى حيز أوسع قليلًا تحول إلى غرفة معيشة أخمدت نيران مدفأتها. دخل "تاراس" بتردد ثم توقف. حاول ألا يسعل عندما ملأت رائحة البارود رئتيه. لاحظ أن "تينا" تقف عند فتحة الباب من خلفه فرفع لها راحة يده ليجعلها تتوقف وتنتظر حيث هي. لماذا لا تمتثل لأوامره بادئ ذي بدء؟

استدار بحذر حول الأريكة الكبيرة التي حجبت جزئيًا المنظر الذي رآه عند المدفأة، فهناك بين الأريكة والمدفأة ترقد جثة رجل مُلقى على ظهره، لعله عميد كلية التكنولوجيا الحيوية في ليوبليانا، الأستاذ الجامعي "هليب"، الذي قد يصبح قريبًا حديث جميع وسائل الإعلام بسبب أخطاء طلابه الأربعة التي ستجلب له هذا الحظ. يعتقد "تاراس" أن "هليب" سيحظى الآن بشهرة على الفور.

كان الجسد ممددًا على الأرض ويداه متدليتان إلى جانبيه. بدا الدم على السجادة البيضاء طازجًا كأنما توقف عن التدفق من الجرح توًا. ليس بوسعه إلا أن يفترض أن الرجل المستلقي على السجادة هو "هليب" حسبما يتذكر شكله من صوره على موقع الكلية الإلكتروني، لكنه لم يكن متأكدًا تمام التأكد. أصابت الرصاصة مؤخرة رأسه لتخرج من مكان ما فوق عينيه فتركت وجهه في حالة فوضى عارمة.

ثمّة هواء وفير يملأ منطاده الآن وأوشك أن ينطلق.



الفصل الخامس والعشرون



أشار "تاراس" إلى "تينا " كي تقترب بعدما اتصل بالفعل برقم مقر الإدارة المركزية في ليوبليانا، ولأنه لم يجد أي إشارة لشبكة التليفون داخل المنزل، اضطر إلى الخروج للطريق حيث ما زالت الإشارة ضعيفة إلا أنها كانت كافية كي يعطي أوامره لدوريات الشرطة بإيقاف سيارة "هيونداي" ذات دفع رباعي لونها أخضر داكن تحمل لوحة أرقام تتبع مرور مدينة "جوريتسا". كما أبلغهم بأن السيارة ربما سلكت الطريق من قرية "ريتشي" باتجاه ليوبليانا أو من مدينة "بوفيتس" أسفل وادي نهر "سوتشا"، وأضاف أنه ينبغي

عليهم اتخاذ الإجراءات الاحترازية اللازمة، إذ إن السائق مشتبه به في جريمة قتل ومُسَلَّح.

كرر "تاراس" قائلًا": "هل الرسالة واضحة؟ خصوصًا فيما يتعلق بهذه النقطة الأخيرة". "مُسَلَّح، هل قلت مُسَلَّحًا؟". "بمسدس مزود بأعيرة نارية من أكبر الأحجام".

ثم عاد إلى المنزل ودخل الغرفة التي بها القتيل. وجد "تينا" واقفة بجواره تحدق فيه وقد شحب لونها وبدت كأنها لا تستطيع أن تشيح ببصرها عنه رغم منظره الصادم. قال لها: "اخرجي لتستنشقي بعض الهواء".

لكنها بقيت مُتَسَمِّرة فِي مَكَانِهَا كأنها لم تسمعه.

أطاحت الطلقة النارية بالجزء السفلي من جبين "هليب" بالكامل، إلى جانب عينيه وأنفه. انفجرت عين منهما بسبب الطلقة النارية ولم يتبق منها شيء، وتدلت الأخرى على طرف خيط عَصَب بالزاوية المتبقية من العين اليمنى. نزَّ الثقب الموجود في المنتصف بأنسجة الدماغ الرمادية والبيضاء وامتزَجت بالدم الذي اختلطت رائحته بالرائحة المعدنية الكريهة التي تفوح من البارود واللحم المحترق. قالت: "لا أدري يا "تاراس"، أظن أنني سا..".

وضعت "تينا" كَفَّها على فمها ثم ركضت إلى الخارج. لم يتقيأ "تاراس" أبدًا من قبل. ليس في مثل هذه المواقف. راح يتفقد المنزل، فوجد غرفة معيشة تُفضي إلى المطبخ الذي استخدم أيضًا لتناول الطعام، ويؤدي أحد الأبواب إلى ممر

صغير في نهايته حمام، وعلى مسافة أبعد قليلًا يوجد سُلّم يُفضي إلى الطابق العلوي الذي تحول إلى شقّة منفصلة بها حمام صغير وخُصصت مساحة كبيرة منها لسرير مزدوج ومساحة أخرى للعمل حيث وضع بها مكتب ما زال عليه كمبيوتر محمول قيد التشغيل، وعندما نقر "تاراس" على لوحة المفاتيح بطرف قلم حبر جاف، طُلب منه إدخال كلمة المرور. عاد إلى الطابق الأرضي. من الواضح أن "تينا" ما زالت بالخارج.

تَرَبَّعَ "تاراس" على الأرض بجوار الجثة ليلقي عليها نظرة فاحصة. وبغض النظر عن الدم المتناثر حول رأسها، وفيما عدا هذه البقعة لم يعثر على أي آثار أخرى للدماء في الغرفة ولا على الأثاث ولا الجدران ولا حتى على الأرض. ويعتقد "تاراس" أن القاتل إما أجبر الرجل على الركوع على ما يبدو، أو دفعه على الأرجح كي يستلقي على الأرض ثم أطلق النار على رأسه من مسافة قريبة. وبما أن الرصاصة اخترقت الرأس من الخلف، فلا بد أنه قَلّب الجسد على ظهره بعدما أطلق عليه النار. لماذا؟ هل أراد التأكد من أنه مات بالفعل أم أنه من باب التباهي بفعلته؟ لمس "تاراس" رسغ الرجل فوجده ما زال أملس، بل وما زالت الدماء في عروقه دافئة إلى حد ما.

جلست "تينا" على مقعد السائق بالسيارة ومددت ساقيها خارجها فوق طبقة ثلج رقيقة لم تُزح من على الأسفلت، ووضعت مرفقيها على ركبتيها وهي تمسك برأسها بين

راحتيها وتحاول أن تسحب الهواء إلى رئتيها وتتنفس ببطء. همست، وهي تحاول ألا تتقيأ مرة أخرى قائلة: "أنا آسفة..".

أخرج "تاراس" تليفونه من جيبه مرة أخرى وسار على الطريق كي يتصل بـ"جولوب" في المعهد القومي لطب التشريح. سأله "جولوب" قائلًا: "ما الأخبار؟". "جثة أخرى، أطلق عليها النار من مسافة قريبة هذه المرة. ما زالت دافئة. لا بد أن الجريمة وقعت منذ حوالي ساعة". سأل "جولوب" قائلًا: "أين؟". استغرق "تاراس" بعض الوقت كي يشرح له طريقة الوصول إلى "بافشيتسا" وعندما استوعب "جولوب" الموقع بصعوبة، توقف "تاراس" لبرهة ثم قال: "اسمع، الأفضل أن تصطحب فريقك إلى مطار "برنيك" وتطلب مروحية لأن هذا الأمر لا يمكن أن ينتظر ساعتين".

عندما عاد وجد "تينا "واقفة بجوار السيارة وما زالت شاحبة لكن بوسعها على الأقل أن تقف على قدميها دون مساعدة. بدأت تقول: "أعتذر مرة أخرى لأنني..".

أوقفها بإشارة ثم ذهب إلى حقيبة السيارة وأخرج زوجًا من القفازات "اللاتكس" الطبية من عُلبَة احتفظ بها هناك وناولها لـ"تينا" وهو يقول: "من هنا.. على طول الممر، هناك سُلَّم يفضي إلى العليّة حيث ستجدين الكمبيوتر المحمول الخاص به. يمكنك إلقاء نظرة عليه".

أومأت برأسها شاكرة وبعدما اختفت داخل المنزل، جلس "تاراس" في المقعد نفسه الذي جلست فيه.. مدد ساقيه

تحت عجلة القيادة، وأنزل المقعد ليكون في وضع الاستلقاء وتمدد لدقيقتين، دقيقتين فقط كي يلملم شتات نفسه.

عادت "تينا" وقالت له: "يتطلب فتحه كلمة مرور". أومأ "تاراس".

قالت: "يمكنني اختراق كلمة المرور، ولكن ليس بما هو متاح لَدَيّ هنا. في الحقيقة، ليس لَدَيّ أي شيء هنا بالمرة..".

بدت أفضل حالًا بكثير. ذهب الشحوب عن وجهها وعادت تتنفس بشكل طبيعي، بل إنها ابتسمت قليلًا وهي تقول جملتها الأخيرة.

قال "تاراس": "إذا سنحت لنا الفرصة". رمقته بنظرة متسائلة، فقال: "هذه هي الجثة الثانية الآن وما زلنا لا نعرف حتى لمن كانت الأولى. غدًا في الساعة التاسعة صباحًا، سيتم استدعائي في مكتب "درفاريتش"، وإذا مارسوا عليه ضغوطًا من أعلى خشية الغضب الإعلامي، حسبما افترض، فسوف..". أشار إلى المنزل ثم أكمل قائلًا: "من سيأتون للمنزل لاحقًا ويحطون بمروحيتهم على الجليد، سيقومون بنقل كل محتويات الكمبيوتر المحمول إلى جهاز "جي بي دي GPD" لذلك أريدك أن تتفقدي جهاز الكمبيوتر الآن. هل يمكنك القيام بذلك دون أن يختفي أي شيء في تلك الفجوة الرقمية؟". "نعم، في الواقع.. لكن..". توقفت عن الكلام. سألها: "ولكن ماذا؟". "هل ارتكبنا أي خطأ؟". "لا، إلا أن ذلك قد لا يكون كافيًا في بعض الأحيان". "ألست أفضل محقق جنائي

في البلاد؟". من الواضح أنها أفضل مني بكثير. تابعت قائلة: "أتذكر أن "درفاريتش" قال لي: "حسنًا، أيتها الزميلة الشابة، سأرسلك إلى "تاراس"، إنه أفضل محقق جنائي لدينا". قال "تاراس": "حتى لو قال ذلك، فقد قاله فيما مضى. هناك بعض الأوغاد الجبناء في ليوبليانا يترقبون فشلي ويتمنونه".

قام بفصل ڤابِس جهاز الكمبيوتر المحمول وسلمه إلى "تينا" ثم قال: "هل يمكنك فحصه الليلة؟". "نعم". "وعمل نسخة من كل شيء محفوظ فيه؟". أومأت برأسها.

وصل "جولوب"، أو بالأحرى طار لمدة ساعتين بالمروحية مع مساعديه. في غضون ذلك، تفقد "تاراس" محيط المنزل فلم يعثر على أي آثار على الإطلاق، لا شيء سوى الثلوج التي سقطت مؤخرًا. التقط صورًا لآثار الإطارات المطبوعة على الأرض بخلاف إطارات سيارته هو و"تينا" وقارنها بإطارات "التويوتا" المتوقفة بالخارج، رغم أنه يعلم أن "جولوب" سيفعل الشيء نفسه. من الواضح أنها مختلفة عن آثار "التويوتا". لم يعد إلى الغرفة التي بها الجثة.

***

قال "جولوب" وهو يخلع قفازاته وبدلته البلاستيكية الطبية: "الآن تحررت".

من خلف "جولوب" رأى "تاراس" مساعديه ينقلون صندوقًا معدنيًا خارج المنزل. كانت الشمس قد توارت بالفعل خلف قمم الجبال القريبة وغربت، وبمجرد أن غمر الظل الوادي،

أصبحت الأجواء أكثر برودة، عندها فقط أدرك "تاراس" كم هو جائع. قال "جولوب": "اسمع يا "تاراس"، إننا وجدنا في مكتبه طابعة ولم نجد جهاز كمبيوتر. كيف ذلك؟". "ستحصل عليه صباح الغد". "لماذا هذا الارتياب وعدم الثقة؟ هذا بالتأكيد مخالفًا للبروتوكول المعمول به". ربت "تاراس" على كتفه وقال: "أنت تعرف لماذا. لا شيء سيؤخذ ضدك ولا ضد فريقك".

تنهد "جولوب" وهز رأسه. إنه رجل يحترم الأحكام والقواعد، ولكنه في الوقت نفسه يثق بـ"تاراس". كيف سيتأتى له تنسيق هذا الأمر؟ ثم لاحظ بقعة في الثلج أمامه فقال وهو يشير إلى بركة القيء التي على الثلج الذي سقط مؤخرًا على بعد مترين من السيارة: "هل هذا لنا؟". قالت "تينا": "أخشى إنه لي".

رمقها "جولوب" بنظرة تشوبها الشفقة ثم التفت إلى "تاراس" وقال: "ستحصل على التقرير عند منتصف نهار الغد تقريبًا. والآن..". "اسمع يا "جولوب"، أخبرني بشيء لا أعرفه". "يمكننا أن نقول باختصار، يا "تاراس" إن نظريتك حول كيفية تداعي الأحداث قد تكون صحيحة، وكذلك السلاح، لعله بندقية أو مسدس، من عيار ناري غير محدد في الوقت الحالي، لكن مقاس عياره كبير بشكل استثنائي على أية حال". سأل "تاراس": "45 مِلّم؟". "بل 11 مِلّم على الأرجح. دعنا نلتزم بالقياسات التي قمنا بها. سنواجه بعض المشكلات رغم ذلك لأن الرصاصة انفجرت بعدما اخترقت الجمجمة

وتحولت لشظايا ارتدت إلى الأرض وارتطمت بها. كان علينا قطع متر مربع كامل من الأرضية حتى نُخضعه للفحص مرة أخرى بالمختبر. لقد أخذنا عينات من بصمات الأصابع، وجمعنا كل ما في وسعنا وسنقوم بفرز كل شيء الليلة.. من حيث المبدأ، مات الرجل وقُتل". قال "تاراس": "أخبرني بشيء لا أعرفه، شيء واحد لا أعرفه". "وجدنا الكثير من البصمات هذه المرة".

انتظر "تاراس" حتى غادرت المروحية ثم عاد إلى المنزل. أخذ يتجول في الغرف، ويتفقد الدوّاليب، والكتب التي على الأرفف، وبقعة الدماء التي على سجادة غرفة المعيشة. نظر إلى "تينا" التي كانت تحدق أيضًا في البقعة دون أن يبدو عليها أي تعبيرات تُذكر. مرة أخرى تفقد كل غرفة بالمنزل. ليس هناك شيء لا يتوقع المرء أن يجده في مسكن أحد عمداء كلية التكنولوجيا الحيوية، فجميع الكتب التي على الأرفف كتب علمية، ووجد بينها كتاب أدبي واحد وهو رواية "Catch 22" للكاتب الأمريكي "جوزيف هيلر"، ولم يحاول "تاراس" تخمين السبب. شعر ببطنه تقرقر من شدة الجوع.

سأل "تينا": "هل أنت جائعة؟". "لا أعرف.. نعم، لكني لا أعرف هل سيكون بمقدوري تناول أي طعام أم لا".

بعد عشرين دقيقة، أخذا يتجولان في أنحاء مدينة "بوفيتس" بحثًا عن طعام. ذهبا إلى في مكانين مختلفين فحدق فيهما الناس باستغراب قائلين إنه فصل الشتاء ولا يبيعون فيه سوى المشروبات والساندويتشات فقط، وقالوا

لهما إنهما السائحان الوحيدان بالمدينة، وأن الحال على هذا المنوال منذ أن تعطل " التِلِفريك" وارتطم بالأرض وبداخله اثنان من المتزلجين. أخيرًا وجدا مكانًا يقدم "البيتزا". طلبت "تينا" قطعة من فطيرة "الستَرُدَل" المحشوة بالتفاح وكوب ماء. جلسوا في صمت لفترة.

قال "تاراس": "يوم صعب". "نعم، كان صعبًا".

حدقت لبرهة في آنية الزهور البلاستيكية التي أمامها، ثم نظرت إلى "تاراس" وقالت بابتسامة تحمل مرارة: "جثتي الأولى".

أحضر النادل "البيتزا" إلى المائدة ومنع "تاراس" نفسه من الهجوم عليها من شدة الجوع وخصوصًا أن "البيتزا" بدت لذيذة، بل هكذا ينبغي أن تكون "البيتزا".. سُمك قشرتها مناسب، ناضجة.. على سطحها طماطم، وفطر، وذرة حلوة، وفلفل.. صحيح أن هذه المكونات مُعَلّبة لكن لا بأس بها. إن الجوع جعلها أشهى حتى من لحم الخنزير.

قال وفمه ممتلئ بـ"البيتزا": "لا بأس بها. هل تريدين قطعة؟". ابتسمت "تينا" وهزت رأسها بالنفي. من الواضح أن النادل قرر أن يحضر فطيرة "الستَرُدَل" بمجرد أن ينتهي "تاراس" من "البيتزا"، إلا أنها لم تُظهر أي علامة تنم عن التَمَلمُل ولا حتى الرغبة في الطعام. ظل يأكل في صمت. سألته "تينا": "هل وضعت فَرضِيات في ضوء كل هذا؟". هز رأسه بالنفي ثم قال: "علمني "بينكا" - ذاك الشبح الذي

قمتِ بإخلاء مكتبه - أشياء كثيرة منها أنه لا ينبغي أن أضع فَرضِيّات وألا أتعامل معها إلا إذا حكمت الضرورة القصوى، وأن هناك دائمًا ضحية وهناك دافع وهناك فرصة مواتية وهناك أدلة مادية وأخرى غير مادية، ودون ذلك لا شيء يُعتد به. ستأتي الفَرضِيّات من تلقاء نفسها".

وصلت فطيرة "تينا" أخيرًا فأخذت تقضم قطعًا صغيرة منها بأطرافِ أسنانِها. ها هي استطاعت على الأقل تناول طعام، حتى لو كان قليلًا. سألها قائلًا: "ماذا يفعل رجلك؟". لا يعرف حقًّا لماذا طرح هذا السؤال. قالت: "رجلي؟! تقصد ماذا يعمل؟". "هل يعمل في مجال الكمبيوتر أيضًا؟ هل التقيت به في الجامعة؟". رمقته بنظرة متعبة تنم عن دهشة. تناولت كوب الماء وأخذت رشفة ثم مسحت بأصابعها القطرات القليلة التي تركها الكوب في مكانه قبل أن تعيده ثم قالت: "التقيت به في السنة الثالثة بكلية الحاسبات، ثم انتقلت إلى دراسة علم النفس، وانتقل هو إلى دراسة التسويق. في الحقيقة، إنه لم ينته من دراسته بعد". "وما رأيه في عملك بصفتك محققة جنائية؟". "لا أدري".

إنه يرى أن لا بأس به. قال ذات مرة إنه يعتقد أن عملي مُغرٍ ومن الرائع أنه يواعد محققة جنائية أو طبيبة نفسية تعمل بالشرطة ويخرج معها مثلما يحدث في بعض المسلسلات التليفزيونية، رغم أنها ليست كذلك، فماذا كانت في الحقيقة؟ امرأة تتقيأ بمجرد أن ترى قتيلًا؟

قالت: "لا عليك. دعنا نتحدث عن القضية". "ظننت أنكِ نلتِ

كفايتك منها لهذا اليوم". "لا يشغل بالي سوى أن الرجل ربما ظل على قيد الحياة لو أننا وصلنا قبل ذلك بقليل". "وربما لا، بل وربما كنا نحن أيضًا في عِدَادِ الأموات".

تذكر الفوضى التي أحدثتها الرصاصة في رأس "هليب". ما مدى فرصة إنقاذ حياة الرجل لو أنه استخدم مسدسه "البريتا" الذي يبلغ عياره 9 مِلّم الذي بدرج القفازات بتابلوه السيارة؟ أين ذهبت حاسته السادسة عندما دخل إلى المنزل؟

قال: "على الأقل تعرفنا على الضحية هذه المرة". مسح فمه بمنديل ورقي ثم قال: "أظن أننا تعرفنا عليه على أقل تقدير، ولكن يظل من الضروري أن يؤكد لنا "جولوب" أولًا أن الجثة لـ"هليب" بالفعل". وضعت الشوكة التي كانت تأكل بها فطيرة "الستَرْدَل". "آسف. نسيت". "لا بأس، لا يمكنني تناول المزيد منها على أية حال". "اسمعي، وفقًا لفَرضِيّتي.. نحن نبحث عن مالك "الهيونداي" الخضراء ونأمل أيضًا أن يكون هو سائق السيارة التي أجبرتنا على الخروج عن الطريق وجعلتنا نغرز في كومة الثلج، ويبدو أن له علاقة مؤكدة بجريمة القتل. أين سيختفي القاتل في هذا الوادي وليس هناك سوى طريق واحد لا بد أن يمر عبره؟ عندما نمسك به، وسنفعل، حتى لو اضطررنا إلى إلقاء القبض على جميع مالكي سيارات "الهيونداي" الخَضْرَاوَات التي تحمل لوحات أرقام تابعة لمرور مدينة "جوريتسا"، سنرى ماذا بعد ذلك. إن الفَرضِيّات صُنعت من أجل كُتّاب روايات الجريمة، وأنا لست

كاتبًا. إذا كان لا بد أن أعد نفسي من ذوي الشأن.. ولست في عمر يُوصى فيه بهذا فا..". ابتسمت فتابع قائلًا: "إن ما أقوم به لا يستحق إعجابًا خاصًا من أحد فما أنا إلا مجرد مسؤول يتمتع بنوع خاص من الخبرة والمهارة، مجرد موظف يلتزم بالبروتوكولات المعمول بها ومن حين لآخر يرتجل قليلاً إذا حكمت الضرورة فقط، وفي حدود ما هو ممكن".

انتهى من شرب مياهه المعدنية، ودعا النادل وطلب لنفسه قهوة بينما رفضت "تينا"، فسألها: "وأنتِ؟ هل تعتقدين أن هناك علاقة بين جريمتي القتل؟". "هل يُسمح للمرؤوسين بإبداء رأيهم؟".

بدت جذابة عندما ابتسمت. بالطبع سيتوقف الأمر عند حد النقاش حول عملهما الميداني، لكن لا يهم، فهي على الأقل أرحم من "برايك" الذي كان علي "تاراس" أن يحثه على المضي قدمًا في الحديث عن العمل والكف عن مضايقة النادل والإلحاح عليه كي يحصل منه على وصفة مرقة اللفت الحامض وأضلع اللحم مع فطائر "البوديلي" المحشوة بالبطاطا والدهن. قال: "إن "هليب" تواجد في المكان الذي قتلت فيه الضحية الأولى، ثم توفي هو نفسه بعد أن حاولنا التحدث معه عن هذه الضحية، وقد قُتل كليهما بطريقة وحشية و..". تطلعت في وجه "تاراس" ثم قالت: "هل تعرف ما الذي شعرت به عندما رأيت الجثة، وما الذي أجبرني على الخروج من المنزل؟ ليس مشهد القتل في ذاته، على الأقل لا أظن أنه السبب، أو على الأقل ليس المشهد فحسب،

رغم بشاعة المشهد لكن ربما كان بوسعي تحمله. أظن أنها.. الكراهية، تلك الكراهية التي دفعت شخصًا لارتكاب مثل هذا الشيء البشع الذي خضخض معدتي. وأتساءل أي نوع من الكراهية حملها نحو تلك الفتاة، إذا كان الفاعل هو الشخص نفسه؟". "لا يوجد مشاهد جميلة في جرائم القتل وهناك دومًا كراهية تكمن وراءها". "ماذا عن..". توقفت كأنها لا تدري هل تقول ما تريد أم لا، فقال: "أكملي". "ماذا عن قصة الفتاة البالغة من العمر ثلاثين عامًا من "ستارا فوجينا" أو عن ملتقى الصيادلة الذي انعقد من أجل مليارات الدولارات؟ أو عن ماذا عن سيارة تاجر المخدرات التي دفنت تحت الثلوج؟". "لا أدري، لست سوى أعمى يقود عميان. على الأقل أتمنى أن..".

عادوا إلى ليوبليانا الساعة العاشرة مساءً. جلست "ألينكا" مع "كارين" و"تاراس" على الأريكة في غرفة المعيشة وظل ثلاثتهم يحدقون لفترة من الوقت في شاشة التليفزيون المغلق. فكر في الحالة الرهيبة التي انتابت اليوم امرأة أخرى غير "كارين". إنها زوجة "هليب" هذا الذي لا يتذكر اسمه الأول بالمرة. كان يأمل في أن تكون أقل تعلقًا بزوجها من تعلق "كارين" بـ"رايكو".

قام بتشغيل التليفزيون ثم أغلقه مرة أخرى قبل أن يظهر أي شيء على الشاشة. مات "بريلك" و"هليب"، حسنًا.. واحد ميت، وآخر شبه ميت لكنه لم يمت بعد. نهض، وارتدى بدلته الرياضية، وحمل مصباح الرأس وخرج ليمارس الركض الليلي

على تل "روجنيك".

الفصل السادس والعشرون



الثلاثاء، 9 يناير

أخطأ "تاراس" عندما ظن أن موعد الاجتماع في مكتب "درفاريتش" في تمام التاسعة، بينما كان في الحادية عشرة. لم توجه الدعوة للاجتماع له وحده، إنما للجميع. وصل مقر عمله في السابعة والنصف، قبل بضع دقائق من وصول "تينا"، إذ قام بتشغيل جهاز الكمبيوتر واطّلع على أخبار الصباح. قرأ العنوان الرئيس للمقال: "مقتل عميد كلية التكنولوجيا الحيوية"، الذي كُتب بخط أكبر وأعرض من ذاك العنوان الذي يقول: "تدفق موجة جديدة من اللاجئين على الحدود الجنوبية". كان "القتل المأجور" أحد العناوين الفرعية المقترحة للعنوان الرئيس لمقال مقتل العميد.

قرأ "تاراس" المقال المليء بالكثير من الافتراضات والقليل من الحقائق. ورغم أنه استبعد دوافع القتل الثلاثة أو الأربعة الواردة بالمقال فإن "تاراس" دَوّنَ بعضها على قُصَاصَة ورق، كما تصفح أيضًا مقالًا آخر عن الموضوع نفسه افترض أن

سبب الجريمة قد يكون له علاقة بالاكتشاف العلمي الأخير في كلية التكنولوجيا الحيوية، الذي قد يغير قواعد اللعبة بين اللاعبين البارزين في مجال صناعة الأدوية. كما ورد أيضًا في خاتمة المقال أن المحقق الجنائي "تاراس بيرسا" هو أول من كان في مكان الحادث وهو نفسه المحقق المسؤول عن الجثة الغامضة التي انتشلت من مجرى "سافا بوهينيسكا". أنهى الكاتب افتراضاته قائلًا:

"من الواضح أن "أقوى سلاح" لدى مديرية شرطة ليوبليانا لا يزال يتخبط في الظلام".

ووضع عبارة "أقوى سلاح" بين علامتي تنصيص.

خطت "تينا" إلى مكتب "تاراس" وبدلًا من الترحيب به وضعت أمامه على المكتب مَظْروفًا بُني اللون يحتوي على حوالي ثلاثين ورقة، ثم قالت: "اطلع على هذا".

رأى التعب باديًا عليها ومن الواضح أنها لم تنم، وإلى جانب المظروف وضعت الكمبيوتر المحمول الخاص بـ"هليب"، ثم قالت وهي تلوح له بشيء مُسَطّح في حجم تليفون محمول ذكي: "احتفظت بكل شيء هنا أيضًا".

أخرج الأوراق من المَظْروف وبدأ في قراءة الصفحة الأولى التي كُتب أعلاها عنوان البريد الإلكتروني التالي: matej.verbic@gmail.com، ثم تصفح الصفحات التالية فوجد البريد الإلكتروني نفسه: "matej.verbic" يتكرر.

كُتب بإحدى الصفحات ما يلي:

أنا جالس هنا أتأمل الأشياء وأومن بالرب.. الإله العظيم، فكل شيء به كان وكل الأشياء في يده أدوات. أنت أداة في يده وكذلك أنا ومشيئته نافذة. في ضوء ذلك، فإنني أفهم أن مشيئتك هي مشيئة الرب وأن أفعالك هي أفعاله، أما أنا فقد بُليت.. فهل أستحق؟ هل بُعثت لهذا العالم من أجل هدف عظيم أم أنني لا أستحق إلا أن أكون مجرد نملة حقيرة فحسب؟ هل كنت أدنى منك؟ هل لخنزير مثلك أن يكون في عيني الرب أكثر قيمة مني؟ عيناك! كلما فكرت في عينيك أشعر بالغثيان. هل تظن أن بإمكانك طردي من عملي؟ أنت؟ لا تدعي الطيبة لأن عينيك تفضحان شرك. عيناك تنطقان بما هو أكثر من كل هذه البَقبعة والثرثرة الفارغة. فما أنت إلا خنزير. وإن كان الرب هو من خلقك فقد أخطأ. والخطأ وارد من أيّ كان. فما أنت إلا فاسق عجوز تافه لا تستحق الخبز ولا الماء ولا أي شيء آخر. لو كنت أنا الرب لاعترفت بأن خلقك خطيئة ولكفّرت عنها، ولأمرت الجراد أن يلتهم عينيك وكذلك الذباب والخنازير البرية..

رحب "تاراس" بـ"برايك" و"أوسترتس" عندما دخلا الغرفة معًا، كالعادة، بل هكذا هما دومًا، رغم أنهما لا يسكنان بالقرب من بعضهما بعضًا، ولا يستقلان الحافلة نفسها أو أي شيء من هذا القبيل بل يأتي كل واحد منهما للعمل بسيارته الخاصة.

ضبط كاتِب الرسائل تباعد الأسطر بشكل افتراضي على وجهي الورقة بحيث يكون تباعدًا مفردًا، بما في ذلك خمسة

أسطر أدرج فيها أنواع الحيوانات التي ينبغي أن تلتهم عينيه - أحصى "تاراس" عددهم فوجدهم ثمانية عشر نوعًا مختلفًا - واختتمت جميع الرسائل الإلكترونية باقتباسات من إصحاحات الكتاب المقدس، أو على الأقل هذا ما افترضه "تاراس"، فآخر مرة قرأ فيها بعض الإنجيل مرّ عليها ما يقرب من خمسة وثلاثين عامًا، ومن الآيات التي اقتبسها:

"فَإِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ هذَا أَنَّ كُلَّ زَانٍ أَوْ نَجِسٍ أَوْ طَمَّاعٍ -الَّذِي هُوَ عَابِدٌ لِلأَوْثَانِ - لَيْسَ لَهُ مِيرَاثٌ فِي مَلَكُوتِ الْمَسِيحِ وَاللهِ."

قالت "تينا": "هذا هو الإيميل الأخير، لم ترد أي مراسلات من بعده". "ربما حذفها "هليب". "لا، لم يحذف أي شيء، إنه أرشَفَ كل هذه الرسائل. فقد وجدتها في مجلد منفصل". "هل تتذكر يا "أوسترتس" أن "هليب" سبق وأن أبلغ عن تعرضه لمضايقات أو تهديدات أو أي شيء من هذا القبيل؟". "متى؟".

تحقق من الأوراق المطبوعة فوجد أن تاريخ رسائل البريد الإلكتروني تعود إلى الثاني والعشرين من نوفمبر الماضي، وأرسلت آخرها في الثاني والعشرين من ديسمبر.

قال "أوسترتس": "لا أتذكر أنني تلقيت أي تقرير من هذا النوع، ولكن دعني أتحقق من ذلك". "فلتفعل. يمكننا أن نناقش معًا مجريات الأحداث وتتابعها باستفاضة ونحن نتناول القهوة".

لماذا لم يذكر له "هليب" أي شيء عن هذه التهديدات عندما تحدث إليه؟

بعد خمس دقائق حصل على المعلومات. إذا كان لدى "هليب" أي شكوى خاصة بهذه التهديدات فإنه لم يُبلغ بها مديرية الأمن العام.

قال "تاراس": "اتصلت بمديرية الأمن العام فقالوا إنهم سيتحققون من الأمر ويبلغوني بالنتائج".

وجدوا المقهى الواقع بزاوية شارع "بريشيرين" شبه خالٍ في هذا الوقت من النهار. فقد تأخر الوقت جدًا بالنسبة للزبائن الذين يترددون بانتظام على المقهى من العاملين بوزارة الخارجية القريبة وبالنسبة للمعلمين من مدرسة الاقتصاد الثانوية، كما أنه مبكر جدًا بالنسبة لطلاب أكاديمية الفنون. لقد أربك وصولهم النادلة. فقد اعتادت أن تبدأ، بمجرد أن تراهم، في إعداد كوبين من القهوة.. سادة لـ"تاراس" و"كابتشينو" لـ"برايك"، وشاي بالنعناع لـ"أوسترتس"، لكنها رأت معهم امرأة هذه المرة، يبدو أنها شابة، وهو ما لا يتسق بطريقة ما مع طبيعة هذه المجموعة الذكورية. وقفت عند البار مترددة وهي تحمل كوبين من القهوة في يد واحدة، وفنجان شاي في اليد الأخرى ثم توجهت نحو "تاراس" الذي سأل "تينا": "ماذا تريدين؟". "أريد؟". "لتشربي. ماذا تريدين أن تشربي؟".

طلبت قهوة سادة. لم يسبق لـ"تاراس" أن قابل نساء كثيرات يشربن القهوة بلا أي نوع من أنواع الحليب، ولا واحدة في الواقع قبل "تينا".

سألها "تاراس": "كيف تتناولين قهوتك سادة؟". "لا أحب الحليب".

انتظر "تاراس" حتى أحضرت النادلة "سيلفا"، السيدة التي تبلغ من العمر حوالي ستين عامًا طلبها، ثم لخص لفترة وجيزة، وبإيجاز، ما حدث في اليوم السابق، وأخبرهم بما وجدته "تينا" على كمبيوتر "هليب" المحمول، ثم انتظر لمدة نصف دقيقة حتى يتمكن زملاؤه من استيعاب ما قاله. قال "برايك": "إذًا هذا.. الذي يُدعى "فيربيتش" هو الشخص المستهدف". قال "تاراس": "لا أعرف.. فلتخبرني أنت".

نظر إلى "برايك" ثم "أوسترتس" وأخيرًا "تينا". في الحقيقة لم يكن بحاجة لأفكارهم، بل لسماع أصواتهم فحسب.. فالجهل لا يعد جهلًا إلا إذا نُطق به، وطالما بقي بالرأس يُعدُّ غاية في العقلانية. قال "تاراس": "أرسل لي "جولوب" للتو تأكيدًا بأن من عثرنا عليه بالأمس بالقرب من "بوفيتس" هو بالفعل عميد كلية التكنولوجيا الحيوية، "دراجو هليب". تمكن أخيرًا من تذكر اسمه الأول.

بادر "برايك" قائلًا: "إذا بدا كأنه فيل ورائحته كريهة كالفيل، ويتبرز كالفيل، فقد يكون فيلًا". أكد "أوسترتس": "كل الأشياء تتسق مع بعضها بعضًا".

أخرج "أوسترتس" كيس الشاي من فنجانه، ثم قام بلف خيطه حول الملعقة، وهي حركة وجدها "تاراس" مزعجة إلى حد ما لأن "أوسترتس" أبدى تركيزًا تامًا وهو يقوم بها.

عصر آخر قطرة بالكيس ثم وضعه على الطبق. من الواضح أنه لن يضيف شيئًا على الجملة التي قالها لتوه لأنه شرع في احتساء الشاي، ولأنه ساخن جدًا فقد لوى قسمات وجهه كما يفعل دومًا.

التفت "تاراس" إلى "تينا" التي نظرت إلى زملائها الأكبر منها سنًا، كي تتأكد من أنهم انتهوا من كلامهم. قالت "تينا": "المواصفات تنطبق عليه.. الكراهية التي تفيض بها رسائله تتماشى أيضًا مع الطريقة الوحشية التي هاجم بها الضحية الأخيرة، من الواضح أن لديه دافعًا". سأل "برايك": "أي كراهية؟". "كراهيته نحو الضحية الأخيرة، أعني "هليب". وفقًا لما ورد برسائله يمكننا افتراض أنه ألقى باللوم على "هليب" لفقدانه وظيفته وأنه..".

تحدثت عن الرسائل التي يعلم "تاراس" بأمرها بالفعل. فكر "تاراس" أن المشاعر التي تنتابه الآن قد تكون نتيجة للإرهاق المتراكم على مدار الأيام القليلة الماضية، إذ كان يقضي في العمل فترة أطول من المعتاد، وبعده يذهب لممارسة الجري أو الملاكمة في وقت لاحق أو أي شكل آخر من أشكال الترفيه، وينام عدد ساعات أقل من المعتاد.. لعل هذا هو السبب في أنه أخذ يحدق في فتحة البلوزة البيضاء التي ترتديها "تينا" بنظرة طال أمدها عن أي نظرات مُتقطّعة، رغم أن الفتحة لا تكشف عن أي شيء تقريبًا، فهي بالكاد تكشف عن بداية الشِق الذي بين ثدييها.. إلا أنها بدت مع وجهها الذي نسي أنه وصفه قبل أسبوع واحد بأنه لافت فقط على

أقصى تقدير. تنهد ثم أومأ إليها كي تواصل حديثها. يبدو أنها اعتقدت أن نظرته الصاغرة المستكينة ترجع إلى أنه ينصت إلى ما كانت تقوله. رائع، الآن بوسعه التحديق في الشِق كيفما يشاء، فمن الواضح أنه يُصنف الآن من بين أولئك الذين لم يعد لديهم دوافع جنسية. قالت "تينا": "إنه توقف عن إرسال الرسائل الإلكترونية في الثاني والعشرين من ديسمبر، أي قبل يوم واحد من مقتل فتاتنا المجهولة التي..". قال "تاراس": "لكن الثالث والعشرون ما هو إلا يوم وفاتها المفترض. لعلها قتلت قبل أو بعد هذا التاريخ بيوم".

وحتى لو كان لديه دوافع جنسية؟ وحتى لو سنحت له الفرصة؟ فهي أصغر منه بعشرين عامًا تقريبًا، أي إنها في عمر ابنته "آنيا"، ليس تمامًا، لكن بالتأكيد أقرب إلى عمرها منه. تابعت "تينا" قائلة: "قُتلت بالطريقة الوحشية نفسها التي قُتل بها "هليب". ماذا لو كان "هليب" والضحية الأولى عاشقين وأراد أن ينتقم منه بقتلها، ولكن عندما فشل في قتلها أو عندما رأى أن قتلها ليس كافيًا.. قتله أيضًا؟". توقف "تاراس" أخيرًا عن التفكير في فتحة البلوزة وقال: "لماذا لم يبلغنا "هليب" بذلك عندما سألناه عنها؟ بالتأكيد هذا شيء يستحق الذكر؟". سألته: "هل كان متزوجًا؟". قال "تاراس": "على الأرجح. لا أدري".

لعله متزوج مثله، زواج قانوني ورسمي، نعم، ولكن في الواقع، لا؟ ماذا لو أنه مُطَلّق مثل "برايك" مثلًا؟ لعله مثل الأول لا الأخير. قال "برايك": "حسنًا، أنتِ لست جميلة

فحسب، بل ذكية أيضًا". ومن الواضح أنه لاحظ أيضًا أن بلوزتها بلا أزرار.

ابتسمت بأدب، ولكن بشيء من التبرم. هل كانت ستبدي تبرمًا لو أنه من قال هذه الجملة؟ أليس من الأفضل لو فكر في الجثتين اللتين هو مسؤول عنهما بمعهد طب التشريح؟ هز رأسه فرمقه ثلاثتهم بنظرة فضولية، فقال: "إنها بعض الأفكار العالقة في رأسي فحسب". سألت تينا": "وماذا بعد؟". "هَيّا بنا جميعًا إلى الاجتماع".

شرب "تاراس" آخر رشفة من قهوته التي بردت منذ فترة طويلة وعندما رفع عينيه عن الكوب ألقى نظرة خاطفة وللمرة الأخيرة على فتحة البلوزة التي لم تقدم شيئًا، بل لا شيء تقريبًا، ربما هذا اللاشيء هو ما جعلها مغرية للغاية، فبعض القليل خير من الكثير أحيانًا. قال "تاراس": "سنذهب إلى الاجتماع ونرى ما سيقولونه".

***

كان "درفاريتش" ينتظرهم في مكتبه الذي أجزم "تاراس" أنه منظم أكثر من المعتاد. الكرسيان اللذان حول الطاولة الصغيرة، أصبحا الآن خمسة، ووضعوا على عجل في دائرتين، وعلى الطاولة آنية زهور، بل مجرد بصيلات لم تُزهر بعد كما ينبغي. وجد "كريستان"، من مديرية الأمن العام، جالسًا على أحد الكراسي الخمسة بينما جلس "درفاريتش" إلى مكتبه الذي لم يحيهم عندما طرقوا الباب ودخلوا،

وافترض "تاراس"، لا.. لم يفترض، بل أجزم أن ثَمة خطأ ما وقع. إن أمثال "درفاريتش" هم أفضل من يخبرك بمدى رضى رؤسائك عنك أو بمدى استيائهم منك. لم يكشف وجه "كريستان"، كالعادة، عن أي شيء، ولكن مجرد وجوده في حد ذاته ينطق بأن هناك خطأ ما.

بعدما جلسوا إلى الطاولة، نظر "درفاريتش" إلى "كريستان"، ولم يبدأ الأول حديثه إلا عندما تلقى من الأخير إشارة تعرف عليها فقال: "إن الأمور تسير بشكل سيئ! سيئ للغاية! سيئ منذ البداية، وما يبدأ هكذا لا بد أن ينتهي حتمًا بهذا الشكل السيئ". سأله "تاراس": "ما الذي تتحدث عنه؟". قال "درفاريتش" بعدوانية: "أنا أتحدث عن حقيقة أن..".

إن نبرة صوت "تاراس" هذه لم تعجب "درفاريتش" أبدًا وعادة ما كان يتسامح معها، ولكن يبدو أنه لن يتسامح اليوم. مر زمن ليس بالقصير منذ أن كان نِدًا له، مر زمن يكفي لأن ينسيه كم كان محققًا جنائيًا متواضع المستوى. كرر قائلًا:

"أنا أتحدث عن حقيقة أن الجثة الأولى عندنا منذ فترة طويلة تكفي لأن نتعرف على هويتها. أنا أتحدث عن حقيقة أن لدينا جثة ثانية الآن، لها علاقة بشكل واضح بالأولى، وأرجو أن تجيبوا عن سؤالي التالي: هل تعرفون على الأقل أي علاقة تربط الجثتين، بغض النظر عن تباعد موقعهما جغرافيًا؟".

كان "درفاريتش" يميل نحو "تاراس" ولأن الأخير لم

يتراجع للوراء أو يشيح ببصره بعيدًا عن رئيسه، بل لم يفعل أي شيء يتسق مع مكانته الأدنى منه فقد استفز "درفاريتش" أكثر.

فقال وهو يكاد يصرخ: "لا تعرفون الإجابة. ولماذا لا تعرفون؟ لأنه بدلًا من التحقيق في الجريمة، بدلًا من القيام بما نتقاضى عنه أجرنا، فقد قمنا بالخوض في حياة الناس الخاصة كأننا نوع من شرطة الآداب. حسنًا، نحن لسنا كذلك".

ابتسم "تاراس" ولم يحاول أن يداري ابتسامته أيضًا. هذا هو الخطأ إذًا! تابع "درفاريتش" قائلًا: "بالأمس زار الوزير السيد "كريستان". ليس وزير الداخلية المسؤول عنا، رغم أن ذلك بحد ذاته يُعد مؤشرًا سيئًا بما فيه الكفاية لو أنه حدث. لا، بل كان وزير المالية!".

وشدد على كلمة "وزير المالية" كأن ذلك سوف يهز "تاراس" وفريقه أكثر. لم يتفاعل "تاراس" مع ما قاله. نظر إلى "كريستان" الذي لم يظهر أي علامة على أنه ربما أمر "درفاريتش" بالهجوم على "تاراس" بشكل مباشر أمام زملائه واختبار قدرته على الصمود. ربما ناقشوا الأمر من قبل على الأقل، وإلا لما أزغى "درفاريتش" من شدة الغضب ولما ظل "كريستان" يترقب نتيجة المبارزة بمنتهى الهدوء. التفت "تاراس" إلى "درفاريتش" مرة أخرى. "ما الذي يهمك حقيقة؟". "بصفتي رئيسك في العمل، هذا إن فاتك قراءة اللافتة المعلقة على الباب، فأنا مهتم بمن قتل فتاتنا المجهولة والدكتور "هليب" الذي - لو أخذنا بما ذكرته ملاحق

صحف عطلة نهاية الأسبوع - أصبح أو كان من الممكن أن يصبح.. أملًا جديدًا في سماء العلم يملأ قلوب السلوفينيين، هذا لو أنك تحركت في الوقت المناسب وقبل فوات الأوطان". قال "تاراس" ساخرًا: "أوه، إن هذا الذي يدعى.. ما اسمه يا تينا" ثانية..؟". "ماتي فيربيتش".

ساعدته وسيتعين عليه تهنئتها لاحقًا على نبرة صوتها اللطيفة اللامبالية والأشبه بآلة الرد الآلي.

قال "درفاريتش": "لذلك ستتولى مديرية الأمن العام أمر هذه القضية، وما يعنيه هذا لك ولزملائك الثلاثة الموجودين هنا، سنناقشه لاحقًا".

نظر كل من في المكتب، باستثناء "درفاريتش"، إلى بعضهم بعضًا، وحتى "درفاريتش" لاحظ أنه ربما ارتكب خطأ ما في سياق ما. نظر إلى كل واحد منهم وقد انتابه الارتباك ثم نظر أخيرًا إلى "كريستان" الذي تجاهله. سأل "كريستان": "هل تقول إن لديك مشتبهًا به يا "تاراس"؟". هز "تاراس" كتفيه باستهجان، ثم قال: "نعم، هذا ما أحاول أن أقوله إذا كان هذا بالطبع ما يهمك. للوهلة الأولى اعتقدت أننا هنا بسبب زيارتي للسيد "ميهليتش".

نظر "تاراس" إلى "درفاريتش" الذي التفت إلى "كريستان" مرتبكًا، وهز رأسه ببطء وبشكل يمكن ملاحظته بالكاد ثم قال: "إيمانًا منا بأننا في هذا البلد، أو على الأقل في نظر القانون، ما زلنا جميعًا سواسية فا..". بدا "كريستان"

تصالحيًا ومُتلَهِّفًا في الوقت نفسه عندما قال: "المشتبه به، يا "تاراس". "وجدته "تينا". "جميل، ثم؟". "عثرنا على رسائل تهديد بكمبيوتر "هليب" المحمول أرسلها له "ماتي فيربيتش"، الذي كان - على ما يبدو - موظفًا سابقًا في كلية التكنولوجيا الحيوية هنا في "بوهيني". وقد أقاله "هليب". صرخ "درفاريتش" قائلًا: "فعلًا يا..!". لكن "كريستان" قاطعه بإشارة من يده ثم قال لـ"تاراس": "استمر".

أخبره "تاراس" بما لديه من معلومات عن موظف الاستقبال الذي رصد "هليب" يتحدث إلى امرأة مجهولة خارج الفندق وعن رحلتهم إلى "ترينتا"، قال "ترينتا" لأنه لن يتعب نفسه ويشرح له موقع "بافشيتسا" في كل مرة، وعن السيارة التي أخرجتهما عن الطريق، وعن الجثة التي ما زال الدم الذي يجري في عروقها دافئًا.

ثم قال "تاراس": "لأنني لا أظن أن وراء كل هذا مؤامرة من جانب مجموعة من شركات الأدوية تمارس الضغط، أو لأنني أكثر شخص في هذا البلد لا يرغب في أن تتطور الأحداث بهذا الشكل، رغم أن "ميهليتش" يبدو أنه يبذل قصارى جهده ليقنعني بالعكس..". ضحك "كريستان". تابع "تاراس": "سأكون سعيدًا جدًا إذا تبين أن المشتبه به هو المذنب، والأفضل لنا جميعًا أن يكون كذلك.. هذا إذا ثَبُت أن "فيربيتش" هذا يمتلك سيارة "هيونداي كروس أوفر" لونها أخضر داكن.. وهو ما أراهن عليه إلى حد ما".

سأله "كريستان": "هذا الوضع مَرضٍ. هل طلبت استصدار

أمر قضائي بالقبض عليه؟".

هز "تاراس" رأسه بالنفي، ثم قال: "أرسلت طلبًا أمس للبحث عن السيارة، ولم أكن قد حصلت على اسمه أو لوحة الأرقام بعد. ما قلته لك للتو اكتشفناه للتو أيضًا". "حسنًا، اطلب استصدار أمر قضائي لاعتقاله. اذهب إلى الكلية وتحرى عنه من السكرتيرة ومن زملائه، ستجد بينهم من يعرف، ثم أعلمني وسنرسل القوات الخاصة لتعتقله". قال "تاراس" لنفسه: "ستذهب معهم بالطبع، يتبعك طاقم تصوير من محطة التليفزيون الرسمية وقناتين خاصتين في الخلفية". تابع "تاراس" قائلًا: "أظن أن مديرية الأمن العام ستتولى أمر هذه القضية". ضحك "كريستان" من صميم قلبه مرة أخرى ثم قال: "نحن لسنا أشرارًا لهذا الحد يا "تاراس"، وهذه فرصة مواتية لنثبت للسلطة الرابعة أننا لسنا منقسمين على أنفسنا. سننفذ أمر الاعتقال، وستتولى الباقي، والفضل سينسب لنا جميعًا".

وقف "كريستان"، وصافح "تاراس"، "تينا"، "برايك" ثم "أوسترتس"، بالترتيب. عندما صافح "تينا"، أضاف عبارة موجزة بصوت ساحر لا يصدر إلا من زير نساء عجوز: "أحسنتِ، أيتها الزميلة". لوح إلى "درفاريتش" الذي نهض من على مكتبه وهو يشعر بأنه تلقى طعنة في ظهره. فتح "كريستان" الباب وقبل أن يخرج التفت خلفه نحو "تاراس" لبرهة وقال: "تحياتي إلى "ألينكا". قال "تاراس": "سأبلغها".

انتظر حتى غادر "كريستان" ثم التفت مَشدوهًا نحو

"درفاريتش" الذي كان يفكر قبل لحظة واحدة فقط إذا كان سيخبر "تاراس" أن لصبره حدودًا أم لا.

قال "درفاريتش": "إنها طبيبة أحفاده".

عندما غادر "تاراس" المكتب، يتبعه فريقه، ظل "درفاريتش" جالسًا يحاول استيعاب هذه المعلومات. أيًّا كان الذي حدث، ربما ينبغي عليه أن يتعامل مع "تاراس" بمزيد من الحذر في المستقبل.

الفصل السابع والعشرون



هتف "أوسترتس" قائلًا: "وجدته!".

استمر في البحث عن "فيربيتش" في بيانات السجل السكاني المركزي، وهو نظام قديم، ولكن من المدهش أنه لا يزال قابلًا للاستخدام والتحديث. لكي تعثر على بيانات أي شخص فما عليك إلا أن تُدخل اسمه. عندما تُدخل اسم شخص ويظهر لك عشرون اسمًا، أي الأسماء الأكثر شيوعًا على الأرجح، فقم بإضافة تاريخ الميلاد أو بعض المعلومات الأخرى المعروفة وسيقوم النظام بتضييق البحث وعرض صورة الشخص المطلوب، وكل عناوينه، وأطفاله، وحتى السيارات التي سجلها في أي وقت مضى، وممن اشتراها ولمن باعها. أكمل "أوسترتس" قائلًا: "ماتي فيربيتش"، 12 شارع "جورتسيا"، بلدية "آيدوشتشينا".

قال "برايك" ساهمًا: "آيدوشتشينا"؟ أتذكر أنني ذهبت ذات يوم لمطعم هناك، ما اسمه.. أوه، الطعام..". قطع "برايك"

كلامه بعدما التقت عيناه بعيني "تاراس".

قال "أوسترتس": "خمن أي سيارة يقودها رجلنا، يا "تاراس"؟". لم ينتظر رده، بل تابع قائلًا: "إنه يقود سيارة من طراز.. - وجدتها - "هيونداي"، موديل 2016، وتحمل اللوحة المرورية رقم: GO U2-17P.

نظر إلى "برايك" الذي كان يملأ بالفعل مذكرة توقيف، ثم أضاف بشيء من الحسد قائلًا: "ليست من طراز سيئ بالنظر إلى أن مالكها يعمل بالقطاع العام. متى كانت آخر مرة اشتريت فيها سيارة جديدة يا "برايك"؟.

بعد نصف ساعة، أوقف "تاراس" سيارة الشرطة "السكودا" بمَوْقِف السيارات التابع لكلية التكنولوجيا الحيوية، وتذكر المرات التي مر به فيها وبانتظام وهو يركض لمسافات طويلة تصل إلى 11 كيلومترًا. لم يعد يمر به لأنه لم يعد يركض إلا لمسافات قصيرة فقط، وتذكر بشيء من تأنيب الضمير أنه لم يعد يمر من هنا وهو يركض لاهثًا منذ زمن. قد يأتي للركض هنا هذا المساء بعدما تتجمد الثلوج التي تراكمت على مدار اليوم وذاب بعضها، أو غدًا خلال النهار.. هذا إذا تمكنوا من إتمام مهمتهم اليوم. رأى العلم الأسود يتدلى من الصاري أمام مبنى الكلية. سارا عبر الجسر باتجاه الممشى الموازي عبر مجرى "جلينشتشيستا" المائي باتجاه مدخل المبنى الدائري الشكل بواجهته الزجاجية المعدنية. سأل "تينا": "ألست سعيدة لأنك أوشكتِ على حل قضيتك الأولى؟". هزت رأسها بالنفي ثم قالت: "بصراحة، خاب أملي

قليلًا". رمقها بنظرة متسائلة. ابتسمت ثم قالت: "لعله تأثير المسلسلات التليفزيونية الكثيرة التي شاهدتها. لا أعرف أي قاتل توقعت بالضبط، ولكنني لم أتوقع بالتأكيد مجرد رجل عجوز مجنون". "جربي ألا تتوقعي أي شيء وستوفرين على نفسك متاعب كثيرة في الحياة".

ضحكت، فضحك "تاراس" أيضًا. كان مقتنعًا بأنهم يسلكون مسارًا يقود إلى "فيربيتش" المجنون وليس إلى "ميهليتش" أو إلى القضية التي يبلغ عمرها ثلاثين عامًا. ستصبح الأمور أبسط على أقل تقدير عبر هذا المسار. يتضاءل العمل كثيرًا عند التعامل مع رجل مجنون وَخدَانِي مقارنة بالتعامل مع متآمرين.

أظهرا بطاقتي هويتيهما الشرطية وسألوا عن مكتب السكرتيرة. لم يقولوا سبب وجودهم، وبالطبع لم يكن هنالك داعٍ لأن يفعلوا. شعر "تاراس" بعيون فضولية تتبعه على امتداد الممر الطويل.

كانت السكرتيرة سيدة عجوز في حوالي الستين من عمرها. تعرف "تاراس" على صوتها عندما صاحت قائلة: "ادخل". أظهر لها بطاقة هويته الشرطية. تلفت حوله ثم أشار إلى مقعدين حول طاولة بالزاوية، ثم قال: "أيمكننا أن تحدث؟".

نهضت السكرتيرة وتركت مكتبها ومشت إلى المقعد الذي أشار إليه "تاراس" دون أن ترفع عينيها عنه بتاتًا، ثم جلست عليه. قال "تاراس": "لعلكِ تعلمين أننا هنا بسبب مقتل

البروفيسور "هليب"..".

بالطبع كانت السكرتيرة على علم بجريمة القتل. ربما علمت من العلم الأسود المرفوع خارج المبنى، ومن مقالات الصحف، ومن الأخبار التي تُبث في كل الأخبار التليفزيونية والتي لم يشاهدها "تاراس". وقبل أن يُتِم جملته انفجرت المرأة في البكاء بلا توقف. أخرجت "تينا" بعض المناديل الورقية من جيب سترتها وناولتها للسكرتيرة، وشعر "تاراس" بالارتياح لأنها معه. انتظر حتى تكف عن البكاء بمشاعر تخلو من التعاطف نظرًا لاعتياده مثل هذه المواقف. إنه لا يواجه مشكلة حقيقية في هذه المواقف إلا عندما يضطر إلى إبلاغ أخبار مماثلة إلى زوجة أو أبناء لا سمح الله. شعر بالحسرة، بل بشيء من الحنين إلى أوقات جفف فيها دموع أمثال هذه السكرتيرة في مواقف مماثلة وأبدى ذاك التعاطف الذي فقده الآن. انتظر حتى هدأت. وضعت المناديل المبللة وقالت وهي ترمقه بنظرة كراهية: "إنني أخبرتكم بأن الأمر سيبلغ هذا المدى.. أخبرتكم. وماذا فعلتم؟ لا شيء!".

انفجرت في البكاء مرة أخرى إلا أن "تاراس" لم ينتظر هذه المرة حتى تكف عن البكاء. قال "تاراس": "من أخبرتِ؟ وبماذا؟". سحبت السكرتيرة منديلًا آخر من يد "تينا" وأخذت تجفف دموعها وهي تقول: "بعد أن انهالت علينا تلك التهديدات، اتصلت بالشرطة وأخبرتهم بذلك فطلبوا مني أن أرسل لهم الرسائل ففعلت. وعندما لاحظت أنها توقفت، اعتقدت أنهم قاموا بتسوية الأمر مع من أرسلها، لكن اتضح

أنهم لم يفعلوا".

سألها "تاراس": "بمن اتصلت؟ لأين أرسلتِ رسائل التهديد؟". نهضت وتوجهت إلى مكتبها، وبحثت عن شيء على جهاز الكمبيوتر، ثم نقرت على الفأرة، وبعد لحظة أحدثت الطابعة ضوضاء. انتظرت حتى طُبعت صفحة ثم تناولتها وعادت إلى "تاراس" وقالت: "ها هو، أيها المحقق، هنا المكان الذي أرسلتهم إليه". نظر "تاراس" إلى رأس الرسالة الرسمية وقرأ: "جمهورية سلوفينيا، مديرية الأمن العام، 2 شارع شتيفانوفا، ليوبليانا". استدار نحو "تينا" وقال: "مديرية الأمن العام، لقد أرسلتها إلى مديرية الأمن العام!".

***

يمر شارع "جورتسيا" عبر "آيدوشتشينا" باتجاه إيطاليا، وكما يوحي اسم الشارع، فإنه يتجه إلى مدينة "جورتسيا" الإيطالية الحدودية. هناك شركتان مسجلتان بالعنوان: 12 شارع "جورتسيا"، أحدهما شركة مقاولات وأعمال بناء والأخرى ورشة لتركيب طوب القِرميد، وكلاهما بالدور الأرضي، وفوقهما الشقة الخاصة بـ"ماتي فيربيتش". في الثانية بعد الظهر، وصلت ثلاث سيارات للشرطة، عربة مقفلة بيضاء لا تحمل علامات ونوافذها معتمة، وكما توقع "تاراس"، وصلت عربات بث خارجي تتبع ثلاث محطات تليفزيونية مختلفة، وتوقفت جميعها في ساحة انتظار سيارات قريب. وأخذ الصحفي من محطة التليفزيون الوطنية يداعب زميلتيه في انتظار أن يعيره "كريستان"

المسؤول عن العملية بعض الاهتمام. ويُعد "كريستان" أحد الوجوه المعروفة في وسائل الإعلام، ويبدو أن الصحفي يعده صديقًا ويخاطبه باسمه الأول دليل على رفع الكُلْفَة بينهما. وفي كل مرة ناداه بـ"أندريه" كان من باب التباهي بعلاقتيهما الوطيدة. في النهاية، قال للصحفيتين اللتين يناديهما "بالفتيات"، أن على "كريستان" أن يشكر الصحفيين لأن الفضل في ترقيه عبر مسيرته المهنية يعود لهم. عندما اقترب منهم الشرطي أخيرًا، أظهر الصحفي شيئًا من الاستياء على وجهه وهو يقول: "أندريه"، تصورت أنك نسيتنا".

ومثل أفراد القوة الشرطية الخاصة التي تنتظر بالعربة البيضاء، كان "كريستان" في حالة تأهب قصوى، يحمل مدفعًا رشاشًا من طراز "هيكلر" الألماني ويرتدي خوذة، رغم أنه ليس بحاجة لهما لأنه لن يشارك في الهجوم الذي أوشك أن ينفذه ستة من أفراد القوة الخاصة. ونظرًا لما هو مُقدم عليه، فإن رمز النمر الأسود لقوات الأمن المطبوع على كم بزته السوداء أكثر من مُعبر.

قال "كريستان" وهو يبتسم بشكل غامض للصحفي: "دعونا ننجز مهمتنا أولًا".

يعرف "كريستان" كيف يتعامل مع هذه المواقف. على عكس أسلافه الذين يتصببون عرقًا باردًا لمجرد ذكر الكاميرا أمامهم، بينما عشق "كريستان" الظهور أمام الكاميرات، لأنه أدرك في وقت مبكر جدًا أن ذلك يساعده في مستقبله الوظيفي وفي أشياء أخرى بخلاف ذلك. يتمتع الناس

بقدرة محدودة على التذكر، لذا فهم يبسطون الأشياء التي يحفظونها بذاكرتهم. لقد قرأ ذات مرة في مكان ما أنه إذا تم اختيار مائة شخص عشوائيًا في أي مكان في العالم وطُلب منهم تسمية فيزيائي واحد، فسيرد المائة باسم "أينشتاين". ولن يعرف نصفهم أن "ألبرت" هو اسمه الأول. هل "ألبرت أينشتاين" هو الفيزيائي الوحيد الذي مشى على وجه الكرة الأرضية؟ وهل "بابلو بيكاسو" هو الرسام الوحيد؟ وهل "جوزيه بليتشنيك" هو المهندس المعماري السلوفيني الوحيد؟ بالطبع لم يفعل "كريستان" أي شيء سوى أنه جعل الصحفيين كلما أرادوا شيئًا من الشرطة.. لا يفكرون في أي شخص سواه، هو فقط. وبصرف النظر عن أن أولئك الصحفيين هم أيضًا الذين يتخذون القرارات بشأن الوظائف والترقيات داخل الشرطة، فقد أصبح "أندريه كريستان" وهو في سن الرابعة والأربعين، أصغر قائد عام للشرطة على الإطلاق وواحد من الشخصيات التي يندر وجودها لأن سقف طموحاته أعلى من ذلك بكثير. وفي سبيلها، كان من الضروري أن يستمر في جذب الاهتمام الإيجابي من جانب وسائل الإعلام والتليفزيون. اعترف لنفسه أن هذا الاهتمام كان متبادلًا لأنه مغرم بفنون الأداء.

سأله الصحفي وقد بدا عليه الانزعاج قليلًا لأن "كريستان" ما زال يبتسم لزميلتيه وليس له: "بمن سنمسك اليوم؟". "ماتي فيربيتش"، باحث سابق في كلية التكنولوجيا الحيوية تشاجر مع العميد، وعلى حد علمنا، فقد ذهب إلى منزل

العطلات الذي يملكه القتيل بـ"ترينتا" أمس و..".

بينما كان يدلي بحديثه لاحظ أن عدد الصحفيات قاصر على الفتاتين فقط، فتساءل: ألم يكن ينبغي أن يكون عددهن نحو خمس وعشرين مثلًا؟ إلى متى سيستمر المسؤولون في إرسال فتيات صغيرات السن في مهام صحفية؟ أحيانًا يأخذ انطباعًا بأن هؤلاء المسؤولين لا بد أنهم يختارون الصحفيات مثلما يختار أصحاب البارات نادلاتهم؛ من ذوات الابتسامات الجميلة والسيقان الطويلة. لا يعني ذلك أن هذا شيء يشتكي منه.. قال "كريستان": "مبدئيًا، الشخص الذي نبحث عنه خطير ومسلح بسلاح من العيار الثقيل على حد علمنا، مما يعني أنه يجب عليكم البقاء على مسافة آمنة حتى نؤمن المكان".

احتج الصحفي بعدما التفت إلى زملائه قائلًا: "هيا يا "أندريه"، لسنا أطفالًا. أنا لا أعرف رأيك، لكنني بحاجة إلى التقاط بعض الصور لنرسلها إلى ليوبليانا، ويمكننا عرضها بينما تُدلي ببيانك البائخ". ضحك وشعر بالرضا عندما ضحكت الفتاتان أيضًا. قال "كريستان": "حسنًا، كما قلت.. في النهاية.. هذا ليس لهو أطفال".

بمجرد أن يتأكدوا من وجود الرجل، سيعلمونه وسيدخل البناية بنفسه ويحضره أمام الكاميرات، ثم..

أخرج تليفونًا ذكيًا وكتب العنوان. ظهرت خريطة للمنطقة المستهدفة وبيّن للصحفيين وزملائه الموقع الذي عليهم

الانتظار فيه مع كاميراتهم ليزاولوا "عملهم التجاري"، كما أسماه. اختار الموقع بنفسه.. مَمشى جميل تمتد الأشجار على جانبيه، وتبدو زاوية منزل المشتبه به مرئية في الخلفية. كان الضوء مناسبًا ولن يكون مسلطًا على وجهه مباشرة عندما يدلي ببيانه، لذلك لن يضطر إلى التحديق في الكاميرا بعينين شبه مغمضتين. يمكنهم تكبير منزل المشتبه به في أثناء البيان، وربما عليه التحدث إلى المصور أيضًا، هكذا فكر.

قال "كريستان" وهو ينحني قليلًا: "سيداتي، أيها السيد..".

ثم جلس في مقعد الراكب الأمامي بالعربة البيضاء حيث كانت القوة الخاصة تنتظره بالفعل. مروا عبر الموقع. وجدوا عددًا من السيارات متوقفة خارج المنزل، بما في ذلك سيارة "هيونداي توسكاني" لونها أخضر داكن، سيارة جديدة تمامًا ونظيفة بشكل لافت. لاحظ الستائر التي أسدلت على نوافذ الطابق الأول. ثم أمرهم بإنزاله في مَوْقِف السيارات أمام الفندق على الجانب الآخر من الطريق حيث يمكنه مشاهدة العملية. سرعان ما فتح باب العربة وانتقل إلى سيارة شرطة كانت متوقفة في زاوية بمنطقة انتظار السيارات بحيث لا يتمكن المشتبه به من رؤيتها من شقته. لقد انزعج عندما رأى أن إحدى سيارات طاقم التليفزيون تنتظر في منتصف المَوْقف. ألا يمكنهم الالتزام بالتعليمات ولو لمرة واحدة؟

كان قائد القوة الخاصة رجلًا طويل القامة داكن الشعر في منتصف الثلاثينيات من عمره، وكان سعيدًا لأنه تخلص من "كريستان". فالقائد لا يرى داعيًا للاستعراض ذهابًا وأيابًا

أمام المنزل ثلاث مرات قبل الهجوم. قبل نصف ساعة من وصول "كريستان" إلى "آيدوشتشينا" سار هو ومساعده إلى العنوان المستهدف بملابس مدنية، وقاما بزيارة عامل تركيب طوب القرميد واستفسرا عن سعر تركيب المتر المربع من البلاط، واشتكيا له من عدم قدرتهما على إيقاف السيارة خارج الورشة لأن هناك شخص أوقف سيارة "هيونداي" خضراء على مساحة سيارتين.. أومأ العامل وقال: "أوه، إنه "فيربيتش". لا أريد سماع اسمه. لا أكون سعيدًا إلا عندما يتغيب عن المنزل..". "أوه؟". "نعم، إنه مجنون. اسأل أي شخص تريد. لقد تشاجر مع الجميع، بل وهدد بقتلنا. هل رأيت السيارة؟ الأحمق يغير سيارته كل عام لأن هناك فكرة تتسلط عليه ولا يحيد عنها وهي أننا نخرب له سياراته، وبمجرد أن يمسها أحدنا يجن جنونه. علاوة على أن أماكن وقوف السيارات بالخارج ضيقة للغاية، ولا يمكنك المرور بجانب السيارة دون لمسها دون قصد. لقد تقدم بالفعل ببلاغ ضدي مرتين، واتهمني فيه بأنني خدشت طلاء السيارة. ولما جاءت الشرطة في المرتين للتحقق من الضرر الذي من المفترض أنني أحدثته، اقتربت من الشرطيين اللذين وقفا بالقرب من السيارة، ولولا وجودهما لما جرؤت على الاقتراب منها، وقلت له: "هَيّا، أرني الضرر". قال وهو يشير إلى أجزاء من السيارة: "هنا، هنا". كان يشير إلى أجزاء لا يوجد بها أي خدوش على الإطلاق. قال له الشرطيان إنهم سيغرمانه في المرة القادمة بسبب.. لا أتذكر نوع التهمة التي قالاها له. إنه مجنون مريض بالفصام".

توقف وتنهد بصوت عالٍ، ثم قال وهو يشير بإصبعه إلى رأسه في حركة دائرية: "آسف، في كل مرة أفكر في هذا الرجل أفقد عقلي..". "والآن، نعود لما كنتما تسألان عنه".

إنه بالمنزل إذًا، ولا يغادره منذ أن فُصل من عمله إلا فيما ندر. إذا كان ضميره يؤنبه بعدما قتل إنسانًا منذ فترة قصيرة، ومن الواضح أنه يؤنبه، فكان عليه أن يلقي نظرة من نافذته من حين لآخر ويتساءل لماذا مرت عربة ذات نوافذ معتمة بجوار شقته ثلاث مرات في غضون هذه الفترة القصيرة. وقد يتساءل أيضًا لماذا كانت هي السيارة الوحيدة التي لم تسلك طريقًا بخلاف هذا الطريق المزدحم في الدقائق العشر الأخيرة. إنه لم يتساءل على الأرجح، ولكن لعله فعل.

أوقفوا العربة في الشارع حيث كان من الممكن إخفاؤها عن الأنظار في فصل الصيف وراء أغصان ذاك الصف من أشجار الزيزفون ذات الأغصان الوارفة، لكن الآن بعدما أصبحت أغصانها عارية، بل وأكثر من عارية فلا مجال لإخفائها، إلا أن "زوبان"، رئيس القوة الخاصة، قرر أنه هذا الموقع هو الأمثل لهم لبدء عمليتهم والتسلل خفية إلى البناية الواقعة على طريق "جورتسيا". تشير حواجز الطرق الممتدة لنصف كيلومتر على جانبي العنوان إلى أن الطريق خالٍ. ركضوا الأمتار القليلة الأخيرة إلى جدار البناية بحيث لا يراهم من بالطابق العلوي ثم تسللوا إلى المدخل حيث بقي اثنان منهم وتسلل الأربعة الآخرون على السلم إلى الطابق الأول والوحيد بالبناية واتخذوا أماكنهم حول باب

عليه لافتة تحمل اسم الدكتور "ماتي فيربيتش". ضغط "زوبان" بأذنه على الباب وأشار لأعضاء فريقه كي يثبتوا في أماكنهم ويلتزموا الصمت. حبس أنفاسه وحاول تهدئة دقات قلبه المتسارعة قدر الإمكان وانتظر حتى يتأكد أن الرجل المستهدف داخل المنزل، وإذا بانفجار قوي يدوي بالداخل فكاد أن يجعله يرتد عن الباب إلى الخلف. ألقى بنفسه لا إراديًا وتدحرج على الأرض مبتعدًا عن الباب.

كان "كريستان" جالسًا في السيارة والمحرك يعمل وعلى استعداد للانطلاق في أي لحظة، وتم تشغيل دائرة اتصال لا سلكية. إذا سارت الأمور على ما يرام، ففي غضون خمس دقائق، سيتم اعتقال الرجل المستهدف أو تحييده / قتله، وستلتقط الكاميرات عددًا كافيًا من التحركات حيث يظهر عدد من رجال الشرطة المشاركين بالعملية دون الكشف عن وجوههم، ويظل وجهه هو فقط الذي يمثلهم جميعًا ويظهر في اللقطة التالية، فيقف أمام الكاميرات ويوجه حديثه لمشاهدي التليفزيون وهو يرسم على وجهه تعبيرًا ينم عن بعض التعب، كأن لسان حاله يقول: مهمة أخرى ينبغي القيام به ثم يدلي بالبيان التالي: إن الشخص الذي اعتقلته الشرطة مجرم خطير، مشتبه به في جريمة قتل عالم مشهور على المستوى الدولي كان على وشك التوصل إلى اكتشاف علمي مذهل.. حسنًا، ربما لا داع لأن يستخدم كلمة "مشهور".

وضع "كريستان" لنفسه خططًا طموحة وكان يعلم أن لا شيء أهم من ذلك. معظم الناس لا يملكون خططًا لأنهم لا

يملكون طموحات أو يفترضون خطأ أن النجاح سيتحقق تلقائيًا إذا كانوا أكفاء في مجال دراستهم وفي وظائفهم. إن تكتيكاتهم بلا استراتيجيات. قال لنفسه وهو يبتسم: "يا لهم من حمقى!"، فإذا أردت أن تصبح محققًا جنائيًا كُفئًا، فمن الضروري أن تعمل على أن تصبح كذلك، لكن لا تتوقع الترقي في السلم الوظيفي لمجرد أنك كفء. إذا رغبت في الترقي وصعود السلم الوظيفي، فمن الضروري أن تعمل على حياتك المهنية. يعد "تاراس"، على سبيل المثال، أفضل محقق الجنائي لديهم، لكنه ظل عالقًا في بعض أقسام الشرطة المحلية، ولم ينتقل حتى إلى مديرية الأمن العام. لماذا؟ لأن وجوده في منصبه الحالي أنفع لتلك القيادات. لقد تولى التحقيق في أصعب القضايا بل وفي معظمها، وكان جزاؤه بالمقابل هو المزيد من القضايا خاصة تلك المستعصية على الحل، والعمل تحت رئيس مثل "درفاريتش"، الذي يشبهه قليلًا في بعض النواحي، الفارق بينهما هو افتقاره الرهيب لكياسة "تاراس" وموهبته. ألم يهتم "تاراس" بالمناصب العليا لأنه تبين أن "سندريلا" التي أحبها ما هي في الحقيقة إلا أميرة مَلَكِيّة؟ هل كان ساذجًا لهذا الحد، لا، بل أحمق؟ أم أن المناصب لا تعنيه؟

يعجز "كريستان" عن فهم هؤلاء الموهوبين الذين يفتقرون إلى هذا المنظور الأوسع ولا يرون إلى أين يقودهم ذلك.. وكم من مرة سأل نفسه هل من المحتمل أن ذاك الشعور بالسلطة الذي يجلبه لهم المنصب الأعلى لا يعنيهم؟ من

المؤكد أن حسنات المناصب العليا أكثر من سيئاتها، والمال أكثر والعمل أقل، والمكافآت أكثر والمسؤوليات أقل، وفي حال ارتكاب أي خطأ في هذه القضية، فسيلقي باللوم على "تاراس"، وإذا تكللت جهوده بالنجاح - ويبدو ذلك - فسوف يلعب "كريستان" دوره من واقع منصبه ويظهر للعامة على أنه الشخص الذي حل لغز الجريمة، وليس "تاراس".. الحشرة. لماذا لا يجتهد المرء ويسعى لذلك، ويعمل على بلوغه، خاصة أن هذه الجهود لا تُعد في الحقيقة جهودًا على الإطلاق، بل مجرد استغلال مختلف بعض الشيء للطاقة والهِمّة؟ دفعة للأمام وليس للخلف.

لقد خطط لكل شيء. ورغم أنه ما زال في الثاني والخمسين من عمره إلا أنه تولى رئاسة الشرطة الفيدرالية لثماني سنوات متتالية وسيستمر في منصبه لمدة عامين آخرين. عندما يتوقع الجميع منه أن يرشح نفسه لولاية أخرى، ويمكنه أن يفوز بها بسهولة، فإنه سيمد أجهزة استشعاره إلى السياسة، ويختار الحزب الأنسب له اعتمادًا على تصنيفه، ثم يتولى منصب وزير الداخلية في الحكومة. وبعد ذلك.. تصبح كل المناصب العليا متاحة، حتى رئاسة الوزراء، خاصة مع تدفق كل هؤلاء اللاجئين على الحدود. لمن سيصوت الناس إذًا إن لم يصوتوا للشرطي الذي لا ينسى أبدًا أن يضيف في بياناته الصحفية والتليفزيونية أن قوات الشرطة لن تواجه أي مشاكل في حل المسألة، أو أن قوة الشرطة تعرف الحل؟ وإن لم يقل هذه العبارات.. لقال عبارات

على غرارها، وفي الوقت ذاته يجد "تاراس" غارقًا حتى أذنيه في هذا النوع من القرف البشري وهو يحاول فهم شيء عن ذلك العنف الدموي في الدماغ البشري.

تفقد "كريستان" ساعته.. دقيقة أخرى. كان يأمل أن يصلوا في الموعد المحدد تمامًا.

قال "كريستان" للسائق: "دقيقة أخرى".

قال ذلك ليس لأنه أراد التحدث معه إنما لمجرد أن يتفقد صوته فحسب، أي يقوم بتجربة أداء صوتي. نظر السائق في ساعته وأومأ. هل كان ضمير "كريستان" يؤنبه بسبب أناس من أمثال "تاراس"؟ هل شعر بأي تأنيب ضمير عندما سرق الكاميرا لنفسه في حين أن العمل الشاق قام به آخرون؟ وعندما استولى على عمل شخص آخر ونسبه إلى نفسه؟ حك ذقنه وتنحنح حتى إن السائق رمقه بنظرة متحيرة. قال "كريستان": "دقائق وينتهي الأمر".

وأومأ السائق. لا، إن ضميره ميت.. هذه هي وظيفته. قال "كريستان": "اللعنة!". لعن بصوت منخفض، ولكن ليس بالقدر الذي يجعل المخلوق الصابر الجالس بجواره لا يسمع ولا يفهم ما قاله، فقال السائق: "عفوًا؟".

لم يرد عليه. كان هناك شيء ما يحدث وراء السائق في عربة طاقم التليفزيون في منتصف مَوْقِف السيارات. فُتح بابها وقفز الصحفي والمصور ليستعدا للتغطية الإعلامية. كان السائق يتابعها وعندما رأى المشهد سب ولعن وهمّ بفتح

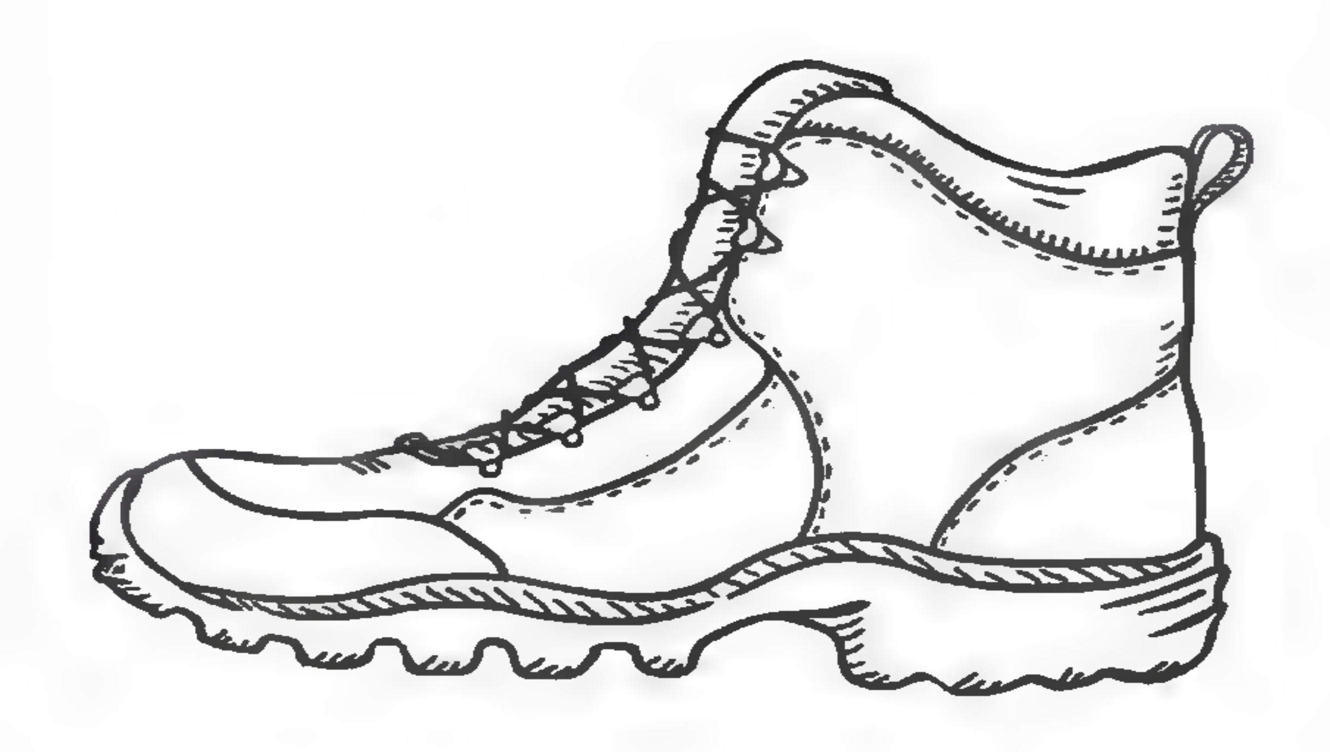
الباب إلا أن "كريستان" ربّت على كتفه وقال: "دعهم، دعهم. دعهم يقومون بعملهم".

وما إن أنهى جملته حتى شمع دويًا وشاهدا وميضًا تبدى كوهج لامع يمر بين أغصان الأشجار والشجيرات التي بين مَوْقِف السيارات الذي أمام الفندق والمنزل الكائن على الجانب الآخر من الطريق. وقع الدوي على بعد حوالي ثلاثين مترًا وبدا كأنه مفرقعة نارية بعيدة، مزعجة ولكنها ليست خطيرة، لذلك كان الأمر أكثر غرابة، بل وشبه مضحك، حتى إن الصحفي أمسك برأسه ليحميه من شيء طار في اتجاهه، وارتطم بالأرض.

شمع دوي طلقة ثانية إلا أنها لم توجه نحوهم، ولا نحو الباب، ولكن نحو مكان آخر. أشار "زوبان" إلى زميله على الجانب الآخر من الباب فتقدم إلى الأمام، وبحذاء الشرطة الثقيل ركل الباب الذي تحطم على الفور لأنه مصنوع من خشب رقيق مطلي باللون الأبيض، وثب اثنان منهم، "زوبان" وزميله الذي على جهة اليمين، وداهما الشقة. من عند الباب، شاهدا رجلًا يقف في نهاية الردهة القصيرة يطل من النافذة ولما حاول أن يستدير ويوجه نحوهما طَبَنجة ضخمة، لم يعطوه فرصة لأن يرفع ذراعه ويطلق النار، وأصابوه عندما استدار بزاوية تبلغ عشرين درجة على وجه التقريب. انهال وابل من الرَشقَات النارية القصيرة من مدفع "هيكلر" الرشاش فأصابت بطنه وصدره ودفعته إلى حافة النافذة ثم عبرها، فسقط من النافذة المواربة.

تساءل "زوبان": "على من كان يطلق النار؟" وتوجه إلى النافذة للاطمئنان على زملائه المنتظرين خارج البناية.

الفصل الثامن والعشرون



الأربعاء 10 يناير

سألتها: "قهوة سادة؟". أومأت "تينا".

اختفت "سيلفا" خلف طاولة المشروبات وعادت بالطلبات المعتادة: قهوة، "كابتشينو"، شاي بالنعناع، ومن الآن فصاعدًا ستضيف قهوة أخرى من أجل "تينا". حتى تحفظ "سيلفا" عادات زبائنها في صندوق ذاكرتها، فليس ضروريًا أن يتردد عليها الزبون عدة مرات، بل تكفي زيارتان. من الآن فصاعدًا، إذا أرادت "تينا" أن تشرب شيئًا آخر غير القهوة السادة فعليها

إخبارها، ويمكنها تلبية طلبها أيضًا. عندما يدخل الزبون المقهى فإنها تُلقي عليه بالتحية ثم بنظرة متسائلة تُلحظ بالكاد وإذا لم يستجب ولم يرد التحية، تسحب بطاقته من ذاكرتها. إن "سيلفا" هي أحد الأسباب التي جعلت مقهى "بيسكر" - رغم أن موقعه لا يعد مثاليًا - يعج بالزبائن. هناك عوامل شتى تجذب الناس إلى المقاهي، ولكن جعلهم يشعرون وكأنهم في بيتهم هو عامل الجذب الشائع لدى الجميع. ستجد "سيلفا" بالطبع صعوبة في جذبهم بسروال ضيق باعتبارها في سن الستين. سأل "تاراس": "هل شاهد أي منكم الأخبار بالأمس؟". قال "برايك": "كدت أموت من الضحك. ذاك الأحمق.. ما اسمه؟ ذاك الجاهل الثرثار الذي يظهر على شاشة التليفزيون.. حسنًا، ومن يعنيه اسمه. أصاب طلق ناري أذنه ثم حَدَث وَلا حَرَجَ عن ذاك المعتوه اللعين".

كان "برايك" رَائِق المزاج. إنه لا يحب الصحفيين مثله مثل معظم رجال الشرطة، لأسباب وجيهة.. فهم مثل الفَرَاشَات التي تلتف حول الضوء ولم يكن ضوء "برايك" وأمثاله ساطعًا بما يكفي لينجذبوا إليه. وإذا حدث ودعاهم أحد أمام الكاميرا لثلاثين ثانية فذلك كي يكيلوا لهم الاتهامات والأسئلة المسيئة، وإذا ظهروا في أحد البرنامج الحوارية الأسبوعية، فلا لشيء سوى مناقشة ممارسات الشرطة الوحشية ضد مدمني المخدرات الأبرياء أو أي شيء آخر من هذا القبيل.

إن المشهد الذي التقطته كاميرات إحدى القناتين التجاريتين والذي حصلت المحطة التليفزيونية الحكومية

أيضًا على نسخة منه بطريقة ما، استعرض لقطات للصحفي وهو يمسك بأذنه بالحركة البطيئة وبتكرارات متعددة مع دائرة وسهم يشيران إلى المكان الذي يجب أن ينظر إليه المشاهد، وكذلك الرصاصة من عيار 45 ملم التي أطاحت بأذنه اليسرى ومن ثم لن يستطيع أي جراح تجميل، مهما كان بارعًا، أن يلصقها أو يخيطها أو يعيد بناءها، ثم تبعته الكاميرا وهم ينقلونه إلى سيارة الإسعاف، وزارته أيضًا في المستشفى حيث ضمد الأطباء جروح رأسه وألقموه المزيد من المهدئات ومسكنات الألم. وعندما دفع زملاؤه بالميكروفون أمام فمه لم يَقوَ على فعل أي شيء سوى إطلاق صرخة واهنة. تابع "برايك" قائلًا: "ولم يكتفوا بذلك، بل زاروا ذاك الأبله المقرف في المستشفى وظهر على الشاشة وهو يصرخ صرخات طويلة حادة. هل تعرفه يا "تاراس"؟". "نعم". "ثم؟". "أبله مقرف".

ضحك الاثنان بينما كان "أوسترتس" يغمس كيس الشاي في الماء، وربما يفكر فيما إذا كان الوقت قد حان بالفعل كي يلف خيط الكيس حول الملعقة، ويبدو أن "تينا" مندهشة بعض الشيء وهي تستمع إلى المحادثة الجارية بين زميليها.

تابع "برايك"، وهو يشد أذنه ويبتسم لـ"تينا": "أوف، طارت أذنه. لا تقلقوا، سوف يطبعون له واحدة طبق الأصل. لقد قرأت ذات يوم أن شخصًا ما في كرواتيا استطاع أن يصنع واحدة على طابعة ثلاثية الأبعاد..". رمقت "تينا" "تاراس" بنظرة تحمل شيئًا من الرعب، فقال: "إن" فيربيتش" سيئ

الحظ، بتسديدة أفضل لتمكن من إصابة منتصف جبهته بالضبط". قال "برايك": "طلقة فارغة.. طلقة فارغة. إنه حتى لم يلحظ ذلك". قال "تاراس": "لو كنا نحن في مكان "كريستان" بهذا الموقف..".

كان يقصد نفسه بكلمة "نحن". ثم نظر لـ"تينا" وأكمل قائلًا: "لفهمتِ سبب تعاطفنا مع "فيربيتش" في هذا الأمر. هل تعلمون أن..". التفت إلى "برايك" و"أوسترتس" وتابع قائلًا: "هليب" أبلغ مديرية الأمن العام عن تهديدات "فيربيتش"؟". قال "أوسترتس": "هذا هو السبب في أنهم يماطلون ويتلكؤون. أعتقد أن التحقيق في البلاغ استغرق منهم وقتًا طويلًا. ثم؟ هل رَكنوا التقرير على الرَّف وأهملوه؟". "لا، لقد استصدروا أمرًا تقييديًا بعدم التعرض لكن يبدو أنهم لم يخطروا به المأسوف عليه "فيربيتش".

هذه المرة دُعي "كريستان" إلى زيارة إلى الاستوديو، ليس لمجرد الإدلاء بتصريح من موقع الحدث إنما ليظهر على الشاشة مُتأنقًا في بدلة رمادية تتلاءم مع الشيب الفضي الذي خَط شعره. بدأ مذيع الأخبار حديثه قائلًا: "تحولت "آيدوشتشينا" هذا المساء إلى مسرح لمشاهد لم نعتدها عادةً في هذه المنطقة من العالم".

بدلًا من عرض تقرير من موقع الحدث، مصحوبًا بمشهد إطلاق النار على مراسلهم، اضطرت القناة الحكومية إلى الاكتفاء ببعض اللقطات تذلل المنتج لمالك أحد المحطات الخاصة المنافسة ليحصل عليها، لكنهم على الأقل تميزوا

عنها بوجود "كريستان" شخصيًا في الاستوديو والذي واجه خيارًا صعبًا؛ هل يظهر على القناة التليفزيونية الحكومية أم على القنوات الخاصة؟ كانت الصحفيات في القنوات الخاصة أصغر سنًا ومستوى تصنيفهن أعلى، لكن تظل الشرطة مؤسسة حكومية. قال المذيع: "أخبرنا يا سيادة مدير الأمن العام، ما الذي حدث بالضبط في "آيدوشتشينا"؟ من هو القناص الذي أصاب مراسلنا وجرحه؟ هل هو حقًا الرجل نفسه الذي قتل عميد كلية التكنولوجيا الحيوية..".

لو قاد "تاراس" هذه العملية التي أصيب فيها أحد المارة، أي المراسل التليفزيوني في هذه الحالة، لعرف الجميع، بمن فيهم هو نفسه، أنه أفسد العملية. حتى لو لم يعرف أي شخص آخر سواه بالأمر، فإن تعبيرات وجه "تاراس" ستفضحه في حين كان "كريستان" آية في الهدوء والسكينة وهو ما بدا على شاشة التليفزيون بوصفه نوعًا من الضبط الاحترافي للنفس.

مرت لحظة أصيب فيها "كريستان" بالذعر. إنها اللحظة التي سقط فيها الصحفي على الأرض، أيًا كان نوع الرصاصة التي أطلقت على رأسه، فقد طارت مباشرة إلى باب السائق المفتوح.. تلك هي اللحظة. وفي الحقيقة لم تكن مجرد لحظة، بل إنها امتدت إلى بضع ثوانٍ طويلة حيث بقي "كريستان" جالسًا في السيارة بينما قفز السائق وركض نحو الرجل الذي سقط. وبينما أخذ الصحفي يتلوّى ألمًا، أطلق عليه القناص رصاصة ثانية أصابت الأسفلت ثم طاشت

وارتدت في الواجهة الزجاجية لبهو الفندق. بعد نصف دقيقة، حاول السائق أن يجر الصحفي الجريح للخلف والذي أخذ يركل ويرفس وفقد عقله تمامًا وهو يحاول العثور على أذنه على الأرض واستمر في الصراخ قائلًا: "أذني، أذني.. أين أذني؟".

لذلك اضطر الشرطي إلى إن يمسك به بإحكام لتهدئته وسحبه بالقوة إلى مكان آمن عن مرمى الرصاص، وهو ما لم يكن ضروريًا لأن الرصاصة الثانية كانت أيضًا الأخيرة. وبينما كان الشرطي ينقل الصحفي إلى مكان آمن، فتح "زوبان" وفريقه النار بالفعل على المهاجم ليسقط بجوار جدار البناية رقم 12، شارع "جورتسيا"، ولفظ أنفاسه القليلة الأخيرة بعد ثماني رصاصات انطلقت من بندقيتين آليتين ألمانيتين مزقت الشريان الأورطي وبعض الأوردة الرئيسة في رئتيه، كما قرأ "تاراس" في تقرير "تشفيلاك" إذ أخذ يدقق النظر في عبارة: "فوهتان من النوع نفسه من البنادق".

استغرق الأمر حوالي دقيقة حتى هدأ كل شيء، فلم يعد الدم يقرقر من فم الرجل الذي أطلق عليه الرصاص، حتى الطيور التي حلقت في السماء مذعورة من دويه حطت على الأرض مرة أخرى. كان الضجيج الوحيد الذي يمكن سماعه بعد تلك الدقيقة على الطريق إلى" جوريتسا" هو صراخ ذاك الرجل الذي طارت أذنه، والذي تمكن في هذه الأثناء من إلقاء نظرة على نفسه في زجاج سيارة الشرطة المعتم، ومن الواضح أن ما رآه لم يعجبه. جلس "كريستان" في السيارة

بلا حراك جسدًا وعقلًا. لقد شاهد ما جرى من حوله، وفهمه، لكن بدا الأمر كأن الاتصال انقطع بين مركز الاستقبال الحِسّي وذاك المسؤول عن الاستجابة.

سأل السائق "كريستان" رغم انشغاله مع الصحفي: "سيدي، هل أنت بخير؟".

بُهت "كريستان"، ونظر إلى مرؤوسه كأنه يراه لأول مرة ثم نهض وخرج من السيارة، ركض إلى الفندق، ومر أمام موظف الاستقبال المرعوب الذي أطل برأسه من خلف طاولة الاستقبال وتوجه مباشرة إلى دورة المياه وأغلق أحد الحمامات على نفسه. جلس على المقعد البلاستيكي وحدق في السطح الداخلي للباب، حيث حُفر عليه بآلة حادة "أمير من توزلا" الذي صادف أن مر من هنا يوم 21 نوفمبر 2015، لكن "كريستان" لم يكن في حالة تجعله يستوعب هذه الشَخْبَطَة. إذا سألوه عمّا كان يفعله هنا في الحمام، وعمّا كان يفكر فيه، فلن يعرف بماذا يجيبهم، لكن ما من أحد سأله. عاد من الفندق بعد عشر دقائق فوجد ممرضات الإسعاف قد انتهوا من تضميد جراح الصحفي وضخوا المهدئات في معدته. بهدوء، وكأن شيئًا لم يكن، مشى إلى السيارة، والتقط جهاز الإرسال اللاسلكي من الأرض أسفل مقعده، وضغط على الزر وتحدث في الميكروفون قائلًا: "هل تسمعني؟ هل تسمعني؟ أبلغ عن حالتك".

وأظهرت اللقطات التي بثتها محطة التليفزيون الحكومية، يصحبها تعليق بصوت "كريستان" المحترف، والدماء التي

سالت على الأسفلت في ساحة انتظار السيارات، التي لا تزيد عن بضع قطرات، وكذلك الصحفي برأسه الملفوف بالضمادات وبنظراته المذهولة في أثناء نقله إلى سيارة الإسعاف التي ابتعدت به. وعرضت لقطة أخذت من مسافة بعيدة يظهر فيها جسد بَاهِت المعالم في هيئة شخص يرتدي ملابس القوات الخاصة السوداء وينحني فوق الصحفي، ويجلس القرفصاء بجانبه، ثم ينهض، ويتلفت حوله، مثل "كلينت إيستوود"، في فيلم "هاري القذر Dirty Harry"، ثم استدار نحو الكاميرا. إنه "كريستان". ما بدا كأنه كارثة في لحظة الذعر المصاحبة لدوي إطلاق النار، حوله الآن إلى انتصار ساحق يحسب له. لقد بدا مظهره في زي القوات الخاصة رائعًا حقًّا.. خوذته تحت ذراعه مثل طيار بسلاح الطيران في مشهد بأحد الأفلام الأمريكية. في الواقع، لقد اقتبس "كريستان" هذا المشهد من فيلم "توب جن Top Gun".

قالت له مذيعة الأخبار الفاتنة: "أشكرك جزيل الشكر على وجودك في استوديو قناتنا وإفادتنا بالتفاصيل". ثم أضافت قائلة: "وماذا يمكنني أن أقول، هل نتمنى حظًّا سعيدًا لأمثالك من ذوي الهمم، أم ماذا؟". أجاب "كريستان" بتحفظ مصطنع ثم ابتسم: "لا يمكن للمرء أن يعتمد على الحظ وحده رغم أننا جميعًا نتمنى أن يحالفنا في اللحظة المناسبة". قالت "ألينكا" وهي تشاهد الأخبار: "لم أكن لأتصور أن "كريستان "هذا يمكنه أن يشارك في أي شيء من هذا النوع. لم يبدُ لي أبدًا كرجل مواقف، بل إنه يشبه القط الوديع". "إنه لم يكن جزءًا

من العملية على الإطلاق". "ماذا تقصد؟".

أخبرها "تاراس" بما كان "كريستان" يفعله بينما كان "زوبان" وفريقه يقتلون "فيربيتش". سألته: "والصحفيون.. ألا يعرفون ذلك؟". "إنهم يعرفون أو لا يعرفون.. عمومًا لا شيء يخفى عليهم. ليس الأمر بهذه الدرجة من الصعوبة، فقد كانوا هناك بالفعل". "لا يمكنني أن أصدق ذلك". "بل صدقي. لماذا، في رأيك، لم تسأله المذيعة أبدًا عن تفسير رئيس الشرطة لإصابة أحد المدنيين، بل وكاد أن يُقتل في أثناء عملية مداهمة للشرطة؟". "ولم يأتوا حتى على مجرد ذكر اسمك رغم أنك من قادهم إلى هذا الرجل المدعو.. "فيربيتش".

في الحقيقة أن زميلتهم الشابة الجديدة هي من قادهم إليه. إن "تاراس" لم يعرف حتى كيف يمكنه تشغيل كمبيوتر "هليب". علاوة على ذلك، من الواضح أنها لم تكن قضية مستعصية على الحل، إذا لم يحالفنا الحظ في جريمة القتل الأولى فإن كل شيء سار بمنتهى السلاسة مع "فيربيتش".

***

قال "برايك" بحماس: "ما شعور زميلتنا الشابة حيال قضيتها الأولى بعدما حلت لغز الجريمة؟".

تناولت "تينا" قهوتها وأخذت رشفة كأن عليها أن تتروى وتفكر قبل أن ترد. رد "تاراس" بدلًا منها قائلًا: "خيبة أمل".

انحنى "أوسترتس" فوق الشاي بطريقة ذكّرت "تاراس" بقط الصخور "ميركات" وهو يمدد ساقيه الخلفيتين فوق

جحره. قال "برايك": "خيبة أمل؟ لكننا حللنا لغز القضية؟".
هزت تينا كتفيها مستهجنة. قال "تاراس": "إنها تعتقد أننا لم نقم بشيء غير عادي، بل وتعتقد أنه حتى القرد المدرب كان بوسعه العثور على "فيربيتش" بعد جريمة القتل الثانية".
ابتسمت وقالت: "شكرًا لك يا "تاراس" على الوصف الحي لأفكاري والذي أراه دقيقًا للغاية أيضًا. لا أعرف.. ربما توقعت أن نكشف النقاب أولًا عن هوية الفتاة المقطوعة الرأس ومن ثم يقودنا ذلك إلى القاتل الذي لن يكون مجرد معتوه يقاتل فداء لآلام صلب المسيح". قال أوسترتس": "يا إلهي، ألسنا انتقائيين لا نرضى بسهولة؟". أضافت "تينا": "إلى جانب ذلك، ما زلنا لم نكشف النقاب عن هوية الفتاة المقطوعة الرأس بعد".

الفصل التاسع والعشرون



الثلاثاء، 9 يناير

للمرة الثانية انتظر "تاراس" حتى تجف دموع السكرتيرة، وترك لها العنان كي تصب جام غضبها عليه، ثم - كأنه لم يسمع ما قالته على الإطلاق - شرح لها بهدوء وبأكبر قدر ممكن من التفاصيل كيف دفعت التحقيقات به وبزميلته إلى منزل عطلات الدكتور "هليب"، ولكن بعد فوات الأوان للأسف. استمعت السكرتيرة وقرأ على وجهها تعبيرًا ينم عن الغضب، لكنها استمعت له، وعندما انتهى "تاراس"، التزم ثلاثتهم الصمت للحظة. ثم قال: "لذلك نحن بالطبع نتساءل من هي المرأة التي تحدث معها الدكتور "هليب" في الثاني

والعشرين أو الثالث والعشرين من ديسمبر في فندق "يزرو" في "بوهيني".

راقب وجهها بعناية.. لا شيء، لا تغيير. هل كانت بارعة حقًا في حجب ما لديها من معلومات، أم في التظاهر بأنها لا تعرف، أم أنها لم تفهم السؤال فعلًا؟

قال "تاراس": "نحتاج أيضًا إلى فهم سبب عدم تطرق الدكتور "هليب" إلى التهديدات التي تلقاها عندما تحدثنا معه عن الجثة التي وجدناها في "سافا بوهينيسكا". "لا أفهم". "الدكتور "هليب" كان متزوجًا، أليس كذلك؟". قالت السكرتيرة: "ولديه طفلان". انتظر "تاراس" ليرى ما إذا كانت ستبكي مرة أخرى أم لا، ولمّا لم تفعل، قال: "هل يمكنك مساعدتنا؟". "أساعدك؟ بماذا؟ كيف؟". "هل لديكِ أي فكرة عمّن تكون تلك المرأة؟". هزت رأسها بالنفي. "ما سأقوله لن يروق لكِ، لكن ينبغي أن تفهمي أن..". جفلت. تابع "تاراس" قائلًا: "هناك تلميحًا يستحق أن نضعه في الاعتبار ويشير إلى أنهما كانا عاشقين". قالت وهي تكاد تُكَشِّر عن أنيابها وتقطب جبينها: "آتني به، آتني بالشخص الذي أوحى لك بهذا التلميح الذي يستحق وضعه في الاعتبار وسأواجهه برأيي فيه مباشرة". "هل تعتقدين إذًا أن هذا ليس واردًا؟". "إن الدكتور "هليب" كرس حياته لعمله في الكلية ولأسرته، ولم يذهب إلى أي مكان بدون زوجته. كان من المفترض أن تذهب إلى "بوهيني" معه، ولكنها اضطرت إلى إلغاء حجزها في اللحظة الأخيرة لأن أحد أطفالهما مرض". استرخى "تاراس" على

ظهر الكرسي وهرَش رأسه، ثم قال: "اسمعي، أنا أيضًا سعيد في زواجي ولدي طفلان أيضًا، ولكن إذا اعترضت طريقي فتاة جميلة تصغرني بعشرين عامًا، فقد أجد نفسي في مأزق. فليس بوسع كل الرجال أن..". "لا أعرف ماذا كنت ستفعل أيها المحقق، ولا يهمني. ما أعرفه هو أن الدكتور "هليب" ليس من هؤلاء الرجال".

وضع "تاراس" مرفقيه على الطاولة وعَقّد أصابعه وأسند ذقنه بإبهامه ثم تنهد وأمعن النظر في عيني السكرتيرة التي لم يرفّ لها جفن، بل قالت: "إن أردت، يمكنني الإقرار بذلك كتابة". قال: "لا داعي. سأتولى أنا كتابته في تقريري".

***

بعد ساعة كان هو و"تينا" بمنزل زوجة "هليب" التي تعيش في ضاحية "لافريتسا" على المشارف الجنوبية الشرقية من ليوبليانا في منزل يقع على ربوة ويحيط به سياج خشبي وحديقة صغيرة، ولعل الزهور تنمو فيها صيفًا، ولكنها مغطاة بالجليد الآن. شعر "تاراس" بالسعادة لأنه لم يكن الشخص الذي اضطر إلى إبلاغها بوفاة زوجها. بصفته المحقق الجنائي المسئول عن القضية ينبغي عليه بالطبع أن يشارك في تفقد مسرح الجريمة، ولذلك عادةً ما ينجو من هذا الجزء الخاص بإبلاغ أهالي الضحايا ومع ذلك فقد أرسله "بينكا" منذ بضع سنوات بالإجبار تقريبًا إلى دورة تدريبية في هذا المجال والتي لم تستحق بوصفها مؤهلًا إضافيًا العلاوة التي ضرفت له. الآن، وهو يدق جرس الباب، أخذ يحاول كبت كل ما

هو إنساني داخله والتحول إلى آلة، آلة شرطية تقوم بما لا يستطيع الإنسان القيام به. فتحت الباب امرأة بدت أكبر من أن تكون زوجة الرجل المتوفى، وعندما قدم "تاراس" نفسه أومأت ودعته إلى الدخول وهي تقول: "أنا والدتها".

جلست الزوجة على الأريكة في غرفة المعيشة ساهمة تحدق في مكان ما فيما وراء التليفزيون الذي يعرض برنامج على قناة "ناشيونال جيوجرافيك". لم تبدِ السيدة أية إشارة، سواء بإيماءة أو بنظرة، إلا أنها لاحظت دخولهما. ليس هناك أي ضجيج آخر، ومن الواضح أن أطفالها ليسوا بالمنزل. جلسا على الأريكة المقابلة لها وهما يشعران بعدم الارتياح. قدم "تاراس" نفسه وبعده "تينا"، وبعدما أعرب عن تعازيه قال: "أود أن أسألك مَنْ ذاك الذي قد يُقدم على ارتكاب مثل هذا الفعلة الشنيعة، هل تعرفين؟".

نظرت إليه للمرة الأولى منذ أن دخلا الغرفة، فرأى خلف هذه النظرة أثرًا واضحًا للمهدئات اقترن بما تفوهت به من كلمات تَقْشَعِرّ لَها الأبدان حتى إن "تاراس" لم يشعر بالندم الحقيقي إلا الآن فقط.. ليته لم يوقف سيارته في تلك العاصفة الثلجية في ذاك اليوم الأخير من العام الفائت عندما مرّ بسيارة الشرطة التي وقفت في منتصف الطريق وسدته.

قالت الزوجة: "كنا نعلم أنه معتوه، وأنه سيرتكب شيئًا ما، لكننا لم نتوقع شيئًا من هذا النوع". لم تكن نبرة صوتها اتّهاميّة، بل حزينة فقط ولأقصى درجة.

بلَع "تاراس" ريقَه وحاول أن ينطق، وضاعت محاولته الأولى سُدًى في نوع من السعال قبل أن يتمكن من سؤالها قائلًا: "ماتي فيريبيتش"؟ هل هو من تتحدثين عنه؟". لم ترد، بل انهمرت الدموع من عينيها. لم تجهش بالبكاء، لم تنتحب، بل أخذت دموعها تتساقط على الأريكة ذات اللون الأبيض المائل إلى الصُّفرَة. تابع "تاراس" قائلًا: "أُطلق النار اليوم على "ماتي فيريبيتش" في أثناء عملية مداهمة قامت بها الشرطة".

راقب وجهها بعناية، على أمل أن يجد أي أثر ينم عن الرضا والارتياح، فلم يجد، بل بدا الأمر كأنه لم يقل جملته على الإطلاق. فقال: "هل تعرفين ماذا كان يفعل زوجك في "بوهيني"؟ هل أخبرك؟". بلعت ريقها كأن الكلام يسبب لها ألمًا جسديًا، ثم نطقت قائلة: "أعرف.. لإجراء بعض الترتيبات مع واحدة من شركات الأدوية.. لم يخبرني بالمزيد".

خشي "تاراس" أن تنفد طاقتها بعد قليل وتعجز عن مواصلة الحديث فتابع قائلًا: "هل ترجحين أن ما حدث لزوجك له علاقة بأي شكل من الأشكال بهذا الرجل؟". "إننا أبلغنا عنه ولم يفعلوا له شيئًا..".

نظر "تاراس" إلى "تينا" التي تناولت منديلًا من على الطاولة وقدمته للمرأة. أخذته منها ساهمة وأبقته في يدها، وظلت دموعها تتساقط على ركبتيها بلا انقطاع.

تابع "تاراس" كارهًا لكل كلمة ينطق بها قائلًا: "لا أعرف ما إذا كنت تعرفين أم لا، ولكن قبل العام الجديد بساعات

انتشلنا ضحية أخرى من بحيرة "بوهيني"، جسد امرأة شابة.. وفقًا للبيانات التي تمكنا من جمعها عمّا جرى خلال اجتماع الصيادلة في "بوهيني"، فقد تحدث زوجك مع امرأة مجهولة ينطبق عليها مواصفات الضحية. هل لديك أي فكرة عمّن تكون تلك المرأة؟". لم ترد، ولم تظهر أي علامة على أنها سمعت السؤال. ظلت جالسة على الأريكة والدموع تنساب على خديها، وعندما تمكن "تاراس" من مغالبة آخر لمسة إنسانية داخله وأوشك أن يعيد عليها السؤال مرة أخرى إلا أنها قالت: "امرأة؟ لم يتحدث معي أبدًا عن أي امرأة".

صمتت مرة أخرى. جلس "تاراس" وانتظر لفترة، ثم نظر إلى "تينا" التي كانت جالسة شاحبة ساهمة، فدفعها بمرفقه وأشار إلى الباب.

قال "تاراس": "شكرًا لكِ يا سيدتي، وآسف لإزعاجك. مرة أخرى، مع خالص تعازينا". كررت "تينا" بعده بصوت يشبه صوت الزوجة لأنها أوشكت أن تجهش بالبكاء وقالت: "مع خالص تعازينا".

كان عليه أن يكبح جماح نفسه حتى لا يركض من أمام الزوجة إلى الخارج. عندما خرجا من المنزل إلى الحديقة برفقة السيدة المسنة التي ترتدي سترة صوفية خفيفة، ولكن لا يبدو عليها أنها ترتعش من البرد ولا يبدو أنها لاحظت الثلج والبرد من حولها فأومأ لها "تاراس" قائلًا: "سيدتي، أريد أن أسألك عن..".

ثم شرح لها ما الذي قادهم إلى اكتشاف جثة الدكتور "هليب"، وعن الفتاة القتيلة في "سافا بوهينيسكا" والتي تزامن مقتلها مع تاريخ عقد اجتماع الصيادلة، وعمّا قاله موظف الاستقبال، ثم قال: "ونود بالطبع معرفة ما إذا كان هناك أية صلة بين جريمتي القتل". رمقته بنظرة متسائلة وقالت: "وكيف لي أن أعرف؟". "نحن مهتمون بنوع العلاقة التي ربما أقامها زوج ابنتك المتوفى مع الفتاة التي تحدث معها في الفندق في شهر ديسمبر". ظلت السيدة العجوز تنظر إليه في انتظار سؤال واضح، فقال: "أنا لا ألمح إلى أي شيء، لكني أود أن أعرف هل وارد أن يكونا..". تقف وانتظر ليرى ما إذا كانت ستساعده. لم تفعل. حدقت فيه بترقب. سألت "تينا" بصوت مرهق: "هل من المحتمل أنهما كانا عاشقين؟". هزت حماة الرجل المقتول رأسها نافية ببطء، ولكن بشكل قاطع وقالت: "لا". قالت "تينا": "يبدو أنكِ على يقين، لكن هذه ليست بالأشياء التي تعرفها في العادة حموات الأزواج. هل من المحتمل..".

ابتسمت السيدة العجوز ابتسامة حزينة لا تصدر إلا عن أناس قد تغيرت حياتهم إلى الأبد، ويعرفون أن الأمور لن تصبح كما كانت عليه من قبل، وأن أكثر ما يمكن توقعه من الآن وحتى قبرهم هو التنحي الهادئ عن المشهد. أسئلة مثل تلك التي طرحها "تاراس" و"تينا" لا يمكن أن تؤثر عليها، لكنها تظل مصدرًا لإزعاج غير معقول فحسب. هل خدع صهرها ابنتها؟ حتى لو كان لديه..

قالت السيدة: "أنا مطلقة، كما ترى. خانني زوجي فانفصلنا. إذا كنت قد تعلمت أي شيء من هذه التجربة، فهو كيف أتعرف على العلامات ثم..". هزت رأسها بالنفي مرة أخرى وهي تقول: "لا، لم أشعر بأي شيء".

***

سألت "تينا": "ماذا تتوقعون ونحن ما زلنا لا نعرف من هي الضحية الأولى؟". نظر "تاراس" إلى زملائه الذكور. لف "برايك" حدقتي عينيه في حركة دائرية، وهز "أوسترتس" كتفيه استهجانًا.

قال "تاراس": "أنت تسأليني إذا كنت أعتقد أو أفترض أن "فيربيتش" قتل فتاة البحيرة، أليس كذلك؟". "نعم، فنحن لا نملك أي دليل، أليس كذلك؟ في الرسائل التي أرسلها لـ"هليب"، رسائل التهديدات، لم يأتِ "فيربيتش" أبدًا على ذكر أي عاشق. ألم يكن من الطبيعي أن يهدده بإخبار زوجته قبل أن يقتله؟ بالنسبة لرب أسرة مثل "هليب"، من المفترض أن هذا التهديد يعد كارثة حقيقية. راجعت كل بريده الإلكتروني فوجدت أنه لم يتبادل أي رسائل شخصية مع أي امرأة على الإطلاق". "ببساطة ربما حذف "هليب" الرسائل التي أتى فيها "فيربيتش" على ذكر أي عاشقة. هل يمكنك التحقق لتعرفي ما إذا كانت هناك فجوة زمنية في تسلسل تواريخ رسائل البريد الإلكتروني التي لدينا؟

كانت "تينا" قد تفقدت الرسائل ولم تجد أي فجوة زمنية

على الإطلاق". قالت: "ثلاثون رسالة في ثلاثين يومًا، كتبها رجل متفلسف، بمعدل واحدة كل اليوم".

لا، بالطبع ليس لديهم أي دليل، ولا واحد. لا يملكون سوى أقوال موظف الاستقبال بأن ضحيتهم الثانية تحدثت إلى امرأة مجهولة ولا شيء غير ذلك. لا أحد يمكن أن يخبرهم بهوية القتيلة سوى "هليب" و"فيربيتش" أيضًا.

التفت "برايك" إلى "تاراس"، كأنه لم يسمع سؤال "تينا" بالمرة، وسأله: "هل علينا، في ضوء كل هذا، إلغاء عملية استخراج الجثث غدًا في "يسينيتسه". صحح له "أوسترتس" الاسم قائلًا: "في "بليسكا دوبرافا". "نعم، نعم، "بليسكا دو.." أيًا كان اسمها، ربما لسنا بحاجة إلى كل ذلك الآن". هز "تاراس" رأسه بالنفي وقال: "لا، لقد تكبدنا عناء الأمر بالفعل، يمكنك مواصلة عملية الاستخراج كمكافأة لك. إذا ألغيناهما الآن، فلن نتمكن من استصدار أمر آخر. أما فيما يخص قلقك الواضح بشأن "تينا"؛ فأنا لا أعرف ما الذي يرتبط بماذا وما الذي لا يرتبط. آمل أن نجد علاقة بين الجريمتين، وربما الآن بعدما عرفنا عمّا نبحث وأين، لن يكون من الصعب إثبات أن "فيربيتش" كان وراء جريمة القتل الأولى بشكل ما". لطالما ردد "بينكا" مقولته: "إذا عرفت عمّا تبحث فستجده حتمًا". تابع "تاراس" قائلًا: "ربما لم يكتشف "فيربيتش" إلا في "بوهيني" أن "هليب" يستمتع بوقته مقارنة به بعد فصله من العمل، ومن ثم تصور أن تضيع الوقت في كشف خيانة "هليب" لزوجته ليس كافيًا. على أية حال، سوف نتصل

بشركة الاتصالات "تيلي كوم" ونطلب نسخة مطبوعة من قواعد بياناتهم ونتحقق من جميع المكالمات التي أجراها "فيربيتش" على مدار الأشهر الثلاثة الماضية. إذا كان موجودًا في "بوهيني" في ديسمبر، فهو الشخص الذي نبحث عنه". "وإذا لم يكن؟". "إذا لم يكن، فإن المسؤولين عن اتخاذ القرارات سيخبروننا بالخطوة التالية".

مما يعني على الأرجح أن قضية الفتاة المقطوعة الرأس ستبقى لديهم قيد التحقيق حتى يتسنى نقلها إلى الأرشيف وحفظ قضيتها إلى الأبد، هذا ما لم يحدث أي شيء مفاجيء. من حيث المبدأ فإنهم سيعدون أنفسهم قد توصلوا للحل وأغلقت القضية.

تابع "تاراس" قائلًا: "وعلى أية حال، سأذهب إلى رحلة تزلج في عطلة نهاية الأسبوع، بغض النظر عمّا يجري، إلى..". توقف بشكل مفاجيء وأكمل قائلًا: "إلى "باد كلاين".. "كلاين"..". ساعده "أوسترتس" قائلًا: "باد كلاينكيرتشهايم".

هناك.. سيتزلج على المنحدرات البيضاء في "كارينثيا" النمساوية ويقضي أمسيات بجوار المدفأة، ويغطس في حوض "الجاكوزي" مع إطلالة على المركبات وهي تسوي الجليد على المنحدرات للمتزحلقين بينما يحتسي شاي الفواكه.

الفصل الثلاثون



الخميس، 11 يناير

جلست "كلارا هافنر"، مديرة مركز خدمات "يسينيتسه" الجنائزية في مكتبها الكائن بالقرب من مقبرة البلدية في "بليسكا دوبرافا"، وهي تحدق في بعض الأوراق على مكتبها. كانت تحاول حل مُعضِلَة غريبة تعدها بمنزلة مصدر للإزعاج أكثر من كونها مثيرة للاهتمام. يوجد على التل خلفها حوالي خمسة آلاف مقبرة أخذت تتوسع على طول حقل عشبي سابق باتجاه الغرب حيث الكنائس الصغيرة المخصصة للصلاة على الموتى، وذلك بسبب العمال المهاجرين المسلمين الذين أتوا إلى مدينة "يسينيتسه" الصناعية للعمل بها. لم تقتصر المعضلة على أن المسلمين، مثلهم مثل المسيحيين الأرثوذكس، لا يحرقون جثث موتاهم فحسب، بل على أنهم يدفنون ميتًا واحدًا فقط في كل قبر.

اشتكت لزملائها منذ قليل قائلة: "لماذا لا يكلفون أنفسهم

ويخبروننا بما يريدون".

راودتها هذه الفكرة الآن بعدما خلت إلى نفسها. تتمثل وظيفتها في التنسيق بين هؤلاء الأشخاص والبلدية ودار رعاية المسنين بالمدينة، ومنها ورد إليهم العديد ممن توفاهم الله واضطروا للتعامل مع إجراءات دفنهم. تابعت قائلة: "اضطررنا، نعم، هذه هي الكلمة الصحيحة والمناسبة".

بموجب القانون، كان عليهم تولي مسؤولية المتوفى من منزل كبار السن والتعامل معه، وهو ما يعني استيفاء إجراءات دفنه. كان الدفن الفعلي بالقبر هو الجزء الأسهل من المهمة، والأصعب هو تسوية جميع الإجراءات القانونية، بما في ذلك العثور على شخص يدفع تكاليف الدفن. كان عليهم الانتظار لمدة شهرين ويظل الشخص المتوفى بالثلاجة حتى يتمكنوا من دفنه أو حرقه ووضع رماده في جرّة وهو ما يحدث في كثير من الأحيان، في حالة عدم ظهور أي خيار آخر خلال الشهرين، عندها فقط تقوم البلدية بتغطية كل تكاليف الدفن. قالت في الاجتماع: "لا يجوز إبقاء الميت في الثلاجة لمدة شهرين، فذلك استهزاء بحرمة الميت". أومأ الناس من دار البلدية، لكن لا شيء تغير.

والآن، ها هم المحققون الجنائيون في طريقهم لزيارتها. رأت، عبر نافذة مكتبها، السيارة التي تحمل شعار مختبر التشريح الوطني تقف في ساحة انتظار السيارات الخالية.

***

قبل يومين من هذه الزيارة، اتصل "تاراس بـ"جولوب" وسأله: "إذا اضطررنا إلى إخراج جثة طفل لأخذ عينة من الحمض النووي، فهل ترى أن ذلك في الإمكان؟". قال "جولوب": "هذا يعتمد على..".

بعدما شرح له "تاراس" التفاصيل سمعه على الطرف الآخر من الخط يقول متشككًا: "إمم، إمم، إمم..". "يعني؟". "يعني أنني أشك، بل أستبعد. إن عظام الطفل، كما تعلم، تكون رخوة ولدنة للغاية عند الولادة، لاحتوائها على كميات قليلة جدًا من الكالسيوم، لذا في ظل الظروف العادية قد تتفكك في غضون ثلاثين عامًا، تمامًا مثل بقية الأنسجة الرخوة الأخرى. سيحتاج بقاؤها إلى توفر ظروف استثنائية جدًا". "أي نوع من الظروف الاستثنائية؟". "على سبيل المثال إذا تشبع الجسم بالماء كأن يكون في منطقة بها مستنقع أو حتى ماسورة صرف مكسورة بالمقبرة أو أي شيء من هذا القبيل، في ظل هذه الظروف، قد تتوفر فرصة لبقاء شيء ما". "هناك فرصة إذًا؟". "من الناحية النظرية نعم، لكنها ضئيلة للغاية". وضع السماعة ونادى على "دوليس" وقال: "أنا بحاجة إلى أمر استخراج جثة". "أمر؟". "أمران في الواقع، أمران لاستخراج رفاة جثتين".

***

وضع "برايك" أمران باستخراج رفاة الجثث على مكتب "كلارا هافنر"، ونظر إليهما ثم دفع أحدهما أمامها. "اطلعي على هذا". تناولت مديرة مركز الخدمات الجنائزية الورقة

وقرأت ما جاء بها. نظرت لـ"برايك" وابتسمت له ثم قالت: "هل هذه هي الطريقة التي يسير بها هذا الأمر؟". رمقها على الفور بنظرة إعجاب. قالت: "إنني أعمل هنا منذ عامين فقط وخلال هذا المدة لم يحدث أن نبشنا القبور لاستخراج رفات جثث. ولو لم تكن مدرجة على لائحة الأسعار، فلن أسمع بها حتى. لَدَيّ زوج في المنزل لديه هوس بمسلسلات التحقيقات الجنائية مثل "الأرقام NUMB3RS" و"سي إس آي CSI" ومسلسل "العظام Bones" خاصة. وأظل أقول له، أعطني استراحة، إنني أتعامل مع الكثير من العظام في العمل".

نظرت إلى الورقة مرة أخرى واستدارت نحو الرجال الثلاثة، ونظرت إلى كل واحد منهم على حدة.

قال "برايك" وهو يشير إلى "جولوب": "إنه الرئيس". قالت: "أوه، هذا واضح، واستدارت نحوه. من الصعب تنفيذ طلبكم". "لماذا؟". بدأت قائلة: "لأن.. تفضل هنا..".

خطى "جولوب" خلف مكتبها بينما كانت تكتب على لوحة مفاتيح. استغرق الأمر حوالي نصف دقيقة حتى وجدت ما تريد ثم أشارت إلى الشاشة بإصبعها وهي تقول: "هذا ما توقعته. انظر.. الطفل الذي ذكرته مدفون هنا بالفعل لكنه بلا اسم، فالطفل المسكين لم يكن لديه اسم، لدينا تاريخ". "ثم؟". "المشكلة أنه لا يوجد سجل للمكان الذي دفن فيه". نظرت خلفها نحو "جولوب" ثم قالت: "سأراجع فهرس البطاقات أيضًا. قد أجد أي ملاحظة، رغم أنني أشك في ذلك".

بعد عشرين دقيقة، وقفت آلة حفر صغيرة مع حاوية لجمع التراب بجوار قبر مزدوج. جلس أحد حفَّاري القبور على عجلة القيادة بينما وقف "جولوب" و"برايك" و"أوسترتس" ومديرة مركز الخدمات الجنائزية بجوار الآلة. قالت: "إذا كان موجودًا، فسيكون هنا". ثم أشارت إلى قبر مزدوج مهمل في أقصى الحافة الشمالية للمقبرة وتابعت قائلة: "هذا هو القبر التابع للبلدية الذي ندفن فيه المشردين وغيرهم ممن لا أقارب لهم، أو لا يملكون المال، أو بالأحرى ظللنا ندفنهم هنا حتى بدأنا في حرق جثثهم. لكني لا أعرف عدد المدفونين هنا". هز "جولوب" كتفيه وأشار إلى حفَّار القبور الذي يقود الآلة كي يشرع في العمل.

سأل "برايك": "أفترض أنك لن تحتاجنا لبعض الوقت؟". هز "جولوب" رأسه بالنفي. همهم "برايك" واستدار نحو "كلارا هافنر" وقال: "حسنًا، أخبرينا إذًا أين يمكننا تناول فنجان قهوة هنا، وربما مع بعض البهارات أيضًا؟". قالت: "يوجد مقهى بالقرية. لكن لا داعي للذهاب إليه. يمكنني إعداد القهوة لكما وأعرف كيف أضيف إليها البهارات أيضًا". أومأ "برايك" بمزيد من الارتياح، وهو ينظر بفخر إلى "أوسترتس".

بعد عشر دقائق، كان أمامهما فناجين من القهوة - حتى إن "أوسترتس" قَبِلَ أن يشرب قهوة هذه المرة - بالإضافة إلى زجاجة من "لبراندي" وكأس وضعتها أمام "برايك".

قالت المديرة: "أنا لا أشرب الخمر، لكنني أعلم أنه قد يفيد في المقابر أحيانًا".

***

بَسَط "جولوب" أرجل كرسي الصيد الذي يأخذه معه دائمًا إلى الميدان وبعدما جلس عليه أشار للعامل على آلة الحفر الصغيرة لكي يبدأ الحفر. قام بتشغيل المحرك وأخذت الكَيْلَةُ الرافعة المعدنية الكبيرة تحفر في الأرض.

سأل "جولوب" عاملًا آخر وقف بجواره متكئًا على مِجراف، منتظرًا أن ينتهي المِخفار من مهمته: "كم دفنوا في هذين القبرين؟". "لا أعرف. عشرين.. أو نحو ذلك. لكن لا أحد منهم دُفن به حديثًا. تم دفن آخر جثة قبل مجيئي هنا". "في توابيت خشبية بسيطة؟". "في تلك التي لدينا هنا، نعم". "ربما تحللوا، أليس كذلك؟". "بالتأكيد. فهذه الصناديق المصنوعة من ألواح الخشب الحُبَيبي التي نبيعها كتوابيت مدفونة تحت التراب منذ زمن طويل".

استدار "جولوب" إلى آلة الحفر على بعد حوالي متر منه، وهي تكدس التراب من القبر. لم تظهر أي عظام حتى الآن. لم يتوقع أن يجد هيكلًا عظميًا كاملًا، لكنه لم يكن بحاجة له، يمكن لعظمة صغيرة واحدة من جسد لطفل أن تفي بالغرض. ابتسم لنفسه. كان هذا أفضل بكثير من إلقاء محاضرة في الجامعة.

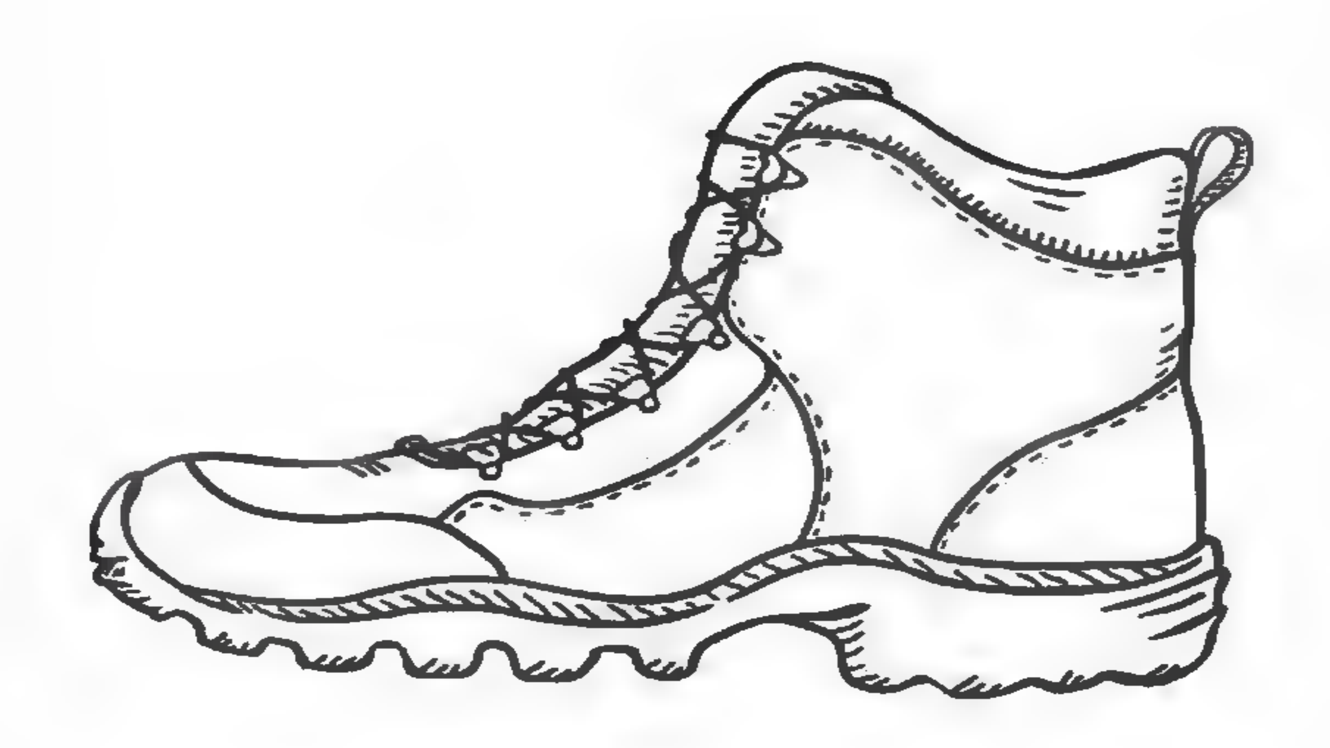
***

دخل ضابط شرطة يرتدي الزي المكتب، ونظر إلى الرجلين الجالسين إلى الطاولة وأمامهما زجاجة "البراندي" ثم قال:

"أنا أبحث عن محققين جنائيين من ليوبليانا". قال "برايك" وفي يده كأس براندي: "هذا ينطبق علينا. ماذا عندك؟". "لقد أرسلني قائدي إليكما. من الواضح أنكما هنا بسبب المرأة التي انتشلوها من البحيرة". صحح له "أوسترتس" العبارة قائلًا: "من النهر الذي ينبع من البحيرة". "نعم، هذه. لقد تلقينا للتو رسالة مفادها أنهم وجدوا جثة أخرى بالبحيرة". سأل "برايك": "وجدوا ماذا؟". "جثة أخرى". تبادل "برايك" و"أوسترتس" النظرات. ثم رفع "برايك" كأسه ببطء كأنه يشرب نخبًا ثم وضعه على الطاولة وبحث عن تليفونه في جيب معطفه وهو يقول: "يا إلهي، هذا الخبر سيسعد "تاراس"، لكنه في طريقه إلى "باد كلاينكيرتشهايم".

نطق الاسم بسلاسة دون أن يتلعثم بين المقطعين "كلاين.. و"كيرتشهايم".

الفصل الحادي والثلاثون



الخميس، 11 يناير

إنها ليلة مظلمة، ضبابية، وهذا بالضبط ما يحتاجه. نهض من نومه في الرابعة صباحًا وخرج من المنزل ولم يكن بحاجة لأن ينظر إلى السماء ليعرف أنها خلت من النجوم. علقت نَدَاوَة الرطوبة التي تَشَبّع بها الهواء بلحيته الكثيفة على الفور.

عاد إلى المنزل، وأمسك بحقيبة ظهره القديمة ذات الشكل الكمثرى المصنوعة من الخيش، التي استحالَ لونها الأخضر

إلى الرمادي الفاتح، وصنارة الصيد، وشبكة تفريغ.. كما يسمونها، وخطا إلى بسطة ممتدة قام بتحويلها إلى مرآب ثم جلس في سيارته، التي كانت من طراز "لادا نيفا" وبدون لوحات أرقام مرورية، وذلك لأنه ليس بحاجة فعلية لأن يقود عبر القرية والطرق الوعرة التي تؤدي إلى قمة جبل "فوجار". قاد سيارته في اتجاه البحيرة متخفيًا عن الأنظار وبلا ضجة قدر الإمكان ومع ذلك استيقظت بعض الكلاب وراحت تنبح حتى مع تسلل هَبّة ريح أقوى بعض الشيء من المعتاد عبر الأغصان التي تعرّت من أوراقها. كان بوسعه أن يذهب إلى البحيرة على قدميه، غير أن الشيء الذي يأمل في إنجازه بحاجة إلى سيارة؛ فإذا سارت الأمور كما ينبغي، فسيعود قبل الفجر حاملًا في حقيبته أحد أسماك "السَلّور" العملاقة. إنها واحدة من تلك الأسماك التي كان مقتنعًا بأنها تعيش في قاع خليج "فوجينار"، وهي السمكة الأكبر على الإطلاق على طول المسافة بين هذه النقطة وحتى "رادوفليتسا".

عندما استدار إلى الممشى الترابي المؤدي إلى الشاطئ تمتم لنفسه هامسًا: "من قال إن سمك "السَلّور" لا يعيش في بحيرة "بوهيني"؟ يا له من هراء! فماذا يكون هذا إذًا؟".

لوح بيده في الهواء كأنه يزيح الستار عن سمكة من شأنها أن تجعل أكبر سمكة من فصيلة أسماك "السَلّور" الهائلة التي اصطادها ذاك الرجل النمساوي في بحيرة "بليد" تبدو وكأنها طفل مبتسر بائس.

همس لنفسه قائلًا: "حسنًا، إن لم يكن سمك "السَلّور"،

يعيش هنا، فمن أين جاءت صغاره تلك؟ ماذا عن شواربها تلك؟".

لا يوجد سمك "شلّور" لأن لا أحد حاول إخراجه من ثُغْرَة خليج "فوجينار" على الإطلاق، ولأن لا أحد سبق له أن بحث عنها مثلما يفعل الآن، ولا حتى هو نفسه، خاصةً خلال موسم التكاثر حيث يحظر الصيد وتطمئن الأسماك.

إنه ليس مجرد صياد مثل أي شخص آخر يعرفه كل الجيران والأصدقاء، بل إنه صياد منذ أن كان في الثامنة عشر من عمره، وفي سن العشرين امتلك سلاحه الخاص، والآن يمتلك بندقية تشيكية من طراز "زبريوفيكا"، أضاف إليها لاحقًا منظار من طراز "سواروفسكي"، تنحرف قليلًا جهة اليسار عند إطلاق النار، لكن ما الذي يتوقعه من بندقية مستعملة؟ حاول إصلاحها كثيرًا، ولكن مهما فعل، ومهما حاول كلما صوبها إلى هدفه، فإن هذا الشيء اللعين يظل ينحرف جهة اليسار، ثم تَقَبّل عيبها بعدما تعلم كيف يضبط الزاوية كلما استخدمها فانتهت المشكلة. ولأنه صياد، فلم يخف أبدًا من المشي في أعماق الغابة ليلًا، حتى لو كان بمفرده، فقد اعتاد ذلك. لكن اليوم، وبينما يَفُك حبل قاربه وسط هذا الضباب الكثيف ويخوض فيه، انتابه شعور غريب. بدا سواد المياه حالكًا كالحبر وعندما ضربه بمجدافيه تردد صدى ضرباته على بعد أميال. ربما كان يشعر بشيء من التوتر لأن الصيد في هذا الوقت غير قانوني لأنه خارج مواعيد الموسم. ظلت هذه الأفكار تراوده وأخمد الشكوك

التي تساوره بجرعة كحول من قارورة جيب مسطحة.

قال هامسًا: "اللعنة! عليك أن تبلغ قمة مجدك".

سخط على نفسه لأنه أدرك أنه يهمس بلا داعٍ، فأقرب روح حية إليه غارقة الآن في شبات عميق على بعد ما لا يقل عن نصف كيلومتر منه. رفع مجدافيه على بعد حوالي مائة متر من الشاطئ. من فوق حافة القارب عَمّقَ النَّظر في سطح المياه وقال لنفسه هامسًا: "لا بد أنها هنا".

لعله ظن أن السمكة في هذا المكان لأنه يعلم أنه الآن فوق أعمق جزء من البحيرة حيث بدا الماء أكثر قَتَامَة. كم عدد الأبراج التي على شاكلة برج كنيسة القديس يوحنا المعمدان يحتاج إلى رَصّها هنا حتى يبلغ قاع البحيرة؟ كم يبلغ ارتفاع برج الكنيسة على أي حال؟ لقد عاش طوال حياته إلى جوارها على حافة بحيرة "بوهيني"، ومثل أي شخص آخر، كان يعلم أن على جدارها لوحة جدارية من الجَصّ تجسد شيطانين أبيضين، وملائكة ترتل الأناشيد وقد تضخمت غددهم الدرقية وظهرت أسنانهم في أفواههم المفتوحة، ورجل غامض يمسك سندان، ولكن كم يبلغ ارتفاع برجها؟ خمسة عشر مترًا؟ إذا كان هذا الطول صحيحًا، فعليه أن يَرُصّ ما يقرب من ثلاثة أبراج تحت القارب كي يصل إلى القاع.

فتح حقيبته، وأخرج ورقة من النوع المقاوم للزيوت، وبسطها ثم وضع فوقها طعم السمك؛ ثلاثة قلوب دجاج

وبعض من الكبد، ثم وضعها بما عليها فوق المقعد الخشبي المجاور له. مد قَصَبَة صنارته وثبت طُعم الدجاج الذي كلفه ثلاثة يوروهات لكل قطعة على خُطّاف ثلاثي الأسهم، ثم رفع القَصَبَة برفق فوق سطح الماء وهو يتلو دعاءً عدله بنفسه حتى يتلاءم مع احتياجات الصيد قائلًا: "يا ملاك المسيح الرب، وَليّي العزيز، هَبْ لي سمكة الليلة، ابعث لي بها هنا، اليوم والآن، كن إلى جانبي، أناشدك أن تنير بصيرتي الآن وتريني أين تختبئ أفضل الأسماك". ألقى الطُعم في الماء ثم قال: "آمين".

اختفى الطُعم في باطن ظُلمة الأعماق دون أن يحدث أي صوت تقريبًا. فَكّ الخيط البلاستيكي اللامع الذي يبلغ قطره سِتّة مليمترات ببطء ولكن باستواء، ثم ربط طرفه بخيط مجدول أكثر سمكًا معلقًا بالخُطّاف. كان يعلم أنه مع قوة الشّد للخيط الرئيس، فإن الخيط الأغلظ المربوط به لن يفيده كثيرًا، وأن الخيط الرئيس سينقطع قبل ذلك، لكنه لم يستخدمه كي يقاوم الشّد، بل كي يتحمل قضمات أسنان سمك "السّلّوَر" الحادة.

همس وهو يُنزل الطُعم إلى الأعماق قائلًا: "هَيّا تعالي، تعالي يا سمكتي، الآن سنرى مدى حدة أسنانك الصغيرة".

بعد مرور دقيقة واحدة ظل الخيط ثابتًا بلا حراك، وتوقفت البكرة عن الدوران. قام بضبط مقبض السحب ثَبّتَ قَصَبَة الصنارة داخل القارب وأخرج شطيرة إفطاره من حقيبته.

أخرج علبة سجائره من جيبه، اختار سيجارة وأشعلها. سحب الدخان واستنشق بعمق. انتظر.

***

بقدر ما أحب "تاراس" التزلج عبر الضاحية، كره التزلج فوق جبال الألب. إنه لا يعترض على التجوال العادي.. أي تزلجه على المنحدر الثلجي، رغم أنه لم يكن متزلجًا بارعًا. فقد تعلم مبادئ هذه الرياضة فعليًا خلال التزلج على الثلوج عبر الضاحية، وأي شخص يتعلم كيف يتوازن على الزلاجات الرفيعة المستخدمة في التزلج عبر الضاحية سيعرف أيضًا كيف يستدير بالزلاجات عبر منحنيات وزوايا جبال الألب الأوسع، رغم أن ذلك قد لا يعده رائعًا للغاية بالنسبة له، لأن كل شيء آخر أثار أعصابه ابتداءً من طوابير الانتظار في مصاعد "التلفريك "في "كرانيسكا جورا" حيث كان يصطحب "آنيا" و"مويتسا"، وينضمون لمن يصطفون هناك. بعدما كبرت الفتاتان لحد سمح له بتركهما على منحدر التزلج بنهاية الوادي في رعاية "ألينكا" التي أكملت بالفعل دورة تدريبية كمدربة في التزلج، فقضى هذا الوقت في التزلج عبر الضاحية.

حسنًا، فقد وفرت له هذه طريقة تذكرته اليومية، كما لم يكن ملزمًا أيضًا بإبراز شارة الشرطة الخاصة به في كل مرة حاول فيها بعض المراهقين المدللين المزعجين تجاوز طابور الانتظار وهم يسخرون من تحذيراته لهم. فقد حدث ذات مرة أنه هدد أحدهم وهو يلوح له بشارة الشرطة قائلًا: "قف

يا ملعون في دورك بالطابور وإلا سآخذك إلى قسم الشرطة".
قالت "ألينكا" وهي تجز على أسنانها وتكتم غضبها بعدما
ركبوا "التلفريك" الذي ينقلهم إلى قمة جبل "فيترانك": "أكان
لا بد يا "تاراس"؟ أكان لا بد أن تفعل ذلك؟". كان لا بد، نعم،
لأنه أحدث الأثر المنشود.

ظلت "ألينكا" تردد جملة واحدة: "هذا لأنك لم تذهب أبدًا
إلى منحدر تزلج حقيقي". بعد عودة والدها إلى حياتها، ظلت
تعده بأنهم سيذهبون للتزلج خارج البلاد. تظاهر الرجل بأنه
يصدقها كي يرضيها ثم تأكد في كل مرة أنهم لن يذهبوا.
هذه المرة، بينما كان يقف عند السيارة وهو يحمل زلاجاتهم،
بدا أنه استنفد كل احتمالات الإفلات من هذه الرحلة. قال
لنفسه قد لا يجد الأمر بالسوء الذي يتوقعه. هناك ستة وثلاثة
أرباع مليار شخص على هذا الكوكب لم يسعدهم الحظ
بتحمل تكاليف رياضة التزلج، ربما يكون هذا بطريقة ما
أعلى من توقعاته.. ليتهم ذهبوا بمفردهم وليس مع الزوجين
"بلاجيتش". لم يتوقع الكثير من هذين البدينين اللذين
سيضجرونه كل مساء وهم يمضغون ويَتَشَدَّقون بالكلام عن
الطعام والنبيذ. وللمرة الألف سيكون عليه أن يشرح لهما لماذا
لا يشرب الكحوليات فيقول له أحدهما: "لمَ لا تشرب كأسًا
واحدة على أية حال؟".

عَدَّ "تاراس" الزلاجات، بالإضافة إلى زلاجات جبال الألب،
وضع أيضًا أحذية التزلج عبر الضاحية، وأحذية تزلج جبلية
وأخرى للتزلج عبر الضاحية. بينما كان يربط رباط الحذاء

ظهرت "ألينكا" عند الباب وهي تمسك بتليفونه. رمقته بنظرة استجوابية وقالت: "إنه "برايك". قال "برايك" وهو يأمل أن الهواتف، مهما كانت حديثة ومهما كانت التطبيقات التي تحملها، تظل عاجزة على نقل رائحة الأنفاس التي تفوح بالكحول عبر الأثير ولمسافات طويلة: "ما الأخبار؟". قال "تاراس": "أخبرني أنت..".

***

بعد ساعتين تفقد ساعته بعصبية، وألقى الضوء عليها ليرى العقارب والعلامات المشعة على وجه الساعة، والتي ستتوهج بطبيعتها إذا سقط عليها بعض الضوء، لكن ما من بَصيص نور اخترق الضباب الكثيف. استخدم ولاعته وتمتم لنفسه بانزعاج وهو يتأرجح بين التفاؤل والتشاؤم: "عشر دقائق أخرى". عشر دقائق أخرى وبعدها سوف يحزم أغراضه، ويجدف بقاربه إلى الشاطئ، ويعيد السيارة إلى المرآب ويشرع في القيام بأعماله كأنه لم يخرج لرحلة صيد ليلية بالمرة. قال لنفسه: "يا إلهي، سيحل بي التعب اليوم، والأهم أن رحلتي ذهبت هباء، لم يكن هناك الكثير من العمل لأقوم به في المزرعة في فصل الشتاء". ثم، وكأنه أذنب عندما فكر بهذه الطريقة فقام على الفور بتصحيح الفكرة وقال لنفسه: "هناك دائمًا الكثير من العمل في المزرعة كي أقوم به". ردد بصوت مسموع: "هناك دائمًا عمل، العمل شيء طيب".

لم يتحرك خيط الصنارة قيد أنملة منذ أن ألقاه في الماء وبه الطُّعم. بدت له البحيرة وكأنها ميتة.

لا شيء. مرت عشر دقائق، وكأي صياد، أراد أن يمنح نفسه عشر دقائق أخرى، لكن عندما نظر إلى الأعلى وجد لون السماء من فوقه يستحيل من الأسود إلى الرمادي. تنهد وأمسك بقَصَبَة الصنارة وشدّها عدة مرات ثم أرخاها مرة أخرى. كان يعلم أن هذه ليست الطريقة الصحيحة فقد يَعلَق الخُطّاف بفرع شجرة أو شيء آخر في قاع البحيرة إلا أن هذا لا يهمه الآن حقيقة. بصق على سطح الماء وبدأ في لف خيط النايلون على البكرة التي دارت مرتين أو ثلاث مرات بالكاد ثم توقفت. فجأة، وبسبب رَجّة القارب وليس خيط الصنارة، ظن أن ما ينتظره قد أتاه، ظن ذلك عندما شد الخيط فجأة، شعر بالخُطّاف عالقًا بشيء ما، فماذا لو أنه..

تملكت منه آماله العظيمة. إذا لم يتحرك، إذا لم يتزحزح الخيط، فهذا يعني أنه عالق على غصن سميك تعفن في جوف البحيرة منذ قرون طويلة. ولكن إذا كان.. شدّ بقوة أكبر، ولكن برفق حتى لا ينقطع الخيط الذي ظل مشدودًا لأسفل، وعندما أوشك أن يترك له العنان ويرخيه، فلت منه فسب ولعن، إلا أنه رأى أن عليه إعادة المحاولة وإذا لم ينجح الأمر هذه المرة سيجد سكينه ويقطع الخيط ويعود أدراجه. أيًا كان الشيء الذي أمسك به خيطه، فقد تحرك.. أرخى له بضعة سنتيمترات من الخيط، ثم سرعان ما لفه حول البكرة. سحب مرة أخرى وتراجع مرة أخرى، لف البكرة بأسرع ما يمكن وأدرك ببطء وبخيبة أمل أن ما كان في نهاية الخيط لا يمكن أن يكون سمكة. لو أنها سمكة لقاومت، فما اصطاده

كان ثقيلًا وما زال، والله وحده يعلم منذ متى استقر في قاع البحيرة التي يبلغ عمقها ما يساوي ثلاثة من أبراج الكنيسة تحت السطح، والآن يسحب الخيط بثبات نحوه. الله وحده يعلم ما سيجده، فالناس تُلقي بأنواع الأشياء كافة في البحيرة.

انحنى فوق حافة القارب. وقال لنفسه: "لقد حان الوقت لتكشف لي عن نفسك، مهما كنت"، وقرّب شبكة التفريغ تحسبًا. لعلها سمكة من أسماك "السّلْوَر" العجوز المتعبة والتي قد لا تكون صالحة للاستهلاك الآدمي، ولكنها تعد على الأقل تذكارًا.. تحرك الماء وبعث سطحه بثلاث فقاعات هوائية وتناثرت على أنفه. كاد يصرخ إلا أن رائحة عفن وصلت إلى أنفه.

"يا للقرف! أي نوع من الذبائح المتعفنة أنت..".

انحنى فوق سطح الماء، وأمسك بالخيط وسحبه للمرة الأخيرة، وأمسك بالفعل بالخيط بما يحمل من أثقال الصيد الرصاصية. ثلاثون سنتيمترًا من الخيط عالق بشيء ثقيل تحت سطح الماء. عندما سحبه وقربه منه أكثر، صرخ من شدة الرعب.

لقد رأى الشيطان نفسه بأم عينيه يطفو من تحت الماء، وقد غطته طحالب يبدو من تحتها جلد أبيض يشبه الجير، وله عين واحدة مفتوحة على مصراعيها، والأخرى مجرد محجر عين فارغ، مجوف، علق به خُطّاف سمك السّلْوَر العملاق الذي

ما زال مزينًا بقلوب الدجاج والكبد التي بدت وكأنها انتشلت من رأس هذا الوحش.

قفز إلى الوراء وسقط في قاربه الذي أخذ يتأرجح على سطح الماء، وعندما قضى دقيقة أو نحو ذلك مستلقيًا على أرضيته المبللة بالماء، تجرأ على النظر من فوق الحافة مرة أخرى، لم ير لا الرأس ولا ما يتصل بها، ولا صيده في أي مكان. جدف بسرعة جنونية عائدًا إلى الشاطئ، قفز من القارب إلى الشاطئ دون أن يسحبه من الماء، وركض، متجاوزًا السيارة مباشرة، وقطع الطريق بطوله إلى المنزل جريًا.

الفصل الثاني والثلاثون



بعد مرور أربع ساعات، اضطر "جولوب" أن يعترف بالهزيمة. جلس القُرْفُصاء بجوار قطعة الخيش العسكرية الخضراء التي وُضِع عليها عدد لا يحصى من العظام، ورغم فحصه لقطع العظام، وبغض النظر عن الطريقة التي أخذ يقلبهم بها، فلم يعثر بينها على ما يمكن أن يكون عظام طفل، طفل حديث الولادة، ولم توحِ لهم طبيعة الأرض الجافة، الرملية، والمشبعة بالهواء تمامًا بأمل كبير في حفاظها على تلك العظام. نهض وهز رأسه بيأس وهو ينظر إلى "برايك" الذي ظهر لأول مرة منذ أن بدأوا الحفر بينما قام "أوسترتس" بالتردد على الموقع عدة مرات ليرى مدى تقدم عملية التنقيب. قال "برايك": "إن لم يكن هنا، فلن تجدوه. حتى الجيش نفسه لن يجده إن لم يكن موجودًا". سحب تليفونه

المحمول من جيبه واتصل برقم ثم قال: "أنجزنا المهمة، لكن دون نجاح للأسف. هل تريد التحدث إلى "جولوب"؟ ". مرر التليفون إلى "جولوب" الذي قال: "لم يحالفنا الحظ يا "تاراس". لو أن رفاته كانت بأحد القبرين اللذين قمنا بفحصهما، فإنها لم تعد موجودة. لم يتبق منها أي شيء". قال "برايك": "اسأله هل ما زلنا بحاجة لأن نذهب إلى "سريدنيا فاس" أم نتوقف عند هذا الحد؟ أعطني الـ..".

شدّ التليفون من يد "جولوب" وكرر السؤال ثم قال بعدما سمع الرد: "نعم، لكن..". لف "جولوب" حدقتي عينيه في حركة دائرية، ثم تابع قائلًا: "لا يزال "تاراس" يريد أن نستمر في التنقيب بمقبرة "سريدنيا فاس". سنهدر اليوم بأكمله في..".

انصرف متوجهًا نحو السيارة وهو يسب ويلعن. حملق "جولوب" في أثره وهو في حيرة من أمره ثم نظر إلى العامل الذي يقف بجوار المقبرة. سأله سائق المِخفار: "ماذا سنفعل بهذا كله الآن؟ هل ينبغي أن نعيد دفنها مرة أخرى؟". "نعم، يبدو ذلك".

لَملَمَ العامل الذي يمسك بمِجراف الزوايا الأربع للقماش الذي عليه العظام ودفع بها مرة أخرى داخل القبر المفتوح. قام سائق المِخفار بتشغيل المحرك ورفع حمولة رمل من الأرض بالكَيلَة الرافعة. انطلق "جولوب" خلف "برايك" و"أوسترتس" إلى السيارة وهو يحمل مشاعر متضاربة.

***

جلست "ألينكا" في المقعد الخلفي لسيارة من طراز "أودي كيو 5" يقودها "بلاجيتش" وهي تقول لـ"تاراس": "كان لا بُدّ مِمّا ليس منه بُدٌ". قال "تاراس": "بالفعل كان لا بد منه، ولا أظن حقيقة أنه من العدل أن..".

لم يكمل جملته لأنها أغلقت باب سيارة "بلاجيتش" بالفعل التي سارت في الشارع بينما أخذ "تاراس" يلوح لـها مُحَيِّيًا فلم ترد له التحية. إنها المرة الأولى منذ أن أنجبا الطفلتين التي ينفصلان فيها ويقضيان أكثر من يومين، وربما ثلاثة أيام كلّ على حِدَة. قام بتفريغ معداته من سيارته الخاصة، ولم يتبق سوى زلاجات التزلج عبر الضاحية المعتادة، ثم وجد تليفونه واتصل برقم.

جاءه من سماعة التليفون صوت يقول: "ماذا تريد يا "تاراس"، إنه يوم الجمعة؟". "ظهرت جثة أخرى في "بوهيني" وأتساءل إذا كان ذلك سيثير اهتمامك". قال" تشفيلاك": "أنت تعلم أنني لم أعد أخرج إلى الميدان". "فلتكن المرة الأخيرة قبل التقاعد؟". صمت. قال "تاراس": "في الواقع أنا ذاهب إلى هناك برفقة شابة وأحتاج إلى رفيق كي لا تستسلم لسحري". كان عليه الانتظار بضع ثوانٍ حتى يتلقى الإجابة. قال "تشفيلاك": "امنحني نصف ساعة كي أستعد. ما الأمر؟".

أخبره "تاراس" بما يعرفه، وبعدما ودع "تشفيلاك" وبينما كان يبحث عن رقم "تينا"، راودته فكرة سخيفة فقال لنفسه:

"ستكون رحلة رائعة بِكُلّ مَعْنَى الكَلِمَة".

***

لا يوجد في "ستارا فوجينا" مقبرة خاصة بها فهي تنتمي إلى أبرشية "سريدنيا فاس" وكنيسة "سانت مارتين" التي تقع - هي والمقبرة الملحقة بها - على تل شديد الانحدار أعلى القرية. طبيعة موقعها يجعلها تبدو أكبر مما هي عليه في الحقيقة. تختلف المقبرة اختلافًا كبيرًا عن مقبرة "يسينيتسه" و"بليسكا دوبرافا"، حيث يوجد قبور كاثوليكية أنيقة حافلة بالورود مع شواهد قبور أو صلبان خشبية، وبالقرب من السياج هناك مسلة حجرية تطل على القرية أقيمت تخليدًا لذكرى أولئك الذين سقطوا ضحايا في الحرب العالمية الأولى، مع سرد أسماء وتواريخ ميلاد جميع الذين سقطوا فيها.

عندما اقتربوا من الكنيسة عبر طريق شديد الانحدار مرورًا ببعض المنازل رأوا حشدًا من الناس يصعدون التل حتى إنهم تحركوا بينهم ببطء شديد فقال "أوسترتس": "لا تقولوا لي إنها جنازة؟". قال "برايك": "إنهم يرمقوننا بنظرات غاضبة".

أوقفوا سيارتهم في مكان صغير مخصص للسيارات على مَصطَبَة إلى يمين المدخل حيث كان في انتظارهم مِخفار صغير على غرار ذلك الذي في "يسينيتسه". لأن مدخل المَوْقِف كان مسدودًا بحاجز خشبي، فتح "جولوب" نافذة السيارة وخاطب الرجال الواقفين بجانبه قائلًا: "هل يمكنك

تحريك هذا الحاجز بعيدًا عن الطريق لو سمحت".

لم يردوا إنما حملقوا فيهم بغضب أكثر من ذي قبل فحسب. حاول "جولوب" مرة أخرى فقال لهم: "نحن من رجال الشرطة". لكن محاولته باءت بالفشل. فتح "برايك" الباب وخرج وهو يصرخ قائلًا: "هل أنت أصَم؟ نحن هنا في مهمة رسمية والويل لمن سيعترض طريقنا".

نظر الرجال عند الحاجز الخشبي الأفقي إلى بعضهم بعضًا. تقدم أحدهم في الأربعين من عمره، ربما أكبر بسنة أو سنتين، مرتديًا زي صيد أخضر اللون وقبعة تتناسب معه واعترض طريق "برايك" وهو يقول: "لا يهمنا إذا كنت من رجال الشرطة أو من غيرهم، فلن نسمح لك بنبش مقبرتنا". بدا مألوفًا لـ"برايك"، رغم أنه لم يستطع تذكر أين رآه أو سمعه بالضبط فقال له: "ألست أنت من..؟". "أنت تعرف جيدًا من أنا".

ثم تبين من هو له. فقد دار بينهما حديث عبر التليفون بالأمس، رغم أن وصف ما دار بينهما بالحديث لعله وصف يبعد كثيرًا عمّا دار بينهما في الواقع.

***

قال "برايك" له حينها: "مرحبًا، أود التحدث إلى السيد "يانيز بالوه". ساد صمت على الطرف الآخر من الخط، فتابع "برايك" قائلًا: "أنا من الشرطة وأود التحدث معه.. التحدث معك إذا كنت أنت..". سأل بصوت ينم عن الارتياب على

الطرف الآخر من الخط: "عن أي شيء تريد الحديث معي؟". "بخصوص وفاة أختك "ديانا بالوه". "هذا الموضوع ليس مجالًا للحديث". حاول "برايك" قائلًا: "اسمع، لا نريد سوى..". قال عبارته الأخيرة بعدما صدر من التليفون صفير الإغلاق مما يشير إلى أن الطرف الآخر أغلق التليفون في وجهه.

***

صرخ "بالوه" قائلًا: "لن أدعك تؤرق أختي في قبرها". بينما كان يصرخ التف الحشد الذي كان يقترب من الكنيسة حول السيارة وهم يهتفون: "المدنسون!". قال "بالوه" وهو يوَلول: "سارقي القبور". حاول "برايك" مرة أخرى وقال: "هذا ما أردت أن أتحدث عنه معك. إذا وافقت على اختبار الحمض النووي فا..". صرخ فيه "بالوه" قائلًا: "لن أسمح لك بأي شيء، ولن تجري أي اختبارات على أي شيء هنا". اهتاج "برايك" وسحب شارته الشرطية ورفعها في وجهه وهو يقول: "ألا ترى؟".

لكنه اضطر إلى سحبها للخلف كي يتفادى الرجل الذي يرتدي زي الصيد وهو يبصق عليها، إلا أن البُصاق سقط على سترة "برايك".

هاج "برايك" وماج وتقدم نحو "بالوه" خطوة وهو يقول: "اللعنة عليك!".

وقف الحشد من خلفهم صامتين وكأنهم لا يعرفون ما إذا كانوا سيواصلون دعمه أم التروي ليروا ما سيحدث. فهؤلاء

الأشخاص، رغم كل شيء، نوعًا ما من رجال الشرطة، حتى لو لم يرتدوا الزي العسكري، ومن يبصق على رجل شرطة فا..

خطا "جولوب" أمام "برايك" ويداه مرفوعتان لأعلى: "قف.. توقف! ربما تكون على حق. لا يجوز أن ننبش مثل هذه المقبرة الأنيقة". حدق به الحشد. تقدم نحو "برايك" واستخدم منديلًا لمسح البصاق عن سترته وهو يقول له: "سنقوم بحل هذه المسألة بطريقة أخرى. لا تنزعج".

توجه إلى مقعد السائق بسيارتهم بعدما أشار إلى "برايك" كي يتبعه. نظر "برايك" في العيون التي تحدق به وتنطق بكراهية صارخة، ثم قال بصوت عالٍ: "لماذا أنزعج من ذاك". فتح الباب وجلس على المقعد الخلف ثم سأل: "ما الأمر يا "جولوب"؟". ولكن "جولوب" لم يرد على سؤاله لأنه كان منشغلًا في إدخال الأنسجة في أنبوب اختبار باستخدام نُدفة قطن.

***

وصل "تاراس" و"تينا" و"تشفيلاك" إلى "ريبتشف لاز" بعد الظهر عند غروب الشمس خلف جبل "فوجيل" وانخفضت درجة الحرارة إلى ما دون الصفر. أوقفوا سيارتهم في ساحة انتظار السيارات في فندق "يزرو" الذي كان مكتظًا بالنزلاء مقارنة بزيارتهم الأولى، كما أنهم أزالوا كل الثلوج حتى ظهر الأسفلت الجاف. وجدوا سيارة تابعة لفريق "جولوب" تحمل شعار المختبر الجنائي الوطني متوقفة بالفعل في الساحة.

عثر "تاراس" على "جولوب" في بار الفندق حيث كان ينتظره برفقة اثنين من زملائه، "دوليس" ورجل آخر لا يعرفه. تفقد "تاراس" الساعة، كانت الرابعة. لو لم يستخدم دليل "ميشلان" للطرق ليستدل به على المكان لكان من الممكن أن يجد نفسه الآن في مكان ما بعد مفترق مدينة "فيلاخ" النمساوية، على بعد أقل من ساعة من "باد كلاينكيرتشهايم". شعر بالارتياح.

انسجم "تشفيلاك" و"تينا" على الفور. كانت "تينا" ساحرة وأجابت بأدب عن كل أسئلة "تشفيلاك" التي وجدتها على غرار أسئلة "تاراس" عندما التقيا أول مرة، ثم سألته بدورها عن بداياته المهنية فسمعت القصة نفسها التي سمعها "تاراس" من قبل، لكنها سمعت بها بعد عملها بوقت قصير بينما سمعها "تاراس" بعد مرور عقد. ثم تحدثوا عن "ميلتشينسكي"، أستاذ "تشفيلاك"، وعملاق علم الأمراض السلوفيني فذكرت له "تينا" قضيتين من قضاياه وطلبت رأي "تشفيلاك" في قضايا لم يسمع بها "تاراس" من قبل، وفي مكان ما في أثناء عبورهم المخرج الذي يؤدي إلى مدينة "ترجيتش"، أومأ الرجل العجوز بارتياح إلى السائق وهو يقول بصوت عالٍ: "أحسنت الاختيار، يا عزيزي "تاراس".

عندما وصلوا "رادوفليتسا" تفقد "تاراس" مرآته الخلفية، كان "تشفيلاك" نائمًا بالفعل. ابتسمت "تينا" وغمزت له. لم يكن يعرف السبب، غير أنه شعر بالسعادة لأنها اجتازت هذا الاختبار.

***

وبدلًا من أن يحيّيه، بادره "جولوب" قائلًا: "لن نقوم بأي شيء آخر اليوم. اختفى صمام إحدى أسطوانات الغطس. سنحصل على واحد جديدة صباح الغد وبعدها يمكن للغواصين العودة إلى الماء. لن يكون الأمر سهلًا لأن.. حسنًا، سيخبرك الغطاس بنفسه".

أشار إلى الرجل الجالس إلى جواره وله لحية ذات شعر كَثّ خطه بعض الشيب، وقد بدا نادمًا إلى حد ما. كان يرتدي سترة صيد تحتها سترة رمادية ثقيلة. كان يرتدي ملابس صيد وجوارب سميكة وحذاء ثقيلًا له رقبة. كان يخرج من جيبه قبعة أو ربما قفازاته، من لون السترة نفسه. تقدم "تاراس" من الطاولة وصافحه. فاح من الرجل مزيج من الروائح الطاغية، كان أقلها انتشارًا رائحة الإسطبلات النتنة. عرّف نفسه قائلًا: "شتيفي"، اسمي "أنطون شتيفي" لكن الناس ينادونني بـ"تونا". مدت له "تينا" يدها أيضًا وصافحها بطريقة "تاراس" نفسها بلا أي حماس يُذكر. تلفت "تاراس" حوله بالبار وأشار إلى طاولة فارغة في الزاوية البعيدة وهو يقول: "دعنا نجلس هناك".

جلسا وعندما اقترب النادل من طاولتهم، أشاح له "تاراس" بيده بقوة كي يبتعد. أخرج دفتر ملاحظاته وقلمه من جيبه. "حسنًا إذًا، يا "تونا"، ما الذي حدث؟". سعل الرجل، وتزايد شعوره بالحرج بشكل واضح، ثم قال: "حسنًا، ما حدث أنني.. كنت في البحيرة، صحيح. كنت أرغب في تجربة

بعض المعدات، رغم أن..". توقف ونظر بارتياب إلى "تاراس". ساعده "تاراس" قائلًا: "رغم حظر الصيد". بدأ الرجل في التَّمَلْمُل من الحرج. "حسنًا، في الواقع إنني ذهبت لصيد سمك "السَّلّور"، صحيح أنهم يقولون إنه لا يوجد أي سمك "السَّلّور" بالبحيرة على أية حال..".

توقف مرة أخرى وظل يحدق في مفرش المائدة، منتظرًا من "تاراس" إما أن ينقذه أو يدينه. سمح له "تاراس" بأن ينفس عن مشاعره ويلتقط أنفاسه في صمت لفترة من الوقت.

تابع "تاراس" كأنه لم يسمع العبارة الأخيرة عن سمك "السَّلّور" وهو يشير إلى الطاولة حيث جلس فريق "جولوب" مع "تشفيلاك" قائلًا: "هذه مخالفة لكن زميلتي هذه ومن هم هناك.. لم يأتوا هنا للقبض على الجناة. نحن هنا بخصوص شيء آخر وإذا كنت ستبذل جهدًا لمساعدتنا، فسوف يسعدنا أن نتغاضى تمامًا عن سبب وجودك في البحيرة". أبدى الرجل ارتياحًا واضحًا. قال بشجاعة كبيرة حازت إعجاب "تاراس": "كان بإمكاني ألا أخبرك عن ذلك، أليس كذلك؟". "في هذه الحالة تكون قد ارتكبت عملًا إجراميًا وليس مجرد مخالفة. ولا يجوز أن نتغاضى عن الأعمال الإجرامية". عندما أنتهى الرجل كان "تاراس" قد دون ثلاث جمل في دفتر ملاحظاته. سأل: "هل كان الرأس لذكر أم لأنثى؟". "لا أعرف.. أظن أنها لرجل". "الرأس فقط؟". "ماذا تعني؟". "هل ما ظهر على سطح الماء مجرد رأس أم أن هناك أي شيء متصل به؟". "أوه،

بالطبع كان هناك. فقد ظننت في البداية أنني لن أتمكن من إخراجه لعقله". نظر "تاراس" إلى ملاحظاته مرة أخرى. لا شيء يُذكر. "وما رأيك في الأمر كله؟". نظر إليه الرجل في حيرة من أمره وقال: "ماذا تعني بالأمر كله؟". "ربما سمعت أن هذه ليست أول جثة ننتشلها من البحيرة ونحقق في ملابساتها؟". هز الصياد كتفيه باستهجان وهو يقول: "لا أدري. تلك المرأة ليست واحدة منا، لأنها لو كانت..". "لعرفت". "نعم، وكذلك لا يوجد أحد في عداد المفقودين بالقرية". أومأ "تاراس" برأسه. ففي مكان صغير كهذا، يعرف الجميع كل شيء عن الجميع. والجميع يلتزمون الصمت عند اللزوم. "هل أنت من أخبرت زميلي عن تلك المرأة الحامل، وبعد ولادتها لم يكن هناك طفل. هل هذا كل ما تعرفه عنها؟".

عاين "تاراس" الوجه الملتحي بدقة وهو يطرح السؤال وأحسن أنه فعل، وإلا لفاتته تلك اللحظة القصيرة العابرة التي اتسعت خلالها حدقتي الرجل. بعد ثانية استجمع شتات نفسه، ربما بدت عيناه أضيق مما كانت عليه.

"نعم، الفتاة المسكينة من" بوتشار"، ألقت بنفسها في الماء. ماذا تريد أن تعرف غير ذلك؟ هذا كثير جدًا".

حاول "تاراس" معه مرة أخرى وسأله عن الشخص الذي حملت منه وكيف لم تجر الشرطة تحقيقًا في الواقعة في ذاك الوقت، وعمّ قاله الناس عن الواقعة، وعن مصير الطفل.. ولم يتلقّ من الرجل سوى رد ولا شيء سواه: "لا أدري شيئًا".

تنهد "تاراس" واستدار نحو "تينا" التي بدت وكأنها تنتظر أن يفعل ذلك. سأله "تاراس": "هل كنت والد هذا الطفل؟". جفل "تونا"، وقام بشد جذعه واستقام كأنه يريد الدفع به بعيدًا عن الطاولة، وكاد يصرخ وهو يقول: "لا لا، بالطبع لا! مستحيل! كيف يمكنني أن..". حدق في "تينا" وقد انتابه الهلع. هزت كتفيها بلا مبالاة. قال "تاراس": "اعتقدت أنك سترد على هذا أيضًا بـ"لا أدري شيئًا". تنهد "تاراس" ونظر إلى ملاحظاته مرة أخرى كأنه يتحقق مما إذا كان ما دَوَّنَه سيفيد بأي شكل من الأشكال أم لا، وعندما قرر أن "تونا" لا رجاء منه قال: "إذًا هذا كل ما يمكنك إخبارنا به؟".

هز الرجل رأسه، ومَسّد لحيته، وتمايل بالكرسي كأنه في صراع مع ضمير يعذبه، ثم انحنى بشكل تآمري نحو "تاراس" فاقترب "تاراس" أيضًا فشم رائحة جديدة تفوح من فتحتي أنفه تشبه الإسطبلات وعرق يشبه بَوْل البهائم وكحول. "أريدكم أن تعرفوا أن أسماك "السلوريات" تلك موجودة بالفعل هناك، في قاع خليج "فوتشينار"، لا تنسوا ذلك". سأل "تاراس" عندما عادوا إلى "جولوب" وفريقه و"تشفيلاك": "انتهينا من عملنا إذًا لهذا اليوم؟". "انتهينا حتى بدون مشكلة الصمام. هل تعرف مدى عمق هذا الجزء من البحيرة؟ ناهيك عن أن الماء بالكاد يزيد بدرجة أو درجتين عن درجة التجمد. لقد غطسوا مرة واحدة بالفعل، أكثر من ذلك سيكون مخالفًا ما هو متعارف عليه". سأل "تشفيلاك": "وماذا الآن؟".

التفت "تاراس" إلى "برايك" حتى يساعده في الرد على

السؤال. عندما اتصل به ظن أن هناك جثة تنتظرهم في "بوهيني"، لا أنهم في حاجة إلى العثور على الجثة أولًا.

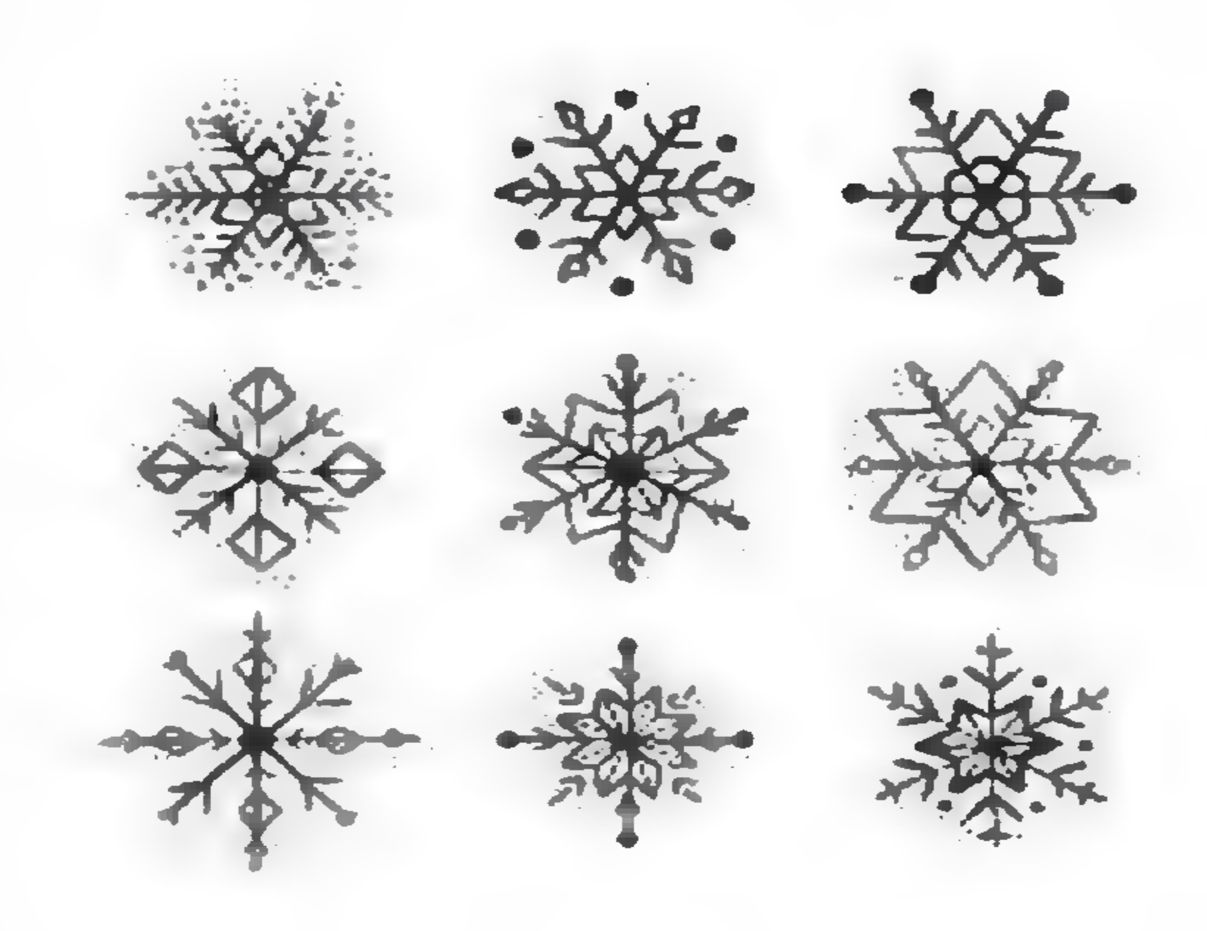
فقال "برايك": "سنعود أدراجنا ثم نأتي مرة أخرى غدًا أم ماذا؟". هز "تاراس" كتفيه. سأل "تشفيلاك" "جولوب": "متى ستصلون هنا؟". "في السادسة والنصف. حتى يتمكن الغواصون من الغطس مع بزوغ نور الصباح". رغم أنني لا بد أن أعترف بأنني لن أفعل إلا بعد الحصول على قسط طويل من النوم. فأنا مضغوط بالعمل منذ الصباح. بدأ يومه بمقبرتين والآن هذا. هل عرفت ماذا حدث لنا في "سريدنيا فاس"؟

أومأ "تاراس" برأسه. أخبره "برايك" القصة كاملة. تنحنح "تشفيلاك" ونظر إلى "تاراس" قائلًا: "أنت يا عزيزي من ستحجز غرفتين في الفندق. واحدة لنا والأخرى للسيدة الشابة التي معنا. إن سني كبير بما لا يسمح بالقيام بهذه الأمور".

هَرَش "تاراس" رأسه. لم يطلب ذلك بسبب كِبَر سِنِّه إنما لعدم ثقته في أن "درفاريتش" سيتحمل تكاليف الإقامة. بحث في ملاحظاته المدونة عن رقم تليفون مدير الفندق، فقد يستطيع عقد نوع من المقايضة معه.. أي يستأجر غرفتين مقابل حرية التصرف والكتمان.



الفصل الثالث والثلاثون



أقبل الليل على عكس أجواء الصباح تمامًا، سماؤه صافية وقمره ساطع، وزادته الثلوج نورًا على نور، ورغم أن "تاراس" تساءل هل من الضروري في هذه الحالة أن يشعل مصباح الرأس أم يخرج للتزلج بدونه، إلا أنه خرج به في نهاية الأمر. أصبح الجليد الذي تراكم منذ فترة رائعًا ومتراصًا، وبعدما ذاب بعض الشيء نهارًا تجمد مرة أخرى مساءً، لذا بدا أملَس ناعمًا رقيقًا فوق زلاجات "تاراس"، التي لم يكن مهتمًا بتلميعها، حتى عندما كان يقوم بذلك، لم يحدث ذلك فارقًا كبيرًا. لعله يعد ذلك هو الأسلوب الأفضل، لكن بهذه الطريقة..

إلا أنه في كل الأحوال لم يكن ينوي تسجيل أي أرقام قياسية.

سأل "تشفيلاك" "تاراس" وهو ينظر إلى ساعة يده: "هل ستخرج للركض الآن؟".

من بين مَعارف "تاراس" كان "تشفيلاك" أحد القلائل الذين ما زالوا يرتدون ساعة بمعصمه، حسنًا، هذا بالإضافة إلى "كريستان" و"درفاريتش". تابع "تشفيلاك" قائلًا: "هل تعرف كم الساعة الآن؟". "يجب ألا يزيد وزني".

نظر إليه "تشفيلاك" في شفقة وقال: "أنت؟ وزنك؟".

مما يلفت الانتباه أن ترى الناس من أهل العلم النُبَهاء يخلطون بين السبب والنتيجة بمجرد أن يحيدوا عن مجال تخصصهم. كان "تاراس" نحيفًا لأنه يمارس الرياضة، ولم يمارس الرياضة لأنه نحيف. غالبًا ما يغلبه الابتسام عندما يقول الناس أشياء من قبيل: "أنت محظوظ لأنك لا تَسمَن"، "يمكنك أن تأكل كيفما تشاء"، كان يستطيع تناول ما يشاء من الطعام لأنه يتخلص منه بالتعرق.

قال "تاراس": "حسنًا، ذلك حتى أستمتع أكثر بتناول البيرة بالبار عندما أعود". ابتسم "تشفيلاك" وقال: "تقصد "الكوكا كولا"؟ وهو كذلك، أما أنا فسوف أستمتع بالبيرة دون أن أبذل أي مجهود". قال "تاراس": "الأمر مختلف. صدقني، بعدما تبذل بعض الجهد البدني، تشعر بارتياح حقيقي".

يعرف "تاراس" مسار "اللويب" للتزلج عبر الضاحية من

"ريبتشف لاز" إلى "سافا بوهينيسكا" أو بالأحرى يعرف المناظر الطبيعية التي يمر عبرها. عندما يسقط قدر كافٍ من الثلوج على الأرض، فإنه يعدها واحدة من أروع الأماكن في سلوفينيا، ورغم تنوعها عبر أنحاء المسار كافة، فإنها تخلو من أي تلال شديدة الانحدار. لقد خُطط لهذا المسار ليكون واحدًا من مجموعة مسارات دائرية يبلغ أطولها حوالي عشرة كيلومترات، وعادة لا تجدها مزدحمة مثل مسارات التزلج الأخرى بمراكز التزلج المعروفة. ويمكنه التزلج عبرها دون أن يضطر إلى اجتناب هؤلاء المتحمسين للتزلج والمحبطين في الوقت نفسه، لأنهم لم يرتقوا إلى مستوى المنافسة، ومن ثم يستعينون بأشخاص على شاكلته كي يرضوا غرورهم. علاوة على ذلك، لو حدث وصادفت مَنْ ينزهون كلابهم حيث تحدث أحذيتهم ثقوبًا في المسار قد تتسبب بسهولة في كسر عمود الزلاجة أو قد تنزلق فوق براز كلابهم فتنقلب فوق حَوَاف الزلاجات المُستَدَقّة فإن نسبة التعرض لهذا الخطر على هذا المسار ليست كبيرة. على أية حال، لم يكن هناك أحد عليه في هذا الوقت سواه.

كم أحب "تاراس" رياضة التزلج عبر الضاحية أكثر من أي رياضة أخرى. أولًا، لأن جميع أجزاء الجسم تنخرط في الحركة بدءًا بعضلات الساق بالطبع، إلى عضلات ربلَة الساق، إلى المؤخرة، إلى عضلات البطن والظهر والكتفين واليدين والقلب والرئتين والأوردة.. وهذا التوافق العضلي بين الجهاز العضلي للهيكل العظمي والقلب والأوعية الدموية هو ما

يجعل التزلج على طول الجليد المضغوط لمدة نصف ساعة نوعًا من التأمل، حيث تتلاشى جميع الأفكار غير ذات الصلة، وتتبدد هرمونات التوتر مع دَفْقة من هرمون "الإندورفين"، هذا إذا صدقنا الذين درسوا هذه العملية علميًا، ولا يتبقى بعد ذلك سوى التناغم، ثم الرفع التبادلي المتناوب للوح الأيسر، ثم الأيمن، والضغط على الأيسر، ثم العمود الناقل الأيمن، ثم العمود الأيسر، شهيق، زفير، قطرات عرق.. ويُمحى كل شيء من ذاكرته وهو يتزلج عبر الضاحية. مرت عليه أوقات جفاه فيها النوم بسبب تقلصات المعدة الناجمة عن فرط الإجهاد. لو عجز عن ممارسة الرياضة في ذاك الوقت، لو لم يفضل التزلج عبر الضاحية في فصل الشتاء، لاحترقت أحماضه المعدية عبر أمعائه. بعد ساعة، ساعة ونصف من التزلج، تتعادل تلك الأحماض ويشعر بالتحسن. استغرق الأمر بعض الوقت حتى أدرك أن هذا ما يجعله قادرًا على مواصلة العمل والكف عن الفكرة التي تؤرقه وهي أنه لا يستغل وقت فراغه في شيء أكثر فائدة كأن يقوم ببناء ملحق للمنزل أو يغسل السيارة. على أية حال، ما الذي يمكن أن تعده أكثر فائدة من الحيلولة دون انهيارك؟

كان الجو باردًا.. ست أو سبع درجات تحت الصفر، ولكن بعد تمارين الإحماء لم يعد من الصعب عليه تحمل البرودة على الإطلاق. فكر في الفتاة الميتة، "هليب" الميت، الغريب الميت في البحيرة، واستغرق الأمر كيلومترًا واحدًا من الركض حتى تلاشت هذه الأفكار وحل محلها التَّجرُّد، شيء يشبه التأمل

"السامادي" في البوذية. بلغ "تاراس" من العمر ما يجعله يستغني عن التدريب وفقًا لبرامج معينة، والواقع أنه لم يتدرب أبدًا. كان يعرف أنه كلما حاول المرء أكثر، أصبح قادرًا على الركض أكثر أو على أيّ ما كان يفعله، غير أنه يعرف أيضًا أن كل الأيام قد لا تكون مناسبة للركض حتى تسقط بسبب انقطاع النفس. ومن ثم ترك قدميه ورئتيه يقرران. هل اليوم مناسب للدفع بهم ويركض حتى النهاية؟ أم أنه يوم لا يناسب سوى التزلج العادي فحسب؟

انطلق ببطء، تحسس الأرض، حفز القلب والعضلات والأربطة، وكلما شعر بأنه قادر على ذلك، دفع بهم أكثر وتقدم بقوة أشد. لقد أدى أداءً رائعًا حتى إنه اضطر إلى كبح جماح نفسه حتى لا يبالغ، وحتى لا يصل حمض اللاكتيك للذروة على منحدر صاعد، ومن ثم يستمتع بالهبوط على المنحدر ولم يكن قلقًا حتى من أن يتحول اتجاهه فجأة في منحنى أعمى محجوب عن الرؤية. حسنًا، ما إن اعترف بأنه لم يكن على دراية تامة بأبعاد المكان المحيط به حتى أدرك أنه وصل بالفعل إلى خط النهاية بل وتجاوزه، ثم دار حول الحلبة مرة ثانية بعدما أبطأ من وتيرة سرعته، دون الحاجة إلى ذلك. أطفأ مصباح الرأس واستمتع بالتزلج بين أحضان المناظر الطبيعية الليلية.

***

هام في أفكاره على إيقاع أغنية تقول:

هل تشعرين بالتحسن؟

أم مشاعرك على ما هي عليه؟

هل الأمر أسهل عليك الآن؟

كانوا يستمعون إلى الراديو في السيارة. غفا "تشفيلاك" الجالس في المقعد المجاور له بينما ظل "تاراس" يردد كلمات الأغنية التي يحفظها ويهمهم بصوت غير مسموع. نظر إلى مرآة الرؤية الخلفية ورأى "تينا" تغني أيضًا بصوت خفيض. أدركت أنه يراقبها فابتسمت وقد بدا عليها الحرج.

هل أتيتِ هنا طلبًا للمغفرة؟

هل أتيتِ لتحيي الموتى؟

كم كان عمرها حينما أصدر فريق الروك 2U"" هذا الألبوم في وقت ما في أوائل التسعينيات؟ خمس، ست سنوات؟

هل أتيت هنا لتلعبي دور يسوع؟

وتتخيلي أنك تشفين مرضى الجذام.

إنه لأمر يثير التساؤل.. كيف ظن في البداية أن ملامح وجهها غير متسقة نسبيًا؟

سوف يراها ثانية بعد نصف ساعة ولا بد أن يتذكر أن يسألها كيف عرفت هذه الأغنية.

"أين مكان هذه الجثة الجديدة في القصة؟". خطرت هذه الفكرة فجأة على باله لدرجة أنه هز رأسه بعصبية كأن

ذلك سيجعل الفكرة تتلاشى. "أين هذه الجثة الجديدة من القضية؟".

لم يقتصر الأمر على أن الفكرة لم تتلاشَ فحسب، بل إنها استدعت أيضًا صورتين ذهنيتين أخريين، واحدة تمثل لقطة لجذع الأنثى الأبيض بيدها التي تبرز فوق سطح الماء، وحيث ينبغي أن يجد رأسها فوق رقبتها، كما استدعى ما تبقى من وجه عميد كلية التكنولوجيا الحيوية. تناوبت هذه الصورة مع الصورة السابقة لوجه "تينا" وهي تبتسم ابتسامة يشوبها الحرج إلا أنها ظلت تردد كلمات الأغنية، بدا الأمر كأنهما شريحتان في عرض "بوربوينت" تتكرران بالتبادل داخل رأسه. حاول صرف تفكيره عن الأولى، والتركيز على صورة "تينا" فقط وهي تردد كلمات الأغنية التي يبثها الراديو، لكن محاولته باءت بالفشل، سب ولعن وكاد أن يتوقف، ثم تنهد وواصل، وكف عن محاولة إبعاد الصورتين اللتين اقتحمتا أفكاره والتحرر منهما، لأنه ما من سبيل لإبعادهما.

لذلك قال لنفسه، فلننظر إلى هذا المشهد من بعيد، ونلتقط له صورة فضائية بالقمر الصناعي، كما اعتاد "بينكا" أن يقول، ثم نتأمل، ونفكر، ونحاول تحديد العلاقة التي قد تربط بين الصورتين الذهنيتين إن وجدت. هل قاتل الدكتور "هليب" هو نفسه قاتل الفتاة المقطوعة الرأس؟ بماذا يحدثه حدسه؟ وماذا عن الشخص الذي قتل الرجل المجهول في قاع البحيرة؟

وصل إلى منحنى يلتقي فيه المسار بطرف مدينة "بوهينيسكا بيستريتسا" ثم استدار ليجد أمامه التل الأطول والأكثر انحدارًا، مما يعني أنه يبلغ حوالي مائتي متر، وهو المدى الذي يتطلب بذل المزيد من الجهد المكثف. مع ميل المنحنى، تلاشت الصورتان، ولم يتبقَ سوى الثلج المصقول والمُضلَّع ومسارات تزلج غير مستوية بفعل ما خلفه المتزلجون الآخرون وراءهم على مدار النهار عندما كانت الثلوج أكثر نعومة. ادفع بالساق اليسرى، ادفع بالعمود الناقل الأيمن، ثم الأيسر، ثم الأيمن. إن الهواء الدافئ والرطب الذي نفثه أمامه في هيئة سحابة من البخار أدى إلى تشويش الرؤية، وتقاطرت حبات العرق على أطراف قبعته فتجمدت في صورة دموع زجاجية تعلقت بأطراف شعره، وبمجرد أن استقر المسار مرة أخرى، لاحت له صورة الجثة الأولى مرة أخرى، ثم الثانية.. ثم لا شيء.. لم يتوصل إلى أي شيء ولم تجعله الصورتان يصل إلى أي استنتاج، بل أخذتا تتناوبان بوتيرة أبطأ ثم بدأتا في التشتت والتلاشي رويدًا رويدًا. كاد أن يتوقف عن التفكير فيهما، وبعدما ذوت الصورتان، لاحت له صورة أخرى، صورة حماة "هليب"، وهي تنظر إلى "تينا" بعدما سألتها.. "هل من المحتمل أنهما كانا عاشقين؟".

إن العيون من حوله تسأله: "هل هذا له صلة الموضوع؟ ما المهم في الأمر أيًا ما كان؟ فقد مات الرجل بالفعل، وكان سيموت في يوم من الأيام في كل الأحوال.. "بريلك"، لاح له "بريلك" من مكان ما، لاح له وجهه وهو يجاهد ويتشنج كي

يقول له شيئًا، يحاول أن ينطق بشيء.. فما هو؟ قبل أيام قليلة فقط جلس معه في بلكون منزل العطلات الذي يملكه على الجانب المظلم من البحيرة، يراقبان تساقط الثلوج. أخذ "بريلك" يدخن "الماريجوانا" ويشرب الخمر ويتباهى بأنه ضاجع كل النساء اللواتي بمنزله باستثناء زوجة "بلاجيتش" البدينة.. والآن، هو في عداد الموتى أيضًا، رغم أنه ما زال يلتقط أنفاسه وما زال قلبه ينبض.. لاحت له صورة "ألينكا" وهي تبتعد عنه بسيارة شخص آخر دون حتى أن تنظر وراءها.. دون أن..

هل ضاجع "بريلك" "ألينكا" أيضًا؟

تتابعت الصور الذهنية.. جدعة رقبة، عين متدلية من مَحجرها، عيون "تينا"، سؤال "ألينكا": "هممم، إذًا إيرينا لم تفعلها؟" صوت "بريلك" الذي يشبه النَّخِير، عيناه في وجهه الشاحب شحوب الموتى وهما تحدقان به.. تموج كل هذه الأفكار في عقله وتسفر عن لا شيء.

هل عبارة "زوجة كل واحد من هؤلاء الأطباء" التي قالها "بريلك" مجرد شيء عابر مُلتَبِس أم أنه قالها عن عمد؟ أم أنها زَلّة لسان؟ هل قام والد "ألينكا" بزج "بريلك" في طريقه؟ هل فعلها هذا الرجل العجوز؟

تمتد أمامه سلسلة من المنحدرات القصيرة الوعرة أوصلته إلى أعلى نقطة في "اللويب". انطلق نحوها، اندفع أكثر، وانتقل من وتيرته الهادئة إلى أسرع وتيرة ممكنة، انطلق

حتى النهاية.. حتى النهاية، وعندما وصل إلى النقطة التي ينحدر منها بقية المسار إلى سفح التل، سقط.. سقط على ركبتيه وتدحرج على جانبه، وتقلب بحركة لولبية جعلت وجهه يغرز في الثلج.

بعدما رفع وجهه مرة أخرى وهدأت ضربات قلبه إلى حدٍّ جعل شهيقه الموجع والمتقطع يتحول إلى أنفاس عميقة منتظمة، انقلب على ظهره فرأى السماء منضودة ببلايين النجوم اللامعة، ففي مكان كهذا لا يوجد ضوء اصطناعي أو هواء ملوث يحجبها عن العيون. في مثل هذا الوقت، منذ زمن بعيد، في معسكر القاعدة عند سفح جبل "دولاجيري" عندما خرج من خيمته ليتبول في منتصف الليل لم يستطع أن يجبر نفسه على العودة لخيمته إلا بعد مرور فترة طويلة، فقد وقف تحت الكتلة البيضاء الضخمة التي كانت تعلوه بحوالي أربعة كيلومترات، وأخذ يتأمل النجوم فوقها، وينصت إلى الريح التي يموج بها الوادي غير المرئي باتجاه الممر الفرنسي، وهي لحظة استبصر فيها أن لا شيء مهم على الإطلاق. لا يهم إنه ينام هو ورفيقه المتسلق في خيمة، ولا أن الآخرين ينامون في خيام أخرى، ولا أن هناك أناسًا في الوادي، ولا أن هناك مليارًا من البشر في الهند جنوب الجبل، كل شيء، وأي شيء في هذا العالم لا يهم.

عندما وقف وأوشك أن يتزلج نحو سفح التل، وما زلت يداه على فخذيه، رأى من بعيد شيئًا فضي اللون ينعكس على سطح البحيرة. أهو وميض ضوء؟ توقف ودقق النظر. انقسم

الوميض في خط مستقيم إلى عدد من الومضات الأصغر.. لا، لم يكن ضوءًا، بل مجرد انعكاس لشعاع القمر فحسب. انتظر لحظة حتى تستقر دقات قلبه وتهدأ واستشعر الصمت من حوله. رأى من حيث كان يقف جزءًا كبيرًا من البحيرة دون أي علامة تُذكَر على وجود أي إنسان في محيطها. توارت "ستارا فوجينا" خلف أحد التلال، كما توارى الفندق على ضفة البحيرة خلف تل آخر. في أقصى الطرف الغربي من البحيرة، في "أوكانك"، حلقت كتلة ضباب لَبَنيّة اللون من المحتمل أن تغطي البحيرة بأكملها مع حلول الصباح لكنها ساكنة في الوقت الحاضر وتحاصر منازل العطلات التي يملكها أطباء ليوبليانا. لا يوجد ضوء في أي مكان باستثناء ذلك المنبعث من السماء، ولا توجد سيارة واحدة، ولا يسمع حتى نباح كلب. في هذه الأثناء، خفَت صوت الريح الذي يُسمع بالكاد، وفي وسط هذا السكون، عكست البحيرة القمر والنجوم التي لم تعد تتلألأ، وصار من المستحيل تقريبًا أن تحدد أيهما البحيرة وأيهما السماء. إذا وجد أي شيء يطفو على سطح البحيرة الآن، كجثة مثلًا، فسيراها، مثلما يرى الأمواج التي تسري في دوائر أحادية المركز في منتصفها نقطة متناهية الصِّغَر. شعر بالأسف لأنه أفسد على نفسه جمال هذا المشهد بهذا التصور للجثة التي تطفو.

من أين تداعت كل هذه الأفكار في رأسه؟ هل قدرته على المقاومة ضعفت؟ هل سيصبح التزلج عبر الضاحية متنفسًا غير كافٍ من الآن فصاعدًا؟ هل فقد آخر مضاد حيوي

فاعليته؟

قال لنفسه: "ما الفائدة؟ لماذا تكدر نفسك بكل هذا؟ امنح "ألينكا" استراحة. ما أهمية ما حدث؟.. لا جدوى من وراء كل ذلك. دع الأشياء الدّفِيئة حيث هي".

شعر بالبرد وراح يتزلج على المنحدر.

الفصل الرابع والثلاثون



عندما عاد "تاراس" من الركض وجد الغرفة خالية. فكر للحظة في الاستلقاء على الأرض غير أنه لمس "الموكيت" فوجده قاسيًا للغاية، فقرر أن يستحم. شعر بتعب لذيذ.. ونبعت لذة هذا الشعور أيضًا من فكرة أنه انتهى من كل التزاماته لهذا اليوم.. كلها، لن يقوم بشيء آخر اليوم سوى التواصل مع الأشخاص المحببين إلى نفسه بطريقة أو بأخرى. اتصل بـ"تشفيلاك" فوجده جالسًا مع "تينا" في بار الفندق. سأله "تشفيلاك": "لقد ركضت بالفعل، أليس كذلك؟". "نعم". "ينبغي أن أعترف بإعجابي بك يا "تاراس". هز

"تاراس" كتفيه بلامبالاة ثم قال: "إن رد الفعل الذي أثيره لدى الآخرين والأكثر شيوعًا هو.. الإعجاب". ضحكت "تينا" فرمقها "تشفيلاك" بنظرة متسائلة ثم قال: "يبدو أن قضية الإعجاب تمس زميلتك أيضًا. إنها ظلت تسألني عنك لكنها لم تجد عندي ما تستنير به". احمر وجه "تينا" خجلًا. سألها "تاراس": "ما الذي تسألين عنه؟". تمتمت قائلة: "مجرد أسئلة عامة". ثم حدقت في الفراغ ساهمة. قال "تشفيلاك" وهو يدفع الطاولة لينهض: "حسنًا، خذي وقتك. سأذهب لأستمتع بغرفتنا الخالية وحدي". "ألن تشرب شيئًا معنا؟". هز "تشفيلاك" رأسه بالنفي وهو يقول: "لقد تناولت مشروبًا بالفعل، ولو تناولت المزيد، سوف تنتكس حالتي غدًا. إنني بلغت من العُمر ما يجعلني قادرًا على أن أقرر متى أتوقف، للأسف. بالمناسبة، أنا أشخر وأنا نائم، لذا ما عليك إلا أن توقظني عندما تعود وسأحاول أن أحرك رأسي كي أجعل صوت الشَّخِير أقل إزعاجًا".

أشار إلى النادل وحاول "تاراس" أن يقترح عليه دفع الفاتورة إلا أنه رفض. سأل "تاراس" النادل: "هل لديك بيرة خالية من الكحول؟". هز النادل رأسه بالنفي، ثم قال: "لدينا بيرة بنسبة كحول خفيفة".

طلب شطيرة و"كوكاكولا" وكوب ماء. نظر النادل إلى "تينا" ثم إلى فنجان القهوة الفارغ أمامها وسألها: "هل تودين تناول أي شيء آخر؟".

نظرت "تينا" إلى فنجانها ثم نظرت إلى "تاراس" الذي نظر

بدوره أيضًا إلى فنجانها. ابتسمت ابتسامة لافتة، فأنيابها بارزة إلى الأمام قليلًا مما جعلها تبدو ابتسامة جذابة لمَصّاصَة دماء. في صِغَرِهِ، كان لديه قطة ذات أنياب نَمَت واستطالت بشكل كبير حتى إنها برزت خارج فهمها، لكن أسنان "تينا" لم تبرز مثلها. أجابته قائلة: "في الحقيقة، نعم، أريد بيرة الآن".

غادر النادل الطاولة وظل "تاراس" يتابعه لثانية أو لثانيتين. متى احتسى البيرة آخر مرة؟ هل يتذكر مذاقها؟

سألته وكأنها تلميذة: "ألديك مانع في أن أشرب بيرة؟". "الارتجاع المعدي المريئي". "آسفة؟". "أعاني من متلازمة اضطراب المعدة، والكحول يُهيِّج معدتي". "ماذا؟". "هذا ما يسألني عنه الناس في العادة.. سبب امتناعي عن تناول الكحوليات".

شرح القصة في ثلاث جمل. أسعده أنها لم تطرح المزيد من الأسئلة أو لم تجرب الأسئلة المعتادة من قبيل: "ما أدراك أنها ما زلت تُمثل مشكلة إذا لم تكن قد شربتها منذ فترة طويل؟".

إنه يعرف فحسب. سألت: "إنني أقصد هل لديك مانع في تناولي البيرة في حضورك؟". "لا، أنا معتاد مشاهدة الآخرين وهم يشربون". ضحكت ثم قالت: "أقصد هل تمانع بما أنك رئيسي؟". "لا أدري ما إذا كنتِ ستحصلين على بدل سفر لهذا اليوم أم لا، لذا، عمليًا، أنتِ لا تزاولين عملك الآن".

ضحك كلاهما.

أحضر النادل الشطيرة والكوكاكولا والبيرة ونسي الماء.

إن هذا الفندق هو أحد تلك الأماكن التي تقدم البيرة في زجاجات صغيرة الحجم فقط، باعتبارها دليلًا مفترضًا على تَمَيُّز المكان. وكم أزعجه ذلك للغاية عندما كان لا يزال يشرب. على أية حال، لديه الآن زجاجة من مشروب مُحلى داكن بنسبة قليلة من الكافيين، وكم تتوق خلاياه إلى كل من الشكر والكافيين. سكبت "تينا" البيرة في الكوب وأخذت رَشفة. لطالما درب نفسه على ألا ينشغل بالأمر، لكنه لا يتمالك نفسه في بعض الأحيان.. كما هو حاله الآن، على سبيل المثال. إنه يحسدها بشدة على تلك البيرة التي تشربها أمامه. بدأ يأكل الشطيرة. قالت "تينا": "هل تذهب للتزلج عبر الضاحية بانتظام؟". "أوه، أهذا هو سؤالك؟ ظننت أنك ستطرحين أسئلة أكثر صعوبة". "سأطرحها عليك فيما بعد".

إنها المرة الثالثة التي يذهب فيها للتزلج على مدار العامين الماضيين. لا، لم يذهب للتزلج عبر الضاحية كثيرًا لأن الثلج أصبح لا يكفي للتزلج إلا فيما ندر. اعتاد أن يذهب للتزلج بانتظام أكثر عندما كانت أجواء فصول الشتاء مناسبة للتزلج. قال: "الآن أقوم بالركض أكثر من التزلج. أركض على تلال "روجنيك"، و"بولهوف جراديك"، وأحيانًا أخرج لركض ليلي فوق تل "كرانيسكا جورا". إنه نوع من مشي الهَروَلَة".

كانت ترتدي سترة خضراء ضيقة وتعمد "تاراس" ألا يحدق في ثدييها. إذا حدق، فعليه أن يتذكر أنه أكبر منها بما يقرب من عشرين عامًا، رغم أن ذلك لن يمثل مشكلة لا لـ"بريلك" ولا

لـ"ميهليتش" لو كانا مكانه. أراد أن يقنع نفسه بأنه يجد فارق السن عائقًا لأنه أفضل منهما.. ولكن ماذا لو أن الأمر لا يتعدى أن فرصته معها مُنعَدِمة؟ ماذا لو أن ذلك لأنه ليس من هؤلاء الذين ولدوا ليفوزوا.. ماذا لو أن ذلك لأنه لا يتمتع بالاستهتار الفطري الذي يتمتع به كل من "بريلك" و"ميهليتش"؟ ماذا لو أن ذلك ليس إلا نوع من الترفع عن ما يشتهيه المرء ولا يستطيع الوصول إليه؟ كم عدد النساء اللواتي تعملن في وظيفة محقق جنائي، حتى لو أردن ذلك؟ كم عددهن مقارنة بطبيب الجراحة في كلية الطب؟ ومقارنة بمدير أكبر شركة للصناعات الدوائية في الدولة؟ إن عددهن قليل للغاية وهو ما يجعل فكرة خلعها للسترة الخضراء الضيقة أمامه، بمنزلة خلعها لحمالة صدرها. بدت مغرية، ولكن الوصول إليها في الوقت ذاته.. مُحال، وبالتالي فإنها لن تضره في شيء. لو شرب البيرة لساعدته بلا شك على التعامل مع ذلك بأريحية أكثر، وهي أكثر شيء يتذكره عن البيرة عندما كان يحتسيها، كما أنه أقنع نفسه بأنها ربما طلبت البيرة أيضًا بسبب القيود ذاتها. قالت: "بالمناسبة، ما قلته ذاك اليوم كان صبيانيًا للغاية". "ماذا قلتِ؟". أرخت عينيها كأنها مُحرَجة من الاعتراف ثم قالت: "ذاك الكلام عن.. خيبة الأمل، وأن القاتل ما هو إلا رجل مجنون عجوز عادي، وأشياء من هذا القبيل.. لا تصدر إلا عن مراهقة.. فأنا لست الآنسة "ماربل".. المحققة الهاوية في روايات أجاثا كريستي.. بعدما قابلنا زوجة "هليب".. عدت لوعيي". رفعت عينيها ونظرت إليه ثم قالت: "كما تعرف.. إنني أدركت أن هذا ليس رواية أو فيلم جريمة،

وأن الموتى ليسوا مجرد جثث". "أظن أن رؤيتك لوجه "هليب" هو الذي أثّرَ فيكِ".

فكرت للحظة وهزت رأسها بالنفي وقالت: "لا، لا أظن. في الحقيقة لا. لم يكن المنظر لطيفًا، خاصة بالنسبة لمعدتي، لكنني.. لا أدري.. أظن أن الأسوأ هو مقابلتي لزوجته. هذا شيء لا أرغب في تكراره". "لن يكرره أحد".

تناولت كأسها وأخذت رَشفة طويلة. انتهى "تاراس" من "الكوكاكولا". إن المشكلة في الامتناع عن تناول الكحوليات تتمثل في أنه لا يوجد بديل يُغني عنها خاصة إذا لم تتوفر بيرة خالية من الكحول تشبه الحقيقية من حيث الشكل على الأقل.

سكبت البيرة على بلوزتها، فقالت: "لا تقل لي إنني ثَمِلت بالفعل؟". تناولت منديل المائدة وبدأت تمسح القطرات القليلة التي تساقطت عليها. قال: "إضافة إلى ذلك، ومع ظهور الجثة الجديدة في البحيرة، لديك فرصة لاسترجاع أحداث مسلسل "سي إس آي "CSI.

عندما شدّت سترتها لتمسح قطرات البيرة استمتع "تاراس" بمنظرها أكثر. تساءل للحظة عمّا إذا كانت قد شدّتها عن عمد.. عن عمد ولو قليلًا. سألته: "هل تشاهد أيًا من هذه المسلسلات؟". أومأ. سألته: "حتى بعد مرور كل هذه السنوات وبعد كل هذه القضايا؟". "عندما أشاهدها، لا أشاهدها بطريقتك. إنني أشاهد علاقات تدور داخل إطار.. مجرد إطار

فحسب. قد يكون الإطار مركز شرطة، أو مستشفى، أو أيًا ما كان. الخلاصة أن الأمر كله يتعلق بخيوط الحبكة وهل تربط بين تلك العلاقات بإحكام أم لا".

ثم أخبرها بنكتة الجدة التي ضَبَطَها حفيدها وهي تشاهد الأفلام الإباحية في الواحدة صباحًا..

علاوة على ذلك، فهو لم يشاهد في الآونة الأخيرة شيئًا على شاشة التليفزيون بخلاف الرياضة.. دوري أوروبا، وبطولة باريس للأساتذة، بطولة ويمبلدون للتنس.. بل إنه لم يشاهد الأخبار منذ فترة طويلة، ولا يشاهد أي أفلام إلا على أقراص "الدي في دي DVD" الرقمية فقط.

تناولت رشفة أخرى، ثم ملأت كأسها ثانية. لم يتبقَ سوى القليل من البيرة في زجاجتها. سألته: "لماذا التحقت بالشرطة، يا "تاراس"؟". "الآن تَهلّ الأسئلة الحقيقية؟". ابتسم ولما لم تبتسم قال: "تفضلي اسألي". "حسنًا، لماذا انضممت إلى الشرطة؟".

تناول الزجاجة على اعتبار أن بها بيرة، وعندما أدرك أنها فارغة أعادها إلى الطاولة ثم قال: "إنها قصة مملة". قالت وهي تسترخي على ظهر الأريكة: "أنا أحب القصص المملة. إذا كان لا يزعجك، بالطبع، أن ترويها لي. فقد حذرني "تشفيلاك" من أنك قد لا تفعل".

بحث "تاراس" عن النادل الذي يتكئ بمرفقيه إلى طاولة المشروبات محاولًا أن يصرف انتباهه عن أي أحد. تابع

"تاراس" قائلًا: "لا، أنتِ لا تحبينها. لا أحد يحب القصص المملة، وهذا هو السبب في أن أفلام ومسلسلات الجريمة تخرج لنا بهذه الصورة.. لأن..".

أشار إلى الزجاجة شبه الفارغة فأومأت. لوّح للنادل وأراه بإشارة من إصبعه ثم رفع إبهامه أنهما يريدان "كوكاكولا" وبيرة مرة أخرى. أحضر طلبيهما وأخذ زجاجة "تينا" الفارغة. قال "تاراس": "في الواقع.. أريد قهوة بدلًا من "الكوكاكولا". قالت: "القهوة إذًا لا تؤثر عليك؟". "بلى، لكنني لا أفرط في تناولها على أية حال. مرتان فقط في اليوم".

انتظر أن يحضر له النادل قهوته الثانية لهذا اليوم. انتظرت بفارغ الصبر أن ينقلها من الصينية إلى الطاولة ويأخذ رَشفة منها ثم قالت: "لم يكن هذا ما سألتك عنه، يا "تاراس"، ولكن حسنًا.. لأن ماذا؟". "لأن الجناة عادة ما يتصفون بالغباء المستحكم. كل المسلسلات التي تشاهدينها تدور حول محققين جنائيين مضطربين نفسيًا، وروايات الجريمة أيضًا. لا وجود لذاك الجاني العبقري، بل تجدينهم في معظم الأحيان مجرمين صنعتهم الصدفة، يتصرفون بطريقة صبيانية وهوجاء.. لكن هل تعلمين كيف نقبض على معظم اللصوص؟ ".

هزت كتفيها، فقال: "إننا نقبض على اللص العادي لأنه عادة ما يأخذ معه زَرَدِيّة ليضرب أو يقطع بها شيئًا، ثم ينساها. إنهم ينسون الأدوات التي استخدموها في اقتحام المكان.. دائمًا، دائمًا تقريبًا، أو قد يشعلون سيجارة، في أثناء تأدية

مهمتهم، ويلقون بعقبها في مكان الجريمة. عندما أفقد وظيفتي، سأرتكب جريمة، وسألتقط أعقاب السجائر من الحانات وأتركها ملقاة في مكان الجريمة كنوع من التضليل".

لو أنه يشرب بيرة الآن لكان من الممكن أن يجد ما يبرر كلامه هذا. قال: "أنت امرأة جميلة. ليس بودي أن أعترف بذلك، ولكنني أجد "درفاريتش" محقًا بشأنك بالفعل ولأول مرة في حياته". "أنا لا أشرب البيرة كي أمارس الجنس معك، يا "تاراس". "لماذا تشربينها إذًا؟". "لمذاقها".

ضحكا معًا، وتساءل "تاراس" عمّا إذا كان ردها على سؤاله ينبغي أن يعده مبعثًا للأسف أم للارتياح. قال "تاراس": "عندما لا نجد أي مبرر منطقي للجريمة، وعندما لا نعرف لماذا ارتكب شخص ما جُرمًا ما، نواجه مشكلة. بعض الجناة ممن صنعتهم الصدفة لم يحدث أن ارتكبوا أي جرم من قبل مطلقًا ثم يتخلون عن ذلك وبلا أي مقدمات. تلك هي المشكلة، رغم أنهم، عاجلًا أو آجلًا، سوف يفشون سرهم بذات أنفسهم".

رن تليفون "تينا" فأخرجته في جيب سترتها وبعدما نظرت إلى رقم المتصل كتمت صوت الرنين، فقال: "ردي..". هزت رأسها بالنفي. تابع "تاراس" قائلًا: "أتذكر شخصًا قام بتزوير ثمانمائة وخمسين شيكًا، وعندما حاولوا إجباره على كتابة شيء لمقارنة خط يده بخط التوقيع المدون على الشيكات، رفض. ثم فكر "بينكا" في طريقة لإجباره على الكتابة. عرض عليه حالات تزوير أخرى لم يرتكبها بالطبع وقال له: "لقد زَوَّرَت هذا، أليس كذلك!"، رد قائلًا: "لا، لم أفعل"، فقال:

"بل فعلت"، رد قائلًا: "لم أفعل"، فقال له: "اكتب شيئًا إذًا حتى نتمكن من مطابقة هذا الخط بخطك؟"، فقال: "حسنًا، سأكتب"، وكتب. كان لدينا أيضًا محققًا جنائيًا يذهب إلى الاستجوابات ومعه عدسة مكبرة، يقوم بتسليطها على رأس المشتبه به وهو يقول: "بهذه العدسة أستطيع أن أرى ما بداخل رأسك، فالأفضل أن تعترف بما ارتكبته"، فيعترف". ضحكت، فضحك هو الآخر ثم قال: "من حيث المبدأ، لا تتوقعي الكثير. إنني أعمل في الشرطة منذ عشرين عامًا ولا أدري ما إذا كانت أحداث كل القضايا التي حققنا فيها يمكن أن تكفي لعمل مجرد حلقتين من تلك المسلسلات أم لا. قد تكون قضيتنا هذه هي الأكثر إثارة على مدار مسيرتي المهنية كلها".

رفعت كأسها وتناولت رَشفة دون أن ترفع عينيها عنه. يعتقد "تاراس" أن بعض النساء يشربن البيرة بطريقة الرجال بالضبط، وبعضهن يشربنها كأنها شَربَة زيت خروع. لم تشربها "تينا" على طريقة أي من هاتين الفئتين، بل بطريقة.. فاتنة.. تلك هي الكلمة التي خطرت على باله وتصف طريقتها. قالت:

"أنت لست من ليوبليانا، يا "تاراس"، أليس كذلك؟". هز رأسه بالنفي وهو يقول: "بلى". "هل أضايقك بأسئلتي؟". هز رأسه مرة أخرى بالنفي ثم قال: "من "ماريبور".. أو من محيطها، ثم انتقلت إلى ليوبليانا حيث مدرسة الشرطة الثانوية، لأننا لم نملك مالًا يكفي لأي بديل آخر. ولأن الدولة هي من تمول التعليم بالمدرسة، فقد انضممت إلى قوات

الشرطة. قضيت في مركز شرطة "موسته" بعض الوقت، ثم التحقت بكلية العدالة الجنائية والأمن كي أجتاز دورة تدريبية تخلصت بعدها من الزي الرسمي.. وهذا كل شيء تقريبًا".

نظرت إليه كأنها تنتظر المزيد، وكأنها تريد أن تطلب المزيد.. لكنها تشك فيما إذا كانت تستطيع ذلك أم لا. سألته: "هل "تاراس" اسمك الحقيقي؟ "تاراس بيرسا"؟". "لماذا؟". "لأن "تاراس" اسم نادر جدًا، و"بيرسا" لقب شائع في المناطق الساحلية فقط وليس في "ستيريا".

ظل صامتًا بضع لحظات، نظر داخل فنجان القهوة كأنه على وشك أن يقرأ منه الطّالِع ثم قال: "إنه اسمي الوحيد". أومأت برأسها، فقال: "ماذا عنكِ؟". "أنا؟ حسنًا، قصتي مملة بالفعل.. من ليوبليانا.. أب يعمل أستاذًا في اللغة، وأم تعمل أمينة مكتبة.. مدرسة ثانوية.. كمبيوتر.. وعلم نفس.. هذا كل شيء.. انتظر.. هل ما رأيته على وجهك الآن ابتسامة أم..؟ هل تضحك على ما قلته؟". "آسف، لم أقصد ذلك". "لا، لا.. ربما نتفق على ما يضحكك. على أي جزء ضحكت؟". "حسنًا، للصدق.. إنني ضحكت على الاثنين الأخيرين". "لماذا؟". "حسنًا، لو أمعنتِ التفكير في الأمر.. ستجدين الكمبيوتر ما هو إلا آلة تشغيل، مثله مثل الجرار. صحيح أننا في حاجة إليه ومع ذلك لا أرى أي سبب يجعلني أتحمس له. لا أفهم ما الذي يضطرني إلى التجول في أرجاء المدينة بجرار من المفترض ألا يستخدم إلا لحرث الأرض فقط".

"ليس هذا بيت القصيد. الحوسبة عالم جديد، عالم جديد كليةً نقضي فيه المزيد والمزيد من وقتنا. الافتراضية التي نتحدث عنها طوال الوقت لم تعد افتراضية". "أنا لا أتحدث عن ذاك الافتراضي". ضحكت ثم قالت: "حسنًا، وماذا عن علم النفس؟". "إنه علم غير مُجدٍ. إنه يشبه التنبؤات التي يدلي بها خبراء كرة القدم في الاستوديوهات قبل المباريات المهمة. هل تشاهديهم؟". "نادِرًا". "كما تعرفين فإن مدى صحة تنبؤاتهم لا تتجاوز بأي حال مدى صحة تنبؤات أخطبوط في حوض سمك.. فإذا سبح الأخطبوط جهة اليسار فستفوز ألمانيا، وإذا سبح جهة اليمين، ستفوز فرنسا. إن الأخطبوط ماهر في اجترار الماضي". ضحكت. سألها: "من اتصل بكِ الآن؟ قبل..". عبست لأن السؤال بدا كنوع من التودد المفرط خاصة بالنسبة لامرأة من المفترض ألا تثير أي توقعات عند الرجل الذي يجلس أمامها على الجانب الآخر من الطاولة. قالت: "أنت شرطي. خَمِنْ من هو؟". "حبيب؟ لماذا لم تردي عليه؟". رمقته بنظرة أكثر جدية من ذي قبل. قال "تاراس": "هل هذه النظرة هي طريقتك في إخبار الناس بأنهم يطرحون عليك أسئلة شخصية للغاية؟".

نظر إلى النادل الذي كان يتكئ بمرفقيه على طاولة المشروبات، ويقرأ جريدة ثم قال: "كنت طفلًا بالتبني لزوجين مسنين. كنا دائمًا ثلاثة أفراد، ثم رحل كبار السن وحل محلهم آخرون جُدُد.. دفع لهم مركز الخدمات الاجتماعية مبلغًا من المال عن كل واحد منا وهو ما ساعدهم على تغطية نفقاتهم

الخاصة. كان لدينا ما يمكن أن تسميه منزلًا".

ابتسم وأومأ برأسه نحو التليفون على الطاولة، فقالت: "لن أزعج نفسي بالرد على المكالمة. إنه يسترسل في الحديث.. سأتحدث معه غدًا". جلسا في صمت لبرهة، ثم نظرت إليه بعينيها الواسعتين وسألته. "ماذا عن..؟". "الأم والأب؟ عندما وضعاني في دار للتبني كنت أصغر من أن أتذكرهما. لم أعرف أسمهما إلا عندما التحقت بمدرسة الشرطة. مات كلاهما بحلول ذلك الوقت ثم..". ظلت ترمقه بلا حراك من وراء كأسها. قال: "هل خطر ببالك أنني ربما أخبرتك بكل هذا لأنني أريد أن أثير شفقتك". "ماذا حدث لهما؟". "لا شيء.. لا أدري. لم أتعرف عليهما أبدًا".

وضعت مرفقيها على الطاولة وأسندت رأسها على كفيها وأخفضت وجهها إلى مستوى ذقنها وراء كأسها. تابع قائلًا: "لم تكن هناك ضرورة لأتعرف عليهما. دعيني أقول لكِ.. إنني لم أعانِ من أي نوع من الصدمات بالمرة.. أعني حتى لو عانيت فقد ذهب كل شيء لحال سبيله. ليس لَدَيّ مشكلة في الحديث عن ذلك، بل ليس لَدَيّ ما يقال فحسب". "هل يعرف "تشفيلاك" ذلك؟". هز رأسه بالنفي. سألته: "و"برايك" و"أوسترتس"؟". "لم يسألني أحد من قبل. الرجال لا يتحدثون عن هذه الأشياء".

جاء النادل إلى الطاولة المجاورة لهما ورفع مفرشها. انتظرت أن يختفي في خندقه خلف طاولة المشروبات. قالت: "أولًا، أنا لا أشك لحظة واحدة يا "تاراس" في أنك

تريد إغوائي لأمارس الجنس معك، مثلك مثل "برايك" أو "أوسترتس" بالضبط". "اللعنة على المقارنة". إنها مؤلمة حقًا. قال: "قد لا يحاول "أوسترتس" إغواءكِ بطريقتنا، بل سيحضر لك أنبوب عادم السيارات، هذه طريقته". ضحك الاثنان. قالت: "على أية حال فقد نلت شهادة التخرج أيضًا في علم غير مجدٍ يسمى علم النفس، وأدرك أن الفكاهة تعمل كنوع من التلبية والإشباع غير المباشرين للرغبات المحظورة حسبما قال "فرويد" بالطبع. بناءً على هذا الإدراك، توصل صعاليك علم النفس إلى استنتاج مفاده أن أولئك الذين يحبون النكات العدوانية هم في الغالب أشخاص لديهم ميول عدوانية مكبوتة، وأولئك الذين يجدون النكات الجنسية مضحكة هم أشخاص لديهم..". توقفت ورمقته بتلك العيون الواسعة بنظرة ذات معنى. قال: "هذا محتمل جدًا، لكن من منا شاهد الأفلام الإباحية؟ أنا أم جدتي؟".

استغرق "تاراس" وقتًا طويلًا كي ينهي قهوته الثانية ويأكل شطيرته. لماذا لم يعاقبه الله أو أيًا من كان المسؤول عن هذه الأشياء بحساسية مفرطة تجاه الكافيين؟ سألته: "هل كان الأمر قاسيًا عليك؟".

أحد أفضل مميزات تناول الكحوليات، في حالة الثمالة المعتدلة، أنها تنتقل بالمرء من الحالة الرقمية إلى التناظرية، ومن العقلانية إلى الحدسية. كيف يمكن لشخص غير ثَمِل أن يحدد اللحظة المناسبة كي يربت على يد الفتاة؟

أجاب سؤالها قائلًا: "لا أدري. في ذاك الوقت لم أشعر

بقسوته، ولكن ربما في وقت لاحق، إذا عدنا إلى الوراء.. في ليوبليانا، في حي "تاتسين"، في أكاديمية الشرطة، فقد واجهت متاعب ومشكلات مختلفة.. ربما كانت هذه الظروف أحد أسبابها".

كان قد تلقى إنذارًا كتابيًا يسبق الطرد لأنه ضُبِط في حالة شكر، وظل حاله على هذا المنوال. قال: "ظننت أنه أمر طبيعي، ولكن فيما بعد، أيقنت أنه ليس كل شخص لديه تلك الحاجة إلى..". "الحب". ابتسم. "لفت الأنظار إليه". "ألهذا السبب بدأت في ممارسة التسلق، تسلق الجبال؟". "لا أعلم.. ربما. أنتِ تعرفين كيف تسير الأمور، ليس لسبب واحد فقط".

كم انشغل بهذا الأمر كثيرًا من قبل. لا بد أن هناك سببًا ما دفعه نحو تلك الوجوه الصخرية المنحوتة على جوانب الجبال. كرر قائلًا: "ليس لسبب واحد فحسب، بصفتك أخصائية نفسية، فأنتِ تعلمين على أية حال أن هناك دائمًا دافعًا شهوانيًا يكمن في الخلفية، أليس كذلك؟". "نعم، عادةً". "هل تعرفين بماذا يذكرني الوجه الصخري؟ بماذا يذكرني في العادة.. أي وجه صخري؟". هزت رأسها بالنفي. قال: "لعل كلمة "يذكرني" ليست الكلمة المعبرة. أقصد ما يتبادر إلى ذهني كلما وجدت نفسي أقف أمام وجه صخري. وأنا لا أخبرك بهذا كي "أغويكِ"، كما تسمينها".

احمر وجهها خجلًا؛ على الأقل الجزء الظاهر من وراء كأسها.. تابع قائلًا: "برغم أنني لا أعرف.. قد يكون إغواؤك هو رد فعل طبيعي تجاه ما لديك من..". احمر وجهها خجلًا

أكثر، ثم قالت: "من ماذا يا "تاراس"؟". "يتبادر إلى ذهني الكلمة الألمانية (Ausrüstung)ولا أدري لماذا؟". "تقصد "معدات"؟". "ليتكِ لم تتعلمي اللغة الألمانية". ضحك ثم قال: "بل صورة، دعينا نقول صورة ذهنية". رفعت كأسها وأخذت رَشفة ثم قالت: "أي صورة؟". أعادت كأسها إلى الطاولة ونظرت إليه بترقب. سألها: "ألا يهمك أن تعرفي ماذا يتبادر إلى ذهني كلما وقع بصري على وجه صخري منحوت على جوانب الجبال؟". "ربما". "حسنًا، كلما وقفت أمام وجه صخري، وأخذت أتطلع إليه من سفح الجبل أو من الجانب الآخر من الوادي.. أشعر بالرهبة نفسها التي أشعر بها كلما نظرت إلى جسد امرأة عارٍ. لا تضحكي". ضحكت بالفعل، رغم أنه لم يقلها هذه المرة كي يضحكها. قال: "لا أعرف لماذا، لا أعرف كيف أشرح ذلك، بل أعرف أن ما يتبادر إلى ذهني فكرة سخيفة، ولكن هذا ما أجد نفسي أفكر فيه". "وبجسد أي امرأة يذكّرك الوجه الصخري شمال جبل "تريجلاف"؟".

ضحكت وابتسم "تاراس" بدوره، ثم قال: "لا أحد محدد. لا شيء محدد في هذا الأمر. كل ما أقوله هو أنني.. أمام أي وجه صخري.. وأمام جسد المرأة العاري.. أشعر بالرهبة من.. من الصعب شرح ذلك". "ماذا عن.. جسدي؟ أي وجه صخري يذكّرك به؟". "سأحتاج إلى رؤيته أولًا".

اكتست ملامح وجهها بالجدية وتناولت الكأس مرة أخرى، وأخفت وجهها خلفها. لعلها ثملت الآن بعض الشيء. سألته: "ألا تفتقد تسلق الجبال؟". "هذا ليس الشيء الوحيد الذي

أفتقده. بعد سن الأربعين، أفتقد العديد من الأشياء، بدءًا بأسطوانات "الفونوجراف" وانتهاءً بأشياء أخرى كثيرة من هذا القبيل، لا أرى أي سبب يجعلني أظن أن التسلق سيحدث أي فارق معي".

كم يفتقد الأوقات التي اعتقد فيها أنه سيعيش إلى الأبد، هو وكل من حوله، وقتما كان بوسعه أن يشرب الكحوليات دون أن يشعر بالذنب، وقتما كانت المرأة التي تجلس على الجانب الآخر من الطاولة تمنحه الفرح والرجاء.. ليس كما هو الحال الآن.. حيث يجد ألف عائق وعائق يحول بينه وبين من تجلس على الجانب الآخر من الطاولة، عوائق ربما كانت دائمًا موجودة، ولكنها تتداعى الآن ومعها تحضره آلاف التحفظات أيضًا. "ولكن لا بأس، كل شيء عظيم".

ابتسم ابتسامة عريضة. ربما كان صحيحًا أنه يملك كل شيء، على عكس زملائه الذين لم يعودوا، على عكس أقرانه الأقرب إلى الموتى منهم إلى الأحياء، على عكس "برايك"، على عكس الفتاة والرجل بالبحيرة. على عكس قطاع عريض من الناس.. ولن يبدل مكانه مع أي أحد. قال: "الآن جاء دورك لتخبريني بشيء عن نفسك". أعادت الكأس إلى الطاولة.. فارغة، ثم قالت: "أخشى أنني لم أعد أشعر برغبة في التحدث".

نهضت. فوجئ "تاراس"، فنهض أيضًا. ماذا جرى؟ ذهب إلى النادل الذي كان ينتظر بفارغ الصبر أن يغادرا. بعد أن دفع الفاتورة، صعد السلم خلفها إلى الشقة التي أعطوها

لثلاثتهم لهذه الليلة. صعدت "تينا" أمامه، وقد اعتراها شيء من الغضب، حتى إنها انزلقت انزلاقًا خفيفًا على السُلَّم الضيق فأمسكت بيد "تاراس" ثم أخذت تقهقه وهي تترنح من الثمالة. ثم سارا على أطراف الأصابع إلى الشقة، وفتحا الباب فوجدا "تشفيلاك" نائمًا في الغرفة الأولى في سرير مزدوج. لم يتمكنا من رؤيته في الظلام لكنهما سمعا شَخِيره. لف "تاراس" حدقتي عينيه في حركة دائرية استياءً. تجاوزت "تينا" السرير لتصل إلى الباب المؤدي للغرفة الثانية، وفتحت الباب وبعد برهة وجدت مصباحًا بجوار السرير فأشعلته. جلس "تاراس" في يأس على الأريكة وأخذ يراقب "تشفيلاك" وهو يغط في نوم عميق. لم يتوقع هذه النهاية لهذه الليلة. الحقيقة أنه لم يفكر كيف ستنتهي على الإطلاق أو لم يكن يدري، غير أنه لم يتوقع هذه النهاية بكل تأكيد.

ماذا يجب أن يفعل الآن؟ هل يوقظه؟ سمع خَشخَشة ملابسها ثم لاح له رأس "تينا" وسط الظلام عند الباب، ثم قالت: "طابت ليلتك، يا "تاراس".

تركت الباب مواربًا قليلًا ثم أطفأت المصباح. ظل "تاراس" جالسًا وسط الظلام. ستكون ليلته طويلة، مثل بعض لياليه في الجبال. خلع ملابسه، لم يترك سوى ملابسه الداخلية وقميصه فقط واستلقى على طرف السرير المزدوج بجوار "تشفيلاك". حاول تغطية رأسه لكن ذلك لم يحسن الوضع وسط صَفِير وطَقطَقَة شَخِير "تشفيلاك" المنتظمين يتبعهما بين الحين والآخر صوت ابتلاعه لجُرعَة هائلة لاهثة من

ريقه، كأن شيئًا ما تراكم وحُشر في حلقه واضطر إلى دفعه لأسفل وبعدها استعاد إيقاع الشَخِير التكراري مرة أخرى. يئس "تاراس" وسحب البطانية على رأسه. استدار على ظهره وحدق في السقف لفترة، ثم نهض من السرير وجلس القرفصاء وتحسس الأرضية المفروشة بالسجاد، فوجدها صلبة كالخرسانة، لكنها تظل أفضل من الاستلقاء مستيقظًا بجوار "تشفيلاك" طوال الليل. حمل وسادته وبطانيته ومشى على أطراف أصابعه إلى غرفة "تينا". فتح الباب بحذر.. لاح له وجهها من تحت البطانية في الضوء الخافت. قال: "آسف، هل من الممكن أن أنام على الأرض هنا؟ النوم مستحيل هناك. هل تسمعين؟".

لم تقل شيئًا، بل رفعت بطانيتها وكشفت عن جسدها. رآها عارية.

هناك شيء آخر.. رجفة ورهبة وترقب مَشُبوب في الوقت ذاته.. رهبة أمام وجه صخري تسبق الارتقاء، رهبة أمام امرأة عارية.. تهفو إليه.

الفصل الخامس والثلاثون



الجمعة، 12 يناير

وضع "تشفيلاك" في طبقه نَقَانِق، وبيضًا مخفوقًا وشريحتين من الخبز الأبيض، وبعدما تجول "تاراس" في "بوفيه" الإفطار المفتوح لفترة طويلة، وانتهى الأمر بأن اختار أنواع الطعام نفسها، الاختلاف الوحيد أنه لم يضع سوى صلصلة الخردل بجانب النقانق بينما وضع "تشفيلاك" كل من صلصتي الخردل والمايونيز. رفع "تشفيلاك" حاجبيه مندهشًا عندما وضع "تاراس" طبقه على المنضدة. خلت غرفة الطعام من أي أحد سواهم، فموعد فتحها للنزلاء لم يحن بعد، ولأنهما يعرفان مدير الفندق فقد تمتعا بهذه الميزة. قال "تشفيلاك": "ظننت أنك نباتي". "ما الذي جعلك تظن

ذلك؟". هرش "تشفيلاك" رأسه. "ألست كذلك؟". تنهد "تاراس" وغمس النَقَانِق في صلصلة الخردل. قال "تشفيلاك": "حسنًا، ظننت أنك قد تكون كذلك".

من الواضح أن "تشفيلاك" كان من النوع الذي يستمتع بطعامه. فقد التقط واحدة من النَقَانِق الصغيرة بثلاثة أصابع، ورفعها إلى أنفه ثم شمها كأنه يشم سيجارًا، ثم غمسها أولًا في صلصة الخردل ثم المايونيز، وقضم نصفها وأضاف للقَضمَة قطعة خبز أبيض. لا يستطيع "تاراس" استيعاب تلك المتعة التي يشعر بها كثير من الناس عند تناولهم الطعام. لا تتعلق هذه المسألة بعلم وظائف الأعضاء، فلا غبار على مستقبلات التذوق لديه، فهي تعمل بكفاءة، وهو يميز جيدًا بين ما يفضله أكثر أو أقل من المأكولات؛ ما لا يفهمه هو كيف يمكن لحاسة التذوق وحدها أن تجلب مثل هذه المتعة الهائلة لبعض الناس لدرجة تجعلهم يهدرون يومهم بكامله في مطعم حيث يقدم لهم النُدُل ذوي النظرات الساهمة أطباقًا كبيرة الحجم بها لفائف "كانيلوني" صغيرة محشوة بكبد الإوز ومزينة بحبر الحبّار الأسود. أي متعة يجدونها في هذا؟ بينما يعتقد هو أن لا شيء يضاهي متعة تناول نَقَانِق من أي نوع بعد قطع مسافة مائة كيلومتر بالدراجة. قال "تشيفلاك": "كيف نمت؟". "على الأرض في الغرفة المجاورة". "على الأرض؟".

قضم النَقَانِق مرة أخرى وحاول "تاراس" أن يستنتج من نبرة صوته إذا كانت أسئلته مجرد دَردشة لا أكثر. قال

"تشفيلاك": "ذهبت إلى المرحاض في منتصف الليل ولم أجدك بجواري، فتساءلت أين كنت؟". لا يمكن أن يكون متأكدًا مما يقول. قال "تاراس" وهو يفرْك مؤخرة رقبته: "لقد كنت تشخر شَخِيرًا أقرب إلى أزيز منشار".

ضبط "تاراس" منبه تليفونه على الساعة السادسة صباحًا كي يضمن ألا يستيقظ "تشفيلاك" قبله، ويدخل الحمام قبل أن يفتح العجوز عينيه. أطفأ المنبه ونهض من تحت البطانية حيث كانت "تينا" ما زالت مستلقية بجواره، عارية، مثله تمامًا. حدق في مؤخرتها لبرهة وهو يفكر كم سيكون رائعًا أن يزحف إلى الفراش ويعود للنوم مرة أخرى ويستيقظان معًا، أو أن يزحف إليه ولا يعودا للنوم مطلقًا.

بدلًا من العودة إلى الفراش بعدما انتصب قضيبه حتى بلغ سرته تقريبًا مثل المراهق، حاول العثور على سرواله الداخلي وقميصه على الأريكة وبجوار السرير، حتى يتستر على مأزقه الحالي في حال استدار "تشفيلاك" في سريره وهو يمر بجواره في طريقه إلى الحمام. وقف عند الباب وأنصت. في البداية لم يستطع سماع أي شيء واعتراه القلق خشية أن يكون قد فات الأوان، ثم تنامى إلى مسامعه صوت شَخِير خفيف، لم يكن صاخبًا مثلما كان ليلة أمس.

فتح الباب بحذر وهدوء واختلس النظر في ظلام الغرفة. لم يتبين إذا كان "تشفيلاك" مستلقيًا ووجهه في اتجاهه أم في الاتجاه الآخر، وبالتالي لم يتبين إذا كانت عيناه مفتوحتين أم لا. بعد ذلك، تجاوز السرير إلى الحمام. إذا فتح

"تشفيلاك" عينيه الآن أو إذا كانتا مفتوحتين بالفعل، فلن يراه بوضوح وسط هذا الظلام، غير أنه لم يفتحهما، ولم يتحرك. جلس "تاراس" على مقعد المرحاض وتنفس الصعداء.

علق "برايك" ذات مرة بعدما حضر إحدى الدورات التدريبية قائلًا: "كم أغاظونا بمعاملتهم لنا كأننا تلاميذ!".

أشعل "تاراس" المصباح الذي فوق مرآة الحمام وأخذ يحملق في وجهه. سوف يمنح "تشفيلاك" العجوز المسكين عشر دقائق أخرى قبل أن يوقظه كي يستحم. قال لنفسه: "بل العجوز الأحمق هو أنت يا "تاراس"..

ارتسمت على وجهه ابتسامة بلهاء لرجل أسعده الحظ ليلة أمس، والآن لا شيء يبدو له مستحيلًا. إنه يعلم أن هذا لن يدوم، لذا توقف عن تفقد شفتيه وبدأ في التمعن في أجزاء أخرى من وجهه. كم حدق في الوجوه عبر طاولة الاستجواب آلاف المرات وهو يحاول التكهن بما يفكرون فيه، بالشخصية التي يخفونها، وهل يكذبون أم لا.. وهو الأهم. كيف يمكنه وصف وجهه؟ ما شكل وجهه؟

كان يعرف أنه ليس وسيمًا وتوقف عن الانشغال بهذا الأمر على مر السنين، قدر الإمكان. ولم يكن الأمر يزعجه حتى التقط له شخص صورة ركز فيها على الجزء الذي تحت أنفه. لقد ظهر في عدد قليل جدًا من صور العطلات وأحيانًا كانت "ألينكا" تجبره على التقدم أمام الكاميرا. إن أنفه كُسر مرتين لكنه لم يستطع استخدام ذلك كمبرر لعدم وسامته لأن الكسر

يُلحظ بالكاد، فهو منبعج إلى حد ما، لكنه ولد به بهذا الشكل. مازحته "ألينكا" ذات مرة قائلة إن وجهه أجمل وجه ابتداءً من طرف أنفه إلى الأسفل، بما في ذلك الندبة التي تمتد في خط قطري عبر الشفة العُليا وحتى أسفل أنفه. إنها تذكار تركته قطعة جليد من شلال متجمد ضربها بنفسه بفأس جليد، فأصابته فوق أسنانه الأمامية لحسن الحظ. لقد فهم مغزى ما تحاول أن تقوله "ألينكا". لم يكن أنفه أجمل أنف، والمسافة بين عينيه أقرب مما ينبغي، ولونهما مجرد ظلال يتماهى فيها اللونين البني والأخضر، وجبهته على ارتفاع مناسب تمامًا وشعره البني أيضًا يتناسب مع عمره، وتلتقي أذناه بجانبي رأسه بشكل أنيق، لذلك لا شيء يدعوه للشكوى.

هل كان شكل وجهه مميزًا للاهتمام؟ مثل وجه متسابق الفورمولا "نيكي لاودا"، الذي قال في أحد اللقاءات إن الحروق أضفت على وجهه مَسْحَة خاصة مميزة؛ هذا إذا كان "تاراس" قد فهم ما قاله بشكل صحيح، إذ إن المقابلة أجريت باللغة الألمانية. هل من الممكن فصل الوجه عن الشخصية؟ فصل القِدْر عن محتواه؟ من الواضح أن وجهه مثير للاهتمام بما يكفي لامرأة فاتنة تصغره بعشرين عامًا تقريبًا، كي ترفع غطاء السرير وتكشف عن جسدها العاري.

شدّ زوايا فمه المتدلية مرة أخرى وهو يقول لنفسه: "لا بأس، نلثها يا طرزان".

سمع صوت حركة في غرفة النوم فخلع ملابسه الداخلية بسرعة ودخل تحت الدُّش. تَشَمّمَ أصابع يده اليمنى قبل

أن يغسلها بالصابون ثم تنهد. سمع طرقًا على باب الحمام. سأل"تاراس": "من؟". "أريد أن أتبول". "دقيقة واحدة".

شطّفَ شعره من الشامبو، وخرج من تحت الدُّش ثم جفف نفسه، وارتدى سرواله الداخلي وترك الحمام لـ"تشفيلاك" المزعج الذي قال: "الشيخوخة، كما تعلم، إنها البروستاتا".

وبينما كان يستمع إلى صوت شَلْشَلَة بول "تشفيلاك" المتتابعة في الحمام، اختلس النظر إلى غرفة "تينا"، فشعر برغبة عارمة لا يمكنه كبتها كي يراها عارية ثانية. عندما تستيقظ من نومها ستشعر بالخجل مما جرى ليلة أمس مثلما سيشعر هو في غضون ساعة أو ساعتين. سوف يحدقان في بعضهما بعضًا، وفي غضون يومين سيتبادلان أطراف الحديث ويتفقان على أن ما حدث لن يتكرر أبدًا مرة أخرى. لم يسعده الحظ كالأمس، فقد وجدها قد غطت نفسها بالبطانية حتى أذنيها ووجهها في الاتجاه الآخر، ما زالت تغط في نوم عميق، على ما يبدو.

***

نظر "تشفيلاك" إلى طبقه وهو مُتَجَهِّم الوجه ثم إلى البوفيه كأنه عاجز عن أن يقرر هل يحضر لنفسه المزيد من الطعام أم لا.. ثم سأله: "هل ما زالت "تينا" نائمة؟". هز "تاراس" كتفيه. سأل "تشفيلاك": "هل سَهِرَتما لوقت متأخر ليلة أمس؟". "الحقيقة.. لا، حوالي ساعة فقط".

لمحها عند مدخل قاعة الطعام وهي تتفقد المكان وعندما

رأتهما ابتسمت ولوحت إليهما، ثم توجهت إلى بوفيه الطعام. قال "تاراس" وهو يشير إلى "تشفيلاك": "ها هي". أقبلت عليهما وهي تحمل صينية بها وعاء من شوفان "الموسلي" المطحون مع الحليب وكوب من عصير البرتقال. سألها "تشفيلاك": "نباتية؟". "لا، لماذا تسأل؟". سأل "تشفيلاك": "هل نمتِ جيدًا؟". قالت: "مثل طفل في مهده، وأنت؟". "مثلكِ، لكن بصوت أعلى بعض الشيء، لعلكِ سمعتِ؟".

تناولت "تينا" ملعقة الشوفان التي تابعها "تشفيلاك" وهي تضعها في فمها، فسألته: "لماذا تظن أنني نباتية؟". قال "تاراس": "سألني السؤال نفسه". قال "تشفيلاك": "ظننت أنكما من النوع الذي قد يكون نباتيًا، هذا كل شيء. كان بإمكاني البدء بالحديث عن طقس اليوم، لكنني رأيت أن ذلك أكثر طرافة".

ضحكوا وبينما كان "تشفيلاك" يمسح آخر ما تبقى من دهون في طبقه ببعض الخبز، نظر "تاراس" في عيني "تينا" التي لم تُشِح ببصرها بعيدًا عنه.. فارتجف، رجفة مراهق.

***

عندما وصلوا، وجدوا الغواصين، "جوليا" والرجل الآخر الذي شبه عليه "تاراس"، على متن القارب بالفعل، يفحصان معداتهما. كان "جولوب" هناك أيضًا مع فريقه وكذلك "دوليس". أخذ ظلام الصباح يتحول رويدًا رويدًا، وبشكل يُلحظ بالكاد، من ليل صافٍ بلا غيوم إلى نهار رمادي ملبد

بالغيوم. لا يوجد لون واحد حولهم يخلو من مسحة من ذاك اللون الرمادي باستثناء اللون الأصفر الناصع للزورق المطاطي ولخزانات الغوص أيضًا. ساد الصمت حولهم وعلى مَبعَدَةٍ منهم. غابت الطيور، يعتقد "تاراس" أنها تغيب في الشتاء، وما إن أوشك أن ينوه عن ذلك، حتى تنامى إلى مسامعه من بعيد صدى نعيق أجش غريب لغراب وَحدانِي. لقد نسي التحقق من توقعات الطقس لهذا اليوم وكل ما يرجوه ألا تهطل أمطار غزيرة فحسب.. فهذا كل ما يحتاجونه. رغم أن عمق البحيرة يبلغ أربعين مترًا، فإن ذلك لم يحدث فارقًا كبيرًا على الأرجح.

اقترب "دوليس" من "تاراس" وظل يروح ويجيء متململًا وسأله وهو يشير إلى البحيرة: "ما رأيك في كل هذا؟". هز "تاراس" كتفيه وهو يقول: "لا أدري بالمرة". قال "دوليس": "عندما اعتقلنا.. أقصد، تعاملنا مع "فيربيتش"، اعتقدت أننا سنصل إلى شيء ما، ولكنني الآن لا أعرف أين نحن". ثم ابتسم وقد بدا عليه الإحراج، وتابع قائلًا: "لا يمكن أن تتصور عدد الأشخاص الذين يتربصون لي. في بعض الأحيان أعتقد أن الأمر يلتبس عليهم بعض الشيء وهم يلقون باللوم عليّ كلما ظهرت جثة جديدة". سأل "تاراس": "هل يلاحقونك؟ أهناك من يريد تولي مكانك؟".

أومأ "دوليس". لم يكن غبيًا، بل شابًا بلا خبرة، وشعوره بالندم على أنه لم يدرس قانون الممتلكات والعقارات بدلًا من تخصصه هذا ما هو إلا مسألة وقت.

التفت "تاراس" إلى "تشفيلاك" و"تينا" وقال: "في الواقع، يمكنكما الانتظار في الفندق".

هزت "تينا" رأسها بالنفي بينما نظر "تشفيلاك" إلى القارب أولًا ثم إلى "تاراس" وقال: "اسمع، سأقبل هذا العرض الذي يشمل الجميع. فالمرء يصاب بالروماتيزم مرة واحدة في حياته، ولكن المشكلة الوحيدة أنه لا يمكن الشفاء منه أبدًا". قال "جولوب": "في الواقع يمكننا جميعًا الانتظار في الفندق. وجودنا في البحيرة لن يفيدهم في شيء بالمرة". قال "تاراس": "لا".

لم يكن يعرف سبب رفضه حقًا، لكنه أراد أن يكون موجودًا عندما ينتشلون الجثة من الماء. هذا إذا وجدوها بالفعل.

عندما ابتعد القارب عن الشاطئ، شعر "تاراس" بالسعادة لأن "تشفيلاك" والآخرين قرروا ألا يرافقوهم، بدا الزورق واسعًا، ولكن مع وجود اثنين من الغواصين، ومع كل المعدات التي وضعوها فيه، لم يتبقَ على المقعد الخشبي الجامد الضيق أي مساحة له ولا لـ"تينا". وبدأ البرد الذي كان بوسعهما تحمله على الشاطئ يقرصهما حتى النخاع بسبب الهواء الراكد المتصاعد من الماء. لفّت "تينا" نفسها بسترتها الشتوية واعتقد "تاراس" أن أي رجل يحتاج في يوم كهذا إلى ارتداء شيء ثقيل تحت بنطاله كي لا يرتجف من البرد القارس، ويحفظ ماء وجهه على الأقل.

وصلوا إلى العوامات. أوقف "جوليا" المحرك وربط القارب

بأحدهم. استدار نحو "تاراس" وأشار بيده نحو الغرب لكن على امتداد سطح البحيرة، نحو "ستارا فوجينا"، ثم قال: "بالنظر إلى أننا لم نعثر عليه بالأمس في أرباع الدوائر التي حددناها، سنذهب اليوم إلى حيث لم نكن نريد أن نذهب، ولكن من الواضح أننا مضطرون لذلك.. إلى وسط خليج "فوجينار"، هل تعرف ماذا يعني ذلك "تاراس"؟". هز "تاراس" رأسه بالنفي ثم قال: "لا أدري بالمرة، ولا أريد. بدا لي الغوص دائمًا رياضة لا تناسب سوى المثليين جنسيًا فقط". عبر عن استيائه بسُخرة وقال: "للمثليين جنسيًا؟! بصفتك متسلق جبال.. ببنطالك "اليدرهوسن" الجلدي الضيق القصير وبزهرة "إديلويس" الجبلية الألبية على صدرك.. فإنني أفترض أنك الأحق بهذا الوصف الحقير، فما رأيك؟

"إذا كنت تتحدث عن متسلقي الجبال.. فقد استبدلنا -نحن المتسلقين- سترة "جور تيكس" المقاومة للمطر ببنطال "يدرهوسن" الجلدي الضيق وذلك منذ زمن طويل". كرر "جوليا" وهو يستعد للغطس قائلًا: "مثلي الجنس! إن درجة الحرارة في قاع هذه البحيرة الملعونة لا تتجاوز الأربع درجات. هل تمتلك الشرطة مالًا لتتحمل تكاليف الغطس تحت الماء". سأل" تاراس": "وهل شكّل المال أية مشكلة في أي وقت مضى؟". انفجر الرجلان ضاحكين.

بعد دقيقة قفز الغواصان في الماء، وبمجرد أن قفزا حتى طرطشت موجة من الماء البارد على "تاراس". نظر إلى القطرات التي عَلِقت بسترة "الجور تيكس" المقاومة للمطر

التي يبلغ عمرها عشرين عامًا. لعلها قاومت الماء وهي جديدة، ولكن يبدو أن ذلك لم يعد حالها الآن، وربما آن الأوان بالفعل كي يشتري لنفسه واحدة جديدة. أخذ يتتبع الرجلين اللذين غطسا في الماء واختفيا ببطء في الأعماق، وكذلك الفقاعات التي ظلت تتصاعد إلى سطح الماء لفترة طويلة. عندما تباعدت الفقاعات عن القارب، نظر إلى "تينا" فوجدها تحملق أيضًا حيثما قفزا وبدا كأنها تحملق منذ البداية. ابتسمت له فرد الابتسامة. جلسا في صمت لبرهة. نظر "تاراس" إلى الشاطئ كأنه يبحث عن شيء ما. سألت بعد برهة عندما لم يبادر بالكلام: "هل تشعر بالذنب؟". "ليس بعد. وأنتِ؟". قالت وهي ترمقه بغضب لم يكن يتوقعه: "لا. لا أعتقد أنني سأشعر بأي ذنب على الإطلاق في الحقيقة". رمقها بنظرة استجوابية. تلفتت حولها وقالت: "بما أننا وحدنا.. فإن تصريحي التالي ليس للنشر.. لا، لم أكن ثملة عندما..".

التقط "تاراس" حجرًا صغيرًا من نَغل حذائه وألقى به في الماء. ارتطم بالماء.. طَقْ.. شاهد الدوامات الدائرية الصغيرة تمضي نحو مركزها الأحادي ثم تتماوج على سطح البحيرة قبل أن تبلغ القارب ثم استدار نحو "تينا"..

قال "تاراس": "ربما كنتِ ثملة قليلًا؟". "بقدر لا بأس به فحسب". "مهما كان.. فقد ساعد". قالت: "ما حدث كان ممتعًا، إذا كان هذا ما تفكر فيه..".

أومأ. مرر يده على السطح الجليدي ونظر نحو الشاطئ.

يا له من فارق بين منظر هذه البحيرة في الشتاء ومنظرها في الصيف! رُبط القارب بالعوامة التي بالطرف الغربي للبحيرة، الطرف الذي يقبل عليه السياح أكثر من غيره، على بعد حوالي مائة وخمسين مترًا من الشاطئ الذي يكتظ برواده في أشهر الصيف حيث يبدو سطح البحيرة مَنضُودًا بالزوارق والقوارب وألواح التزلج.. ويقع هذا الطرف على المسافة نفسها من الفندق ومن "ستارا فوجينا". عندما كانت الفتاتان صغيرتين، كثيرًا ما أتى بهما إلى هنا في الصيف مثلهما مثل العديد من الفتيات الأخريات كبديل لقضاء عطلة على شاطئ البحر. في ذاك الوقت لم يكن يعلم بالطبع أنه عندما يسبح مبتعدًا قليلًا عن الشاطئ، يصبح القاع غويطًا لهذا الحد. تنهد. لا.. ليس صحيحًا إنه لم يشعر بأي تأنيب ضمير كما قال لها.

ما حدث ليلة أمس ليس ممتعًا فحسب، بل في غاية المتعة، كان خطأ، وبالتالي مميزًا وطريفًا وسيجده رائعًا حتى لو كان أسوأ، فما بالك أنه لم يكن. فقد خلع "تاراس" ملابسه، وأسقط سرواله الداخلي وقميصه على الأرض ثم أعتلى جسدها النحيل الذي يرتجف على السرير بالدرجة نفسها التي يرتجف بها جسده. إنه لا يرتجف من البرد إنما لأنه يهفو إلى ما هو مقبل عليه. داعب حلمتيها اللتين برزتا من الإثارة ثم قبلهما، ومنع نفسه من التهامهما بشراهة قبل الأوان رغم أنه وجد صعوبة في المقاومة، بعد فترة وجيزة، حاول ضبط الإيقاع مع إيقاعها.. مع إيقاعه.. مع إيقاع صرير السرير الذي يئن من

تحتهما، لا تستيقظ يا "تشفيلاك"، فتسمع تنهداتها المكتومة، قال: "استمتعت جدًا". أومأت.

عندما انتهيا، استلقيا على ظهريهما لبرهة، وأخذا يحدقان في السقف. ثم مدت "تينا" يدها اليسرى إلى منضدة بجوار السرير حيث تركت ملابسها، وسحبت مناديل ورقية في جيبها، وجذبت واحدًا منها ثم أخذت تجفف به بركة السائل المنوي الذي تركها فوق بطنها. قال "تاراس": "يا له من توازن رائع! لم تُهدر قطرة واحدة منه".

كتما ضحكاتهما. استلقيا هكذا لبرهة حتى التفتت إليه، وضحكت له بدلال، وحركت يدها على فخذها ثم وضعت إصبعها الأوسط على شفتي "تاراس".

***

سألته "تينا" بعد فترة.: "أيمكنني أن أجلس إلى جوارك؟". "نعم". تحركت عبر القارب ووقفت بجواره وضمّت جسدها إلى جسده التماسًا للدفء..

قالت كأنها تلتمس لنفسها العذر: "إنني أتجمد".

وضع "تاراس" يده اليمنى على كتفها وفَرَكَ كتفها الأيسر وظهرها. شعر أن هناك من يراقبهما من الشاطئ. سيحتاجان إلى منظار إذا أردا أن يشاهدا أي شيء كان من هنا ولكنه.. ولسبب غريب.. لم يهتم. ابتسم عندما فكر في المشهد الذي يتفرّج عليه هذا المتلصص.. رجل وامرأة في حالة غرام على متن قارب وسط بحيرة "بوهيني" في منتصف يناير الخاوي،

والأهم من ذلك، أن الحبيبين ينتظران جثة جديدة لعل البحيرة لفظتها على الشاطئ بالفعل، ولكنه.. لم يهتم. ليت الصياد المذعور لم يسقط قَصَبة صنارته في الماء.. ثم صحح فكرته، لا.. لم تكن الجثة حديثة العهد.

قالت بصوت خفيض جدًا لدرجة أن "تاراس" بالكاد سمعها: "سيتعين على أحدنا التحدث أولًا". "عمّاذا؟". "هذه هي المرة الأولى والأخيرة. نحن لسنا عازبين، وبما أن لديك عائلة، وبما أننا زميلان فهذا لن يجدي نفعًا.. الأمر لا يتجاوز الجنس فقط".

لم يقل "تاراس" أي شيء.. ولكن هذا لا يعني أنه لم يوافق على ما قالته. ظل صامتًا لأن الأمر لا يستدعي أي كلام. قال: "دائمًا الأمر لا يتجاوز الجنس فقط".

نظرت إليه من تحت ذراعه بارتياب. كان بوسعه أن يقول إن الأمر لا علاقة له بالجنس مطلقًا ولعله محق تمامًا في ذلك. أي شيء سيقوله سيحتمل الصواب والخطأ في الوقت ذاته.

قال: "لن يتكرر بعد اليوم، أليس كذلك؟".

ابتسمت وتلمست الدفء في تَضَام جسديهما. لا يوجد أحد على الشاطئ في هذا الوقت، إلا أنه لم يتخلص من الشعور بأن هناك من يراقبهما، وبأنهما جالسان في القارب كأنما يجلسان في دائرة ضوء على خشبة مسرح أمام جمهور غير مرئي.

بعدما انتظرا حوالي نصف ساعة، اقترح "تاراس" على "تينا" أن ينزلها على الشاطئ ويمكنها أن تمشي إلى الفندق الذي يبعد عشر دقائق فقط سيرًا على الأقدام إذا كانت تشعر بالبرد، إلا أنها رفضت. من المفترض أن يصل إلى الشاطئ ويعود في غضون خمس عشرة دقيقة ويمكن للغواصين انتظاره إذا حدث وخرجا للسطح في تلك الأثناء. لماذا خرج إلى البحيرة من الأصل؟ ما الذي يريد إثباته ولمن؟ هل أراد أن يخلو إلى نفسه فقط؟

ظهرت تموجات صغيرة متتابعة بجوار القارب ثم فقاعة هواء كبيرة، اخترقت صفحة الماء. دفعها جانبًا قليلًا وانحنى عبر الظلمة تحت القارب. ظل كل شيء هادئًا للحظة، حتى خرجت فقاعة ثانية.. وبعدها مباشرة ثالثة.. فرابعة. قال "تاراس": "ها هما يخرجان، إنني سعيد لأن هذا أوشك أن ينتهي".

انحنيا عبر الجانب المطاطي من القارب وشاهدا التدفق المتزايد لفقاعات الهواء. قال "تاراس" وهو يشير إلى شخص يتحرك بسرعة نحو السطح: "ها هو واحد منهما". وأشار إلى جسم يتحرك بسرعة نحو السطح.

هل هذا تخفيف تدريجي لضغط الهواء؟ هذا ليس غواصًا.. ولا يمكن أن يكون. مرقت الفكرة عبر رأسه قبل أن تصل الرائحة النتنة التي انبعثت عبر دوامات الجيوب الهوائية إليهما، وقبل أن يندفع البالون الكمثرى الشكل من الماء ويطفو. عندما استقر البالون، رأى "تاراس" حبلًا أسفله متصلًا

بشيء أكبر يطفو على عمق متر واحد تحت السطح. مدّ يده إلى البالون، وأمسك بالحبل وسحبه ببطء نحو القارب. انضمت إليه "تينا" كي تساعده. سألها: "هل تعرفين ما الذي نسحبه؟".

رمقته بدهشة، دهشة دامت للحظة واحدة فقط، ثم ابتلعت ريقها وأومأت. سحب "تاراس" الحبل لأعلى وتأرجح الشيء الموجود تحته وبدأ يتحرك نحو السطح. فلتت صرخة من "تينا" لكنها لم تدع الحبل يفلت منها. لو كان في القارب بمفرده، لأفلته على الأرجح ولترك ذاك الشيء العالق بطرف الحبل يختفي من جديد تحت العوامة، إلا أنه أشاح ببصره الآن بشكل عابر ثم شدّ الحبل الذي يبعد عن معصمه نصف متر بالكاد، نصفه فوق السطح ونصفه الآخر تحته، إنها جثة رجل. كان الغواصان قد ربطوا صنارته في حجره وبدا المنظر بشعًا كأنه صياد شيطاني خلع عينه من محجرها بخطافه.

قال "تاراس": "صباح الخير يا أنت".

بعدما اصطدمت الجثة بالقارب.. ربما بسبب وجود "تينا" أو ربما لأنه احتاج لأن يقول أي شيء فحسب.. وجد نفسه يضيف قائلًا: "نحتاج أن نتحدث معًا حديثًا قصيرًا عن السبب الذي جعلك تترك سيارتك في منطقة انتظار حديقة "تريجلاف" الوطنية".

الفصل السادس والثلاثون



كان منظر "روبي لاب" المسكين أسوأ بمراحل كثيرة بعدما طَفَا على السطح وسط سحابة من الرائحة النتنة المنبعثة من الجثة المتحللة. كانت أحشاؤه المنتفخة قد تعفنت، ولعله كان سيطفو على السطح حتى بدون مساعدة الغواصين، لولا سترته الشتوية التي تشرّبَت الكثير من المياه فأصبحت بمنزلة ثقل جعل الجثة متوازنة فلم تطف. الجثة ما زالت قطعة واحدة.. وبغض النظر عن عينه التي فُقئت، بدا الجسد سليمًا وقد اخْضر لونه من الطحالب وبات لزجًا. حاول "تاراس" أن يرفعه من الماء بالحبل، لكنه فشل. استخدم عقدة الوتد لربط الحبل الذي بين البالون والجثة بخطاف قفل المِجذاف. مال القارب على أحد جانبيه وأشار "تاراس" إلى "تينا" كي تجلس على الجانب الآخر كي يتوازن.

قال لـ"تينا" التي هدأت بعدما أطلقت صيحة مبدئية وهي تحاول مساعدته في رفع الجسد: "سننتظر الاثنين الآخرين. ممنوع التقيؤ هذه المرة".

ابتسمت بامتعاض ووضعت مرفقيها فوق ركبتيها.

نظر إلى الرجل الميت الذي غاص في الماء مرة أخرى واختفى على بعد نصف متر واحد تحت السطح هذه المرة. تمكنا من سحبه وتركه منقوعًا تحت سطح الماء، فأقل ما فيها أن الرائحة النَتنة ستصبح محتملة بعض الشيء. أخرج تليفونه المحمول في الجيب الداخلي لمعطفه الواقي من المطر واتصل برقم: "إنه معنا الآن". انتظر برهة ثم قال: "ستراه. نحتاج فقط إلى انتظار خروج "جوليا" والرجل الآخر من الماء وبعدها سنعود". ثم اتصل برقم آخر.. كرر ما قاله مرة ثانية، ثم مرة ثالثة. قال وهو يضع التليفون في جيبه: "حسنًا، قريبًا سيتجمع القوم كلهم".

استغرق الأمر وقتًا طويلًا حتى بدأت فقاعات هوائية في التصاعد للسطح دليلًا على خروج الغواصين، وفي النهاية ظهرت أغطية الرأس السوداء المصنوعة من مطاط "النيوبرين". في هذه الأثناء انتظر "تاراس" و"تينا".. كل واحد منهما على جانب من جانبي القارب وقد التزما الصمت. ركعت "تينا" على ركبتيها كي تستريح وأخذ "تاراس" يراقبها. لقد بدت.. بدت.. كان يبحث عن الكلمة المناسبة، ولما وجدها ارتعب.. فاتنة.. حتى وهي في هذه الحالة، مثلما كانت فاتنة

وهو يعتلي جسدها، وفاتنة هي تتأوه وعيناها مغمضتين.. هل ضاجعها فعلًا؟ أما الآن، مع هذه الجثة التي تقبع تحت سطح الماء مباشرة على جانب القارب، بدا له أن ما حدث لم يحدث. بدت فاتنة مثلما كانت وهي تشرب القهوة، أو.. وهي تدندن على أنغام الأغنية في السيارة، أو.. هل حقيقي أنه، قبل بضع ساعات فقط، صال وجال في جسدها مثلما صالت وجالت في جسده؟ في هذا القارب، على هذه البحيرة، ومع تلك الجِيفَة العائمة بجوارهم التي تتصاعد منها الغازات بعدما أنْتَنَت، بدت ذكرى ليلة أمس وكأنها حلم بل ضرب من الخبل.

أمسك "جوليا" بجانب الزورق ونزع منظم الغوص ثم قال: "توصيل الطلبات للمنازل". أطل الغواص الثاني برأسه إلى جواره وقال: "يا إلهي! لقد ربطته بالقارب يا "تاراس". أحسنت، لا توجد أسماك قرش هنا". ابتسم "تاراس" وقال له: "هل قرأت رواية "العجوز والبحر" لـ"هيمنجواي"؟ هل تعتقد أن بطل الرواية كان مثلي الجنس؟". قال "جوليا": "لم أذكر الصيادين بتاتًا". قال الغواص الآخر: "إذا طاوعتكما أنفسكما، فربما يمكننا إدخال هذا الشيء في القارب. لأنني أشعر ببرد قارس مميت هنا".

بَسَط "تاراس" كيس الجثة الأسود في أرضية الزورق، وارتدى بعض قفازات "اللاتكس" الطبية، وبمساعدة الغواصَين، سحب الرجل الميت إلى القارب. حاول ألا يبلّ كل جسمه بالماء، لكنه لم يجد مفرًا، كما حاول أن يحمل الجِيفَة

اللزجة بحيث تبقى بعيدة عنه قدر الإمكان، إلا أن ذلك صَعَّبَ عليه الأمر أكثر حتى إنه كاد أن يسقط فوقها مرتين. حاولت "تينا" أن تتقدم وتساعده لكنه طلب منها البقاء حيث هي، فالقارب لا ينقصه بأية حال المزيد من الاهتزازات. كانت الرائحة النتنة لا تطاق. قال "جوليا": "تخيلوا لو أن هذا الرجل تَعَفَّن في الصيف".

عندما عادوا إلى الشاطئ بدوا مجموعة غريبة الشكل.. فتاة ترتدي سترة حمراء.. "تاراس" مبتل تمامًا.. اثنان من الغواصين يرتدون بدلًا سوداء.. كيس أسود في قاع القارب. التزمت "تينا" الصمت، وكذلك "تاراس". في الواقع، لم يتحدث أحد سوى "جوليا"، ويبدو أنه في حالة مزاجية طيبة، ويعرف "تاراس" السبب بالطبع. تعد هذه العملية بالنسبة لـ"جوليا" أشبه بالخروج لقطف الفُطر، وقد حصل على جائزة الفُطر.. والسبب أنهما وجدا الجثة التي ترقد في قاع القارب. لو لم يجدوها الآن، لاضطروا إلى قضاء يوم آخر في الغوص في المياه الباردة حتى درجة التجمد.

قال "جوليا": "في الأسفل، الظلمة تشبه الرس.. آسف، أقصد تشبه السرداب المظلم". صحح نفسه عندما نظر إلى "تينا" وتابع قائلًا: "هذه الأضواء لم تفدنا في شيء تحت سطح الماء. إنني سبحت على طول القاع، وتحسستها بيدي، برفق حتى لا أثير الغِرْيَن والطمي المتراكمان فوقها.. رأيت نوعًا من القاذورات الرِّخْوة، تشبه المِلاط الأملس الزلق فوق الحجارة.. ثم علقت يدي بما اعتقدت أنه سِلك.. فسحبته،

ولما رفعته عند عيني أدركت أنه خيط صنارة. اللعنة! لكنني لم أرغب في رفع مستوى توقعاتي، لأنني يا "تاراس"، اللعنة، يمكنني أن أعترف لك بهذا الآن، لم أتصور أبدًا أننا سنجده بهذه السرعة، ولا حتى في البرك الصغيرة. بالأسفل، على أية حال هناك بالأسفل الكثير من خيوط الصيد وأشياء من هذا القبيل. حسنًا، لقد سحبت الخيط ورأيت صنارة تعوم نحوي وعندها وجدت نفسي بالفعل وسط سحابة من الطمي الزَلِق فبدأت أشم رائحته. سحبت الخيط لأعلى لمسافة متر واحد تقريبًا، لففت بكرة الصيد الدوارة ببطء كأنني أصطاد، وقد قادني ذلك إلى هذا الرجل الراقد هنا. هل لدينا أي فكرة عن هويته؟".

أخبره "تاراس" عن السيارة المتوقفة منذ فترة بالقرب من الشاطئ بلا صاحب.

استمع "جوليا" ثم لمس كيس الجثة بقدمه وهو يقول: "لا أصدق، من كان يتصور أننا سنجده بهذه السرعة".

اقتربوا من الشاطئ لدرجة أن "تاراس" تمكن من التعرف على "تشفيلاك" وهو يقف وسط حشد من الناس في انتظارهم. لم يكن التعرف عليه صعبًا، فهو الوحيد الذي يرتدي معطفًا أبيض اللون فوق ملابسه. كما رأى شرطيين بالزي الرسمي يقبلان من عند سيارة شرطة باللونين الأزرق والأبيض تقف خلفهما سيارة بيضاء تحمل شعارًا لا يخص الشرطة.

لوح "تشفيلاك" لهم عندما اقتربوا من الشاطئ. في هذا السياق بدا تلويحه غريبًا، فقد بدا أنه يلوح لمجموعة من السياح العائدين من جولة ترفيهية في قارب بالبحيرة.. ومع ذلك لوح له "تاراس" الذي تبين أن الشعار الذي تحمله السيارة البيضاء لمحطة التليفزيون الحكومية.

عندما قفز "تاراس" من القارب سأله "تشفيلاك": "هل ذهبت للغوص أيضًا يا "تاراس"؟".

ساعده الغواصَان في رفع كيس الجثة من القارب إلى الشاطئ المغطى بالحصى الذي ضُرب حوله طوق الشرطة في دائرة يصل نصف قطرها حوالي خمسين مترًا، ومن خلفه وقف عدد قليل من المتفرجين الفضوليين. ولما تفقدهم "تاراس".. رأى زوجين شابين، وأسرة تصطحب طفلين لا يستوعبان ما يجري أمامهما، وقد سئما من الانتظار وأخذا يتململان، وأرادا الرحيل، ورجلًا مسنًا معه كلب ظل ينظر إلى سيده وهو يروح ويجيء للأمام والخلف وينبح ويتململ مثل الطفلين تمامًا. ركض الشرطيان اللذان يرتديان الزي الرسمي لمساعدتهما في رفع الجثة لكن "تاراس" أمرهما بالتراجع لأنه كان مبتلًا من ناحية، كما أنهما لا يرتديان قفازات طبية من ناحية أخرى، كما أن "تاراس" لا يريد أن يسمع من "جولوب" المتحذلق الذي لا مثيل له في العالم محاضرة عن التعامل الأمثل مع الأدلة الجنائية. ابتسم عندما تعرف على الضابطين الشابين اللذين انتشلا معه الجثة ليلة رأس السنة.

سأل الضابط الذي ساعد "تاراس" في انتشال جثة الفتاة

من الماء: "هل لهذا رأس؟". قال "تاراس": "سيخبرنا بذلك هذا السيد الذي يقف هناك".

أفسح الطريق لـ"تشفيلاك" الذي انحني بالفعل على كيس الجثة مرتديًا قفازات "اللاتكس" الطبية، وجر زِمام سَحّاب الكيس حتى النهاية. فكر "تاراس" في الابتعاد أكثر. في البحيرة كان هناك بعض النسائم، أما هنا على الشاطئ، ودون تدفق هواء يحمل الرائحة بعيدًا، نفذت الرائحة النَتِنة من اللحم المُتَعَفِّن إلى فتحتي أنفه واخترقتهما. إنه نَتِن جدًا حتى إنه طلب من "تينا" أن تحشوا فتحتي أنفه بقطعتين من منديل ورقي. كان سيفعل ذلك بنفسه لكنه ما زال يرتدي القفازات التي انتشل بها الجثة من الماء ولا يريدهما بالقرب من وجهه بأي شكل من الأشكال، ناهيك عن أنفه.

قضى "تشفيلاك" وقتًا طويلًا في فحص الوجه. تحسسه بإصبعه على طول محجر العين التي فُقئت لكن الخطاف عَلِق بداخلها. تحسس جميع أنحاء الجمجمة، من الأمام إلى الخلف، وأولى اهتمامًا خاصًا بمنطقتها الخلفية، ثم وقف بجوار الجثة ونظر إليها ثم فتح سحّاب المعطف الشتوي الذي كان يرتديه الرجل الميت وطلب من "تاراس" مساعدته في قلب الجسد على وجهه. قال "تشفيلاك": "حسنًا". ثم تراجع خطوة إلى الوراء، وخلع قفازاته وتابع قائلًا: "لقد رأيت ما كنت بحاجة إلى رؤيته يا عزيزي "جولوب"، الزبون ملكك الآن". التفت إلى "تاراس" ثم قال: "يصعب علي أن أحكم على حالته لأنه ظل منقوعًا في الماء لفترة طويلة، ولكن إذا

كان لا بد أن أتوقع، فسأقول إنه عندما نضعه تحت المجهر، سنجد ما يعرف بالانتفاخ أو التورم المفرط والحاد يحدث عندما تتمزق جدران الشرايين السَنخِيّة". سأله "تاراس": "هل غرق؟". "من الوهلة الأولى وبعد مرور كل هذا الوقت وحدوث التغييرات الناجمة عن التحلل.. نعم.. غرق".

استدار "تاراس" إلى الجسد الذي أعيد مرة أخرى إلى الكيس، ثم حدّق عبر البحيرة.. قال "تشفيلاك": "هل لاحظت الحجارة في جيوبه؟". "نعم، ونحن نجره من الماء ونسحبه إلى القارب". سأل "تشفيلاك": "هل خاب أملك؟". هز "تاراس" رأسه بالنفي ونظر إلى "تشفيلاك" وقال: "لا، لا. كنت أفكر فقط من أين قفز في وسط البحيرة وهو محمل ومثقل بكل تلك الحجارة".

انطلق في اتجاه الطوق الذي ضربته الشرطة وأدرك أنه على وشك أن يواجه صحفية ومُصوِّرًا يحاول التقاط صورًا لأي شيء مثير للاهتمام حتى من هذه المسافة البعيدة وقد قام الآن بتحويل اتجاه عدسته إليه. يعرف "تاراس" أنه لن يتمكن من تفادي لقاءهما، لذلك لم يحاول. رفع الطوق ووقف وراءه.

قالت فتاة في أواخر العشرينيات من عمرها وهي تمد له يدها لتصافحه: "مرحبًا". "ربما ليست فكرة جيدة أن تصافحيني.. انتظري حتى أغسلهما".

لم تفهم قصده إلا أنها قالت: "أوه، حسنًا.. أيًا كان. أنا من

تليفزيون "آر تي سلوفينيا".

عرفته بنفسها وطلبت أن تأخذ دقيقة من وقته. كانت مهذبة وقرر "تاراس" أنه يتعامل معها بالمثل. أخبرهم عن هويته وقال إنهم عثروا بالبحيرة على جثة لرجل يبلغ من العمر ثلاثين عامًا أو نحو ذلك، وأنهم ما زالوا يتثبّتون من هويته، وأنه يرجح أن الغرق هو سبب الوفاة. قالت: "هل هذا الميت له علاقة بجثة الفتاة التي انشلتها في رأس السنة الجديدة.. من مكان لا يبعد كثيرًا عن هنا؟". "لا نعرف بعد". "وماذا عن الأستاذ "هليب" الذي تحقق أنتَ، إن لم أكن مخطئة، في وفاته أيضًا؟". "لا يمكنني الإجابة عن هذا السؤال أيضًا، للأسف. لا نعرف بعد". من المدهش أنها قالت بنبرة لا تنم عن خيبة أمل: "حسنًا، نود أن تكون ضيفنا لهذه الليلة في برنامجنا الإخباري "أصداء". هل يمكنك؟". ابتسم ثم قال: "ليس هذا بالشيء الذي أقرره أنا".

ثم أخبرها بأن تتصل بمديرية شرطة ليوبليانا، وأن تتواصل مع "بويان درفاريتش".. الذي هو رئيسه وسيسعده بلا شك أن يكون بالأستوديو.

قالت: "لكننا نود أن تأتي أنت وليس "بويان". "كما قلت، ليس هذا بالشيء الذي أقرره أنا".

أمضى وقتًا طويلًا في دعك يديه. لم يكن قد لمس الجسد أبدًا ومع ذلك انتابه شعور بأن الرائحة النّتنة قد علقت بهما. لعلها علقت بملابسه أيضًا؟ شمّ كُم سترته، لم يكن واثقًا،

شعر كأن العالم كله تفوح منه تلك النتانة. هل يمكن لرائحة لا تطاق مثل تلك أن تبقى في ذاكرتك.. في ذهنك.. بطريقة تشبه إلى حد ما صورة الشمس بعدما تنظر إليها لفترة طويلة؟ ذهب إلى السيارة وأخرج بنطاله الخاص بالتزلج عبر الضاحية وغير ملابسه في منطقة انتظار السيارات، فوجده أيضًا ما زال مبللًا.. رطبًا من العرق بعض الشيء، لكنه يظل أفضل من البنطال الجينز المبلل حتى الركبتين.

وجد "تينا" تشرب قهوة وقد وضعت الفنجان تحت أنفها وأخذت تشتمّه حرفيًا، كما وجد "تشفيلاك" يشرب كوكتيل الشاي الأسود وشراب "الروم" الكحولي، ولكن عندما وصل "تاراس" كان قد وضعه أمامه على الطاولة. يبدو أن بعض الناس يمكنهم التعود ببساطة على أي شيء. طلب فنجان قهوة أيضًا وأخذ يشتمّه أيضًا. هل الرائحة الحامضة التي تفوح كانت من الرجل المسكين الذي انتشلوه من صَدع البحيرة أم من ثُفل القهوة؟

سأله "تشفيلاك" عندما رآه: "ماذا؟ هل أنت ذاهب للتزلج مرة أخرى؟".

سواء كانت الرائحة من ثُفل القهوة أم لا، فإنه ليس بحاجة لأي شيء في هذه اللحظة سوى فنجان قهوة. الآن، ولدقيقة واحدة، لم يجد نفسه مضطرًا للتحدث لأن لا أحد منهم في مزاج يسمح بتبادل أطراف الحديث. جلسوا صامتين، يحتسون مشروباتهم حتى أطلق "تشفيلاك" تنهيدة علامة على أنه قد اكتفى. التفت إلى "تينا"وسألها عن شعورها في

هذا الموقف. قالت: "لا بأس، إذا تغاضينا عن الرائحة فا..". سألها "تشفيلاك": "وبعد أسبوعين في العمل، هل وجدتِ هذا العمل كما تصورتِه؟". ابتسمت ثم قالت: "إن "تاراس" توعدني بمواجهة أبناء مخمورين مضطربين عقليًا يُقدِمون على قتل آبائهم وأجدادهم".

كانت ترتدي السترة الخضراء نفسها التي كانت ترتديها بالأمس، لكن لا شيء يبقى على حاله. بالأمس كان يتساءل كيف سيخلع ملابسها، واليوم، يعرف كيف. بالأمس لم يتخيل أن ما حدث ليلة أمس ممكن، بل ظنه محالًا. واليوم من الصعب عليه ألا يفكر في أنه قد يتكرر مرة أخرى.

***

سألته بعدما استلقيا بالفعل تحت البطانية: "هل فعلت ذلك مع رفيقات كثيرات؟". فقد صوتها الاستحياء، فقد فرحته، واكتسب فجأة نبرة فتاة قلقة من أنها تسرعت جدًا عندما قالت "نعم" في وقت مبكر جدًا. أجابها قائلًا: "آلاف". ظلت صامتة لبعض الوقت. لم يتوقع أن تبتلع الطُعم. قالت: "أنا جادة في سؤالي". هل سبق لكِ أن تجولتِ حول مركز الشرطة الذي أعمل به؟ "في العموم". "لا، لسن كثيرات، غير أنهن يتسمن جميعًا، وحتى آخر واحدة منهن، بالجمال والذكاء". كان هذا أفضل رد يمكن أن يخطر على باله. قالت رغم أنها بدت هادئة: "كاذب".

***

تابعت إجابة سؤال "تشفيلاك" قائلة: "ورغم ما وعدني به "تاراس" إلا أنني وجدت نفسي أشاهد فيلمًا من أفلام "هوليوود"، وأعيش الآن أحداثًا تكفي لعمل عشرة مسلسلات، ومع ذلك لست متأكدة من أنها ستروق لي".

نظرت إلى "تشفيلاك" بعينيها الواسعتين على غرار الطريقة التي نظرت بها "جوينيث بالترو" إلى "مورجان فريمان" في فيلم "سبعة" ثم سألته: "هل تحب عملك؟". "أنا؟". بدا "تشفيلاك" متفاجئًا كأن لا أحد سأله هذا السؤال من قبل. "آه.. هل تسألينني ما إذا كنت أحب العمل مع الجثث أم لا؟". "نعم. قد لا يكون العمل الذي أردت القيام به عندما كنت..".

حاولت أن تجد الكلمة الصحيحة، فقال: "أعرف، أعرف ما تقصدينه. لا، لم أفكر في هذا العمل وأنا طالب في كلية الطب. ومَن ذاك الذي يحب تقطيع أوصال الموتى؟". أومأت. "هل تعرفين ماذا أردت أن أكون؟ طبيبًا جراحًا.. لأن الفتيات كانت مولعات بهم. حسنًا، ثم اتخذت الأمور مَنحى مختلفًا". قالت "تينا" وهي تنظر إلى "تاراس": "كالعادة". "أما إذا كنت أحب هذا العمل أم لا؟". صمت "تشفيلاك" وفكر لبضع ثوان ثم قال: "لا أعرف. أكرهه أحيانًا.. كلما وجدت أمامي شابًا أو طفلًا على طاولة التشريح. من ناحية أخرى، أجده عملًا مثيرًا للاهتمام.. في النهاية هو عمل لا بد أن يؤديه شخص ما. سأتقاعد هذا العام على أية حال".

رفع كوب كوكتيل الشاي الأسود وشراب "الروم" الكحولي أمام فمه ثم قال: "أما ما سأفعله بعد التقاعد، فلا أعرفه

حقيقةً". نظر إلى "تاراس" وقال: "قد أقوم بالتزلج عبر الضاحية". ضحك "تاراس" ضحكة خافتة ثم قال: "أود أن أرى ذلك". استدار "تشفيلاك" إلى "تينا" مرة أخرى وسألها: "وما رأيك في "تاراس" هذا؟". "ماذا تقصد؟". هز "تشفيلاك" كتفيه وأشار إلى "تاراس". قالت بعدما فكرت في الإجابة لبرهة: "مثيرًا للاهتمام". رفع "تشفيلاك" حاجبيه ونظر إلى كليهما ثم قال: "إنه يتمتع بالتأكيد بصحة جيدة، أليس كذلك؟ هل تعلمين أنه في الخمسين من عمره تقريبًا؟". احمر وجه "تينا" خجلًا. قال "تاراس": "كنت أنوي على أية حال أن أريها بطاقة هويتي لتعرف سني، الآن شكرًا لك لأنك وفرت عليّ ذلك".

تأكد "تاراس" الآن أن "تشفيلاك" يعرف كل ما بينه وبين "تينا".

كان عليهم الانتظار لساعتين إلى أن ظهر "جولوب" في بار الفندق. طلب لنفسه قهوة قبل أن ينضم إليهم. عندما لم يبادر "جولوب" بالحديث سأله "تاراس": "ماذا عندك؟". "كانت جيوبه مملوءة بالحجارة، والحصى الكبير، من النوع المنتشر في كل أنحاء البحيرة. أود أن أعرف أين ذهب القارب الذي قفز منه في الماء". "قفز منه؟". "لا توجد إصابات ظاهرة باستثناء العين التي فُقئت، ولا توجد أي علامات للدفاع عن النفس، ولا توجد علامات لحبال تشير إلى أنه تم تقييده، لا شيء من هذا مطلقًا. لعله بالطبع غفا لسبب أو لآخر عندما دُفع به في الماء. هذا شيء سيخبرنا به "تشفيلاك" بعدما

ينتهي من تشريحه". أومأ "تشفيلاك". قال "جولوب" وهو يشرب القهوة التي وضعت له على المائدة بامتنان: "وهذا كل شيء تقريبًا في الوقت الحالي". تأوه "تاراس": "أهذا ما كنا ننتظره لمدة ساعتين؟". قال "جولوب": "إذا قمت بتجفيف البحيرة من أجلي، فيمكننا البقاء هنا ليومين آخرين".

أشاح "تاراس" بيده تعبيرًا عن الرفض والتفت إلى "تشفيلاك". حان الوقت الذي يعود فيه الأشخاص العاديون الذين لديهم وظائف عادية إلى منازلهم ويشرعون في التفكير فيما سيقضون عطلة نهاية الأسبوع. هل لاحظ "جولوب" حتى أن الظلام يهبط الآن وأن اليوم هو الجمعة؟

سأله "تاراس": "متى يمكننا الحصول على التقرير في رأيك؟". "عاجلًا؟".

أومأ "تاراس" برأسه. نظر "تشفيلاك" إلى قاضي التحقيق ثم نظر إلى "تاراس" مرة أخرى وقال: "هل صباح الاثنين موعد متأخر بالنسبة لك". أومأ "تاراس" مرة أخرى. "الليلة إذًا، إذا استطعت أن أستدعي الجميع. سأتصل بهم ونرى كيف يمكننا ترتيب ذلك وسأبلغك. تمام؟". قال كل من "تاراس" وقاضي التحقيق معًا: "تمام".

جلس "تشفيلاك" على المقعد المجاور للسائق، وجلست "تينا" في الخلف. قام "تاراس" بضبط الراديو على محطة "فال 202" الحكومية واستمع إلى تغطية لرياضة القفز التزلجي. حاول "تشفيلاك" التحدث إلى "تينا" التي لم تكن

تتابع أسئلته في الحقيقة واضطر أن يكررها. يظن "تاراس" أن "تشفيلاك" لا يعرف متى يتوقف عن الكلام.

قالت فجأة عندما بدا أن "تشفيلاك" شعر بالملل من الحديث وبدأ يحدق في الطريق أمامهم: "هل تعرف ما الذي يفاجئني؟ الاختلاف بين المسلسلات التليفزيونية والحياة الواقعية. ظهرت لنا الجثة الجديدة ولم يذكر "تاراس" الذي يعرف بلا ريب لمن الجسد ومن توقع ظهوره، لم يذكر ولو لمرة واحدة أين مكان هذه الجثة في السياقات الأخرى، ولم يذكر شيئًا عما تعنيه التحقيقات التي نجريها، وما علاقة كل ذلك بالفتاة الميتة.. بل إنك لا تكلف نفسك حتى بسؤاله عن ذلك".

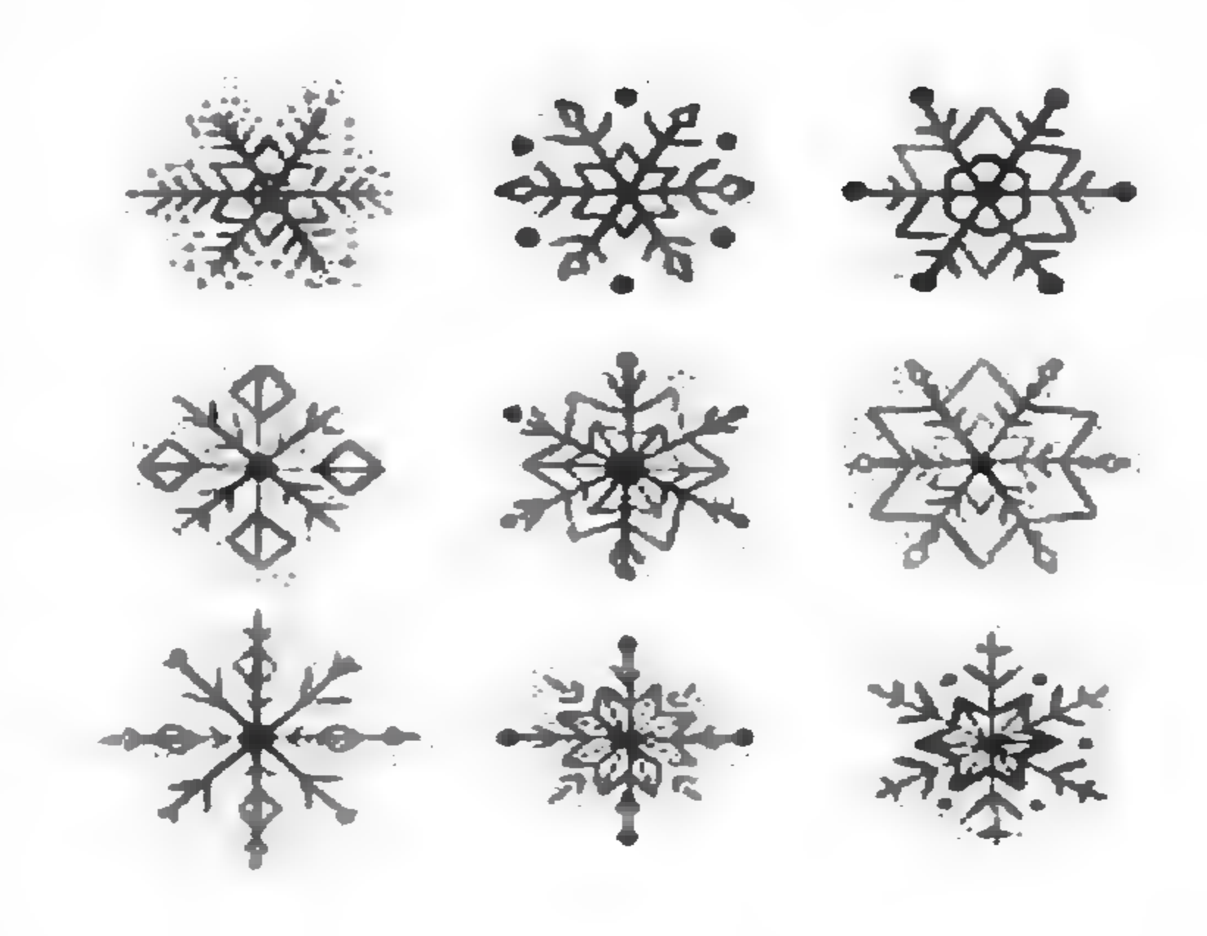
نظر "تاراس" و"تشفيلاك" إلى بعضهما بعضًا. سأل "تشفيلاك": "ماذا من المفترض أن يقول؟".

نظر إليها "تاراس" في مرآة الرؤية الخلفية. بدت له متعبة ومنفعلة، فقال: "لأنني ما زلت بحاجة إلى التمعن في الإطار الكلي للمسألة برمتها". ثم أشار إلى جبهته وقال: "خلايا ذكائي الرمادية الصغيرة وكل..".

بمجرد أن وصلوا إلى الطريق السريع، كان "تشفيلاك" يغط في النوم بالفعل. نظر "تاراس" في المرآة والتقت أعينهما. بدت عليها الجدية حتى إنه لم يستطع أن يقاوم أن يمد يده اليمنى ويمررها بين المقعدين حتى وصل إلى ركبتها. أبعدت يده.. وصل إليها مرة أخرى فأبعدتها مرة أخرى. عندما فعل ذلك للمرة الثالثة لم تبعدها. طَبطَبَ على ركبتها وفخذها،

ثم وضعت يدها على يده وظلا على هذا الوضع وهو يقود لعدة كيلومترات تالية، على طول الطريق إلى محطة تحصيل رسوم الطرق في بلدة "توروفو" حيث كان عليه أن يبطئ من سرعته ويستخدم عصا ناقل السرعة.

الفصل السابع والثلاثون



عندما وصل "تاراس" إلى المعهد وجد الجميع هناك بالفعل، وجد خليطًا من مجموعة من العاملين بالشرطة والطب والقضاء تتسكع في محيط الممر الواقع بين الثلاجة والمشرحة، يتبادلون أطراف الحديث بفتور وتراخٍ، وهم مستسلمون لحقيقة أنه ينبغي عليهم جميعًا أن يواصلوا العمل، رغم تأخر الوقت. حيّاه "تشفيلاك" ثم قال: "ها نحن هنا مرة أخرى يا "تاراس"، هل تمكنت من تغيير الملابس وكل شيء؟". قال "تاراس": "وأكلت شيئًا وكل شيء. هل انتهى "جولوب" من مهمته؟"."منذ ساعة تقريبًا. قال إنه سيتصل بك

إذا توصل لأي شيء. هل نواصل عملنا؟".

لم تأتِ "تينا" معه للمشرحة. سألته إذا كان يريدها أن تحضر فأخبرها بأنها ليست مضطرة لذلك.

قال لها: "لا داعي لأن يصبح هذا أول تشريح تحضرينه بعد كل ما مررتِ به". سأل "تشفيلاك" "تاراس" الذي أومأ برأسه: "هل تحتاج إلى كِمَامَة؟". فأومأ. قال "تشفيلاك": "أظن أن الباقين سيحتاجون أيضًا إلى كِمامات، أليس كذلك؟". وزع الكِمامات التي يستخدمها الأطباء في التشريح، وهي مبطنة من الداخل بمادة جيلاتينية من المفترض ألا تسمح بنفاذ أي رائحة، ولكن عندما تكون الرائحة النتنة سيئة لهذا الحد، تكون الكِمامات غير مجدية إلى حد ما. لحسن الحظ، تعتاد مستقبلات الشّم بغشاء الأنف المخاطي حتى على هذه الروائح بعد بضع دقائق، وبعد مرور بعض الوقت، يتوقف الأنف البشري عن تسجيل الرائحة الكريهة المتصاعدة بلا توقف.

مع مساعده "كيسوفيتش"، الذي يصغره بعشر سنوات، سحب "تشفيلاك" الجسد العاري الآن على الثّرولّي ونقله على بعد أمتار قليلة من الثلاجة، عبر الممر، إلى طاولة التشريح كي يوصل القاعدة المعدنية التي يتمدد فوقها الجسد ببالوعة الحوض المستخدم لهذا الغرض. قام "كيسوفيتش" بنقل القاعدة السفلية للثّرولّي إلى الممر بالخارج ثم أغلق الباب. إِلْتفّ خمسة أشخاص حول الجثة على الطاولة وكانت السكرتيرة "ماجدة" تجلس بوجهها المجرد من أي تعبيرات

أمام جهاز كمبيوتر على بعد مترين تقريبًا، تنتظر. وقفت "تاراس" بجوارها. بدأ "تشفيلاك" يُملي السكرتيرة بوَتِيرة رتيبة قائلًا: "جسد لرجل يبلغ من العمر نحو ثلاثين عامًا".

لم يكن بالغرفة أي صوت سوى صوت "تشفيلاك" وهو يُملي السكرتيرة والنقر على مفاتيح الكمبيوتر مع نقر على زر الكاميرا. ورغم أن منظر الجثة لم يكن أفضل من منظرها عند انتشالها من البحيرة، وربما بسبب ذلك، ظل "تاراس" واقفًا بجوار "ماجدة" السكرتيرة التي جلست مستقيمة الظهر أمام لوحة المفاتيح، لا شيء فيها يتحرك سوى أصابعها. بدا مشهد الجسد الأبيض الآن، المغطى بطبقة زنجار أخضر، وكل شيء به مُتغضِّن ومنكمش، وبطنه منتفخ كأن بداخله بالونًا ضخمًا، بدا غثًا ومقززًا للنفس. تساءل "تاراس" في هلع كيف سيبدو بعدما يقوم "تشفيلاك" بعمل شَقّ من الرقبة إلى الأُربِيّة عند تقاطع الفخذين وبعدها يفتح مِنْ غَيْرِ بُدّ هذه البطن المنتفخة. لماذا يتعين على المحققين الجنائيين حضور تشريح الجثث؟ ما الذي قد يلاحظه المحقق ويغيب عن طبيب التشريح؟

لم يكن هناك شيء لافت للانتباه بعد. لمدة عشر دقائق، أخذ "تشفيلاك" يسرد ويملي على السكرتيرة السمات الخارجية للجثة، وبعد ذلك، ودون أي توقف بادٍ للعيان بعد النقطة التي وضعتها "ماجدة" في نهاية السطر، أشار إلى "كيسوفيتش" الذي استخدم مِشرَط لقطع الجلد في الجزء العلوي من الرأس، وسحب المِشرَط للخلف لنصف المسافة باتجاه

مؤخرة الرأس، ثم للأمام للنصف الآخر نحو الوجه، ثم سلخه وأعاده لـ"تشفيلاك" الذي استخدم منشارًا لقطع دائرة قَلَنسَوَة أو قُبّة الجُمجُمَة حسبما يسمونها، وضع هذه القَلَنسَوَة على الصينية المعدنية. عاد إلى الجمجمة المفتوحة، ومد كلتا يديه داخلها لكنه جَفل بعد ذلك وأخرجهما مرة أخرى. ظن "تاراس" أنه ربما أخرجهما لسبب تقني يعود للضرر الذي لحق بها والناجم عن النَقْع الطويل بالماء. فكرة أنه من الوارد أن يصادف "تشفيلاك" شيئًا جديدًا، شيئًا غير متوقع، بدا له شبه مستحيل.

قال "تشفيلاك" وهو يشير له بقفازه الملطخ بالدماء: "هل يمكنك الاقتراب قليلًا يا "تاراس".

خطا "تاراس" ووقف عند الدماغ المفتوح والمسلوخ ونظر إلى جوفها الرمادي المغطى بمخاط ضارب في الحمرة. للمرة الثانية خلال ثلاثة أيام ينظر في جوف دماغ بشري، وفي كلتا الحالتين بدت له نوعًا من العضلات القوية المُشَربة بعَصِير التوت. سأل "تاراس": "ماذا؟". أجابه "تشفيلاك": "هذا".

غرس "تشفيلاك" إصبعين في الدماغ الجيلاتيني الرمادي، وضغط عليه، على بعد سنتيمترين استسلم الدماغ للضغط ومن السطح الرّخو برز شيء أملس ومعدني.

صرخ "تشفيلاك" قائلًا: "ناولني مِلقاطًا".

قام بدفع المِلْقاط الصغير بإصبعيه والتقط به هذا الجسم

الغريب المغروس في اللحم البشري، وسحبه للخارج ببطء وثبات. رفعه أمام عينيه وأداره بإصبعيه الذي بلغت المسافة بينهما سنتيمترين حتى يصبح الجسم الأسطواني المدبب من طرف واحد مرئيًا أيضًا لـ"تاراس". سأله "تشفيلاك": "هل تعرف ما هذا يا "تاراس"؟". "نعم. لذلك لم يغرق رغم كل الظروف".

وضع "تشفيلاك" الرصاصة على صينية معدنية ووضع المِلْقاط بجانبها واستخدم كلتا يديه لفحص الدماغ، واستدار نحو "تاراس" وقال: "لا تتسرع في الاستنتاج. عندما نصل إلى الرئتين سترى أن الرجل غرق من الناحية الموضوعية. عندما سقط في الماء كان لا يزال على قيد الحياة".

***

وضع زجاجة "ويسكي" نصفها فارغ على المكتب ثم سحب "تشفيلاك" كأسًا من الدرج ثم سأله: "لن تشرب كأسًا بالطبع". لم يكلف "تاراس" نفسه حتى بأن يهز له رأسه بالنفي. صَب لنفسه كأسًا وشرب نصفها ووضعها على المكتب ثم قال: "لقد اعتدت أن أتناول كأسًا أو اثنتين بعد كل عملية تشريح؛ أعني منذ تشريح تلك الفتاة المقطوعة الرأس. ربما لا ينبغي أن أفعل ذلك، لكن في بعض الأحيان يكون من الأفضل لصحتك أن تتناول مشروبًا من ألا تتناوله على الإطلاق. إنني أنتظر التقاعد بفارغ الصبر". سأل "تاراس": "أواثق أنت؟". "مما؟". "من انتظارك للتقاعد بفارغ الصبر؟".

هز "تشفيلاك" كتفيه بلا مبالاة وحدق لفترة في الملصق الذي على الزجاجة قبل أن يتحدث وكأنه يخاطب الزجاجة قائلًا: "مؤكد. هل تعلم كم عدد الناس الذين يحلمون بالتقاعد في هذا البلد؟ لماذا سأختلف عنهم؟". نظر إلى "تاراس" ثم قال: "ماذا عنك أنت؟". سأل تاراس": "ماذا عني؟". "ما رأيك في كل هذا؟". "أرى أن أحدهم أطلق عليه الرصاص ثم سحبه إلى القارب وألقاه في البحيرة، هذا إذا فهمت ذلك بشكل صحيح؟". "سحبه إلى القارب أعتبرها إضافة منك وليست مني. كل ما قلته هو أنه أصيب برصاصة في رأسه قبل أن يرتطم بالماء وكان ما زال يتنفس". "هل من الوارد أنه سبح ليخرج من الماء؟". "أوه، يا ربي! لا يمكن". "هل هناك أي طريقة نحدد بها المدة التي قضاها على قيد الحياة والرصاصة في رأسه قبل أن يغرق؟". هز "تشفيلاك" كتفيه وقال: "بالنظر إلى الدم الذي تراكم تحت الجمجمة.. مدة طويلة". "هذا يعني أن أحدًا ربما أطلق النار عليه على الشاطئ ثم وضعه في القارب ودفع به في البحيرة حيث وجدناه؟ لا يمكن أن يكون قد سقط من الشاطئ، لا سيما وجيوبه مليئة بالحجار". "كما قلت، هذا سيناريو محتمل. في تقديري ربما ظل حيًا ساعة، وربما ساعة ونصف". "هل كان سيموت في كل الأحوال، لو لم يغرق؟ ". سأله "تشفيلاك" ساخرًا بعدما تجرع كأس "الويسكي" دفعة واحدة: "كم عدد الأشخاص الذين تعرفهم والذين يتجولون برصاصة في رؤوسهم؟ أتعرف أن هذا "الويسكي" ليس سيئًا على الإطلاق". صَبّ لنفسه كأسًا أخرى وهو يقول: "أنا معجب بك

يا "تاراس"، كيف يمكنك أن تعيش مثل هذه الحياة التقشفية الزاهدة والعقلانية؟ بدون أي توابل".

ابتسم "تاراس"، وأيقن الآن أن "تشفيلاك" لم يكن نائمًا عندما كان هو و"تينا" يستمتعان بتلامس أيديهما. وضع يده على الطاولة وَهَمّ كي يغادر قبل فوات الأوان إلا أن "تشفيلاك" بادره قائلًا: "هل تعي ما الذي تفعله، يا "تاراس"؟". نظر إليه "تشفيلاك" كما ينظر الأب إلى ابنه الذي يوقع بنفسه في ورطة. على الأقل هذه هي صورة الأب التي تخيلها "تاراس" الذي قال: "لم تكن نائمًا، أليس كذلك؟". "أقصد.. إن الفتاه فائقة الجمال، ولا تظن أنك مُحصّن لمجرد أنك تكبرها بثلاثين عامًا". "بل عشرين". همس "تشفيلاك": "أيًا كان.. بعد بضع ليالٍ أخرى على غرار تلك الليلة وستركع على ركبتيك متوسلًا إليها أن تبقى معك".

ابتسم "تاراس" ونظر إلى الرجل ذي الشعر الأشيب والذي أحبه مثلما يحب الابن أبيه. قال "تاراس": "لم يتجاوز الأمر الجنس فقط. مرة واحدة ولن تتكرر أبدًا". "نعم بالتأكيد". "لم أكن أنا من بادر. ماذا ستفعل لو كنت مكاني؟ هل سترفض؟". هز "تشفيلاك" رأسه قائلًا: "احترس، لن تخدعني بهذه الطريقة. الأمر بعيد عن مسألة مكانك ومكاني، ولست مضطرًا لأن أجيبك عن أسئلة من هذا القبيل. أنا في الستين من عمري، وعلى عكسك، فإنني أضع سني في الاعتبار. من الصواب والإنصاف أن تبتعد عنها". ربت "تاراس" على كتفه وهو يقول: "أرأيت؟ سأكون في عمرك نفسه قريبًا وهذه

فرصتي الأخيرة. بوسعك أن تُلقي باللوم علَيّ؟ علاوة على ذلك، أنت من اقترح شيئًا من هذا النوع على أية حال". هبّ "تشفيلاك" واقفًا وهو يقول: "أنا؟". "أنت تقول لي دومًا كيف يمكن لأحد أن يعيش هذه الحياة التقشفية التي أعيشها بدون شيء.. يساعدني على..". تفرس "تشفيلاك" في وجهه لفترة طالت بعض الشيء، ثم توقف عن تناول "الويسكي" وقال: "كل ما قلته هو أن الحياة تكون صعبة إذا لم تعبث بين الحين والآخر لكنني لم أقصد هذا النوع من العبث. هذا كل شيء. حسنًا، إذا كان لا بد أن تقوم بهذه الوثبة المفاجئة، فبإمكانك اختيار ربة منزل يائسة تبلغ من العمر أربعين عامًا مع طفلين بالغين. وربما يمكن قبوله إلى حد ما، لكن هذا..". هز إصبع سبابته بالنفي ثم تابع قائلًا: "هذا يا "تاراس" ليس عدلًا لها ولا لـ"ألينكا". إذا كنت تعتقد أنك ستتجاوز الأمر بوضع علامة صَح في ملف إنجازاتك والاحتفاظ ببعض الذكريات الجميلة، فأنت مخطئ.. تذكر ذلك، فأنت لست أول من يزج بنفسه في ورطة من هذا النوع".

جلس "تاراس" على كرسيه وبدا عليه الإذعان، ولأنه لم يعارضه، أخذ غضب "تشفيلاك" ينحسر رويدًا رويدًا. صب لنفسه نصف كأس أخرى وفاحت منه رائحة الكحول، فقال: "سوف يساعدني على التخلص من الرائحة، بالتأكيد ستذهب الرائحة عني". أفرغ الكأس في جوفه وأعادها وهو متردد إلى درج المكتب، ثم قال: "لقد حان الوقت للعودة إلى المنزل، أليس كذلك؟". "أنت خائف من التقاعد، أليس

كذلك؟". أومأ "تشفيلاك" ثم قال: "اللعنة، نعم. الأمر لا يتعلق بأنني لا أدري ماذا سأفعل بعد التقاعد، فسوف أدبر هذا الأمر بطريقة أو بأخرى لكنني أغادر غرفة التشريح للمرة الأخيرة وأنا أعلم أنني سأعود إليها ثانية ولمرة واحدة فقط.. وأنا جثة، سيعبث "كيسوفيتش" بأحشائي. هل يمكنك أن تتخيل، ذاك الهاوي غير المحترف وهو يعبث بها؟ في كل مرة أقفل فيها باب المكتب ورائي أفكر في هذا الأمر.. إذا غادرت الآن، سأعود في المرة القادمة وأنا ممدد على طاولة التشريح و"كيسوفيتش" ينشب مخالبه الحادة في جسدي".

الفصل الثامن والثلاثون



بإيجاز قدر الإمكان، شرح "تاراس" لـ"درفاريتش" قصة الجثة الجديدة في بحيرة "بوهيني". "ماذا يعني هذا بالنسبة لقضيتنا؟". قال "تاراس": "لا أدري. نحن نتحرى عن علاقة تربط "هليب" بالفتاة، والآن سنضيف هذا الرجل الذي يحمل اسم "لاب" أيضًا". ظل التليفون صامتًا لفترة من الوقت.

قال "درفاريتش" أخيرًا: "حسنًا، فلتتحرى عن..".

يبدو أن هناك شيئًا آخر أراد "درفاريتش" البوح به وإزاحته عن صدره.

سأل "تاراس": "هل من شيء آخر؟". "ينبغي أن تذهب إلى التليفزيون هذا المساء.. في الساعة العاشرة إلا ربع". "لماذا أنا؟ أظن أن هذا الأمر يخصك أنت دون غيرك". بل ويظن أنه يخص "كريستان" أيضًا. كيف يتأتى ألا ينتهز الأفاقين الفرصة؟ قال "درفاريتش": "هم يريدونك أنت". "منذ متى يحدد التليفزيون مَن يريد من رجال الشرطة؟". صمت.. ولا شيء غير الصمت. أجاب "درفاريتش" قائلًا: "القرار ليس

قراري، إذا كان هذا يساعدك". "أوه، والقرار لأي وزير هذه المرة؟". "وزيرنا، وزير الداخلية".

ضحك "تاراس" عندما لم يحاول "درفاريتش" حتى التظاهر بالجدية عندما ذكر الوزير، بل قال: "حسنًا، لا بد مما ليس منه بد". ودعه "تاراس" وغادر. كانت الساعة التاسعة صباحًا وهو ما يعني أن لديه وقتًا يكفي بالكاد للاستحمام على عجل وتنظيف أسنانه وارتداء ملابسه. إنه يشعر بالإنهاك.

رافقته امرأة لغرفة المكياج حيث جلس على الكرسي وأغمض عينيه حتى تضع فتاة المكياج كريم الأساس على وجهه. سألته: "كريم سائل؟". "لا أعرف". ابتسم. كيف له أن يعرف؟ سألته: "هل ستبقى في الاستوديو لفترة طويلة". "غالبًا، لا". "حسنًا، سنستخدم البودرة إذًا".

رافقته المرأة نفسها إلى المكتب حيث لمح العناوين الرئيسة على الشاشة وهي تُعلن عما سيلي من أنباء ولقاءات. اللقاء معه سيلي مباشرة نبأ اجتماع رئيس الوزراء مع "أنجيلا ميركل" مباشرة.

سمع التعليق التالي: "من جهة أخرى يبدو حاليًا أن الجثث ما زالت تتوافد الواحدة تِلوَ الأخرى في منطقة "بوهيني"، بينما الشرطة ما زالت تتخبط في الظلام، وتستميت كي تصل إلى الحقيقة". نظر إلى الفتاة التي ابتسمت له بإحراج فرد الابتسامة.

في أثناء بث التقرير عن الاجتماع الذي عقد مع السيدة "ميركل"، أخذوه إلى الاستوديو حيث صافح مذيع الأخبار وسمح لفني الصوت بوضع ميكروفون تحت قميصه بينما كان يُقلب بعض الأوراق على مكتبه عشوائيًا. كان "تاراس" كبيرًا في السن بما يكفي ليدرك ماذا يعني ذلك.

بمجرد انتهاء خبر السيدة "ميركل" ظهر مذيع الأخبار أمام الكاميرا، رمق "تاراس" بنظرة اتهامية حتى قبل أن ينطق بكلمة واحدة. لقد كرر بشكل أو بآخر ما قيل من قبل عن الجثث التي تتوافد الواحدة تِلْوَ الأخرى.. بينما الشرطة..

ثم بثوا التقرير حول ظهور الجثة الجديدة في بحيرة "بوهيني"، عُرضت لقطات وصولهم على الشاطئ، مع التركيز على الأشخاص المحيطين بجثة "لاب"؛ هو، "جولوب"، "تشفيلاك"، "تينا".. وانتهى التقرير بجملة: "لا نعرف". استدار المذيع نحوه أخيرًا وقال: "حسنًا، أخبرنا إذًا، ما الذي تعرفه؟".

قال "تاراس" ببطء: "في الحقيقة إنني أعرف الكثير جدًا". فوّت عليه "تاراس" فرصة استفزازه فتابع قائلًا: "هل يمكنك أن تكون أكثر تحديدًا". "حتى وقتنا هذا، هل اكتشفت من هي المرأة مقطوعة الرأس التي ترقد منذ أسبوعين في معهد طب التشريح؟". جفل "تاراس" لكنه قال: "تقصد المرأة التي تضرر جسدها بشدة.. لا، لا نعرف حتى الآن". "لماذا نسمي الأشياء بغير مسمياتها الحقيقية يا سيد "بيرسا"؟ الجثة التي عُثر عليها في النهر بلا رأس". "هذا ما تقوله أنت، بينما أقول أنا

أن الجسد تضرر بشدة مما جعل التعرف على..". قاطعه قائلًا: "حسنًا، دعونا نلقي نظرة الآن".

ظهرت على الشاشة أمامهم الصحفية نفسها التي وقفت أيضًا خارج كلية الطب حيث يوجد معهد طب التشريح وحيث.. قال: "هناك سر كبير تحجبه الشرطة السلوفينية عن الجمهور. هيا بنا نكتشفه". عُرضت لقطة لإحدى الكاميرات - بدت كأن من صورها مجرد هاو - وهي تهبط إلى الممر، ثم تتوجه نحو الثلاجة، وأظهرت لبرهة يدًا تفتح الباب، وتسحب مقبض باب حجرة التبريد وتفتحه.. قال "تاراس" لنفسه: " لا، لا يمكن أن يفعلوا ذلك؟". "لا، بل فعلوها". قال المذيع: "أخبرنا يا سيد "بيرسا"، ما الداعي لكل هذه المؤامرة؟ ما الذي تحاول إخفاءه عنا؟ ألا تعتقد أن للجماهير الحق في معرفة ما يجري؟". قال "تاراس" لنفسه: هذه سَماجة. ببساطة سَماجة بحتة. قال المذيع: "لم ترد على سؤالي". "ولا أنوي أن أرد عليه". "حقًّا؟". استرخى مذيع الأخبار على ظهر كرسيه وقال: "أهكذا تستشيط غضبًا في معظم الأحوال، أيها المحقق؟". "أي غضب؟". "لقطة مقربة من فضلك". عرضت لقطة للصحفية أمام الكاميرا، خارج المستشفى الجامعي هذه المرة وهي تقول: "الشرطة ما زالت تتخبط في الظلام". رأى "تاراس" أن ذهابهم لهذا المدى لم يكن له داعٍ. قال المذيع: "هكذا يتزايد غضب رجال الشرطة أكثر من أي وقت مضى، فمن الواضح أن تحركاتهم تقترب من مرحلة اليأس".

عرضوا لقطة ذات جودة أقل بكثير مع تعليق مكتوب يقول

لقطات عبر التليفون المحمول. عرضت اللقطة ما جرى من أحداث في المقبرة في "سريدنيا فاس" وتصريحات القرويين الثائرين مع التركيز لمدة خمس ثوانٍ على "برايك" الذي وقف بجوار المِخفار الصغير في المقبرة القروية في "سريدنيا فاس" مع حشد من الناس يحملون الزهور والصحفية تعلق قائلة: "عندما يستشيط أفراد الشرطة غضبًا، يكون من سوء حظ المارة الأبرياء أن يكونوا في المكان الخطأ وفي الوقت الخطأ ويدفعوا ثمن هذا الغضب".

ثم تَبِعت الكاميرا، كاميرا التليفزيون مرة أخرى، الصحفية وهي تمشي عبر ممر في أكبر مستشفى في البلاد، طرقت الباب ودخلت. كان الرجل الممدد على السرير هو الرجل نفسه الذي غرز "تاراس" وجهه في الثلج.

سألته الصحفية: "أخبرنا بما حدث في الثاني من يناير عندما قابلت المفتش "تاراس بيرسا" في "بوهيني". قال المذيع تعقيبًا على لقطة الرجل المُمَدّد على السرير بعدما روى قصته مع "تاراس" بصوت واهن: "هذا هو نوع الغضب الذي أتحدث عنه يا سيد "بيرسا". هذا النوع من الغضب.. هل ينتابك في معظم الأحوال؟".

بقي "تاراس "صامتًا. لو كان أصغر سنًا، لأخطأ وتَسَرّع في الرد عليه، لكنه الآن يجد الأمر برمته مضحكًا.

قال "تاراس": "حسنًا، إذا..". "هل ما جرى يعنيك بالفعل أم أنك لا تبالي أيًا ما كان؟". "للأسف ليس لدينا وقت كي..". "هل

ما جرى يعنيك بأي شكل من الأشكال؟".

***

مرت خمس سنوات منذ آخر مرة جرب فيها "تاراس" الكحول. في المنزل، أمام التليفزيون، كان قد صَبَّ لنفسه كأسًا من النبيذ الأبيض، واختار بعناية نوعًا منخفض الحمضية. لقد شربه وأمضى الليل في بار "A&E". لعلها المحاولة العشرون، وفي كل مرة تكون النتائج أسوأ من سابقتها.

بعدما أجرى "تاراس" بنفسه جميع الاختبارات والفحوصات الممكنة وجمع "بريلك" كل الفحوصات الأخرى التي أرسلها إليه زملاؤه الأطباء من تخصصات مختلفة، بَسَطَهم "بريلك" على مكتبه في عيادة "ألينكا"، كدليل على الاهتمام الذي أولاه للحالة ثم قال: "أعتقد أن هذه الأعراض أعراض نفسية يا "تاراس". لا يوجد سبب يجعلك تعاني من هذه المتاعب المعوية. كل الأحياء المعوية الدقيقة النافعة - الفونا والفلورا - موجودة بمعدتك.. لا تقرحات.. لا شيء. من حيث المبدأ، يؤسفني أن أقول لك أن لا شيء بيدي أساعدك به". "لكن معدتي تؤلمني". "أنا لا أقول إنها لا تؤلمك. كل ما أقوله هو أنني آسف وأنك على الأرجح مَهوُوس. أود أن نشرب بيرة معًا في يوم ما، لكن.. اذهب واستشر طبيبًا نفسيًا. أنا أعرف طبيبة ماهرة، هل تريدني أن أحدد لك موعدًا معها؟ ".

إنه لم يواجه في حياته شيئًا أصعب من الامتناع عن تناول

الكحوليات.

***

قام بتشغيل التليفزيون وقلّب المحطات وتَجوّل بين البرامج ثم فكر في قراءة كتاب. متى كانت آخر مرة قرأ فيها كتابًا؟ وأي كتاب كان؟ في العطلة الصيفية؟ قبل نصف عام؟ ذهب إلى رف الكتب وقلب في الكتب ثم وقع اختياره على ثلاثة كتب اشتراها من معرض الكتاب في نوفمبر الماضي. وضعهم على الطاولة أمامه. كانت محددات شراء الكتب مزيجًا من الأسعار والاهتمامات. بالطبع، بعد عيادة "ألينكا"، يمكنه تجاهل السعر كمحدد، ولكن هَيهات أن يتخلص من العادات القديمة بهذه السهولة وكذلك آلام المعدة. الكتاب الأول هو "درس في الكتابة الإبداعية" للكاتب "ميشال فيويج"، وهو رفيع من حيث الحجم؛ والثاني رواية "الحيوان المحتضر" القصيرة للكاتب الأمريكي "فيليب روث" بحجم الأول نفسه، أما الثالث فهو رواية "نيفروير" للكاتب الإنجليزي "نيل جيمان" وحجمه أكبر. اطلّع على الكتابين الأول والثاني، أما الثالث.. فلا، وقد اختار الثلاثة لأن عناوينهم راقت له. ففتح الكتاب الثالث وبدأ يقرأ:

في الليلة التي سبقت ذهابه إلى لندن، لم يكن "ريتشارد مايهيو" يستمتع بوقته.

بعدما وصل لندن بدأ أول أمسياته بالاستمتاع بوقته: استمتع بقراءة بطاقات الوداع التذكارية، واستمتع بعناق

العديد من معارفه من الشابات الحسناوات بقدر لا بأس به، واستمتع بالإنصات إلى التحذيرات من آثام لندن ومهالكها، واستمتع بالهدية التي تلقاها وهي مظلة بيضاء، خريطة مترو أنفاق لندن قام أصدقاؤه بتجميع الأموال من بعضهم لشرائهما له، ثم استمتع بأول أقداح من البيرة..

وضع الكتاب جانبًا. قال في نفسه إن "ريتشارد مايهيو" هذا.. أو أيًا ما كان، استمتع بأقداح البيرة. حسنًا، فليستمتع، أما هو فقد مدد على الأريكة مع إطلالة على السقف.

***

عندما التقط "تشفيلاك" المِشرَط كي يشق البطن المنتفخة، تحرك "تاراس" بعيدًا قدر استطاعته، واستدار نحو الزاوية. رغم ذلك، فإنه سمع صوت أزيز كأن أحدهم يثقب إطار دراجة، وفي الوقت نفسه تقريبًا شم رائحة تشبه تلك التي تفوح من البيض الفاسد.

قال "تشفيلاك" بعدما انتظر حتى تخف حدة صوت الأزيز وقبل أن يواصل القطع باتجاه السرة: "ليس لدينا غير هذا الليلة، أليس كذلك؟". أوضح "تشفيلاك" وهو يقطع الجسد، كأنه يريد أن يصيغ ما كان يقوم به بلغة الأكاديميين من أهل الثقة، فقال: "إن الأحياء المعوية الدقيقة أو الفلورا المعوية كائنات حية تقطن الأمعاء وتقوم بتحليل الطعام الذي نأكله إلى جزيئات. في أثناء قيامها بذلك، فإنها تتصل بالمُضِيف وتستفيد منه بالحصول على المغذّيات وفي المقابل تنتج

الفيتامينات والحموض الدهنية التي تعمل كإشارات للخلايا وخلايا القولون والكبد.. وعندما يموت الشخص تتوقف هذه العمليات الحيوية داخل المُضِيف، فينخفض تركيز الأكسجين في القناة الهضمية. ينهار الجهاز المناعي، ولأنه لا يوجد جهاز مناعي يمنع الميكروبات من غزو أنسجة المُضِيف، فإن الغشاء المخاطي المعوي الذي هو مزيج من السكريات والبروتينات لا يتكون..". شَقَّ الجثة شقًا ثم تابع قائلًا: "ولأن هذا الغشاء المخاطي يقبض على الميكروبات الضارة ويتخلص منها بدقة وعناية ويخرجها مع البراز فإن وجوده يمنع الاتصال المباشر بين المنتجات الميكروبية والمنتجات التي تفرزها أجسادنا لتقوم بعملية تحليل الطعام. وعندما يختفي كل هذا - الأكسجين والغشاء - تكتشف الميكروبات أنه لم يعد هناك طعام تتغذى عليه وتبدأ في تناول كل ما هو متاح، فتهاجم أنسجة المُضِيف، بل ويقومون باستقلابها أي تحويلها إلى مغذّيات لها. إنهم يأكلونك من الداخل، مما يعني أن الغازات تتكون فجأة من جميع البروتينات التي تشكل أنسجة الجسم، ومن ثاني أكسيد الكربون الناتج عن التَخَمُّر، ومن الميثان، ومن الكبريت والنيتروجين، وهما جزءان من مركب البروتينات، ومن الأمونيا التي تنبعث منها رائحة كريهة، ومن كبريتيد الهيدروجين الذي تنبعث منه رائحة كريهة أيضًا وهي تتكون من نشادر أمونيا البول بعد تركها أربعة أيام وهي تُستخدم بالمناسبة لتنظيف الدهون الملتصقة بجلود الأغنام، ومن كبريتيد الهيدروجين المنبعث من البيض الفاسد. يبدأ كل ذلك في التراكم في الحجاب الحاجز،

ويتخمر في الأمعاء البشرية فينتفخ كل شيء. هذا هو السبب في أن الأجسام تطفو على السطح بعد فترة. تموت، تغرق، تتخمر، ثم تطفو على السطح". توقف للحظة واستدار نصف استدارة نحو "تاراس" والآخرين، وكأنه يتحقق مما إذا كانوا ما زالوا يتابعون ما يقوله، تابع قائلًا: "من الطبيعي أن تتم هذه العملية في الماء البارد بشكل أبطأ، وهذا يعني أنه مع كل عشر درجات تنخفض إليها درجة حرارة الماء، ينخفض معدل التحلل إلى النصف تقريبًا. هذا يعني أن كمية الغازات الموجودة في الجسم يمكن أن تساعدنا في تحديد وقت وفاة الشخص، ومن ثم نحتاج أيضًا إلى حساب عدد الميكروبات المختلفة التي تبدأ في اختراق الجسم من الخارج، من خلال مَسَام الجلد وما إلى ذلك".

وضع المِشْرَط على الصينية والتقط شيئًا أكبر لم يستطع "تاراس" تسميته. عندما أدار ظهره إليهم، وقام بالضغط على جسد "لاب"، شمع صوت طَقْطَقَة التَّشَقُّق وَالكَسْر. تابع قائلًا: "الاعتقاد بأن لا شيء يحدث عند أربع درجات مئوية هو اعتقاد خاطئ، إنما الأشياء تتفاعل، بشكل أبطأ فحسب. تعيش الميكروبات حية ومبتهجة حتى عند درجة حرارة العشرين تحت الصفر، وتبقى على قيد الحياة داخل المَسَام التي تنشأ عندما يجبر الجليد الأملاح على الخروج من الخلايا. بين هذه الشبكة من الرواسب، تتكون أسطح مفرطة التشبع تتكون من أنابيب صغيرة حيث تتركز جميع العناصر الغذائية التي تتغذى عليها الميكروبات وتنمو تتطور، وإن

كان ذلك يحدث ببطء. عند التنقيب عن عينات في بحيرة "فوستوك" تحت الجبال الجليدية في القطب الجنوبي كان هذا سبب عثورهم أيضًا على كائنات حية تعود إلى عشرات الآلاف من السنين وتمكنوا من إحيائها. لا حدود لقدرات الميكروبات". أشار "دوليس" إلى الجثة وقال: "أتمنى أن يقودنا هذا أيضًا إلى "فيربيتش". لا أريد أن أتصور أنه ربما يتضح أنه لم يكن مسؤولًا عن هذا أيضًا".

هل "فيربيتش" هو المسئول؟ هل سيجبرونه على التنحي عن القضية بعد الكارثة التي جرت على الهواء مباشرة بالتليفزيون ليلة أمس؟ هل سيعاقبونه بمنحه إجازة مفتوحة؟ هل سينتظرون ظهور العذراء مريم لتنقذه؟

قال "تاراس": "سوف تقود إلى "فيربيتش". "الشيء الإيجابي الوحيد في تتابع الجثث هو أن المعلومات تتابع أيضًا خاصة مع الجثث التي ما زال لديها رأس وبطاقة هوية في جيوبهم". "إنها مسألة وقت فقط". أومأ قاضي التحقيق بامتنان فقال "تاراس": "مجرد جثة أخرى أو جثتين وسنصل إلى المسئول". جحظت عينا "دوليس". قال "تاراس" الذي شعر بالأسف على قاضي التحقيق الشاب: "إنني أمزح".

على الأقل يملك "تاراس" خيار محاولة القيام بأي شيء بينما لا يملك "دوليس" سوى الانتظار.

***

قالت "ألينكا": "هل يجب أن نخبر بعضنا بعضًا بمن ضاجع

من أم لا ينبغي أن نتحدث عن ذلك؟". متى كان ذلك؟ قبل عشرين عامًا؟ اثنين وعشرين. قال "تاراس": "لا أريد أن أعرف. لا تخبريني حتى لو طلبت ذلك". قالت "ألينكا": "حسنًا". لماذا يفكر في هذا الأمر الآن دون أي غضاضة؟

***

مد يده إلى تليفونه على رف خلف رأسه. اتصل بـ"تينا" وانتظر. رنين.. عد إلى عشرة ثم أعاد التليفون إلى الرف. حدق في السقف لفترة ورأسه تتزاحم بالأفكار. مرة أخرى مد يده وضغط على زر إعادة الاتصال. أجابت "تينا" بعد ثلاث دقات وقالت: "مرحبًا؟". قال: "مرحبًا. أنا أتصل بك لأقول لكِ هذا الرجل الذي لدينا..". "ماذا؟". "لم يغرق. حسنًا، بل غرق، لكنه قُتل برصاصة في رأسه قبل أن يغرق". قالت بصوت يشبه الصدى: "قُتل برصاصة؟". "نعم. حسنًا، أردت إبلاغك بذلك فحسب". كان يتوقع أن تقول شكرًا لك أو أي شيء من هذا القبيل ثم تقول وداعًا، لكنها ظلت صامتة لبعض الوقت. قالت: "ما حدث على شاشة التليفزيون كان جلدًا بالسياط".

***

رمق المذيع "تاراس" بنظرة يشوبها الرثاء لحاله.

قال "تاراس": "أليس من الأفضل أن تركز على عملك وتدعني أقوم بعملي؟". قال صديق "تينا" بارتياح: "إنه جرد رئيسك من كل أسلحته. لقد أجهز عليه..".

***

قال "تاراس" ردًا على سؤالها: "لا أعرف، لم أشاهد البرنامج". ومع ذلك، بدا غير مبالٍ. سألته: "هل لا بد أن آتي إلى المكتب؟". الآن "تاراس" هو من سكت لبرهة ثم قال: "14 شارع "كوبر". أود أن أراكِ".

إن الوقت المتبقي يكفي بالكاد للاستحمام. دق الجرس. كانت ترتدي سترة شتوية وسترة ضيقة فوق بدلة رياضية وبمجرد دخولها وثب نحوها واحتضنها ودفع يديه داخل بنطالها وبعدما قبلها سحبها إلى الأريكة في غرفة المعيشة حيث أسدل الستائر المعدنية وأشعل مصباحًا أرضيًا ضوؤه خافت. دفعته بعيدًا بلطف ولكن بحزم، فرمقها بنظرة متسائلة، فقالت: "ستفعل يا "تاراس".. ولكن بعد هذا". ثم مدت يدها إلى جيب سترتها وأخرجت سيجارة ملفوفة يدويًا. سألها: "ماريجوانا"؟ أومأت "تينا"، فقال: "أنا لا أدخن". "ستدخن الآن". رمقته بنظرة جادة كأن كل شيء يتوقف على سيجارة "الماريجوانا" هذه، فقال: "لا أفهم".

ابتسمت. أخرجت ولاعة من الجيب نفسه وأشعلت السيجارة. أخذت نفسًا، واحتفظت به في صدرها لفترة طويلة حتى أخذها السُّعال قليلًا ومررت "الماريجوانا" إلى" تاراس" وهي تقول: "أود أن أسمعك الليلة وأنت تضحك، لم أرك تضحك قط.. من قلبك.. أود ذلك". لم يمد يده ليأخذها منها، فقالت: "إذا لم تأخذها، أقسم لك إنني سأعود إلى بيتي حيث ينتظرني صديقي الذي يظن أنني أتفقد الجثة التي أصابت رأسها الرصاصة وملأ رئتيها الماء". قال "تاراس":

"حسنًا. لن أدخنها إلا بعدما تخلعين ملابسك".

ابتسمت ومدت له يدها بـ"الماريجوانا" مرة أخرى. أخذها هذه المرة وسحب نفسًا سريعًا لأنها أوشكت أن تنطفئ. سحبت كنزتها فوق رأسها، خلعت صدريتها ثم وقفت، خلعت البنطال الرياضي، وجواربها وسروالها الداخلي. خلعتهم بأناقة ونعومة، ولكن دونما عجلة. جلست على الأريكة ورفعت ساقيها عليها واستدارت نحو "تاراس" وأحنت رأسها عند ركبتيها.

أخذ "تاراس" نفسًا آخر، وتَنَشَّقَه بشكل أعمق هذه المرة، مما جعله يسعل أكثر من "تينا". أعاد "الماريجوانا" وحاول تهدئة الارتعاش الذي شعر به في قصبته الهوائية. متى كانت آخر مرة دخن فيها؟ وقت أن كان يمارس التسلق؟ ربما لم يدخن أبدًا من بعدها.

طَبطَبَ على ركبتيها وتحسس باطن فخذها. لم تباعد ما بين ساقيها، ولكنها مررت "الماريجوانا" وقالت: "دورك".

ظلا صامتين لفترة طويلة. خمس دقائق، عشر دقائق، ربما أكثر؟ تلاشى الزمن وما زال "تاراس" يشعر بخَدر وتنميل في رأسه وجفاف في فمه. احتضنته ورأسها على صدره وداعبت حلمة ثديه. استقرت يده على مؤخرتها، وربت عليها برفق. سألته بعدما انتهيا: "متى تعود زوجتك؟". أراد أن يصرخ فيها من الغضب إلا أنه قال: "الثلاثاء، مساء الثلاثاء.. بعد غد". التزما الصمت مرة أخرى لفترة من الوقت. سألته: "وماذا

الآن؟".

أخذ "تاراس" يطوف بيده، بإصبع الوسطى، على طول عمودها الفقري، من رقبتها إلى أسفل ظهرها وحتى بداية الشّق الذي بين ردفيها ثم قال: "لا أدري". "ماذا تقصد بـ"لا تدري"؟ هذه ليست المرة الأولى لك، أليس كذلك؟"، ولما لم يرد على الفور قالت: "لا يهم إن كانت المرة الأولى أم لا. كنت أتساءل فقط. إنها المرة الأولى لي، إذا كنت تريد أن تعرف". "لماذا تعتقدين أنها ليست المرة الأولى لي؟". ابتسمت واستدارت ورفعت نفسها على مرفقيها، ونظرت إليه من مسافة قريبة، على بعد عشرة سنتيمترات من عينيه. "كما قلت. إنها المرة الأولى لي، وأرى أنها ليست كذلك بالنسبة لك".

حدقت به وانتظرت. عندما لم يقل شيئًا، ابتسمت ومسّدَت شعره، ثم قالت: "لكن لا يهم". ابتعدت عنه، وجلست على حافة الأريكة وبدأت في جمع ملابسها.

قال: "إذا رغبتِ، يمكنك البقاء". "هل تريد ذلك حقًّا؟".

نظرت في عينيه، ووجها ما زال يحمل ابتسامتها نفسها عندما مررت له "الماريجوانا" أو عندما سحبت حزام بنطاله. أومأ. "وماذا أقول لصديقي؟ أنني نمت في المشرحة؟".

عندما غادرت جلس على الأريكة عاريًا لبرهة وهو يشعر بخَدر وتنميل، ثم وقف وفتح النوافذ المائلة للتخلص من رائحة "الماريجوانا" وذهب ليستحم. تخلص من رماد

"الماريجوانا" في المرحاض وتأكد أنه صرّفها كلها بماء السّيفُون. وقف تحت الماء الساخن لفترة طويلة، وبينما كان يجفف نفسه ظن أنه سمع صوت سيارة خارج المنزل. رن جرس الباب فركض إليه وهو يتلفف بالمنشفة. لو لم يكن تحت تأثير "الماريجوانا" حتى الآن، لأدرك على الأرجح أن السيارة التي وصلت إلى المنزل غادرت أيضًا.

ابتسمت له "ألينكا" وقالت: "مرحبًا. أنا المرأة الوحيدة في هذا العالم التي لم تَكِل وَلم تَمل من زوجها بعد عشرين عامًا من الزواج. وها هي تعود إلى منزلهما كي تُبدي الندم". دخلت الردهة وعانقته، فجَفل عندما لامست سترتها الباردة جلده. قالت: "اشتقت إليك يا "شيرلوك هولمز".. كيف عرفت أنه أنا؟". عانقها، حاول دماغه الذي ما زال تحت تأثير المخدر وفي حالة هلع أن يجد الإجابة الصحيحة لسؤالها. تابعت قائلة: "أم أنك أصبحت تفتح الباب لأي أحد بمنشفة ملفوفة حول مؤخرتك؟". قال: "تعرفت على صوت سيارتك".

أدرك أن كلامه خرج من فمه ثقيلًا وملعثمًا وكأنه قد انتهى لتوه من احتساء ست عشرة زجاجة بيرة. أي سيارة تلك التي تعرف على صوتها؟ إنها لم تأتِ بسيارتها على أية حال؟

لم تُعقّب على هذه النقطة. نظرت إليه وسحبت فوطته وهي تقول: "سأستحم أنا أيضًا ثم أنضم إليك".

بينما كانت "ألينكا" في الحمام، تفقد غرفة المعيشة، حتى إنه أخذ يشم رائحة الأريكة للتأكد من عدم وجود آثار لعطر

"تينا" أو لأي بقعٍ، ثم جلس وحاول أن يجمع شتات أفكاره.
قام بتحويل تليفونه إلى الوضع الصامت، وبذلك لن يضطر أن يرد إذا اتصلت "تينا" ولن يضطر إلى أن يبرر لزوجته سبب الرسائل التي ترد إليه في منتصف ليل الأحد، ثم قام بتشغيل التليفزيون وكأنه قَلِق من أن يخونه صمته ويُقِر لها بالحقيقة.

الفصل التاسع والثلاثون



الاثنين 15 يناير

تجاوز "تاراس" الحارس في التاسعة وخمس دقائق وهو ما يعني أن الجميع وصلوا المكتب حتمًا.. "برايك" و"أوسترتس"، وكذلك "تينا". إنه لا يريد أن يلتقي بها على انفراد، لا، بل لا بد أن يحاول أن يلتقي بها على انفراد في الحقيقة، حتى يمكنه أن يرافقها لتناول القهوة ويخبرها بما لا بد منه.

***

بمجرد أن فتح الباب ورأى "ألينكا" أمامه وهي تمسك بحقيبتها وزلاجاتها في حقيبة من الخيش، شعر بالإعياء من الدهشة والذعر وهو يتصور ما يمكن أن يحدث لو أنها وصلت قبل خمس دقائق فقط من الآن. كيف سيتجرأ وينظر في عينيها مرة أخرى؟ لا، سوف ينظف آثار ما حدث ولن يُكرر ما فعله مرة أخرى أبدًا. لن يؤذي مشاعرها، ولن يدمر كل شيء

بنياه معًا على مدار العشرين سنة الماضية. قال لنفسه أيضًا بعدما بدا أنه ملك زمام الموقف، كيف يمكن أن ينتقل مرة أخرى إلى شقة بغرفة نوم واحدة وهو في هذه السن الكبيرة. إن من سيحملهم بين ذراعيه من أطفال في مقبل الأيام، ويغير لهم الحفاضات، ويهرول للبحث عن مساعدة طبية طارئة من أجلهم سيكونون أحفاده على أقل تقدير.

لمحه الحارس وهو يمر في اللحظة الأخيرة فصاح بأقوى صوت قائلًا إن "درفاريتش" يبحث عنك. مشى "تاراس" في الممر الطويل إلى المكتب وهو يتنهد بنوع من الخوف يشبه إلى حد ما ذاك الذي ينتاب الممثل وهو على خشبة مسرح ثم فتح الباب. لم يجد أحدًا، الغرفة خالية. خطا إلى مكتبه ووجد ورقة مكتوبًا عليها ملحوظة بخط يد "تينا"، لا بد أنها من كتبتها فالخط ليس لـ"برايك" ولا لـ"أوسترتس": "نحن في مكتب كريستان. حاولت الاتصال بك، ولكن تليفونك غير متاح".

أخرج تليفونه من جيبه، وضبط نغمة الرنين على الوضع النشط، وأخرج أربعين سنتًا من محفظته وخرج إلى الممر حيث توجد آلة المشروبات. انتظر قهوته. لم يكن ليذهب إلى أي مكان بدون قهوة.

لأنه مشى على مَهْل، استغرق الأمر عشر دقائق حتى وصل إلى مكتب "كريستان" وأخذ يرشف قهوته على طول الطريق. كان صباحًا صافيًا نسماته مُنعشة ولطيفة. عندما انعطف عند الزاوية استطاع رؤية الثلج على سلسلة "كامنيك" بجبال

الألب البعيدة. هل انخفض مستوى خطر الانهيار الجليدي بالفعل إلى ما دون اللون البرتقالي؟

دخل بهو مبنى قريب من ناطحة "نيبوتيتشنيك" الشهيرة، ولوح ببطاقته الشخصية للبواب الذي أومأ برأسه بلا مبالاة، وواصل صعود السلّم حتى الطابق الثالث ثم إلى الباب الذي كتب عليه "أندريه كريستان" كبير مفوضي الدولة وتحتهما كتب MA"" أي حاصل على درجة الماجستير. طرق على الباب ثم حيّا السكرتيرة التي ابتسمت وأشارت إليه كي يكمل طريقه إلى مكتب "كريستان". التقت به في منتصف المسافة ورافقته حتى الباب، طرقته ثم أعلنت عن وصوله قائلة: "وصل السيد "بيرسا".

جلس "بيرسا"، ضابط الشرطة، بطل عصره وأوانه، في نهاية طاولة سوداء طويلة و"درفاريتش" إلى يساره وزملاؤه الثلاثة إلى يمينه. عندما دخل "تاراس" توقف من كان يتحدث عن الكلام، ويعتقد "تاراس" أنه كان "برايك" على الأرجح.. انتظروه حتى جلس بجوار "أوسترتس" ولم ينظر إلى "تينا" رغم أنه شعر أنها صوّبَت عينيها نحوه عندما دخل. حيّاهم جميعًا بلا اكتراث قدر إمكانه. فاجأ "كريستان" "تاراس" الذي جهز ردًا يبرر به تأخيره ولم يكن بحاجة إليه لأن "كريستان" فاجأه قائلًا: "من الأفضل أن ندخل في الموضوع ونستعرض الأحداث كلها بإيجاز". كان "تاراس" ينوي أن يقول: "تأخرت بسبب قضائي النهار بطوله في "بوهيني"، والمساء بطوله في معهد طب التشريح". وعندما

فكر في الرد شعر بالخجل من نفسه لأنه بعد ثلاثين عامًا ما زالوا يضطرونه لاتخاذ رد فعل مُخزٍ. لماذا ينبغي عليه أن يبرر لـ"درفاريتش" و"كريستان" سبب تأخره خمس عشرة دقيقة؟

بدأ "درفاريتش" يتحدث بينما ظل "كريستان" الجالس إلى جواره، صامتًا كعهده دائمًا، كأنه يختبر مدى قدرة "درفاريتش" على نقل أفكاره إلى مرؤوسيه، فقال: "تاراس"، لا أعرف كيف أقول هذا دون أن يُساء تفسيره. نحن لا نريد أن تتعقد الأمور أكثر الآن بما أنها اتضحت".

لقد ألقوا به في عرين الأسد والآن يرى ضمائرهم تؤنبهم. لا، لن ينحوه عن القضية.

نظر "درفاريتش" إلى "كريستان" الذي ظل ساكتًا ويبدو أنهما يعدان هذه النظرات نوعًا من الإشارات غير المرئية. قال "تاراس": "إن الأمور معقدة منذ البداية لكنني لا أعرف مَن تقصد بـ"نحن"، ولا ما هي الأشياء التي اتضحت الآن؟". نظر "كريستان" و"درفاريتش" إلى بعضهما بعضًا.. الأمر واضح وضوح الشمس هذه المرة.

أجاب "درفاريتش": "المقصود بـ"نحن".. كلنا. أما ما هي الأشياء التي اتضحت، لقد اتضح من القاتل في هذه القصة". "أية قصة؟". تنحنح "كريستان" فاستدار الخمسة نحوه فقال: "دعونا من ذلك.. هَيّا يا "درفاريتش"، لماذا لا تخبرنا بما تريد أن تقوله الآن فحسب؟". قال "درفاريتش": "لدينا نسخة مطبوعة من مكالمات "فيربيتش". ثم سكت ونظر

إلى "تاراس" الذي سأله: "ثم؟". "يا "برايك"، هلّا تفضلت؟". استدار "درفاريتش" إلى "برايك" الذي أومأ له، ثم قال: "حسنًا، لدينا قائمة بالمكالمات التليفونية وبناء عليها اكتشفنا أمرين؛ الأول، أن المدعو "فيربيتش" لم يذهب إلى "بوهيني" في ديسمبر الماضي، بل إنه لم يذهب في الواقع إلى "بوهيني" على الإطلاق، ولا حتى مرة واحدة". علق "درفاريتش" دون داعٍ قائلًا: "وهذا بالطبع لا يثبت أنه لم يكن موجودًا هناك بالفعل. فمن حيث المبدأ، تليفونه لم يكن موجودًا هناك، إنما..". سأل "تاراس": "هل كان التليفون معه عندما قُتل "هليب"؟". قال "برايك": "نعم، والأمر الثاني أنه قبل عيد الميلاد مباشرة، في الثالث والعشرين من ديسمبر، اتصل بشخص ما في "بوهيني". ابتسم "تاراس" وقال: "وهذا الشخص لم يكن "هليب"؟". تفاجأ "درفاريتش" فقال: "ماذا؟ هل تعرف بمن اتصل؟". قال "تاراس" باستخفاف: "بما أنه اتصل بشخص ما في "بوهيني" وبما أن الأمور أصبحت أكثر تعقيدًا فلا يمكن أن يكون هذا الشخص سوى السيد "ميهليتش". لم تفته النظرة التي تبادلها "درفاريتش" و"كريستان" لبعضهما بعضًا، والتي تلحظ بالكاد، فتابع قائلًا: "يمكنكما أن تخبراني أنتما الاثنان ماذا يعني ذلك".

لمح "تاراس" تواصلًا عابرًا بالأعين بينهما مرة أخرى ثم نظر إليه "درفاريتش" كأن بين الاثنين نوعًا من التخاطر وتوارد الأفكار حسبما اعتقد "تاراس"، ثم قال "درفاريتش": "إن "ميهليتش" اشتكى منك بعد لقائكما الأخير، أنت لا تدري شيئًا

عن هذا، أليس كذلك؟". هز "تاراس" كتفيه استهجانًا وقال: "آخر مرة تحدثنا فيها بدا متحمسًا، بل إنه أهداني حقيبة من مكملات "الجلوكوزامين" الغذائية". تحدث "كريستان" أخيرًا وقال: "لقد اتصل بمديرية الأمن العام وهدد - وأنا أقتبس الآن من كلامه - بإثارة ضجة إذا لم تزيحوا - وأقتبس من كلامه مرة أخرى - هذا المحقق الجنائي عن طريقي. هذا ما قاله تقريبًا، فوعدته أنه لن يرى هذا المحقق مجددًا.. أي أنت". قال "تاراس" ساخرًا: "حسنًا، مهما يكن، لماذا لم يقل ذلك منذ البداية حتى نوفر على أنفسنا السرور الذي أدخله لقاؤنا على قلبينا؟". قال "كريستان": "عليك أن تتفهم أشياء معينة يا "تاراس".

الآن تغيرت طبقة الصوت التي اختارها "كريستان"، فأصبحت أكثر رسمية وأعلى بعدة درجات مما كانت عليه في السابق.

سأله "تاراس" وهو يتجاهل الحد الفاصل الذي يحاول "كريستان" رسمه بينهما تجاهلًا واضحًا: "ما الذي يجب أن أتفهمه؟". "أن هناك شيئًا نسميه المصلحة العامة، وهناك أيضًا شيء نسميه في الشرطة التسلسل الهرمي للمناصب الوظيفية".

اكتسى وجهه بتعبير يحمل تهديدًا ووعيدًا، وظلت عيناه الرماديتان تحدقان بـ"تاراس"، الذي فاجأه ذلك لبرهة، فتململَ على كرسيه ثم ابتسم.

قال "تاراس" بعد دقيقة من الصمت المنذر بخطر وخيم: "هناك أيضًا شيء نسميه قانون تنظيم عمل الشرطة الذي يضمن الحماية لأي شخص يحاول رؤساؤه إجباره على شيء يخالف هذا القانون. أنا على قناعة، وفقًا لهذا القانون ذاته، وبعد هذه المكالمات التليفونية ذاتها، أنه ينبغي أن أذهب إلى "ميهليتش" أو حتى أتصل به لإجراء مقابلة استقصائية، وإذا رفض فا..". قاطعه "كريستان": "لقد فعلنا". "فعلتم ماذا؟". "ستعرف كل شيء، ولكن أولًا وفيما يخص القانون والحقوق وما إلى ذلك.. اسمع يا "تاراس"، إذا فصلتك من العمل غدًا وإذا ألمحت لأصدقائك الأعزاء في تليفزيون "آر تي سلوفينيا" أنني سأفعل ذلك لأنه بات من المستحيل العمل معك من الآن فصاعدًا، هل تظن أن كثيرين سيقفون إلى جانبك؟".

نظر إليه كأنه يتوقع ردًا منه. بالطبع لم يحاول" تاراس" أن يعطيه أي رد فتابع قائلًا: "ولا واحد. لذا كُف عن التباهي والاختيال بنفسك وأنصت لي. نحن جميعًا في القارب نفسه. حسنًا، توجهت أنا و"درفاريتش" بالأمس إلى.. بلدية "سلوفينسكة كونيتسه" حسنًا، لست الوحيد الذي يعمل في أيام الأحد.. وأجرينا مع "ميهليتش" مقابلة هي الأكثر ودية في تاريخ الشرطة السلوفينية. إن السكرتيرة تقوم الآن بكتابة المحادثة التي جرت بيننا وستكون على مكتبك في غضون عشرين دقيقة. هل هذا مناسب؟". راقبه "تاراس" لثانية أو ثانيتين، بل ظل يحدق في وجهه دون مواربة

وبِصَفَاقة. لقد نجح بالتأكيد في الحفاظ على هدوئه، وينبغي ألا ينكر ذلك، فقبل ثوان فقط كان ينذره ويتوعده. "سيخبرك هذا التقرير المطبوع أنه تحدث إلى "فيربيتش" بعدما اتصل به الأخير وحاول إقناعه على ما يبدو بأنه من ينبغي أن يُنسب له الفضل في اكتشاف بعض الأدوية والتي من الواضح أنك تعرف كل شيء عنها". لم يرد "تاراس". فتابع قائلًا: "لقد تحرينا. في الواقع لم يتصل أحد سوى "فيربيتش". قال "تاراس": "لماذا يجب أن أتولى..". ثم صحح كلامه قائلًا: "لماذا يجب أن يتولى فريقي هذه القضية؟". ابتسم "كريستان"، كأن لسان حاله يقول: أليس السبب واضحًا لك؟ ثم قال: "لأننا اعتقدنا، وما زلنا، أن هذا هو أفضل ما يمكننا تقديمه لهذه القضية. وإذا اضطررنا إلى تغيير رأينا، فعليك اللعنة إذًا يا "تاراس".

قصد أن يقول "أحسنت".. كلمة مديح ودودة، فرغ معناها وصبه في قالب كلمة بذيئة.. "اللعنة". من الواضح أنهم كانوا سيوبخونه في المنزل في حال خسارتهم لطبيبة أطفال أحفاده.

تابع "تاراس"، متجاهلًا النبرة الودودة التي تحول إليها "كريستان" دون مقدمات قائلًا: "انتظر، أود حقًا أن أعرف. خلال الأسبوعين الماضيين انتابني شعور بأننا نحن الثلاثة فقط، آسف، نحن الأربعة..".

ابتسم لـ"تينا" للمرة الأولى منذ دخوله الغرفة وعندما نظر إليها بدت إلى حد ما مُشتّتة الذهن، فتابع قائلًا: "حسنًا، أعني

نحن الأربعة فقط من اهتم بالكشف عن قاتل فتاتنا". بادره "درفاريتش" قائلًا: "كيف خطر على بالك يا تاراس أن..". لكن "كريستان" قاطعه قائلًا: "أنت لا تظن بالتأكيد أن هناك نوعًا من التواطؤ بين الشرطة و"ميهليتش"؟ بالتأكيد أنت لا تظن أنه قتلها أو جعل أحدًا يقتلها أو أيًا ما كان؟ ". قال "تاراس": "لماذا تستبعدون أن شخصًا ما فوق الشبهات.. أي شخص لا يمكن أن يقتل إنسانًا أو يجعل أحدًا يقتله؟". قال "كريستان": "لأنه.. اللعنة، لأنه يعمل في مجال تجاري يتجاوز رأسماله المليارات ويمكنه أن يخرج هذا البلد بأكمله من الورطة المالية الذي وقع فيها، ويؤمن له الأموال كي يدفع رواتب الناس من أمثالنا. ليس لدينا جميعًا زوجات ثريات مثلك يا "تاراس" وهو ما يجعل الأمر لا يعنيك في شيء". قال بعد بضع ثوان من الصمت: "آسف، لقد خرجت عن الموضوع". نهض "تاراس" وتوجه نحو الباب. قفز "درفاريتش" وراءه وهو يقول: "اللعنة عليك يا "تاراس".

ضحك "تاراس". فهذا اللفظ البذيء هو أول شيء حقيقي تفوه به "درفاريتش" منذ وقت طويل. قال "تاراس": "أنا في انتظار التقرير، تمام؟ وأضف إليه قائمة بأسماء من يتمتعون بالحصانة، حتى لا أضيع وقتي".

أغلق الباب وأخذ نفسًا عميقًا. زوجة ثرية! وماذا عن عشرين عامًا لم تكن الزوجة فيهم ثرية؟

تبعه الآخرون إلى المكتب بحوالي خمس دقائق وجلسوا على مكاتبهم صامتين. جلس "تاراس" أمام جهاز الكمبيوتر

يقرأ العناوين الرئيسة. مرت بضع دقائق قبل أن يبادر "برايك" بالحديث ويقول: "ما الذي يضيرك في كل هذا؟". رفع "تاراس" رأسه من وراء الشاشة. أخذ كل من "برايك" و"أوسترتس" و"تينا" يتطلعون إليه في ترقب. تابع "برايك" قائلًا: "دع "كريستان" و"درفاريتش" يقومان بالعمل الميداني بدلًا منا. هل تعتقد أنهم سيخبروننا بأكثر مما سيخبرونهم به؟ أظن أن هذا شيء رائع".

فتح "برايك" ذراعيه كنوع من التوكيد على ما قاله، ثم نظر نحو "أوسترتس" و"تينا"، كأنه يريد توكيدًا منهما أيضًا، فاضطر "أوسترتس" أن يومئ له وهو يقول: "عندك حق، دعنا نذهب لتناول القهوة".

***

جلست "تينا" أمامه وظلت تراقبه. على عكسه، لم تنظر بعيدًا عندما التقت أعينهما مما أشعر "تاراس" بالحرج، على أمل ألا يلاحظ أي من "برايك" أو "أوسترتس" ذلك، وإذا لاحظا، فإنهما سيفترضان أن هذا الحرج بسبب ما حدث في الاجتماع الذي خرجوا منه لتوهم. رفع فنجان قهوته الثاني لهذا الصباح، هذا إذا احتسب فنجان القهوة الذي ابتاعه من ماكينة المشروبات. قال "تاراس": "ماذا عن سجل المكالمات التليفونية؟". اندفع "برايك" وهو يضرب جبهته قائلًا: "نعم، بالتأكيد! أنت لا تعرف حتى أهم ما حصلنا عليه. لم نحصل على سجل المكالمات التليفونية لـ"فيربيتش" المخبول فقط.. ". رمق "تاراس" بنظرة المنتصر. أكمل "تاراس" جملته قائلًا:

"بل لديك أيضًا سجل مكالمات المدعو "لاب"، ثم ماذا؟". بدت خيبة الأمل على وجه "برايك" الذي قال: "لا تقل إنك تعرف أيضًا بمن اتصل في اليوم السابق لوفاته المفترضة؟". "اليوم المفترض قبل وفاته، وليس اليوم السابق لوفاته المفترضة..". "ماذا؟ ". "لا شيء، انْسَ ما قلت.. هَيّا أخبرني، بمن اتصل؟". "زيدار".

توقف وراقب "تاراس" ولأن "برايك" بدا كأنه لا ينوي إنهاء جملته، سأله "تاراس": "أي "زيدار"؟". تابع "برايك" ببطء قائلًا: "زيدار" الذي سيبقى في السجن لسبع سنوات قادمة، حسنًا، بل خمس في الواقع؛ لقد قضى بالفعل عامين من المدة".

هرَش "تاراس" ذقنه، ثم أخذ رشفة من قهوته. كانت إيماءة لا شعورية لكن الجميع، حتى "تاراس" نفسه، يعرف معناها. كان في حاجة إلى ثانيتين لمعالجة المعلومات ووضعها في مكانها المناسب في سياق الأحداث لكن المشكلة أنه لم يجد لها مكانًا مناسبًا هذه المرة. منذ البداية بدت هذه القضية وكأنها تتحدى أي تفسيرات وحسابات منطقية، فكلما ظن أنه أمسك بطرف خيط، بشيء يقتدي به، بقطعة يكمل بها أحجِية الصور المتقطعة التي قد تقوده إلى مكان ما، قد تقوده إلى القطع الأخرى، قد تقوده - كما يحب أن يقول - إلى إزاحة الستار عن وجه "الموناليزا"، والآن كل شيء خذله، كل شيء تبدد. الآن يحمل هذه القطعة الجديدة في رأسه، ويبحث لها عن مكان يناسبها في الصورة الكلية، في الصورة

الكلية للأخجية، لكنه لم يجد. سألت "تينا": "هل هو "زيدار" الذي أدين في بعض الاختلاسات المالية؟". هز "تاراس" رأسه بالنفي وهو يتطلع إلى وجهها أخيرًا. تضاربت مشاعره وهو ينظر إليها. من ناحية، تمنى لو لم تكن موجودة، ومن ناحية أخرى تمنى أن ينفرد بها وأن يكونا عاريين. إنه غادر المنزل هذا الصباح عازمًا على إخبارها بما لا بد منه، والآن بدأ هذا العزم في الذوبان مثل جليد أبريل. أوضح "برايك" قائلًا: "لا، أنت تتحدثين عن "زيدار" المصرفي بأحد البنوك والذي أدين لكنه استأنف. وصدقوني، قد لا يدخل السجن مطلقًا. الرجل الذي نتحدث عنه هو الملك الحقيقي الذي يتصدر مشهد المخدرات في ليوبليانا، وربما في سلوفينيا كلها. الرجل الذي استولى على مسرح الجريمة في بلدنا وانتزعه من المافيا الصربية وحتى الألبانية واستقل به بشكل أو بآخر. فلنرفع له القبعة! لديهم في مديرية الأمن العام قائمة بأسماء أشخاص يعرفون أنه قتلهم، لكنهم عجزوا عن إثبات أي شيء ضده، بل لم يتمكنوا من إدانته بأي جريمة إلى أن قبضوا عليه بتهمة حيازة الكوكايين بِمُوجِبِ التنصُّت على تليفونه. فحكم عليه بسبع سنوات، وهي عدد الكيلوجرامات نفسه التي وجدوها في حوزته، إن لم أكن مخطئًا". قال "تاراس" وهو يضع فنجان قهوته على الطاولة: "لم نضطر إلى التعامل معه مطلقًا، وللصدق، هذا يسعدني".

لم يتوقف الأمر فقط على أنه من الصعب جدًا إثبات أي شيء ضد "زيدار"، لأن أولئك الذين اشتركوا معه في الجرائم

لم يشهدوا ضده، بل إن ما أزعج "تاراس" هو أنه بصفته مراقبًا خارجيًا للقضية المرفوعة ضده، شعر مرارًا وتكرارًا أن "زيدار" يسبق دائمًا التحقيقات بخطوة. إنه شيء لم يستطع تفسيره بأي طريقة غير أن هناك رجلًا.. رجلًا داخل قوات الشرطة يعمل لحساب "زيدار"، رجلًا ليس من رجال المباحث السريين، بل ممن يشغلون أعلى المناصب، وهي الطريقة نفسها التي يضرب بها "كريستان" حصارًا حول "ميهليتش" كي يحصنه. لا يستطيع "تاراس"، المحقق الجنائي الرئيس المسؤول عن القضية الوصول إلى الرجل الذي يَرِد اسمه في كل مرة يظهر فيها أي شيء جديد. قال "تاراس": "حسنًا، من الواضح أننا مضطرون إلى ذلك الآن، إذا لم يكن اسم "زيدار" على قائمة من يتمتعون بالحصانة". سألت "تينا": "أنت لا تعتقد أن "ميهليتش" له علاقة بفتاتنا، أليس كذلك؟".

كانت ترتدي بنطال جينز وسترة حمراء على غرار السترات النرويجية النمطية البيضاء، قديمة الطراز جدًا، وفكر "تاراس" في أنها ربما لم تكن قد ولدت بعد عندما أصبحت مثل هذه السترات موضة لأول مرة. رفعت شعرها على شكل ذيل حصان مما جعلها تبدو أصغر من سنها. بدت مثل طالبة في الصف الأول. سألها "تاراس": "لماذا تعتقدين أنني لا أعتقد أن "ميهليتش" وراء كل هذا؟". "هل ستترك "كريستان" يقصيك عنه هكذا؟".

ابتسم "تاراس" وهيئ له أن وجهها احمر خجلًا، فقال لنفسه: ها هي ذا كعادتها.. جميلة وذكية وساذجة. أجابها

قائلًا: "رائع أن يكون هذا رأيك في شخصي".

ازداد احمرار وجهها وكي تداري إحراجها خبأته خلف فنجان قهوتها. كلما زاد شعورها بالإحراج، تراجعت رغبته في التحدث إليها عما ينبغي أن يقوله لها اليوم، ثم تابع قائلًا: "لا، لا أعتقد أنه وراء ذلك". سألت من وراء فنجانها: "لأن؟". تساءل "تاراس" عما إذا كان "برايك" و"أسترتس" قد فطنا إلى أنهما لا يتحدثان عن القضية فقط. اختلس نظرة. تأمل "برايك" المُغيّب خاصة أن لا امرأة خلعت ملابسها أمامه في السنوات الخمس عشرة الفائتة، ناهيك عن امرأة جميلة، فوجده يضع يديه فوق الطاولة ويبسط لهم راحتيه. قال "تاراس": "ما الذي يدعو الرجل العجوز لأن يفعل ذلك؟".

بعدما تأمل "برايك" نظر إلى "أوسترتس" الذي ربما يحل لغز قضية قاتل الفتاة التي لا يتجاوز عمرها ثلاثين عامًا دون أن يفطن إلى أن رئيسه قد ضاجع الفتاة التي تتدرب لديهم في المكتب، فوجده جالسًا مستقيم الظهر على كرسيه، ممسكًا بكوب الشاي وقد ضمه إلى حضنه. لم يهم كي يتناول أول رشفة منه إلا بعد وصولهم للمقهى بالفعل بعشر دقائق ثم قال: "ولكن ماذا لو كان مذنبًا؟". أومأ "تاراس". ظل "أوسترتس" يفكر بإمعان في الثواني الخمس أو الست التالية وهو يمسك بكوبه بكلتا كفيه. قال "تاراس": "لا أعتقد أنه مذنب".

نظر "تاراس" إلى زملائه الثلاثة كأنه يحاول أن يستشف إذا كان أحدهم يريد أن يضيف أي شيء آخر أم لا، ولما لم يفعل

أي منهم قال: "أنا لا أعتقد ذلك". انتظرت "تينا" أن يستكمل كلامه، أن يفسر، لكن من الواضح أن "تاراس" لم يكن ينوي أن يقدم لهم أي تفسير، فقالت: "أنت لا تعتقد ذلك. كيف وهو الوحيد الذي ثَبُت أنه على اتصال بجميع الأطراف المعنية بالقضية.. حتى الآن".

نظر الرجال الثلاثة الجالسون إلى الطاولة إلى بعضهم بعضًا. ابتسم "تاراس" ثم قال: "أين تظنين نفسك يا "تينا"؟ إن الشرطة بالكاد أفضل من الجيش. عندما يقول جنرال الجيش اقفز، ينفذ الجندي أمره ويقفز، هكذا تسير الأمور هناك. أما الشرطة، فقد قال الجنرال إنه أجرى المقابلة الاستقصائية مع جنرال آخر - لأن "ميهليتش" يعد جنرالًا أيضًا في ميدان عمله - أما الجندي، الذي هو أنا، ولأننا لسنا بالجيش، يغضب بعض الشيء، وهذا كل شيء. والسؤال هو: هل لأنه جنرال في ميدان عمله ولأنه رجل يتسم بالغباء هي أسباب كافية تجعلنا نعد "ميهليتش" مذنبًا؟ لا أعتقد أنه مذنب. لا أعتقد أنه الشخص الذي قطع رأس فتاتنا". "من إذًا؟ "زيدار"؟".

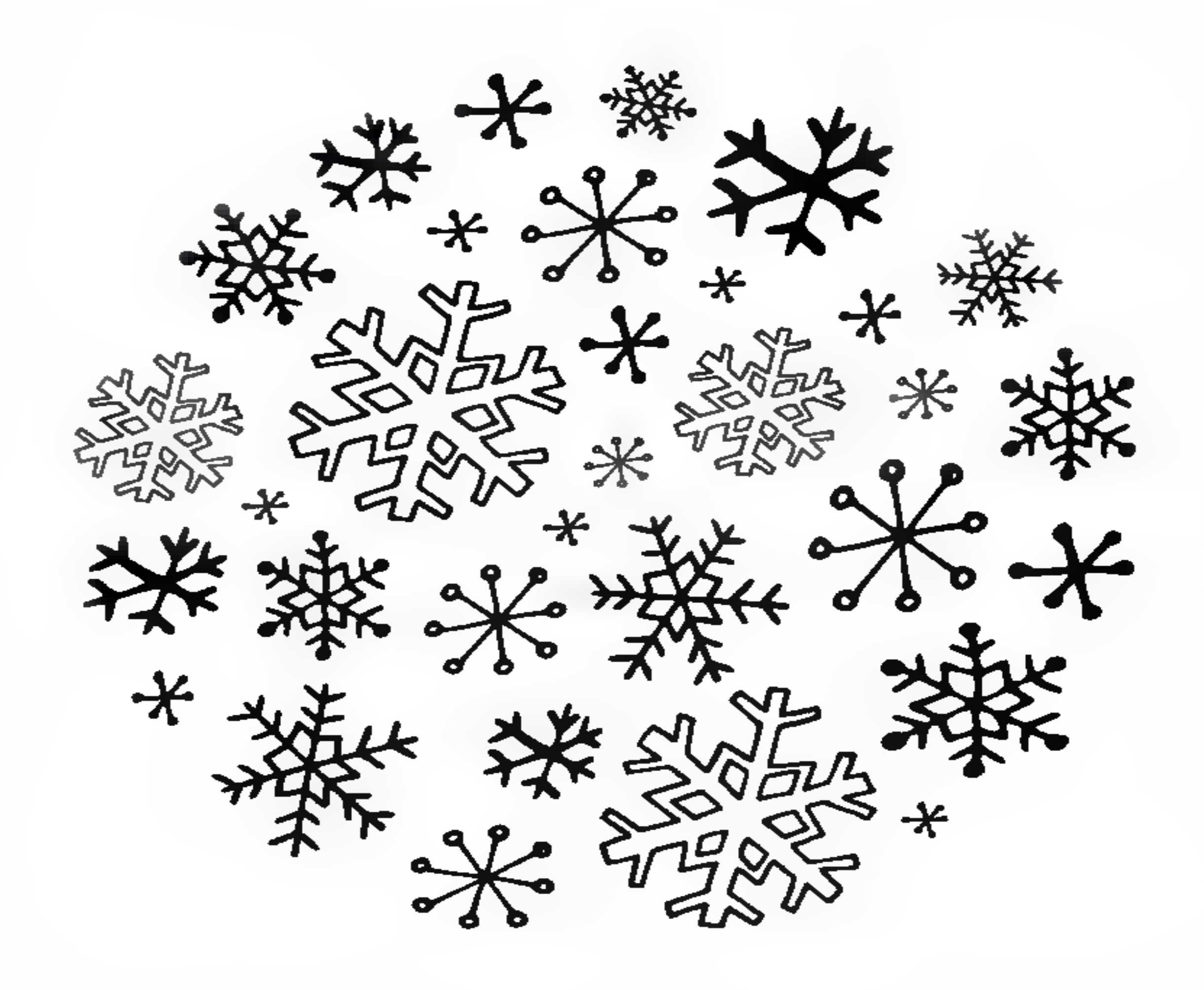
وضع "تاراس" كوبه الفارغ على المنضدة، والتقط البسكويت المغلف بالبلاستيك بإصبعين ثم وضعه مرة أخرى في الطبق وهو يقول: "لعل "زيدار" أرسل "لاب" في أعقابها، ولكن على حد علمنا، فإن "لاب" مجرد تاجر مخدرات تافه، وليس ذاك القاتل المأجور بالمعنى المعروف.. ويظل السؤال: من قتله بعد ذلك؟ قائمًا". تطلع إليهم جميعًا مرة أخرى ثم

قال: "لا أدري، لكن ليس هذا هو المهم الآن.. فلتنتهيا أنتما الاثنين من "ستارا فوجينا" أو "يسينيتسه"، وسنرى هل سيقودكما ذلك إلى أي شيء أم لا بينما سأذهب أنا كي أقابل "زيدار". سألت" تينا": "ماذا عني؟ هل سآتي معك؟". هز "تاراس" رأسه بالنفي وقال: "لا، ستقومين بعمل آخر. اتصلي بصحيفة "ديلو" واطلبي منهم أي وثائق تخص "زيدار" في أرشيفهم، وأطلبي منهم إرسالها إليك بالبريد الإلكتروني وإذا كان لديهم أي شيء أقدم، فانتقلي إلى هناك وتحققي من ذلك أيضًا". رمقته بنظرة تنم عن حيرة. قال: "اتخذت الوثائق في السنوات العشر الماضية أو نحو ذلك صورة رقمية، ما قبل ذلك ستجدينها في صورة أوراق، وعلى أية حال فإنهم قد لا يملكون أي شيء عن "زيدار" مضى عليه أكثر من عشر سنوات".

لقد استمعت إليه ورغم أنها شعرت بخيبة أمل فإنها لم تظهر ذلك. إنه لا يريدها معه، وهذا شيء سيئ بما فيه الكفاية كما كان. سألته: "ما الذي يجب أن أبحث عنه بالضبط؟". هز كتفيه ثم قال: "ابحثي عن ضحيتنا. هذا ما فعلناه طوال الوقت على أية حال.. حتى يُطلب منا القيام بشيء آخر".



الفصل الأربعون



كان قسم المخدرات غير المشروعة التابع لشعبة الجريمة المنظمة في مديرية الأمن العام هو المسؤول عن "زيدار"، ويختص هذا القسم عادة بأنشطة ثانوية حيوية أخرى من الممكن إدراجها بسهولة في قسم جرائم القتل والانتحار وقسم التعذيب الجنسي، ورغم هذا الشد والجذب بين خدمتين وعلى مستويين، فاز أقوى القسمين بالحق في الاختصاص. مرت على "تاراس" مرحلة في حياته أخذ فيها هذا العمل على محمل التحدي لأنه عَدّه إسهامًا منه من أجل مجتمع أفضل. لقد مرت هذه الفترة منذ أمد بعيد. فيما يتعلق

بالجريمة المنظمة، كان رأيه متسقًا مع الرأي السلوفيني العادي: "ابحث عن حبل واشنقهم". لقد مر بما يكفي من الخبرات البوليسية ليعرف أن هذا لم يكن عمليًا من ناحية الممارسة وأنه قد يصبح وافيًا ومقنعًا لو أن الشرطة تتمتع بسلطات أوسع فيما يتعلق بفرض السيطرة، وإثبات مصادر الثروة، والاستيلاء على أصولها وأشياء من هذا القبيل، ورغم هذا فإن "زيدار" يستحق بلا ريب ما لا يقل عن حكم بالشنق، فقد قُبض عليه بعد التنصّت على تليفونه المحمول، رغم أنه دأب على تغيير في أغلب الأحيان أرقام هواتفه المحمولة، حتى إن "تاراس" حزم أمره بشأن هذا الرجل، لكنّ زملاءه لم يفعلوا ذلك. هل اقتصوا من الجثث الأربع التي كانت على اتصال به؟ هل تحققت العدالة؟ هل هناك من يهتم بتحقيقها؟

خمس جثث، في الواقع، هذا إذا أضفنا إلى العدد الآن جثة "لاب" ببطنها المنتفخ.. هكذا فكر "تاراس" وهو يخطو إلى الغرفة حيث كان "زيدار" جالسًا خلف الطاولة مع تعبير مُصمت رسمه على وجهه والذي يشبه وجه ثور تحت رأس حليق، ولأن رقبته كانت سميكة وقصيرة فقد بدت كأنها تنمو من جذعه مباشرة، يداه موشومتان، وأوشكت الأكمام المقلوبة أن تتفزّر من شدة تضخم عضلاته مما جعل "تاراس" يتساءل كيف هو حال كبده مع تعاطيه كل هذه المنشطات التي أرجع إليها أيضًا نتوء عظام الوجنتين والفك السفلي. ألقى عليه "تاراس" التحية وجلس على الكرسي المقابل له ثم قال: "لست مجبرًا على التحدث معي، فهذه مجرد مقابلة

استقصائية". لا تعليق. فقال: "هذا للعلم فقط".

لم يكن بحاجة إلى شرح ذلك لأن "زيدار" بلا شك يعرفه. وضع ملفًا على المنضدة، وفتحه وتناول صورة لـ"لاب" التقطت له في أثناء تشريح الجثة، صورة لوجهه قبل أن يبدأ "تشفيلاك" العمل عليه. عرضها على "زيدار" الذي نظر إليها دون تعليق. قال "تاراس": "الموضوع في الأساس هو أننا انتشلنا جثة لشخص يُدعى "روبي لاب" من بحيرة "بوهيني" مصابًا برصاصة في رأسه. سحبه صياد من قاع البحيرة بمحض الصدفة. لقد أُدين الرجل وحُكم عليه منذ عام تقريبًا بالسجن لمدة عامين مع إيقاف التنفيذ وذلك بفضل - كما أثبتت تحرياتنا - أنه كان يعمل لحسابك من حين لآخر". لا تعليق. تابع "تاراس" قائلًا: "قبل ذلك، انتشلنا من البحيرة نفسها، حسنًا.. من النهر القريب منها، جسد امرأة رأسها مقطوع". راقب وجه "زيدار" بعناية. لا تغيير. سأله "تاراس": "هل تعرف؟". "لا تعليق". تابع "تاراس" قائلًا: "بصراحة، دعني أقول لك - فيما بيننا نحن الاثنين فقط - أنني أشك في أن لك علاقة ما بكل هذا، ولكن إذا لم تساعدني، فسيتعين عليّ التحقق من هذا الاحتمال أيضًا. بالإضافة إلى ذلك، فإن نص محادثتنا سوف تحفظ في ملفك وكلما طلبت الإفراج المشروط على مدار الخمس سنوات القادمة، سيقر هذا التقرير بأنك غير متعاون".

أدرك "تاراس" أنه يضيع وقته وبالمثل أدرك "زيدار" أن "تاراس" يراوغه وأنه سيخرج من السجن ويطلق سراحه بعد

خمس سنوات مهما حدث. جلس على كرسيه وقد وضع كفيه على بعضهما بعضًا، واتكأ على مرفقيه منحنيًا بزاوية قائمة، ولم تلتقِ عيناه الخاليتان من أي تعبير أبدًا بعيني "تاراس"، مهما حاول الأخير ذلك. لماذا وافق إذًا على إجراء هذه المقابلة؟

دفع "تاراس" كرسيه بعيدًا عن الطاولة واستدار نحو الباب وبمجرد أن أمسك بالمقبض.. ناداه "زيدار" قائلًا: "أيها المحقق". استدار نحوه "تاراس".

أدار "زيدار" رأسه في اتجاهه ونظر إليه مباشرة ثم قال: "هل ماتت عندما..". عاد "تاراس" إلى الطاولة وجلس على الكرسي ثم قال: "هل سنعقد صفقة؟".

رن تليفونه في جيب سترته. لعنه فِي سّره وأخرجه من جيبه ورفض المكالمة دون أن يرى من المتصل. وضعه على الطاولة أمامه.

دون أن يكلف نفسه عناء النظر إلى "تاراس" هذه المرة، بل أخذ يحدق في الفراغ خلفه شاردًا كرر "زيدار" قائلًا: "هل ماتت قبل أن يقطع رأسها؟".

أسند "تاراس" ذقنه بيد واحدة وقضى بعض الوقت يحدق بشكل سافر في وجه "زيدار". ظل "زيدار" لاَ يُحَرِّك سَاكِنًا كأن كل وقت العالم ملكه وحده، بالفعل كان يملكه، على الأقل لبضع سنوات أخرى. تناول "تاراس" الملف مرة أخرى وأخرج صورة أخرى. نظر إليه مرة أخرى، كأنه يريد أن يتحقق من

شيء، ثم.. كما فعل بصورة الرجل أو "روبي لاب"، وضع الصورة على الطاولة ووجهها نحو "زيدار".

أخرج ورقة أخرى من الملف.. نسخة من تقرير تشريح جثة الفتاة المقطوعة الرأس وقرأ الملخص على عجل وبشكل معقم. حاول أن يكون كلامه واضحًا وفي الوقت نفسه أخذ يراقب "زيدار" بطرف عينه. انتظر أن يقاطعه أو يبدي أي علامة على أنه سيقاطعه، لكنه لم يفعل، فانتهى من قراءة التقرير بأكمله في حوالي خمس دقائق. ثم نظر إلى "زيدار"، هل ازداد وجهه قتامة مما كان عليه، أم أن ذلك من وحي خيال "تاراس"؟

تنهد وهز رأسه وهو يقول: "من حيث المبدأ، كانت الفتاة المسكينة على قيد الحياة..". إن الكذبة البيضاء هدية من السماء و"زيدار" ليس بالشخص الذي يشعر نحوه بأي تَبكِيت ضمير بعدما يكذب عليه. تابع "تاراس" قائلًا: "ها أنت تعرف الآن ما أعرفه. هل يمكنك أن تتعطف وتخبرني بأي شيء في المقابل؟". يا له من سخف أن يطلب من شخص يمارس كل أنواع القتل.. شخص يأمر بقتل الناس، أن يتعطف!

قال "تاراس": "بدايةً، من كانت هذه المرأة؟". لا تعليق. قال "تاراس": "حسنا، شكرًا جزيلًا لك". كان يمكن أن يوفر على نفسه عناء هذه الرحلة. لَفلَمَ الصور والتقرير، وأعادهم مرة أخرى داخل الظرف ثم وقف وخطا نحو الباب، بمجرد أن أمسك بمقبضه حتى قال "زيدار": "في الحقيقة عندي عرض لك أيها المحقق". استدار له "تاراس" فتابع "زيدار" قائلًا:

"أنت على الأرجح مستقر ماديًا، نعم، ولكن يظل..".

كيف تأتى له أن يعرف أنه مستقر ماديًا؟

قال "تاراس": "نعم". بدا شبح ابتسامة على وجه "زيدار" الذي تابع قائلًا: "أنا لا أعني أنك مستقر ماديًا بسبب راتبك، بل بسبب عيادة زوجتك".

يعرف "تاراس" أن التحكم بالنفس في مقابلات من هذا النوع يعني الفوز بنصف المباراة وكان ماهرًا في القيام بذلك، لكن هذه المرة لم يستطع منع نفسه من الذهول. ابتسم "زيدار" الآن بشكل أكثر اتضاحًا وقال: "ألا تعرف؟".

لعل "تاراس" لم يشعر من قبل بعدم الارتياح كشرطي، غير أنه يشعر به الآن. ما الذي لا يعرفه؟ كيف يتأتى لهذا الرجل المقزز أن..

قال "زيدار": "إن ابني.. وهو في السنة الأولى بالمدرسة الابتدائية، أريد أن أقول إنه يتردد على عيادة "ألينكا".. اسمها "ألينكا"، أليس كذلك؟ حسنًا، إنه يتردد عليها منذ ست أو سبع سنوات تقريبًا". قال "تاراس": "ثم؟".

ودون أن يحاول حتى إخفاء دهشته، جلس على الكرسي وأخرج تليفونه وتفقد الشاشة، كما يفعل أي شخص في عجلة من أمره، ثم تركه على الطاولة. قال "زيدار": "أعلم أنك مستقر ماديًا.. ومع ذلك سأقدم لك عرضًا". توقف وانتظره "تاراس" الذي استعاد في هذه الأثناء تعبير وجهه المعهود وقرر أن يحتفظ به مطبوعًا على وجهه مهما حاول "زيدار"

أن يراوغه أو يحاوره. تابع قائلًا: "يمكنني أن أعدك بمئة ألف يورو في حقيبة تسوق، معفاة من الضرائب". توقف مؤقتًا وحدق في عيني "تاراس" ثم قال: "وأنا جاد جدًا فيما أقول". "إذا..؟". "إذا كشفت لي عن اسم هذا الشخص، فهذا الشخص المُنحط..". تحول وجهه للحظة من اللون الرمادي الخامد إلى اللون الأرجواني المستعر من فرط الغضب. "وإذا احتفظت باسمه لي. ولك مائة ألف يورو لتخبرني أولًا اسم هذا الوغد".

انقطع صوته واعترته حشرجة كأنه يختنق بشيء قد ابتلعه. راقبه "تاراس" بهدوء وهو يلهث ويزدرد ريقه ويجز على أسنانه ثم قال: "سيساعدني أن أعرف أصل الموضوع".

وقف "زيدار" فجأة فهب "تاراس" واقفًا من على كرسيه، لكن "زيدار" لم يهاجمه، بل خطا خطوة إلى الوراء وكأنه لا يدري كيف يُنفِّس عن غضبه، فأمسك بكرسيه، ورفعه فوق رأسه وضربه بالطاولة فتهشما وطارا مع تليفون "تاراس" في الهواء باتجاه الباب، وبما تبقى منه ضرب "زيدار" الطاولة مرتين أخريين، ألقى بقطعتي الخشب اللتين تبقيتا في يديه على الحائط، ثم جثا على ركبتيه، وضغط بيديه على الأرض وعندما اندفع الحارس إلى الغرفة من خلف "تاراس"، بدأ "زيدار" يتقيأ بين حطام الطاولة والكرسي. قال "تاراس" للحارس: "شكرًا لاهتمامك، لكنني أعتقد أننا سندبر أمرنا".

صرف "تاراس" الحارس الذي رمقه بنظرة ارتياب ولم يغادر إلا عندما توجه "تاراس" إلى الباب كي يغلقه خلفه.

كان بإمكانه أيضًا ألا يفعل. خلال الخمس عشرة دقيقة التالية التي أمضاها "تاراس" في حجرة الاستجواب، لم يتكلم "زيدار" ولا مرة أخرى. غرق في الصمت ولم يكن هناك ما يشير إلى أنه سوف يكسره مرة أخرى. ماذا ينوي أن يفعل؟ جثا على الأرض وغرز جبهته في قيئه.

في الممر أعاد تجميع تليفونه الذي سقط على الأرض من جراء غضب "زيدار" وتبعثر إلى ثلاث قطع، والغلاف والبطارية. أدخل رقم التعريف الشخصي، فوجده يعمل. لقد أسقطه ألف مرة بعنف من جميع الجهات وما زال يعمل. من الواضح أنه ليس ذكيًا بما يكفي كي يوقفه ذلك عن العمل.

بعد خمس دقائق كان في مكتب مدير السجن. شبّهَ عليه وتمنى أن يتذكره أيضًا. سأله المدير: "هل اكتشفت أي شيء؟". قال له "تاراس": "اكتشفت أنه يعرف من هي الضحية الأولى التي انتشلناها من بحيرة "بوهيني". "الفتاة التي بدون رأس؟". "نعم، والآن انتشلنا جثة أخرى من البحيرة، رجل، مُعَاوِن "زيدار"، سمكة صغيرة، برأس". "وأنت مقتنع أن "زيدار" يعرف الضحية الأولى أيضًا، أليس كذلك؟". أومأ "تاراس" ثم قال: "إنه يعرفها جيدًا. يبدو أن هذا هو سبب موافقته على مقابلتي. أراد أن يعرف ما نعرفه". سأل المدير: "وهل عرفه؟". ابتسم "تاراس" بامتعاض ثم قال: "الحقيقة، لا. فنحن لا نعرف الكثير. هل يمكنك أن تعرف منه مَنْ تكون هذه المرأة؟". تأرجح المدير في كرسيه وقطب جبينه ثم قال: "أستطيع أن أحاول، ولكن مهما تكن الطريقة

التي سأحصل بها منه على هذه المعلومات، فلن تتمكن من استخدامها في أي مكان.. أعني في المحكمة". هز "تاراس" رأسه. "هذا يتوقف على المعلومات التي ستحصل عليها". هز المدير كتفيه ثم كرر قائلًا: "يمكنني أن أحاول، لكن "زيدار" يدرك جيدًا أن الحِيطان هنا لها آذان وأنا متأكد من أنه لن يُدلي بأي شيء لفترة من الوقت بعد تجربته مع التنصت على هواتفه. إنه لا يريدنا أن نعرف عنه أي شيء".

فكر "تاراس" في أنه قد يُدلي بشيء، فهم يلاحقون الشخص نفسه.

***

بمجرد عودته إلى السيارة، تذكر المكالمة التليفونية.. كانت "تينا" من اتصل. قام بتثبيت حزام الأمان، وشغل المحرك، وعندما انطلق وترك "سلوفينسكا فاس" خلفه بعد بضع دقائق من بلدتي "موكرونوج" إلى "تريبنيه"، اتصل أولًا بـ"برايك" ثم بـ"تينا".

***

اتصلت "تينا" بأرشيف صحيفة "ديلو" وسألت السكرتيرة الفاضلة التي تحدثت بلهجة تنم عن أنها من دوقية "كارينثيا" النمساوية عن كل ما يحتفظون به عن "زيدار" في أرشيفهم. كانت في المكتب بمفردها، أما "برايك" و"أوسترتس" فقد سلما زمام أمرهما إلى حيث تقودهما الظروف. قالت المرأة: "لا أظن أن هناك أي شيء عنه في الأرشيف الورقي".

جلست "تينا" على الكمبيوتر لبعض الوقت، ظلت تحدق في الشاشة. الواقع أنها تحدق أمامها شاردة، وليس في الشاشة. قالت لنفسها: "ماذا تفعلين يا "تينا"؟ بعد أسبوعين فقط من العمل تضاجعين رئيسك المتزوج. هل جُننتِ؟ أي عذر تجدينه لنفسك، أيتها البقرة الحمقاء؟". هل كانت ثملة في "بوهيني"؟ إنه عذر أقبح من ذنب. هل كانت في حالة حب مجنون؟ فكرت فيما فعلته.. ولما فكرت شعرت بالرعب.. لكن لا، لم تنتابها حالة حب مجنون. ربما أحبته بعض الشيء.

إنها نسيت أن تسأل السكرتيرة عن المدة التي سيستغرقها إرسال المقالات، لكن بالتأكيد لن يستغرق الأمر وقتًا طويلًا، أم هل سيستغرق؟ إن وجودها بمفردها في المكتب يضايقها. ليس لأنها لا تستطيع أن تطلب من أي شخص أي شيء فحسب، ولكن لأنها لا تريد أن تنفرد بنفسها.

كيف يمكن أن تكوني أحبته بعض الشيء؟

قالت لنفسها: "هَيّا، لا تكوني غبية، أنتِ لست في حالة حب". إن نبرة صوتها جعلتها تجفل. ثم تعمدت أن ترفع صوتها وقالت: "أنتِ أردتِ أن تمارسي الجنس معه فقط. والآن توقفي عن هذه الطريقة الدرامية في التفكير. لن يكتشف أحد ما فعلتِه ولن يحدث ذلك مرة أخرى..".

مرة أخرى.. حصل "تاراس" على ما أراد، وهي أيضًا، وعليها أن تعترف لنفسها بذلك، وهو لن يخاطر بأن تكتشف زوجته ما حدث.. انتهت القصة.

ربما يمكنها الاتصال بالأرشيف مرة أخرى وتسألهم عن الوقت الذي سيستغرقه إرسال المقالات. ماذا كان سيفعل "تاراس" معهم؟ كان سيزجرهم على الأرجح من أول لحظة.

هل يبكّتها ضميرها بسبب صديقها "ألكسندر"؟ للصدق، لا. لم تكن لتتخيل أبدًا أنها ستفعل شيئًا كهذا وتعود إلى المنزل وكأن شيئًا لم يكن، والسؤال الذي يطرح نفسه الآن.. هل ممارسة الجنس مع "تاراس" كانت أفضل؟ بالتأكيد كانت مختلفة، و"مختلفة" عادة ما تعني "أفضل"، على الأقل في البداية.. لذا، نعم، كانت مختلفة وأفضل، ولكن من يهتم.. فالأمر ليس كذلك.. على الأقل ليس كذلك.

ضغطت على زر إعادة الاتصال بالتليفون.

لأن.. هكذا ردت على نفسها بغضب، كلما فكرت في هذا الأمر لماذا تجد نفسها تكرر كلمة "لأن"؟ التي استخدمها "تاراس" أيضًا. لأن "تاراس" كان.. أخذت تبحث عن الكلمة الصحيح.. ممتنًا؟ هل كانت هذه هي الكلمة الصحيحة؟ لأنه عندما رآها عارية هز رأسه وبالكاد لاحظ أنه يهزها، بل لعله لم يدرك أنه هزها، وكأنه يقول، ما أروع جسدك! لأن "ألكسندر" عَدّ جسدها العاري أمرًا مُسَلّمًا به، ليس لأنه اعتاده منذ البداية، أكان الأمر كذلك؟ أصبح من المُسَلّم به بالنسبة لصديقها أن يصول ويجول في جسدها. هل هذا هو الفارق بين الجيل الرقمي والتناظري؟ هل هذا هو الفارق بين محقق جنائي وخبير تسويق أم أنه مجرد فارق بين شيء في "تاراس" وشيء في "ألكسندر"؟

ظهر شيء ما على الشاشة.. بريد إلكتروني جديد وفي الوقت نفسه صوت يحمل لهجة "كارينثية" على التليفون، فردت "تينا" قائلة: "كيف يمكنني مساعدك؟". اعتذرت "تينا" لأنها لم تتعرف على الصوت. قال الصوت على الطرف الآخر من الخط: "لا عليكِ. في وجود أجهزة الكمبيوتر نحصل على الأشياء بشكل فوري إلى حد ما".

وضعت "تينا" التليفون ونقرت على مرفق البريد الإلكتروني. وفكرت في أن هذا ربما كان جزءًا من إجابة سؤالها.. لأن الأشياء تتسم بالفورية إلى حد ما في وجود أجهزة الكمبيوتر، ولكن ليس بالضرورة أن تكون أفضل.

بعد نصف ساعة انتهت من تَصَفّح ما ينبغي أن تتَصَفّحه. لم يكن هناك الكثير من المقالات. دار معظمهما حول محاكمة "زيدار"، حيث أطلقوا عليه لقب "ملك ناركومافيا" أو ملك مافيا المخدرات. أجريت معه مقابلتين قصيرتين ادعى فيهما أن الشرطة كانت تلاحقه بسبب ضغائن شخصية - منها أنه ضاجع امرأة أصبحت فيما بعد زوجة أحد المحققين الجنائيين - وكان هناك عدد قليل من المقالات أقرب إلى التقارير يعود تاريخها إلى الفترة التي سبقت محاكمته، بعض المناسبات الاجتماعية حيث ظهر "زيدار" بصحبة زوجته التي بدت، وفقًا للصور وتواريخ المقالات، أكبر سنًا من أن تكون ضحيتهم المقطوعة الرأس، وكما أضافت "تينا" لنفسها بطريقة ماكرة "إنها أيضًا بدينة جدًا". لم تكن هناك نساء أخريات في الصور، وهناك تعليق واحد لا بد أن تاريخه يعود

لزمن يسبق حتمًا إدراك الصحافة الشعبية الصحف الصفراء أنها كانت تتعامل مع مجرم، يقول التعليق: "ميتيا زيدار"، المولع بالسيارات الباهظة الثمن والجميلات، إلى جوراه في الصورة تقف نجمة ناشئة ومغنية ناشئة وعارضة أزياء ناشئة وقد تكون ناشئة في شيء رابع أيضًا، لكنها ما زالت، على حد علم "تينا"، على قيد الحياة. بمجرد أن بحثت عن اسمها على الإنترنت وكان أول ما ظهر لها صورها وهي تقدم عرض أزياء العام الجديد.

هل كلفها "تاراس" بهذه المهمة كي يتخلص منها فحسب؟

تَصَفَّحت المقالات مرة أخرى وتوقفت عند المقال الذي يناقش المحاكمة، يوم صدور الحكم والذي احتوى على صورة بها مُصوِّر ويد تمسك بميكروفون - لم يكن واضحًا يد من - وفي خلفية الصورة تظهر قاعة المحكمة. وجاء في التعلق المكتوب تحتها: "انتهت المحاكمة التي أمدت وسائل الإعلام مؤخرًا بمادة إعلامية غزيرة. حكم على زيدار بالسجن".

رن تليفونها. إنه "تاراس". قالت: "مرحبًا". أدركت وهي مرتعبة أن صوتها كان يرتجف. قال: "مرحبًا. ما الأخبار؟". قالت له: "اتصلت بالأرشيف". خاب أملها لأن صوته لم يرتجف، فقالت: "ما أخبارك؟". لم ترغب في أن تقولها هكذا، بدت جملة "ما أخبارك؟" نوعًا من رفع الكُلْفَة، وغير احترافية بالمرة، حتى إنها فكرت في إضافة شيء كي تصححها مثل أن تقول: كيف كانت المقابلة مع "زيدار"، أو شيء من

هذا القبيل، إلا أنه قد بدأ بالفعل في إخبارها بما جرى مع "زيدار" ومن الواضح أنه لم يفطن إلى النبرة التي تَحلّى بها صوتها. قال "تاراس": "لهذا السبب أخبرت "برايك" أن على "أوسترتس" ألا يترك شارعًا إلا ويستعلم فيه عن هوية هذه المرأة التي يهشم "زيدار" الطاولات في السجن من أجلها، ويمكنك الاتصال ببعض الصحفيين الذين كتبوا عنه في ذاك الوقت واسأليهم عما إذا كان لديهم أي استنتاجات، ستجدين من بينهم من يعرف أي شيء". قالت "تينا": "ليست زوجته. لقد تحريت وتأكدت". كانت هناك لحظة صمت في الطرف الآخر من الخط. ثم سمعت "تاراس" يقول: "لعلي أظلمه، لكن ما رأيته كان نوبة غضب عارم. لا أظن أن..". أعطته فرصة كي يجد الكلمة الصحيحة. ثم قال: "لو أنها الزوجة، لكنا عرفنا منذ فترة. سأشرح لكِ الأمر عندما أصل المكتب". قالت: "إلى اللقاء". ثم أغلقت التليفون.

أمضت النصف ساعة التالية وهي تتصل بالأسماء التي دونت تحت المقالات وأدركت أن العثور على صحفيين ليس بالسهولة التي تصورتها. معظم مكاتب التحرير التي حاولت العثور عليها لم تجدها إلا في عناوين الإنترنت فقط، ولم تجد سكرتيرات، وبعد بحث متخبط وجهد جهيد عثرت على إحداهن وأعطتها أرقام هواتف لاثنين من الصحفيين. ما خرجت به من الحديث معهما لم يكن ذا فائدة كبيرة للأسف. لقد حصلت على بعض أسماء لأشخاص ولنجمات ناشئات كما ذكرت إحدى المقالات، ولكن جميعهن أحياء يرزقون وشاركوا

في العديد من الفاعليات الجماهيرية والشعبية.

سألها أحد الصحفيين: "ما الذي يمكن أن أحصل عليه مقابل إعطائك هذه المعلومات؟". حاولت أن تكون إجابتها مقنعة فقالت: "الشعور بالرضا لأنك ساعدت في أن تأخذ العدالة مجراها". تابع وكأنها لم تقل أي شيء: "دعينا نعقد صفقة. إذا أخبرتني لماذا تريدين أن تعرفي، فقد أتمكن من مساعدتك؟". "للأسف لا أستطيع". "أنا أيضًا، للأسف لا أستطيع". هكذا قال ثم أغلق التليفون في وجهها.

ظلت تحدق لدقيقة في الصفحة التي لاحظت فيها ما تعتقد أنه يثير الاهتمام، وأخذت تشطب على جملة تِلْوَ الأخرى تباعًا لم يتبق منها شيء. ثم أدخلت اسم "زيدار" بشكل عشوائي في المتصفح وتحققت من المنشور عنه على المواقع، فنقلها ذلك إلى مواقع قناتين تليفزيونيتين، واحدة خاصة والأخرى مملوكة للدولة. اطلعت على جميع المقالات التي تتناول محاكمة "زيدار". لم يرد بها أي شيء لم تكن تعرفه. لقد تحققت بدقة من تغطيات مقاطع الفيديو لتقاريرهم، لعلها تجد فيها أي امرأة تبلغ من العمر حوالي ثلاثين عامًا، لكنها لم تجد أي شيء. المرأة الوحيدة التي سلطت الكاميرا الضوء عليها لفترة وجيزة هي زوجته، وتمكنت "تينا" مرة أخرى من التحقق من أن مواصفاتها لا تنطبق على الفتاة الممددة في الثلاجة بمعهد طب التشريح. مرة أخرى، اعتقدت بشكل ماكر أنها لا تبدو المرأة التي يستشيط أي شخص غضبًا ويهشم الطاولات من أجلها.

تناولت قلمها الرصاص وشطبت الصفحة بأكملها. لا شيء. وبمجرد أن شطبت السطر الثاني بعلامة الصليب حتى فتح الباب ودخل "أوسترتس" و"برايك" ثم "تاراس" في إثرهما.

الفصل الحادي والأربعون



إنه الدكتور "ألكساندر جولوب"، عالم الدقيقة حاصل على درجة الدكتوراة، تمتد ألقابه الوظيفية لثلاثة أسطر وهو ما يسبب مشكلة عويصة لمقدمي برامج الراديو أو التليفزيون إذا ما اضطروا إلى قراءتها بصوت عالٍ، جلس على مكتبه بالمختبر الجنائي الوطني للتشريح في شارع "فودوفودنا 95"، وهو يحدق بغضب في ورقة أمامه. بعد حصوله على الدكتوراة أجرى أبحاثًا على البكتيريا التي تنمو في مسالك الجهاز الهضمي للحيوانات البرية كي يتوصل، إذا أردنا تبسيط الأمر، إلى الطرق الممكنة لاستغلال هذه البكتيريا في إنتاج الغاز الحيوي الناتج من التحلل الحيوي لجميع أنواع المواد العضوية الموجودة في نظامهم الغذائي على عكس الأبقار المستأنسة ومثيلاتها من الحيوانات المُجتَرّة. كان من المتوقع لمسيرة الدكتور "جولوب" العلمية مستقبلًا باهرًا لأسباب لم يكن هو نفسه متأكدًا منها.. إلى أن التحق ذات يوم، من باب الفضول، بدورة دراسية في طب التشريح

وانتهى به المطاف في المختبر الجنائي الوطني لطب التشريح الذي شغل منصب رئيسه أيضًا على مدار السنوات القليلة الماضية. أطبق "جولوب" شفتيه وتمتم قائلًا: "ما هذا؟".

تناول قلم تحديد أخضر اللون ووضع خطًا على جملة في مذكرة تلقاها من وزارة الصحة تقول: "تقريرك المالي غير مستوفٍ.. هذا إلى جانب هذه الفقرة، ونطلب معلومات إضافية". من المستحيل أن يرسل للوزارة أي تقرير من أي نوع غير مستوفٍ سواء مالي أو غير ذلك، وقد طلب من الوزارة ثلاث مرات التحقق من سجلاتها، وبعد كل مرة يتلقى منها هذه الرسالة نفسها. سيتعين عليهم التحقق مرة أخرى. إن المختبر حصل بالفعل على الأموال، ومن ثم لن يضيره الانتظار.

عندما طرق "برايك" و"أوسترتس" باب مكتبه، كان قد أنهى للتو رده الذي اختتمه بالتالي: أرفق مجددًا استمارات المعاملات المالية: "جي بي إف 23" و "زي كي إم 76" كدليل على مطالباتي. مع تحياتي..

حيّاه الزائران في الوقت نفسه تقريبًا قائلين: "مرحبًا".

أومأ لهما "جولوب" وهو يوقع الرسالة ثم أدخلها في مجلد أخضر ووضعه في أقصى زاوية جهة اليمين من مكتبه الخالي، ثم فتح الدرج وأخرج ملفًا أزرق اللون، وفتحه ثم أخرج منه بحركة شبه استعراضية ورقة. قال "جولوب" وهو

يشير إلى الكراسي التي في انتظارهما على الجانب المقابل من المكتب: "تفضلا بالجلوس". ثم سألهما: "أنتما تريدان تقرير الحمض النووي، أليس كذلك؟".

فأومأ كل من "برايك" و"أسترتس". أدار التقرير نحوهما ليطلعوا عليه فوجداه مجرد ورقة مكتوب عليها بضعة أرقام وأسطر ثم التزم الصمت. انحنى "برايك" و"أوسترتس" على الورقة وحدقا فيها للحظة. سأل "جولوب": "حسنًا، ما رأيكما؟". أوشك "برايك" أن يقول شيئًا ولكن "أوسترتس" سبقه وقال: "إنني اطلعت على كثير من تقارير الحمض النووي غير أني ما زلت لا أفهم..".

لم يتم جملته ولم يشرح ما لا يفهمه لأن "برايك" رَكَلَه في قصبة ساقه رَكْلَة قوية حتى إنه بذل جهدًا كبيرًا كي لا يئن بصوت عالٍ من شدتها، لكن الأوان قد فات على أية حال. ابتسم "جولوب"، ونظر إلى زائريه ثم استرخى على ظهر كرسيه وشبّك أصابعه.

كم أحب "جولوب" عمله كطبيب تشريح غير أنه افتقد شيئًا واحدًا في حياته المهنية السابقة، وهو مسيرته كـأستاذ جامعي؛ افتقد إلقاء المحاضرات ونقل المعرفة للطلاب. لطالما تَرَاءى له أنه يتمتع بشيء من الموهبة في هذا الميدان. ما زال "برايك" يعتقد أن الأمر يستحق عناء المحاولة فقال: "هل هما خال وابنة أخت أم لا؟". "سأوضح لك الأمر. الأمور تسير كالتالي.. الطريقة التي تعمل بها الأشياء هي...". ثم أخذ يحدق في مكان يعلو الزائرين وهو يقول: "عندما نحصل على

عينة بيولوجية من بصيلات الشعر لأن الشعر وحده لا يكفي - ينبغي أن تعرفا ذلك - نحن نجد خلايانا في كل مكان.. في بصيلات الشعر، أو الحيوانات المنوية، أو مسحات الفم، أو، كما في حالتنا، اللعاب. تحتوي خلاياك على ستة وأربعين كروموسومًا، ثلاثة وعشرون من والدك، وثلاثة وعشرون من والدتك". هكذا بدأ محاضرته التي طالما أعدها كي يلقيها على "تاراس" الذي يستمتع، إذا كان لديه الوقت، بالاستماع إليها غير أن "تاراس" قد سمع كل هذا من قبل بينما هذان الاثنان لم يسمعاه.

لعل "جولوب" يتمتع بالفعل بموهبة في نقل المعرفة للآخرين غير أن عليه أن يصقلها بعض الشيء. وعندما لا تتوفر فرصة حقيقية للقيام بذلك، كما هو الحال بالنسبة لكثيرين ممن يعرفون الكثير، فإن هذه المعرفة تَظفِر وتتدفق في كل الاتجاهات وهو يحاول نقلها إلى شخص آخر. في الطبيعة كل شيء يرتبط بعلاقات تبادلية مع كل شيء آخر وكانت تفسيرات "جولوب" شيئًا على غرار ذلك.

تابع قائلًا: "هذا لا يعني أنك وحدك - بصفتك الأب - من تعطي نصف حمضك النووي فقط، لا، فهذه الخلايا تمتزج قليلًا في أثناء هذه العملية". رَكَلَ "برايك" "أوسترتس" مرة أخرى وهو يحاول الجلوس في وضع مريح قدر الإمكان. كان يعلم أن هذه المحاضرة ستطول. تابع "جولوب" قائلًا: :لذا فإن نصف الكروموسومات التي يرثها الطفل منك ليست مطابقة للكروموسومات الخاصة بك لأن الخلايا تمتزج مع

بعضها بعضًا بعدما تتقاطع أجزاء معينة منها، وهذا هو ما يجعل كل طفل فريد من نوعه. تخيل أنك قمت بتمزيق كتابين إلى فصول ثم أنشأت كتابًا جديدًا من فصوليهما بعدما رتبتها حسب تسلسل عشوائي. في هذا النوع من التسلسل العشوائي تجد أن بعض هذه الجينات تمتزج أكثر من البعض الآخر. إن التي تمتزج بشكل أقل هي تلك الضرورية من أجل البقاء على قيد الحياة ومنها فَصَائِل الدم، وجينات لون العين.. هذه الجينات تخزن وتحفظ جيدًا نسبيًا وبالنظر إليها.. بالنظر إلى حيز من هذه الجينات المحفوظة، يمكنك معرفة ما إذا كنا ننظر إلى جينات والدك أم جدك.. وما إلى ذلك. لديك نصف جينات والدك، والربع فقط من جدك، وتتضاءل هذه التباينات مع الإخوة والأخوات".

أومأ له "أوسترتس" بينما قرر "برايك" عمدًا ألا يفعل مثله. رمق "جولوب" "برايك" بعدة نظرات استجوابية إلا أن الأخير لم يعطه أي استجابة، فقرر "جولوب" التركيز على "أوسترتس" فهو لن يلقي باللآلئ تحت أقدام خنزير غبي. تابع "جولوب": "عندما تختار عينة وتستخرج الحمض النووي.. لا يمكنك بالطبع اتباع التسلسل الخطي للشريط الوراثي بأكمله، إنما تستخدم بعضًا منه.. حسنًا، الآن لا بد أن أشرح لكما نُبذة من علم الأحياء الجزيئية..". حاول "أوسترتس" أن يجعله يدخل في الموضوع مباشرة فقال: "أنا لا أعتقد أنه..". فقاطعه "جولوب" قائلًا: "لا تعتقد؟! إنه علم رائع، خاصة عندما تخوض في تفاصيله".

رمق "برايك" "أوسترتس" بنظرة مفعمة بالاستهزاء والسخرية. تابع "جولوب" وهو ينظر إلى السقف بعينين شبه مغمضتين قائلًا: "ينبغي أن تدرك أن الحمض النووي يتكون من شرطين يلتفان حول بعضهما بعضًا ليشكلا لولبًا من شريطين متضادين من الحمض النووي، مما يعني أن النهاية 3'؛ من الشريط الأول تواجه النهاية 5' من الشريط الثاني من اللولب المزدوج. الآن، إذا كنت ترغب في تحليل هذا، فأنت بحاجة إلى استخدام قسيمات أحادية من شريط قالب الحمض النووي التي تقترن وتنسخ شريطًا تكميليًا جديدًا تحت درجة حرارة عالية وذلك في..".

ردد "برايك" في سرّه ساخرًا من كلام "جولوب": وذلك في كذا وكذا.. كذا وكذا وكذا. تابع "جولوب" قائلًا: "إذا حصلت على عينة من الأخت، فستحصل على تكرارات طفيفة في قسيمات معينة، ومع ذلك فإن هذه التكرارات تكون أصغر بكثير مما ستكون عليه إذا قارنا الحمض النووي بعينة من ابن عم أو خال. تحدث طفرة في بعض الجينات في أحد الاتجاهين من اللولب المزدوج وطفرة في البعض الآخر في الاتجاه الثاني.. هل فهمت الفكرة؟".

ثم أشار بإصبعه إلى الورقة التي أمامهم. أومأ "أوسترتس" بينما أخذ "برايك" يحدق في الفراغ ساهمًا. قال "جولوب": "كل هذا يتعلق بخط نسب الأب بينما يكون الأمر مختلفًا مع الأم. في أثناء الإخصاب، تلتصق خلية الحيوان المنوي بالبويضة وتحقن حمضها النووي فيها. ينتقل هذا الحمض

النووي بعد ذلك إلى نواة خلية البويضة حيث تمتزج مع الحمض النووي للأم. هذا النوع من الخلايا حقيقيات النوى في حين أن البكتيريا والعتائق أو ما يسمى بالأحياء الدقيقة الأصلية هي خلايا بِدَائِيّات النوى. أما الفيروسات فلا وجود لها على هذه الخريطة لأنها لا تستطيع التكاثر بشكل مستقل. تمتلك الأحياء حقيقيات النوى خاصية أخرى.. تحتاج خلايانا إلى جهاز آخر يسمى "الميتوكندريون" أو الحُبَيبَات الخَيطِيّة، الذي يولد الطاقة. تاريخيًا، كانت هذه الحُبَيبَات الخَيطِيّة ذات يوم بِدَائِيّات النوى، وهي أحياء دقيقة أصلية ابتلعت بكتيريا وعملت في الأساس على تحقيق التكافل الأحيائي فيما بينها منذ ذلك الحين فصاعدًا، ومن ثم تطورت إلى خلايا حيوانية. عندما ابتلعت العتائق بكتيريا تقوم بعملية التخليق الضوئي، وابتلعت تلك التي تستغل الضوء لتحصل على التَّغذِّية والطاقة تحولت إلى "بلاستيدات كلوريا" أو صانعات خضراء، وكانت هذه نقطة البداية للتحول إلى مسار تطور النباتات".

أنزل عينيه المعلقة في السقف فوقيهما ورمق "أوسترتس" بنظرة مفعمة بالحماس ثم قال: "هذا يعني أنه إذا أعطتك والدتك بويضتها، فقد أعطتك المادة الوراثية ومعها أيضًا "الميتوكندريون". ولأن "الميتوكندريون" تنشأ في الأصل من البكتيريا، فإنها تحتفظ جزئيًا بالخارطة الجينية الخاصة بها. هذا يعني أنه من خلال خارطة "الميتوكندريون" هذه يمكنك تتبع خط جداتك".

سأل "أوسترتس": "الجدات؟". "نعم، يمكنك تتبع

سلسلة النسب الأنثوي بالكامل. لقد استخدموا خارطة "الميتوكندريون" الجينية هذه أيضًا عندما أنشأوا شجرة نشوء وارتقاء جميع السلالات الأصلية والفرعية وإنسان الغاب، واستطاعوا حساب عمر "حواء" منذ ما يقرب من عشرين ألف عام والتي تمثل طَورًا قصيرًا في تاريخ البشرية عندما كان إجمالي عدد البشر حوالي خمسة آلاف فقط على وجه الأرض..". كرر "برايك" في سرّه.. كذا وكذا وكذا.. وهو الآن يحرك شفتيه أيضًا دون صوت، لكنهما ظلتا تختلجان فبدا مثل سمكة خاملة أو سمكة شَبُّوط أو شيء من هذا القبيل. نظر إليه "أوسترتس" مرتين وقد انتابه الحرج، لكن يبدو أن "جولوب" لم ينتبه لما يفعله "برايك" وتابع قائلًا: "لذلك فهي تستخدم الجينات الأخرى في الشريط الوراثي صغير الحجم الذي يحتوي على كمية ضئيلة جدًا من سلسلة الحمض النووي الذي أخبرتك عنها من قبل، وهذا يعني أن خطوط الوراثة تتكرر وتتماثل".

نقر على الورقة فوق المكتب ثلاث مرات بإصبع السبابة وهو يحدق في "أوسترتس" ثم قال: "إذًا، ماذا يمكننا أن نقول عن القضية التي بين أيدينا؟ هل الرجل والمرأة هما خال وابنة أخت أم لا؟". حاول "أوسترتس" مجددًا أن يحسم الأمر فسأله: "هل هما كذلك؟". قال "جولوب" وهو يرمق "أوسترتس" بنظرة تحمل اتهامًا وإحباطًا: "بل ليسوا كذلك".

كيف هذا بعد كل هذا الجهد الذي بذلته في شرح الحمض النووي؟

رمق "برايك" الاثنين بنظرة تحمل شفقة ثم نظر إلى الورقة أمامهما كأنه يريد التحقق من دقة ادعاءات "جولوب"، ومرر يده بين شعره الخفيف، وهَرَش رأسه ونظر إلى "أوسترتس" ثم قال: "آمل أن يحسم هذا الأمر بالنسبة لـ"تاراس".

***

سمعت "تينا" ضحكاتهم في أثناء دخولهم للمكتب، فتَشَكَّكَت للحظة أنهم ربما كانوا يتحدثون عنها. لم يكونوا يتحدثون عنها، لكن يمكنها أن تتصور كيف يتشدق الرجال بصولاتهم وجولاتهم مع النساء. هل سيغيرهم الزمن؟ إنها تشك في ذلك. هل بوسعها ألا تتحدث عن علاقتها بـ"تاراس" مع أصدقائها؟ يجوز. بالتأكيد لن يستحسنوا الأمر عندما تقول لهم: "إنني مارست الجنس مع مديري الذي يكبرني سنًا بكثير". كما يبدو أن مزاج هذا المدير رائق الآن، فها هو يضحك مع زميليها الآخرين وشعرت بالحمق إلى حد ما عندما تذكرت أنها قالت له: "أود أن أسمعك الليلة وأنت تضحك.. لم أرك تضحك قط.. من قلبك.. أود كذا وكذا..". ومن الواضح الآن أنه يعرف كيف يضحك.

قال "تاراس": "حسنًا، دعونا نستعرض الأحداث الآن".

وبدأ يحكي لهم عن زيارته لـ"زيدار" في سجن بلدة "دوب". سأله "برايك": "هل عرض عليك الرجل مائة ألف يورو إذا أخبرته في الوقت الصحيح من قتل هذه الفتاة المسكينة التي لدينا؟". قال "أوسترتس": "حسنًا، حسنًا..". سأل "برايك"

بانزعاج بعض الشيء: "ورفضت؟". قال "أوسترتس": "الغرفة مراقبة بأجهزة تنصّت".

ابتسم "تاراس". أي شخص ذكي ليس في حاجة إلى المال لن يتردد أبدًا في رفض عرض "زيدار". لم يكن الأمر يتعلق بوجود أجهزة تنصّت بالغرفة – فهي لم تكن مُراقبة – بل الأمر يتعلق فقط بأنه لا يمكنك أبدًا التخلص من المافيا إذا منحتك مالًا. سيكون رفض مثل هذا العرض أصعب بالنسبة لشخص مثل "برايك" الذي يعيش في شقة زوجته السابقة بموافقة ضمنية منها وسيظل فيها حتى تنتعش الأسواق، وعندها ستُباع بحوالي مائتين وخمسين ألف يورو. بعد دفع جميع الضرائب سيكون من حق "برايك" الحصول على حوالي مائة ألف من ثمنها وهو مبلغ لن يستطيع أن يشتري به أي شيء في ليوبليانا فيما عدا شقة استوديو صغيرة. أما بالنسبة لـ"أوسترتس" الذي يعيش مع عائلته في مبنى معدني سابق التجهيز بجواره حفرة أعدت لوضع أساس منزل مناسب من الطوب والمِلاط، والذي ظل بناؤه في انتظار التقدم لفترة طويلة حتى امتلأت الحفرة بالماء، فإن رفضه لعرض "زيدار" سيكون أصعب من "برايك". قال "أوسترتس": "هذا يعني أن الرجل يعرف من هي هذه المرأة؟". "نعم، ولكنه لا يعرف من قتلها. لا يبدو أن لديه أي فكرة عمّن فعل ذلك".

سألته "تينا": "و"لاب"؟ ما علاقته بكل هذا؟". "إذا كان "لاب" هو رجل "زيدار"، فإن وجوده في "بوهيني" يعني أنه أرسله إلى هناك. لماذا؟ لا أعلم". افترضت "تينا" قائلة: "لعله

أرسله في أعقاب فتاتنا ليكون بمنزلة حارس شخصي لها".
"كان "لاب" تاجرًا صغيرًا ومتعاطيًا للمخدرات أيضًا، ومن ثم لا يبدو لي أنه الشخص الذي قد يأتمنه "زيدار" على حماية شخص عزيز على قلبه". نظر "تاراس" إلى "برايك" وقال: "ماذا لديكما أنتما الاثنان؟".

أخبرهم "برايك" عن زيارتهما للمختبر الجنائي الوطني للتشريح واختتم حديثه بالملخص التالي: "لدينا إذن طفلان، صبي وفتاة، تركهما أحدهم عند باب مركز "يسينيتسه" للخدمات الاجتماعية. بعد وفاة الصبي، انتحرت المرأة، الأم المزعومة، أنا على يقين من هذا. أعتقد أن كل شخص في القرية سيصر على أن غرقها مجرد حادث، كما أن التقرير الرسمي الذي صدر في ذلك الوقت يُقر أيضًا بأن موتها مجرد حادث. غرقت في البحيرة قضاءً وقدرًا. بناءً على تحليل الحمض النووي للأخ الأصغر لهذه المرأة..". نظر إلى أعلى من الورقة التي في يده وقال: "فإن الحمض النووي لذاك اللعين الذي قدمه عندما بصق علينا، والحمض النووي من فتاتنا المقطوعة رأس، يؤكدان أن لا علاقة بين الاثنين".

أومأ "تاراس"، فأضاف "برايك" قائلًا: "يبدو لي ذلك واضحًا جدًا وقاطعًا جدًا. إنها قصة حزينة إنما قديمة ولا علاقة لها بقضيتنا". كرر "أوسترتس" قائلًا: "واضحًا جدًا وقاطعًا جدًا". قال "برايك": "وبناء عليه يمكننا إحالة هذه القضية إلى شرطة بلدة "كراني" ويمكنهم أن يقرروا ما إذا كانوا سيأخذونها إلى مدى أبعد من ذلك أم لا. أليس كذلك؟".

نظر إلى "تاراس" ثم "أوسترتس" الذي ظل يومئ ولم يتوقف حتى عندما استدار كلاهما نحو "تاراس". سأل "برايك": "لن تُحيلها إلى الشرطة في "كراني"، أليس كذلك؟". طرح السؤال بنبرة يحمل نصفها تساؤلًا والنصف الآخر مرارة لأنه أدرك أن "تاراس" لن يُحيلها لـ"كراني". سأل "تاراس": "هل بحثتِ عن الأخت يا "تينا"؟". لخصت "تينا" بإيجاز ما قامت به من بحث عبر الأرشيفات وإجراء المكالمات التليفونية مع الصحفيين والبحث في التقارير التليفزيونية، ثم عقبت قائلة: "كل الأسماء، كل الفتيات اللواتي اكتشفتهن.. على قيد الحياة".

عندما انتهت، عَمّ الصمت الغرفة واتخذ "تاراس" موقفه التأملي. تساءلت "تينا" هل كان يفكر في كلامها أم في المهام الصعبة التي سيوكلها لنا؟ ثم نظرت إلى "برايك" و"أوسترتس" ومن الواضح أنهم لم يفكروا في القضية على الإطلاق بل اكتفوا بانتظار رئيسهم الذي سيفكر نيابة عنهما.

ابتسم "تاراس" وقال بشيء من الحرج: "كنت بحاجة إلى أسبوعين كي أشعر.. من الواضح أنني أتقدم في السن. لا أحد منكم لديه مثل هذا الشعور؟". تبادل الثلاثة النظرات. قال "تاراس": "في الواقع، أحسنتِ يا "تينا" في يومك الأول بالميدان". أقسمت في سرّها لو أن وجهها احمر خجلًا مرة أخرى ستضرب رأسها في.. قالت: "أحسنت في ماذا؟". قال" تاراس": "لقد أشرتِ مرتين إلى هذه.. التفاصيل. عندما توجهنا لأول مرة إلى "بوهيني" وسألتك عن رأيك

في جسد بلا رأس باعتبار أن شهادتك الجامعية أحدث من شهادتي..". توقف عن الكلام وانتظر ردها، فقالت: "هل من المفترض أن أكرر ما قلته؟". أومأ. "أعتقد أنني ذكرت شيئًا عن قاتل متسلسل للنساء..". "لا، لا، شيء آخر". هزت كتفيها وقالت: "لا أعلم. لا أستطيع أن أتذكر". "قلت: نحن نتعامل إذًا مع نوع خاص من الكراهية، ثم مرة أخرى بعد مقتل "هليب" عندما تساءلتِ عن أي نوع من الكراهية يمكن أن يدفع شخصًا ما لارتكاب جريمة من هذا النوع؟". سأل "أوسترتس": "أنت تعتقد إذًا، رغم كل شيء، أن شخصًا واحدًا هو مَن قتل الثلاثة. هل اتضح في النهاية أنه "فيربيتش"؟ لو صَحّ ذلك لطار "كريستان" فرحًا". قال "تاراس": "كره "فيربيتش" "هليب"، ونحن على يقين من ذلك، وقد قتله أيضًا، ولعله كره..". أراد أن يقول حبيبته لكنه غير رأيه وتابع قائلًا: "واحدة من معارفه أيضًا والتي رآها بصحبته في "بوهيني" وهي نفسها التي رآها موظف الاستقبال معه في الفندق أيضًا. لكنني أخشى أنه سيتعين علينا قريبًا قبول أن "فيربيتش" لم يكن في "بوهيني" في ديسمبر الماضي، لا هو ولا تليفونه، وأنه لم يمتلك أيضًا سلاحًا من العيار الخفيف". قال "أوسترتس": "إن "زيدار" هو القاتل، فالمرأة كانت عشيقته، ولكنها أرادت أن تعيش حياتها بطريقتها بعدما شجن، فقتلها. لن تكون أول جثة يخلفها "زيدار" وراءه". قال "تاراس": "إنه تقيأ بمجرد أن أخبرته أنها..". توقف وشعر بالإحراج قليلًا وهو يكمل جملته قائلًا: "كانت على قيد الحياة عندما قُطع رأسها". سألت" تينا": "أخبرته بماذا؟". هز

تاراس كتفيه. فسألته: "ولماذا يتخلص أيضًا من "لاب"؟".

هَرَشَ رأسه وحدق في بقعة فيما بين الملفات الموجودة في خزانة الحائط أمامه، وفكر لبضع ثوان ثم تمتم قائلًا: "تأثير الكراهية فعال دائمًا في..". ارتعشت يده وهو يسحب تليفونه من جيبه. تفقد الساعة، ثم نهض، ومد يده إلى معطفه المعلق على الشماعة بدلًا من سترته الشتوية المعتادة، ثم قال: "كنت أود أن أبقى معكم كي نسترسل في الحديث حتى وقت متأخر من بعد ظهر اليوم، لكنني أخشى أنني لا بد أن أغادر الآن". سأل "برايك": "هل ستذهب إلى الجنازة؟". أومأ "تاراس". تابع "برايك" قائلًا: "أليس هذا محزنًا؟ رجل، طبيب، مُحمَّل بالأموال، بل يمتلك كل شيء، والآن.. ودون سابق إنذار أصبح في العَدَم". سأله "أوسترتس": "وهل سيقل الحزن لو لم يكن مُحمَّلًا بالأموال؟". قال "برايك": "بالطبع..". هذا آخر شيء سمعه "تاراس" وهو يغلق الباب خلفه.

الفصل الثاني والأربعون



شغلت الجنازات المرتبة الثانية في قائمة الأشياء التي بدونها سيكون "تاراس" أسعد حالًا. لم يتعلق كرهه للجنازات بفقدانه لإنسان فحسب، بل تعلق أيضًا بالخوف من إجابة السؤال: من هو التالي يا ترى؟ هل سيكون هو؟ عندما بدأ يمارس التسلق، كانت كميونة متسلقي الجبال صغيرة نسبيًا، فالجميع يعرف بعضهم، وأي شخص تعرض لحادث مميت تجد بينهم من يعرفه، ومن ثم عليه حضور جنازته. بمرور الزمن، بدأ أصدقاؤه المقربون يموتون، والاسم المُدوّن على شاهد القبر الخشبي المؤقت كان غالبًا اسمًا لشخص سافر معه إلى فرنسا، إلى بلدة "شامونيه" حيث أمضى معه ليلة تجمدوا فيها على أحد الجروف المرتفعة عند وجه صخري، في انتظار ضوء الصباح، أو لشخص توقف معه بسيارته عند بعض الاستراحات، على بعض الطرق السريعة الإيطالية في طريقه إلى المنزل ليتناول ما قد يصل إلى خمسة أنواع من البيرة والكوكاكولا قبل أن يشعر بحاجة إلى التبول. كان يكره الجنازات لدرجة أنه لم يلاحظ لفترة من الوقت

الأشخاص الذين لا يكرهونها. المثير للدهشة أن هناك كثيرين بدا أنهم يذهبون إلى الجنازات بوصفها نوعًا من المناسبات الاجتماعية وفرصة سانحة لكي يتناولوا بعض الطعام ويحتسوا الشراب ويلتقوا بالمعارف القدامى، ولكي يشمت الأحياء بأولئك الذين لم يعودوا على قيد الحياة.

كان اليوم مشمسًا ودافئًا نسبيًا. أزيحت الثلوج من على الممرات وجفت بالفعل وتركت الثلوج التي ذابت وراءها بقعة مياه واحدة مؤقتة. من الواضح أن "تاراس" كان من بين آخر من وصلوا إلى كنيسة الجنائز الملحقة بالمقبرة، وأصبح واحدًا من الحشد المنتظر خارجها، وقبل أن يكتشف أين تقف "ألينكا"، تعرف على بعض الوجوه، بعضها من حفلة ليلة رأس السنة التي أقيمت في "بوهيني" بمنزل المتوفي، كما لمح "تشفيلاك". وقفت "ألينكا" عند مدخل الكنيسة مع إحدى نساء اللواتي حضرن الحفل والتي قالت له بشفقة: "كنتما صديقين، أليس كذلك؟". قال "تاراس": "نعم".

كم تمنت "ألينكا" أن يصبح "تاراس" و"بريلك" صديقين، وإذا لم يكونوا في الجنازة، لعلّقت على أي سؤال مشابه قائلة: "تاراس" ليس لديه أصدقاء".

بل كان لديه أصدقاء في العادة، ولكنهم ماتوا ولم يبق منهم أحد، فماذا في ذلك؟ هل من المفترض أن يصبح صديقًا لأي شخص لمجرد أنهما تريضا معًا بالدراجات حتى ممر "فيرشيتش" الجبلي، أم ماذا؟

أجابته "ألينكا" قائلة: "نعم، بالضبط. يصبح الأشخاص العاديون أصدقاء لمجرد أنهم يتناولون القهوة معًا، فهم ليسوا بحاجة إلى تسلق جبل "إيفرست" حتى يتأهلون لصداقتك".

أهم ما يميز علاقة "بريلك" و"تاراس" الاجتماعية هو ركوب الدراجات عبر ممر "فيرشيتش" الجبلي في "ترينتا" حيث عانى "بريلك" من تقلصات شديدة لدرجة أن "تاراس" اضطر إلى أن يقود الدراجة عبر "بريدل" مرورًا بـ"كرانيسكا جورا" كي يحضر سيارة. عندما عاد وجده في حانة بجوار نهر "سوتشا" بصحبة فتاتين في الثلاثين من العمر، وانزعج "بريلك" للغاية عندما لم يستطع "تاراس" الذهاب إلى حفلة كان مزمع أن يحضرها في المساء لأنه ذهب "لإحضار أغراضي" على حد قوله.

قدم له "بريلك" إحدى الفتاتين قائلًا: "هذه "مونيكا"، تعمل بمستشفى ببلدة "شيمبتر". قهقهت "مونيكا" قائلة: "أنا ممرضة". كان وجه الفتاة جميلًا وقوامها جذابًا ومستديرًا.. هكذا وصفها "بريلك" لاحقًا في السيارة وهما في طريق العودة إلى ليوبليانا. قال "بريلك" لـ"مونيكا" وهو يثرثر كالأطفال: "نحن الاثنان لدينا أشياء ظريفة مشتركة كي نتحدث عنها، هذا لأن كلينا يعمل في المجال نفسه". أومأ "تاراس". "وهذه "أناستازيا"، تعمل في مجال التجارة".

أما "أناستازيا" وهي امرأة طويلة ونحيفة فقد ترددت في إظهار الحماس تجاه محقق جنائي مثلما أظهرته صديقتها تجاه الطبيب الجراح وقالت: "أعمل في محل بقالة بقرية

"سولكان".

اضطر "تاراس" أن يجلس هناك لمدة ساعتين يشاهد "بريلك" وهو يرقص رقصة التزاوج قبل أن يرن تليفونه مما منحه ذريعة كي يبلغه أنه مضطر للعودة إلى ليوبليانا بشكل عاجل.

في طريق العودة إلى مكان ما قبل شلالات "مارتيوليك" أخذ "بريلك" يندب فرصته الضائعة، قائلًا: "إذا عادت بي الأيام للوراء وعدت للدراسة مرة أخرى، لاخترت الطب والجراحة. لا يمكنك أن تتصور مدى نعومتهن عندما يكتشفن أنك طبيب جراح".

ثم استغرق في النوم. لم يخبر "تاراس" "ألينكا" بهذا الجزء من تواصله الاجتماعي مع "بريلك"، بالرغم من أنه تساءل كثيرًا عن سبب حجبه عنها. ماذا لو أخبرها؟

قد ترد "ألينكا" قائلة: "أوه، حسنًا. هذا هو "رايك" العزيز.. إذا لم يركض وراء "كعب عالٍ"، سأعرف أنه ليس على ما يرام وسأقلق عليه".

يتمتع بعض الناس بسحر وجاذبية بقدر يدعو الآخرين لأن يغفروا لهم هفواتهم. سألته "ألينكا" وهي تشير إلى باب كنيسة الجنائز: "هل ستذهب لتودعه؟". أومأ لها.

إنه لا يتحمل رائحة الأقحوان، ناهيك عن أكاليل الزهور والشموع والتوابيت وكل شيء آخر، كما لا يتحمل تلك الأفكار المجنونة التي تدور في رأس المرء وهو يقف أمام

تابوت الشخص الميت وبجواره كائن آخر قد كسره الحزن مثل.. زوجة.. أم.. ابن.. ابنة. لا يمكن مقارنة معاناتهم بمشاعره وأفكاره في هذا الموقف. فهو يظل يتساءل: هل وقف لفترة معقولة بجوار التابوت أو الجرة، هل بدا حزنه عميقًا، هل أعرب عن تعازيه بشكل شافٍ ووافٍ؟

وقف في طابور الكنيسة الذي أخذ يتضاءل حيث كان هناك حوالي خمسة أشخاص غيره ينتظرون ويتحركون ببطء في اتجاه الباب. لم يتم حرق جثة "رايك" المسكين كما تمنى. كان التابوت الذي ينظر إليه والذي توارى خلف من يقفون أمامه، مفتوحًا، وأسند غطاؤه إلى الحائط. إن المشهد يشبه جنازة صديق "تاراس" الذي كان ممددًا أمامهم وقد بدا وجهه متجهمًا بعدما انكسر جرف جليدي تحت قدميه وأدرك أنه على وشك السقوط على عمق خمسين مترًا أسفل شلال جليدي. في ذلك الوقت بدت جثته لـ"تاراس" مثل قطة دَعَسَتْها سيارة. عندما وصل "تاراس" إلى البقعة التي سقط فيها رأى شيئًا ناعمًا قد تكوّر أمامه وعندما حاول تدليك قلبه وإعطاءه قبلة الحياة، اندفع سيل من الدماء نحوه.

صعد "تشفيلاك" إلى حيث وضع تابوت "بريلك" وأخذ يتطلع إليه. وحسبما يتذكر فإنه في الستين من عمره، بل ربما في الواحد والستين إنما "بريلك" هذا الممدد في التابوت بشعره باهت وذابل وبهذا القناع البشع بدا كأنه في الثمانين من عمره ولا يشبه الرجل الذي عرفه بالمرة. كانت إحدى عينيه مواربة قليلًا.. ما الذي يستدعي عرضه بهذه الطريقة؟

تمتم للمرأة العجوز التي تقف بجوار التابوت قائلًا: "أخلص التعازي".

بدا وجه "كارين" ذاويًا كوجه زوجها مقارنة بآخر مرة رآها فيها، كما بدت عيناها باكيتين غير أن دموعها جفت. صافحت يده وهي شاردة وكأنها لا تعي تمامًا من الرجل الذي يصافحها ولا ما يدور حولها. شعر بالارتياح وهو يغادر الكنيسة وارتطم بـ"تشفيلاك" خارجها. قال الرجل العجوز وهو يشير إلى ما وراء "تاراس": "انظر.. موته يجعلني أشعر بشيء من تأنيب الضمير". رمقه "تاراس" بنظرة حائرة. لم يكن "بريلك" و"تشفيلاك" أصدقاء، بل يعدان مجرد معارف. قال: "هل تعرف أنه أصيب بالسكتة عندما كان معي؟ حسنًا، وفي زيارته التالية لي كان زبوني.. على طاولة التشريح. يا لها من حياة لعينة!

ثُقلت الزهور من الكنيسة ووضعت على العربة التي ستنقل التابوت إلى المقبرة. ربت "تاراس" على كتف "تشفيلاك". عندما استدار وجد "ألينكا" حيث تركها غير أنه رأى امرأة أخرى واقفة بجوارها مدت يدها لـ"تاراس" وصافحته وقدمت نفسها له، لكنه نسي اسمها على الفور. سأل "ألينكا": "هل حفظتِ خطاب التأبين؟". قالت بهدوء غير معتاد: "سأقرأه".

هذا الهدوء غير المعتاد يعد أمرًا غريبًا على أي شخص لا يعرف طباع "ألينكا". يعرف "تاراس" أن باستطاعتها أن تكون في برودة الجليد عند الحاجة. عندما مات والدها بكت مرة

واحدة فقط في اليوم السابق للجنازة وهم يحرقون جثمانه. لم تبكِ في الجنازة، ولا في أثناء خطب التأبين، ولا عندما غنت الجوقة الأناشيد ولا عندما وضعوا الجرة في الحفرة المربعة. وقفت عند القبر وإلى جوارها وقفت تلميذتان تبكيان.. "آنيا" و"مويتسا".. وهي تربت على شعريهما. بدت جميلة بشكل مدهش مع شعرها الأشقر الذي كاد أن يبلغ ياقة معطفها الأسود. سألها "تاراس" بعدما ألقى آخر زهرة على الجرة بصفته آخر واحد في صف المُعَزِّين: "هل أنتِ بخير؟". أومأت وقالت وهي تبتسم ابتسامة باهتة: "بخير طالما أنتم الثلاثة معي".

***

قام عاملان بمقبرة "جالي" المركزية - يرتديان زيًا أرجوانيًا مُضحِكًا سخيفًا وقبعتان متناسبتان معه - بإحضار التابوت المغطى بأكاليل الزهور من الكنيسة. سارت "كارين" خلف العربة وكان "تاراس" يفضل أن ينتظر في نهاية الصف إلا أن "ألينكا" جرته كي يتصدر الموكب بعد "كارين" مباشرة. ساروا ببطء لمسافة خمسين مترًا على طول الطريق المغطى بالحصى إلى المنطقة التي ستلقى فيها خطب التأبين. تقدم ثلاثة من الجوقَة وغنوا أغنية "على بحيرة بالقرب من جبل تريجلاف".

همست "ألينكا" في أذن "تاراس" عندما خرجت إلى منصة الخُطَبَاء قائلة: "أنا الأولى". رأى العلم السلوفيني معلقًا خلفها. رغم أنه حضر جنازات لا حصر لها، ما زال "تاراس" عاجزًا عن

استيعاب فكرة أن تعليق العلم في الجنائز إلزامي. هل كانت الدولة بحاجة فعلًا إلى استعراض وجودها هنا أيضًا؟

بدأت "ألينكا" خطابها قائلة: "لم أعرف الكثير من الأشخاص الذين أحبوا الحياة بقدر ما أحببتها، يا عزيزي "رايكو". ظن "تاراس" للحظة أن صوتها، رغم ما هو ظاهر، يرتجف قليلًا وتابعت قائلة: "التقيت بك وأنا طالبة، كنت أستاذي، لكنك تمتعت بميزة استثنائية في الحوار والتعاملات حيث ذابت الحدود بيننا تلقائيًا. إن طلابك أحبوك لأننا اكتسبنا من خلالك شعورًا بأننا لم نكن مجرد مواد لا تُبَشر بأي شيء واعد على الإطلاق في المستقبل، ولم نكن منتجات شبه منتهية الصلاحية أو ما هو أسوأ من ذلك مثلما حاول بعض زملائك في ذاك الوقت أن يثبتوا. وجعلتنا ندرك أن كوننا أطباء ليس مجرد مسألة تتعلق بالتقنيات أو بممارسة الطب فحسب، ولكنها مسألة تتعلق أيضًا وبشكل جوهري بتَوَجُّه الطبيب ومواقفه وقناعاته. لطالما كنت تقول: "وماذا عساه الطبيب، مهما كان ماهرًا، أن يقدم لمريضه إذا لم يثق به المريض؟ رغم..". توقفت لبرهة ثم قالت: "رغم أن أولئك الذين يعرفونك يدركون أن هذه الكلمات لا تعبر عنك تعبيرًا دقيقًا". ابتسم عدد قليل من الناس. تابعت "ألينكا" قائلة: "ثم انتهى بنا الأمر إلى أن نصبح زملاء. إن مهنة الطب مهنة شاقة ومرهقة وأحيانًا ناكرة لمجهوداتنا. وفي ظل ذلك يجب على المرء أن يكافح وأن يحرص بشدة على عدم التقدم في السن مبكرًا، حتى لا تسمح لوجهك أن يتحول إلى وجه

"جُوكر" حزين، كما اعتدت أن تقول. ومع ذلك، لطالما كنت تردد أننا لا نشفي أي شخص من مرضه نهائيًا، فالجميع يغادرون هذا العالم في النهاية. لقد تمكنت من الحفاظ على قواك العقلية بما لديك من روح دعابة. ورغم أن نكاتك كانت في بعض الأحيان لاذعة ومُوجِعة للغاية بالنسبة للكثيرين، فإنني لا أعرف امرأة واحدة تستعيض عن طبيب ساحر مثلك بأي أحد، حتى لو قال لها هذا الطبيب: "حسنًا، يا عزيزتي، لقد كبرنا في السن، ماذا تتوقعين؟". مرة أخرى ابتسم عدد قليل من الناس. تابعت خطبتها قائلة: "إن عالمنا من صنع أيدينا، لطالما رددت هذه العبارة، ورغم أنك لم تسلم من المرارة في حياتك، فقد تعايشت معها وعشت. لا أذكر أنك اشتكيت يومًا وستظل هذه صورتك التي نتذكرك بها. لقد أُعجبنا بك يا "رايك"، وسنفتقدك".

فكر "تاراس" في كلمة المرارة، وتساءل أي مرارة يمكن أن تكون في حياة "رايكو بريلك" باستثناء نهايته؟

أُلقي خطابا تأبين آخران، خطاب رئيس المستشفى الجامعي، والغريب أن الخطاب الآخر ألقاه رئيس جمعية الرماية في بلدة "دوبوفا"، ويبدو أن "بريلك" كان عضوًا فيها، رغم أن "تاراس" لم يكن يعرف ذلك. غنت الجوقة أغنيتين أخريين من الأغاني السلوفينية التقليدية، "الزيزفون الأخضر"، وأغنية أخرى لم يتعرف "تاراس" على عنوانها. ثم انطلق الموكب إلى المقبرة. همس "تاراس" لـ"ألينكا": "إلقاؤك للخطبة كان رائعًا". كانت عيناها مبللتين بالدموع وحاولت

تجفيفها بمنديلها بحرص حتى لا تلطخ مكياجها. قالت بهدوء حتى إن "تاراس" سمعها بالكاد: "أنا سعيدة أن كل شيء قد انتهى دون أن يتألم. هل رأيت حالته في المستشفى؟". تذكر "تاراس" عيني "بريلك" المتكدّرتين، كأنهما تهفوان للصريخ. وتذكر "بلاجيتش" عندما قال له: مهما كان الذي أراد أن يقوله، فقد كنت آخر مَنْ يسمع صوته. سأل "ألينكا": "كيف استقبلت "كارين" الأمر؟ أعني، كيف تقبلته؟". هزت "ألينكا" رأسها بالنفي ثم قالت: "لطالما عرفناها متجلدة، لكن..". هزت رأسها بالنفي ثم قالت: "رايكو" كان كل حياتها، بغض النظر عن طباعه". بعد خطاب "ألينكا" اقترب منه "بلاجيتش"، أومأ برأسه ومد يده فصافحها "تاراس" وهو شارد. قال "بلاجيتش": "انظر كيف تنقلب الأمور، هكذا. الآن أتذكر كم من مرة مزح معي بشأن هذا". ربت على كرشه التي لم يستطع حتى معطفه الفضفاض إخفاءها. أومأ "تاراس" ثم قال "بلاجيتش" عبارات مهذبة على سبيل المجاملة مثل: انظر كيف هي أحوالنا اليوم.. وكيف قد تنقلب غدًا، ثم سأل: "أوه، وماذا عن هذا الشيء في "بوهيني"؟ جريمة القتل؟ ألم تعثر على القاتل بعد؟". هز "تاراس" رأسه بالنفي وهو يقول: "نحن نعمل على ذلك". "أهناك مشتبه بهم؟". "قلة قليلة، يسهل دائمًا العثور على مشتبه بهم". "حسنًا، على الأقل، نحن جميعًا.. أقصد من حضر حفل رأس السنة بمنزل "رايك".. لسنا منهم". ابتسم "تاراس" ثم قال: "بالطبع، فجريمة القتل ارتكبت قبل الحفل بأسبوع". ابتسم "بلاجيتش" كأنه يلمح إلى شيء يجب أن يعرفه "تاراس" ثم قال: "ليس هذا ما

قصدته. معظمنا يمتلك منازل عطلات هناك على أية حال، وقد اتصلوا بنا لإجراء.. ماذا تسمونه؟". "مقابلة استقصائية؟ ". "نعم، أظنها امرأة التي اتصلت. لكنك قلت يوم الحفلة أنك ستعرف ما إذا كان هناك قاتل في الغرفة أم لا. هذا ما كنت ألمح له".

كانت الوقائع الأولى لمسيرة الجنازة تبدأ بالفعل مما اضطر "بلاجيتش" أن يودعه على عجل وهو يقول: "هل ستأتي إلى المأدبة بعد الجنازة؟".

ساروا على طول الممشى الرئيس ثم استداروا إلى الممشى الجانبي ثم على طول الممشى الأصغر إلى القبر المفتوح. ظل "تاراس" ممسكًا بيد "ألينكا" طوال الوقت، وهو يحدق في طريق الحصى الممتد أمامهما. لم يكن يريد أن يقرأ التواريخ المدَوّنة على شواهد القبور، وسنوات الميلاد وسنوات الوفاة. لم يكن الراقدون في القبور ممن انقضت أعمارهم لكبر سنهم، بل كان هناك قبور للأطفال أيضًا، وقبور لمن هم في مثل عمره والذين ربما ماتوا بسبب السرطان أو لأن سائقًا مخمورًا دهسهم أو أي شيء آخر، وستلحق بهم الفتاة المقطوعة الرأس عن قريب لترقد في قبر مثل هذا وعليه شاهد يحمل اسمها وسنة ميلادها وسنة وفاتها، وكلما مر شخص عليه سيرى كم أنها صغيرة على الموت، وقد تدفن على يمين أو يسار شخص مات في القرن التاسع عشر. في المقبرة، يدرك المرء معنى الفناء الذي يراه كثيرون نوعًا من العدالة الغائيّة ولعل البعض الآخر يراه نوعًا من السلوان، من المؤكد أن

"تاراس" لم ير الفناء بهذه الطريقة، رغم أنه يطال الجميع، وبالتأكيد لم يره على أنه نوع من العادلة.

كانت التربة سوداء على جوانب الكومة، وهناك بالمنتصف وفي الأعلى تربة طينية بلون بني فاتح. توارى القبر وراء أكاليل الزهور وعندما وصلت العربة التي تحمل تابوت "بريلك"، بدأ العاملان اللذان يرتديان اللون الأرجواني في تحريك باقات الزهور كي يفسحا مكانًا للأكاليل التي أحضروها مع التابوت بالعربة. ولأن "تاراس" لم يكن يدري ماذا يفعل فقد تقدم منهم وأخذ يساعدهم، فتناول إكليل زهور من العربة ونقله إلى القبر وحرك واحدًا كان موجودًا بالفعل بعيدًا عن الطريق لكنه فوجئ عندما رأى النقش المُدوّن على شاهد القبر. نظر إلى "ألينكا" وأشار إلى النقش بعينيه.

همست: "فيما بعد..".

نُقش على الشاهد: *"رايكو بريلك"، 1980 - 1987.*

الفصل الثالث والأربعون



في نزل "كميتشكي هرام"، وهو النُّزل التقليدي حيث تُنظم فيه العديد من المناسبات المَغفول بها بعد الجنازات التي تقام في مقبرة "جالي" المركزية القريبة منه، قالت "ألينكا" وهي تعلق حقيبتها على ظهر كرسي خشبي ضخم: "حسنًا، دعنا ننتهي من هذا أيضًا".

يعتقد "تاراس" أننا البشر كائنات مُبَرمَجة، ونحن نقل في ذلك قليلًا عن الحيوانات، وعندما تتعقد الأمور نتصرف بشكل غريزي مثلما نفعل في هذا الموقف: الموت - الجنازة - احتفالية التأبين - النُّزل التقليدي.. وفي أي شيء من هذا القبيل. كان يعلم أنهم سيقدمون لهم حساء اللحم البقري ومقليات من اللحم والبطاطس والسلطات ونوعين من النبيذ.. أحمر وأبيض، وبالنسبة له سيتناول عصير تفاح أو برتقال على هامش الحفل. لم يستطع أن يتخيل أن البعض يغادر الجنازة ويذهب لتناول "السوشي"، فهو يرى أن ذلك

غير لائق. متى حدث شيء عصيب، شيء مصيري، يلجأ الناس إلى خطة أعدوها سلفًا.

كان يعرف كل ما سيحدث بعد ذلك، بصفته ممتنعًا عن تناول الكحوليات سيتعرض لبعض التعليقات السلبية من قبل الحاضرين. عند دخولهم النُزل، بدا الارتياح على الناس، رغم أنهم ما زالوا متحفظين بعض الشيء، جائعين. الانتظار الطويل خارج الكنيسة، وتبادل أطراف الحديث مع الآخرين، الموكب الجنائزي، خطب التأبين، أغنية "الزيزفون الأخضر".. كل ذلك استغرق ما لا يقل عن ساعتين وهو ما يكفي لأي شخص كي يشعر بالجوع والعطش بالطبع.. بل التعطش للكحول. يسهل عليك أكثر أن تحتسي الكحول وأنت تسمع عبارة "كلنا سنموت" تتردد في رأسك. ومع الكحول تغمرك بهجة الحياة.. بهجة أنك حي بينما الشخص المتوفى صار عدمًا. عندما دفنوا "بيتر" بعد الشلال الجليدي الغبي في وادي "تامار"، شرب الجميع، سكروا حتى الثمالة، بما في ذلك "تاراس" الذي لم يكن في ذاك الوقت قد امتنع عن تناول الكحوليات.

لن يشعر الجميع بالراحة إلا بعد تناول الحساء وبعد تمرير أباريق النبيذ بعد إعادة تعبئتها. في النهاية، لن يتبق سوى شخصين مُتزِنين لم يثملا.. يقفان بعيدًا في الغرفة.. إنهما "كارين" و"تاراس".. وهما سيضطران إلى مشاهدة هؤلاء الأطباء السِمان الخسيسين وهم يحتسون نبيذ "سفيتش" السلوفيني ونبيذ "ريسلينج" العطري، في حين أنه يصاب

بتشنجات في عضلات المعدة بمجرد التفكير في النبيذ أو البيرة أو أي شيء كحولي. قال "تشفيلاك": "هل وجدت في هذه الحياة أي شيء مغاير لما نحن فيه؟ لا أحد يستطيع أن يتعامل مع هذه الحياة على ما هي عليه".

فهل وجد؟

***

سألت "تينا" "تاراس" وهو يطوف بيديه على طول عمودها الفقري حتى أردافها أسفل ظهرها: "هذه ليست المرة الأولى لك، أليس كذلك؟". "ألم تفكري يومًا في أن التباين في الاستجابة قد تُعزى إلى فارق السن؟". سألت مشددة على النبرة الساخرة: "الحكمة؟". قال بجدية تامة: "نعم". ظلت صامتة لبعض الوقت ثم سألته: "حسنًا، وما رأي الحكمة في كل هذا؟". الآن جاء دوره كي يلتزم الصمت لبرهة ثم قال في النهاية: "إن مشكلة الحكمة هي أن لا فائدة ترجى من ورائها بالمرة لأي شخص، وخاصة للآخرين. يصبح كل شيء بعد سن الأربعين واضحًا، بشرط ألا يكون المرء أحمق، يصبح كل شيء واضحًا وضوح الشمس، لا مجال لأن يفاجئك أي شيء، لكن حتى إدراك المرء لهذا لا يساعده في شيء على الإطلاق. المرء يعرف فحسب.. وهذا كل شيء".

بماذا كان يمكن أن يجيبها؟ بأن الناس كائنات مُبَرمَجة، تقل بالكاد قليلًا عن الحيوانات؟ هل انتهى بهما المطاف ليرتبطا بعلاقة من هذا النوع لأنها رأت فيه شيئًا لا تجده في صديقها

الأحمق الذي يعمل في مجال الإعلانات، ولأنها فرصته الأخيرة كي يمارس الجنس مع امرأة أصغر منه سنًا بكثير؟ هل يجيبها بأن كل قرار نتخذه هو نتيجة تجردنا الجزئي من المبادئ الأخلاقية؟ وأحيانًا لا يكون التجرد جزئيًا خالصًا.

قال "تاراس": "الحقائق الأكثر ضحالة هي الأكثر ابتذالًا". "هل تقصد الأكثر عمقًا". قال: "لا، الأكثر ضحالة. الحياة توجد دائمًا في المياه الضحلة، وفي الأعماق لا تجدين إلا قليل من الظلمة".

كانت قد رفعت رأسها ونظرت إليه بعينيها الواسعتين، ثم قالت: "أوه، ها هو العجوز الحكيم ما زال يتمتع بروح الدعابة. إذا عرفت ذلك من قبل".

وبالطبع، عندما نظرت إليه، أدرك، باعتباره رجلًا في سن الحكمة، أن الأمر لا يتعلق أبدًا بالجنس. ما أسهل إدراكه لهذا!

***

مالت "ألينكا" عليه وقالت: "دعنا ننتظر حتى يغادر من وصلوا أولًا، ثم يمكننا نحن أيضًا أن نغادر بعدهم". ولما ابتسم فسرت معنى ابتسامته بشكل خاطئ.

جلس في نهاية طاولة طويلة و"ألينكا" بجواره، ولكنها نهضت بعد خمس دقائق وذهبت كي تجلس بجانب "كارين" التي كانت جالسة في منتصف الطاولة كي تعتني بها، حسبما قالت. جلس "بلاجيتش" وزوجته المُتكوّرة على يمين "تاراس". كلما نظر إليها تذكر كيف كانت الوحيدة من بين

جميع النساء في "بوهيني" التي لم يضاجعها الراحل الغالي والتي سرعان ما تبعت "ألينكا" إلى حيث تجلس "كارين". لعل "بريلك" قال شيئًا عنها ولعل "تاراس" قد نسيه، لكن هذه الأفكار الغبية أرهقته. وقفت زوجة "بلاجيتش" مع "ألينكا" بجانب "كارين" وأخذت تربت على كتفها.

لا بد أن عدد الجالسين حول الطاولة يبلغ ثلاثين شخصًا تقريبًا والتي تمتد بمحاذاة أطول جدار في المنطقة الرئيسة بالنُزُل. هناك أشخاص جالسون إلى طاولتين أخريين، ولكن من الواضح أنهم ليسوا جزءًا من مجموعتهم. تعرف "تاراس" على العديد من أولئك الذين حضروا حفل "بوهيني"، ويجلس أعلاهم صوتًا بجواره.

قال "بلاجيتش" وهو يَغرِف حساء الفطر البارد بعض الشيء في طبقه من وعاء خزفي كبير وذلك بعدما أنهى بالفعل طبقًا آخر من حساء اللحم البقري. "حسنًا، تم الأمر وانتهى". قال "تاراس": "فعلًا؟". قال "بلاجيتش" بتصميم واقتناع مفاجئين: "نعم، تم وانتهى. إنهم يقيمون مثل هذه الطقوس؛ أو مراسم الدفن أو حفلات الزفاف وغيره، حتى لا نشعر بالوحدة".

عرض على "تاراس" المغرفة فرفض "تاراس" ثم تابع قائلًا: "في النهاية كل واحد منا مجرد كائن وحيد على هذا الكوكب القميء. إذا كنت محظوظًا، فأنت لن تدرك ذلك إلا في مثل هذه المناسبات".

رمقه "تاراس" بنظرة مفعمة بالدهشة لأنه لم يكن ليظن أن عبارة "كوكب قميء" يمكن أن تصدر من "بلاجيتش".

شعر "بلاجيتش" ببعض الحرج كأنه قد خمّن ما كان "تاراس "يفكر فيه فقال: "أردت أن أدرس الفلسفة لكن والدتي أرادت أن أصبح طبيبًا، وقد أصبحت". مال أكثر نحو "تاراس" ثم قال: "ممارسة الطب ليس بالعملية الصعبة. الجميع يعتقد أنها كذلك، ولكنها ليست كذلك. لا سيما الآن مع وجود الإنترنت. إذا عجزت عن تشخيص مرض أحد زبائنك، فما عليك إلا أن تخرجه من غرفة الكشف وتسأل محرك "جوجل" عن التشخيص". ابتسم "تاراس" ونظر إلى "كارين". "وماذا عنك أيها المحقق؟ ماذا أردت أن تكون ولم تكونه؟ لا تسيء فهمي، لكنني أعتقد أنك لا بد تشبهني بعض الشيء".

لم يكن حديثه مزعجًا لأن الآخرين انخرطوا أيضًا في أحاديث مفعمة بالحيوية كما ظهرت أباريق نبيذ جديدة على الطاولة.. نبيذ أحمر.. مرت أمام "تاراس" مباشرة. نهض "بلاجيتش" وملأ كأسه وكأس زوجته الغائبة وهو يقول: "أعلم أنك لا تشرب. شرح لي صديقنا الراحل كل شيء عن هذا الأمر وعن والديك أيضًا، أو والديك بالتبني. لهذا أنا أسألك: هل تعدني فضوليًا؟". ابتسم "تاراس". "الحقيقة أنني لم أملك الخيار أبدًا. أعتقد أن هذا كان أصل كل شيء. لم أسأل نفسي أبدًا عما أريد أن أكون، ولكن حتى لو فعلت ذلك، أشك في أنني سأختار الفلسفة". انتقل "تاراس" من المدرسة الابتدائية بجوار الكنيسة في قريته إلى مدرسة الصناعات

المعدنية المحلية ثم مدرسة الشرطة الثانوية. لا مجال لكثير من الخيارات. تابع "بلاجيتش" قائلًا: "نعم، لكن الفلسفة علم ساحر بشرط أن يكون لديك راع يدفع ثمن تنظيرك". ضحك ثم قال وهو يحاول أن يقلد صوت الفيلسوف السلوفيني "سلافوي جيجيك": "من يعمل بالفلسفة بالطبع لا يتذمر بشأن التنظير، لذا.. حسنًا، أنت واحد من القلائل بيننا هنا..". أشار إلى الحشد المتجمع في الغرفة وقال: "لأننا جميعًا عرفنا ما سنكون عليه لجيلين قادمين، وأطفالنا يعرفون أيضًا. لديك ابنتان، أليس كذلك؟". أومأ "تاراس". "أشك في أنهم سينضمون إلى الشرطة، أليس كذلك؟". "بلى". "حسنًا، كما ترى، سيصبح ابني وابنتي أطباء. إنه عمل تجاري عائلي، هكذا تسير الأمور. الأطباء يتربعون على القمة في هذا الشأن، بل إنهم يفوقون المهندسين المعماريين. والعجيب أننا لا نتوقف عن التذمر من مدى سوء الأحوال، أليس كذلك؟".

نظر نحو الطرف البعيد من الطاولة حيث يقومون بتقديم الطبق الرئيس. كان "تاراس" على حق فالطبق مكون من لحم بأنواعها المختلفة وبطاطس مقلية. سأل "بلاجيتش": "ما مدى معرفتك بـ"رايك"؟". قال "تاراس" وهو يهز كتفيه: "على مدى السنوات القليلة الماضية، منذ أن امتلكت "ألينكا" على العيادة". تنهد ثم قال: "منذ أن امتلكاها، كنا نلتقي من حين لآخر وذهبنا معًا للتريض بالدراجات عدة مرات". "وبعد التريض يشرب كأسًا أو كأسين وأنت لا تشرب. كيف وجدت ذلك؟ أعني كيف تتعامل معه وهو يشرب؟ تجلس وتنتظر

حتى يتوقف؟". ابتسم "تاراس": "من حيث المبدأ، نعم". "لا بد أن "رايك" قد أخبرك بالتأكيد بأنه..". تَجَرَّعَ كأس النبيذ حتى نهايته دفعة واحدة ثم تابع قائلًا: "مارس الحب مع جميع النساء اللواتي كن في الغرفة يوم حفل رأس السنة، هذا إذا كنت في الغرفة في ذلك الوقت".

نظر إليه "تاراس" فابتسم "بلاجيتش"، لكن ابتسامته بدت نقيضًا مضطربًا للون الأحمر الذي كسا وجهه، والذي لا يمكن أن يكون نتيجة لتناوله كأسًا واحدة من النبيذ.

قال "تاراس" وهو يحاول أن يحافظ على نبرة لا تعطي أي انطباع: "قد ذكر شيئًا في هذا الصدد في حفل رأس السنة في "بوهيني". صب "بلاجيتش" كأسًا أخرى وهو يومئ. قال "تاراس": "ولكنه ذكر أنه لم يمارس الجنس مع زوجتك، إذا كان يفيدك أن تعرف". تجهم وجه "بلاجيتش" وتَجَرَّعَ نصف الكأس دفعة واحدة، ثم قال: "ألم يقل لماذا لم يفعل؟".

نظر إليه من وراء كأسه التي رفعها بالقرب من فمه، وكأنه يخشى أن يحدث شيء وخيم إذا لم يكن في أهبة الاستعداد. قال "تاراس": "لم يقل". ابتسم "بلاجيتش" ابتسامة تنم عن أنه لا يصدقه ثم قال: "هَيّا أخبرني. لا بد أنه شرح السبب أو قال أي شيء حول هذا الموضوع". "شعرت أنه كان سيقول لولا دخول "ألينكا" علينا ونحن نتحدث". "فهمت".

انتهى من كأسه الثانية، وضعها على المنضدة، نظر إليه لثانية أو ثانيتين، ملأ الكأس مرة أخرى ثم قال: "حسنًا، لو

لم تدخل "ألينكا"، لكان قد أخبرك أن السبب هو أن زوجتي بدينة". حدق في عيون "تاراس" كأنه لا يريد أن يفقد التواصل بهما. "لا أدري..". "لكن، هل تعرف أن زوجتي لم تكن بدينة طوال عمرها".

تساءل "تاراس" إلى أين سيأخذهما هذا الحديث؟ هل هذا هو السبب الذي جعله يبتعد عن السلوفينيين السكارى وعدم التواصل معهم؟ لا، ليس لأنهم يمرحون عندما يشربون، إنما ما يزعجه أنهم يرهقونه بثرثرتهم عن كل ما تلقوه من صدمات في الحياة. قال "تاراس": "لا يهم.. مات الرجل". "هذا صحيح".

قالها "بلاجيتش" بطريقة أقرب إلى الصياح مما جعل عددًا قليلًا من الناس حول الطاولة يستديرون نحوه فلوح "بلاجيتش" لهم بكأسه، ثم قال: "ولهذا أنا هنا، أشرب نخب صحته الأبدية". رفع كأسه نحو "تاراس" الذي رفع كأس عصير التفاح وقرع كأسه. تابع "بلاجيتش" بمجرد أن وضع الكأس قائلًا: "لكن.. لم أكن أريد أن.. أعتذر لك. أردت أن أسألك عن شيء آخر. هل تتذكر عندما سألتك في "بوهيني" إذا كان بإمكانك أن تعرف ما إذا كان هناك قاتل في الغرفة أم لا، وقلت إنه بإمكانك؟". أومأ "تاراس". سأله "بلاجيتش": "كيف تعرف ذلك؟". "ما قلته كان مجرد شيء خطر على بالي".

انفجر "بلاجيتش" في الضحك، ولكن مع تشابه الأجواء التي تتسم بالمرح في جميع أنحاء الطاولة، لم يلفت ضحكه

انتباه أحد. قال "بلاجيتش": "حقًا؟ هل قلت ذلك لمجرد أنه خطر على بالك؟". "بالفعل". "إذًا أنت أيضًا لا يمكن أن تعرف ما إذا كان هناك قاتل بيننا أم لا، أعني إذا كان أحدنا ينوي أن يصبح قاتلًا، أليس كذلك؟". ابتسم "تاراس" لكنه لم يرد فتابع "بلاجيتش" قائلًا: "هل تعرف ما خطر على بالي؟ حسنًا، ما تبادر إلى ذهني عندما حدث هذا لـ"رايك".. كان هناك.. كم منا كان هناك بالحفل؟ أقصد الرجال الذين ضاجع "رايك" زوجاتهم؟". قال "تاراس": "لا أعرف، لم أعدهم". ولم يعد "تاراس" يخفي أنه لم يعد مستمتعًا بالمحادثة في الحقيقة لكن "بلاجيتش" لم يهتم بل تابع قائلًا: "أحد عشر. كان هناك أحد عشر رجلًا، ولو أضفناك يصبحون اثنا عشر. هل تعرف أي حالة يمكن أن تتلبس اثنا عشر رجلًا يحملون ضغينة ضد الشخصية الرئيسة في المشهد؟". قال "تاراس": "العشاء الأخير. في هذه الحالة يصبح العدد أحد عشر وليس اثنا عشر. لماذا أحمل أنا أي ضغينة ضد "بريلك"؟". تجاهل "بلاجيتش" السؤال، ولم يرفع عينيه عن "تاراس" وقال: "اللعنة، فلتعلم أن هذا الاقتران لم يخطر على بالي أبدًا. لا، أنا لا أتحدث عن يسوع ولا يهوذا. كنت أفكر في "أجاثا كريستي" في روايتها "جريمة في قطار الشرق السريع". هل تعرف قصتها؟". "أعرفها". "جريمة قتل.. اثنتا عشرة طعنة.. اثنا عشر راكبًا في قطار.. ما بين "فينكوفتشي" و"بلجراد".. إلخ، هل تعتقد أن الكاتبة العجوز استوحت فكرة القتلة الاثنا عشر من الحواريين؟". قال "تاراس": "لا أعرف. لكن "بريلك" لم يقتله أي شخص، إن لم أكن مخطئًا". تجاهل "بلاجيتش"

كلامه وتابع قائلًا: "بالمناسبة هل حدث في يوم من الأيام أن خمنت في منتصف أي رواية من روايات "أجاثا كريستي" من هو القاتل؟". "لا، لم أفعل، لكنك كنت تتحدث عن "بريلك" باعتباره ضحية لجريمة قتل". "حسنًا، أنت تعرف كيف يمكن التسبب في إصابة شخص بسكتة دماغية. ألا تعتقد أن أحد عشر طبيبًا يعرفون كيف يستبدلون مضادات التخثر بشيء له تأثير عكسي؟ كان "رايك" يعاني من ارتفاع ضغط الدم وتناول.. دواء ضد تخثر الدم". "أنا أعرف ما هي مضادات التخثر. ولكنهم شرّحوا جثته". "والتشريح لم يكشف عن أي شيء غير عادي، أليس كذلك؟ ما سبب الجلطة؟ وجدوا أن الجلطة تسببت في نزيف في المخ، ولكنهم لم يقولوا سبب تجلط الدم بالدماغ، لأن هذا لم يكن هدفهم، فتاريخه المرضي كافٍ".

الآن فقط بدأ "تاراس" ينظر بجدية إلى "بلاجيتش". كان يحدق في وجهه الأحمر المستدير فرأى تحت جلده عروقًا زرقاء مرئية فوق عظام وجنتيه. رأى "تاراس" نوعًا من التفاني في نظرته، ونوعًا من التزام بمهمة كان قد حددها لنفسه منذ فترة طويلة والآن فقط وجد الشجاعة كي يُتممها.

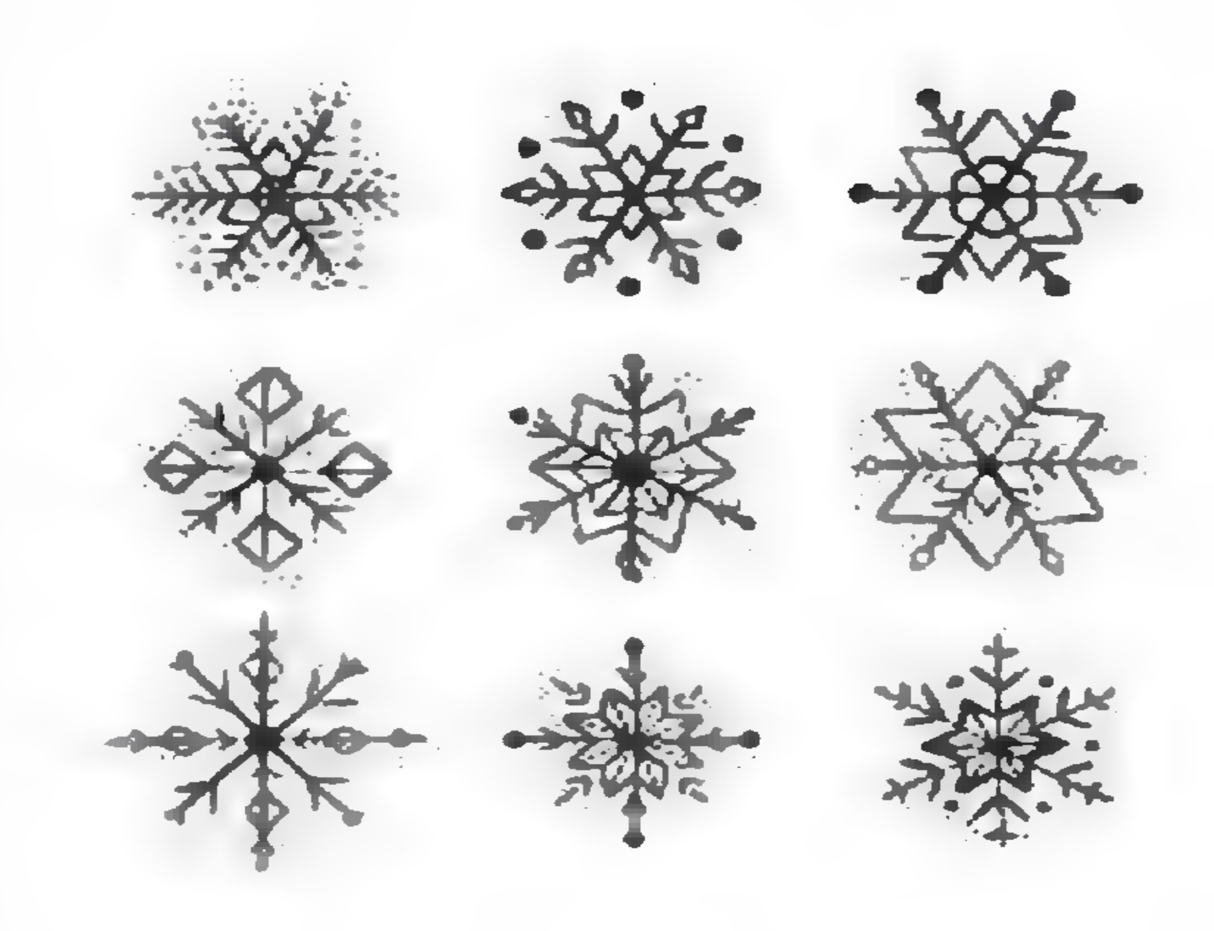
قال "تاراس": "هل تعلم أنني ضابط شرطة؟". "هذا هو". "وقد أخبرتني للتو أنك تشك في أن "بريلك" قُتل على يد شخص ما. هل ما فهمته صحيح؟". قال "بلاجيتش" على عَجَالَةٍ: "لا، لا.. بل قلت لو قرر أيًا منهم أن يقتله، لأمكنه

أن يفعل، ولدى عدد منا دافع ليفعلها". "تقصد الأحد عشر حواريًا تورط "بريلك" مع زوجاتهم في علاقة جنسية، أليس كذلك؟". حدق "بلاجيتش" مباشرة في عينيه، واختفت نبرة الصوت الفاترة التي بدأ بها هذه المحادثة ثم قال: "لم يكن هناك أحد عشر حواريًا أيها المحقق". ابتعد "تاراس" عن الطاولة، وتناول كأس عصير التفاح ورفعها إلى فمه، وبدا أنه غير رأيه، فوضعها مرة أخرى على الطاولة وهو يقول: "ما الذي تحاول أن تخبرني به؟". ارتبك "بلاجيتش" وشد رأسه وحركها بين كتفيه وتلعثم وهو يقول: "أنا.. لا شيء، لا شيء، كنت فقط..". سألتهما "ألينكا": "ماذا تفعلان؟". ثم عادت إلى نهاية الطاولة مع زوجة "بلاجيتش" وقالت "لكارين": "إذا احتجتِ أي شيء يا "كارين"، فلديك رقم تليفوني. إذا أردتِ، يمكنك المجيء لمنزلنا والبقاء معنا الليلة". ابتسمت "كارين" ثم هزت رأسها بالنفي ببطء كأنها تجد صعوبة جمة في مجرد هز رأسها، ثم قالت: "بعدما أنتهي من هذا سأذهب مباشرة إلى "بوهيني". توقفت "ألينكا"، في انتظار تفسير منها لكن لما لم يبد أن هناك شيئًا وشيكًا سيصدر من "كارين"، قبلتها على خديها وتوجهت نحو الباب. تبعها "تاراس" وعندما وصلوا إلى الزاوية حيث جلس "بلاجيتش" الآن مع زوجته، وقف "بلاجيتش" وأوقف "تاراس" وقال له: "أنا آسف لأنني كنت.. هجوميًا للغاية. إنني أشاهد كل مسلسلات وأفلام الجريمة وما شابه، فشطح بي خيالي. لقد نسيت ما أردت أن أخبرك به بالفعل. هل أقوله الآن، أم يجب أن أتصل بك صباح الغد؟". "تفضل الآن". "حسنًا، لا أعرف إذا كنت تعلم

أم لا لكن في تلك المقابلة الاستقصائية أو أيًا كان اسمها، سألتني زميلتك عن القارب الذي اختفى ثم أعيد لي، وما إلى ذلك؟". "ثم؟". "حسنًا، لقد أبلغت عن السرقة، ثم ظهر القارب مرة أخرى عند مرساتي..". "ثم؟". "مبدئيًا لم يكن هذا قاربي. رأته زوجتي عند مرساتي بعدما أعيد ولم تستطع أن تتعرف على القارب وتميزه..". نظر "تاراس" نحوها مَلِيًا. "عن قاربنا. أردت الاتصال بالشرطة، لكنني قلت لنفسي إنك لا بد منشغل بأشياء أكثر أهمية من البحث عن قاربين تم تبديلهما. حصل شخص آخر على قاربي وحصلت على قاربه، وهكذا تعادلنا. هل كنت على حق؟".

النظرة الثاقبة التي رمقه بها "تاراس" كادت تخترقه، لكن بعدما أشاح بنظراته عنه إلى نقطة غير محددة وسط النُّزل، وبعدما انتظر برهة قال: "لم يكن قاربك إذًا؟". "لا، ولهذا السبب، كيف يمكنني أن أقول ذلك.. لقد شعرت بتأنيب ضمير طفيف لعدم إبلاغي الشرطة بالواقعة. القارب الذي تم إرجاعه أفضل بكثير من قاربنا. هل تعتقد أنه يجب أن أبلغ الشرطة في "بوهينيسكا بيستريتسا"؟ إنه المكان الذي أبلغت فيه عن سرقة قاربي". قال "تاراس": "لا داعي، سأفعل ذلك نيابة عنك". مد "بلاجيتش" يده ليصافحه وهو يقول: "ليتك تنسى كل ما قلته. عندما أشرب، أسترسل في الحديث وأثرثر كالمعتوه".

الفصل الرابع والأربعون



سألت "تينا" بعدما أغلق "تاراس" الباب خلفه: "ما خطبه اليوم؟". "ماذا تقصدين؟". رمقها "برايك" بنظرة تحمل دهشة بينما ظل "أوسترتس" ينتظر إتمام إعادة تحميل برامجه الفاشلة على جهاز الكمبيوتر. لوحت "تينا" بيدها في الهواء بعدما شعرت بالإحراج من سؤالها. "أوه، لا أدري". قال "أوسترتس" من خلف شاشة جهازه الأقرب إلى صندوق منه إلى جهاز كمبيوتر: "إننا تعودنا على طِبَاعه. تنتابه نوبات الصمت هذه عندما يتبدى له شيء". قالت "تينا": "لماذا لا يشارك معنا المعلومات؟". ابتسم "برايك" ابتسامة عريضة

وهو يقول: "لأنه لا يعرف كيف. حسنًا، لقد فعل على أية حال. ألم يقل شيئًا عن الكراهية؟".

رمقته "تينا" بنظرة تحمل خيبة أمل. بدا واضحًا أنه لكي تقرر أن تقطع رأس شخص ما فلا بد أنك تكرهه كرهًا شديدًا، على الأقل بدا لها الأمر على هذه الصورة. سألها "برايك": "ما الذي يضايقك؟".

هزت رأسها بالنفي. ما الذي قصده عندما ذكر "الكراهية التي من نوع خاص"؟ وهل هناك نوع آخر منها؟". أجابته قائلة: "لا شيء. انس الأمر".

إنه كلفها بمهمة عليها أن تؤديها مهما كانت أهميتها ضئيلة. أدخلت اسم قناة "آر تي في سلوفينيا" في متصفح الإنترنت وأدخلت في حقل البحث اسم "زيدار" فظهر لها ثلاثة وعشرون تقريرًا، فتحت أحدثهم ويدور حول وصول "زيدار" إلى السجن في بلدة "دوب". دونت أسماء الصحفيين الذين عملوا كمراسلين لنقل الحدث من خارج السجن. ثم عثرت على رقم تليفون سكرتيرة المحطة التليفزيونية واتصلت بها من التليفون الأرضي. قالت "تينا": "مرحبًا، هل يمكنني التحدث إلى "تانيا كولينك" من فضلك؟". جاءها الصوت على الطرف الآخر من الخط يقول: "لحظة، سأوصلك بها". رنّ التليفون واستمر حتى أتاها الصوت نفسه مرة أخرى قائلًا: "لحظة، إنني أوصلك بها". بعد ثلاث رنات، التقط أحدهم سماعة التليفون. سمعت صوت رجل. عرفته بنفسها وطلبت التحدث إلى الصحفية "تانيا كولينك". قال الرجل:

"لحظة من فضلك". وفي الخلفية سمعته ينادي قائلًا: "يا "تانيا"، إنها الشرطة، تريدك". "معك "تانيا كولينك"، كيف يمكنني مساعدتك؟". ها هي الصحفية على الطرف الآخر من التليفون، فشعرت "تينا" بخيبة أمل وخجل من نفسها في الوقت ذاته. إنه لشيء كريه أن تتمنى ألا تسمع صوت شخص ما على التليفون لأنك تريده أن يكون ميتًا. تمنت ألا تشير إلى ذلك. عرفتها بنفسها مرة أخرى ثم قالت: "إننا نود أن نستوضح بعض التفاصيل في قضية "زيدار"، لذا فإنني أتصل بأي شخص له علاقة به". قالت: "تفضلي". من المفترض أن تسألها عن ماذا؟ هل تقول لها: "عذرًا، هل تعرفين فتاة في مثل عمرك قد تكون مفقودة؟". قالت: "في الحقيقة من الأفضل أن نلتقي، إن أمكن ذلك؟". "بالطبع. هل تريدين أن نلتقي اليوم؟ ". اتفقتا على أن تلتقيا في الساعة الثامنة بعد نشرة الأخبار المسائية بمبنى قناة "آر تي في سلوفينيا".

لا تدري لماذا اقترحت هذا؟ ما الذي يمكن أن تتوصل إليه بحلول المساء؟ تلفتت حولها في المكتب فوجدت "برايك" و"أوسترتس" جالسين في اطمئنان وسكينة بعدما أصبحت هذه المساحة مألوفة لهما لا سيما بعد أن قضيا فيها عشرين عامًا، ومن ثم يمكنهما الجلوس بها دون القيام بأي شيء مفيد وهما يشعران بالراحة والألفة. كان "أوسترتس" ينقر بالفأرة ويحدق في الشاشة وأرادت "تينا" أن تقف خلفه وترى ما كان ينقر عليه بينما استرخى "برايك" على كرسيه وهو يقرأ صحيفة عمرها يومان وجدت طريقها بشكل ما إلى مكتبهم.

بدا أنهما في انتظار "تاراس" وحاسته السادسة. في الواقع، بدا أن ثلاثتهم ينتظرونه.

***

سألته "ألينكا" وهما في طريق عودتهما بالسيارة من الجنازة إلى المنزل بعدما غشِي الليل: "ما الذي كنت تتحدث عنه مع "بلاجيتش"؟". "عن أنه ليس صحيحًا أن "بريلك" لم يضاجع زوجته". ظلت صامتة، فكرر "تاراس" الجملة. سألت بعد فترة: "هل يزعجك الأمر حقًّا؟ إذا كان قد حدث شيء بيني وبين "بريلك"؟". قال "تاراس": "من الواضح أنني لست الوحيد". ثم نظر إليها بينما أخذت تحملق في الطريق عبر زجاج السيارة الأمامي. التزما الصمت لمسافة كيلومتر آخر. قال "تاراس": "لم أكن أنا من طرح الموضوع. إنني أستمع فقط بل إن "بلاجيتش" يعتقد أن "بريلك" قُتل على يد واحد من الأحد عشر أو الاثني عشر رجلًا الذين حضروا حفل رأس السنة في "بوهيني"، لأن "بريلك" ضاجع زوجاتهم أو بالأحرى طالب بحقه في قضاء ليلة الزواج الأولى معهن". "مات "بريلك" من سكتة دماغية. اسأل "تشفيلاك". "يعتقد "بلاجيتش" أن أحدهم سبب له هذه السكتة الدماغية". "أوه..".

وصلوا إلى المنزل واستخدم "تاراس" جهاز التحكم عن بعد لفتح باب المرآب وأدخل السيارة ثم خرج منها وانتظر أن تفعل "ألينكا" الشيء نفسه، ثم أغلقها. دخلا شقتيهما ووقف "تاراس" أمام التليفزيون وتناول جهاز التحكم عن بعد ثم

غير رأيه وأعاده إلى الطاولة.

"في الحقيقة أود أن أعرف". "تعرف ماذا؟". التزم الصمت. قالت: "حتى لو أزعجك الأمر؟". جلست "ألينكا" على الأريكة بينما جلس هو على أحد كراسي الطاولة. قال: "حسنًا، لقد فعلتماها إذًا. ليتكِ تعفيني من التفاصيل".

نهض وغادر المكان.. في هذه المواقف لا يملك الشخص الممتنع عن تناول الكحول سوى خيارات محدودة من ردود الأفعال. ذهب إلى الخزانة التي فوق حوض المطبخ وأخذ يحدق في زجاجات الكحول فوجدها مجموعة متنوعة.. ابتداءً من الفودكا والويسكي إلى "البراندي" المصنع منزليًا الذي حصل عليها كهدايا على مر السنين ولم يستطع التنازل عنهم لأحد. أغلق الخزانة ثم تفقد الثلاجة، فوجد زجاجة نبيذ لأي ضيوف قد يمرون عليهم دون موعد مسبق. قالت كأنها لم تسمع ما قاله: "بعد السنة الثانية أو الثالثة ذهبنا معًا إلى رحلة ما في وقت لم يكن يرفع عينيه عني، كنت أعرف ذلك، وأقر أنني لم أمانع". "من فضلك، لستِ مضطرة للخوض في ذلك". "وفي ذلك المساء رقصنا وتناولت بعض المشروبات الكحولية، وكما تعلم، فأنا لا أقوى على تحمل تأثير الكحول أبدًا. ثم ذهبنا إلى غرفته".

أراد "تاراس" أن يصرخ فيها كي تتوقف عن الكلام لكنه لم يستطع لأنه تمنى حتى اللحظة الأخيرة أن تقول: "ثم ثملت واستغرقت في النوم".

تابعت قائلة: "وعلى حد تعبيرك.. ضاجعني". صمتت ونظرت إليه، في انتظار أن يسأل، أو يقول أي شيء ولما لم يفعل قالت: "والآن، ها قد عرفت". "لست أنا مَنْ قال "ضاجع" بل "بريلك" نفسه". ضغط على جهاز التحكم عن بعد فظهرت مباراة على شاشة التليفزيون.

سمع نفسه يقول: "ثم؟". "ثم بقينا معًا على هذا المنوال لفترة وجيزة".

حاول متابعة اللاعبين الذين يرتدون الزي الرياضي الأزرق وأولئك الذين يرتدون الزي الأخضر ويركضون في أنحاء الملعب لكنه لم يستطع حتى قراءة لأي فريق ينتمي أي منهما. سألها: "وصديقتك "كارين"؟ كانت معه في الوقت نفسه، أليس كذلك؟" ظلت صامتة. أخذ يقلب القنوات ثم قال: "أنتِ قلتِ إنها كانت على علم بصولات وجولات "بريلك" مع نسائه". بدل القنوات مرة أخرى ثم قال: "هه؟". "إنها تعرف. لا تجبرني على الاستمرار، من فضلك". بدأت تبكي. قال: "آها..". أوقف تشغيل التليفزيون ثم أعاد تشغيله مرة أخرى على الفور. قالت: "وها أنت تعلم الآن". "سؤال واحد فقط..". انتظرت وعندما لم يبدِ ما يشير إلى نيته في الاستمرار في الحديث قالت: "تفضل". "هل تعلمين.. بالطبع كنت تعلمين أن "بريلك" كان زير نساء بامتياز، بل أسوأ زير نساء على وجه الأرض. ألم يزعجك ذلك؟". ظلت صامتة. قال: "هل مارستم علاقة جنسية ثلاثية؟".

لم ينظر إليها ولكنه سمعها تنتحب. جلس ومرفقيه على

طاولة المطبخ وأسند رأسه بين راحتيه ثم قال: "هل تعرفين كيف أشعر الآن؟ كأنني نَسَفت لتوي العشرين عام الماضية". بدأت تبكي مرة أخرى وصرخت قائلة: "ألم ترتكب أي خطأ في حياتك؟". رفع رأسه وتطلع إليها ثم قال: "لم أعد أعرف ما إذا كان خطأ أم لا". وضع زجاجة النبيذ على المنضدة أمامه وحدق بها لفترة، ثم أحضر فتاحة وثبتها في غطاء الفلين. سألته: "ما الذي تفعله؟". في الدقائق الطويلة التي جلسوا فيها بمفردهما، جلست على الأريكة، وجلس إلى طاولة المطبخ، توقفت عن البكاء. أخذت تراقبه وهو يسكب كأسين من النبيذ وعلى وجنتيها علامات دموع جفت. أجابها قائلًا: "قال حبيبك السابق، ولن أستخدام كلمة أخرى تتناسب مع أسلوبه أكثر، إن امتناعي اللعين عن شرب الكحوليات يعود لأسباب نفسية. حان الوقت الآن كي أتخلص من هذه المشكلة. أتريدين كأسًا؟". قدم لها كأسًا لكنها لم تأخذها منه فقال: "حسنًا، دعينا نرى ما..".

أمَال الكأس وأخذ رشفة واحتفظ بها بين أسنانه ولسانه ثم أفرغ كأس النبيذ الأحمر حتى آخر قطرة في جوفه. مرت خمس سنوات على آخر مرة حاول فيها أن يحتسي مشروبًا كحوليًا. لم تنسيه هذه السنوات إحساسه بالكحول وهو يسري في الحلق ويصل إلى الدماغ في الوقت نفسه تقريبًا. قال: "الآن، ها هو لا يسري!".

نظر إلى "ألينكا" التي بدت متعبة. لا أحد في المقصف يطلب منها كوبونات الطلاب عندما تبدو متعبة لأنها طبيبة.

لم يطلبوا منه الكوبونات منذ أكثر من عقد لأسباب أخرى معروفة. سكب كوبًا آخر، لَيته وفر على نفسه كل هذا.

جاءه الألم الآن بَغْتَةً ودون أي مقدمات، ورغم تجاربه السابقة إلا أنه الأشد هذه المرة حتى إنه أخذ يتلوى في كرسيه وبالكاد تمكن من دفع نفسه بعيدًا عن الطاولة حتى لا يضربها بجبهته. ها هو الألم مجددًا، هكذا فكر وهو يشعر بخيبة أمل عندما اشتد الألم في المعدة بسبب شيء جديد ألَمّ به. بدا الأمر كأنه تلقى لكمة سريعة في بطنه على حين غِرّةٍ حتى إن الوقت لم يسعفه كي يستنجد ويطلب المساعدة، جاءه الألم بسرعة البرق حتى إنه جلب له إحساسًا بالدهشة بدلًا من الخوف. أخذ يلهث بحثًا عن هواء يستنشقه لمرتين أو ثلاث ثم حشرج صوته وسقط من على كرسيه وغشِيَ عليه ليغرق في الظلام.

***

في مبنى قناة "آر تي في سلوفينيا" أظهرت "تينا" بطاقتها الشرطية وحصلت على شارة زائر ووضعتها في جيبها. انتظرت الصحفية التي أقبلت عليها مبتسمة من الجانب الآخر لحاجز زجاجي فتحته من الداخل ببطاقة المرور المُمَغْنَطة. قالت الصحفية: "هل يمكننا الصعود إلى البار لتناول القهوة، أم أن لقاءنا لا بد أن يتسم بشيء من الرسمية؟". قالت "تينا" وهي تتبعها إلى المصعد: "لا بأس من تناول القهوة". تبعتها إلى المصعد.

استمعت إليها في المصعد وراقبت الصحفية وهي تشرح كيف تناولت القهوة بالفعل عشرات المرات طوال اليوم وكيف ينبغي عليها الآن أن تشربها مرة أخرى.

قالت: "نصف هذا العمل في انتظار..". حسنًا.. إنها لم تكن جميلة كما أظهرتها الكاميرا في تقارير التغطية الإخبارية التي ثُبث على الهواء مباشرة والتي لم تُظهر أن رأسها لا يتناسب بالمرة مع مؤخرتها، وأن المكياج أخفى حب الشباب. تحدثت بلهجة بلدية "ستيريا" المُنغَّمة تنغيمًا خفيفًا والتي يبدو أنها تختفي، لسبب ما، وهي تنقل هذه التقارير الإخبارية. إنها تحب أن تثرثر وبلا توقف وظلت هكذا منذ تحرك المصعد البطيء وحتى الطابق الرابع.

ظلت تثرثر وكأنهما تلتقيان كل يوم لتناول القهوة معًا.

سألت الصحفية: "ما الذي تودين معرفته إذًا عن..". "أود أن أعرف كيف تابعتِ القضية المرفوعة ضد "زيدار"، وأريد أن أعرف الأشخاص الذين كانوا في محيطه آنذاك، والذين حضروا جلسات المحاكمة، وخاصة النساء.. نساءه..".

فكرت برهة، ثم تدفق كلامها كأنه نَش ماء، أو عاصفة صيفية، وكلما تصورت "تينا" أن ثرثرتها على وشك الانتهاء، تجدها تتدفق من جديد. استمعت "تينا" إليها وهي تشعر بشيء من الإرهاق وحاولت ربط الخيوط ببعضها بعضًا. في الحقيقة لا جديد فيما قالته، لا شيء سوى كثير من الكلمات عن الصعوبات التي تواجهها في عملها كصحفية، حول

المحاكم غير الداعمة للعمل الصحفي لأنها لا تدرك أننا جميعًا في القارب نفسه وتضع ألف عائق أمام الصحفيين المتفانين الناكرين لذواتهم خاصة أولئك الذين يعملون في قنوات التليفزيون التي لا تريد سوى نقل صورة صادقة وموضوعية من قاعة المحكمة ونقل جوهر الحدث إلى مشاهديها، وحول الكثير عن المحررين الذين يطلبون بث تقارير إخبارية مباشرة حتى في حالة عدم حدوث أي شيء يُذكر في المحكمة أو حتى في حالة أن كل ما يجري يتم خلف أبواب مغلقة.

قالت: "تخيلي بعد كل ذلك، وبعد أن تنتظري لأربع ساعات في غرفة بدون تكييف، وتقفين أمام الكاميرا ومظهرك متألق ووجهك متورّد من أجل نقل تقرير لا تزيد مدته عن دقيقتين ثم تجدين والدتك تتصل بكِ وتسألك ما خطبك؟ بدا مظهرك غير مهندم على شاشة التليفزيون".

استأنفت حديثها حول كيف لا يفهم المتهمون أيضًا عمل الصحفيين وكيف أن الصحفيين هم في الأساس الضَمَانَة الأخيرة لهم في حال شدت في وجوههم السبل و..

قالت: "نحن - الصحفيين - الضَمَانَة الأخيرة، وليس القضاة أو محاموهم".

وتابعت حديثها حول كيف واجهت صعوبات جمة مع المتهمين الذين يرفضون أن يَدلوا بأي تصريحات للصحفيين، وخاصة "زيدار" نفسه. "إنني عرضت على هذا المجرم

عشرات المرات أن يقول شيئًا دفاعًا عن نفسه ومع ذلك رفض رفضًا باتًا أن يقف أمام الكاميرا".

لم تكن "تينا" متأكدة هل ثرثرة الصحفية أم مجرد قلة النوم هو ما جعلها تتابع بالكاد ما كانت تقوله، لكن هذه النقطة الأخيرة التي ذكرتها لم تفوتها، فسألتها: "لكن كيف وقد رأيتك تتحدثين إلى "زيدار في" تقارير التغطية الإخبارية؟". ليس مجرد الحديث معه فقط إنما طبيعة حديثه الذي كان مُرسَلًا وعلى سجيّته. قالت: "أوه، لا، لم تكن أنا. اختلط الأمر على كثير من المشاهدين". رمقتها "تينا" بنظرة تنم عن حيرة. فقالت: "صحيح أنها تُدعى "كولينك" مثلي، لكن اسمها ليس "تانيا" بل "تياشا". ونحن لسنا حتى أقارب. إنه أمر مضحك، أليس كذلك؟ حسنًا، إنني شغلت مكانها في وقت ما بمنتصف المحاكمة". "وأين ذهبت؟". لفت "تانيا" حدقتي عينيها في حركة دائرية وأدارت عينيها إلى السقف ثم قالت: "أوف، إذا لم أكن مخطئة، فقد نقلوها إلى قسم العلوم والتكنولوجيا أو شيء من هذا القبيل.. ربما صناعة الأفلام الوثائقية. ترددت أقاويل عن أن هناك شيئًا ما بينها وبين "زيدار" أما أنا..". مالت نحو "تينا" وهمست قائلة: "فعلى يقين من أن هناك شيئًا ما بينهما. وإلا فلماذا أدلى لها بتصريحاته وليس لي؟". حدقت "تينا" فيها وهي في حالة صدمة واستجابت "تانيا" برفع حاجبيها بطريقة ذات مغزى.

تساءلت "تينا" هل وارد أن يتصف الناس الذين يعملون في هذا المبنى بهذا القدر من الغباء؟ هذا ما كنت أتساءل عنه

طوال الوقت!

***

بعد حقنه بـ"الفاموتيدين" المضاد للهيستامين والتمدد لساعتين على سرير المستشفى في الممر في قسم الطوارئ والحوادث، تعافى "تاراس" بما يكفي كي يكشف عليه الطبيب الذي بدا مرهقًا مثله مثل "تاراس" تمامًا، فقد كان الممر يعج بالمرضى. لولا زميلته الدكتورة "ألينكا" لما منحه هذه الدقائق من وقته.

قال دونما تحية: "أنت مدين بالشكر لزوجتك، لو لم تحقنك بجرعة من مضاد الهيستامين على الفور، لكنت الآن في قسم آخر". وقفت "ألينكا" بجوار الحائط ولم يطرف لـ"تاراس" جفن. سأله الطبيب: "نبيذ؟". أومأ "تاراس". قال الطبيب: "في هذه الحالة عادة ما يصاب الناس ببقع على بشرتهم وقد لا يتعدى الأمر ذلك. هناك نوبات هلع..". "لم يكن هناك هلع. شعرت بضيق تنفس شديد". ابتسم الطبيب وقال: "نعم، حسنًا هذه أحد أعراض نوبات الهلع، ما رأيك لو بقيت هنا الليلة من باب الاحتياط، وغدًا إذا وجدنا كل شيء على ما يرام، تعود إلى منزلك؟". قال "تاراس": "لن أفعل".

رمق الطبيب "ألينكا" بنظرة استجوابية، فأومأت برأسها بطريقة تكشف عن الإرهاق الذي حل بها.

بدا "تاراس" شاحبًا ومرهقًا كأنه عاد لتوه من سباق ماراثون. أرادت "ألينكا" أن تمسك بذراعه عندما خرج من

السيارة، لكنه أزاحها. في المنزل زحف على الأريكة وتمدد بينما جلست "ألينكا" على أحد كراسي الطاولة. سألته: "كيف حالك الآن؟". لم يرد. قالت: "هل يمكنني أن أجلس بجوارك؟". لم يرد، فبقيت في مكانها. كان رأسه خاويًا كأنما أُفرغ مما فيه. من المؤسف أنه ليس كجهاز الكمبيوتر الذي يمكنك إعادة تشغيله بعد إيقافه كلما لزم الأمر. قال: "تعالي". أفسح لها مساحة بجانبه على الأريكة فجلست ووضعت رأسها على كتفه. جلست هكذا في صمت، ثم رفع "تاراس" يده ومسد شعرها. رفعت رأسها ونظرت في عينيه ثم قالت: "سيظل العالم على ما هو عليه يا "تاراس" ولن تفلح في تغييره أبدًا، حتى لو قتلت نفسك. لن تثبت أي شيء لأي شخص، حتى لو مزقت نفسك إربًا. لن يتغير شيء إذا واصلت العيش وكأنك لا تملك خمسة يورو في محفظتك وإذا ظللت تفكر فيمن كنت أمارس معه الجنس منذ ثلاثين عامًا مضت، حتى جرائم الحرب تسقط بالتقادم". "جرائم الحرب لا تسقط بالتقادم أبدًا". أرادت أن تقول شيئًا لكنه قاطعها قائلًا: "لا أريد أن أعود للحديث عن هذا". ظلا صامتين لفترة قال "تاراس": "ذكر "تشفيلاك" في الجنازة أنه يشعر بالمسؤولية عن وفاته". تعمد ألا يذكر اسم "بريلك". قالت وقد تعمدت هي أيضًا ألا تذكر اسم "بريلك": "من الواضح أنه تخطى الحدود المسموح بها. ما فعله دفعه إلى حافة الخطر. ما جرى له كان متوقعًا إن عاجلاً أو آجلاً". "ما الذي دفعه إلى حافة الخطر؟". دفعها "تاراس" بعيدًا عنه ونظر إليها مباشرة فقالت: "إنه سأل "تشفيلاك" عما إذا كان بوسعه رؤية جثة الفتاة التي انتشلت

من بحيرة "بوهيني"، وبمجرد أن أخرجها له من ثلاجة المشرحة سقط في مكانه". "إنه مات لأنه أصيب بجلطة دماغية في عيادته، في المستشفى، أليس كذلك؟". "لا، أصيب بجلطة دماغية في المستشفى، وليس عيادته. لقد أصيب بها عندما أخذه زميلك الدكتور "تشفيلاك" لرؤية الجثة التي كنت تحقق في مقتلها على مدار الأسابيع الماضية". "حدق بها كأنه رأى شبحًا، فسألته: "ألا تعرف؟".

نهض من على الأريكة وذهب إلى الرف حيث وضع تليفونه. مرر قائمة الأرقام حتى وصل إلى حرف "التاء"، وجد رقم "تشفيلاك" واتصل به.

***

قال الصوت على الخط الآخر من التليفون والذي كان لـ"بريلك" دون شك: "مرحبًا يا "تشفيلاك". "ما أخبارك؟ ما الذي يمكن أن يقدمه لك مَسلَخنا؟". "لديك فيما يبدو جثة انتشلت من جليد "بوهيني". هل يمكنني إلقاء نظرة عليها؟". سأله "تشفيلاك" من باب الكِياسة: "لماذا؟".

لقد حظيت الحالات التي ظهرت في وسائل الإعلام باهتمام العديد من الزملاء ولم تكن الزيارات المماثلة لزيارة "بريلك" نادرة. أجابه "بريلك" قائلًا: "طلب مني "تاراس" أن ألقي نظرة". فأخبره "تشفيلاك" أنه إذا كان الأمر كذلك، فيمكنه أن يمر في أي وقت، لكنه شعر بشيء من الإهانة وسأل نفسه ما الذي يمكن أن يراه "بريلك" في الجثة ويخبر به "تاراس" ولا

يستطيع هو أن يراه؟

ذهبوا إلى المشرحة وأدَلّه "تشفيلاك" على الدرج الجرار حيث توجد الجثة وجلس هو على المكتب لقراءة تقرير عن تشريح جثة رجل أصغر سنًا عُثر عليه ميتًا قبل أيام قليلة في عليّة أحد المنازل في الحي القديم من المدينة. عندما أحضره توقع سبب الوفاة قائلًا: "الهيروين". وأثبت التشريح بالفعل أنه السبب. وبينما أوشك أن يضع أوراق التقرير جانبًا بشيء من الارتياح، سمع صرخة خلفه يصحبها صوت انزلاق واصطدام بدرج الثلاجة المعدني، فاستدار وإذ به يرى "بريلك"، متشبثًا بالدرج، وقبل أن يتمكن "تشفيلاك" من الوصول إليه، سقط على الأرض مغشيًا عليه.

***

بعدما روى له "تشفيلاك" ما حدث أغلق "تاراس" التليفون وعلى وجهه ارتسمت علامة استفهام كبيرة. جلس على الأريكة ساهمًا ولم يشعر حتى بوجود "ألينكا". جلس هكذا لدقيقتين يحدق في شاشة التليفزيون السوداء. سألها: "من هو "رايكو بريلك" المنقوش اسمه على شاهد القبر؟ ابنه؟".
"نعم، ابنهما".

التقى الاثنان في كلية الطب. كانت "كارين" أيضًا طبيبة جراحة واعدة ولكن بعد التخرج بفترة وجيزة حملت. وُلد الطفل مصابًا بمرض في القلب وتوقع الأطباء موته قبل سن الثانية أو الثالثة على الأكثر، لكنهم لم يحسبوا حساب

"كارين" التي ذهبت إلى كل العيادات المتخصصة في جميع أنحاء العالم، وتأكدت من توفير كل العلاجات الممكنة له وهو ما مَدّ في عمره حتى سبع سنوات.

قالت "ألينكا": "وبعد عام من وفاته اكتشفوا طريقة لتصحيح حالة قلبه وذلك بجهاز لا يتجاوز سعره الآن خمسين سنتًا. أولئك الذين عرفوها قالوا إن "كارين" ماتت مع موت ابنهما. لن تصدقني إذا أخبرتك أنها كانت رائعة الجمال، أليس كذلك؟". قال بلهجة عدوانية: "بل سأصدقك". صمتت. "لم تعمل طبيبة أو جراحة أبدًا؟". هزت "ألينكا" رأسها بالنفي. فقال: "وظلت تتفرج على حبيبها "بريلك" وهو يعبث مع النساء في حالة هياج جنسي دون أن يطرف لها جفن". احمر وجهها خجلًا. ماذا قال له "بريلك" في "بوهيني"؟ إنه سوف يستقر، أم ماذا؟

سألها: "هل لاحظتِ وجود أي امرأة بالقرب منه مؤخرًا؟". ظلت "ألينكا" صامتة، فقال: "امرأة أكثر جدية من المعتاد". "لا أدري".

ما الذي قاله آنذاك وسيجارة "الماريجوانا" بين شفتيه؟ أنه سوف يستقر، وأن زوجته كانت لاعبة جمباز وشاركت في أولمبياد مونتريال، وأنه قد يحتاج إلى مساعدتي المهنية.

سأل "ألينكا": "و"كارين"؟ هل كانت لاعبة جمباز؟". "كارين"؟ اعتدنا أن نذهب معًا كي نمارس رياضة اليوجا، وصدقني إنها لم تكن أبدًا لاعبة جمباز. من الصعب أن تجد

امرأة جسدها أقل مرونة من "كارين". "ماذا؟ قال لي "بريلك" إنها شاركت في الأولمبياد التي أقيمت مونتريال مثل "ناديا كومانتشي" أو بدلًا من "ناديا كومانتشي".. ألا تعرفين أي شيء عن هذا؟". "لا، لم تذكر لي أي شيء من ذلك". "هل تنافست أو أوشكت أن تنافس، مثل لاعب الفورمولا "جاكي ستيوارت" في روما، لكن قبل ذلك بثلاث دورات أولمبية؟ ألم تذكر أي شيء من ذلك؟". "من؟".

هزت رأسها بالنفي فنهض وذهب إلى الكمبيوتر وقام بتشغيله وكتب كلمة المرور، ثم نقر على محرك البحث "جوجل" وانتظر بفارغ الصبر حتى فتحت النافذة. كتب "جاكي ستيوارت ويكي".. ثم قرأ ما ظهر عن اللاعب. عندما رفع رأسه عن شاشة الكمبيوتر بدا وجهه أكثر شحوبًا من ذي قبل. رن تليفونه وكان ما زال جالسًا أمام الشاشة غير مصدق ما ظهر له. ذهبت "ألينكا" إلى التليفون ونظرت إلى شاشته.

قالت وهي تناوله التليفون: "إنها زميلتك". سمع صوتًا لاهث الأنفاس على الطرف الآخر من الخط يقول: "آسفة للاتصال بك يا "تاراس"، لكنني أعتقد أنني عرفت من هي فتاتنا".

أنصت لها ولكن بدا كأنه لم يسمعها ولم يرد إلا عندما كررت ما قالته وقال: "شكرًا لكِ يا "تينا". سوف تشرحين لي ذلك بعد نصف ساعة في مركز الشرطة. اتصلي بـ"برايك" و"أوسترتس" وأخبريهما أننا سنلتقي هناك. يجب أن يحضرا مسدسيهما، وأنتِ أيضًا". سألته: "إلى أين نحن ذاهبون؟". قال: "سنعتقل الشخص الذي كنا نبحث عنه. نحن نلاحق

قاتلنا".

عندما أغلق الخط، لاحظ وجه زوجته الشاحب شحوب الموتى. ارتدى ملابسه وذهب ليأخذ سيارته من المرآب.

الفصل الخامس والأربعون



سأله "برايك" الذي ارتبك وهو يحاول تثبيت حزام مسدسه. كان الحزام قصيرًا جدًا: "لماذا لا نترك الأمر للقوات الخاصة؟". هز "تاراس" رأسه بالنفي وقال: "ليس هذه المرة". "وإلى أين نحن ذاهبون؟".

كان "تاراس" قد أقلهم من مركز الشرطة. جلس "برايك" بجواره، و"تينا" و"أوسترتس" في المقعد الخلفي. كانت الساعة العاشرة إلا ربع مساءً، وإذا كان على المرء أن يصف التعبيرات التي ارتسمت على وجوه الثلاثة، فإن أفضل كلمة تجسدها هي.. الارتباك، إلا أن "تينا" كانت أقلهم ارتباكًا على الإطلاق.

قال وهو يستدير من شارع "تسيلوفشكا" إلى الطريق السريع: "ابدئي أنتِ أولًا يا "تينا"".

أخبرتهم عن زيارتها لمبنى القناة التليفزيونية، وعن حديثها مع "تانيا كولينك "التي غطت قسم الحوادث منذ إزاحة

"تياشا" والتي تحمل لقب "كولنيك" أيضًا من هذا القسم بعد تورطها في علاقة مع "زيدار"، وتم نقلها إلى قسم العلوم و..

قال "تاراس": "لهذا السبب تعرفت على "هليب"، وهذا هو السبب في أن موظف الاستقبال في الفندق قال إنها بدت مألوفة له". "في أوائل نوفمبر استقالت "تياشا كولنيك" ولم يعرف أحد السبب. استفسرت عن رقم تليفونها فوجدته غير متاح، أما عائلتها..". التقت عيناها بعيني "تاراس" في المرآة ثم قالت: "ليس لديها عائلة. لقد ربتها عائلة بالتبني وانقطعت صلتها بهم". سأل "برايك": "هل هي ضحيتنا؟".

أومأ "تاراس". سأل "برايك": "أين نحن ذاهبون؟". قال "تاراس: "إلى "بوهيني". قام بتغيير محطة الراديو ثم أغلقه. قال "تاراس": "ليس "زيدار" هو من قتلها أو أمر بقتله، ولم يقتلوها لإرسال رسالة مُنذرة له، كما أن "ميهليتش"، قُطب الصناعات الدوائية، بريء من قتلها. أما "فيربيتش" فهو بريء أيضًا من قتل جثتي بحيرة "بوهيني". إن نبشك في الماضي يا "برايك" كشف فقط عن موت مأساوي لطفل وأمه، ولا شيء آخر..". سأل "برايك": "من القاتل إذًا؟". قال "تاراس" وهو يتنهد: "إنه أمر غريب. الخريف الماضي، في نهاية شهر سبتمبر، في عيادة زوجتي، وفي القسم الذي يديره الدكتور "بريلك" اكتشفوا طريقة جديدة لعلاج مرض ما لا أتذكر اسمه الآن. زارهم طاقم تليفزيوني من قناة "آر تي في سلوفينيا" وتصادف وجودي هناك في ذلك الوقت، وأتذكر أنني رأيت فتاة شابة.. في مثل عمرك يا "تينا "وهي تقف أمام الدكتور

"بريلك" ومعها ميكروفون وأخذت تطرح عليه أسئلة عن هذا العلاج الجديد".

ما فاجأ "تاراس" في ذلك الوقت هو أن الدكتور "بريلك" بدا أمامها مثل أي رجل عادي جدًا. لم يصهل ويدبدب بحوافره كالجواد الهائج، إذا جاز التعبير، ولم يصوب نحو الفتاة كل سهام وأسلحة زير نساء، ولم يستخدم تعبيرات من قبيل "أيتها الزميلة الشابة" ولم يغازلها، ولم يُسال لعابه عليها لدرجة تجعل مَنْ حولها يشعرون بالحرج. لا، لم يفعل أي شيء من هذا واكتفى بدعوتها لتناول القهوة بعد التصوير قائلًا: "اسمعي، إذا كان لديك وقت يمكنك تناول القهوة معي كي أشرح لكِ أهمية طريقة العلاج الجديدة. إنها أشياء معقدة حتى بالنسبة للعلماء".

حتى "ألينكا" التي كان "تاراس" ينتظرها في العيادة كي يخرجان لتناول الطعام، قالت إن "بريلك" بدا طبيعيًا وعاديًا بشكل غريب وبررت ذلك قائلة: "لا بد أنه تقدم في السن". قال "تاراس": "إنني جلست مع هذا الرجل في بلكون منزله في عطلة نهاية الأسبوع في "أوكانك" حيث نحن ذاهبون الآن وحيث حاول إخباري بشيء لولا أن قاطعه دخول أحدهم علينا، قال لي شيئًا عن حاجته للاستقرار، هذا ما قاله.. لا أعرف لماذا أخبرني أنا تحديدًا بذلك، لأننا لم نكن أصدقاء.. على الأقل لم أكن أعتقد أننا.. ثم ذكر "بريلك" أيضًا أنه قد يحتاج إلى مساعدتي المهنية. الآن أعرف لماذا؟".

شرح لهم ما حدث في الجنازة، وعن شاهد القبر.. الابن

الذي مات في السابعة من عمره، والزوجة التي تركت حياتها المهنية بسبب مرض ابنها، والتي لم تفقد بموته ابنًا فقط بل فقدت في الوقت ذاته زوجها أيضًا بطريقة ما.. قال "تاراس": "ونحن بالبلكون ذكر لي أن زوجته، أي "كارين"، قدمت عرضًا أو كادت في دورة الألعاب الأولمبية التي أقيمت بمونتريال عام 1976. ولأنه ذكر "ناديا كومانتشي" التي حصلت على علامة (10/10) على العارضتين غير المستوية وذلك لكمال أدائها إذا كنت أتذكر بشكل صحيح".

نظر إلى "تينا" في المرآة. ابتسمت برغم كل شيء ولم يستطع "تاراس" مقاومة الفكرة التي خطرت على باله وهو ينظر إليها: كم تبدو جميلة!

تابع "تاراس" قائلًا: "البعض منكم.. في هذه السيارة.. لم يكن قد ولد بعد آنذاك". لفت "تينا" حدقتي عينيها في حركة دائرية وغطت فمها بيدها حتى لا يراها "أوسترتس" وهي ترسل لـ"تاراس" قبلة في الهواء. قال "تاراس": "حسنًا، لأنه ذكر "ناديا" و"كارين" زوجته فقد افترضت أيضًا أنها كانت لاعبة جمباز. فاتني أنه ذكر أيضًا شخصًا آخر وهو "جاكي ستيوارت" الذي لديه قصة مشابهة لقصة "كارين". بحثت في "جوجل "واكتشفت أن "جاكي ستيوارت" حاول أيضًا، قبل أن يصبح سائق سيارات سباق، التأهل للأولمبياد في روما في..". سأل "برايك" بفارغ الصبر: "في ماذا؟". "في الرماية، وليس الجمباز". فرغ صبر "برايك" فقال: "ثم؟". "كارين بريلك"، التي كانت آنذاك لا تزال تحمل لقب "بودلسنيك"،

كانت بطلة عالمية بين عامي 1974 و1979 في الرماية بالمسدس المنخفض العيار. وقد قال لي رجل من الجمعية الوطنية للرماية تمكنت من العثور عليه قبل نصف ساعة فقط، إنها المرأة الوحيدة التي تتمتع بالقدر نفسه من المهارة في التصويب بالبندقية والمسدس، ولولا المكائد الأولمبية اليوغوسلافية، لكانت قد شاركت في أولمبياد مونتريال، لكنهم أرسلوها هناك كلاعبة احتياط". ظلوا صامتين لفترة من الوقت حتى تحدث "أوسترتس" من المقعد الخلفي قائلًا: "أليست صديقة زوجتك؟". "نعم". سألت "تينا": "و"لاب"؟". "لا أعرف. ليس أمامي سوى أن أفترض أن "زيدار" أرسله ليراقبها بعدما شعر شعورًا لا شك فيه بأن شيئًا ما سيحدث لـ"تياشا". لقد صادف "لاب" السيدة "بريلك" وهي تتعامل مع المرأة التي تنافسها على زوجها فكان من نصيبه رصاصة في عينه".

أزيلت الثلوج من على الطريق إلى منزل العطلات ولم يحاول "تاراس" إخفاء وصولهم. أوقف سيارته بجوار سيارة "فولفو كروس أوفر" ونظر إلى فريقه ثم قال وهو ينقر على مسدسه: "هناك بالفعل قتيلان يثقلان ضميرها".

قرع الباب بالمطرقة القديمة لأنه لم يكن هناك جرس.. ثم انتظر. قرع الباب مرة أخرى، دون رد، فتح الباب بسرعة وبقوة واختلس نظرة جانبية إلى الغرفة. وجد الباب الذي من المفترض أن يحجب المشهد من الردهة إلى الغرفة الرئيسة مفتوحًا، فرأى "كارين". تقدم نحوها بعدما مسح الثلج العالق

بحذائه في الردهة. قال: "مرحبًا يا "كارين".

وجدها جالسة على الأريكة وما زالت ترتدي ثياب الجنازة، والغلالة السوداء تخفي نصف وجهها. كان أمامها كأس من النبيذ الأحمر ورأت "تاراس". تقدم نحوها ومن ورائه زملاؤه الثلاثة لكنه أشار إليهم بضرورة الانتظار عند الباب. قال "تاراس": "هل بإمكاني الجلوس؟". "تفضل".

كان وجهها هادئًا.. الهدوء نفسه الذي كساه في الجنازة وفي المأدبة التي تلتها، كما عكس محياها نوعًا من الثبات والعزم، ويبدو أنه لا توجد أسلحة في متناول يدها.

سألت كأنها لم تلاحظ وجود الآخرين: "أتريد كأسًا، يا "تاراس"؟ أوه، لا عليك، أنت لا تشرب". "هل تعرفين لماذا نحن هنا، يا "كارين"؟". ابتسمت ثم قالت: "لأكون صريحة، أنا توقعت أن تأتي مبكرًا عن ذلك". رمقته بنظرات شبه اتهامية وقالت: "ما سبب التأخير؟". التأخير؟ عندما ذهب لإحضار فريقه الثلاثي من مركز الشرطة، فكر في إجابة هذا السؤال. أجابها قائلًا: "عدة أشياء.. منها أنكِ ألقيت بالجثة في الماء، وقطعتِ رأسها، فأزال الماء كل الآثار والبصمات، وبدون رأس يصعب تحديد الهوية.. هل تعمدتِ ذلك؟". ابتسمت مرة أخرى ثم قالت: "ما هو إلا حظ المبتدئين فقط. لا تبالغ في تقدير مهاراتي يا "تاراس". مهما كان المدى الذي ذهبت إليه الأمور فأنا لست إلا مجرد هاوية. لماذا ألقيت بها في الماء؟ ماذا أفعل بها إذا كنت أعيش بجوار البحيرة؟ أما عن الرأس؟ أردت أن أقدمه هدية لزوجي العزيز، لكن.. حسنًا، في النهاية

لم أستطع حشد هذا القدر من الشر داخلي كي أفعل ذلك".
"هل ما زلتِ تحتفظين به؟". أشارت بإصبعها خلفه ثم قالت:
"في السقيفة. كان هناك طوال الوقت".

استدار "تاراس" ونظر إلى "برايك" الذي أومأ برأسه ثم سألها: "ولماذا فعلت هذا يا "كارين"؟". تجهم وجهها وهزت رأسها ثم قالت: "أتعرف أنني لم أعد أعرف السبب يا "تاراس". كل شيء.. غريب. هل لاحظت اسم ابني، على شاهد القبر؟ أنا رأيتك". أومأ "تاراس"، فقالت: "كنت أحبه بجنون. ابني "رايكو".. أتعرف كم كان جميلًا؟ نحيف ووسيم وشعره مموج يميل إلى اللون الفضي. كانوا يسمونه "ريتشارد جير". هل تعلم أنهما ولدا في اليوم نفسه؟ "رايكو" الأب و"رايكو" الابن. أحبه الجميع.. كنت ستحبه. ألم تكن تريد ابنًا؟ أخبرتني "ألينكا" بذلك". "لا، لم أرد. هي فقط من يعتقد ذلك".

قامت بتسوية الغلالة التي على وجهها ثم رفعتها. استطاع "تاراس" أن يرى عينيها لأول مرة. دموعها جفت ولكن المسكرة لطخت المنطقة التي تحيط بهما. تابعت قائلة: "كنت طالبة عندما حملت به وتخرجت وأنا حامل في شهري الثامن وأنجبت أجمل طفل في العالم. صورة طبق الأصل من أبيه". طفرت دمعتان من عينيها، وتدحرجتا على خديها ثم سقطتا في حجرها. قالت وهي تشير بإصبعها النحيف إلى "تينا" ثم قالت: "لو عاش لكان الآن في سن هذه الفتاة". طفرت دمعتان أخريان على المسار نفسه. لم تمسحهما بل إنها لم تتحرك من مكانها. قالت: "متى كانت آخر مرة شعرت فيها

بالسعادة في حياتك يا "تاراس"؟ أنت لا تعرف، أليس كذلك؟ أما أنا، فأعرف. آخر مرة شعرت فيها بالسعادة كانت بعد خمس دقائق من ولادة ابني، قبل أن يخبروني أنه ولد بخطأ ما بقلبه. يا لقسوة الأطباء! قال أحدهم أمامي: "لن يعيش". هل تعلم ماذا حدث له؟". أومأ "تاراس"، فقالت: "ماذا يقول متسلقي الجبال عن ذلك؟ قالت لي "ألينكا" ذات مرة.. حسنًا.. قالت: أن تولد.. كيف قالتها؟ أن تولد بلا قضيب خير من أن تولد بلا حظ. أليس كذلك؟". قال وهو يومئ: "شيء من هذا القبيل". "لعل الحظ يسعفك وينمو قضيبك. نعم، إنه مَثَل سوقي، ولكن هكذا هي الحياة. لا أعرف يا "تاراس"، عندما أخبرني "رايكو" أنه سيتركني لأنه التقى بامرأة أخرى..". أغمضت عينيها ومع ذلك ذرفت دمعتين للمرة الثالثة. "كان على علاقة بنساء كثيرات.. أنت تعلم ذلك، أليس كذلك يا "تاراس"؟". "أعرف". "أنا لا أعرف إذا كنت تعرف.. أنه على علاقة بنساء كثيرات.. منهم "ألينكا" أيضًا، هل تعرف؟". أجاب "تاراس" ببرود: "أعرف". "أنت تعرف؟ إنني تظاهرت أنني لا أهتم، لكنني أهتم. إنه مؤلم..". تنهدت وأغمضت عينيها مرة أخرى ثم تابعت قائلة: "كما لو أن شخصًا ما قد أعاد لف بكرة الفيلم من البداية، كأن شريط حياتي يمر أمام عيني وكل ما يمكن قوله بعد هذا العرض هو أنها كانت حياة بائسة، فكان كل شيء بها لا يحتمل".

ثم فتحت عينيها ونظرت إليه، فرأى "كارين" أخرى غير التي يعرفها. قالت: "ماذا ستفعل إذا عدت إلى المنزل وجدت

في انتظارك شخصًا عاريًا، وأخبرك أنه لم يكن يتوقع قدومك، شخصًا مع "ألينكا"؟ وأنها كانت حاملًا منه؟". "حامل؟". "نعم حامل من رجلي الذي لم أتمكن من إنجاب طفل آخر منه". قال "تاراس": "لم تكن حاملًا". كررها قائلًا: "صدقيني، لم تكن حاملًا". "بل قالت إنها حامل". "ماذا كان من المفترض أن تقول بعدما صوبتِ فوهة المسدس إلى رأسها؟". تجهمت "كارين"، فسألها: "هل أطلقت عليها الرصاص أيضًا؟". "نعم". "وماذا عن الرجل الذي أخرجناه من البحيرة أيضًا؟". "لا أعرف من أين ظهر. كان يقف هناك يراقب". "فأطلقت عليه الرصاص أيضًا". أومأت. قال: "ثم وضعتِهما في قارب "بلاجيتش" وجذفتِ باتجاه "ستارا فوجينا" حيث البحيرة أعمق". "أتيت إلى هنا منذ ثلاثين عامًا يا "تاراس،"أعرف عن البحيرة أكثر مما يعرف السكان المحليين". "ثم وضعتِ أثقالًا في جيوب الرجل، ولكنك لم تفعلي مع المرأة، أليس كذلك؟". "كانت عارية. أين كان من المفترض أن أضع الحجارة؟ ثم أحرقت القارب على الشاطئ وأخذت قاربًا آخر عدت به من حيث أتيت". ثم قالت بنبرة تحمل اعتذارًا: "كان كل شيء دمويًا". "لكنك لم تربطي القارب بمرساة "بلاجيتش"، أليس كذلك؟". "لا أعرف، يا "تاراس".

ليت هؤلاء الشباب المدللون لم يأخذوا القارب إلى البحيرة دون قصد ولم "يعيدوه" إلى مرساة "بلاجيتش" دون قصد، ليته صدق الفتاة التي قالت إنها عثرت على القارب على الشاطئ، ليت زوجة "بلاجيتش" لاحظت أنه لم يكن قاربهم.

مرر "تاراس" أصابعه بين خصلات شعره، فقالت: "شاهدتكما أول أمس، في البحيرة". نظر إليها، فرأى ابتسامة شريرة على وجهها. سألها: "عماذا تتحدثين؟". "عنك أنت". أشارت خلفه مرة أخرى بإصبع نحيف لامرأة عجوز وقالت: "رأيتك أنت وهذه الفتاة التي تقف هناك. رأيتكما في البحيرة في وضع حميمي للغاية". قال "تاراس": "كنا نشعر بالبرد". صدر منها نوعًا من التَّأوُّهِ الخشن يشبه الدَمدَمَة الغاضبة، ثم قالت: "كل الرجال متشابهون".

فُتح الباب الذي خلف "تاراس" وسمع أحدهم يتنحنح. استدار "تاراس" ورأى "برايك" الذي أظهرت تعبيرات وجهه بشاعة ما وجده. قالت "كارين": "كما أخبرتك، كان هناك طوال الوقت". تنهد "تاراس" ومرر أصابعه بين خصلات شعره مرة أخرى. كما قالت هناك الكثير من كل شيء.. نظر إليها وحاول تمالك نفسه. عليه أن ينهي هذا الأمر، فقال: "هناك شيء آخر يحتاج إلى توضيح.. موت زوجك. يبدو أنه كان يتعاطى حبوب ضغط الدم. هل قام أي شخص بتبديل هذه الحبوب بأخرى لها تأثير معاكس، ومن ثم تسبب في حدوث سكتة دماغية؟". ضحكت "كارين" وقالت: "من قال لك ذلك؟". التزم "تاراس" الصمت. "حسنًا، هذا شيء لن نعرفه أبدًا، أليس كذلك؟". رمقته بنظرة شريرة وقالت: "لكن لا تقلق، إذا كان من المفترض أن تجد أي شيء في جسده فلن تجد سوى كميات مفرطة من الفياجرا. هذا ما قتله وليس أنا". تناولت الكأس ووضعتها في مواجهة الضوء ثم قالت: "النبيذ

يشبه الدم. أنت لا تدري ما الذي يفوتك". "لقد كانت إنسانة يا "كارين". "مثلما كنت أنا في السابق".

رفعت كأسها وكأنها تريد أن تشرب نخبًا، وأمالتها ببطء ولكنها شربت النبيذ حتى آخر قطرة بإصرار وعزم، ثم أعادتها بحذر على الطاولة، كأنها تخشى أن تسقط من يديها في أي لحظة. أشار "تاراس" إلى "أوسترتس" الذي سحب بعض الأصفاد من جيبه واقترب منهما إلا أن صوت القَرْقَرة التي صدرت من فم المرأة أوقفه. أقبلت "تينا" مسرعة نحوهم وتوقفت في حيرة من أمرها، نظر إلى المرأة التي كانت تتلوى وتتكور وتتشنج تشنجات مروعة وزحفت من على الأريكة إلى الأرض، ثم إلى "تاراس" الذي جلس مشدوهًا، يتابع بشيء من الرزانة ما يجري أمامه. ثم نظر إليها واستدار نحو "أوسترتس" وقال له: "اتصل بـ"تشفيلاك".

وجدوا رأس الفتاة التي انتشلوها من النهر في صندوق، ملفوفًا بالبلاستيك وموضوعًا على الرف العلوي بين الأدوات ولم ينظر "تاراس" إليه بل ناوله إلى "تشفيلاك" الذي وافق على نقله إلى المشرحة بعد ساعتين، وأدلّه على مكان الجثة وقدم له وصفًا للوفاة. وقف "تشفيلاك" بجوار الجسد لبرهة ثم همس: "كارين"! تنهد وركع بجانبها ثم قال: "إنه سم "السيانيد"، أراهن أنه كان "السيانيد". استدار وتَسَمَّرَت عينيه عند "تينا" ثم قال: "إنه يمنع الخلايا من التنفس ويثبط إنزيم "سيتوكروم سي أكسيداز" المشارك في سلسلة تنفس الخلايا وما يحدث بشكل أساسي هو الاختناق الداخلي. أنت

تستنجد و.."

خاتمة

خرج من المنزل وأخذ نفسًا عميقًا. هبّت نسمات جنوبية تحمل هواء دافئًا وبدأ الجليد على السطح في الذوبان. قال لنفسه بصوت عالٍ: "أغلقت القضية".

فكر في أن بوسعه أن يخب في الصباح الباكر إلى هضبة "بوكليوكا" كي يتزلج عبر الضاحية قبل أن يذوب الثلج، وقبل أن يبدأ في إنهاء الأعمال الورقية وإعداد ملف القصة ليقدمه للمحكمة، ولـ"درفاريتش" كي يعرضه في وسائل الإعلام. مع هذا الاحتباس الحراري اللعين، لا يمكنك أن تكون على يقين بعد الآن مما إذا كان ثلوج يناير قد تكون الأخيرة أيضًا أم لا. وجد مصباح الرأس بدرج القفازات في تابلوه السيارة، أشعل المصباح فرأى مسارات على الجليد تقود لأقصى نهاية الفناء ثم إلى البحيرة، على بعد حوالي ثلاثين مترًا. كان الماء أسود وباردًا ومُقبضًا، وتسببت رياح "الفون" التي تهب من جبال الألب في تكوين موجات ضخمة على السطح. وجد حجرًا مسطحًا وحاول أن يقذفه بحيث ينزلق على طول السطح، فاصطدم بموجة وغرق دون أن يرتد إلى السطح مجددًا. هناك فارق بين طريقة تدفق المَوْجات على ساحل البحر والطريقة التي ترتطم بها المياه من البحيرة بالشاطئ، ويبدو أن المَوْجات تنكسر بطريقة مختلفة. بالقرب من البحيرة، يمكنك دائمًا شم رائحة الطحالب، والتعفن، والنّتانة، والطين، بل حتى صوت الحجر وهو يخب وينزلق على سطح البحر يختلف عن صوته على سطح البحيرة. إن البحر يداوي

الجروح والبحيرة تفتحها.

ظل واقفًا هناك برهة حتى سمع وقع خطوات من ورائه فاستدار. رأى خيال ظل يقترب عبر الممشى بدون كشاف يدوي ويتحسس طريقه كي يجد درجات السلم.. إنها "تينا". خطت من الممشى إلى الحصى على الشاطئ ووقفت إلى جوار "تاراس". سألها: "هل انتهى "تشفيلاك"؟". أومأت. التقط حجرًا آخر وألقاه في الماء بزاوية منخفضة، فجعلته إحدى المَوْجات يثب إلى الموجة التالية ويغطس فيها. سألته: "هل دائمًا الوضع محزن هكذا؟".

من على شجرة تنوب قريبة طار غراب في رحلة باهرة عبر سطح الماء. أخذ "تاراس" يتتبعه هو يطير حتى أصبح مجرد خيال ظل حلق فوق رأسه ثم تلاشى في الظلام. بدأت زخات المطر تتساقط. في البداية كانت الزخات خفيفة غير مرئية حتى على سطح البحيرة بل بدت أقرب إلى ضباب تكثّف أكثر وهبط فوقها، ثم تَبدّت قطرات مطر صغيرة على السطح وأخذت تكبر شيئًا فشيئًا. عليه أن ينسى أمر التزلج على هضبة "بوكليوكا". رد على سؤالها قائلًا: "إن الوضع يختلف هنا في الصيف حيث تجدين مليون شخص يسبحون، ويجدفون، ويتزلجون على الأمواج، وترين الطائرات الشراعية في كل مكان، والكرة الطائرة الرملية.. في الصيف تدب الحياة في كل شيء كأنها بحيرة غير هذه البحيرة". "ليس هذا ما فكرت فيه". بالطبع ليس هذا ما فكرت فيه. سحب تليفونه من جيبه وتفقد الشاشة. إنه السبت، السادس

عشر من يناير، الساعة الثانية والنصف صباحًا. هل يا ترى محطة "مارشيه" على الأوتوستراد في الطريق إلى ليوبليانا مفتوحة طوال الليل أم لا؟ إنه بحاجة لأن يشرب قهوة، على الأقل قهوة.

شكر وتقدير

حتى نُبقي القصة في إطارها الواقعي، ينبغي أن أُوجه شكري وتقديري إلى عدد من الشخصيات، وأخص بالذكر الأسماء التالية:

الدكتور جوزيه بلاجيتش، رئيس معهد طب التشريح في ليوبليانا؛ والدكتور دوريان كيرجان، مدير المختبر الجنائي الوطني؛ الدكتور بلاتش ستريس، الأستاذ المساعد بكلية التكنولجيا الحيوية في ليوبليانا وفي جامعة إنسبروك؛ وأنيتا بريجار، رئيس مركز الخدمات الاجتماعية، في يسينيتسه؛ ودونيا مورن وروك لينر من مقبرة بلدية يسينيتسه في بليسكا دوبرافا لما قدموه لي من مساعدات مهمة والتي أقدرها تقديرًا كبيرًا.